

النور السائر

من  
خطب المنابر

المجموعة الأولى

المجموعة الثانية

المجموعة الثالثة

تأليف

عبد الله بن عبده العواضي

# المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدّر فهدى، أحمده على نِعم تترى، وآلاء لا أدرك لها حصرا، وأصلي وأسلم على المبعوث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد، فهذا سلك واحد يجمع ثلاث مجموعات تضم مائة خطبة انتقيتها من الخطب التي ألقيتها في سنوات خلت بعضها قد نشر وبعضها لم ينشر، عالجت هذه الخطب بعض القضايا المهمة التي يحتاجها الفرد والمجتمع، وقد سميت هذا المجموع **بـ"النور السائر من خطب المنابر"** راجياً الله تعالى أن ينير بها النفوس لسلوك الصراط المستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: عبد الله بن عبده نعمان العواضي

إمام وخطيب جامع ابن الأمير الصنعاني

اليمن-صنعاء

10/2/1436هـ، الموافق 2/12/2014م.

Moh3517@gmail.com

# مقدمة المجموعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا ه[[1]](#footnote-1)ادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن خطبة الجمعة لها أهميتها ومكانتها في الإسلام؛ فهي موعظة أسبوعية واجبة الحضور على الرجال البالغين العقلاء الأصحاء المقيمين، يجتمعون إليها لسماع ما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم، ويستعدون لها استعداداً خاصاً من نظافة ظاهرة، وتبكير وقراءة قرآن وتنفل مفتوح بين يديها، فإذا شرعت الخطبة وجب حينئذ الإنصات التام لما يقوله الخطيب.

فهذه الأمور وغيرها تجعل لهذه الموعظة وقعاً خاصاً من الاهتمام والاستفادة منها بعد الخروج من المسجد في الحياة العامة والخاصة.

إن خطبة الجمعة لو عُني المسلمون بها عناية خاصة- سواء الخطيب أم المستمعون- لكان لها أثر كبير في إصلاح المجتمعات المسلمة وردها إلى جادة الصواب ومصاف قيادة العباد، وفتح الله بها مغالق كثيرة، وأنار بها دروباً كانت تعيش في ظلام دامس وجهل مطبق.

وبعد: فهذه مجموعة من الخطب التي خطبت بها أحببت نشرها لتعم الفائدة، سائلاً الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه، نافعة لعباده، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: عبد الله عبده نعمان العواضي

إمام وخطيب مسجد ابن الأمير الصنعاني

اليمن-صنعاء

Moh3517@gmail.com

# تأملات في وصايا لقمان ([[2]](#footnote-2))

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده؛ ليكون للعالمين نذيرا، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا، أحمده على نعمة الإسلام حمداً كثيرا، وأشكره على نعمة الهدى والقرآن شكراً غزيرا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدّره تقديرا. وأشهد أن نبينا وهادينا محمد بن عبدالله، بعثه الله إلى الجن والإنس بشيراً ونذيرا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، أنار بالقرآن العقول، وشرح به الصدور، وشفى به القلوب، فامتلأت به حبوراً وسرورا، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- فبتقوى الله تستنير البصائر، وتستريح الضمائر؛ فتفرق بين الحق والباطل، والسليم والسقيم، قال تعالى: {يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }[الأنفال29].

أيها المسلمون، لقد تعاقبت القرون، وتآلفت السنون، وهو لا يزال المنهلَ الصافي الذي لا تكدره الدلاء، والنورَ الساطع الذي ليس به خفاء، والحجة الدامغة والبرهان الجلي الذي لا يبطله تعدد الأفهام والآراء، والقولَ الصادق، والأسلوب الرائق، والإعجاز الناطق بأنه كلام الخالق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

عباد الله، هذا هو القرآن الكريم، أنزله الله ليكون كتابَ هداية وإرشاد، وحجة وحكمة، وعلم وإيمان، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم. من تمسك به نجا، ومن ضل عنه هلك، احتوى على عجائب لا تنفد، وفتح أبواباً للنور لا توصد.

فحري بنا أن نتأمله ونتدبر آياته؛ لنفتح أقفال قلوبنا، وغِشاوة عقولنا، نتنقل بين رياض آياته التي تتحدث عن الله تعالى، وعن رسله وتشريعاته لخلقه، وقصصه عن الغابرين؛ لنستلهم من تلك القصص العظات والعبر، فنتمثل الحق من ذلك في حياتنا.

ولقد اشتمل القرآن الكريم على عدد من القصص التي تحكي الأحداث: إما عن الأنبياء وما جرى لهم مع المؤمنين بهم أو الكافرين، وإما عن أفراد وطوائف جرى لهم ما فيه عبرة، وإما عن حوادث وأقوام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

وقصص القرآن أصدق القصص كما قال تعالى: { ِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً }[النساء87]؛ وذلك لاشتمالها على موافقة الخبر للحدث.

وهي أحسن القصص، كما قال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }[يوسف3 ]؛ لأنها احتوت على أعلى درجات البلاغة الأسلوبية، والفصاحة اللفظية، والجلالة المعنوية.

وهي أنفع القصص كما قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[يوسف111]؛ وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق، فلا تساق هذه القصص البديعة للتسلية ومعرفة الحدث مجرداً، وإنما يؤتى بها لخير يُتّبع، وهدي يستمسك به، أو لشر يُجتنب، أو مثَل سوءٍ يبتعد عنه، أو مثل حسنٍ يقتدى به.

عباد الله، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ {12}وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ{13} وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ{14} وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{15} يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ{16} يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ{17} وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ{18} وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ{19}[لقمان 12-19].

هذا نموذج فريد من القصص القرآنية يحكي قصة العبد الصالح لقمان في سورة سميت باسمه؛ إعلاء لشأنه، ذكر الله فيها ما جرى له مع ابنه من حديث مؤثر في التربية والنصيحة، وقد صُدِّرت هذه السورة الكريمة بإشارة تلميحية إلى تميز قصص القرآن الكريم على قصص غيره؛ إذ تورد القصة القرآنية لهداية الناس، وتبصيرهم طريق الحق، بخلاف قصص ما سواه، ففي قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ }[لقمان6]، إيماء إلى القصاصين الملهين للناس المعرِضين بهم عن القرآن كالنضر بن الحارث الذي كان يسافر إلى بلاد الفرس ويقتني كتبَ قصصِ ملوكهم، ويأتي مكة يحدث بذلك؛ ليشغل أهل مكة عن سماع رسول الله. فبينت السورة بهذا التصوير أن القرآن في قصصه يشتمل على ما فيه هدى وإرشاد للخير، ومُثُلِ الكمال، فجاءت بهذه القصة لتكون أنموذجاً عن هذه المقاصد الشريفة من القصص.

أيها المسلمون، إن تربية الجيل أمانة عظيمة، تتطلب تظافر الجهود ابتداء من البيت الذي يعد عنصر التأثير والتأثر الأول في نفس النشء، فتربية الأولاد مهمة تقف على كاهل الأب والأم؛ لكونهما راعيين عمن استرعاهما الله عليه، فالأب راعٍ في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها, كما قال نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام.

عباد الله، إن لقمان عليه السلام كان رجلاً حكيماً حُفظت عنه حكِم كثيرة، خصوصاً في تربية الولد، وفي هذه الآيات بعضٌ من تلك الحكم. فقد اجتمعت في هذه الآيات الكريمة من وصيته لابنه أمثلة من أصول الشريعة كلها وهي: الاعتقادات والأعمال والآداب، فما أحوجنا إليها تعلماً وتعليماً وعملاً!

عباد الله، إن نعم الله على عباده كثيرة متنوعة ومن أعظم هذه النعم: الصواب في المعتقدات، والفقه في الدين، والعلم والعمل والفهم الصحيح، وهذه هي الحكمة، ومن يُرزقُها فقد رزِق خيراً كثيراً، قال تعالى: {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً }[البقرة269]، وهذه العطية الحسنى لن تدوم ولن تزيد إلا بشكر واهبها قولاً وفعلاً بتحقيق نتائجها في الإصلاح لا الإفساد.

والله تعالى غني غنىً مطلق لا يحتاج الشكر ولا ينفعه حصوله، وإنما عائد ذلك الشكر على الشاكر ببقاء النعمة وزيارتها؛ ولهذا قال تعالى هنا: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }[لقمان12].

معشر المسلمين، إن محبة الولد والشفقة والحرص عليه فطرة وجبلة في قلب أبويه؛ ولذا هما يحرصان على جلب ما يسعده ودفع ما يضره، ولكن للأسف -يا عباد الله- فقد اقتصر فهم كثير من الناس في إسعاد الأولاد على توفير الطعام والشراب والكساء والدواء والمسكن وغير ذلك من حاجات الجسد، ولا ينظرون إلى أهم من ذلك كله وهو إسعاد الروح وإصلاح السلوك، فأقل الناس من يفعل هذا. لقد قام لقمان رحمه الله بوعظ ابنه مرغّباً ومرهباً -وقبل أن يزرع فيه بذور الخير والصلاح- أراد أن يزيل ما في نفسه من الشر حتى تخلو وتصفو، وبعد ذلك يضع ما يريد من الخير. وإن أعظم الشر: الشرك بالله تعالى والكفر به، بصرف شيء من حق الله لغيره، وهذا هو الظلم العظيم حقاً؛ فلا أظلم ممن سوَّى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لا يستطيع أن ينعم بمثقال ذرة من النعم، الذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟

روى الشيخان في صحيحيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت:{الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟! قال: (ليس كما تقولون {لم يلبسوا إيمانهم بظلم} بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: {يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم}؟).

ومن هنا تبدأ وصايا لقمان، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[لقمان13]

عباد الله، لا حقَّ أوجب تأديةً بعد حق الله من حق الوالدين اللذين كانا سبب الوجود للولد في هذه الحياة؛ ولهذا يقرن الله تعالى بين حقه وحقهما في آيات من القرآن الكريم كهذه الآية؛ لأن لله تعالى نعمةَ الإيجاد، وللوالدين نعمة التربية والإيلاد.

إن بر الوالدين -معشر المسلمين- فريضة في كل الشرائع والأديان، ويأمر بها العقل السليم ومنهج العدل القويم، وردُ الجميل والمعروف. فكم قدم الوالدان من كفاية ورعاية وعناية، وتحملا من شقاء وعناء، وحرمانٍ من هناء، تعبا ليستريح الولد، وسهرا لينام، وبذلا ليستغني، وجاعا ليشبع، وعطشا ليروى. تتسع الحياة بهما إن ضحك وسلِم، وتضيق عليهما إن حزن أو سقِم، وكل تعب تحملاه، وكل عطاء قدماه؛ ليكبر ويحيا.

أفلا يستحقان بهذا طاعةً وخفضَ جناح، وكلمة لينة، ورداً جميلاً، وإحساناً ورحمة، وبراً ورعاية؟.

ألا ما أفظع العقوق وأسوأ فعله! وآكد عاقبته وعقوبته، يوم يقلب العاق -ابناً أو بنتاً- لوالديه ظهر المجن، ويكفر المعروف، فيرفع صوته فوق صوت أبيه، ويميل إلى العطوف الرؤوم إلى أمه فيسقي خدودَها دمعَها الهتان؛ جراءَ عصيانه وعقوقه، وقد يتعدى ذلك السوء إلى الضرب والإهانة.

ألا فليحذر العاق، وليستدرك قبل نزول العقوبة وفوات زمن الاستدراك, وليبشر البار المحسن بسعادة الدنيا ونجاة الآخرة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها)، قلت: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين) قلت: ثم أي؟ قال:( ثم الجهاد في سبيل الله) ([[3]](#footnote-3)).وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلاثا -: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور -أو قول الزور -، وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت ) ([[4]](#footnote-4))؛ ولهذا قال تعالى هنا: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ{14} وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{15}[لقمان14-15].

عباد الله، إن بر الوالدين واجب الأداء مالم يتعارض مع حق الله، كأن يأمرا بمعصية الله، أو ينهيا عن طاعته، فإن فعلا فلا طاعة لهما، ولكن لا يعقان، بل يحسن إليهما في حدود الطاعة.

أيها المسلمون، أين يذهب الإنسان عن علم الله ونظره؟ هل هناك أرض غير أرضه؟ وكون غير كونه، وملك غير ملكه؟ حتى يتمكن العاصي من فعل معصيته دون رؤية خالقه ونظره وعلمه؟!

أيها العبد المسلم، راقب حركاتك وتصرفاتك أن تزل أو تضل؛ فهناك من يرقُب, فلا تستصغر ذنباً تعصي الله به وتقول: إنه صغير حقير، فكل ذلك مسجل عليك لا يفوت اللهَ منه شيء، والصغير بالتواتر كبير.

إذا أردت أن تعصي الله فتذكر قدرته وعلمه وعظمته: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }[الملك14]، وأنت أيها الطائع لا تحتقر المعروف لصغره وقلّته، فإن فعلته فتيقن أن ذلك لن يذهب ما دام خالصاً صوابا، بل هو مسجل لك عند المحيط بكل شيء، قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً }[النساء40].

ولهذا قال لقمان لابنه واعظاً: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ{16}[لقمان].

إذا ما خلوتَ الدهر يوماً فلا تقل... خلوتُ ولكن قلْ عليّ رقيب

ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعة... ولا أن ما تُخفي عليه يغيب

أيها الناس، إن الصلاة هي أكبر العبادات البدنية، وعمود الإسلام وعماد الأعمال, وأعظم الطاعات وأدومها، وفريضة السماء، وأحب الأعمال إلى الله، وكفارة الذنوب ومحرقتها، ومهذبةُ النفوس ومُصلِحتُها.

الصلاة اعتراف بطاعة الله، وطلب الاهتداء للعمل الصالح، الصلاة اتصال بالله وقربٌ منه ومناجاة وابتهال، الصلاة تواصل مع العبادة، وهجر لمشاغل الدنيا وإقبال على الآخرة.

الصلاة في حقيقتها ليست حركات جوفاء، وعادةً تُؤدى بأفعال محدودة ويُنتهى منها، إن الصلاة بتلك الحركات التي لا معنى لها صلاة ميتة, أما حياة الصلاة فباستعدادٍ قبلها، وتوجهٍ أثناءها، وتأثر بعدها. فالمصلي الحي يجمع في صلاته حضورَ القلب، وتفهّم معنى الكلام المتلو أو المسموع، واستحضار تعظيم الله وهيبته، من معرفة جلال الله تعالى، ومعرفة حقارة النفس واستعبادها لمعبودها الجليل، فإذا سمع المسلم النداء لها تذكر النداء للقيامة فلينظر ماذا يجيب، وإذا ستر عورته فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق، فليذكر عورات باطنه، وفضائح سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق تعالى.

وإذا استقبل القبلة فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، فصرف قلبه عن كل شيء إلا إلى الله وحده, فإذا كبّر استشعر بحسه وفعله أن الله أكبر من كل شيء؛ فلا يقدم عليه شيئاً, وإذا ركع استشعر في ركوعه التواضع والعبودية، وفي سجوده الذل والانكسار للعظيم سبحانه.

فمن أراد الفلاح يوم المزيد فعليه إقامة الصلاة في أوقاتها بأركانها وشروطها وواجباتها، وسننها وخشوعها وحقيقتها.

وعلى الوالدين أن يعلموها الأولاد ذكوراً وإناثاً، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع) ([[5]](#footnote-5)).

ولهذا قال لقمان لابنه موصياً: { يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ..}.

أيها المسلمون، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم قواعد الدين، وهو المهمة التي ابتعث الله لها المرسلين، قال تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[آل عمران104].

فبهذه الشعيرة صلاحُ الدين والدنيا، فلو تُرك الناس وأهواءهم لكثر الفساد، وخربت البلاد، وطغى العباد، فنزل العذاب والنقم، ورفعت الخيرات والنعم.

إن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس وظيفة ينهض بها بعض الناس، بل كل مسلم مأمور به على قدر علمه واستطاعته؛ ولهذا جاء هذا العمل العظيم من أوصاف هذه الأمة، كما قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ.. }[آل عمران110]، وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ) ([[6]](#footnote-6)).

إخواني الأفاضل، يقول أبو حامد الغزالي –مبيناً عظم شأن هذه الشعيرة وخطر التخلي عنها: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة التي ابتعث الله لها النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمّت الفترة أي: الجاهلية، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد".

ولما كانت هذه المهمة الشريفة تخالف أهواء الناس وشهواتهم فإنها تجر إلى صاحبها معاداةَ الناس وأذاهم؛ لذلك كان على الآمر والناهي التدرعُ بالصبر وعدم الجزع، وهنا لقمان رحمه يوصي ولده قائلاً:{ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[لقمان17].

فنسأل الله أن يصلح قلوبنا، وأن يوفقنا لبر والديِنا، وأن يجعلنا من أهل خشيته، وأداء فريضته، ومن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ابتغاءَ مرضاته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يكن له من خلقه صاحبة ولا ولد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، صلاة وسلاماً دائمينِ إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن تهذيب النفس وإصلاح عوجها، وتحسين علاقاتها مع الناس، وإكسابها الآداب الفاضلة، والأخلاق الكاملة، وإزالة رذائل صفاتها أمور في غاية الأهمية، فمن أصلح علاقته مع الله بأداء حقه من الطاعة والانقياد، ومع خلق الله بإيفائهم ما يجب لهم عليه، وترك مطالبتهم بما ليس له فيه حق، فقد سعد ونجا.

وما أحسن أن يكون الإنسان محبوباً عند الله وعند خلقه، وما أبغض أن يكون مكروهاً مرفوضا في السماء والأرض.

إن النفوس قد طُبعت على محبة من يتواضع لها ولا يتكبر عليها، ولا يسعى مفتخراً مؤذياً لها, فالتواضع- معشر المسلمين- خلق كريم يجيء الإنسانَ من معرفته حقيقةَ نفسه؛ فمن نظر إلى نفسه بعين بصيرة وجد فيها عيوباً كثيرة تدعوه إلى أن لا يغترّ على غيره وعنده تلك الآفات الكبيرة. فالمتواضع لين الجانب، لطيف الخطاب، متودد إلى الناس، حسن الخُلق معهم، محسن إليهم، كريم المعشر، سهل المعاملة، ينزل الناس مقاماتهم ولا يحتقرهم، يقبل الحق ممن جاء به ولو كان أدنى منه في جميع منازل الدنيا، يخدم نفسه ويساعد أهله في مهمات البيت وحوائجه.

إن مشى, مشى مشية معتدلة لا يتبختر ولا يتماوت، وإن جلس، جلس جِلسة مستوية حيث انتهى به المجلس ولا يتخير رؤوس المجالس ووجوهها، وإن تكلم لم يتفيهق ولم يتشدق، ولم يثرثر ويرفع صوته، فكلامه حسن اللفظ، جميل المعنى، معتدل الصوت.

وإن لبس، لبس ما وجد، فلم يتكلف أو يتشبع بما ليس عنده، فيلبس الرخيص من الثياب والنفيس منه، ولكنه لا يقصد به علواً على الآخرين وكسراً لقلوبهم، ولكن ليحدِّث بنعمة الله عليه؛ ولأن الله جميل يحب الجمال.

فبهذا أحبه الناس وسودوه عليهم ورفعوه بينهم,

تواضع تكن كالنجم تبصر وجهَه... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخّان يعلو بنفسه... إلى طبقات الجو وهو وضيع

أما الكبر فما أسوأها من شيمة، وأقبحها من صفة ذميمة، يرى المتكبر نفسه بين الناس كالطائر العالي في السماء، ولا يدرك أنه كلما ارتفع صغر في أعينهم كذلك، المتكبر يرد الحق، ويحتقر الناس، ويصعّر وجهه وينظر شزراً إليهم، يحب أن يحترمه الناس ويعرفوا مكانه ولو بغير الحق، إن تكلم رفع صوته من غير حاجة، وبحث عن أوابد الكلام وغرائبه؛ حتى يقال: ما أبلغه وما أعلمه!.

وإن لبس، لبس لباس الشهرة وجر ثوبه خيلاء، وأعجب بما لديه، وإن جلس جلس مرتفعاً على الآخرين، يتخير أماكن محددة، فحركاته وسكناته، وقيامه وقعوده، وسكوته ونطقه، ومشيه ووقوفه إعجاب بنفسه، واستصغار لغيره. وكل متكبر مقل من هذه الصفات أو مستكثر.

ما أجهلَ المتكبر وأحقر نفسه! أراد أن يرتفع فوضع, وأن يعز فذل، وأن يتميز فغاب عن مشهد الاحترام، فما أحراه ببغض الناس وإبعادهم.

أحبتي الكرام، ما أحسن ما وصف الله المتواضعين ومدحهم فقال: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً }[الفرقان63]، وما أعظم جزاءهم في قوله: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }[القصص83].

وما أخوف ما جاء في حق المتكبرين من الوعيد، كقوله عليه الصلاة والسلام: (تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين... ) ([[7]](#footnote-7)).

فمن أراد أن ينفي الكبر عن نفسه، ويستعمل التواضع فعليه بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ففيها القدوة والكفاية.

وهنا لقمان يربي ولده على التواضع ويحذره وسائل الكبر والغرور فيقول: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ{18} وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ{19} [لقمان 18-19].

أيها المسلمون، ما أجمع هذه الوصايا، وأجمل هذا التعليم، وأحسن نتائج هذه الحكمة، وأسعد من تمسك بها، فأحرِ بنا أن نتعلمها، ونعلمها أبناءنا وبناتنا.

ألا فلنتبع -عباد الله- هذه الوصايا؛ لننال السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة.

وندعو الله أن يصلح نفوسنا، ويهذب أخلاقنا، وأن يعيينا على تقويم سلوكنا؛ إنه سميع مجيب.

هذا وصلوا على سيد الأنبياء...

# عاشوراء بين السنة والبدعة([[8]](#footnote-8))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].( {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }الأحزاب70-71]

أما بعد:

أيها المسلمون، إننا في شهر الله المحرم، شهر عظيم عظمه الله تعالى، فجعله من الأشهر الحرم الأربعة فقال تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }[التوبة36].

ومن تعظيم الله أن نعظم ما عظمه الله عز وجل، قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ }[الحج32].

فمن تعظيم الله تعالى: تعظيم الأشهر الحرم، ومن ذلك شهر الله المحرم.

وقد ذكر الله تعالى تعظيم هذه الأشهر الحرم في قوله تعالى: {فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ }[التوبة36].

إنها جملة تعم جميع أنواع الظلم: ظلم الإنسان لربه، وظلم الإنسان لنفسه، وظلمه لغيره من خلق الله تعالى.

عباد الله، إن العبد مطالب بهجر جميع الذنوب في جميع الأوقات والشهور، لكن هذه الأشهر الأربعة لها مزية وخصوصية على غيرها. فليتق المسلم ربه فيها، وليعلم عظمها وقدرها.

أيها المسلمون، إن شهر الله المحرم شهر فضيل، ومن فضائله: أنه زمان فاضل لعبادة الصيام. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: ( أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل )([[9]](#footnote-9)).

فيا سعدَ من سابق في هذا الشهر إلى هذه العبادة العظيمة التي يضاعف أجرها في هذا الشهر المعظم.

ألا واعلموا – يا عباد الله- أن أعظم أيام هذا الشهر التي يستحب صيامها: يوم عاشوراء. وهو اليوم العاشر من هذا الشهر.

هذا اليوم العظيم يوم مبارك حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيامه، وبين أجر ذلك فقال: (وصوم يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله)([[10]](#footnote-10)).

وهذا غنم كبير أن تكفر ذنوب سنة بصوم يوم، فكم نقترف من أوزار طوال العام، وليس لنا من الحسنات نصيب وافر نعتمد عليه في تكفير معاصينا. فهذا خير متدفق ساقه الله إلى عباده، فأين أهله وطالبوه، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم؟.

غير أن هذا التكفير لذنوب السنة إنما يكون للذنوب الصغيرة، أما الكبائر فتحتاج إلى توبة نصوح، كما ذكر ذلك كثير من العلماء، ولا مانع،-والله أعلم- أن يتفضل الله تعالى على بعض عباده بغفران كبير ذنوبهم وصغيرها، والله ذو الفضل العظيم.

فلا يفوتنك-أيها المسلم- صوم هذا اليوم؛ فإنه غنيمة باردة، وتوفيق من الله تعالى لمن صامه.

أيها المسلمون، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على صيام هذا اليوم، ويتحراه أكثر من غيره؛ لعظم خيره، ومزيد فضله.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ما رأيت النبي صلى الله عليه و سلم يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني: شهر رمضان)( [[11]](#footnote-11)).

ولقد صار هذا التحري والحرص ديدن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، ورضي الله عنهم، منهم: عمر، وعلي،وأبو موسى، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عباس، وعبد الله بن سلام، وابن مسعود، وجابر بن سمرة، وقيس بن سعد، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، فقد أرسل عمر إلى الحارث بن هشام: " أن غداً يوم عاشوراء، فصم، وأمر أهلك أن يصوموا"([[12]](#footnote-12)).

وعن الأسود بن يزيد قال: ما رأيت أحداً ممن كان بالكوفة من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم آمر بصوم عاشوراء من علي و أبي موسى([[13]](#footnote-13)).

قال ابن عبد البر في التمهيد: " وروينا عن ابن مسعود وجابر بن سمرة وقيس بن سعد قالوا: كنا نؤمر بصوم عاشوراء، فلما نزل رمضان لم نؤمر به ولم ننه عنه، ونحن نفعله".

والأفضل-معشر المسلمين- أن يكون هذا اليوم مشفوعاً بصوم يوم قبله، أو يوم بعده؛ لأن في ذلك مخالفة لليهود؛ لأنهم يصومونه وحده، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب مخالفتهم.

ولذلك قال-عليه الصلاة والسلام-: (لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع ) ([[14]](#footnote-14)). لكن المنية عاجلته فمات قبل بلوغه المحرم صلى الله عليه وسلم.

والأفضل في الصيام ما ذكره ابن القيم رحمه الله حينما قال: إن مراتب صومه ثلاثة، أكملها: أن يصام قبله يوم وبعده يوم، ويلي ذلك: أن يصام التاسع والعاشر وعليه أكثر الأحاديث، ويلي ذلك إفراد العاشر وحده بالصوم.

أيها المسلمون، إن صيام يوم عاشوراء قد مر بمراحل، كان الاستحباب المؤكد الذي استقر عليه أمر التشريع هو المرحلةَ الأخيرة.

أما المراحل الأولى فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه مع قريش وهو بمكة، ثم صامه مع المسلمين في المدينة، وكان هذا مستحباً، ثم أمر بصيامه، فكان واجباً. فلما فرض رمضان صار صيامه مستحباً.

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه).

عباد الله، إن يوم عاشوراء يوم تاريخي، ضارب بجذوره في أعماق الزمن، وقد صار يوماً مقدساً عند بعض الأمم، فهو يوم ذو شأن عند اليهود، وعند النصارى، وعند مشركي قريش، وكذلك عند المسلمين.

فهو عند اليهود يوم نجى الله تعالى فيه موسى عليه السلام ومن معه من إدراك فرعون وجنده.

جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ( ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى شكرا، قال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه، وأمر بصيامه).

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه- عند مسلم- قال: كان يوم عاشوراء يوماً تعظمه اليهود، وتتخذه عيداً، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (صوموه أنتم).

أما النصارى فكان صومهم له تبعاً لليهود.

وأما قريش في الجاهلية فلعل صيامهم له قد تلقوه عمن قبلهم؛ ولهذا كانوا يعظمونه بالصيام وكسوة الكعبة.

وقيل: أذنبت قريش ذنباً في الجاهلية فعظم في صدورهم، فقيل لهم: صوموا عاشوراء يكفر ذلك، ذكره عكرمة تلميذ ابن عباس. وقيل: إن قريشاً أصابهم قحط، ثم رفع عنهم فصاموه شكرا.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها المسلمون، في يوم عاشوراء من السنة الواحدة والستين للهجرة حدثَ حدثٌ تاريخي مؤلم لكل مسلم صادق الإيمان، ترتبت عليه أفكار ومناهج سلوكٍ عقبه عبر الزمن.

هذا الحدث هو قتل الحسين بن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنه وعن أبيه، في أرض كربلاء من بلاد العراق.

والقصة طويلة مبكية، لكن خلاصتها: أن الحسين رضي الله عنه ظل في المدينة النبوية بعد موت أخيه الحسن رضي الله عنه فيها فترة من الزمن. فجاءته رسائل وكتب من أهل العراق يطالبونه بالقدوم عليهم ليقودهم في قتال والي بني أمية هناك.

فوجدت هذه الدعوة لدى الحسين رضي الله عنه قبولاً، فأراد المسير إلى العراق، فجاءه عبدُ الله بن عمر رضي الله عنهما، حينما علم بهذه الرسائل فنصح الحسين بعدم الذهاب إلى العراق، وحذره من هؤلاء الناس، وقال: "لا تصدقهم؛ فقد خذلوا أباك من قبلك"، فأبى الحسين، فبكى ابن عمر، وقبّل ما بين عينيه، وقال: "أستودعك الله منقتيل". ونهاه كذلك ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم، فلم يستجب الحسين رضي الله عنه إلى ذلك، ومضى إلى الكوفة حتى وصل إلى كربلاء فقتل هناك مظلوماً رضي الله عنه.

ولقد ارتكب أولئك القتلة ذنباً عظيماً بهذا الفعل الشنيع بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها المسلمون، إن الحسين بن علي رضي الله عنهما قد مضى إلى ربه مظلوماً كأبيه علي رضي الله عنه حينما قتل ظلماً، ومات كما مات رسول الله والخلفاء الأربعة بعده، وغيرهم من رؤوس المسلمين وآل البيت والصحابة الكرام، الذين كان موتهم فاجعة لأهل الإسلام.

لكن الذي يؤسف له أن الرافضة في العالم يستعدون لهذا اليوم يوم عاشوراء من كل عام دون غيره من الأيام بالنحيب والضرب للصدور والخدش للوجوه والشدخ للرؤوس، حتى لم يسلم من ذلك الأطفال، كل ذلك حزناً على الحسين رضي الله عنه.

وهذه الأفعال- أيها العقلاء الأفاضل- التي يقومون بها في هذا اليوم تخالف الإسلام والأخلاق الحسنة والعقول الصحيحة والسلوك الحضاري السليم.

فلماذا كل هذا النحيب والتعذيب للنفس ولفلذات الأكباد في موت الحسين رضي الله عنه، ولم يكن في موت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان موته أعظم مصائب الموت في الأمة؟! ولماذا لم يكن كذلك في موت حمزة الذي لم يكتف المشركون بقتله حتى مثلوا به؟! ولماذا لم يكن في موت أبيه علي رضي الله عنه، وفي أخيه الحسن رضي الله عنه، وهو الأخ الأكبر؟!

لماذا كل هذا الذكر للحسين و لا يذكرون الحسن إلا قليلا، ولماذا الإمامة في أولا د الحسين، ولم تكن في أولاد الحسن أبدا؟ ولماذا أكثر أحاديثهم مدحاً للحسين دون الحسن؟ كل هذا لأن زوجة الحسين هي شهربانو بنت يزدجرد، ويقال: إن اسمها سلافة، وابنها علي بن الحسين- زين العابدين-، فيقول الشيعة: اجتمعت الشجرة الهاشمية مع الشجرة الساسانية الفارسية، فلذلك هم يحبون الحسين وأبناء الحسين؛ لأن أبناء الحسين أخوالهم الفرس، بسبب شهربانو بنت يزدجرد !!

معشر المسلمين، إن الأعمال الشنيعة التي يقوم بها بعض الشيعة في يوم عاشوراء أعمال لم يقم بها أهل القرون الثلاثة المفضلة ومنهم أهل البيت الكرام، وهم أكثر حباً وأصدق تعظيماً للآل ممن جاء بعدهم؟! إن تلك الأعمال التي تحصل منهم في يوم عاشوراء إلى يومنا هذا أعمال جاهلية نهى عنها الإسلام دين العقل والسلوك المستقيم.

يقول الله تعالى: { وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً }[النساء29]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع في أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة ) وقال: ( النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب )([[15]](#footnote-15)).

وقال عليه الصلاة والسلام: (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) ([[16]](#footnote-16)).

ووجع أبو موسى رضي الله عنه، وجعل يغمى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: أنا بريء ممن برء منه رسول الله صلى الله عليه و سلم؛ فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم برء من الحالقة والسالقة والشاقة)([[17]](#footnote-17)).

والحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصيبة، والسالقة هي التي ترفع صوتها فيها، والشاقة هي التي تشق ثيابها في المصيبة كذلك.

فالنياحة والضرب للجسد ورفع الأصوات وشق الثياب ولباس السواد كلها أعمال تحدث في يوم عاشوراء لدى بعض الشيعة.

ومن المخالفات التي تحصل في هذا اليوم كذلك: سب الصحابة رضي الله عنهم، والطعن فيهم، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه ) ([[18]](#footnote-18)).

إضافة إلى هذه الأعمال المنكرة شرعاً وعقلاً؛ فإنه يحصل عند قبر الحسين رضي الله عنه صور من الشرك بالله تعالى مثل: دعاء الحسين رضي الله عنه والاستغاثة به، وطلب النفع منه ودفع الضر، والله تعالى يقول: {وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ }106 {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }[يونس160-107].

ومن المخالفات: شد الرحال لزيارة المشاهد والقبور، ومن ذلك قبر الحسين رضي الله عنه.

ويقولون: (زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة)!!.

ويقولون: (من زار قبر الحسين يوم عاشوراء كمن زار الله في عرشه)!!!.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى) ([[19]](#footnote-19)).

ومن المخالفات: اختلاط النساء بالرجال والتشجيع على الفاحشة المسماة بالمتعة.

ومن المخالفات: أن هذه الأعمال التي يقومون بها أعمال همجية وليست حضارية، بل تشوه صورة الإسلام والمسلمين عند من لا يعرف الإسلام؛ ولذلك كانت بريطانيا -التي تريد تشويه الإسلام- تمول المواكب الحسينية وتستغلها أحسن استغلال.

وقد قيل: إن رئيس الوزراء العراقي أثناء الاحتلال الانجليزي للعراق عندما زار لندن للتفاوض قال له الانجليز: نحن في العراق لمساعدة الشعب العراقي؛ لكي يخرج من الهمجية، فأثار هذا الكلام حفيظة رئيس الوزراء، فاعتذروا له بلباقة وأروه فليماً لما يحدث في كربلاء!

أيها المسلمون، إن هذه الأعمال المبتدعة لو كان أصحابها يتبعون آل البيت حقاً ما قاموا بها؛ اتباعاً لآل البيت؛ فإن ابناء الحسين وأحفاده لم يقوموا بها.

ثم إن هناك نصوصاً قولية عن أئمة آل البيت في النهي عن هذه الأفعال مذكورة في كتب الشيعة أنفسهم.

قال علي رضي الله عنه: "ثلاث من أعمال الجاهلية، وعدّ منها: النياحة على الموتى". وقال أيضاً: "لا تلبسوا السواد؛ فإنه لباس فرعون".

وقال جعفر الصادق رحمه الله عن آبائه: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النياحة والاستماع لها". ويذكر الشيعة نهي الحسين رضي الله عنه أخته عن النياحة، فلماذا هم ينوحون لو كانوا يحبون الحسين؟!

لو كان حبك صادقاً لأطعته... إن المحب لمن يحب مطيع

نسأل الله أن يبصرنا بديننا، وأن يرد الزائغين عنه إليه، وأن يهدي المسلمين سواء السبيل.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشرية...........

# البركة في الأرزاق ([[20]](#footnote-20))

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الخلائق أجمعين، فصلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار..

أيها الناس، وجدت في خزائن بعض الملوك في القرون الأولى من عمر هذه الأمة حبة قمح بمقدار نواة التمر، كتب عليها: "هذا يوم أن كانت بركة الله في الأرض، هذا كان ينبت في الأرض زمن العدل".

وروى أبو نعيم في الحلية عن عطاء بن أبي رباح رحمه الله أنه قال: "لما رأيت الصحاف الصغار قد ظهرت عرفت أن البركة قد رفعت". ورحم الله عطاء، هذا في زمانه، فماذا كان سيقول لو رأى زماننا؟!.

عباد الله، إن المؤمن ينظر إلى الدنيا أنها يومان: يوم صبر، ويوم شكر، فيوم الصبر يوم جوع و مرض و بلاء ويوم الشكر يوم شبع وصحة ونعمة.

و من نعم الله عليك -أيها الإنسان- أن خلقك ربك تعالى إلى هذه الحياة وخلق معك رزقك، سواء كنت ذكياً أم غير ذكي، وفاوت بين عباده في هذه النعمة بسطاً وتضييقاً بناء على علمه وحكمته جل وعلا، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[الروم37].

أيها المسلمون: إن العبرة في المال ليست بقلته ولا بكثرته، بل العبرة فيه ببركته وحسن تصريفه، فلا خير في مال كثير تعمل فيه مناجل المحق والإذهاب، والخير كل الخير في مال تعيش فيه البركة وتصاحبه ولو قل.

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس"([[21]](#footnote-21)).

إخوة الإسلام، إن البركة نماء وزيادة، حظي بها بعض عباد الله، ورسولنا صلى الله عليه وسلم دعا بها في مواطن متعددة، ولعدد من الصحابة منهم أنس بن مالك رضي الله عنه، قال عليه الصلاة والسلام فيه:( اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته) ([[22]](#footnote-22)). فوجد أنس رضي الله عنه أثر هذه الدعوة في حياته فقال كما في الأدب المفرد للبخاري بسند صحيح: ":فدفنت مائة وثلاثة، وإن ثمرتي لتطعم في السنة مرتين، وطالت حياتي حتى استحييت من الناس وأرجو المغفرة". وعند مسلم قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتعاقبون على نحو المائة".

أيها المسلمون، إننا نشكو اليوم من قلة أو ذهاب هذه النعمة: نعمة البركة في الأموال والأرزاق، مع أن الأرباح كثيرة والمصادر المالية متعددة، ولكن البركة لا مكان لها فيها، لماذا نزعت البركة في المزروعات والمصنوعات، والمكاسب والمرتبات؟! نسمع الآباء يحدثوننا عن البركة في أيامهم الماضية فنعجب مما كان ومما آلت إليه الأحوال.

أيها الأحبة الكرام، نزْعُ البركة يعد مصيبة من المصائب، وعقوبة من العقوبات، وجزاء وفاقاً للأعمال، واسمعوا قوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ }[الشورى30]. وقوله عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[الأنفال53].

وقال جل جلاله: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[الروم41].

إن ذنوب العباد وتعديهم على حدود الله أصاب البلاد وأهلها بصنوف من المصائب والكوارث، فما هلكت أمة إلا بسيئاتها، ولا رُحمت إلا بطاعاتها. كم يُبارز اللهُ بمعاصي عباده في مجالات شتى: في الحكم والقضاء، و الأعراض و الدماء، وفي المآكل والمشارب، والكلام والأسماع والأبصار. أُكل الربا وكثرت المعاملات فيه وتساهل الناس في التعامل به دون حياء، والله تعالى يقول: {يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ }[البقرة276]. فكيف يرجو البركة من يتقلب بين أحضان الربا آكلاً وشارباً وراكباً وساكناً؟!.

كثر الظلم وقل العدل والإنصاف بين الناس، ففي بعض الآثار: "كان الملك إذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة من بين رعيته"، وفي أثر آخر: "إذا كان آخر الزمان رفع الله أربعة أشياء من أربعة: البركة من الأرض، والعدل من الحكام، والحياء من النساء، والغَيرة من الرجال".

فإن تساءل الناس: لماذا نزعت البركة، وحل المحق؟

فالجواب أن البركة نزعت لكثرة الغِش والتدليس، والتطفيف ونقص الكيل في البيع والشراء، فقلما تجد تاجراً يعرف فقه البيع والشراء والحلال من الحرام فيه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-كما في الصحيحين-:( البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال: حتى يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما).

وقال عليه الصلاة والسلام:( يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً منْ غيرهم فأخذوا بعض ما في بأيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم ) ([[23]](#footnote-23)).

ونزعت البركة أيضاً لكثرة الحلف في البيع والشراء من غير صدق،.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:( الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة)([[24]](#footnote-24)).

وذهاب البركة في ذلك: ذهاب المال إما بتلف يلحقه، أو بإنفاقه في غير ما يعود على صاحبه نفعه في العاجل أو الآجل.

ونزعت البركة بمجيئ المال من الطرق المحرمة، فالمال نعم الصاحب إذا أُخذ من حلال وصرف في حلال، وهو بئس العدو إذا أُخذ من حرام وصرف في الحرام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اقتطع مال أخيه بيمينه-أي بقوته- فلا بارك الله له فيه)([[25]](#footnote-25)).

ونزعت البركة لأن بعض الناس صار عبداً للمال: همه ووقته وجهده وموالاته ومعاداته وحياته كلها للمال، فلا يرضى بالقليل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:( ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم ثلاث أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث طعام و ثلث شراب و ثلث لنفسه) ([[26]](#footnote-26)).

ونزعت البركة بسبب فساد القلوب وتشاحنها وتحاسدها وتنافرها بين الأقارب والجيران وبين المجتمع كله، فالأرض الذي تحل فيها المحبة والألفة تنزل فيها البركة، فحينما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان حكماً عدلاً تحصل بركة عظيمة وترفع البغضاء من الناس، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (.. فيكون عيسى بن مريم عليه السلام في أمتي حكماً عدلاً وإماما ًمقسطاً. يدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويترك صدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض. وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره. وتفر الوليدة الأسد فلا تضرها. ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها. وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء. وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله... وفي لفظ: يجتمع النفر على القطف فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال ويكون الفرس بالدريهمات)([[27]](#footnote-27)).

ونزعت البركة أيضاً-يا عباد الله- حينما كثر الإسراف والتبذير، والعبث بالمال في مأكول أو مشروب أو ملبوس أو مركوب وغير ذلك. حتى رميت الأطعمة الكثيرة إلى القمامة وهناك مئات الناس يتضورون من الجوع!.

قال بعض السلف: "ثلاث لا تكون في بيت إلا نزعت منه البركة: السرف والزنا والخيانة".

أيها المسلمون: هناك أسباب كثيرة لتحصيل البركة في الأرزاق، يعيش بها الإنسان حياة رغدة مطمئنة،

فمن ذلك:

تقوى الله تعالى وطاعته واتباع مراضيه، قال الله عز وجل: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }[الأعراف96]، وتقوى الله هي: فعل أوامره واجتناب نواهيه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| المال يذهب حلُّه وحرامه |  | يوماً ويبقى بعده آثامه |
| ليس التقي بمتقٍ لإلهه |  | حتى يطيب طعامه وكلامه |

ومن تقوى الله: كثرة الاستغفار والتوبة قال تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً{10} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً{11} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً{12}[نوح 10-12].

ومن تقوى الله: صلاة الضحى، قال شقيق البلخي رحمه الله: "طلبنا خمساً فوجدناها في خمس: طلبنا البركة في الرزق فوجدناها في صلاة الضحى...".

ومن أسباب البركة: أخذ المال من حله ووجوهه المشروعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الدنيا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقها بارك الله له فيها، و رب متخوض في مال الله و رسوله له النار يوم يلقاه"([[28]](#footnote-28)).

وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" فمن يأخذ مالاً بحقه يبارك له فيه، ومن يأخذ مالاً بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع".

فأين المتحرون الرزق الحلال في زمان الطمع وكثرة الهلع؟! إنهم قليل بين الجمع الكثير، وأين الذين لو عرضت عليهم الدنيا وما فيها ما بالوا فيها إذا كانت من الحرام؟! إنهم أقل ذلك القليل.

إخوة الإسلام، التبكير في طلب الرزق من أعظم أسباب البركة، ويدخل في ذلك حضور الدوام الوظيفي في ابتداء وقته المحدد،. فعن صخر الغامدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:( اللهم بارك لأمتي في بكورها)، قال: وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم أول النهار، وكان صخر رجلاً تاجراً وكان إذا بعث تجارة بعث أول النهار فأثرى وكثر ماله، حتى كان لا يدري أين يضعه"([[29]](#footnote-29)).

فهنيئاً لأولئك الذين يخرجون مع الطير لطلب رزق الخلاق سبحانه وتعالى.

إن الأمانة في البيع والشراء بسلامة الثمن والمثمن من التدليس والخداع عامل من عوامل دخول البركة على البائع والمشتري، جاء في الصحيحين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:( البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال: حتى يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما).

وفي البخاري عن عروة البارقي رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه و سلم أعطاه ديناراً يشتري له به شاة فاشترى له به شاتين فباع إحداهما بدينار وجاءه بدينار وشاة فدعا له بالبركة في بيعه، فكان لو اشترى التراب لربح فيه).

قال أنس رضي الله عنه: "البيت الذي يكون فيه خيانة لا يكون فيه البركة".

أحبتي الكرام، هناك سبب عظيم قلَّ أهله في زماننا خاصة مع غرق الناس في أمواج الدنيا وسُكرِ لهوها حتى ضعف الدين وقل اليقين، هذا السبب هو: القناعة والرضا بما قسم الله للعبد من الرزق بدون تطلع واستشراف نفس.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن الله تبارك وتعالى يبتلي عبده بما أعطاه فمن رضي بما قسم الله عز و جل له بارك الله له فيه ووسعه ومن لم يرض لم يبارك له) ([[30]](#footnote-30)).

وقال عليه الصلاة والسلام:( وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) ([[31]](#footnote-31)).

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى) ([[32]](#footnote-32)).

صلة الرحم سبب كبير من أسباب البركة في الرزق، ففي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:(من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) ([[33]](#footnote-33)).

إخواني الكرام، من الأسباب العظيمة لتحصيل البركات العامة في الأرض: تطبيق شريعة الله بين الناس، وإقامة العدل ونصر المظلوم من الظالم وإعطاء كل ذي حق حقه، واقرأوا التاريخ وانظروا كيف كانت البركة في أزمنة العدل والإنصاف، حُمل مرةً إلى عمر رضي الله عنه مال عظيم من الغنائم فقال: إن قوماً أدوا الأمانة في هذا لأمناء فقال له بعض الحاضرين: إنك أديت الأمانة إلى الله تعالى فأدوا إليك الأمانة ولو رتعت رتعوا. وفي عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله حينما بلغ العدل الذروة فاضت البركات والأموال فأدى عمر الدين عن المدينين، وبقي المال كأنه لم ينقص منه شيء، فماذا نقول عن زماننا الذي أصبح يتجشأ ظلماً وجوراً من كل جوانبه، فرحماك يا ربنا رحماك.

اللهم بارك لنا في أرزاقنا، وأهلينا وأولادنا، واجعل ما أعطيتنا عوناً لنا على طاعتك.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، الطعام رزق تقوم حياة الأحياء بوجوده وكفايته، والخير فيه بحصول البركة فيه قل أو كثر، وقد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم آداب تقال أو تفعل لنيل البركة في رزق الطعام، فمن ذلك:

التسمية في أوله والحمد في آخره، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يأكل في بيته فجاء أعرابي جائع فأكله بلقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (لو ذكر اسم الله لكفاكم فإذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل: باسم الله في أوله وفي آخره)([[34]](#footnote-34)).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا رفع مائدته قال: (الحمد لله كثيراً طيبا مباركاً فيه غير مكفي ولا مودَّع ولا مستغنى عنه ربنا ) ([[35]](#footnote-35)).

والحمد بعد الفراغ من الشكر، وصاحبه موعود بالمزيد، قال الله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }[إبراهيم7].

ومن ذلك: الاجتماع على الطعام وكثرة الأيدي عليه، فعن وحشى بن حرب عن أبيه عن جده أن أصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع. قال: ( فلعلكم تفترقون)؟. قالوا: نعم. قال: ( فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ) ([[36]](#footnote-36)). .

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي) ([[37]](#footnote-37)). .

وإن من العادات التي وفدت علينا من بلاد الكفر: التفرقَ في الأكل، فالعرب كانوا يحبون الاجتماع على الطعام ويكرهون الانفراد، قال حاتم لزوجته:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له... أكيلاً فإنه فإني لست آكله وحدي

ومن الآداب: تغطية الطعام وعدم تركه مكشوفاً تأكل منه الشياطين، عن أسماء بنت أبى بكر أنها كانت إذا ثردت غطته شيئاً حتى يذهب فوره ثم تقول: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:( إنه أعظم للبركة) ([[38]](#footnote-38)).

ومن ذلك أيضاً: الأكل من حافات الطعام، والأكل باليمين، ولعق الأصابع عند الفراغ من الطعام، ونحو ذلك من الأسباب.

فيا من يبحثون عن البركة هذه بعض أسبابها فاعملوا بها يبارك لكم في رزقكم فيرغد عيشكم، واقرعوا أبواب السماء بمفاتيح الدعاء، واستحضروا هذا الأمر حين قولكم في الوتر: وبارك لنا فيما رزقتنا وأعطيت، واستمروا على هذه الدعوة في أوقات ليلكم ونهاركم.

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة....

# الشتاء حِكم وأحكام ([[39]](#footnote-39))

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الخلائق أجمعين، فصلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102].

{ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً } [النساء 1].

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً }[الأحزاب 70-71].

أما بعد:

أيها المسلمون، لقد أقبل علينا فصل الشتاء يحمل معه شدة البرد، وكثرة المرض، وصعوبة الحركة، وقلة الإنتاج. وهذه مضار لكن مع المضار منافع للبشرية لا تتحقق إلا في فصل الشتاء، ولا تتم إلا في ظل البرد.

قال ابن القيم رحمه الله: "تأمل أحوال هذه الشمس في انخفاضها وارتفاعها لإقامة هذه الأزمنة والفصول وما فيها من المصالح والحكم؛ إذ لو كان الزمان كله فصلاً واحداً لفاتت مصالح الفصول الباقية فيه، فلو كان صيفاً كله لفاتت منافع مصالح الشتاء، ولو كان شتاء لفاتت مصالح الصيف، وكذلك لو كان ربيعاً كله، أو خريفاً كله، ففي الشتاء تغور الحرارة في الأجواف وبطون الأرض والجبال، فتتولد مواد الثمار وغيرها، وتبرد الظواهر، ويستكثف فيه الهواء، فيحصل السحاب والمطر، والثلج والبرد الذي به حياة الأرض وأهلها، واشتداد أبدان الحيوان وقوتها، وتزايد القوى الطبيعية، واستخلاف ما حللته حرارة الصيف من الأبدان، وفي الربيع تتحرك الطبائع، وتظهر المواد المتولدة في الشتاء، فيظهر النبات ويتنور الشجر بالزهر، ويتحرك الحيوان للتناسل".

عباد الله، في فصل الشتاء يسخن جوف الإنسان، ويبرد في الصيف؛ لأنه في الشتاء يكون بارداً، فيبرد ظاهر البدن، فتهرب الحرارة إلى باطن البدن؛ لأن الضد يهرب من الضد؛ ولهذا يسخن جوف الأرض في الشتاء؛ لسخونة الظواهر، فتهرب البرودة إلى الأجواف.

ومن حكم الله أن نبات وفواكه الشتاء لو أكلت في الصيف أو العكس لربما أضرت بالبدن وسببّت له الأذى، فسبحان الخالق الحكيم.

معشر المسلمين، إن محبي العبادة المكثرين منها يفرحون بقدوم الشتاء؛ لأنه موسم للازدياد من الطاعة ليلاً ونهاراً، وموعد للراحة في التمتع بطول ملازمتها.

قال ابن مسعود رضي الله عنه:" مرحباً بالشتاء، تنزل فيه البركة، ويطول الليل للقيام، ويقصر النهار للصيام.

وحينما حضرت الوفاة معاذاً رضي الله عنه بكى، وقال: إنما أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب على حِلَق الذِّكْر.

إن زمن الليل في فصل الشتاء يمتد ويبارك فيه؛ فهو بذلك فرصة لتطويل صلاة الليل، مع أخذ الجسم حظه الكافي من النوم، وللروح بعد ذلك أن تحلِّق في آفاق القيام ما شاءت.

قال تعالى: {كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }[الذاريات17-18].

والشتاء فصل ملائم لعبادة الصيام؛ لأن نهار الشتاء بارد لا يحس الإنسان فيه بشدة الظمأ، وألم الجوع، وضنك التعب، ولأن النهار في الشتاء أيضاً يمضي سريعاً؛ لقصر زمانه فيه.

وهذا كله يعين المسلم الحريص على الصيام أن يكثر منه، ويداوم عليه؛ لتحصيله الأجر بلا تعب ولا مشقة كبيرين.

ولذلك جاء في الحديث: الصيام في الشتاء الغنيمة الباردة([[40]](#footnote-40)).

قال بعض العلماء: " إنما وصفها بالبرد؛ لأن الغنيمة إنما أصلها من أرض العدو ولا تنال ذلك إلا بمباشرة الحرب والاصطلاء بحرها، يقول: فهذه غنيمة ليس فيها لقاء حرب ولا قتال".

أيها المسلمون، إذا جاء فصل الشتاء كثرت فيه أمراض الزكام و الحمى والصداع، وغير ذلك.

ولكن الإسلام يعلمنا ما يخفف عنا وقع هذه الأمراض وآثارها، فيعلمنا التفاؤل عند المكاره؛ لأن المكاره قد تحمل معها المحاب والمسار. قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }[البقرة216].

فما يحمله الشتاء من العناء-ويختلف ذلك باختلاف الأماكن شدةً وخفةً- في طياته منافعُ للأرواح وللأبدان، فكم زُرعتْ في الشتاء من خيرات، وجُنيت من حسنات، ومُحيت من سيئات، لدى من جدّ وسعى وتفكر.

وكم عوفيت من أبدان بتلك الأمراض، وربما صحت الأجسام بالعلل.

يقول ابن القيم رحمه الله: " الحمى فيها من المنافع للأبدان مالا يعلمه إلا الله، وفيها من إذابة الفضلات وإنضاج المواد الفجة وإخراجها ما لا يصل إليه دواء غيرها، وكثير من الأمراض إذا عُرض لصاحبها الحمى استبشر بها الطبيب. وأما انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض فأمر لا يحس به إلا من فيه حياة؛ فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها، وقد أحصيت فوائد الأمراض فزادت على مائة فائدة".

فالمرض يذكِّر الإنسان ضعفه وعجزه؛ فيلجأ إلى القوي القادر ليذهب عنه سقمه وألمه، فيعرف الإنسان حينذاك أنه عبد لمعبود حق، وأنه مفتقر إليه معتمد عليه، وأن قضاء حوائجه، وتفريج كرباته، وتحصيل راحته وسعادته لا يكون إلا عن طريق التجائه إلى مولاه، وسعيه في سبيل مرضاته.

فلو بقي الإنسان قوياً بلا ضعف، قادراً لا يطرأ عليه العجز، صحيحاً لا يزوره المرض لطغى وبغى وتجبر وتكبر، فجاء المرض ليعرِّفه حقيقة نفسه، وحق ربه عليه.

وعلمنا الإسلام –عند تلك الأمراض- أن نواجهها بالصبر والاحتساب، فمن صبر ورضي خف ألمه، وسهل سقمه، وقوي أمله بما ادخره الله له؛ جزاء تسليمه لقضائه وقدره، فحين ذلك ينسى الوجع بسبب الموعود المنتظر. بل قد يجد بعض الراضين المؤمنين لذات في عنفوان الآلام والأسقام لا يجدونها أيام العافية، والعامل النفسي له أثره على ما يَرِد إلى البدن من مسار أو مضار.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( ما يصيب المسلمَ من نصَب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه )([[41]](#footnote-41)).

وقال عليه الصلاة والسلام: ( لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله ونفسه حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة ) ([[42]](#footnote-42)).

عباد الله، والإسلام يعلّمنا –كذلك- الحِميَةَ والابتعاد عن مظان الداء، وأسباب البلاء،

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد) ([[43]](#footnote-43)).

وهذا الحديث قاعدة في الوقاية عن مخالطة أصحاب الأمراض المعدية، مع الاعتقاد بأن كل شيء يجري بقضاء الله وقدره.

ويعلمنا الإسلام أيضاً فعل الأسباب الممكنة في دفع ضرر شدة البرد كالاستدفاء والاحتماء والاستشفاء.

فقد أنعم الله على الإنسان بما يقيه البردَ من ملابس وفرش وأغطية وأردية معدة لذلك، إضافة إلى البيوت والمساكن التي يتحصن بها، ويأوي إليها. وفي عصرنا الحاضر بلغت هذه النعمة مبلغاً كبيراً في جودتها وتوفرها وتمام الانتفاع بها لدفع أذى الشتاء.

يقول الله تعالى-ممتناً على عباده-: {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ } {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ }[النحل80-81].

إخواني الكرام، إن صيام رمضان يذكر الصائم آلام الجائعين، وحاجة الفقراء والمساكين، ومجيء الشتاء-كذلك- يذكرنا بما أنعم الله علينا من وسائل الدفء والحماية من إيذاء البرد. وفي ظل ذلك علينا أن نتذكر إخواناً لنا يعانون شراسة البرد وتبعاته، وآلامه ومضراته، هجم عليهم البرد بخيله ورجِله فخلف من بينهم بلايا وضحايا، حينما لم تكن لهم بيوت واقية، وملابس كافية، وأطعمة الخاصة التي تعطيهم طاقة وحرارة تحجز عنهم بعض سهام البرد الحادة، بل لقد وجدت حالات مأساوية لبعض الأسر الفقيرة التي مات بعض أطفالها أيام شدة البرد.

أخي المسلم المليء، إذا كان لديك ملابس شتوية تقيك البرد من أخمص قدميك إلى هامة رأسك، فتذكر أن هناك أجساماً مُسلمَة لباسها الصيفي الرقيق هو لباسها في الشتاء البارد، وإذا كان عندك فرش وثيرة وأغطية كثيفة كثيرة فتذكر من ليس معه من ذلك شيء، أوْ له شيء منه ولكن لا يكفيه وأسرته، فتصدق مما أعطاك الله؛ إن الله يجزي المتصدقين.

إخوةَ الإسلام، إن في أيام الشتاء عبراً وعظات لمن أراد أن يتعظ ويعتبر؛ فريح الشتاء تذكر الإنسان أن الله عذّب قوماً بها، وهم قوم عاد؛ نصراً لنبيه هود عليه السلام، ومن معه من المؤمنين. قال تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ } {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } {فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ }[الحاقة6-8].

وردّ الله بها كيد الأحزاب التي تحزّبت لغزو المدينة؛ نصراً لرسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، ومن معه من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً }[الأحزاب9].

وقال: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً }[الأحزاب25].

وفي هاتين الريحين -الريح التي أهلكت عاداً، والريح التي ردت كيد الأحزاب- يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (نُصرت بالصَبا وأُهلكتْ عاد بالدَّبور) ([[44]](#footnote-44)).

عباد الله، إن الريح جندي من جنود الله مسخرة بأمره لما يشاءه سبحانه وتعالى، فقد ترسل بالرحمة، وقد ترسل بالعذاب؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى أو سمع هبوب الريح عُرفت الكراهية في وجهه؛ خشية أن تكون عذاباً أُرسل إلى أمته، وهذا من رحمته ورأفته عليه الصلاة والسلام بأمته كما وصفه الله تعالى بقوله: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }التوبة128.

فلأجل هذا يستحب للمسلم أن يسأل الله خيرها ويستعيذ به من شرها، ولا يجوز له سبها أو لعنها، فقد كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا عصفت الريح قال: ( اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشرما فيها، وشر ما أرسلت به) ([[45]](#footnote-45)).

وروى البخاري في الأدب المفرد وأحمد في مسنده وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذت الناس الريح في طريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر: لمن حوله ما الريح؟ فلم يرجعوا بشيء، فاستحثثت راحلتي فأدركته فقلت: بلغني أنك سألت عن الريح، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (الريح من رَوْح الله-أي: من رحمته بعباده- تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب؛ فلا تسبوها، وسلوا الله خيرها، وتعوذوا من شرها).

وعن ابن عباس أن رجلا نازعته الريح رداءه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلعنها - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( لا تلعنها؛ فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه ) ([[46]](#footnote-46)).

معشر المسلمين، إن برد الشتاء يذكرنا ببرد جهنم، نسأل الله أن يقينا عذابه يوم يبعث عباده، نعم، هناك برد في جهنم، ولكنه برد عذاب لا برد نعيم على أهل الحرارة واللهيب. قال الله تعالى-عن أهل الجنة-: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً }[الإنسان13]، بخلاف أهل النار فإنهم يرون الشمس والزمهرير.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة؛ فإن شدة الحر من فيح جهنم، واشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير ) ([[47]](#footnote-47)).

قال ابن رجب رحمه الله: " وقد جعل الله تعالى ما في الدنيا من شدة الحر والبرد مذكراً بحر جهنم وبردها، ودليلاً عليها؛ ولهذا تستحب الاستعاذة منها عند وجود ذلك".

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ }[ص57]: " الغساق: الزمهرير البارد، الذي يُحرق من برده".

نسأل الله العفو والعافية، والوقاية والحماية من كل أذى في الدنيا والآخرة.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي وسع كلَّ شيء رحمة وعلماً، وتبارك الذي أسبغ على عباده عفوَه كرماً وحلما، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين، وصحابته الأكرمين.

أما بعد:

إخواني الكرام، هناك أحكام فقهية يحتاجها المسلم كلَّ وقت ولا سيما في فصل الشتاء، وهذه الأحكام تتعلق بعباداته خاصة عبادةَ الصلاة التي هي عبادة مستمرة فرضها ونفلها في الليل والنهار، فجدير بالمسلم أن يتفقه فيها، ويستفيد من معرفتها لامتثالها؛ لكي يعبد الله على علم وبصيرة، ولتتيسر له العبادة في أوقات الشدة.

فمن سمات هذه الشريعة الغراء: اليسر ودفع المشقة عن المكلفين، قال الله تعالى: { يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }[البقرة185]، وقال: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }[الحج78].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بُعثت بالحنيفية السمحة) ([[48]](#footnote-48)).

وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين ).

ومن غايات هذه اليسر في العبادات: أن يظل المسلم على اتصال بالعبادة التي هي سبب انشراح صدره وراحة نفسه، وحصول أُنسه، فلا ينقطع عنها عند ورود المشقة في صفة معينة، وكيفية واحدة، فلو شقّت هيئة تيسرت هيئة أخرى.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب ) ([[49]](#footnote-49)).

عباد الله، إن الصلاة مناجاة لله تعالى ووقوف بين يديه ومخاطبة له، فتحتاج إلى طهارة ونقاء، والماء أفضل وسائل الطهارة وأنقاها، وفي أوقات شدة برد الشتاء قد يشق استعمال الماء غير المسخن للوضوء أو الاغتسال، فمن استطاع تحمّل مشقة الوضوء أو الغسل الكاملين في شدة البرد ثم انتصر على نفسه وهواه فخرج للصلاة في بيوت الله تعالى فقد عمل عملاً عظيماً يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، ويجلب له الحسنات.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) ([[50]](#footnote-50)).

وإذا كان أجر الذاهبين للصلوات في الظلمات كبيراً كما قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( بشر المشّائين في الظُلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) ([[51]](#footnote-51)).

فلا يمتنع فضل الله وكرمه عن أن ينال المشائين إلى بيوت الله في شدة البرد التاركين للدفء والفراش الوثير، والله تعالى أكرم وأعلم.

وأما من لم يستطع-بصدق- تحمل هذه المشقة في الطهارة من الحدث الأصغر أو الأكبر فقد خفف الله تعالى عنه حيث شرع له استعمال التراب بدل الماء، فقام التيمم مقام الوضوء والغسل.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[المائدة6].

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ( يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب )؟!. فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: { وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً }[النساء29]، فضحك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يقل شيئا([[52]](#footnote-52)).

والتيمم طهارة حكمية تعبدية ليس الغرض منها تغبير الوجه والكفين، بل المقصود امتثال أمر الله في هذا التيسير والتخفيف؛ ولذلك لم تكن لكل الجسم مكان الغسل، ولا لكل الأعضاء مكان الوضوء، بل هي ضربة واحدة على الصعيد الطيب ومسح للوجه والكفين مرة واحدة، كما جاء في الآية السابقة و في الأحاديث النبوية الشريفة أيضاً.

عباد الله، ومن تيسير الله تعالى لدفع مشقة البرد في التطهر: جواز المسح على ما يغطي القدمين من خفاف وجوارب وما يقوم مقامهما كالشرابات بدلاً عن غسل القدمين في الوضوء، وهذا التخفيف عن الأمة ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله ومن فعله، قال الحسن البصري رحمه الله: " حدثني سبعون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يمسح على الخفين".

وحدث إبراهيم النخعي عن همام بن الحارث قال: رأيت جرير بن عبد الله بال ثم توضأ ومسح على خفيه، ثم قام فصلى، فسئل؟ فقال: رأيت النبي صلى الله عليه و سلم صنع مثل هذا، فقال إبراهيم: فكان يعجبهم حديث جرير؛ لأن جريراً كان من آخر من أسلم([[53]](#footnote-53)).

ومعنى قول إبراهيم هذا: الدلالة على أن جواز المسح على الخفين باق ولم ينسخ بآية الوضوء في المائدة والتي فيها وجوب غسل الرجلين؛ لأن جريراً رضي الله عنه أسلم بعد نزولها، ورأى النبي صلى الله عليه و سلم يمسح عليهما.

غير أن المسح على الخفين له شروط حتى يكون مسحاً صحيحاً، فأول هذه الشروط: أن يكون الخفان أو ما يقوم مقامهما طاهرين غير نجسين، والثاني: أن يدخل المتوضئ خفيه على طهارة، بمعنى: أن يتوضأ ثم يلبس بعد الوضوء، والثالث: أن يكون المسح من الحدث الأصغر لا الأكبر، فإذا حصل الحدث الأكبر فلا بد من نزعهما حتى يصيب الماء القدمين، والشرط الرابع: أن يبقى المسح على المدة المحددة شرعاً، وهي يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليهن للمسافر، وتبدأ المدة من أول مسح على القول الراجح من أقوال الفقهاء.

وهذا الشروط استنبطت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكورة في كتب السنة.

ومما يصح مسحه للمتوضئ: العمامة الساترة، بدل نزعها والمسح على الرأس، فقد روى ابن حبان وأبو داود وغيرهما عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مسح على ناصيته وعلى العمامة، ثم مسح على خفيه.

أيها المسلمون، ومن الأحكام الفقهية المحتاج إليها في الشتاء وفي غيره: أن بعض المصلين يدخل الصلاة وهو ملثمٌ أنفه وفاه، وهذا خطأ ينبغي التنبيه عليه، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن السدل في الصلاة، وأن يغطي الرجل فاه([[54]](#footnote-54)).

وحكمة ذلك بعد التعبد: أن في فعله تشبهاً بالمجوس عند نيرانهم التي يعبدونها، ونحن مأمورون بمخالفة الكفار؛ ولأن هذا الفعل ليس من الزينة المأمور بأخذها عند الصلاة، كما قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }[الأعراف31].

إلا أنه يجوز التلثم لحاجة كمرض أو رائحة كريهة، فلا يكره عند ذلك.

إخواني الأفاضل، مما يكثر حصوله أيام البرد: كثرة الزكام، وهو مرض كغيره من الأمراض التي ينبغي الحرص على البعد عن أسبابها، فإذا حصل فالمشروع للمسلم الصبر فيه واحتساب الأجر عند الله تعالى عليه، والممنوع سبه وإظهار السخط والجزع من حصوله.

وهذا المرض-يا عباد الله- يولّد كثرةَ العطاس، والعطاس قد يظن بعض الناس أن لا فائدة منه، وهذا ليس بصحيح؛ فالعطاس نعمة من الله تعالى على الإنسان؛ لأنه يحمل على النشاط وخفة الروح، ويُخرج من الجسم مواد محتقنة وفضلات مؤذية يضر بقاؤها البدن.

ولهذا شرع الله للعاطس أن يقول: الحمد لله؛ لأنه حصلت له نعمة. وبعض معبري الرؤى يؤولون رؤيا العطاس بتفريج الكربات.

ولما كان العطاس بهذه المثابة كان مما يحبه الله تعالى، قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب) ([[55]](#footnote-55)).

وحينما كان العطاس نعمة على الإنسان فلا يصح له أن يجعله نقمة على غيره، فعلى العاطس أن يتأدب بآداب العطاس كتغطية الفم والأنف باليد أو المنديل أو الثياب؛ حتى لا يؤذي الآخرين بخروج شيء من أنفه أو فمه، وينقل إليهم العدوى.

ومن أدب العاطس: أن لا يرفع صوته أثناء عطاسه؛ لأن في ذلك إيذاء وتهييجاً للآخرين على الزكام.

فقد روى الحاكم والترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه، وغض بها صوته.

نسأل الله تعالى أن يجعل علينا الشتاء برداً وسلاما، وأن يرزقنا خير ما فيه، ويحمينا شر ما فيه.

هذا وصلوا على خير الورى........

# خسر المتشائمون ([[56]](#footnote-56))

الحمد لله الذي عمّ كلَّ شيء علُمه وقضاؤه، ووصل إلى عباده فضله وعطاؤه، لا تُحصى آلاؤه، ولا تُعدّ نعماؤه، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتنزهت علياؤه، تسبح بحمده أرضه وسماؤه.

أُزجي إليك ربي، حمداً كثيراً قاصراً عن بلوغ حق حمدك ومجدك، وشكراً جزيلاً يعجز عن الوفاء بمكافأة فضلك ورِفدك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تفرّدَ بالخلق والملك والتدبير، واستحق الإفراد بالعبادة والقصد والتقدير، وتعرّف إلى عباده بجلال ذاته، وكمال صفاته، وجمال فعاله، وسعة إفضاله، فسبحانه ما أعظمه وأكرمه، وما أرحمه وأحلمه!

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من ذكر ووحّد، وتبّتل وتعبّد، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين، وأتباعه المقتفين، وسلم تسليما.

أما بعد:

فاتقوا الله-عباد الله- فتقوى الله بها السعادة والفلاح، والظفر والنجاح، واليُمن والنجاة، والطمأنينة والحياة، فحُقَ للتقوى أن تكون وصيةَ رب العالمين إلى الأولين والآخرين، كما قال تعالى: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيّاً حَمِيداً }[النساء131].

أيها الناس، اعلموا أن الله تعالى خلق الإنس والجن ليعبدوه وحده لا شريك له الذي شهدت بوحدانيته مخلوقاته، ونطقت بتفرده أفعاله وصفاته، أطاعه كل شيء وخضع، وسجد له وركع، ما عدا الكثرة الكاثرة من الجن والإنس.

فواعجباً كيف يُعصى الإله \*\*\* أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية \*\*\* تدل على أنه الواحد

لقد كان توحيد الله تعالى عنوان رسالة الأنبياء ومفتتَح دعوتهم بين قومهم، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }[النحل36].

فسعد من أقوام الرسل من آمن ووحد، وشقي من أشرك وتمرد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا) ([[57]](#footnote-57)).

أيها المسلمون، إن توحيد الله تعالى يقتضي أن لا يجري شيء في الكون إلا بمشيئة الله تعالى، ومشيئة الله تنفذ في عباده، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشاء لم يكن.

فالخلق خلقُه والملك ملكه، فمن ذا الذي يقدر أن يصنع شيئاً لم يرده الله، أو يمحو شيئاً أراده الله؟! لا يخرج شيء عن علم الله وقدرته، وما من شيء إلا قد سبق به علمه وخطه قلمه، قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }[الحديد22].

عباد الله، لما ضعف في قلوب بعض المسلمين توحيدهم لربهم، ومعرفتهم بكماله في حسن صفاته وفعاله، وإحاطته بكل شيء علما، وحمايته لكل من وحده باللجوء والضراعة دوما، صدرت منهم أفعال تكشف عن هذا الضعف الكثيف.

ومن تلك الأفعال المشينة: التطير والتشاؤم ببعض المسموعات والمرئيات، ومرور بعض الأزمان والأوقات، وهذه عادة مقيتة وترِكة سيئة ورثتها الجهالة عن الجاهلية، وتلقاها ضعفاء القلوب عن ضُلال الدروب.

فقد كان من عادة الجاهليين الاعتماد على الطير إقداماً وإحجاما، فإذا عزم أحدهم على أمر كنكاح أو سفر أو غير ذلك زجر الطير ونظر جهة طيرانه، فإن طار يمنة تيمن به ومضى في قصده بنشاط، وإن طار يسرة تشاءم به ورجع. وربما كان أحدهم يهيج الطير فيعتمده، فما ولى المتطيرَ ميامنه سموه السوانح، وما ولاه مياسره سموه البوارح.

وقد كانوا يتشاءمون-أيضاً- بالأيام والأوقات، فتشاءموا بشهر شوال قليلاً وشهر صفر كثيرا. فيقعدون عن قضاء سفرهم أو زواجهم حتى تخرج أيام هذين الشهرين.

ومن صور تشاؤمهم: التشاؤم بالنجوم بطلوع نجم أو خفوته أو تغير بعض ملامحه.

ولم يقف بهم الخور عند هذا الحد بل صاروا يتشاءمون ببعض المرئيات وبعض المسموعات.

فإذا رأوا الغراب أو سمعوا نعابه تطيروا، وربما كان حالهم كما قال بعضهم:

إذا نعب الغراب وقال خيراً\*\*\* فأين الخير من وجه الغراب؟!

وإذا هبط البوم على البيوت كانوا يزعمون أنه إذا قتل القتيل صارت عظامه هامة أي: بومة تطير وتصرخ حتى يؤخذ بثأره، وليس صوت البوم الصوتَ الطبيعي، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه، أو يقولون-إذا وقعت على بيت أحدهم: إنها تنذر بموت أحد من أهل البيت.

عباد الله، لا عجب أن تكون هذه المعتقدات المنحرفة عند أهل الجاهلية؛ فهم أهل الحيرة عن الرشاد، والضلال عن طريق السداد، لكن العجب أن تبقى بعض هذه الاعتقادات لدى بعض المسلمين إلى اليوم.

إن دين الإسلام حينما بزغ نوره خلع تعلق القلوب بغير خالقها وردها إلى التعلق بالذي بيده كل شيء، فنهى عن هذه الخرافات التي تقوم على شفا جرف هار، معتمدة على ضعف الدين وكثرة الجهل والاضطراب الداخلي، بدلاً من قوة اليقين، وجلاء الحقيقة، وسطوع ضياء العلم.

فعندما كان أهل الجاهلية يبنون إقدامهم أو إحجامهم في الأمور على الاستقسام بالأزلام جاء الإسلام بصلاة الاستخارة. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: ( إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني. قال: ويسمي حاجته) ([[58]](#footnote-58)).

ولما كان أهل الجاهلية يعتمدون في السعود والنحوس على زجر الطير أمر الإسلام المسلم بالتوكل على الله تعالى، وفعل الأسباب المشروعة لذلك المقصود.

قال الله تعالى: { وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً }[الطلاق3].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) ([[59]](#footnote-59)).

معشر المسلمين، إننا عندما ذكرنا هذه الانحرافات عن أهل الجاهلية فإن ذلك لا يعني إطباق جميعهم على ذلك، فهناك من أنكر التشاؤم والتطير وتمدح بتركه له، قال أحدهم:

الزجر والطير والكهان كلهمُ\*\*\* مضللّون ودون الغيب أقفال

وقال آخر:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى\*\*\* ولا زاجرات الطير ما الله صانع

سلوهن إن كذبتموني متى الفتى \*\*\* يذوق المنايا أو متى الغيث واقع

إن مما يؤسف له-يا عباد الله- أن تبقى هذه المعتقدات الضالة لدى بعض المسلمين، بحيث صار عندهم نظرة سوداوية إلى بعض الأحوال والأزمان كشهرنا هذا شهر صفر.

أو ينظر بعضهم في النجوم عند إرادة الزواج أو غيره، أو ينظر في البروج التي تعرض في بعض المجلات مبينة سعود ذلك الشهر ونحوسه، أو يقلبون أوراق عداد العام لينظروا حظوظهم، فسبحان الله كيف تضل العقول وقد تبدى لها نور الطريق المستقيم!.

أيها العقلاء الكرام، إن الإسلام دين يحترم الحقيقة وينفي الوهم والخرافة، ويقدر العقل ويرمي السفه والجهل، والتطير والتشاؤم من ذلك المتروك غير المحترم؛ لأنها ظنون لا تقوم على يقين ولا تستقر على أرض الحقيقة.

ولهذا أبطل ديننا هذا العدول عن الحق وجعل اعتقادها أو فعلها من الشرك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( الطيرة شرك، الطيرة شرك، ثلاثا، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل)([[60]](#footnote-60)).

وإنما جعلت الطيرة من الأمر المنكر لكون المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غيره، ولأنه اعتمد على تخييل ووهم لا على حقيقة، فأي رابطة بين هذا الأمر وبين ما يحصل له؟!، ولأن التطير من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، وذلك بتعلق القلب به خوفاً وطمعا، واعتقاد النفع والضر في طائر لا علم عنده ولا قصد.

إن التطير ذنب وكفارته ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك) قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: (أن يقول أحدهم: اللهم لا خير الا خيرك، ولا طير الا طيرك، ولا إله غيرك) ([[61]](#footnote-61)).

عباد الله، إن الله تعالى لا ينهى عن فعل شيء إلا وفي تركه مصالح وفي فعله مفاسد عاجلة وآجلة. فالتشاؤم ينافي الإيمان والتوكل، ويبرهن على ضعف العقل واضطراب النفس، ويسوق إلى الفشل والوساوس، وضيق العيش.

فالتشاؤم بلاء يجب على المسلم أن يتجنب أسبابه ودواعيه، وأن يحسن الظن بالله تعالى، ويعلق قلبه به وحده، وأن يقضي حوائجه متوكلاً على الله فإن تردد فليستخر وليستشر، وليرض بعد ذلك بما قدره الله وقضاه.

وسيعلم المتشائمون إذا انقلبوا إلى ربهم ماذا خسروا، وسيعلم المتوكلون ماذا ربحوا، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:( يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون ) ([[62]](#footnote-62)).

بارك الله الله لي ولكم بالقرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروا.

الخطبة الثانية

الحمد الله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن المؤمن حسن الظن بالله تعالى، يرى من اشتداد الألم بريق الأمل، ومن امتداد المرض قرب العافية. يتفاءل ويفرح حينما يسمع أو يرى شيئاً ساراً.

يفرح بطاعاته وإحسانه ويتفاءل بحسن عاقبة ذلك من طيب العيش وجمال المآل.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير التفاؤل بالحسن من المسموع أو المرئي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعجبه الفأل ويكره الطيرة([[63]](#footnote-63)).

وكان عظيم الحب للأشياء الطيبة، فمن ذلك أنه كان يحب الأسماء الحسنة؛ لأن لها أثراً في المسمى، فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان لا يتطير من شيء وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به ورُئي بِشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه اسمها فرح بها ورئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رئي كراهية ذلك في وجهه) ([[64]](#footnote-64)).

عباد الله، إن كان للتشاؤم مكان يصح أن يكون فيه فإنه بالذنوب والمعاصي؛ فإن لها شؤماً يرفع النعم ويستنزل النقم، ويكدر العيش ويُظلِم النفس، قال الله تعالى عن أصحاب القرية التي جاءها المرسلون: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ } {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ }يس[18-19].

قال بعض المفسرين: طائركم معكم أي: هو ما معكم من الشرك والشر المقتضي لوقوع المكروه والنقمة وارتفاع المحبوب والنعمة.

قال بعض السلف وقد شكي إليه بلاء وقع في الناس: ما أرى ما أنتم فيه إلا بشؤم الذنوب.

فيا أيها الناس، حافظوا على توحيدكم من شوائب الشرك، وعلى عقولكم من هجوم الخرافة، ووثقوا صلتكم بالله بحسن الظن به وقوة التوكل عليه، واليقين بأنه لا يحدث شيء في الحياة إلا بقضاء الله وقدره، وكونوا متفائلين بالأشياء الطيبة، وبالأعمال الصالحة، فالأيام أيام الله والزمان زمانه يصرفه خالقه تعالى وحده، والسعود والنحوس نتائج كسب الجوارح لا بالسوانح ولا بالبوارح، فما للمسلم والتشاؤم بعد هذا؟!

وصدق من قال:

طيْرة الناس لا تردُّ قضاء\*\*\* فاعذر الدهر لا تشبه بلوم

أيَّ يوم تخصه بسعود \*\*\* المنايا ينزلن في كل يوم

ليس يومٌ إلا وفيه سعود \*\*\* ونحوس تجري لقوم فقوم

هذا وصلوا على سيد المتوكلين المتفائلين........

# إنه الحق ([[65]](#footnote-65))

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأرسل إلينا خير الأنام، وأنزل عليه خير الكلام، هُدى للناس ونوراً مبيناً يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، لقد عاش الناس قبل شروق شمس الرسالة المحمدية-فترة من الزمن- في دياجي حالكة، وسلكوا مسالك للحق غيرَ سالكة، عبدوا الشجر والحجر، والصنم والبشر، والنجوم والنار والهوى، فمقتهم الله جميعاً عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب الباقين على الحق، ومع هذا الانحدار الروحي كانوا يعيشون حياة سياسية ذليلة مضطربة، وحياة اقتصادية منهارة، وحياة اجتماعية متفككة.

حتى أذن الله ببزوغ الحق من غار حراء فبعث الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة، مِنَّة عظيمة، وعطية كريمة من المنان الكريم، قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ }[آل عمران164].

أرسل الله تعالى محمداً عليه الصلاة والسلام بدين الإسلام لينقذ البشرية من دياجير الخرافة إلى نور الحقيقة، ومن ضيق الذل إلى سعة العز، ومن أوحال الخطيئة إلى سماء الفضيلة، ومن ذيول التبعية، إلى هام القيادة، ومن ظلام الجهل إلى صفاء المعرفة والعلم.

عند ذلك أصبح الإنسان يعرف معبوده الحق سبحانه وتعالى، ويعرف نفسه، ويدري كيف يعيش، ولماذا يعيش، وإلى أين يصير.

بعد أن كان حاله كما قال ذلك التائه في متاهات ضلاله:

جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيتُ

ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقى ماشياً إن شئتُ هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لستُ أدري؟

أجديدٌ أم قديم أنا في هذا الوجود

هل أنا حرٌّ طليق أم أسيرٌ في القيود

هل أنا قائدُ نفسي في حياتي أم مقود

أتمنى أنني أدري ولكنْ...

لست أدري

ولماذا لست أدري؟

لست أدري!

أيها المسلمون، إن هذا الدين نعمةُ الله العظمى على عباده الذي ارتضاه لهم وأكمله وأتمه فقال: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }[المائدة3].

فهو دين كامل لحياة كاملة، يلبي جميع حاجات البشرية الروحية والمادية، ويصلح حياة الناس الدينية والدنيوية، وينظم شؤون الدولة والمجتمع، فنُظُم الحياة التعبدية والسياسية والاقتصادية والقضائية والعسكرية والاجتماعية وغيرها تضمنها وضبطها ونظمها بنظام دقيق، فليس هناك دين يشجع على المعرفة النافعة و يوائم بين العقل والعلم إلا الإسلام، والاكتشافات الطبية والعلمية برهان على هذا، {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ }[المائدة50].

وهو دين يتسم بالديمومة والبقاء والاستمرار والنماء، لا يغيره تغير الزمان والمكان والأجيال والأحداث؛ لأنه التشريع الذي كتب الله له الأبدية إلى قيام الساعة، وأبّده العليم القدير، الحكيم الخبير.

{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }[فصلت42].

وهو دين سهل ميسر لا حرج فيه ولا مشقة ولا آصار فيه ولا أغلال، ولا تضييق ولا إكراه، قال تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }[الحج78].

وهو وسط بين الإفراط والتفريط، يعطي الروح حظها كما يعطي البدن حقه، وإذا اهتم بالجماعة فإنه لم ينس الفرد، فأعطى كل ذي حق حقه، فصارت الأمة به أمةَ الوسط بين الأمم، كما صار هو الوسط بين الأديان. قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً }[البقرة143].

وهو دين السلام والأمن العام، ونشر السكينة والاستقرار، وإزالة الخوف والاضطراب، والفساد والظلم؛ فلذلك جاء ليحافظ على الضروريات الخمس التي فيها أعلى مصالح البشرية، وبانتهاكها ذهاب الحياة كلها، وهي: الدين والنفس والمال والعرض والعقل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ([[66]](#footnote-66)).

وبعد حفاظه على الضروريات وسّع عليهم في الحاجيات التي هي مشهد من مشاهد اليسر والسعة كالرخص في السفر وغير ذلك.

وحقّق لهم بعد هذا تمامَ النعمة بإباحة الأمور التحسينية المشروعة والتي بها صلاح الحياة السعيدة، والاستمتاع بفضل الله على عباده، قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[الأعراف32].

والمتتبع يجد أن ما حرم الله على عباده- مما لهم فيه مصلحة عاجلة أو آجلة- يجده قليلاً بجانب ما أباح لهم تصريحاً أو بالبقاء على البراءة الأصلية؛ إذ الأصل في الأشياء الإباحة، قال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[الجاثية13].

عباد الله، إن ديننا الحنيف دين واقعي متسق المبادئ والتشريعات لا يعروه تناقض ولا اختلاف ولا تعارض وعدمُ ائتلاف؛ لأنه من عند الله، { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }[النساء82].

الإسلام-يا أهل الإسلام- دين لكل البشر فلا تفريقَ فيه بين الأجناس والألوان، ولا بين اللغات والبلدان، لا قومية لا طبقية لا عنصرية، لا تفاضل إلا بالعلم والتقوى، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[الحجرات13].

{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }[المجادلة11].

خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم في وسط أيام التشريق فقال: ( يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى) ([[67]](#footnote-67)).

أمة الإسلام، إن ديننا الإسلامي العظيم دينٌ كتب الله له الخلود حتى يذهب زمان الحياة الدنيا، فليس هناك خطر على الإسلام مهما تكالب عليه الأعداء، وحاكوا له المؤامرات، وبذلوا الجهود المختلفة من أجل إطفاء نوره، قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }[التوبة32].

لقد حورب الإسلام منذ بزوغه إلى يومنا هذا حروباً عدة ظاهراً وباطناً، حورب فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً، فحاربته قريش واليهود، والمشركون من خارج مكة، وحاربه المجوس والرومان، والهندوس والصليبيون، والتتار والمغول والبربر، وحاربه الاستعمار الحديث تحت مسميات عدة، وأساليب شتى، ومع هذه الحرب الضروس الممتدة لم يزدد الإسلام إلا لمعاناً وتوهجاً، وثباتاً ورسوخاً، وانتشاراً وامتدادا، إنه كشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر) ([[68]](#footnote-68)).

عباد الله، إن الحروب المعاصرة ضد الإسلام صنعت للإسلام دعاية إعلامية واسعة النطاق في أرجاء العالم، ومع التطور الإعلامي الحديث بدأ من لا يعرف الإسلام -حينما يتابع مجريات الأحداث الدولية الساخنة وهو يرى الغرب وحلفاءه يحاربون الإسلام والمسلمين- بدأ يقرأ عن الإسلام ويهتم بالبحث عنه، وهذا أدى إلى قلق المحاربين للإسلام؛ لأن الناس عرفوا الإسلام وأنه هو الحق الذي غاب بل وغيّب عنهم كثيراً، وإن وصل إليهم شيء عنه ففي صورة مشوهة، فالإسلام شرعَ يتغلغل في أعماق دول الكفر، ويسيح فيها سيحان النهر الجاري الذي لا يصده شيء، ويسرع إسراع الغيث استدبرته الريح، ولو اشتدت وطأة المحاربين عليه فهي -في الحقيقة- نشرٌ لنوره وليست حجاباً أمام ضوئه المتشعشع، وعذبه الدفاق. فهذا أحد المسلمين الجدد من أمريكا يعترف بأن بوش كان سبب إسلامه!، بسبب الأقوال والمواقف البوشية الرعناء تجاه الإسلام والمسلمين

معشر المسلمين، إذا قلنا-واثقين- بأنه لا خطر على الإسلام، فنقول بلا تردد: إنما الخطر على المسلمين الذين يضيِّعون دينهم بقلة فهمه ومعرفته، وضعف تطبيقه والعمل بشرائعه، وضآلة الاهتمام بالدعوة إليه وتبليغه إلى من لا يعرفه بطريقة صحيحة بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن الناجح.

إخواني الكرام، إذن –بعد- هذا: ما واجبنا ونحن نرى العالم اليوم يضطرب ويعيش أزمات حقيقية على الأصعدة كافة، ونحن على دراية لا تتزحزح أنه لن يستقر إلا على سفينة الإسلام، ولن يحل مشكلاته إلا هذا الدين؟

وما واجبنا ونحن نشاهد الواقع الحديث يحيا معركة فكرية وثقافية تنتج عنها المعارك السياسية والاقتصادية والعسكرية؟

وما وجبنا ونحن نلاحظ أن من أسباب صدِّ بعض الكافرين عن الإسلام انحطاطَ المسلمين السحيق في جميع الجوانب، حتى لقد قال بعض الغربيين الذين أسلموا حديثاً: الحمد لله أني عرفت الإسلام قبل أن أعرف المسلمين.

فالمطلوب منا -يا عباد الله- أولاً: أن نعرف ما هو الإسلام الذي ندين الله به، وما هي العقائد والشرائع التي تخالف الإسلام، وهذا يكون بتعلم هذا الدين ومعرفة تشريعاته، والسؤال عما يُجهل منه، وغرس ثقافة الاعتزاز بهذا الدين في النفوس، وتربية الأجيال على ذلك.

ثانياً: لا يكفي أن نبقى مسلمين بالانتساب، بل لابد من إظهار إسلامنا الصادق في واقعنا العام والخاص في أعمالنا وأقوالنا وجميع أحوالنا.

ثالثاً: أن نكون حذرين متيقظين من كيد الأعداء، وأن لا نغتر بكلماتهم التي ظاهرها الرحمة والسلام، وفي باطنها العذاب و الحرب الزبون.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ }[آل عمران118].

رابعاً: أن نهتم بالتقدم المعرفي، والتطور التقني، والنمو الاقتصادي، والبناء الحضاري الشامل؛ لأن تخلف المسلمين الحياتي يمثل عائقاً كبيراً أمام من يريد دخول الإسلام، فإذا تقدم المسلمون في مجالات الحياة المختلفة كان ذلك دعوة صامتة ناجحة للإسلام.

خامساً: أن يقدم كل مسلم دوره تجاه دينه، فيدعو البعيدين عن هذا الدين بكل وسيلة متاحة: بالكلمة الطيبة في كتاب أو منشور، أو صحيفة أو إذاعة، أو قناة أو مساحة الكترونية، أو مكالمة هاتفية أو لقاء في عمل أو مجلس في وسيلة مواصلات، فمن لم يستطع ذلك فليحسن معاملته لمن يعرفه من الكفار، فقد تبلغ الأفعال ما لا تبلغ الأقوال، ورب دعوة صامتة أفصح من دعوة ناطقة، قال عليه الصلاة والسلام: (ولئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك كن حمر النعم) ([[69]](#footnote-69))، وقال: ( من دل على خير فله مثل أجر فاعله) ([[70]](#footnote-70)).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد الله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن بشائر ظهور الإسلام لتلوح في الأفق متسللة من بين حجب الظلام الكثيفة والآلام المتعددة، وتقول للكون كله: إن المستقبل للإسلام، وإن الحق سيعود إلى أهله. {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً }[الإسراء81].

وهذا وعد الله لعباده المؤمنين الصادقين، يقول تعالى: { وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }[الروم47].

وقال: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ }[غافر51].

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت) ([[71]](#footnote-71)).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المدينتين تفتح أولاً: أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مدينة هرقل تفتح أولا)( [[72]](#footnote-72)). يعني: قسطنطينية، وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني رحمه الله بعد ثمانمائة سنة من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح، وسيتحقق الفتح الثاني في روما عاصمة الفاتيكان، بإذن الله تعالى ولا بد.

أمة الإسلام، هذه بعض البشارات في القرآن والسنة، وأما بشارات الواقع فهي كثيرة، فلقد أصبح الإسلام هو الديانة الأولى في العالم في سعة الانتشار، ودخول أعداد المؤمنين به.

ففي أوروبا أضحى يمتد ويبسط ظلاله الوارفة رغم التضييق، حتى قال بعض المتابعين الأوروبيين: نخشى أن تتحول أوروبا إلى قارة إسلامية!

وفي أفريقيا شع الإسلام بنوره في أدغالها وخيامها، وبراريها وغاباتها، وصار أكثر قبولاً بين أهلها، رغم إمكانيات الحملات التنصيرية الهائلة التي تحمل معها الأموال والإغراءات، ومن عجائب الإسلام هناك أنه قد يسلم فرد فيسلم بإسلامه الفئام الكثيرة من أفراد قبيلته.

وهكذا في الأمريكيتين وأستراليا مازال الإسلام في نمو واتساع. ولا يبالغ من قال: إنه يسلم في العام الواحد في عصرنا الحاضر عددَ من مات النبي عليه الصلاة والسلام وهم أحياء مسلمون.

فيا أيها المسلمون، اعلموا علم اليقين أنه لن يقف أمام الإسلام شيء؛ لأنه يسير وعين الله ترعاه، وقوته تحفظه وتدفع عنه كيد الكائدين ومكر الماكرين. فأبشروا وأملوا، ولكن ابذلوا واعملوا، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

ثم صلوا على نبي الأمة وسراج الظلمة....

# أدب الجوار ([[73]](#footnote-73))

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا القرآن خير الكلام، وجعله نوراً للعقول، وحياة للقلوب، وشفاءً لما في الصدور.

أحمده على جزيل إنعامه، وأشكره على جليل إحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله, إله واحد، ورب شاهد، ونحن له مسلمون.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبي خاتم، ونور هادٍ، ونحن له متبعون. هدى الله به من الضلالة، وعلّم به من الجهالة، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أم بعد:

اعلموا -عباد الله- أن خير القِيْل قيلُ الله، وخير الهدي هدي رسول الله محمد بن عبد الله، وأن كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم اعملوا بتقوى الله: بفعل أوامره واجتناب زواجره سامعين مطيعين لقوله في محكم التنزيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102].

أيها المسلمون، اعلموا أن الأيام والليالي عِبرٌ تتوالى؛ لتربي الإنسان على الرشُد، وتلقِّنه دروس الحكمة والنضج.

ومن عبر الزمان ودروسه النافعة: أن أصدقاء الإنسان أيام نعمته: -أيام صحته وغناه وجاهه وقوته- كثير، وأن أصدقاء محنته قليل.

وأن الإنسان-مهما علت منزلته في الدنيا بالجاه أو المال أو القوة- محتاج إلى غيره، ولا يمكن أن يستغني بنفسه عن حاجته للآخرين، فالقريب محتاج إلى قريبه، والزميل إلى زميله، والصديق إلى صديقه، والجار إلى جاره، وإن حصل التفاوت بين هؤلاء في أعراض الدنيا وأسباب القوة فيها.

و هذه الحياة ميدان فسيح، تربط بين ساكنيه أواصر وروابط، وصلات ووشائج، فهناك رابطة القرابة، ورابطة النسب والمصاهرة، وهناك رابطة الصداقة والزمالة، وهناك رابطة الجوار، وغيرها من الوشائج والعلائق، وعلى هذه الروابط تقوم الأمم وبها تتكون الممالك والدول، ومتى ما قامت هذه الروابط على أساس من الدين، استمر بقاؤها وزاد نماؤها، وصارت تلك الأمة التي شِيد بنيانها عليها منيعةَ الجانب، عزيزة المكانة، مهيبة القدر.

عباد الله، إن من بين تلك الروابط التي دعا الإسلام إلى الاعتناء بها، والوفاء بحقها: رابطةَ الجوار. فقد اهتم الإسلام بها أيما اهتمام، وأولاها آداباً وحقوقاً تضمن لها الديمومة والبقاء، وجعل الله تعالى حق الجوار من الحقوق العشرة التي أمر بالإحسان فيها، فقال تعالى: {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً }[النساء36].

ومما يدل على اعتناء الإسلام بهذه الرابطة: أن جبريل عليه السلام- كان كثير الوصية لرسول الله بها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) ([[74]](#footnote-74)).

لقد كانت هذه الرابطة مفخرة إنسانية عربية قبل أن تكون مفخرة إسلامية؛ لأنها تنبع من التمسك بالأخلاق الكريمة التي كانت موجودة بين الناس في ذلك الوقت، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) ([[75]](#footnote-75)). ولهذا كلما تلاشت الأخلاق الحسنة والقيم الحميدة في أي مجتمع ذهب أداء حق الجوار كما ينبغي.

و المتأمل بيننا -نحن المسلمين- في عصرنا المتحضر يجد ذوبان هذه الرابطة يوماً بعد يوم، خصوصاً في المجتمعات المدنية والأحياء الراقية، حيث صار الجار لا يعرف من يسكن بجواره، ولا يدري عن أحواله، وقد يجاور جاره سنين طويلة ثم يموت، وجاره القريب منه لا يعلم! ولا شك أن الأوضاع القروية أحسن بكثير مما عليه الحواضر والمدن.

لقد كان العربي في الجاهلية يفتخر بإحسانه إلى جاره، ويعتز بثناء جاره عليه، خصوصاً إذا كان الجار ضعيفا. فيصير بهذه الرابطة قوياً بعد الضعف، وعزيزاً بعد الذلة، وغنياً بعد القلة، قال الشاعر العربي:

تعـــيِّرنا أنا قليلٌ عــديدُنــا فقــــــلتُ لها إن الكرام قليل

وما ضرّنا أنا قليل وجارنا عزيزٌ وجــار الأكثرين ذليل

لنا جبل يحــتلّه من نُجـيره منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليل

ويتمدّحون بكف الأذى عن الجار حيث يقول شاعرهم:

ولا نخذل المولى ولا نرفع العصا عليه ولا نزجي إلى الجار عقربا

وإذا أصاب الهوانُ جارَهم تألموا لذلك، وعدّوه فاقرة من الفواقر، قال الشاعر:

وإنّ هوانَ الجار للجار مــؤلمٌ وفاقرة تــــأوي إليها الفـــــواقر

أيها المسلمون، إن مما ينفع الإنسان قبل سكنى الدار أن يختار الجار، ومن أعظم السعادة أن يوفق المسلم لجار صالح؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام:( من سعادة المرء: الجار الصالح، والمركب الهنيء، والمسكن الواسع) ([[76]](#footnote-76)).

قال بعض العلماء: لقد اختارت زوجة فرعون المؤمنة آسية بنت مزاحم عليها السلام الجارَ قبل الدار، كما قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }[التحريم11 ].

قال الشاعر:

يقولون قبل الدار جار موافق وقبل الطريق النهج أُنسُ رفيقِ

وقال الآخر:

اطلب لنفسك جيراناً توافقهم لا تصلح الدار حتى يصلح الجار

فإذا ابتلي الإنسان بجار سوء يؤذيه فعليه أن لا يرد الإساءة بمثلها، بل يردها بالصبر والعفو، والإحسان وبذل المعروف. يروى أن رجلاً جاء ابنَ مسعود رضي الله عنه فقال: "إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق علي، فقال: اذهب، فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه".

أيها المسلمون، إن الجوار الذي تعارف عليه الناس هو الجوار في المنزل الذي يعيش فيه الإنسان فحسب، وهذا مفهوم قاصر؛ فإن الجوار العام يشمل من يجاورك-أيها المسلم- في دارك، ومن يجاورك في العمل أو المتجر أو المسجد أو الطريق، وكل من يليك في البلدة التي تعيش فيها وما يجاورها، والدولة المسلمة وما يجاورها. ويعتبر الجوار بين الدول مثل الجوار بين الأفراد حيث يطلب فيه الإحسان وعدم الاعتداء، وما قامت الحروب بين الدول المتجاورة إلا بسبب انتهاك حقوق الجوار.

عباد الله، إن للجار على جاره حقوقاً يجب الوفاء بها، وعدمُ التقصير فيها والتماطلِ في أدائها. ويتفاوت الجيران في استحقاق هذه الحقوق زيادة ونقصاناً؛ لاختلاف الروابط والعلاقات الزائدة على هذه الرابطة. فإن من الجيران من له حق، ومنهم من له حقان، ومنهم من له ثلاثة حقوق: فالأول: هو الجار الكافر، والثاني: هو الجار المسلم الذي ليس من الأقارب، والثالث: هو الجار المسلم القريب.

معشر المسلمين، إن أداء هذه الحقوق -الآتي ذكرها- لا يرتبط بصلاح الجار وعدم صلاحه؛ ولذلك تؤدى هذه الحقوق لجميع الجيران، فالجار يشمل: الجار المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والبلدي والغريب، والنافع والضار، والقريب والأجنبي. وللجوار مراتب فليؤدَى لكل جارٍ حقُه.

إخوتي الأفاضل، إن حقوق الجوار كثيرة متعددة، قد تختلف باختلاف الزمان والمكان والبيئة، ولكنها تعود إلى أصول جامعة تنضوي تحتها، ومن تلك الأصول:

كف الأذى عن الجار بجميع صوره وأشكاله، سواء كان أذى قولياً أم أذى فعلياً، مباشراً أم غير مباشر.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره) ([[77]](#footnote-77)).

فمن الأذى: سلاطة اللسان بالسباب والشتائم والهمز واللمز، وهذا الأذى خطره على صاحبه كبير، فعن أبي هريرة رضي اللهعنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم: إن فلانة تصلي الليل و تصوم النهار، و في لسانها شيء يؤذي جيرانها؟ قال: (لا خير فيها، هي في النار). و قيل له: إن فلانة تصلي المكتوبة، و تصوم رمضان، و تتصدق بالأثوار-اللبن المجفف- و ليس لها شيء غيره، و لا تؤذي أحداً قال: (هي في الجنة) ([[78]](#footnote-78)).

الله أكبر! إنه فرق شاسع بين المرأتين، وجزاء شديد لمن يؤذي الجيران بلسانه، وإنْ أكثر من العمل الصالح، وإنه جزاء عظيم في الخير لمن أحسن المعاملة ولم يؤذِ الخلق، وإن قل عمله.

ومن الأذى: التعدي على أرض الجار وحدود بيته والسطو على ممتلكاته، وهذه صورة مشاهدة عند بعض الجيران أورثت أحقاداً ومشكلات وصلت إلى آثار خطيرة.

ولو تأمل الجار المتعدي- وكان عنده إيمان- في عقوبة ذلك لانكف عن هذا الأذى، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طَوَّقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين ) ([[79]](#footnote-79)).

ومن الأذى: وضع القاذورات في طريقه ومضايقته فيها، وتسليط الزوجة أو الأولاد لإيذائه أو إيذاء أهل بيته، وإزعاجه بالأصوات المؤذية من أجهزة المسجل وغيرها.

ومن الأذى: هجره وقطعه، وحسده في نفسه أو زوجته وأولاده، أو في وسائل راحته، وسعة دنياه.

ومن الأذى: احتقاره والسخرية منه: بمأكله أو مشربه، أو ملبسه أو مسكنه، أو خَلقه أو خُلقه

قال حسان رضي الله عنه:

فما أحدٌ منا بمهدٍ لجار... أذاةً ولا مُزرٍ به وهو عائد

لأنا نرى حقَ الجوار أمانة... ويحفظه منا الكريم المعاهد

ومن الأذى: كشف أسراره، والبحث عن عيوبه، والفرح بزلاته ومصائبه؛ فالجار أقرب الناس إلى جاره و أعرفهم بأخباره، فمن اللؤم والحرمة كشف خبره وهتك سره،

قال الحطيئة:

لعمرك ما المجاور من كليب بمقصى في الجوار ولا مضاع

همُ صُنعٌ لجـارهمُ وليســــت يد الخرقـــاء مثلَ يد الصَّــــناع

ويحـــرم سرُّ جارهــم عليهم ويأكـــل جارهم أنف القصــــاع

أي: أول الطعام.

والجار الصالح لا يتتبع عثرات جاره، بل يسترها، ولا يفرح لهفواته بل يحزن إن وصل علمه إليها، قال الشاعر:

لا يفطنون لعيب جارهمُ وهمُ لحفظ جواره فطُن

معشر المسلمين، إن إيذاء الجيران ذنب كبير يذهب من الإيمان جزء كبيراً، وإذا ذهب كمال الإيمان تعرّض صاحبه للعقوبات، وتخلى الله عن عونه ومعيته له.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن ). قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: ( الذي لا يأمن جاره بوائقه )([[80]](#footnote-80)). فانظروا رحمكم الله! إلى هذا التكرار في نفي الإيمان عن الجار المؤذي.

بل أعظم من ذلك أن الجار المؤذي متوَّعَد بعدم دخول الجنة، إذا استمر على إيذائه، أواستحل ذلك، ومات على هذه الحالة السيئة.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) ([[81]](#footnote-81)).

والبوائق: الشرور. فاتقِ أيها الجار في جيرانك، واحذر الأذية؛ فإنها إلى النار مطية.

أيها المسلمون، ومن حقوق الجار على جاره:

حمايته من كل سوء يعرض له، والدفاع عنه، وحفظه في أهله وماله حال غيبته، والتضحية من أجله، في حدود المقدور عليه، ما عدا غير المستطاع.

وهذا الحق-إن كان من حق المسلم على المسلم- فالجار من أحق الناس به، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته) ([[82]](#footnote-82)).

فمعنى (لا يسلمه) أي: لا يخذله، ولا يتركه لعدوه، بل ينصره وينجده.

وهذا الصنيع الشجاع يدل على شرف الجار المُعِين، وعلو همته ونجدته، وكرم شيمه وسمو أخلاقه. وقد كان هذا الخلق النبيل فخراً وشرفاً يفتخر به العربي في الجاهلية والإسلام، كما

قال الشاعر:

وإني لأحمي الجارَ من كل ذلةٍ وأفرح بالضيف المقيم وأبهَج

وقالت الأخرى تمدح أخاها بحمايته جاره:

وجارك محفوظ منيعٌ بنجوة من الضيم لا يؤذى ولا يتذلل

وقالت:

يحامي عن الحيِّ يوم الحفا ظِ والجار والضيف والنُزَّل

وقال الشاعر:

أنتِ أختي وأنت حرمةُ جاري... وحقيق عليَّ حفظُ الجوار

إن للجار إن تغيّب غيبياً... حافظاً للمَغيب والأسرار

ما أبالي أكان للجار سترٌ... مسبَل أم بقي بغير ستار

وهذا الحق الكبير-عند ذوي النفوس العلية، والخصال الزكية- لا يسقط بالجفاء والأذية، والفعال غير الرضيِّة، بل يبقى ليؤدى، ولعله سيكون سبباً لهداية ذلك الجار البعيد عن إحسان الجوار، وتغيير أسلوبه المعوج؛ فقد كان لأبي حنيفة رحمه الله جار بالكوفة يؤذيه بصوته ليلاً حينما يعود من عمله، ويرفع صوته منشداً وهو في حالة سُكر:

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِداد ثغر

فيسمع أبو حنيفة صوته, فاتفق ذات ليلة أن أخذه الحرس وحبسوه، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، فسأل عنه في الغد فأخبروه بحبسه، فركب إلى أمير البلد، وطلب منه إطلاق الجار فأطلقه في الحال.

فلما خرج الفتى دعاه أبو حنيفة وقال له:- سراً- فهل أضعناك يا فتى؟

قال: لا، ولكن أحسنت أحسن الله جزاءك، ولن أعود إلى ما كنت أفعل.

وإن من العجيب في حماية الجار ما فعله أحد العرب الذي نزل الجراد حول خبائه فمنع أحداً أن يصيده حتى طار وبعُد عنه.

عباد الله، ومن حقوق الجار على جاره:

الإحسان إليه بكل ما يستطاع من وجوه الإحسان القولية والفعلية. فلا يكفي الجارَ أن يسلم من الأذى، وإنما يضاف إليه الإحسان وإيصال المعروف.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره) ([[83]](#footnote-83)).

قال حاتم الطائي لزوجته:

إذا كان لي شيئان يا أم مالك... فإن لجاري منهما ما تخيّرا

وفي واحد إن لم يكن غير واحد... أراه له أهلاً إذا كان مُقتِرا

ومن وجوه الإحسان إلى الجار: تهنئته عند فرحه، وتعزيته عند مصيبته، وعيادته عند مرضه، وبداءته بالسلام والبشاشة في وجهه، والإحسان إلى أهله وأولاده، وتفقد أحواله، وإرشاده إلى ما ينفعه في أمر دنياه و دينه, والإهداء إليه، وإعارته، أو إعطاؤه ما يحتاج إليه ونحو ذلك.

ومن أهم ما يحسن إليه: سد خلّته، وتفقد مطعمه ومشربه؛ لأن قوام الحياة بذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك)([[84]](#footnote-84)).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه ذبحت له شاة في أهله فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) ([[85]](#footnote-85)).

وينبغي النظر في مراتب الجيران وتقديم الأقرب فالأقرب، والأولى فالأولى في الإهداء وبذل المعروف.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: ( إلى أقربهما منك بابا) ([[86]](#footnote-86)).

إخوتي الكرام، لا يحتقر أحدنا هديته لجاره مهما قلّتْ، فهي -وإن لم تكن تُسرُّ العيون، أو تشبع البطون، أو تناسب الأقدار- لكنها تقرِّب القلوب، وتذيب العداوات، وتعمّق الود، وتعمل على مد حبال التعاون والتواصل.

قال الشاعر:

إن الهدية حلوةٌ كالسحْر تجتذب القلوبا

تُدني البعيدَ عن الهوى حتى تصيّره قريبا

وتعيد مضطغن العدا وةِ بعد بغضته حبيبا

تنفي السخيمة عن ذوي الشـ شحنا وتمتحق الذنوبا

لقد ورد الوعيد-معشر المسلمين- في حق من يقصر في هذا الحق، قال النبي صلى الله عليه و سلم: (ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع) ([[87]](#footnote-87)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم به)([[88]](#footnote-88)).

وعن ابن عمر قال: لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول: يا رب، هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه) ([[89]](#footnote-89)). وهذا النص الشريف-يا عباد الله- يحتم علينا مراجعة أنفسنا ها هنا في الدنيا قبل الآخرة في تقصيرنا في بذل المعروف الحسي والمعنوي للجار.

يقول حاتم الطائي لزوجته:

إذا ما عملت الزاد فالتمـسي له أكيلاً فإني لســـت آكـــله وحـــــدي

أخاً طارقاً أو جار بيت فإنني أخاف مذمّات الأحاديث من بعــــدي

وكيف يَسيغ المرء زاداً وجاره خفيف المِعى بادي الخصاصة والَجهد

أيها المسلمون، ومن حقوق الجار على جاره: احتمال أذاه، والصفح عن هفواته، والعفو عن عثراته، واحتمال سوء تصرفاته.

وهذا أدب عظيم يكشف عن حسن المعدن، وكرم المنبت، وشرف الخلق، ونبل الصفات.

وهذا الحق كثيراً ما قصّر فيه الجيران، وضاقت بعض النفوس عن استيعابه، وعدّته العادات شيئاً غريباً. فكم من مشكلات حدثت، وروابط انفصمت، ومحبة تحولت إلى بغضاء، ووصل تبدل إلى جفاء، وإحسان تحول إلى إساءة، وسبب ذلك: ضعف مراعاة هذا الأدب.

فهذا الحق يحتاج إلى انتصار على النفوس، ونجاح في هضم الحمية المقيتة، وكبح لجماح الغضب والطيش، وهذا صعب على كثير من النفوس، خصوصاً من لها مكانة بين الجيران، أو جاءها الأذى ممن هو أدنى منزلة منها؛ ولهذا فإن هذا الحق أصعب الحقوق على النفوس؛ فبذل المعروف قد يكون شيمة يطبع عليها الإنسان، بخلاف الصبر على أذى الآخرين.

فالجار الصالح حقيقة إنما يبتلى بهذا الحق ويُعرف به.

قال بعض الصالحين: "ليس حسن الجوار كف الأذى، حسن الجوار الصبر على الأذى".

وقال أحد الناس يمدح بعض جيرانه الصالحين:

يا سائلي عن حسينٍ وقد مضـــى أشكالهْ

أقلّ ما في حســــين كفُّ الأذى واحتماله

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم

أقول قولي هذا واستغفر الله؛ إنه غفور رحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن من شقاء المرء أن يجاور جارَ سوء، والإنسان الصالح لا يضيق بشيء ذرعاً ضيقه بجار السوء الذي يسمع منه الخنا، ويلقى منه العناء، إن كلمه بالحسنى عاداه، وإن سكت على شره آذاه، عِيل صبُره، وضاق صدره، فاضطر إلى بيع داره، أو تحوّلَ عنه إلى سواه، خاصة في هذا الزمن الذي قلّت فيه المساكن وضاقت البيوت بمن فيها، فحين يرحل جار آذاه جاره، ويسأل عن سبب رحيله يقول:

يلومنني أن بعتُ بالرخص منزلي وما علموا جاراً هناك ينغّــــص

فقـــلت لهم كــــفوا الملامـــة إنها بجيرانها تغلو البيوت وترخص

أو يقول:

إذا ما الحرُّ هانَ بأرض قوم فليس عليه في هرب جُناح

وهُنَّا بأرضـــكمُ وصِـــــرنا كقيء الأرض تذروه الرياح

وإن أراد أن يصرّح يقول:

تنكّرَ من كُنّا نُسَر بقُربــــه وعاد زعافاً بعد ما كان سَلسلا

وحُق لجار لم يوافقه جاره ولا لاءمته الدار أن يتحولا

ولضرر الجار السيء كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة؛ فإن جار البادية يتحول)([[90]](#footnote-90)).

ومعناه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الجار السيء الملازم في الوطن المستقَر فيه، بخلاف الجار المؤذي الذي يبقى زمناً ثم يذهب كصاحب البادية ونحوه.

عباد الله، إن الجار الصالح حين يسمع برحيل جاره الصالح يحزنه ذلك أشد الحزن، ويعد رحيله من جواره مصيبة من المصائب، كأنما رحل واحد من أهل بيته.

لما عزم بعض السلف على الرحلة إلى الشرق، وكان من بلاد المغرب، قال له أحدهم:

أشمسَ الغرب حقاً ما سمعنا بأنك قد سئمت من الإقامه

وأنك قد عزمت على طلوع إلى شرقٍ سموت به علامه

لقد زلـــزلتَ منّا كل قــــلب بحــــق الله لا تُقم القـــيامه

بهذه المشاعر الفياضة والحب الصادق يشبِّه رحيلَ جاره المغربي إلى المشرق بحصول علامة من علامات قيام الساعة وهي: طلوع الشمس من مغربها، كما أخبر سول الله صلى الله عليه وسلم، فأين نحن اليوم من هذه المشاعر؟!

وأراد جار لأبي حمزة السكري رحمه الله أن يبيع داره، فقيل له: بكم؟ قال بألفين ثمن الدار، وبألفين جوار أبي حمزة.

وباع أحد السلف داره بمائة ألف درهم؟ ثم قال: بكم تشترون جوار جاري فلان؟ فقالوا: وهل يشترى جوار قط؟!

قال ردوا علي داري، وخذوا مالكم، لا أدع جوار رجل إن قعدت سأل عني، وإن رآني رحّب بي، وإن غبت حفظني، وإن شهدت قرّبني، وإن سألته قضى حاجتي، وإن لم أسأله بدأني، وإن نابتني نائبة فرّج عني. فبلغ ذلك جاره الذي مدحه بهذا الكلام فبعث إليه بمائة ألف درهم.

معاشر المسلمين، وبعد هذا: علينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن نعاتب جيراننا، وأن نؤدي الحقوق التي علينا قبل أن نطلب حقوقنا.

فلنبدأ بأنفسنا، ولنحذر كل الحذر الإساءة إلى الجيران؛ فإن العاقبة وخيمة، والعقوبة أليمة، واللعنة تنتظر المؤذي، والذنب مضاعف، فلينتبه.

فعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره، قال: ( اطرح متاعك على طريق)، فطرحه فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، لقيت من الناس ما لقيت، قال: ( وما لقيت منهم؟) قال: يلعنونني، قال: (قد لعنك الله قبل الناس) فقال: إني لا أعود، فجاء الذي شكاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ارفع متاعك؛ فقد كفيت ) ([[91]](#footnote-91)).

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عن الزنا؟ قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فقال: ( لأن يزني الرجل بِعَشْرِ نسوة أيسرُ عليه من أن يزني بامرأة جاره )، وسألهم عن السرقة؟ قالوا: حرام حرمها الله عز وجل ورسوله فقال: ( لأن يسرق من عَشرَةِ أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره )([[92]](#footnote-92)).

فاتقوا الله -يا عباد الله- وأصلحوا ما بينكم اليوم قبل الوقوف بين يدي الله تعالى: {وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }البقرة281.

ثم صلوا وسلموا على خير البرية...

# فضل يوم الجمعة ([[93]](#footnote-93))

الحمد لله البَّر الكريم، يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لعباده الخيرة، سبحانه وتعالى هو العليم الحكيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الراشدين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى خلق خلقه بعلمه وقدرته، وملك أمرهم بتدبيره وحكمته، فهو الخالق وهم المخلوقون، وهو الرب وهم المربوبون، يتصرف فيهم بما يشاء وكيفما يريد

بعلم وحكمة، وقدرة ورحمة، وعدل وعزة. ومن مظاهر ذلك: اصطفاؤه لأزمنة على أزمنة، وأمكنة على أمكنة، وذواتٍ على أخرى؛ لمزيد عناية واختصاص، وتكريم وتفضيل.

ومن ذلك: اختيار الله لهذه الأمة واصطفاؤها على سائر الأمم بمزايا وخصائص، ومن أعظم هذه الخصائص لهذه الأمة: يوم الجمعة؛ ليكون لها بفضائله وأجوره دون غيرها من الأمم.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ( ما هذه )؟ قال: هذه الجمعة، فُضلتَ بها أنت و أمتك، و الناس لكم فيها تبع: اليهود و النصارى. لكم فيها خير، و فيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو بخير إلا اُستجيب له" ([[94]](#footnote-94)).

يا أهل الجمعة، إن هذا اليوم المقدس له مكانة عظيمة، ومزية جليلة على سائر أيام الأسبوع، فهو سيد الأيام وخيرها، ولم تطلع الشمس على يوم أفضل منه.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله) ([[95]](#footnote-95)).

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة) ([[96]](#footnote-96)).

عباد الله، ولما كان هذا اليوم خير الأيام عند الله تعالى فقد جعله مبدأ الخلق ونهايته، ففيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة؛ ولهذا تظل الحيوانات والعجماوات مستمعة منتظرة لقيامها؛ خشية البغتة والفجأة، وهي غير مكلفة، إلا الإنس والجن وهم المكلفون، لكنهم عنها غافلون!

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه مات، وفيه تِيب عليه، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يومس الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس) ([[97]](#footnote-97)).

ويوم الجمعة يوم التوبة الأولى، وبداية التكليف على الأرض، كما في الحديث السابق، فتذكر -أيها المسلم- في هذا اليوم أباك الأول آدم عليه السلام وما جرى له في السماء والأرض؛ لتعلم تكريم الله تعالى لهذا الإنسان وتفضله عليه بالتوبة، ولتعرف أثر المعصية- ولو كانت صغيرة-في تفويت المنح وجلب المحن.

عباد الله، إن يوم الجمعة ما كانت له هذه المكانة إلا لفضله وخيره، وكثرة عوائد الله فيه على عباده من الأجر والقرب.

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب أعرضوا عنه بعد أن أُمروا به، فاختلفوا فيه، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق. وفي رواية: المقضي بينهم) ([[98]](#footnote-98)).

ولهذا حسدنا أهل الكتاب على هذا الاختيار والهداية، كما قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين) ([[99]](#footnote-99)).

أمة الإسلام، إن هذا اليوم المبارك يوم لتكفير السيئات التي أثقلت الظهور، فأين الحريص على تكفير ذنوبه هذا اليوم من أسباب المغفرة في قول النبي صلى الله عليه و سلم: ( لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ) ([[100]](#footnote-100)).

وهذا اليوم موسم خصب لكثرة الأجور والحسنات، واغتنام الخيرات والقربات، فأين تجار الآخرة الحريصون على كثرة الأرباح، وحيازة بضاعةِ الفوز و الفلاح؟

يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: (من غسّل واغتسل يوم الجمعة، وبكّر وابتكر، ومشى ولم يركب، فدنا من الإمام فاستمع، ولم يلغُ كان له بكل خطوة عملُ سنة: أجر صيامها وقيامها) ([[101]](#footnote-101)).

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجِّر كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذكر )، وفي رواية: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة،ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر ) ([[102]](#footnote-102)).

ويوم الجمعة فيه صلاة الجمعة وخطبتها، وهي اجتماع أسبوعي متجدد واجب بشروطه، يتقاطر الناس إلى المساجد ليستمعوا موعظة تذكرهم بالله ودينه، وتعظهم فيما ينفعهم في أمر دنياهم، فهذا اليوم وخطبته يحملان للمسلمين خيراً كثيرا.

معشر المسلمين، إلى كل صاحب هم وضيق، وإلى كل طالب خير عاجل أو آجل لقد أهداك الله يوم الجمعة ليكون زمناً لإجابة الدعاء، فلا تحرم نفسك فضله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيراً إلا أعطاه ). وقال بيده ووضع أنملته على بطن الوسطى والخنصر كأنه يزهدها) ([[103]](#footnote-103)).

ومعنى يصلي: يدعو، ويزهدها أي: يقللها، فوقتها ضيق.

وأرجح الأقوال في تحديد هذه الساعة أنها بعد العصر إلى المغرب. والله أعلم.

يا أهل الجمعة، أبشروا إذا داومتم عليها وأحسنتم علاقتكم مع ربكم بمشهد مضيء يوم القيامة، قال رسو الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تُهدى إلى كريمها، تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضاً، وريحهم تسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان ما يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون) ([[104]](#footnote-104)).

أيها المسلمون، هذا اليوم المبارك مخصوص على سائر أيام الأسبوع بآداب تقرّب صاحبها إلى ربه وترفع أجره ومنزلته عند الله تعالى، فمن تلك الآداب: كثرة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف لا نكثر عليه صلى الله عليه وسلم من الصلاة والسلام وهو الذي كان سبب نيلنا فضل هذا اليوم يوم الجمعة، صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ( أكثروا علي من الصلاة في كل يوم الجمعة؛ فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة) ([[105]](#footnote-105)).

فصلى الله على رسولنا محمد عدد ما خلقَ الخالق ورزق الرازق، وتكلمت الخلائق، وتدفق في الأرض عطاء الله الدافق.

ويستحب في صلاة الفجر من هذا اليوم أن يقرأ الإمام بسورتي السجدة والإنسان؛ لأن هاتين السورتين تذكّران بيوم القيامة بما فيهما من الحديث عنه، والساعة لا تقوم إلا يوم الجمعة.

ويستحب في هذا اليوم أيضاً للمسلم أن يقرأ سورة الكهف، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين) ([[106]](#footnote-106)).

ويستحب في هذا اليوم أيضاً التبكير لصلاة الجمعة منذ شروق الشمس؛ ليقضي المسلم وقته في عبادة الله تعالى، وليحوز على الجوائز الثمينة التي أُعدت لأصحاب التبكير لصلاة الجمعة.

إن المشاهد –يا عباد الله- في أيامنا هذه يرى قلة الحرص على هذا الخير العظيم، فالخطيب قد يصعد المنبر ولا يرى أمامه إلا القليل ثم يبدأ الناس بعد ذلك بالحضور، فأين هم من فضل الساعات الأُول التي يجني أهلها خيراً وافراً، وأين هم من تدوين الملائكة الذين يسجلون الأول فالأول من الداخلين حتى يصعد الخطيب المنبر فيطوي الملائكة-عند ذلك- صحفهم ويستمعون الخطبة؟! فيا خسارة الغائبين، ويا ندامة المفرّطين!.

قال بعض أهل العلم: كانت الطرقات في عهد السلف-كما روى بعضهم- عامرةً وقت السَّحر وبعد الفجر بالمبكرين إلى الجمعة الذين يمشون بالسُرج، ويقال: إن أول بدعة في الإسلام: تركُ البكور إلى الجمعة.

فأين نحن من التبكير يا أهل الجمعة، نسأل الله أن يعيننا على مرضاته.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد الله المتفضل الكريم، الرؤوف الرحيم، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، وسراج الأمة، التي أخرجها الله به من دياجير الظلمة إلى نور الطريق المستقيم، أما بعد:

أيها المسلمون، من شرف هذه اليوم المقدس: هذه اللحظات المباركات التي نلتقي فيها؛ لنجدد إيماننا، ونقوّي الصلةَ الحسنة بيننا، ونستضيء ببصيص نور منها في أسبوعنا، ونغنم الأجر الكبير بحضورنا إلى هنا.

ولهذا كان علينا أن نتعلم بعض الأحكام والآداب التي توصلنا إلى هذه المقاصد النافعة.

فمن ذلك: أن الجمعة فرض عين على كل رجل بالغ عاقل صحيح مقيم، ولا يجوز التأخر عنها بعد صعود الخطيب المنبر؛ انشغالاً ببيع أو شراء أو نحو ذلك، وكل بيع أو عقدٍ بعد النداء الثاني فهو باطل وماله حرام.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }[الجمعة9].

ويحرم تركها والتخلف عنها بغير عذر شرعي، فمن فعل ذلك فقد ارتكب ذنباً عظيماً، وغدا أثيماً، وجنى على نفسه بختم قلبه، وعصيان ربه.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يوماً على أعواد منبره: ( لينتهينَّ أقوام عن ودْعِهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين) ([[107]](#footnote-107)).

هذه عقوبة معنوية، وهناك عقوبة حسية همَّ بها رسول الله صلى الله عليه و سلم ولم يفعلها من أجل النساء والأطفال الذين في البيوت قال: (لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أنظر فأحرق على قوم بيوتهم لا يشهدون الجمعة) ([[108]](#footnote-108)).

أيها الأخوة الأفاضل، إن الإسلام دين النظافة والذوق الرفيع، فلا يحب من أهله أن يؤذي بعضهم بعضاً بمنظر تكرهه العيون، أو رائحة تنفر منها الأنوف، خصوصاً في الاجتماع على العبادة؛ فلذلك جاء الحث على تنظيف الجسم، والتطيّب والتسوك والادهان يوم الجمعة،

خطب النبي صلى الله عليه و سلم يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار فقال: ( ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته ) ([[109]](#footnote-109)).

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم ( إن هذا يوم عيد، جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل، وإن كان طِيبٌ فليمس منه، وعليكم بالسواك ) ([[110]](#footnote-110)).

فإذا وصل المسلم المسجد فليجلس في المكان الذي انتهى به، ولا يتخطَ رقاب الناس فيؤذيهم، وعلى الجالسين التقارب والتفسح؛ حتى لا يدعوا مجالاً لتخطي الرقاب للأماكن الشاغرة، فعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي -صلى الله عليه وسلم- يخطب فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم: ( اجلس فقد آذيت وآنيت) ([[111]](#footnote-111)).

فقوله: (آذيت ) أي: الناس بتخطيك، و( آنيت ) أي: أخرت المجيء وأبطأت.

فإذا جلس المسلم في المسجد- بعد أن يصلي ركعتين- فلينصت للخطبة ولا يلهُ بشيء آخر متكلماً أو عابثاً، فإن فعل فقد ذهبت جمعته، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت والإمام يخطب فقد لغوت ) ([[112]](#footnote-112)).

ومما يتعلق بالإنصات: البعد عن النوم أثناء الخطبة، فإذا هجم النوم على العينين فليتحول السامع عن مكانه إلى مكان آخر، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إذا نعس أحدكم في مجلسه يوم الجمعة فليتحول منه إلى غيره ) ([[113]](#footnote-113)).

ومما يساعد على الإنصات: الدنو من الخطيب، والقرب منه؛ لأنه أوعى للكلام، وأبعد عن المنام.

أيها المسلمون، قد يحصل سبب من أسباب الجمع بين الظهر والعصر كالسفر أو المطر في وقت الظهر فيجوز عند ذلك الجمع بين هاتين الصلاتين تقديماً؛ لاتفاق هاتين الصلاتين في كثير من الأشياء، أما الجمع بين صلاة الجمعة وصلاة العصر فهو فعل غير صحيح-على القول الراجح-؛ لاختلاف الجمعة عن الظهر بأشياء كثيرة، فكيف يصح أ ن تأخذ حكمها في الجمع. والله أعلم.

إن من الأشياء التي قد يجهلها بعض الناس يوم الجمعة: أن الجمعة تُدرك بإدراك ركعة من ركعتيها، أما إذا أدرك المتأخر الإمام قد قام من ركوع الركعة الثانية، فإنه يصليها ظهراً أي: أربع ركعات لا ركعتين، قال النبي صلى الله عليه و سلم: (من أدرك ركعة من الجمعة أو غيرها فقد تمت صلاته) ([[114]](#footnote-114)).

فيأهل الجمعة هذا يومكم الذي فُضِّلتم به فاعرفوا فضائله وتمسكوا بآدابه، وأطيعوا الله فيه واجعلوه يوماً لمزيد الطاعة والقربة، ولا تجعلوه يوماً للهو وتضييع الصلوات، والغفلة عن العبادات والقربات، فأظهروا لله من أنفسكم أنكم أحق به وأهلُه باتباعكم سننه، ومعرفتكم فضلَه، وبصلاحكم وحرصكم على قبول ضيافة الله فيه، والكريم من يشكر فضل ربه، ويعرف حق النعمة عليه، فمن شكر فلنفسه جلب الخير، ومن جحد أو غفل فعلى نفسه جنى، ولا يضر الله شيئا.

ثم صلوا وسلموا على سيد الأنام...

# إدراك السعادة في ظلال العبادة ([[115]](#footnote-115))

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أحمده على نعم تترى، وآلاء لا أدرك لها حصرا, وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة صدق تنجي صاحبها يوم الحق, وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله رحمة للعالمين، ومناراً للسالكين، وحجة على خلقه أجمعين، صلوات ربي وسلامه عليه, ما تعاقب الملوان، واستمر الجديدان، وعلى آله وأصحابه وأزواجه، ومن انتهج هديه، واقتفى سعيه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، في أول أمركم ومنتهاه؛ فبتقوى الله صلاح دنيا المرء وأخراه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

أيها الناس، هناك ناس كثيرون ما زالوا يبحثون وسيبقون باحثين عنها حتى يصلوا إليها إن قُدِّر لهم ذلك؛ لأنها مطلب حياتي لا تحلو الحياة إلا بها، نعم، ظلوا واستمروا يبحثون عن السعادة وعن الراحة؛ علهم يلقون في ظلالها الاطمئنان والأمان.

يقول كثير من الناس: إنهم غير سعداء، يعيشون حياة مغمورة بالكدر والضنك والحزن والهم، والقلق والوحشة، لا ابتهاج ولا سرور، ولا ارتياح ولا نعيم، ظلام دامس، في نهار شامس، وضيق خانق، في وسع مترامٍ باسق، يطول الزمان دون الوصول إلى الأماني وشواطئ الراحة، حتى تمنوا الموت، وما وصلوا إلى هذه الحال إلا من آثار هذا الشعور.

بحثوا عن السعادة في المال فلم يجدوها فيه، بل كان سبب شقائهم وتعاستهم لما وجدوه، ماذا حصّل قارون من ماله الوافر غير الهلاك! قال تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ }[القصص76] ثم كانت النهاية:{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ }[القصص81].

بحثوا عنها في الجاه والتسلط على رقاب الآخرين، فوجدوا الشقاء، وما وجدوا الحياة الطيبة.

هل سعد فرعون وقد قال: {.. يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ }[الزخرف51]؟!، ألم يكن هذا الماء الذي افتخر به قبراً له ولجبروته!, قال تعالى: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى، فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ}[طه 77- 78].

بحثوا عنها بكثرة الأولاد والذرية، فماذا وجدوا؟ ماذا استفاد أبو لهب منهم، وقد تباهى بهم!، لم يجد أحداً منهم يتولى دفنه وإراحة الناس من جيفته عندما مات، قال تعالى: {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ }[المسد2].

بحثوا عنها في الشهرة بالفن أو الجمال أو القوة، أوغير ذلك فما وجدوها.

فأين تكمن السعادة وأين نراها يا عباد الله؟

ماهي السعادة؟ وماذا تعني الحياة الطيبة؟

إن السعادة هي: راحة القلب، وطمأنينة النفس، وانشراح الصدر، وهدوء البال.

فأين نجد هذه النِّعم؟

أنجدها في سوق أم في ملعب أم في بيت أم في أغنية أم في وظيفة أم في زواج أم في سفر؟

أيها المسلمون، إن الله تعالى خلق الإنسان من جسد وروح، فأما الجسد فمخلوق من شيء محسوس وهو التراب؛ لذلك فسعادته تحصل عن طريق الأمور المحسوسة فيسعد سمعه بالمسموعات، وبصره بالمرئيات، وبطنه بالمأكولات والمشروبات، وهكذا.

وأما الروح فنفخةٌ من الملَك؛ ولذلك فإن سعادتها تكون عن طريق الملَك، ومن طريقه جاء الوحي عن الله تعالى، فسعادتها بامتثال الدين الحق الذي شرعه الله تعالى قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ }[الأنعام125].

فمن هذه الآية تظهر أولى منارات طريق السعادة وأول علَم من أعلام سبيلها، ألا وهو الإسلام الذي به صلاح الروح وسعادتها. فإذا سعدت الروح سعد الجسد وإن قل نصيبه من الأشياء الحسية من طعام أو شراب أو كساء أو نكاح, وإن شقيت الروح شقي الجسد ولو زاد نصيبه من تلك الشهوات؛ لأن الجسد تابع للروح لا العكس.

ولذلك نجد من الكفار من عندهم ترف ورفاهية في هذه الحياة لكنهم لا يجدون السعادة، بل ربما يحملهم ضيق الروح وتعاستها على الانتحار.

أجريت مسابقة في بريطانيا مضمونها إجابة لسؤال يقول: ما المال؟ ما مفهومه وتعريفه؟

فكان الجواب الفائز: أن المال جواز سفر يذهب به الإنسان إلى كل بلد، ويحصل منه ما يريد، غير أنه لا يستطيع أن يجلب به السعادة!.

يا خادم الجســم كم تسعى لخدمتــه أتعبت جسمك فيما فيه خسران

أقبل على الروح واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

أيها المسلمون، كلما ارتقى المسلم في سلم الإيمان زادت راحته وأقبلت سعادته، وكلما أسرف على نفسه بالمعاصي والذنوب جلب لنفسه الشقاء.

والعجب ممن يحيون هذه الحياة الضنكة ثم تراهم على معصية الله كشرب الخمر والمخدرات وسماع الغناء فينصح في ترك ذلك المحرم، فيقول: أريد أن أسلي على نفسي! وما يدري هذا المسكين أن ما يفعله سبب لزيادة عنائه وشقائه.

والمستجير بعمرو عند كربته.... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فالمؤمن الطائع المنيب يحيا حياة طيبة ملؤها السرور والبهجة يقول الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[النحل97].

ما أحسن عيش المؤمن وما أطيبه! يحيا في جنة وارفة الظلال، يشتم عبيرها ويشرب العذب من نميرها، ويقول: لو كان أهل الجنة على هذا العيش لكفاهم.

يطعم الراحة على اختلاف جهاتها، ويشعر بلذاتها وهنائها. راحة قلب وطمأنينة تفس، وانشراح صدر وهدوء بال.

إنْ تقربَ إلى الله بعبادة أحس بلذتها، وتمنى لو بقي عليها ما بقي الدهر. قال أبو سليمان الداراني: أهل الليل في ليلهم الذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل لما أحببت البقاء في الدنيا.

ينسون- وهم غارقون في لذة العبادة- آلام الجسد, وتعب الجسم، فهذا عباد بن بشر رضي الله عنه يقف في ثغور المسلمين حارساً، فحينما أحس بالهدوء رصّ قدميه بين يدي الله قائماً متهجداً فيرميه أحد الأعداء بسهم فيتصبب دمه وهو في لذة القيام يقول: لولا أن العدو يطلع من المسلمين على عورة لتابعت الصلاة!.

إن المؤمن-ولو كان فقيراً معدماً وعنده نعمة الإيمان- يجد لذة لطعامه ولو كان قليلاً؛ لأن الطعام عنده وسيلة للتقوِّي على العبادة وليس هدفاً يعيش له.

فقد كان بعض الصالحين يعيش على كِسَر من الخبز يتقوت بها لكن لذة الإيمان حملته على أن يقول: إنا لفي عيش رغيد لو يعلم الملوك وأبناء الملوك مانحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف!.

فالمؤمن إن ضاق عيشه وقُدِّر عليه رزقه يحمله إيمانه على القناعة والرضا بما قسم الله له؛ ولذلك يجد السعادة بذلك، وإلا فلا سعادة بالعُدم.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه) ([[116]](#footnote-116)).

وإن المؤمن إن أصابته مصيبة أو نزلت به ملمة تلقاها بالرضا والصبر، لا بالجزع والضجر؛ فيجد السعادة بذلك.

عن صهيب بن سنان: قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)([[117]](#footnote-117)).

قال عمر بن عبد العزيز: ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر. وقيل له ما تشتهي؟ فقال: ما يقضي الله عز وجل.

وقال عبد الواحد بن زيد: الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين.

وإن أصابت المؤمنَ نعمةٌ شكرها ولم يبطر بها،فيتنعم في ظلالها ويبارك الله له فيها، بخلاف غيره ممن إذا نزلت عليه نعمة بَطِرَبها، وانحرفت بأخلاقه وسلوكه، وإن أصيب بمكروه نزل عليه القلق والأحزان والأمراض النفسية والفكرية

عباد الله، إن ذكر الله تعالى قولاً وفعلاً- من صلاة، أو قراءة قرآن، أو ذكر لساني مطلق أو مقيد- يجلب السعادة فينشرح الصدر ويطمئن القلب قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }[الرعد28].

لا شيء أحلى وألذ من ذكر الله عند المؤمنين؛ إذ هو محبوبهم وموئل راحتهم، وعلى قدر المعرفة والعلم بالله يكون ذكر العبد لربه، وتنعمه به.

وأما المعرضون عن ذكر الله فهم في شقاء وضنك وقلق وحيرة قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى }[طه124]، وقال: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ }[الزخرف36].

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت )([[118]](#footnote-118)).

قال رجل للحسن البصري: أشكوا إليك قسوة قلبي! قال: أذبه بذكر الله.

أيها الناس، إن أمامنا باباً مفتوحاً للسعادة والحياة الطيبة فما بالنا معرضون عنه لا نطرقه؟!

إنه باب الدعاء، فهو سلاح فاتك أمام الشقاء والعناء، لا يخيب حامله، ولا يقهر رافعه، يستدفع به البلاء قبل نزوله، ويرفع به بعد حلوله، لا مكان للهم والغم والحزن مع الدعاء. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم, لا إله إلا الله رب العرش العظيم, لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم)([[119]](#footnote-119)).

بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه هذا الدواء فتقول أسماء بنت عميس رضي الله عنها: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب أو في الكرب: الله الله ربي لا أشرك به شيئا) ([[120]](#footnote-120)).

وهذه كلمات إيمان وتوحيد، وإخلاص وبعدٍ عن الشرك كله، قال ابن القيم: التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه، فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها قال تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }[العنكبوت65]، وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها؛ ولذلك فزع إليه يونس فأنجاه الله من تلك الظلمات قال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }[الأنبياء87]، وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين؛ فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له) ([[121]](#footnote-121)).

وروى الإمام أحمد وابن حبان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه، وأبدله مكان حزنه فرحاً ) قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات، قال: ( أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن **)**

ألا يا عباد الله الدعاءَ الدعاءَ، وإياكم واغلاقَ هذا الباب، فإذا دخلتموه فلا تستحسروا، ادعوا الله بهذه الدعوات، وادعوا الله بكشف أعيان ما يهمكم ويغمكم، فالموفق من وفق للدعاء، والمخذول من حُرِم طرقَ هذا الباب.

أيها المسلمون، طوبى لعباد الله المخلصين القانتين، فما أحسن عيشهم! وأروح حياتهم! يجدون في العبادة جنة الدنيا وحلاوتها، ويتلذذون بالمناجاة والطاعة أعظم من تلذذ العاصين بالشهوات، كان رسو الله صلى الله عليه وسلم (إذا حز به أمرٌ لجأ إلى الصلاة)، وكان يقول لبلال: (أرحنا بها يا بلال), وما أجمل وألذ زمانهم وهم بين أحضان السحر ناصبون لأقدامهم قياماً راكعين ساجدين داعيين تاليين: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }[الزمر9].

إذا ما الليل أظلم كابدوه... فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوفُ نومهمُ فقاموا... وأهل الأمن في الدنيا هجوع.

قال ابن المنكدر: "ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، وصلاة الجماعة".

فلو جالست هؤلاء وحرصت على مرافقتهم وأنت كئيب حزين سلَّوك وآنسوك بعد ثقل الأحزان ووحشتها، وهدوك إلى طريق السعادة والراحة بعد ضلال الهموم وشدتها، ولا سيما إن كانوا على علم بشرع الله ودينه؛ لأن العلم سعادة وإسعاد: سعادة للنفس وراحة للبال والعقل، وسبب أصيل لجلب الراحة والاطمئنان للإنسان وللآخرين.

معشر المسلمين، شقي الظالمون –والله- وما سعدوا، وما وجدوا الراحة ولا طعموا. كيف يسعدون وهم يتعدون على حقوق خلق الله: سفكاً أو هتكاً أو ضرباً أو نهباً؟! فما أشقى الظالم وأتعسه، وأرداه وأبأسه!

ألا وإن من الظلم -يا عباد الله- الحقد على الآخرين وحسدهم، فقد تعتصر قلوب بعض الناس كرهاً وبغضاً على أناس لا يستوجبون الكره، في أشياء لا تستحق البغض! فيظل الحقود في ليل بهيم من الكآبة والضيق، لا يرى راحة ونوراً إلا بمصيبة تنزل على من يكرهه بفعله أو بفعل غيره! أفبهذا أمر الاسلام؟ أم لهذا دعا الخلق الكريم المبني على سلامة الصدر للآخرين، والعفو عنهم وإرادة الخير لهم؟!

وقد يحمله حقده إلى حسد من يكره متمنياً زوال نعمة ينعم بها، ومن العجب أن محسوده في نعماء، وهو في شقاء، عينه أ وسمعه في نعيم ولكن قلبه وصدره في جحيم.

فمن أراد السعادة-يا عباد الله- فليترك الظلم والحقد والحسد؛ فإنها مغارم لا مغانم، ووصائل داء لا أسباب شفاء.

إن الفرق شاسع والبون واسع بين صاحب تلك الأدواء الماضية- الظلم والحقد والحسد- وبين من يحسن إلى الناس، بل إلى كل خلق الله ناطقه وبهيمه، يبذل المعروف وينجد الملهوف، يحنو على الضعيف ويعطف على الأرملة واليتيم والمسكين، يفرج كُرب المكروبين، ويقضي الدين عن المدينين، ويساعد المحتاجين والسائلين، إن وجد خيراً أعان عليه، وإن وجد شراً نأى عنه وحذّر منه، يعيش همَّ الجماعة لا همَّ نفسه، عظيم الإحساس بالآخرين، سليم من الإيذاء لهم، كثير التعاون معهم، لم يقتصر إحسانه على أفراد جنسه، بل يعطف على الحيوان ويحسن إليه ويمد يده لبذل الخير له، حتى الشجر لم يقطعه لغير الحاجه، فإن رأى منه ما يؤذي طريق الآخرين أزاله ونحاه.

إن هذا الإنسان الخيّر ليحيا في بحبوحة من العيش بإحسانه وبذله الخير بين الخلق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) ([[122]](#footnote-122)).

وقال عليه الصلاة والسلام: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء )([[123]](#footnote-123)).

إخوتي الكرام، إن الفراغ يصنع المشكلات، ويخلق الأزمات، ومن أعظم مشكلاته:

جلب الهموم والأحزان، والقلق والأكدار.

وإن الانشغال بالعمل المباح المحبوب للنفس مشغلة عن ذلك، ومسلاة عما يطرأ منه، وملهاة عن كتائب الأمراض النفسية التي تعشعش في قلوب الفارغين وعقولهم.

ولهذا حث الإسلام على العمل، ونبذ الفراغ والكسل، سواء كان هذا العمل جسدياً أم ذهنياً؛ فإنه يقضي على الفراغ القاتل الذي يولِّد الكآبة والغم.

ويكفي المنشغلَ بعمل من الأعمال أن يذهب عن نفسه أمراض الفراغ، وأن يقوت نفسه ومن يعول، فإن رأى من هو أعلى منه في الدنيا فلا يحزن ولا يهتم، بل ينظر إلى من هو أدنى منه؛ لئلا يزدري نعمة الله عليه؛ فإن من نظر إلى من هو فوقه في الدنيا بعين التطلع إلى نيل ما نال -ولم يكن عنده نصيب من الإيمان بالقضاء والقدر، ومعرفة تقلبات الدنيا، ومعرفة الحياة الحقيقية- فإنه سيعيش في شقاء وهم وغم.

وليكن المرء المسلم -عباد الله- ابن يومه الحاضر، لا يحزن على أمسه الفائت، ولا يهتم اهتماماً مضراً بغده الآتي.

ما فات مات والمؤمل غيبٌ... ولك اليوم الذي أنت فيه

ولأجل هذا استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهم والحزن؛ لعظم جنايتهما على سعادة الإنسان وراحته.

و الهم يكون على المستقبل والحزن على الماضي

وما أصدقَ لسان الشافعي يوم قال -منشرحَ الصدر-:

إذا كان عندي قوتُ يومي... طرحتُ الهمَّ عني يا سعيد

ولم تخطر هموم غدٍ ببالي... فإن غداً له رزق جديد

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، أما بعد:

عباد الله، إن الناظر إلى حياة أسلافنا الصالحين ليرى أنهم كانوا يعيشون في سعادة وطيب حياة، لا يكدرها الهم، ولا ينقصها الحزن، وكثير من الناس في هذه الأيام غارق في القلق والهموم والأحزان والأمراض النفسية، ففتحت لأجلها مشافي، وعيادات خاصة، وما كان أولئك السعداء السابقون بأحسن دنيا منا بوسائلها الحديثة، وأنظمتها السريعة، وسهولة لقمة العيش، فنحن اليوم في عصر التكنولوجيا الحديثة التي قربت البعيد، وأنطقت الحديد، وسهل الله بها كثيراً مما صعب على من قبلنا، فلماذا ضاق عيشنا أكثر منهم، وتكدرت حياتنا، ورغدت حياتهم؟!

إن من وراء ذلك أنهم عاشوا مؤمنين بالله وقضائه وقدره، واكتفوا من عيشهم بما قُسم لهم، وعملوا ولم يعرفوا فراغ حضارتنا الحديثة، وحيوا متحابين متآلفين، معتزين بهذا الدين، حاملين له ومبلغين غيرهم، ومدافعين عنه أعداءهم بالجهاد في سبيل الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى؛ فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم)([[124]](#footnote-124)).

عباد الله، لا يمكن أن يعيش الإنسان في هذه الحياة دون أن يمرّ به يوم شرور، كما مرَّ به يوم سرور، لكن ما يميز المؤمنَ أنه يعرف طبيعة هذه الدنيا: بأنه لا راحةَ تامةً، ولا سعادة مكتملة فيها، فهي سجن في حقيقتها عما ينتظره في دار البقاء، ويصيب الكافرَ من الشقاء والعناء أعظم مما يصيب المؤمن، وإن رؤي بين الناس أنه في نعيم، لكن ذلك الشقاء يعتبر جنة له أمام ما ينتظره من العذاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر )([[125]](#footnote-125)).

فلا يستريح المؤمن راحة تامة إلا بإطلاق أسره من قيد الدنيا كما جاء في الحديث

: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مُرّ عليه بجنازة فقال: ( مستريح ومستراح منه ). قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ قال: ( العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب )([[126]](#footnote-126)).

فالراحة والسعادة التي لا كدر ولا حزن فيها هناك هناك في جنة عرضها الأرض والسموات.

أيها الناس، إن أردتم السعادة والحياة الطيبة فما أقرب طريقها! ولكن أين السالكون؟.

فمن أراد السعادة فليلزم طاعة الله، ولينبذ معصيته، وليفهم الإسلام فهماً شمولياً، وليكن على علم وبصيرة ودراية لا يمرضها الجهل بدين الله وقلة الإيمان بالله، وضعف التسليم لقدره وقضائه، ولينتزع من نفسه حزازاتها ووسائل تقاطعها مع الآخرين، وليغرس حب الآخرين وإرادة الخير لهم.

فالسعيد من انتصر على نفسه فصارت رهن أمره، والشقي من تسلطت عليه نفسه فصار رهن أمرها.

فهذه السعادة بين حناياك كامنة، وبيدك جلبها أو دفعها، فلا تهرب من بين يديك.

يا باحثين عن الســعادة إنــــها لتطلّ من بين النفوس وتعجب

أنت الذي تسطيع رسم حدودها ولأنت من جعل الشقاوة تغلب!

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار، وآله الأطهار، وصحابته الأبرار.......

# وُلِد الهُدى ([[127]](#footnote-127))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].( {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71]

أما بعد:

أيها المسلمون، لقد كان الظلام –في ذلك الوقت- يخيم في كل مكان، والضلال يضرب أطنابه في كل جهة، والجهل هو الحاكم الذي يأمر وينهى فيطاع.

وفي تلك الأحوال القاتمة لا يرى الرائي إلا أصناماً قائمة، وجباهاً بين يديها ساجدة، وأيادي إليها ممتدة، وقلوباً فيها راغبة وراهبة.

عاش الكون آنذاك في شك وحيرة، وعمى وتخبط، لم ير نورَ يدٍ تنتشله من عمهه ولياليه المدلهمة.

حتى أذن الله بسطوع صباح أضاء الخافقين، فجاء إلى الثقلين، فملاء الوجود صفاء ونقاء، وكسا الأرض بهاء وسناء.

فتبسمت الأرجاء بانبلاج هذا الفجر الصادق

وتوالت بشرى الهواتف أن قد... ولد المصطفى وعم الهناء

ولد الهدى فالكائنات ضياء... وفم الزمان تبسم وثناء

وتعطر الكون الفسيح بنوره... وتوالت الأنوار والأنداء

عباد الله، إن الله تعالى أكرم آخر الأمم بإرسال خير الأنبياء والمرسلين إليها؛ ليكون شاهداً ومبشراً ونذيرا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا. فأخرج الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من خير بقاع الأرض كلها، وجاء به من أشرف نسب في العرب ممتداً إلى نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فهو خيار من خيار من خيار.

لقد تربى رسول الله وعين الله ترعاه، وتحرس سيره وخطاه من كل شائبة في عقله وعمله وخُلقه. فما قارف الآثام، ولا مال إلى الأصنام. ولا وصلت إليه يد حقدٍ يهودية بالقتل والإيذاء وقد أرادت ذلك فحال الله بينهم وما يشتهون.

طابت سريرته، وحمدت سيرته بين قومه قبل بعثته وبعدها، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم سلوكا، وألطفهم معاشرة، وألينهم قلبا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وآمنهم أمانة، وأعزهم جوارا، وأكرمهم خيرا، وأعفهم نفسا، وأبرهم عملا، وأوفاهم عهدا، وأوسعهم كرماً ورفدا.

يحمل الكَل ويُكسب المعدوم ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق.

خالط قومه في الخير والجد، وفارقهم في الهزل والباطل، وكان قد حُبب إليه البعد عن بيئة الجاهلية المظلمة، فاتخذ غار حراء ملاذاً للقلب والروح والفكر، يتأمل في هذا الوجود الفسيح وتخبطه في دياجير الظلمات. فيجد في هذه البقعة النائية سعادة واطمئناناً لا يجده في غيرها.

حتى بلغ سن الأربعين فجاءه الحق بالنبوة في ليلة من ليالي غار حراء الغراء فقال له: (اقرأ، قال: ما أنا بقارئ،-أي: لا أستطيع القراءة-فردد جبريل عليه السلام ذلك ثلاثاً، ورسول الله يقول: ما أنا بقارئ.

فقال جبريل في الرابعة-قارعاً سمعه ببواكير وحي السماء من عند الله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{1} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{2} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{4} {عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }[العلق 1-5].

أيها المسلمون، إن ذلك المجيئ المفاجئ والطارق الجديد المشرق في تلك الساعة الصامتة قد أفزع قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع إلى زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها راجف الفؤاد، مرتعد البدن يطلب منها التدثير والتزميل، وأخبرها بما حدث، فطمأنته وسكنت من روعه، وحلفت له أن الله لن يخزيه، ولن يخيب سعيه، فبُر قسمها، حين رفع الله له ذكره، وأعلى شأنه، وجعل دينه الطريق الوحيد إلى النجاة من خزي الدنيا والآخرة.

ثم توالى الوحي بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسله الله رحمة للعالمين، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }[الأنبياء107].

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا الدين القريبَ والبعيد، والنائي والصديق، والحر والعبد، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعربي والعجمي.

فلقي من قومه صنوف الأذى فقالوا: كذاب، وهم الكَذَبة، وقالوا: ساحر وكاهن، وهم يعرفون في قرارة أنفسهم أنه ليس كذلك، ولكن ماذا يقولون للناس ليصدوهم عن محمد الذي يمتد نوره إلى القلوب يوماً بعد يوم؟

{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ }[الأنعام33].

سبوه وشتموه، سخروا منه ورجموه، وألقوا عليه سلا جزور، وهو مع ذلك رابط الجأش، ماضٍ في طريقه لا يلوي على شيء قائلاً: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. وقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا.

ثم لما زاد الشقاق، وضاق الخناق خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنور إلى خارج مكة لعله يجد أرضاً تقبل هذا النور السماوي، فذهب إلى الطائف مع مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فلقي من أهل الطائف أشد مما لقي من قريش فقد رموه حتى أدموه، فعاد كئيباً حزيناً.

فأذن الله له بالهجرة إلى المدينة حيث الأمن والنصرة والجو البعيد عن أذى مشركي قريش وكبريائها، ومن هناك تشعشع النور فشرّق وغرّب، وأنجد وأتهم وبلغ أنحاء الدنيا.

عباد الله، وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة النبوية فأسس دولة الإسلام الأولى التي دانت لها الدنيا-بعد ذلك- ردحاً من الزمن.

وقبل أن يبني الدولة الإسلامية بنى رجالها بناء متكاملاً، فقامت على كواهلهم وانطلقوا منها يفتحون البلدان وقلوب أهلها معها.

أولئك الرجال الذين رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده -فأحسن تربيتهم- لم يشهد التاريخ لهم مثالاً في جميع جوانب الحمد والمجد.

أيها المسلمون، ومع مرور سنوات قليلة تكامل الإسلام في المدينة عقيدة وشريعة، وبلغ القاصي والداني، وجاءت الوفود من كل حدب وصوب يعلنون إسلامهم راغبين، وصار للمسلمين دولة منيعة الجانب، مرفوعة الراية، فخرجت عن الجزيرة بعد ذلك لتنشر الهدى خارجها؛ ليصير دين الإسلام ظاهراً على الأديان كلها، ولو كره المشركون.

معشر المسلمين، فلما قر الله عين رسوله صلى الله عليه وسلم بما رأى من علو الدين وظهوره، وصلاحية أصحابه لحمل أمانته من بعده، واكتمل الإسلام وأتم الله به النعمة على العالمين،

حينذاك آذن الله رسوله صلى الله عليه وسلم بوداع الحياة والأحياء بعد ثلاث وعشرين سنة من الكفاح والنجاح.

وفي يوم التاسع والعشرين من شهر صفر للعام الحادي عشر للهجرة شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة في البقيع فلما رجع أخذه صداع في رأسه، واتقدت حرارة جسمه، فمرض أحد عشر يوماً.

وثقل برسول الله صلى الله عليه وسلم المرض، وكان يحب أن يكون آخر عهده في بيت عائشة رضي الله عنها، فأذن له زوجاته رضي الله عنهن بذلك فانتقل إلى حجرة عائشة.

وفي يوم الأربعاء-قبل خمسة أيام- من الوفاة اشتد وجعه حتى أغمي عليه، وكانوا يهرقون عليه قرب الماء حتى أحس بخفة فدخل المسجد والناس مجتمعون حوله فقال: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا.

ثم قال: من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه، ثم نزل وصلى الظهر، وأوصى بالأنصار خيرا.

وفي يوم الخميس أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب.

وفي يومي السبت والأحد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الظهر، وأبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس.

ثم بدأ الاحتضار برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسندته عائشة إلى صدرها فدخل عبد الرحمن أخوها وبيده سواك فأبده رسول الله بصره فقالت عائشة: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فأخذته فطيبته بريقها ليجمع الله ريقها بريقه صلى الله عليه وسلم في آخر لحظات الدنيا.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، اللهم ارحمني واغفر لي، وألحقني بالرفيق الأعلى)، ثم قبضت روحه صلى الله عليه وسلم في ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة.

فلما مات رسول الله تفاقمت الأحزان وأظلمت على أهل المدينة أرجاؤها وآفاقها. قال أنس: ما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما مات قالت فاطمة: يا أبتاه، أجاب ربا دعاه. يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه. يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه.

ووقف عمر بن الخطاب يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات.

ووالله، ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات.

يقول حسان رضي الله عنه يرثي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بطيبة َ رسمٌ للرسولِ ومعهدُ... منيرٌ وقد تعفو الرسومُ وتهمدُ

ولا تنمحي الآياتُ من دارِ حرمة... بها مِنْبَرُ الهادي الذي كانَ يَصْعَدُ

فَبُورِكتَ يا قبرَ الرّسولِ وبورِكتْ... بِلاَدٌ ثَوَى فيهَا الرّشِيدُ المُسَدَّدُ

وبوركَ لحدٌ منكَ ضمنَ طيباً... عليهِ بناءٌ من صفيحٍ منضدُ

لقد غَيّبوا حِلْماً وعِلْماً وَرَحمة...عشية َ واره الترى حين يلحد

يبّكونَ من تبكي السمواتُ يومهُ... ومن قدْ بكتهُ الأرضُ فالناس أكمدُ

وهلْ عدلتْ يوماً رزية ُ هالكٍ... رزية َ يومٍ ماتَ فيهِ محمدُ

فَبَكّي رَسولَ الله يا عَينُ عَبْرَة... ولا أعرفنكِ الدهرَ دمعكِ يجمدُ

فَجُودي عَلَيْهِ بالدّموعِ وأعْوِلي...لفقدِ الذي لا مثلهُ الدهرَ يوجدُ

وَمَا فَقَدَ الماضُونَ مِثْلَ مُحَمّدٍ...ولا مثلهُ حتى القيامة ِ يفقدُ

أمةَ محمد صلى الله عليه وسلم، إن رسول الله عليه الصلاة والسلام جاء ليقيم الملة العوجاء، وينشر شريعة الإسلام السمحاء؛ لتكون هي الحاكمة لأهل الأرض. فلا قانون ولا دستور ولا عرف ولا رأي يقدم على شريعة السماء التي جاء بها سيد الأنبياء.

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحبس سيلان الدم الحرام، ويحفظ الأعراض والأموال والعقول من خمور الشبهات وخمور الشهوات.

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس ليعرفهم حقوق بعضهم على بعض: حق الراعي، وحق الرعية، وحق الوالدين، وحق الجيران والأقارب، بل وحق الكفار علينا.

عباد الله، إن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرسة عملية لكل الأجيال، ومنهل عذب لصلاح الدين والدنيا والآخرة.

إن حياته صلى الله عليه وسلم هي الحياة السعيدة لمن يريد الحياة السعيدة بجميع صورها وجوانبها. وهي درس نافع للأرواح والأبدان والنفوس والعقول والقلوب.

وهي درس مفيد للحاكم العادل والعالم العامل وللمربي الناجح.

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعبد الناس لربه وأتقاهم، وأشجعهم وأحلمهم، وأكثرهم تواضعاً، وأحرص الناس على جمع كلمة المسلمين ولم شعثهم وتوحيد صفهم.

فصلى الله عليه في الأولين، وصلى الله عليه في الآخرين، وصلى الله عليه في الملاء الأعلى إلى يوم الدين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه..

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

فأيها المسلمون، هذا رسولنا صلى الله عليه وسلم، وهذه بعض نسائم سيرته العطرة، فما واجبنا العملي نحوه، ونحو شريعته التي جاء بها إلينا؟

فهل نكتفي بالتأثر الآني، وهل نكتفي بإعلان الحب المجرد، وإعلان الانتماء إلى أمته؟ أو أن هناك شيئاً آخر؟

نعم، هناك شيء آخر وهو أن نعظمه، ونحبه، ونتبع شريعته، قال تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[الحشر7].

ومن حقه علينا أن نتحاكم إلى القرآن الذي جاء به من عند الله، وإلى سنته التي عملها وقالها

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }[النساء59].

ومن حقه علينا طاعته والاقتداء به في أقوالنا وأعمالنا، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً }[الأحزاب21].

وليس من حب الرسول صلى الله عليه وسلم أن نقدم قولاً على قوله، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[الحجرات1].

وليس من حب الرسول صلى الله عليه وسلم أن نتخلى عن دين الإسلام في الاعتقاد أو العمل أو السلوك.

وليس من حب الرسول صلى الله عليه وسلم أن نوالي من عادى أو نعادي من والى.

وليس من حب الرسول صلى الله عليه وسلم أن نطعن في زوجاته وأصحابه وآل بيته، فمن كان صادق الحب لرسول الله فليحب ما يحب رسول الله وليبغض ما أبغض رسول الله،صلى الله عليه وسلم.

فيا من تحب رسول الله، اتبع ولا تبتدع، واقتدِ ولا تبتدِ، واسمع له وأطع فيما أمرك ونهاك.

قال تعالى: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[النور63].

هذا وصلوا وسلموا الرسول الأمين.........

# رسالة المسجد في الإسلام ([[128]](#footnote-128))

الحمد لله المحمود في أول الأمر وآخره, وباطنه وظاهره, له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون. أحمده وهو القائل: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ{36} رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ{37} لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ{38}[النور 36-38]، والقائل جل وعلا: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ } {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ }[التوبة18،17].

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على النبي محمد القائل: (من بنى لله مسجداً يذكر الله فيه بنى الله له بيتاً في الجنة) ([[129]](#footnote-129)). والقائل صلى الله عليه وسلم: (المسجد بيت كل تقي) ([[130]](#footnote-130))

وأثنّي بالصلاة والسلام والرضوان على الآل الكرام، والصحب العظام، نجوم المهتدين، ورجوم المعتدين، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، فمن اتقى الله, رزق التوفيق والعون, قال الله تعالى: {إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ }[النحل128].

أيها المسلمون! من المسجد يبزغ الفجر فتضيء الآفاق, فينحسر الظلام وينتشر النور في الأنحاء. ومن المسجد خرج الحق فواجه الباطل وقارعه فاتضح الطريق للسالكين.

ومن المسجد انبثق العلم فعطّر الكون بطيبه, وتفتّحت المغلقات بحسن عَرْفه وأريجه, وفي المسجد الراحة والطمأنينة، والطهر والنقاء, وفي المسجد جلاء القلوب من أدرانها، والألسن من آفاتها، وسائرِ الجوارح من غفلتها وعصيانها. وفي المسجد تنشرح الصدور, وتزكو النفوس، وتطيب الأبدان، وإلى المسجد يُهرع العابدون، ويقبل الطائعون، ويتدفق المنيبون والتائبون. وعلى المسجد أعلام الهداية والصلاح والأمان تنادي الحيارى، وتدعو الشاردين الآبقين: أن هلموا إلى ربكم الرحيم وإلهكم الكريم. وعلى المسجد تقوم المكارم, ويقوّم الاعوجاج, ويُهدى الناس إلى صراط مستقيم.

المسجد -عباد الله- ملاذ المؤمنين, ومهبط رحمة أرحم الراحمين, المسجد مكان تزهو جوانبه بأصوات ذاكرة، ووجوه خاشعة ساجدة، وعيون هاطلة دافقة، وقلوب رقيقة خاشية، وأقدام منصوبة قائمة أو محنية خاضعة, تتنجس الأماكن وهو لم يزل طاهرا، وتخلو البقاع وهو لا يزال عامرا, المسجد مهد للتآلف والتعارف، والتحابب والتواد وجمع الصفوف وتوحيد المبادئ والوجهات. هو قلعة الإيمان وحصن الفضيلة، والجدار الذي تتكسر عليه معاول الرذيلة, هو المدرسة الأولى التي يتخرج منها المسلم عالماً يفتح القلوب المقفلة والعقول المغلقة, بمفتاح العلم والهداية. ويتخرج منه المسلم قائداً عظيماً يفتح أبواب الكفر الموصدة، ويزيل عن طريق الناس الأشواك المؤذية، كي يتبعوا الحق والإيمان, ويتخرج منه المسلم حاكماً يعرف عظم مسؤوليته، ووجوب أداء أمانته أمام ربه في حق نفسه ورعيته.

ويتخرج منه المسلم قاضياً منصفاً يعلم الحق ويقضي به، لا يخاف في الله لومة لائم، ويتخرج منه المسلم يحمل رسالة الحب والنفع للناس في أي مجال يعمل فيه، وفي أي مسؤولية ألقيت على كاهله، ويتخرج منه المسلم عارفاً مِمَ جاء، ولِم جاء، وكيف يعيش، وإلى أين يسير ويصير، فيؤدي حقوق خالقه, وحقوق خلق الله، ويصلح دينه ودنياه.

عباد الله، إن للمسجد في الإسلام دوراً كبيراً وأهمية بالغة في الحياة؛ فمنذ أن تشرفت طيبة الطيبة بأقدام النبي الطيب صلى الله عليه وسلم تطأ عليها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعمال جليلة؛ لإصلاح النفوس و المجتمع، وحفظ كيان الأمة، كان من أهمها: بناء المسجد، فقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المدينة راكباً راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر سعد بن زرارة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته: (هذا إن شاء الله المنزل)، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هِبة حتى ابتاعه منهما.

إن إقامة المسجد -معشر المسلمين- من اللبنات المهمة التي يقوم عليها بنيان الإسلام؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم حينما وصل أراد أن يجمع قلوب المسلمين مهاجريهم وأنصاريهم، وأن يذيب روابط الجاهلية التي تفرقهم، فقام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار, وهذا الجمع والثلة المؤمنة لابد أن يكون لها مكان تلتقي فيه؛ لتتعلم كيف الحياة في الإسلام، ولتوثق الصلة فيما بينها، فأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم -لأجل هذه الغايات- المسجد.

أيها المسلمون، أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ليكون منهلاً ومورداً لنيل العلوم والمعارف، وتلقي كلامه عليه الصلاة والسلام، ورؤية أفعاله ليكتمل الاقتداء بالأقوال والأفعال، وليكون داراً للهداية وتعريف الناس بخالقهم، واستقبال وفود الإسلام بعد الكفر والطغيان، ووفود التوبة بعد الإسراف والعصيان، وليكون قاعدة ينطلق منها المجاهدون وتعقد فيها ألوية الحق لتفتح القلوب والبلدان.

وعُمر المسجد ليكون ملاذاً للفقراء والمعوزين من أصحاب الصفة الذين حبسوا أنفسهم على العلم، أو عدموا الكفاية والمأوى، وارتفعت عُمد المسجد ليكون مجلساً استشارياً يتشاور فيه المسلمون، ويُدار فيه الرأي لتحصيل مرغوب أو دفع مرهوب. وليصير ملاذاً وموئلاً للمسلمين حينما تدلهم عليهم الخطوب فينادى بـ: الصلاة جامعة، فيتقاطرون عليه ليجدوا الحل والأمن.

أيها المسلمون، مما سبق يتبين أن المسجد لم يُبن للصلاة فحسب وإنما بُني لكل ما من شأنه أن يصلح حال المسلمين روحياً ونفسياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً، في أيام الحرب وأيام السلم. وإن أعداء المسلمين يريدون تحجيم دور المسجد وإقصاءه عن الحياة المختلفة ليكون مقراً لأداء الصلوات فقط كالكنائس والبيع والصوامع، فينفصل بذلك دوره عن المجتمع وينفصل المجتمع عنه، وهذا لعمر الله إحدى الدواهي والطوام على دين المسلمين ودنياهم.

وانظروا -عباد الله- وتأملوا حال الدول الإسلامية التي استجابت لهذه الدعوة الماكرة ماذا كانت النتيجة؟ أصبحت مساجدها مهجورة غير مأهولة إلا من الشيوخ والعجزة، وبانتهاء الصلاة تغلق الأبواب ولا تفتح إلا عند دخول الصلاة الثانية، وصار المنبر مقيداً بما يملى عليه، فغابت بذلك رسالة المسجد العامة، وقل اهتمام الناس وحبهم له وضعف إقبالهم عليه ومازال الناس يبتعدون عن دينهم بقدر ابتعادهم عن مساجدهم.

وانقلوا -عباد الله- بصركم وبصيرتكم إلى من عرفوا قيمة المسجد ودوره العظيم في بناء الأجيال وتربية الشعوب عندما جعلوه جهة مقصودة لإصلاح دينهم ودنياهم، وموجهاً لتقويم السلوك المعوج، وتوجيه السالك الضال أو الحائر، كيف غدت مجتمعاتهم؟ وكيف أصبح تمسكهم بالدين الحق وسلوكهم الصراط المستقيم.

وإن المسجد سيظل غصة في حلوق الأعداء، ووجعاً في قلوبهم، وعامل قلق عندهم يوم يؤدي دوره الصحيح الحكيم في توجيه المسلم في مختلف مجالات الحياة؛ ولذلك لا تعجبوا إذا سمعتم بعض أعداء الأمة يقولون: إن المسجد هو ورشة الإرهاب!

أيها المسلمون، إذا كان للمسجد هذه المكانة والأهمية فإن بناءه وإقامته من الأعمال الجليلة، والحسنات الباقية، والنفع العام، والأجر المدخر، والذكر الحسن والعمل المشكور لصاحبه، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (..ومن بنى مسجداً كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة )([[131]](#footnote-131)). وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن مما يلحق المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته: علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته ) ([[132]](#footnote-132)).

ولما كان هذا العمل عبادة من العبادات، وقربة من القربات اشتُرط في جزائه وثوابه الإخلاصُ وحسن القصد والبعد عن الرياء والسمعة.

فعن عثمان رضي الله عنه أنه قال- عند قول الناس فيه حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم أكثرتم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من بنى مسجداً يبتغي وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة). وفي رواية: (بنى الله له مثله في الجنة)([[133]](#footnote-133)). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه و سلم: (من بنى مسجداً لا يريد به رياء ولا سمعة بنى الله له بيتاً في الجنة) ([[134]](#footnote-134)).

أيها المسلمون، إن من العجز والكسل والإثم أن تبنى المساجد في الأحياء والقرى والمدن ويقل روادها وقصّادها وتغدو شبه مهجورة في الصلوات الخمس، ولو دعي بعض الهاجرين للمساجد إلى مهرجان أو مكان تقسم عليهم فيه من أمتعة الدنيا لما تخلفوا.

وأبواب المساجد أبواب إلى الجنة فما بال الناس يعرضون عنها ويلوون لها ظهورهم، وإلى غيرها تتجه وجوههم وخُطاهم!.

مع أن المسلم في أجر وفير وفضل كبير منذ وضوئه وذهابه إلى المسجد حتى يعود منه.

فما الذي يبعد المسلمَ عن المسجد؟

أهو خموله وكسله، أم تجارته وانشغاله بدنياه، أم لهوه في مجالس الرفقاء والندماء, أم جهله فضل الصلاة في المساجد وأجر المشي إليها والبقاء فيها، أم أنه يتكأ على القول باستحباب الصلاة جماعة مع أن الراجح القول بالوجوب، سواء كان هذا أم ذاك فإن الإتيان إلى المساجد توفيق يعطيه الله من يشاء. ولا يلقاه إلا الذين صبروا ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم.

وهذا ربنا يستحثنا للمجيئ إلى بيوته فيقول في كتابه الكريم: {.. فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }[الجمعة9].

وتكاثرت أحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم المرغبة في الإتيان إلى بيوت الله بأساليب شتى:

فأحياناً يبين صلى الله عليه وسلم أن المشي إلى المسجد سبب لتكفير الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: (من راح إلى مسجد الجماعة فخطوة تمحو سيئة، وخطوة تكتب له حسنة ذاهباً وراجعا )، رواه ابن حبان وأحمد، وأحياناً يعرفنا أن الماشي إلى الصلاة هو في صلاة والمنتظر لها كذلك، قال صلى الله عليه وسلم: (والقاعد يرعى الصلاة كالقانت، ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه) ([[135]](#footnote-135)).

وتارة يعلمنا أن الماشي ضيف على الله يقابله تعالى بالإكرام، كما روى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال: (من غدا إلى المسجد وراح إليه أعد الله له نزلاً كلما غدا أو راح).

وقال صلى الله عليه وسلم: ( من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر ) ([[136]](#footnote-136))..

وتارة يبين لنا أن المداوم على المشي موعود بكفاية رزقه، وإن مات على ذلك فيرجى له دخول الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة كلهم ضامن على الله، إن عاش كفي، وإن مات دخل الجنة: من دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز و جل، ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله) ([[137]](#footnote-137)).

والماشي لصلاة الفجر أو المغرب والعشاء مبشر بالنور التام يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليبشر المشاؤن في الظلام إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة) ([[138]](#footnote-138)).

وصلاة الجماعة لها فضل كبير على صلاة الفرد والبيوت، قال صلى الله عليه وسلم: (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)([[139]](#footnote-139)).

أيها المسلمون، روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها ). فالمسجد مكان محبوب لله ولعباده الصالحين فينبغي للمسلم التمسك بآدابه واتباع تعاليم الإسلام فيه.

فإن المسلم إذا أقبل إلى المسجد فعليه أن يقبل بسكينة ووقار من غير جري، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:( إذا ثوب للصلاة ([[140]](#footnote-140)) فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا؛ فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة )([[141]](#footnote-141)).

وعلى المسلم أن يدعو في طريقه إلى المسجد بما ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خرج إلى الصلاة وهو يقول: ( اللهم اجعل في قلبي نورا، وفى بصرى نورا، وفى سمعي نورا، وعن يميني نورا، وعن يساري نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، وعظّم لي نورا ). ومناسبة هذا الدعاء النوراني في الذهاب إلى المسجد: أن المكان الذي يتجه إليه هو مطلع لتشعشع النور واقتباسه، والصلاة التي يؤديها فيه هي نور، فالصلاة نور والمسجد نور، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء، فإذا دخل المسجد قال: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك, أو: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم. وحينما يخرج يقول: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم إني اسألك من فضلك، اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم. وعندما يصل المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين تسميان بتحية المسجد، كل ذلك ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله.

عباد الله، إن دخول بيوت الله والبقاء فيها ليس كالدخول إلى غيرها؛ فإن المسجد مكان مقدس لم يُبن إلا لذكر الله تعالى وما والاه؛ ولذا على المسلم أن يبتعد عن المحظورات والمنهيات التي تخل بقدسية هذا المكان الطاهر أو تؤذي زائره. فعلى المسلم: أن يقضي وقته في المسجد بذكر الله وطاعته، وأن يعرض عن حديث الدنيا غير النافع، وأن يسارع إلى استباق الصفوف الأولى، وأن يحافظ على نظافة المسجد ورائحته الطيبة.

وعليه أن يتجنب إيذاء الآخرين أو ما فيه أذية لهم كالبصاق والنخامة، و رائحة البصل والثوم والكراث والدخان ونحو ذلك، وأن يترك رفع الصوت وإنشاد الضالة والبيع والشراء؛ فإن المساجد لم تعمر لهذا، وقد جاء في هذه الأمور أحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم.

عباد الله، طوبى لمن تعلق قلبه بالمساجد، وأضحى رائداً من روادها وقاصداً من قاصديها، فيا بشراه حين يستظل في ظل الله يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد..) ([[142]](#footnote-142)). تعلق قلبه بالمساجد للعبادة وإصلاح النفس، ولم يتعلق قلبه بغيرها كالأسواق، أو دور اللهو والضياع، فكان هذا الوعد الصادق جزاءه.

وما أطيب جلساء الإنسان في بيوت الله، وأكرمهم، وأحسن عوائدهم، فمن هولاء الجلساء؟ قال عليه الصلاة والسلام: (إن للمساجد أوتاداً- أي: رواداً- الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم. وقال: جليس المسجد على ثلاثة خصال: أخ مستفاد، أو كلمة حكمة، أو رحمة منتظرة) ([[143]](#footnote-143)).

وما أعظم راحته وطمأنينته وجزاءه حين يكون المسجد منزله الذي يديم الإقامة فيه لطاعة الله، قال عليه الصلاة والسلام: ( تكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح و الراحة و الجواز على الصراط إلى رضوان الرب عز و جل سبحانه) رواه البزار والطبراني. وأي صوت أجمل، وأي سعد يزف إليه أعظم من سماعه ذلك النداء العذب يترقرق في سماعه يوم القيامة، كما قال صلى الله عليه وسلم: ( إن الله لينادي يوم القيامة: أين جيراني أين جيراني؟ قال: فتقول الملائكة: ربنا! ومن ينبغي أن يجاورك؟ فيقول: أين عمار المساجد؟) ([[144]](#footnote-144)). فنسأل الله أن يجعلنا من عمار المساجد. بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

عباد الله، إن المساجد بنيت لإقامة طاعة الله وذكره، والتقرب إليه وعبادته، ولجمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم وتأليف قلوبهم، يوم يجتمعون في هذا المكان الطاهر لا يفرق بينهم جنس أو لون أو غنى أو فقر أو جاه, يجتمعون في هذه البقعة المقدسة لإصلاح ظواهرهم وتصفية بواطنهم من الأحقاد والأضغان، يوم يصفون صفوفاً متساوية على أقدام متراصة وأكتاف ملتصقة ببعضها.

ألا يربي المسلمين هذا -عباد الله- على جمع الكلمة ولمِّ الشتات صفاً واحداً وأمةً متحدة, أم أن أفعالنا في مساجدنا صارت حركات لا معاني لها وشعائر ظاهرة لا أثر لها في واقعنا، ولا تعمّق فينا شيئاً من الاتحاد والمحبة. لماذا لا نترك أسباب التفرق والتشظي من تعصب لقبيلة أو منطقة أو حزب أو جماعة أو رأي؟! فإن هذه الأدواء قد عملت على تمزيق ألُفتنا ووحدتنا ما لم تعمله أسلحة الأعداء. فأين الواعون، وأين المصلحون المخلصون، وأين المتأملون في رسالة المسجد الشاملة؟

فيا أيها الناس، لنكن واعين رسالة المسجد التي أقيم لأجلها، ولننطلق بها إلى بناء الحياة بناء سليماً متحدين غير متفرقين، ومتحابين غير متناحرين، وأن لا نجعل المسجد بداية الصراع ومنطلق الشقاق، فالخصومة والتشاجر لا تليق بالمساجد، فإذا صارت المساجد أماكن للخصومات والمنازعات فأي خير سنرجو منها أو هدى نلقاه فيها؟ فلعل ذلك الاختلاف سيؤدي إلى نفور بعض الناس عن المساجد وكراهيتهم لها ولأهلها.

يقول الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[البقرة114]، قال بعض المفسرين: يدخل في خرابها: الخراب الحسي بهدمها وتخريبها، والخراب المعنوي بمنع الذاكرين لاسم الله فيها على أي وجه كان.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

# وصايا في خضم البلايا ([[145]](#footnote-145))

الحمد لله القادر الحكيم، اللطيف الرحيم، المحمود على كل حال، المطلِّع على جميع الأحوال، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، يبتلي عبادَه بما يشاء بالسراء أو بالضراء؛ ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتفرد بالديمومة والبقاء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير الأنبياء، وسيد الأصفياء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

فأوصيكم-أيها الناس- وإياي بتقوى الله القائل:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

والقائل:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

والقائل:{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، إن الوضع الذي تعيشه بلادنا -هذه الأيام- وضع لا يفرح الصديق ولا يحزن العدو، اضطراب سياسي، وتدهور اقتصادي، واختلال أمني، وتفكك اجتماعي، ونتج عن ذلك سفك للدماء، ونهب للأموال، وتعطيل للأعمال، واتساع لرقعة الخوف والقلق.

فكل يوم تشرق فيه الشمس على الناس يترقبون فيه تطوراً جديداً في قضية البلاد المصيرية.

وفي خضم هذه المعضلات نحتاج إلى إرشادات ووصايا منيرات، تخفف عنا ما نزل بنا من الملمات، وتكون طريقاً للحل بإذن الله تعالى.

إخوة الإسلام، إن أسلوب إيصاء الآخرين طريق مسلوك سلكه القرآن الكريم، ومشت عليه السنة النبوية، ودرج عليه الحكماء والمربون في الأمم.

فقال تعالى -بعد أن ذكر وصايا لخلقه-:{ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }[الأنعام151]، وقال:{ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }[الأنعام152]، وقال:{ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[الأنعام153].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كَرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ) ([[146]](#footnote-146)).

وأوصى حكيم ابنه فقال: "يا بني، عزُّ المال للذهاب والزوال، وعز السلطان يوم لك ويوم عليك، وعز الحسب للخمول والدثور، وأما عز الأدب فعز راتب رابط لا يزول بزوال المال، ولا يتحول بتحول السلطان، ولا ينقص على طول الزمان".

والمؤمنون مفتقرون إلى التواصي بينهم بالحق في كل زمان، فكيف بزماننا هذا ونازلتنا هذه، قال تعالى: { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْعَصْرِ{1} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ{2} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ{3} [العصر 1-3].

أيها المسلمون، الوصية الأولى: اليقين بأن ما يجري من أحداث هو بعلم الله وتقديره الكوني؛ فلا يخرج عن علم الله وقضائه شيء دقيق أو جليل. قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }[الحديد22].

والله يقضي في خلقه ما يشاء، ويصنع به ما يريد على مقتضى حكمته البالغة، وعلمه الواسع الذي لا نحيط به، يبتليهم بذنوبهم؛ لعلهم إليه يعودون، قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[الروم41].

والعبرة بعواقب الأمور وخواتمها، لا بأولها وفواتحها، ولعل في أرحام هذه البلايا والفتن خيراً كثيراً لهذا الشعب، لا يكون ذلك إلا بعد التمحيصات والاختبارات، وفي التاريخ أمثلة على ذلك.

ولو نظرنا بعين الإيمان والحكمة فماذا سنرى في فعل من هو أرحم بنا من أنفسنا، ومن آبائنا وأمهاتنا؟! سنرى أن اختيار الله خير لنا من اختيارنا.

قال تعالى: { وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }[البقرة216].

عباد الله، الوصية الثانية: تفاءلوا ولا تشاءموا. فالتفاؤل من سمات الكبار، ومن صفات أهل الإيمان الأخيار، ومن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهو جالب للسعادة إلى النفس والقلب، وفيه ترويح للمؤمن وسرور له، وتقوية لعزيمته، وباعث له على الجد والظفر. فاستبشروا وتفاءلوا وأمّلوا بالله خيراً؛ فإن الله يقول في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرا فله، وإن ظن شراً فله )([[147]](#footnote-147)).

والتفاؤل مطلوب في كل حال، ويعظم حين تعظم المصائب؛ لأن شدة المصيبة مؤذنة بقرب زوالها، والكروب إذا توالت تولت، والليالي إذا ادلهمت تجلّت.

اشتدي أزمة تنفرجي\*\*\*قد آذن ليلُكِ بالبلج

وإياكم والتشاؤم، وسوءَ الظن، وقالةَ اليأس والقنوط؛ فإن البلاء موكل بالمنطق.

إخوة الإسلام، والوصية الثالثة: اصبروا ولا تجزعوا. فهذه الأيام من أيام الصبر التي لا ينعم الإنسان فيها إلا بالتدرع بالصبر والمصابرة. وعبودية الله تعالى لا تقوم إلا على ذلك، و الفلاح الموعود لا ينجز إلا عقب هذه الأعمال العظيمة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[آل عمران200].

فما أحوجَنا اليوم إلى إرغام النفوس على الصبر وترك الجزع وهي ترى هذا التردي المتنوع، وتغير مواقف الناس من حين لآخر!

فالحذرَ الحذرَ من الطيش ونزق الغضب وردود الأفعال والمسارعة إلى تلبية حاجات الهوى والشيطان، فمن صبر ظفر، وحمد عند الصباح سُراه.

الصبر مثل اسمه مُرّ مذاقته\*\*\* لكن عواقبه أحلى من العسل

معشر المسلمين، والوصية الرابعة: تآخوا؛ فإنما المؤمنون إخوة. لقد جمع الله أهل الإسلام تحت مظلة واحدة دون أن تفرقهم اللغات والبلدان، و لا الأجناس والألوان، ولا الأنساب والأعراق. فلكل مسلم على أخيه المسلم حقُّ المحبة والنصرة، والتعاون والألفة، قرُب المسلم أم بعد.

ومن ضيق الأفق وقلة الدين أن تحصر الأخوة والموالاة في الحزب الواحد، أو الجماعة الواحدة، أو المنطقة الواحدة، أو المذهب الواحد، بأن يوالى من كان فيها، ويعادى من كان خارجاً عنها، وليست الأخوة الإسلامية أن تكون في الشيء الذي تجتمع فيه مصالحنا، فإذا ذهبت المصالح المشتركة ذهبت الأخوة الإسلامية.

إنما الأخوة الإسلامية فيك أيها المسلم، أن تحب وتوالي المسلم الصالح سواء كان معك في رأيك أو حزبك أو مذهبك أو بلدك أم كان خارجاً عن ذلك، وتكره أهل الفسق والعصيان سواء اتفقوا معك في الانتماء أم اختلفوا.

فهذه الأُطر الضيقة تفريق للأمة قال تعالى:{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[آل عمران103].

إخواني الكرام، إن من القواصم التي حلّت في بلادنا فقصمت ظهر إخوّتنا: التعددية الحزبية التي زادت الطين بلة والمرض علة والخرق اتساعا، حتى تفرق الوطن وتشتت الجمع، وتباغض الأحبة، وتقاطعت الصلة، وصار الحزب هو معقد الولاء والبراء، و من قواصم القواصم: أن الموقف الذي يتبناه قادة الحزب قد يغدو شرعاً متبعاً لدى المنتمين إلى ذلك الحزب ولو كان حراماً، والحال كما قال الأول:

وما أنا إلا من غزية إن غوت\*\*\* غويت وإن ترشد غزية أَرشُدِ

لكن المسلم الواعي لا تأسره هذه السجون الضيقة، ولا تقيده هذه الأغلال الجاهلية، فهو يتعصب للحق ولاءً وبراءً فحسب.

عباد الله، والوصية الخامسة: حافظوا على حرمات المسلمين الذين قد تختلفون معهم في الموقف السياسي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ([[148]](#footnote-148)).

فيجب على المسلم أن يحفظ دم أخيه المسلم فلا يريق منه قطرة؛ لأن ثمنها غالٍ عند الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق) ([[149]](#footnote-149)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يجيء المقتول آخذاً قاتله وأوداجه تشخب دماً عند ذي العزة فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟ فيقول: فيم قتلته؟ قال: قتلته لتكون العزة لفلان، قيل: هي لله ([[150]](#footnote-150)).

ويجب على المسلم أن يحفظ مال أخيه المسلم، فلا يحل له أن يأخذه بغير حق بسرقة أو نهب أو اختلاس أو غِش أو غير ذلك.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( لا يحل لامرئ أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه ) قال ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلم على المسلم. ([[151]](#footnote-151)).

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( أتدرون من المفلس )؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله، من لا درهم له ولا متاع، فقال صلى الله عليه و سلم: ( المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته فيأتي وقد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته -قبل أن يقضى ما عليه- أخذ من خطاياهم فطُرح عليه، ثم طرح في النار ) ([[152]](#footnote-152)).

ويجب على المسلم أن يحافظ على عرض أخيه المسلم فلا يتعرض له بهتكٍ أو سب أو شتم.

فوأسفاه مما يجري هذه الأيام في الإعلام عبر وسائله المختلفة، وما تلوكه ألسنة بعض الناس في أماكن اجتماعهم من بهتان وسباب، وشتائم وطعون، ولمز ونبز، وغيبة وسخرية، ألا يظن أولئك أنهم محاسبون على ما يقولون عند ربهم؟!

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا البذيء ولا الفاحش ) ([[153]](#footnote-153)).

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (لما عرج بي ربي عز و جل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل)؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم) ([[154]](#footnote-154)).

وقال النبي صلى الله عليه و سلم: ( إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق ) ([[155]](#footnote-155)).

وحينما يسمع المسلم هذه المزالق اللسانية فلينصح بما يعرف أنه الحق، وليدافع عن أخيه المسلم الغائب بما يدري عنه من الخير، وهذا يخلّصه من إثم سماع الطعن، وينال به خيراً يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة) ([[156]](#footnote-156)).

أيها المسلمون، الوصية السادسة: آثروا ولا تستأثروا، فالحال الاقتصادية في هذه الأحداث في انحدار مستمر، ووضع غير مستقر، كثر العاطلون عن الأعمال، وغلت الأسعار و ساءت الأحوال، فلينظر كل جار إلى جاره، وكل قريب إلى قريبه وليُفضِل عليه مما أعطاه الله أو ليؤثره ولا ينظر إليه وهو يصطلي في أتون الحاجات، ويعاني فقدان الضروريات التي تحفظ حياته من الممات، فرحم الله امرأ أعطى من فضل، أو آثر من قلة، أو واسى من كفاف.فلنقتسم اللقمة كما اقتسمنا الأزمة كما كان يصنع آباؤكم الأشعريون الذين أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الصنع، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم) ([[157]](#footnote-157)).

إخواني الأفاضل، الوصية السابعة: تثبتوا وتبيّنوا قبل أن تتكلموا وتحكموا. ما أكثر ما يُسمع اليوم من الأخبار، وأكثرَ ما يُرى من إصدار الأحكام على الآخرين من غير علم!! تكاثرت الأنباء وصارت عليها هالات من البهرجة منها الصادق ومنها الكاذب، والإعلام قد يُري الناس الكذب صدقاً حتى يصدقوه، والصدق كذباً حتى يكذبوه، وبعض الناس هذه الأيام آذان صاغية وقلوب واعية لما يُعرض في الإعلام من غث وسمين بدون تثبت، ألم يعلمنا الله عز وجل أدبَ التثبت قبل أن نندم إذا تكلمنا بلا تثبت، فقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }[الحجرات6].

فالتثبت في الأخبار من العدل الذي يحافظ على التئام الأمة وترابطها ويقوي نسيجها الاجتماعي، والتمهل والتريث صفة محمودة، وخصلة منشودة لكل عاقل؛ لأن العجلة في غير محلها مسلك شيطاني قد يورث الندامة حين لا تنفع الندامة، قال أنس رضي الله عنه: " التأني من الله والعجلة من الشيطان".

لا تعجلنّ فربما\*\*\* عجل الفتى فيما يضره

ولربما كره الفتى\*\*\* أمراً عواقبه تسره

عباد الله، إن نقل الأخبار وتصديقها وبثها دون تمحيص ظلم وبغي يوهي تماسك المجتمع، ويقوّي فيه روحَ الضغينة والعداوة، فعلى المسلم الحريص على دينه وسمعته أن يحفظ سمعه عن تصديق كل ما يسمع، ويحفظ لسانه أن يتكلم بشيء لا يعرف صحته وسلامة عاقبة الحديث عنه. فالتثبت التثبت قبل تحميل الناس مالا يفعلون وتقويلهم ما لا يقولون، فلا تحسبوا ذلك هيناً بل هو عند الله عظيم، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( كفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكل ما سمع )([[158]](#footnote-158)).

فاتق الله يا عبد الله، في هذه الفتنة أن تأخذ من دينك وتقضم من أخلاقك الكريمة، ولسانك المستقيمة، واحذر ظلم الآخرين في دمائهم وأموالهم وأعراضهم،

و لا تعجل على أحد بظلم\*\*\* فإن الظلم مرتعه وخيم

ولا تفحش وإن مُلّيت غيظاً\*\*\* على أحد فإن الفحش لوم

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جمع المسلمين بهذا الدين، وأرسل إليهم خير المرسلين، بالحكمة والذكر المبين، فجمع الله به بعد الفرقة، وألف به بعد النفرة، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، الوصية الثامنة: أُمّوا المساجد للصلاة والائتلاف، ولا تخرجوا منها بالكراهية والاختلاف؛ فالمساجد لم تُبن لتفريق الصفوف بل لجمعها، ولم تُفتح لإغلاق نوافذ تصفية القلوب بل لفتحها وتجليتها. فالمسجد في الإسلام رمز لجمع الكلمة، ووحدة الصف، وتعميق معاني المحبة والقرب، جسد بجانب جسد، وقدم ملتصقة بقدم، ومنكب بمنكب، الجميع يقومون ويركعون ويسجدون لا تخالف بينهم، اتحاد ظاهر يدعو إلى اتحاد باطن.

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يمسح منا كبنا في الصلاة ويقول: ( استووا ولا تختلفوا؛ فتختلف قلوبكم) ([[159]](#footnote-159)).

ولأجل هذه الأهداف السامية للمسجد كان المسجد من أول أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قدم المدينة؛ ليجمع الأرواح والأبدان معاً.

فمن منطلق معرفة رسالة المسجد السامية وفي خضم هذه الفتن السياسية أوصي إخواني المصلين روادَ المساجد الأفاضل الذين أنعم الله عليهم بلزوم المساجد في الصلوات الخمس: أن يكونوا لحمة واحدة متحابين متآلفين، مجتمعين على الحق غير متفرقين، ولو تعددت الآراء واختلفت وجهات النظر السياسية فلا يؤدي ذلك إلى تغير القلوب المتحابة وتمزيق الصفوف المتماسكة، فالخلاف سنة كونية لا يمكن أن يُرفع حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان، ولكن على الجميع أن يراعي أدب الخلاف حتى يسود الوئام لا البغضاء والخصام.

وعلى ذلك فلا تُحوَّل المساجد إلى ساحات عراك وصراخ، وملاسنة وكثرة كلام، وتنازع وتشاجر؛ فقد جمعنا الله بالمسجد فكان لنا مكانَ قوة فلا نجعله منطلقَ ضعف فنفشل وتذهب قوتنا، قال تعالى: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }[الأنفال46].

وتذكروا قول الله تعالى وكونوا من أهل هذه الآيات: { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ{36} رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ{37} لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ{38} [ النور 36-38].

عباد الله، الوصية التاسعة: سارعوا إلى الأعمال قبل أن تسارع إليكم الآجال، قال تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }[آل عمران133].

وقال: {فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [المائدة48].

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا) ([[160]](#footnote-160)).

فالأيام تمضي، والأعمار تنقضي، والفتن تتسارع، والأوقات تضيع، والجِد يفتر، والجسد يضعف، والحياة تغرب، والحتوف تقرب.

و أبشروا فالعبادة أيام الفتن مضاعفة الأجر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (العبادة في الهرج كهجرة إلي) ([[161]](#footnote-161)).

كثير من الناس يظل الساعات الطوال يتابع الأخبار ويتنقل بين وسائل الإعلام قارئاً وسامعاً ومشاهداً وقد ينسى استغلال بعض ذلك الوقت الكبير فيما يقرب إلى الله تعالى، فطوبى لمن شغل وقته فيما ينفعه قبل أن تباغته المنية:

اغتنم في الفراغ فضلَ ركوع\*\*\* فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيحٍ رأيتَ من غير سقم\*\*\* ذهبت نفسه الصحيحة فلته

أحبائي الكرام، الوصية العاشرة: الدعاءَ الدعاءَ، {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }[البقرة186].

إن دعاء الله والتضرع بين يديه من أعظم سبل كشف الكربة، وذهاب الغمة، فهو سلاح يقضي على البلاء في معركة الفتنة فلماذا تخلينا عن هذا السلاح الفتاك؟!

لماذا أقبل الخلق على أبواب الخلق وتركوا باب الخالق، لماذا طرقوا الأبواب المقفلة ولم يطرقوا الباب المفتوح الذي ينادي: هل من داخل فيُكرَم؟!

لماذا تمتد القلوب والأيدي إلى البشر طالبة حل الأزمة ولم ترفع إلى الذي بيده كل شيء؟!

إذا أردنا اندحار البلاء فعلينا بالدعاء

وإذا أردنا الرخاء والهناء فعلينا بالدعاء

فالدعاء الدعاء يا عباد الله، في المساجد والبيوت، والليل والنهار، والسر والعلن، وإذا دعونا فلنثق بالله، ولنفرده بالتوجه وانتظار الفرج، ولا نستعجل الإجابة، ولا نستحسر فندع الدعاء، ولنقل بلسان حالنا ومقالنا لربنا:

أنتَ الملاذ إذا ما أزمةٌ شملتْ\*\*\* وأنت ملجأ من ضاقت به الحِيل

أنت المنادى به في كل حادثة\*\*\* أنت المجيب وأنت الذخر والأمل

أنت الرجاء لمن سُدّت مذاهبه\*\*\* أنت الدليل لمن ضلّت به السبل

إنا قصدناك والآمالُ واقعة\*\*\* عليك والكل ملهوف ومبتهل

فيا ربنا يا سامع دعائنا، وعالماً بشكوانا، وبيدك وحدك كشف بلوانا، ادفع عنا هذه الفتنة سالمين، وأخرجنا من وهجها ناجين، وإذا أردت فتنة بعبادك فاقبضنا إليك غير مفتونين،

إلهَ الحق، انصر الحق وأهله، واخذل الباطل وحزبه، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا أرحم الراحمين.

هذا وصلوا وسلموا على سيد البشرية....

# العفاف ذلك الكنز الثمين ([[162]](#footnote-162))([[163]](#footnote-163))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].( {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }الأحزاب70-71]

أما بعد:

فيا أيها الناس، إن الفضيلة شيمة نبيلة، وحلية كريمة جليلة، تتصف بها النفوس الأبية العلية، وتزرع منها الأعمال والأخلاق الزكية البهية, والرذيلة جربٌ على وجوه أصحابها، وعار وشنار على متبعيها وطلابها، لا تتحلى بها إلا النفوس الدنية التي تباعدت عن العز والشرف، فزرعت فيها الهوان والسقوط، وأوردتها أسفل سافلين.

عباد الله، إن أهل الفضيلة يعيشون في رياض وارفة من الطهر والسعادة, وأما أهل الرذيلة فهم غارفون في الخطيئة وقابعون في سجون الغموم والقلق والخوف، فلذاتهم عابرة، وشقاوتهم دائمة، {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ }[آل عمران182].

أيها المسلمون، إن من صور الفضيلة السامية: الحفاظ على الأعراض، وصيانتها من كل ما يخدشها ويشينها, فالعرض عند العاقل وعند العربي وعند المسلم خط أحمر, لا سماح بالجولان حول حماه، والتعرض لهتكه وخدشه، ولو أُهلكت له الأموال، و أريقت -في الحفاظ- عليه الدماء، وتبعثرت لأجله الإشلاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (...ومن قاتل دون أهله فهو شهيد)([[164]](#footnote-164)).

ولأهمية الحفاظ عليه, وخطر التفريط فيه كان من الكليات الخمس التي جاء الإسلام للمحافظة عليها, وحراستها من كل صائل عليها.

أما الكرماء في بذله, والمتساهلون في الذود عنه ودفع الصائلين عليه فهم أهل دياثة ودناءة, وسفول وقماءة، ينتهي بهم هذا الطريق المعوج إلى لعنة الزمان، وغضب الرحمن، واحتقار عقلاء بني الانسان, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يدخلون الجنة، ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق والديه، والمرأة المترجلة، المتشبهة بالرجال، والديوث) ([[165]](#footnote-165)).

عباد الله، إن العفاف والطهر هو أسمى صورة للحفاظ على الأعراض، فالعفاف عزة ونقاء، وطهارة وبهاء، وسعادة وهناء. وهو لذة مستمرة، وزينة باقية، وجُنة واقية، وحصن منيع.

وهو راحة وأمان، واستقرار واطمئنان، وحياة رغدة سعيدة، وعيشة مملؤة بالهدوء والنعمة الظليلة. وهو صحة وسلامة، وغنى وقوة، وجَنة تفوح منها نسائم السمعة الطيبة والذكر الحسن. ويبقى بين الناس العقلاء الأصحاء خصلةً حميدة، وخلقاً جميلاً، وأدباً أصيلاً، يحفظ الرجال والنساء، والصغار والكبار، والأفراد والجماعات من شقاء الدنيا والآخرة.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عفافُ المرء بين الناس عزٌّ |  | وفخرٌ في الحياة وفي الممات |
| وشمسٌ لا تُغيِّبها الليالي |  | وحصنٌ من سهام الموبقات |
| فلا تبرحْ حِماه إلى الدنايا |  | فتهلكْ في أُتون المهلكات |

أمة الطهر والعفاف، إن الثورة على الدين الصحيح، والأخلاق الحميدة التي قادتها الحياة المادية المعاصرة قد وصلت بمعاولها إلى جدار العفاف, فهدمت منه ما هدمت، وخدشت منه ما خدشت, فشجّعت على الجريمة الجنسية، والانحراف الأخلاقي، بل وقنّتت للفاحشة وأهلها، وفتحت لهم أماكن الدعارة من مراقص وملاهٍ وفنادق, وشواطئ، وغير ذلك وحرستها ليأمن مجرموها في الجريمة. بل صار الحال في بعض البلدان أن كل شيء له ثمن إلا الأعراض!

ونظراً لانتصار الكفار في الحياة المادية، وامتلاكهم وسائل التأثير والسيطرة بدأوا يصدرون قذرهم ونجسهم إلى بلدان المسلمين سراً وعلناً تحت مسميات مختلفة.

أو ذهب بعض المسلمين إليهم مستورداً: إما بتجارة وإما بدراسة وإما بعمل وإما بغير ذلك, فرجع إلى قومه وبلاده ليجرح العفاف أو ينحره بقوله أو بفعله.

عند ذلك رفعت الفاحشة رأسها، وطفقت تفشو بين المسلمين حتى صارت ظاهرة في بعض بلدانهم، وأصبحت مظهراً من مظاهر التقدم والتطور- زعموا -، وأضحى الحياء والطهر والعفاف صورة من صور الرجعية والتأخر، هكذا يقولون أو يظنون، ألا ساء ما يحكمون.

فسبحان الله! كيف تغيرت المفاهيم، وانقلبت الفطر كما انقلبت فطر قوم لوط فلاموا لوطاً ومن معه على العفاف والطهارة, قال تعالى: {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ }[الأعراف82].

قال بعض الأدباء: " كانت العفة في سقاء من الحجاب موكوء فما زال عطشى الرذيلة يثقبون في جوانبه كل يوم ثقباً, والعفة تتسلل منه قطرة قطرة، حتى تقبض الوكاء وتكرَّش, ثم لم يكفهم ذلك حتى أرادوا أن يحلّوا وكاءه حتى لا تبقى فيه قطرة واحدة ".

أمة الإسلام، إننا بحاجة إلى الحديث في هذه الموضوع المهم؛ حفظاً لأعراضنا، وصيانة لمجتمعاتنا، ومعذرة إلى ربنا؛ لعل أصحاب الرذيلة إلى ربهم يرجعون، وجميعَ المسلمين يعون الخطر فينتبهون.

وإن الشر بدأ يتفاقم على المجتمعات الإسلامية المحافظة على عفافها كهذا المجتمع الذي نعيش فيه, فظهرت أعمال، وأقيمت منتديات، وسوقت دراسات قانونية لإقرارها وإلزام الدولة بها, لتصبح الجريمة بعد ذلك محمية بالقانون!

أيها المسلمون، إن دين الإسلام دين العفاف والطهارة؛ لأنه مصلحة في عاجل الناس وآجلهم، وإن بقاءهم في سلام مرهون ببقاء العفاف فيهم, والناظر في هذه الشريعة المحمدية يرى أن الإسلام يدعو إلى التمسك بالعفاف، والحفاظ عليه، والدفاع عنه من كل صيالة.

يذكر أحد الدعاة في بلاد الغرب أن امرأة ألمانية جاءت لتعلن إسلامها بين يديه فسألها -قبل أن تعلن الشهادة؛ ليعلم دوافع إسلامها وصدقها في ذلك؛ فإن حالنا نحن المسلمين لا يسر حبيباً، قال: ما سبب إسلامك؟ فقالت: أنا أسلمت؛ لأن الإسلام دين العفة, ثم ذكرت قصة حدثت كانت سبباً لإسلامها.

عباد الله، إن الإسلام لا يحارب الفطرة الجنسية، ولكنه يوظفها التوظيف الصحيح, فقد دعا الإسلام إلى الزواج؛ لأنه أعظم وسيلة لقضاء الوطر من غير خطر على البشر, فقال تعالى: {فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ }[النساء3].

وحث في الزواج على اختيار الزوج والزوجة الصالحين، فالعفيف هو الذي يقبل به أولياء المرأة زوجاً لموليتهم، والعفيفة هي التي يقبلها المسلم العاقل زوجة له، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) ([[166]](#footnote-166)).

وقال: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) ([[167]](#footnote-167)).

فالفاحش الزاني لا يزوج من بنات المسلمين, والفاحشة الزانية لا يرغب فيها ذوو الشرف والطهارة من أهل الإيمان حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحا قال تعالى: {الزَّانِي لَا يَنكِحُ إلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }[النور3].

إن الإسلام يدعو -عند العجز عن الزواج- إلى الصبر والصوم طلباً للعفة, قال تعالى: ({وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ..}[النور33], وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن يستعفف يعفه الله ) ([[168]](#footnote-168)).

وقال: (يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء ) ([[169]](#footnote-169)).

والإسلام يأمر المسلم والمسلمة بغض البصر وعدم إطلاقه, قال تعالى: ({قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ }[النور30-31]؛ لأن البصر رائد الفجور وطريق الشرور.

والإسلام يدعو الرجل إلى الغَيرة على حرماته ونسائه, قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: يا رسول الله، لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ( أتعجبون من غيرة سعد! والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن) ([[170]](#footnote-170)).

فالرجال أساس عفة النساء، فإذا عفوا وغاروا حافظت النساء على عفافهن، وإذا فحشوا فالنساء تبع لهم, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم)[رواه الحاكم والطبراني].

قال الغزالي: "ثمرة الحمية الضعيفة قلة الأنفة مما يؤنق منه من التعرض للحرم والزوجة، واحتمال الذل من الأخسّاء، وصغرُ النفس، والقماءة، ومن ثمراته: عدم الغيرة، وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب؛ ولذلك قيل: كل أمة ضعفت الغيرة في رجالها ضعفت الصيانة في نسائها".

وينسب للشافعي أنه قال:

عفوا تعفَّ نساؤكم في المحرم وتجنـــــبوا مالا يليق بمســـلم

إن الزنـا دَين فإن أقرضــــــته كان الزنا من أهل بيتك فاعلم

وحفاظاً على العفاف فإن الإسلام يدعو الأبوين إلى تربية البنين والبنات ابتداء بالقدوة الحسنة: الأب للأبناء، والأم للبنات، ثم بالمراقبة والمتابعة, فاليوم جيوش الفاحشة والرذيلة ومحاربو العفاف والفضيلة يصلون إلى البيوت من غير سلاح عبر القنوات الفضائية، ومواقع النت الإباحية، وصفحات الاتصال الاجتماعية، والمكالمات الهاتفية, ورسائل الجوالات الوقحة.

فلينظر الأب والأم ماذا يُعرض في البيت، وماذا يفعل الأبناء والبنات قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }[التحريم6].

وحفظاً لعفة المرأة وسلامتها دعاها الإسلام إلى لزوم بيتها، وأن لا تكون خرّاجة ولاّجه إلا لحاجة قال تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى..}[الأحزاب33].

ونهاها عن التبرج والسفور وإبداء المفاتن والتلاعب بالحجاب، واختيار الملابس والأحذية والحقائب التي تجذب أعين الناظرين فقال تعالى: { وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ }[النور31]، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }[الأحزاب59].

ونهاها عن الخضوع بالقول وترقيق الصوت وتمليحه لينال إعجاب الرجال, فقال تعالى: { إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً }[الأحزاب32].

وحفظاً للمرأة من مفترسي البشر نهاها الإسلام عن السفر بلا محرم، وعن الخلوة برجل ليس زوجاً ولا محرماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لامرأة أن تسافر ثلاثا إلا ومعها ذو محرم منها ) ([[171]](#footnote-171)).وقال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت) ([[172]](#footnote-172)).

ومن الخلوة ما يحدث في أماكن العمل بين الموظف والموظفة منفردين، وما يجري في وسائل المواصلات كسيارات الأجرة بين السائق والراكبة وحدهما.

أيها المسلمون، إن من حرص الإسلام على عفة المجتمع أنه شرع إقامة الحدود على الزناة والزواني، ومرتكبي جريمة اللواط, فقال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ }[النور2]. وقال في المحصن في الآية المنسوخة لفظاً الباقية حكماً: {الشيخ والشيخ إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله }.

وأقام رسول الله هذا الحد بنفسه على مرتكبيه كما في قصة ماعز, وقصة الغامدية, وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)([[173]](#footnote-173)).

والحدود زواجر تردع الناس عن فعل الكبائر.

أمة العفاف والطهر، إن العفاف في الدنيا شجرة ثمراتها: تقوية عود الحياء بين الرجال والنساء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الحياء لا يأتي إلا بخير ) ([[174]](#footnote-174)).

ومن ثمراته: الرفعة، وطيب السمعة بين الناس، ونيل اللذة بالحلال, فيوسف عليه السلام حينما قالت له امرأة العزيز: هيت لك فقال معاذ الله، فإن الله رفع شأنه، وجعله على خزائن مصر، وفي بعض الأخبار أن العزيز مات فتزوجت زوجته بيوسف، والله أعلم، فما عرض بالحرام ناله بالحلال, ومن ثمرات العفاف: صلاح البيوت وسلامتها من الحرام وتلطيخ الفرش، فمن حافظ على أعراض الناس دافع الله عن عرضه، والجزاء من جنس العمل.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: (أدنه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء) ([[175]](#footnote-175)).

ومن الثمرات اليانعة والنافعة في الآخرة للعفيفين والعفيفات الاستظلال بظل الله يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-كما في الصحيحين-: (سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله،.... ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله).

ومن أعظم الثمرات: دخول الجنة والنجاة من النار قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ{5} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ{6} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ{7} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ{8} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ{9} أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ{10} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ{11}[المؤمنون 5-11]).

فما أحسن أثر العفاف والصيانة، وأعظم عوائده النافعة! وطوبى للعفيفين والعفيفات، وهنيئاً لهم بالفوز بحسن السيرة، ونيل الدرجات في الجنات.

فنسأل الله الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى، ومن العمل ما يرضى.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المنعم الرحيم، العفو الحليم، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وصخبه أجمعين،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن بعض الناس لا ينتبه من غفلته، ولا يستيقظ من رقدته إلا وقد وقع الفأس على الرأس، وصال العدو على الفراش, فصار بعد ذلك يرقع الثوب بعد أن لم يستجب لنصائح الناصحين، ويتأمل في عظات الواقع المرير، وكان الأمر إليه لو حافظ على عفته وعفاف نسائه, فخرج الأمر بعد هذا من بين يديه، وأصبح أمام أعين الناظرين، وفي مسامع السامعين، ولربما قال عند الفضيحة: ({يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً }[مريم23]).

إن تساهل الأبوين أو الزوجين أو الأبناء والبنات في إراقة ماء العفاف وخدش جدران الصيانة والنزاهة يسوق إلى شقاء الدنيا والآخرة.

فكم يبذل الإنسان للمحافظة على سمعته وسمعة أسرته من أموال وجهود، لكنه قد لا يفكر في أسباب الحفاظ على عفته وعفة زوجته وبناته وأبنائه وإزالة كل ما يخدش العفة فتحصل المصيبة، وتسود الوجوه بعد أن كانت مبيضة، وتُنكس الرؤوس بعد ما كانت مرفوعة، وتضيق الأرض بعد أن كانت فسيحة.

إن بعض الزوجات اللاتي ضعف خوفهن من الله وذهب حياؤهن إذا عرفت أن زوجها فارق حصن العفاف وصار له عشيقات وخليلات يعاشرهن بالحرام فإنها قد تخون زوجها وتلطخ فراشه جزاء خيانته, وهذا فعل شائن، وعقوبة غير مشروعة.

لكن أقول: من أراد بقاء عفاف زوجته فليكن عفيفاً، ومن رام طهارة فراشه فليكن شريفاً نظيفاً.

عباد الله، إن بعض المشكلات الأسرية في المجتمعات خصوصاً المشكلات الزوجية منها قد تكون بسبب ضعف المحافظة على العفة, فقد يكون الطلاق والشجار واللعان والعداوات نتائج طبيعية لقلة المبالاة بالعفاف، وأحياناً تمتد المشكلات إلى القتل بين الزوجين أو أقاربهما لهذا السبب، فهل فكر ضعفاء العفة في هذا!.

أيها المسلمون، إن من أفتك الأمراض المنتشرة في عصرنا: الأمراض الجنسية كالإيدز ونحوه؛ فإنه يموت في العام الواحد آلاف الناس بسببه، بل هناك إحصائيات مفزعة تقول إحداها: إن عدد المصابين بهذا المرض منذ اكتشافه إلى عام 1996م بلغ 27 مليوناً، وعدد المصابين كل يوم 8500 مصابٍ, وهذه الأمراض إنما جاءت عقوبة معجلة من الله تعالى لأولئك الذين ركبوا قطار الفاحشة، وتركوا الحلال الطيب، ولا يظلم ربك أحدا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم ) ([[176]](#footnote-176)).

معشر الغيارى الكرام، إن حد الله لو أقيم على هؤلاء الجناة: رجماً للمحصن، وجلداً للبكر لقلّت الفاحشة، وذهبت هذه الأمراض عن المجتمعات المسلمة حينما يرتدع الناس ويتركون سبل الغواية, لكن الحد لما عُطل فشت الجريمة فجاءت الأمراض الفتاكة نتيجة حتمية لها.

أما عقوبة الآخرة فيقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً{68} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً{69} إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً{70}[الفرقان 68-70] ), وفي صحيح البخاري أن رسول الله رأى في المنام -ورؤيا الأنبياء وحي- ثقباً مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات فاطلع فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة يأتيهم لهب من أسفل منهم فسأل عنهم فقيل له: هم الزناة والزواني.

فيا أيها المسلمون، هذا نداء للقلوب الواعية، والعقول المفكرة الصافية، نداء لكل من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد: الحفاظَ الحفاظَ على العفاف، والحذرَ والحذرَ من إهداره، وتعريضه للشمس المؤذية، والمآلات المخزية.

فكن أيها الأب عفيفاً فأنت قدوة لأبنائك، وكوني أيتها الأم عفيفة فأنت قدوة لبناتك.

والابتعادَ الابتعادَ عن أسباب إذهاب العفاف وتحجيمه وتعريته: من مشاهدة المسلسلات, والتعلق بالصور والأغنيات الماجنات، ودخول المواقع الإباحية، وإقامة العلاقات المحرمة فقد يكون أول البلاء رسالة أو مكالمة، فاقطع الشر عن نفسك من أوله، ولا تسلم قلبك إلى كف غيرك؛ فالشهوة بحر مغرق، وشهاب محرق.

وأخيراً أقول: من بُلي بشيء مما يخدش العفة والحياء, رجلاً أو امرأة, فلا ييأس ولا يقنط وليرجع إلى رشده وصوابه، وإلى باب ربه تائباً منيباً، فالله يفرح بتوبة التائبين، وبكاء المذنبين المنيبين بين يديه، وليستر نفسه ولا يحدث بجريمته إلا من يغفرها، ويرحمه على التوبة منها، والعزم على عدم العودة إليها, قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }[الزمر53].  
نسأل الله أن يحفظ أعراضنا، ويستر عوراتنا، و يؤمن روعاتنا, ويكفينا بحلاله عن حرامه، ويغنينا بفضله عمن سواه.

وصلوا وسلموا على خير البشرية..........................

# الزواج طريق إلى العفاف ([[177]](#footnote-177))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].( {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }الأحزاب70-71]

أما بعد:

فأيها المسلمون، اعلموا-رحمني الله وإياكم- أن الزوج الشرعي بأركانه وشروطه المعروفة وسيلة عظيمة من وسائل حفظ حصن العفاف من التصدع والانهيار؛ فإن الله قد فطر الرجلَ ميّالاً إلى المرأة، والمرأةَ ميّالة إلى الرجل، وكيف لا يكون ذلك والرجل أصل المرأة، والمرأة فرع مخلوق من الرجل الأول: آدم عليه السلام قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

وهذه الجبلة والفطرة بين الذكر والأنثى هي التي حفظت الإنسانية من الانقراض والفناء، وأمدتها بالتكاثر والبقاء.

ولا عيب في هذا الميل المتبادل بين الجنسين؛ لأنه: { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[الروم30].

وإنما العيب فيه حين تستولي هذه الفطرة الجنسية على لب صاحبها ذكراً أو أنثى فتجمح به للجنوح عن الطريق السوي الذي شرعه الله الحكيم الخبير لقضاء الوطر فيحيد عنها ليسلك مسالك الرذيلة، ويلج موالج القذر وقتل الحياء والعفاف والفضيلة.

ولا ريب -يا عباد الله- أن الانحراف بهذه الفطرة عن الطريق المشروع قد لقي في عصرنا ترويجاً وتشجيعاً وقُلِّد أصحابُه نياشينَ التقدم والتطور والتنور. ويعلم روّاده -قبل غيرهم- أنه طريق الفناء والشقاء بما يجلبه من الأمراض الجنسية القاتلة من الإيدز والزهري والسيلان وغيرها, وإن الأيام حبالى بكوارث أخرى نتيجة انتهاج هذا الطريق المعوج، وورود هذا المستنقع الآسن، غير أن المستقين-مع هذا- في ازدياد وتماد.

ولكن:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا ذهب النُّهى الوضَّاء أضحتْ |  | فعالُ المرء أشبهَ بالجنون |

أيها المسلمون، إن الله شرع لخلقه طريقاً مستقيماً نظيفاً لأداء متطلبات هذه الفطرة، فشرع لهم الزواج المتعارف عليه بين البشر, على اختلاف الشرائع في تحديد طرق إنشائه واستقراره، ليخلد بيننا -نحن المسلمين- على الكيفية التي جاء بها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم, بولي وشاهدين، ومهر مقدم من الزوج للزوجة.

ولذا فالزواج في الإسلام اطمئنان واستقرار، وراحة وهناء، وطهارة ونقاء، وعزة ورفعة، وإحصان وعفة، وغض للبصر عن الحرام قال رسول الله: (يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء ) ([[178]](#footnote-178)).

والزواج مودة وسكن يجمع قلبين في عش واحد دون سابق عهد باللقاء؛ فتنبت بينهما الرحمة والوفاء، وبذلك يكون آية من آيات الله في خلقه قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[الروم21].

والزواج حفظ للأنساب، ووسيلة للتآلف والاجتماع بين الأسر المتباعدة؛ فبه تصبح تلك الأسر متآزرة قوية.

والزواج بناء لأسرة جديدة في المجتمع تحفظه من الفواحش، وترفده بالعطاء السخي من الأعمال النافعة، والذرية الصالحة؛ فإن الزوج يشعر بالمسؤولية فينطلق لطلب الرزق والعمل فينفع نفسه، وينفع مجتمعه بدلاً من الفراغ القاتل الذي يعانيه بعض العاطلين عن الزواج.

والزواج تكثير للأمة المحمدية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر الأنبياء يوم القيامة ) ([[179]](#footnote-179)).

وقد أدرك أعداء هذه الأمة خطر تكاثرها عليهم، فراحوا يعملون كل الأسباب التي تحدُّ من فيضان أعداد أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكثرة الخصوبة البشرية فيها.

والزواج سبيل الصالحين، واتباع لسنة المرسلين، والانقطاع عنه، والزهد فيه شعار الجاهلين، وطريق المخفقين في حياتهم, قال الله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ }[الرعد38]، وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- سألوا أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء. وقال بعضهم: لا آكل اللحم. وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه. فقال: (ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا! لكنى أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منى ).

أمة العفاف والطهر، إن الزواج في الإسلام يقوم على قواعد راسخة لتحقيق غايات حميدة سامية، فهو ليس التقاءً آنياً لقضاء الشهوة كما تفعل المخلوقات الأخرى، وإنما هو التقاء دائم لإنشاء لبنة ناصعة جديدة في جدار المجتمع النقي، وعشرة سعيدة، سلوكها المعروف المتبادل, قال الله تعالى: { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ }[النساء19]. وقال: { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ }[البقرة228].

وليس الزواج في الإسلام إهداراً للكائن البشري، وتضييعاً لوسيلة نموه وبقائه, بل هو قضاء للوطر، وبذر لكائن جديد من البشر يعقب أباه بعد انتهاء العمر لتستمر حياة الناس.

ولهذا حث الإسلام على استثمار الزواج بالذرية الصالحة التي تنفع الأبوين بعد موتهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له ) ([[180]](#footnote-180)).

وليس الزواج في الإسلام تضييعاً للمرأة كما هو الحال في المجتمعات الكفرية، ومن يحذو حذوها, وليس جعلاً للمرأة مطية للتمتع، فإذا انتهت الاستفادة منها أُهينت وضاعت وجاعت، بل الزواج في الإسلام إكرام للمرأة، وحفظ لها، وإنفاق عليها، ورعاية لها صغيرة وكبيرة حتى الموت.

ولهذا حث الإسلام على الإحسان إلى النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استوصوا بالنساء خيرا ) ([[181]](#footnote-181)) .

وجعل النفقة على الزوجة من الأعمال المأجور عليها إذا صلحت النية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت فيها، حتى ما تجعل في في امرأتك) [متفق عليه], وبيّن صلى الله عليه وسلم أن خير الناس خيرهم لأهله, فقال: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي ) ([[182]](#footnote-182)).

هذا -يا عباد الله- هو الزواج في الإسلام، إنه تحصين وبناء، وإكرام ونماء، وأمان وصحة وهناء.

إن الــــــزواج سحابــــة هتّانــــــةٌ تسقي الحياةَ جلاءها وهناءها

تكسو النفوسَ بطلِّها إشراقةً تُهدي الـــوجوه ضياءها وسنـــاءها

تأســو جراح الأرض حين سخـائها ولها تكون دواءها وشفاءهــا

ومن هنا نعلم -إخواني الكرام- قبحَ وخطر وضرر العلاقات الجنسية المحرمة على الفرد والمجتمع والإنسانية كلها.

ونعلم كذلك أن أي علاقة -ولو سُميت زوجية- خلتْ من أركان وشروط النكاح في الإسلام ومقاصده السامية فهي علاقة وارتباط لا تقره شريعة الإسلام النقية.

ومن ذلك ما ظهر أخيراً وعُرف باسم الزواج العرفي الذي يقوم على اتفاق رجل وامرأة على الزواج دون ولي من أقارب المرأة، ودون مهر من قبل الزوج. وإنما مقصده: المعاشرة الجنسية، ليستمر هذا الارتباط المحرم أياماً أو شهوراً ثم يلقي الرجل المرأة بعد ذلك ليبحث عن فريسة أخرى، لتصبح المرأة هي الضحية في النهاية حينما نحرت عفافها، وفضحت أهلها، ودمرت مستقبل حياتها، خاصة لو حصل هناك حمل.

أيها المسلمون، إن البعد عن الزواج- ممن تيسرت له أسباب الزواج وليس لديه موانع شرعية أو صحية- نذير شؤم، وعنوان هلاك؛ فإن الفطرة مهما دفنت فإنها ستنبعث من جديد، ولو طالت السنون، وتنتصر على صاحبها ولو تكاثفت الموانع، فإن وجدت حلالاً وإلا فستذهب في طريق الشذوذ والانحراف والفاحشة من زنا أو لواط وعادة سرية مقيتة، وعند ذلك تحل المصائب وتعم الكوارث.

كم أثمر البعد عن الزواج -مع القدرة عليه- من تجاوز بعض الشباب سنَّ الطاقة والفتوة والقوة، وأوصل بعض الشابات إلى سجن العنوسة، وفوات قطار الزواج، وهناك إحصائيات مهولة لظاهرة العنوسة في المجتمعات المسلمة وخاصة المتقدمة منها.

وقد نتج عن ذلك أمراض نفسية وانتحارات وانحرافات كثيرة.

ولو سلك الناس منهج الإسلام لما أصبحت هذه الأمور ظواهر مخيفة بين أهل الغيرة والطهر.

أمة الإسلام، إن أعداء هذه الأمة لا يريدون طهارتها وتكاثرها وصلاحها؛ ولهذا فقد سعوا بجهود كبيرة وأعمال كثيرة لتصبح مجتمعاتنا منحلة كمجتمعاتهم, تُربّى فيها الجريمة، وتوأد فيها الفضيلة والعفة.

ففي أمريكا تعرف ولاية لوس أنجلوس بأنها عاصمة حوادث الاغتصاب في العالم، وتعتبر واحدة من كل ثلاث فتيات معرضة للاغتصاب، وفي تقرير نشرته وزارة العدل الأمريكية عن جرائم 1977م جاء فيه: تغتصب فتاة كل ثمان دقائق في الولايات المتحدة، وارتكبت خلال ذلك العام 63.022 جريمة اغتصاب. وذكرت إحصائية جديدة أنه يتم اغتصاب 1900 فتاة يومياً في أمريكا. و 20% يغتصبن من قبل آبائهن، وفي إحصائية أخرى صدرت في أمريكا عام 1997م أنه في كل ثلاث ثوان تغتصب امرأة أي: بمعدل 20 حالة في الدقيقة.

فيا أمة العفاف، هذا في جريمة الاغتصاب فقط، فكيف بالجريمة التي قامت على التراضي والتوافق! إنها أكثر من ذلك بلا شك.

عباد الله، إن أعداء هذه الأمة قد روّجوا مفاهيم خاطئة بين المسلمين عن الزواج, ومن ذلك: أهمية تأخير الزواج على التعليم والصحة ونحو ذلك، وأن الشاب والشابة لا يتزوج إلا بعد إنهاء دراسته أي: بعد أن تذهب زهرة العمر، خصوصاً المرأة، حيث يقل الراغبون فيها بعد تقدمها في السن.

والعاقلة من الفتيات تعلم أن شهادتها الحقيقية أن تكون زوجة، وأن مستقبلها المشرق أن تكون أماً. والعاقل من الشباب يعلم أن استقراره النفسي، وتقدمه الدراسي يكون بالزواج لا بتركه، إذا كان قادراً عليه.

عباد الله، إن الكلام في الزواج المبكر لم يعد في أيامنا -وخاصة في بلادنا- ترويجاً بل يراد سنُّه قانوناً يُجرَّم من يخالفه، وهذا التوجه المشبوه يعد جريمة في حق الحياة والأحياء.

فلو كانت هذه المنظمات الداعية إلى هذا صادقة وحريصة على المرأة في هذه البلاد وغيرها فلتساهم في مساعدة النساء العوانس اللاتي قد بلغن الثلاثين والأربعين فلتبحث لهن عن أزواج، وتكوِّن لهن أسراً سعيدة، وتخرجهن من كآبة الحزن. لكنا لم نسمع إلى الان أن هذه المنظمات تقوم بمثل هذا العمل لتعف المجتمع.

إن على المسلم أن يعلم أن ابنه أو ابنته متى ما بلغا بأي علامة من علامات البلوغ فقد صارا صالحين للزواج, فلا يؤخرهما ما دامت الأحوال صالحة لذلك. نعم، لا يمكن أن تأتي هذه المنظمات الكاذبة لتكون أرحم بالإنسان من خالق الإنسان سبحانه وتعالى الذي أباح للإنسان الزواج متى ما بلغ.

أيها المسلمون، إن هناك معوقات قد تقع في طريق الزواج أمام الراغبين فيه, ألا وإن شبح هذه المعوقات ومقدمها: شبح غلاء المهور وكثرة تكاليف العرس.

فأقول: على الآباء أن يعلموا أن البنات لسن تجارة للبيع، من جاء بالأكثر تزوجهن، وإلا قعدن في البيوت حتى تغلو السوق، إن حنان الأبوة يحمل الأب على إسعاد ابنته، فإذا وجد لها طالباً فإنه لا ينظر إلى ماله، بل إلى دينه وخلقه، فأنت أيها الأب إذا وجدت لبنتك خاطباً صالحاً فقد كسبت ابنا جديداً إذا زوجته، ولو أعنته من مالك، وإن جاءك غيرُ صالح فزوّجته فقد خسرت بنتك ولو دفع لك مالاً كثيراً.

ثم ليعلم الأب والبنت والأسرة كلها أن الزواج السعيد ليس بالمباهاة بكثرة الذهب والملابس والحفلات والصالات، فمصلحة البنت بالزواج-ولو قلّت هذه الأمور- أولى من البقاء في كهف العنوسة المظلم.

أيها المسلمون، إن بعض الفتيات عندهن حرص على الزواج، لكن قد تحصل منهن بعض الأخطاء في سبيل الوصول إليه، ومن أخطر ذلك عليهن:

إقامة العلاقات قبل الزواج للتعرف عبر الاتصالات والرسائل واللقاءات، ولو بعد الخِطبة إذا لم يكن هناك عقد, فكم من فتاة خسرت عفتها وأعظم ما تملك في حياتها قبل أن تصل إلى زوجها. وكم من فتاة ألقاها من كانت تحبه وتتواصل معه قبل الزواج في مهب الأسى وشواطئ البكاء، وقال لها: أنت لا تصلحين أن تكوني أماً لأولادي، وقد عملت هذه الأعمال؛ فأخشى أن تصير بناتي مثلك.

ويقول الآخر بعد أن نال ما يشتهي: لا أريد أن أتزوجك؛ لأنك قد خرجت معي، وستخرجين مع غيري إذا تزوجتك, ويقول الثالث -بعد أن قضى وطره وحاجته منها: كيف أتزوجك؛ فربما تخونينني بعد الزواج مثلما خنت أهلك ونفسك.

هذه الأقوال-يا عباد الله- حقائق، وليست مقالات خيالية، وفي الواقع أكثر من ذلك.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا، ويحفظ نساءنا وبناتنا.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

أيها المسلمون، ذكرنا في أول الخطبة أن الزواج أعظم وسيلة للعفاف فكيف يكون كذلك؟

يكون الزواج وسيلة للعفاف إذا حصل حسن الاختيار بين الزوجين, فيختار الزوجُ الزوجةَ التي تملأ عينه وقلبه، وتعف نفسه، وتحفظ شرفه وأولاده, وكذلك تفعل المرأة.

مع العلم أن الحصول على زوجة أو زوج توفرت فيه جميع صفات الكمال المطلوبة غير ممكن، ولكن إن كره منها شيئاً رضي منها آخر؛ ولذلك جاء الحث في الشريعة على استحباب النظر بين الخاطبين فتنظر إليه، وينظر إليها حتى يستقر الاختيار، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: (أتيت النبي صلى الله عليه و سلم فذكرت له امرأة أخطبها فقال:" اذهب فانظر إليها؛ فإنه أجدر أن يؤدم بينكما"، قال: فأتيت امرأة من الأنصار فخطبتها إلى أبويها، وأخبرتهما بقول رسول الله صلى الله عليه و سلم فكأنهما كرها ذلك، قال فسمعتْ ذلك المرأةُ وهي في خدرها فقالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرك أن تنظر فانظر، وإلا فإني أنشدك، كأنها عظمت ذلك عليه، قال فنظرت إليها فتزوجتها، فذكر من موافقتها)([[183]](#footnote-183)).

ومعايير الاختيار قد بينها رسول الله صلى الله عليه سلم وهي: الدين والخلق.

ويكون الزواج وسيلة للعفة حينما يؤدي كل من الزوجين حقوق الآخر, فمن حقوق الزوج على زوجته: طاعته في غير معصية، وخدمته من دون مشقة غير محتملة، وإعفافه من غير إحواجه إلى غيرها، وتزينها له، وحرصها على فعل وقول ما يرضيه.

ومن جانب آخر على الزوج أن يؤدي حق زوجته:

فمن حقوقها عليه: النفقة عليها بقدر ما أعطاه الله، وصيانتها وإعفافها بقدر الطاقة، وحسن معاشرتها بالقول والفعل.

وإذا عرضت مشكلة بينهما فهناك حلول لها بينتها الشريعة البديعة.

ويكون الزواج وسيلة للعفة-إذا لم تكف زوجة واحدة- بتشريع التعدد للرجل: أن يتزوج أكثر من واحدة قال الله تعالى: { فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ }[النساء3].

والقوانين التي تجرِّم ذلك إنما تريد فتح أبواب الحرام للأزواج.

والنساء اللاتي يمنعن أزواجهن ما أباح الله لهم إنما يعرِّضن أزواجهن للخطيئة، أو الحبس في المعاناة، والكره للبقاء معهن.

فيا أيها المسلمون، هذا هو الزواج الذي شرعه الله تعالى ليكون سبيلاً إلى العفة والسعادة في الدنيا والآخرة, وقارنوا في هذه العلاقة العظيمة بين المجتمع المسلم والمجتمعات الكفرية التي تتجرع يوماً بعد يوم آثار الإباحية والانحلال الأخلاقي.

فكونوا-عباد الله- يدَ إعانة ومساندة لإنشاء الأسرة المسلمة القائمة على هذه القاعدة الثابتة. وفي هذا المقام يطيب لنا أن نشكر كل ساع وباذل ومنفذ لأي مشروع يجلب العفاف للبيوت المسلمة، ومن تلك الأيادي البيضاء: المؤسسات والجمعيات الخيرية التعاونية التي تُعنى بهذا الموضوع، فبارك الله في جهودهم، وأجزل لهم المثوبة.

ونسأل الله الهدى والتقى والعفاف والغنى.

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة محمد بن عبد الله....

# عفاف الطرْف ([[184]](#footnote-184))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].( {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71]

أما بعد:

أيها المسلمون، اعلموا أن العين آية من آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعظمته، وعلمه ورحمته, خلقها الله فأبدع خلقها، وأودع فيها عجائب صنعه من حسن الخلقة، ودقة الصنعة وبديع التكوين والتركيب، وعوامل البقاء والحفظ والحماية، وآيات الجمال والتزيين.

فـ:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سبحان من برأ العيونَ وزانها |  | وأقامها بين الجفون وصانها |
| وأنارها من فيض قدرته التي |  | أهدت لها دون البلاء أمانَها |
| خُلقتْ لتبصِر أيَ صنع إلهها |  | يا ويح من جعل الهوى ميدانها |

عباد الله، خلق الله العينين ليرى الإنسان بهما هذا الكون بما فيه من دلائل الوجود للواحد المعبود جل جلاله، وبما فيه من علامات القوة والقدرة لخالقه القدير عز وجل، وبما فيه من مظاهر الحسن والجمال، ومتعة الإبصار والأنظار في خلق البديع الجميل سبحانه وتعالى.

وخلق الله العينين ليرى بهما الإنسان منافعه ومصالحه، ويبتعد بهما عن مضاره وما يجلب له الشر في الدنيا والآخرة، ويكتسب بهما المعرفة والعلم قال تعالى: {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[النحل78].

ويعرف الإنسان قدر هذه النعمة أكثر حينما يفقد شيئاً منها، أو تذهب عليه كلها، أو عندما يرى الأعمى والأعور والأعشى والأعمش ومن به شيء من عيوب النظر؛ ولهذا يعظم أجر من أصيب بفقدها فصبر عليها, ففي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه -يريد عينيه- ثم صبر عوضته الجنة ) .

معشر المسلمين، إن البصر من أعضاء الإنسان التي يقع فيها الابتلاء والتكليف؛ فإن العبد قد يتقرب إلى الله تعالى بعبادات تقوم بها عيناه وقد يبتعد عن الله بمعاصٍ تنشأ من هاتين العينين ولهذا يُسأل عنهما يوم القيامة قال تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً }[الإسراء36].

أيها الأخوة الكرام، من العبادات التي تقوم بالعين: التفكر في خلق الله تعالى؛ لأن ذلك يهدي إلى التعظيم والاستقامة، فينظر في خلق السماوات والأرض قال تعالى: {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ }[يونس101],

وينظر إلى الحيوان و السماء والجبال و الأرض قال تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ{17} وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ{18} وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ{19} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ{20}[الغاشية 17-20]، وينظر إلى النبات وثمرات الأشجار قال تعالى: { انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[الأنعام99]،وينظر في كل ما على الأرض قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[العنكبوت20].

ومن العبادات التي تأتي من العين: السير في الأرض والنظر في مصارع المكذبين ومنازل عذاب الله للمعرضين, قال تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ }[آل عمران137]، ومن العبادات التي تحدث من العين: البكاء من خشية الله، والحراسة في سبيل الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله) ([[185]](#footnote-185)).

ومن العبادات التي تعملها العين: النظر في المصحف، وفي كتب العلم الشرعي النافعة.

أمة الإسلام، وفي الجانب الآخر هناك معاصٍ ترتكبها العيون، فتوصل صاحبها إلى المعاطب والمصائب فمن تلك الذنوب التي تجترمها العيون: النظر إلى الآخرين باحتقار وسخرية وتنقص، والله تعالى يقول لنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ }[الحجرات11].

ومن تلك الذنوب التي تجترحها العيون: النظر إلى ذوي النعمة بعين الحقد والطمع والحسد وتمني زوال النعم عنهم، وإرادة إصابتهم بالعين بما يضرهم ويؤذيهم, والعين قد تورد الرجل القبر والجمل القدر من تأثيرها.

ومن تلك الذنوب التي تجنيها العيون: التجسس على الآخرين وتتبع أخبارهم من أجل الإضرار بهم قال الله تعالى: { وَلَا تَجَسَّسُوا }الحجرات12]، , ففي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ولا تجسسوا ).

ومن المعاصي التي تعصي بها العيون خالقها: النظر في عورات الآخرين واستقراؤها، وجمعها من أجل إشهارها وإذاعتها كي يفضح أخاه بها أو يسخر منه بمعرفتها، أو جعل ذلك عامل ضغط عليه لتلبية مطالب معينة, سواء كانت هذه العورات بدنية أم عقلية أم عرضية أم غير ذلك, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة) ([[186]](#footnote-186)). و قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ( يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته ) ([[187]](#footnote-187)).

ومن ذلك:إرسال البصر إلى أبواب ونوافذ الناس وبيوتهم من أجل الشر، وقد أهدر الشرع الحكيم عين من فعل ذلك فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: (اطلع رجل من جُحر في حُجَر النبي صلى الله عليه و سلم، ومع النبي صلى الله عليه و سلم مِدرى يحك به رأسه فقال: ( لو أعلم أنك تنتظر لطعنت به في عينك؛ إنما جعل الاستئذان من أجل البصر ) ([[188]](#footnote-188))

وقال صلى الله عليه و سلم قال: (لو أن رجلاً اطلع وقال مرة: لو أن امرأ اطلع بغير إذنك فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح) ([[189]](#footnote-189)) .

أيها المسلمون، ومن الذنوب العظيمة التي تذنبها العيون: النظر إلى النساء غير المحارم، ونظر النساء إلى الرجال غير المحارم، وهذا موضوع حديثنا اليوم لارتباطه الوثيق بموضوع العفاف.

إخوتي الكرام، اعلموا أن الله تعالى أمر عباده رجالاً ونساءً بغض أبصارهم عن رؤية ما حرم عليهم إطلاق البصر إليه الرجال إلى النساء والنساء إلى الرجال؛ خوف الوقوع في الحرام أو الفتنة أو الشبهة والريبة، و هذا من باب سد الذرائع فقال تعالى: { قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ{30} وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ [النور 30-31].

فتأملوا معي في هذه الآية كيف خص الله المؤمنين بالأمر دون غيرهم، فالإيمان يدعوهم ويحملهم ذكوراً و إناثاً إلى ترك النظر إلى ما حرم عليهم في هذا الباب.

ثم كيف قال:( من أبصارهم), ولم يقل: يغضوا أبصارهم؛ لأن (مِن) هنا للتبعيض, فهناك نساء يجوز النظر إليهن كالمحارم, وأصناف أخرى سيأتي ذكرهن لاحقاً.

ثم كذلك ما الذي ذكره بعد غض البصر؟ إن الذي ذكره وعطفه على غض البصر هو حفظ الفرج؛ ليدل على أن أول طريق حفظ الفرج غض البصر, فمن أطلق بصره في الحرام يُخش أن يطلق فرجه فيه.

والنظر المحرم زنا كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: (فزنا العينين النظر ) ([[190]](#footnote-190)).

أيها المسلمون، إن نظر الفجأة من غير تعمد مع صرف البصر عند حصوله ليس فيه إثم, إنما الإثم والحرج في تكرار النظر وتحديقه ومتابعته, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: (يا علي، لا تتبع النظرة النظرة؛ فإنما لك الأولى-أي: لا إثم عليك فيها- وليست لك الآخرة ) ([[191]](#footnote-191))أي: تؤاخذ على النظر بعد الفجأة لو فعلت. على النظر وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبدالله قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري).

عباد الله، إن النظر المحرم سواء كان المنظور إليه بذاته الحقيقة أم صورت له صورة ثابتة أو متحركة في التلفاز أو الجوال أو السلع التجارية أو نحو ذلك كلها تأخذ حكم الحرمة, بل قد تكون الفتنة بالصورة أشد؛ لدوامها وقيام المحسنات والمجملات على تلك الصور.

أيها الناس، إن لله تعالى حِكماً فيما حرم على عباده، عرفنا ذلك أو لم نعرفه, وكل ذلك في مصالح العباد العاجلة أو الآجلة أو كليهما, وقد نظر العلماء إلى كتاب الله وسنة رسوله وفي الواقع فرأوا حكماً كثيرة لهذا التحريم.

يقول ابن القيم رحمه الله:" والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، وفي هذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده".

وقال القرطبي رحمه الله: "البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طريق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه".

ويكفي في هذا قول الله: ( ذلك أزكى لهم), فإنها جملة جامعة لقلة المبنى وسعة المعنى، وعموم الفائدة والنفع.

إخواني الكرام، إن النظرة المحرمة تجيء بسبب ضعف الإيمان بالله ووعيده، وقلة الخوف وضعف مراقبة علام الغيوب الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وتأتي أيضاً من عدم القناعة بما قسم الله للإنسان من الحلال إذا كان متزوجاً، فالسعادة في بيتك أيها الرجل، فلا تبحث عنها في بيوت الغرباء.

ويأتي الإقدام على هذه المعصية من ضعف الشخصية، وقلة الصبر والرجولة حينما أسلم الإنسان بصره إلى ما حرم الله عليه.

عباد الله، إن النظر إلى ما حرم الله تعالى ليس في درجة واحدة في القبح، بل يختلف ناظراً ومنظوراً وزماناً ومكانا, فالنظر من المحصن أقبح من البكر، ومن كبير السن أقبح من الشاب، ومن العالم أقبح من الجاهل، ومن القادر على العفاف أقبح من العاجز عنه، ومن المؤتمن أقبح من غيره هذا بالنسبة للناظر.

أما بالنسبة للمنظور إليه فالنظر بشهوة -والعياذ بالله- إلى المحارم أقبح من النظر إلى الأجنبيات، والنظر إلى الجارات أقبح من النظر إلى البعيدات، والنظر إلى المتزوجات أقبح من النظر إلى الخلّيات, والنظر إلى نساء من تربطك به صلة قرابة أو صهر أو صداقة أو وُد أقبح من النظر إلى نساء من خلا من ذلك.

وأما بالنسبة للزمان فالنظرة المحرمة في رمضان أقبح من غيره, وفي الحج أقبح من سواه كذلك, وأما في المكان, فالنظرة المحرمة في الأماكن المقدسة كالمساجد أقبح, خصوصاً المساجد الثلاثة، والتعرض للنظر والإيقاع في الفتنة مثل ذلك، والله أعلم.

عباد الله، إن النظر إلى ما حرم الله على الرجال من النساء, ومن النساء إلى ما حرم الله عليهن من الرجال يورث الأضرار والأخطار, فيفسد على الإنسان أعظم أعضائه وأهمها, وهو قلبه فالنظرة سم قاتل جاء من سهام العيون المطلقة إلى الحرام, قال العلاء بن زياد: "لا تتبع بصرك حسن ردف المرأة؛ فإن النظر يجعل الشهوة في القلب".

فالنظرة لها تعلق كبير بالقلب, ولذلك قال أطباء القلوب: "بين العين والقلب منفذ وطريق، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات، فلا يصلح حينئذ لسكن معرفة الله ومحبته".

فإذ أفسدت عليك قلبك فابك على نفسك؛ فأنت القاتل والقتيل, وصدق من قال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأنا الذي اجتلب المنيةَ طرفُه |  | فمن المطالَب والقتيل القاتل |

أيها المسلمون، إن النظرة المحرمة رسول البلاء، وبريد الفجور والمصائب، فامنع رسولك تنقطع عنك رسائل الشرور والحوادث.

فكيف لو علمت أن الشيطان يدخل عليك مع هذه النظرة، ويكون نفوذه أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي ليزين صورة المنظور إليه ويجعلها صنماً يعكف عليه القلب ثم يعده ويمنيه ويوقد على القلب نار الشهوات، ويلقي حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة؟

لو كان لصاحب النظرات المرسلات المجترحات عقل لكفه عن إطلاقه الخائب؛ لأنه لا فائدة من النظر، بل إنه يجلب الضرر، ويورث القلبَ الحسرات والكدر، والنفس التوجعات بدون حصيلة.

رأى رجل امرأة حسناء فجعل ينظر إليها ويملأ عينيه من محاسنها فقالت له:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وكنتَ متى أرسلت طرفك رائداً |  | لقلبك يوماً أتعبتك المناظر |
| رأيتَ الذي لا كله أنت قادر |  | عليه ولا عن بعضه أنت صابر |

إخوة الإسلام، هناك حالات يجوز للرجل أن ينظر معها إلى المرأة من غير المحارم, وهذا الاستثناء في هذه الحالات قد يكون حاجة أو ضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، بدون مجاوزة فمن ذلك:

جواز النظر بين الخاطب والمخطوبة إلى ما يدعو إلى الرغبة في النكاح، ويكون المنظور إليه الوجه والكفين من المرأة, وهذا نظر مستحب.

والحالة الثانية: النظر للمداواة, إذا لم توجد طبيبة ولا ممرضة تداوي النساء, فيجوز للطبيب أن ينظر من المرأة إلى الموضع الذي يحتاج إلى مداوة من غير مجاوزة حد موضع الألم.

والحالة الثالثة: جواز النظر إلى وجه المرأة للشهادة والمعاملة إذا احتيج إلى ذلك.

ويقاس على هذه الحالات التي ذكرها الفقهاء ما أشبهها بشروطها.

نسأل الله أن يصلح فساد قلوبنا، وأن يطهر ألسنتنا من الكذب، وأعيننا الخيانة والحرام.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن غض البصر عبادة عظيمة، وهذه العبادة تحتاج إلى تقوى ودين متين حتى يكون الإنسان من أهلها, كما أنها تستلزم مصابرة ومجاهدة، خاصة إذا كانت الدواعي ملحة, والموانع منصرفة، وهي أصعب من عبادة حفظ اللسان، كما ذكر ابن مسعود رضي الله عنه.

فمن ابتلي بإرسال طرفه إلى الحرمات فليتب، وليتذكر أن له نساء يكره من غيره أن ينظروا إليهن, وليعلم أن غض البصر يورث حلاوة الإيمان ولذته، وهي أطيب وأحلى مما تركه، و يورث أيضاً نور القلب وحياته وقوته.ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

ويكسب الإنسان راحة في بدنه، واطمئناناً في نفسه، ويحبسه عن الزلل، ومحالِّ العيوب والخطل, ويبعده عن الشواغل الذهنية، والأمراض البدنية والنفسية، وأسر الشهوات الشيطانية.

ولولم يكن من ذلك إلا الدخول في وعد الرسول صلى الله عليه وسلم وضمانه لأهل بعض الطاعات ومن ذلك غض البصر, لكفى بعد ذلك ربحاً وفوزاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، و أوفوا إذا وعدتم، و أدوا إذا اؤتمنتم، و احفظوا فروجكم، و غضوا أبصاركم، و كفوا أيديكم) ([[192]](#footnote-192))

فيا أيها المسلمون، فلنحبس عيوننا على طاعة ربها وما أبيح لها النظر إليه، ولنحذر إرسالها إلى الحرام، ولنربي أنفسنا على غض البصر والغيرة على محارمنا من نظر الآخرين، ولنأمر نساءنا وبناتنا بالستر والحشمة حتى لا يكن سبباً لنظر الناس إليهن.

ولنحذر ونحذِّر شبابنا من الجلوس في أماكن مرور النساء في الطرقات،وعلى أبواب المدارس والمراكز والجامعات، بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة.

وعلى النساء أن يتقين الله في حجابهن عند خروجهن وأن يتذكرن أن من يتسبب في معصية غيره عامداً فهو مشارك له في المعصية وأن يدفعن عن أنفسهن الشر باكتمال الحجاب ومشية الصالحات العفيفات.

وأن نعلم جميعاً -إخواني الكرام- أن التساهل في النظر والتمادي في إطلاق البصر قد يورد إلى المهالك ومضايق المسالك, ولقد صدق من قال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كل الحوادث مبداها من النظر |  | ومعظم النار من مستصغر الشرر |
| كم نظرة فتكت في قلب صاحبها |  | فتكَ السهام بلا قوس ولا وتر |
| والمرء مادام ذا عين يقلبها |  | في أعين الغيد موقوف على الخطر |
| يسر مقلته ما ضر مهجته |  | لا مرحباً بسرور جاء بالضرر |

هذا وصلوا على النبي المصطفى............

# درع العفاف: الحياء والحجاب ([[193]](#footnote-193))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].( {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71]

أما بعد:

عباد الله، إن مكارم الأخلاق هبة سنية من الله تعالى لمن يشاء من عباده، تغرس فيهم الائتلاف والتلاحم، والتعاون والتراحم، والأمن والمحبة والسعادة والهناء, وأي أمة ساءت أخلاق أهلها فإن معاول الهدم ستعمل فيها, وتُنشر عليها سحائب الشقاء وتستنزل إليها أسباب البلاء وعوامل الفناء.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

واعلموا عباد الله، إن عمدة هذه الأخلاق وسيدها خلق الحياء, يقول ابن القيم رحمه الله: "خلق الحياء من أفضل الاخلاق وأجلها وأعظمها قدرا وأكثرها نفعا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يقر الضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤد أمانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحرى الرجلُ الجميلَ فآثره، والقبيحَ فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئاً من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقا، ولم يصل له رحما، ولا بر له والدا؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي علوي وهو حياء فاعلها من الخلق، فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق، وإما من الخلائق لم يفعلها صاحبها".

إخوة الإسلام، إن خلق الحياء شعبة وخصلة من الإيمان, فمن لا حياء له لا إيمان له, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار ) ([[194]](#footnote-194)).

ولما كان كذلك أحبه الله وأحب المتصفين به من أهل الإسلام، فعن أشج عبد القيس أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن فيك خلتين يحبهما الله عز و جل قلت: ما هما؟ قال: الحلم والحياء، قلت: أقديماً كان فيّ أم حديثاً؟ قال: بل قديما، قلت: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما) ([[195]](#footnote-195)).

فلا عجب أن كان هذا الخلق هو خلق الإسلام الأعلى حتى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لكل ديناً خلقاً، وخلق الإسلام الحياء) ([[196]](#footnote-196)) .

فإذا رفع هذا الخلق من بين الناس فقد رفعت من بينهم أعظم نعمة عليهم ألا وهي نعمة الإيمان قال رسول الله: (إن الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) [رواه البخاري في الأدب المفرد]

معشر المسلمين، إن خلق الحياء يدعو صاحبه إلى ملازمة الفضائل، والبعد عن الرذائل، ومن الفضائل: القيام بطاعة الله تعالى، ومن تلك الطاعات: العفاف وصيانة العرض.

ومن الرذائل ارتكاب المعاصي والذنوب المتعلقة بحق الله، أو بحق الناس، ومن تلك المعاصي خدش جدار العفة بالجرائم الجنسية ومقدماتها, فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استحيوا من الله حق الحياء، قال: قلنا: يا رسول الله، إنا نستحيي والحمد لله، قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء ) ([[197]](#footnote-197))

كم من إنسان أراد مواقعة الفاحشة فنازعه حياؤه وانتزعه من بين أنيابها وقد أوشك أن يكون فريستها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ولقد أصرِف الفؤاد عن الشيء |  | حياء وحبه في السواد |
| أمسكُ النفس بالعفاف وأمسي |  | ذاكراً في غدٍ حديث الأعادي |

وقال الآخر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ورب قبيحة ما حال بيني |  | وبين ركوبها إلا الحياء |
| إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً |  | تقلَّب في الأمور كما يشاء |

وبهذا الخلق الشريف -يا عباد الله- يظل المسلم مراقباً لربه، خائفا من وقوعه في سخطه، ولو تجمّلت له المعاصي بأبهى الحلل، فإن حياءه يعرِّفه بهرجها الزائف فيباعده عنها مباعدةَ المشرقين فنعم القرين.

إن الحياء حمل صاحبه على احترام الناس وإنزالهم منازلهم، فأحبوه وأكرموه فمنعه ذلك من الإساءة إليهم، وعمل ما يكرهونه منه، أو أن يطلعوا منه على عيب ومنقصة تنزله من عيون التقدير والشرف، قريبين كانوا أو بعيدين، وحينما تدرع به رجعت سهام الخطيئة خائبة كسيرة.

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض طرق المدينة فسمع امرأة تقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| دعتني النفس بعد خروج عمرو |  | إلى الفحشاء فاطّلع اطلاعا |
| فقلت لها عجلتِ فلن تطاعي |  | ولو طالت إقامته رباعا |
| أحاذر إن أطعتك سب نفسي |  | ومخزاة تجلّلني قناعا |

فأُتي بالمرأة إلى عمر فقال لها: أي شيء منعك؟ قالت: الحياء وإكرام عرضي, فقال عمر: إن الحياء ليدل على هَنَات ذات ألوان, من استحيا استخفى، ومن استخفى اتقى، ومن اتقى وقي. وكتب إلى زوجها فأقفله إليها.

إخواني الكرام، إن هذا الخلق الكريم يتعرض كل يوم لهجمات شرسة من قبل أعداء العفة ومن بعض الجاهلين والمخدوعين، ويدلنا على ذلك كثرة الجريمة المتنوعة التي وصلت أحياناً إلى المجاهرة والمفاخرة والدعوة إلى ركوبها والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: ( كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه ) ([[198]](#footnote-198)).

وما كان ذلك إلا لذهاب الحياء وتلاشيه من نفوس أولئك المذنبين المجاهرين، نسأل الله لنا ولهم الهداية, يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فافعل ما شئت ) ([[199]](#footnote-199)). وقال عمر رضي الله عنه: "من قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه".

وحينما قل الحياء ظهر التبرج والسفور والتلاعب بالحجاب، وتعرضت النساء للمعاكسات والمضايقات في الطرقات، وكثرت رسائل العابثين واتصالاتهم لإيذاء العفيفات والعفيفين, وبدت المقاطع المسيئة للحياء والخلق بالظهور على شاشات الجوالات، وصفحات شبكة المعلومات.

وحينما قل الحياء مُجِّد الذين يبيعون حياءهم بلذة عابرة وينشرون بين الناس التجرؤ على الفحش والخطيئة.

وعندما قل الحياء بدأنا نسمع المناداة بتطبيق الاتفاقيات الدولية المخالفة للشريعة الإسلامية، التي تتعلق بالمرأة لإخراج المرأة من محار حيائها وحشمتها إلى وهج الشمس المحرقة لأجمل صفاتها وأبهى سماتها.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فجمال الرجال عقل رجيح |  | والغواني جمالهن الحياء |

أمة الإسلام، إن الحياء خصلة حميدة من الناس رجالاً ونساء، غير أنه يحمد من المرأة أكثر من الرجل؛ لأنه السور المنيع الذي يحرسها ويصونها من سهام العيون المعتدية والنيات الآثمة، والأيادي المجرمة.

وهو يجعلها مثلاً للاحترام والتقدير، ومنبعاً صالحاً لإخراج الأجيال الصالحة.

وأصحاب الفطرة السليمة من الرجال يرون المرأة كريمة عظيمة بحيائها وعفتها وصيانتها لنفسها، وحفاظها على شرفها وشرف أسرتها.

وانظروا إلى حياء بنت صاحب مدين عندما عادت إلى موسى عليه السلام لتدعوه إلى مكافئة أبيها على سقيه لهما غنمهما, قال تعالى: {فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }[القصص25]، قال عمر رضي الله عنه: جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع من النساء ولاجّة خرّاجة. ([[200]](#footnote-200)).

عباد الله، إن الحياء إذا قل التمسك به بين النساء وصار الرجال يرون ذلك من قريباتهم ولا يغارون فقد فُتحت على المجتمع أبواب الشرور.

إذا ذهب الحياء من النساءِ وأضحى الدُر نهباً في العراءِ

ولم يغرِ الرجال فقد أطلّتْ على الأحياء أسبابُ الشقـــاء

إن الأصل في جبلة المرأة أن تصاحب الحياء ولا تفارقه، فما بال بعض النساء بدأن يكرهن مرافقة هذا الحارس الأمين!!

لعل من الأسباب تواتر الذنوب وكثرتها، والمعاصي لها عقوبات، ومن عقوباتها: ذهاب الحياء يقول ابن القيم رحمه الله: "من عقوبات المعاصي: ذهاب الحياء الّذي هو مادّة حياة القلب، وهو أصل كلّ خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه فقد جاء في الحديث الصّحيح «الحياء خير كلّه ».والمقصود أنّ الذّنوب تضعف الحياء من العبد، حتّى ربّما انسلخ منه بالكلّيّة حتّى إنّه ربّما لا يتأثّر بعلم النّاس بسوء حاله، ولا باطّلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع. وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيّا وقال: فديت من لا يفلح، ومن لا حياء فيه ميّت في الدّنيا شقيّ في الآخرة، وبين الذّنوب وقلّة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطّرفين، وكلّ منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا، ومن استحيا من اللّه عند معصيته استحيا اللّه من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح اللّه من عقوبته".

أيها المسلمون، إن الإعلام السيء كان له دور كبير في إبعاد النساء عن ملازمة الحياء بما يبثه من برامج ومسلسلات ولقاءات وليس فيها شيء اسمه الحياء، فصار بعض النساء تتعلم مما تشاهد وتطبقه في واقع حياتها.

وغدت لا تبالي بالاختلاط، وتراه مسألة سهلة، وجرأة محمودة، ولا تدري أن الاختلاط مع الرجال يفقدها الحياء يوماً بعد يوم.

وبعض النساء لا تكتفي بإذهاب حيائها وحدها، وإنما تدعو غيرها لمثل أفعالها, فلتكن المسلمة الحريصة على حيائها بعيدة عن هذه الأمثلة السيئة ولا تغتر بهن.

عباد الله، إن المسلم يحتاج إلى تفقد دينه وأخلاقه كما يتفقد أمور دنياه، فينظر من نفسه جوانب الإيجابيات فيستمر عليها، وجوانب السلبيات فيصلحها ويزيل أسبابها, ومن ذلك خلق الحياء فانظر إلى نفسك يا عبدالله، هل تستحي من الله ومن خلقه وما هي براهين ذلك؟

فاسعَ ما استطعت إلى تقوية حيائك؛ فإنه حياتك السعيدة في الدنيا والآخرة, قوِّ في قلبك تعظيم الله وخشيته والخوف منه بمعرفة الله وأسمائه وصفاته ودينه الذي شرعه لعباده.

جالس أهل الحياء وتعلم منهم، واقرأ عنهم، واسلك طريقهم ومنهجهم, وأبعد نفسك عن القنوات والبرامج التي تسرق منك الحياء، وأنت تشعر أولا تشعر, وربِّ أولادك وخاصة البنات على الحشمة والحياء بالقدوة الحسنة, وإعطائهم البرامج النظيفة التي تنشئهم نشأة صالحة.

إخوة الإسلام، إن الحياء الذي حمدناه وتحدثنا عن فضله وأهميته ليس معناه التماوت والخجل، وترك قول الحق والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما هو: خلق يبعث على ترك القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق يمتنع به صاحبه من التقصير في حق ذي الحق.

فليس من الحياء أن نرى المنكر يُفعل ونسكت، ونرى المعروف يترك فلا نأمر, فهؤلاء ساداتنا أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام كانوا على أعلى قمم الحياء ومع ذلك كانوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

قالت عائشة رضي الله عنها في حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها) ([[201]](#footnote-201)).

أما في الأحوال التي ليست لها علاقة بالأمر والنهي فقد كان عليه الصلاة حييًا جدا, فقد كان بعض الصحابة يأتون إلى منزله فيطيلون الجلوس للاستئناس بالحديث فيستحي عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم: انصرفوا، فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ }[الأحزاب53].

وهذا نبي الله موسى عليه السلام يقول عنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: (إنّ موسى كان رجلاً حييّا ستّيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل. فقالوا: ما يستتر هذا التّستّر إلّا من عيب بجلده: إمّا برص وإمّا أدرة، وإمّا آفة، وإنّ اللّه أراد أن يبرّئه ممّا قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثمّ اغتسل، فلمّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر. ثوبي حجر، حتّى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق اللّه، وأبرأه ممّا يقولون. وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فو اللّه إنّ بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله: ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَكانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً) ([[202]](#footnote-202)).

الخطبة الثانية

حمداً لمن يسند إليه كل حمد، وصلاة وسلاماً على رسوله محمد، وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار، أما بعد:

أيها المسلمون، إن من ثمرات الحياء عند المرأة: لزومها للحجاب الشرعي الذي أمر الله تعالى به، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وحجاب المرأة عبادة تتقرب بها إلى ربها عز وجل، وليس عادة وعرفاً وطنياً، فإذا خرجت من بلد الحجاب نزعته كما يحدث من بعض النساء في الأسفار وعلى متن الطائرات، وغيرها من وسائل المواصلات.

حجابك مفخر يكسوكِ عزاً يزيدك في الورى حسناً مبينا

يصونك من أذية كــل مؤذٍ ويصبح منك حارسَك الأمينا

وليس بعـــادة فينا ولكــــن قضـــــاه الله تشريعـــاً ودينــا

عباد الله، إن حجاب المرأة واجب ديني شرعه الله تعالى صيانة للمرأة، وحماية لها، وسلامة للرجال من دواعي الفتنة، وأسباب الخطيئة، وحفظاً للمجتمعات من الفساد، وتنزيهاً للأعراض من الريبة, وهو بذلك أمر من الخالق العليم الحكيم الذي يعلم مصالح عباده فيشرع لها ما يحفظها، ويعلم المفاسد التي تضر الخلق فيشرع ما يدفعها.

والحجاب مصلحة للمرأة والرجل والمجتمع في كل زمان ومكان, وما على المخلوق إلا التسليم لأمر خالقه والانقياد له، والله يعلم وأنتم لا تعلمون, قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }[الأحزاب59 ]، أي: يسترن جميع البدن ولا يظهر منه شيء قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ((وليضربن على جيوبهن )), شققن مروطهن واختمرن بها) ([[203]](#footnote-203)).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت لما نزلت هذه الآية: (( يدنين عليهن من جلابيبهن )), خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها.

معشر المسلمين، إننا -بحمد الله- في هذه البلاد ما زلنا بخير في حجاب المرأة، ولكن هذا الخير بدأ يتناقص ويطوى شيئاً فشيئاً بمظاهر ووسائل متعددة، ومن ذلك صفة الحجاب.

وتعلمون جميعاً -إخوتي الكرام- أن الله شرع الحجاب للستر، ومنع العيون المرسلة، وليس لتجميل المرأة وتزيينها أمام الناس الأجانب, فقد ظهر في أيامنا أنواع من الأحجبة والعبايات التي تحسن المرأة ولا تسترها؛ لكونها مزركشة ومزينة وضيقة أو شفافة أو لامعة ونحو ذلك مما يدعو الناظرين إلى النظرة الحرام.

هذا ليس الحجاب الذي شرعه الله للنساء، إنما الحجاب الذي شرع للمرأة أن يكون ساتراً سميكاً وسيعاً غير شفاف ولا وصّاف ولا يجذب العيون بما عليه من أسباب الجذب.

ولكن بعض النساء -بسبب الجهل أو الغفلة أو الانهزام النفسي أو التقليد الأعمى أو حبها لإعجاب الرجال بها- تسارع إلى شراء تلك الحجابات غير الحاجبة والعبايات غير الساترة, وهنا يجيء دور أولياء الأمور في النظر في حجاب زوجاتهم أو بناتهم, فالأب راع ومسؤول عن رعيته، والزوج راع ومسؤول عن رعيته، كما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم.

وعلى أولئك الخياطين الذين يخيطون هذه العبايات الفاتنة أن يتقوا الله في نساء المسلمين؛ فلا يخيطون ما يفتن النساء والرجال؛ فإن الكسب من هذا الفعل كسب حرام، وقد جعل الله لهم من الحلال متسعاً، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

فيا أيها المسلمون، الحفاظَ الحفاظَ على خلقي الحياء والحجاب؛ فإنهما يحميان بناء العفاف، ويوصلان إلى جعله خلقاً راسخاً في النفس، والتربيةَ التربية للأولاد ذكوراً وإناثاً على الاهتمام بذلك, ولنوقن جميعاً أن التقصير في هذا قد يخدش العفاف، ويوصل الإنسان إلى ما لا تحمد عقباه.

نسأل الله أن يستر عوراتنا، وأن يؤمِّن روعاتنا، وأن يصلحنا وأزواجنا وذرياتنا.

{ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً }[الفرقان74 ].

هذا وصلوا على خير البشرية....

# الاختلاط وخطره على العفاف ([[204]](#footnote-204))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].( {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }الأحزاب70-71]

أما بعد:

أيها المسلمون، إن هناك معاول هدم وخدش لحصن العفة والصيانة، قد يغفل الناس عنها، أو يتساهلون في الحذر منها، ولا يستيقظون إلا على قرع البلاء الشديد لأبوابهم.

ومن تلك المعاول التي قد تتابعت ضرباتها وما زالت، ووجدت آثارها الموجعة على جدار العفة: معول الاختلاط بين الذكور والإناث في أماكن الدراسة، في المدارس والجامعات والمعاهد والمنتديات، وفي أماكن العمل والوظائف والملتقيات، وفي ربوع المتنزهات.

عباد الله، اعلموا أن هذه الشريعة الحكيمة هي شريعة النقاء والطهارة المعنوية والحسية، ومن مجالات ظهور ذلك أنها جاءت للحفاظ على الأعراض والأنساب من الدنس والرفث والخبث.

فقد شرع الله عز وجل -وهو الحكيم فيما شرع والعليم بعباده ومصالحهم حينما كلفهم بذلك الشرع- شرع لهم الوسائل والأسباب التي تحافظ على العرض نقياً عن كل عيب، رفيعاً عن كل ريب. ونهاهم عن الطرق المعوجة التي توصل إلى نحر العرض بخنجر الزنا والفاحشة أو مقدماتها؛ ولهذا نجد -معشر المسلمين- ديننا الحنيف يحرم الوسائل والسبل التي توصل إلى جريمة الزنا والوقوع في عفنها وقذرها.

ومن قواعد تشريعنا الإلهي أن الوسائل لها أحكام المقاصد، ومن أمثلة هذه القاعدة العظيمة في هذا الباب قوله تعالى: {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً }[الإسراء32]. فحرم الله جل جلاله قربان الزنا، وفي قرب الزنا تدخل كل وسيلة توصل إليه ومن ذلك:

إطلاق البصر من الرجال والنساء، والخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية، وسفر المرأة بلا محرم، ومس المرأة الأجنبية بالمصافحة، والتبرج والسفور، ويقف الاختلاط على رأس هرم هذه الوسائل والأسباب؛ لأنه قد يجمع أكثر من وسيلة وسبب مما حرم الشارع على الرجال والنساء أو على أحد الجنسين. إضافة إلى هذه المناهي- التي يمثل البعد عنها دروعاً واقية- نجد أن الشرع الحنيف أمر أن يكون سؤال الرجل للمرأة من وراء حجاب، وبين الحكمة من ذلك فقال الله تعالى: { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ }[الأحزاب53], و أمر بالتفريق بين الأولاد في المضاجع إذا بلغوا عشر سنوات, قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع »[رواه أبو داود].

و أمر المرأة بالقرار في البيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة فقال: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى }[الأحزاب33].

فإذا خرجت فقد نهاها عن التبرج، ونهاها عن المشي وسط الطريق المزدحمة بالرجال: فعن حمزة بن أبى أسيد الأنصاري عن أبيه أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للنساء: ( استأخرن؛ فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق. فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به) ([[205]](#footnote-205)) .

ونهاها عن التطيب والتعطر عندما تخرج وتمر على الرجال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، و كل عين زانية ) ([[206]](#footnote-206)). ونهاها أن تصف المرأة الأجنبية لزوجها، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( لا تباشر المرأة المرأة لتنعتها لزوجها كأنما ينظر إليها ) ([[207]](#footnote-207)) .

فهذه بعض الأوامر الشرعية التي تجعل العرض الشريف بعيداً عن الخطر والتهم.

معشر المسلمين، إن المجتمعات المسلمة مجتمعات محافظة على كنز الحشمة وصيانة الشرف؛ لأن ذلك من تعاليم الدين الحنيف الذي يربي في الناس الفضائل ويحرسها، ويقتلع منهم الرذائل ويمنع عودتها.

وقد ظلت الأمة تحمي عرين هذه الفضيلة الجليلة من سهام أعدائها وتمنعها من الاندثار والتسلل غير أن ضعف التمسك بالدين، وتواتر جهود الكافرين لهزيمة الأمة وقهرها قد أدى إلى ظهور بعض مظاهر خدش العفاف عند بعض المسلمين, مثل اختلاط الرجال بالنساء، والتساهل وعدم المبالاة بأخطاره وأضراره.

وقد كان من نتائج ذلك الضعف الديني لدى المسلمين وقوة الجهود عند الكافرين: دخول الاستعمار بلادَ أهل الاسلام للعبث بمعتقداتهم وسلوكهم، وتفتيت وحدتهم واجتماعهم، ونهب عقولهم ومقدرات أوطانهم, فنشر الاستعمار التفسخ والسفور، واختلاط الإناث بالذكور، ابتداء بنسائه بين نساء المسلمين، كما حصل من الاستعمار الفرنسي لمصر والشام.

فرأى بعض المسلمين والمسلمات هذه المظاهر فتأثروا بها فلما رأى المستعمرون أن رسالتهم التدميرية لعفة المسلمين قد وصلت إلى عقول أولئك المخدوعين بعد أمدٍ سلموا لهم زمام الأمور في بلدان المسلمين، فراح أولئك المخذولون المخدوعون يبثون الاختلاط ومقدماته ومآلاته بين الشعوب المسلمة، في التعليم، والإعلام، والصحة، والتوظيف، وغير ذلك.

حتى ظهر البث الفضائي والتلفزة ووسائل الإعلام الحديثة المختلفة فتأثر بعض النساء والرجال بما يشاهدون فحصل التساهل والمسارعة إلى الاختلاط بين الذكور والإناث فالتقت النار بالهشيم.

أيها المسلمون، إن الذين يروجون للاختلاط بين الذكور والإناث بين المسلمين قد يكونون أعداء للعفة، فيريدون أن تراق بين الناس لتعبث الرذيلة بعد ذلك كيف شاءت.

وبعضهم يروج للاختلاط ويشجع عليه بدافع حسن جاء نتيجة الجهل والغفلة عن الأضرار والاثار المترتبة على هذا المعول الهدام.

أولا يعلم أهل الاختلاط والداعون إليه أن الاختلاط بين الجنسين سبب لأضرار أخلاقية وسلوكية، وأضرار صحية ونفسية، وأضرار اجتماعية واقتصادية، وأضرار عقلية وتعليمية!.

فمن أخطر الأضرار السلوكية والأخلاقية: تفشي الفاحشة واستصغارها، وهذا أمر وارد لكثرة الملازمة، وإطلاق العيون في المفاتن والجواذ ب. قالت طبيبة غربية تدعى ماريون: "وإني أعتقد أنه ليس في الإمكان قيام علاقة بريئة من الشهوة بين رجل وامرأة، ينفرد أحدهما بالآخر ساعات طويلة".

وإذا حصلت الجريمة -والعياذ بالله- ترتبت عليها أضرار أخرى منها:

الحمل خارج عش الزوجية, ففي دراسة أجرتها النقابة القومية للمدرسين في بريطانيا أكدت فيها أن التعليم المختلط أدى إلى انتشار ظاهرة التلميذات الحوامل سفاحاً، وأعمارهن أقل من ستة عشر عاماً كما أثبتت الدراسة تزايد معدل الجرائم الجنسية والاعتداء على الفتيات بنسب كبيرة. وفي أمريكا بلغت نسبة التلميذات الحوامل سفاحاً 48% من تلميذات إحدى المدارس الثانوية.

ومن نتائج الجريمة: كثرة حالات الإجهاض, فقد نشرت إحدى المجلات العربية عن بعض التقارير الرسمية أنه في عام واحد بلغ عدد عمليات الإجهاض للطالبات في المدارس الثانوية وحدها في أمريكا ( 250 ) ألف عملية، وأن أكثر من ستين في المائة من اللواتي تزوجن -ومنهن من هي دون التاسعة عشرة- ذهبن إلى بيوت أزواجهن ليلة الزفاف، وفي بطن كل منهن جنين لم يكتمل تكوينه لا يعلم من أبوه!.

ومن نتائج الجريمة: كثرة أولاد الزنا, فقد نشر في صحيفة إنجليزية أن عدد الأطفال غير الشرعيين في بريطانيا بلغ في عام واحد 63 ألف طفل.

ومن نتائج الجريمة: كثرة الأمراض الجنسية, يقول دكتور فرنسي متخصص في جراحة الأمراض النسائية: "إن أغلب الأمراض الجنسية التي نعاني منها سببها الاختلاط غير المشروع بين الرجل والمرأة".

بل في دولتين صغيرتين سكانهما نصارى ووثنيون بلغت نسبة المصابين بالإيدز فيهما 40% حوالي نصف السكان، كما نشرت ذلك منظمة الصحة العالمية.

أيها المسلمون، ومن الأضرار الأخلاقية والسلوكية للاختلاط: ذهاب الحياء من الرجال والنساء, وقد ذكر أحد الباحثين في مصر أن الاختلاط على مقاعد الجامعة جرأ بنات من بيوت كريمة على الاختلاط في حمام المعرض، وعلى التجرد من الملابس للاستحمام أمام الرجال.

ومن الأضرار الأخلاقية والسلوكية للاختلاط: حصول السلوك العدواني، ومن ذلك التحرش الجنسي، فقد ذكرت مجلة سفنتيز الأمريكية أن ما لا يقل عن 89% من الفتيات يتعرضن للتحرشات الجنسية ابتداء باللمس وانتهاء بالاغتصاب.

ومن ذلك السلوك العدواني: جرائم القتل والاغتصاب، وتمثل الولايات المتحدة الأمريكية أعلى معدل في العالم في جريمة الاغتصاب، فقد أعلن مركز الضحايا الوطني أن واحدة من ثمان بالغات تعرضت للاغتصاب, ويشير المسح إلى أن 61% من حالات الاغتصاب تمت لفتيات تقل أعمارهن عن 18 عاماً.

ومن الأضرار السلوكية: الانطواء، وضعف القدرة على التعامل مع الآخرين، وتغير طبيعة الرجل والمرأة، وفقدان الأمن والشعور بالقلق والخوف.

أيها المسلمون، كما أن هناك أضراراً تعليمية للتعليم المختلط, فمن ذلك:

ضعف القدرات الذهنية لانشغال كل جنس بالآخر, وانخفاض المستوى الدراسي، وتؤكد بعض الإحصائيات في دراسة لمجلة نيوزويك الأمريكية أنه عندما يدرس كل جنس بعيداً عن الاخر؛ فإن التفوق العلمي يتحقق.

عباد الله، ولم تقف الأضرار هنا بل هناك أضرار اجتماعية وعلى رأسها: العزوف عن الزواج حينما تصير المرأة مبتذلة يحصِّل منها الرجل ما يريد، فلا يفكر بعد ذلك بالزواج وأعبائه, فتؤكد بعض الإحصائيات أن ثلث سكان فرنسا يعيشون بدون زواج أو ارتباط.

ومن الأضرار الاجتماعية: كثرة الطلاق بسبب العلم بالعلاقات المحرمة نتيجة الاختلاط, ومن الأضرار: تنامي ظاهرة الزواج العرفي, ومن الأضرار: تحطيم الأسرة لما سبق من الأضرار.

ومن الأضرار: انهيار المجتمع، فقد كشفت دراسة مصرية أن أكثر من ( 14) ألف طفل مصري على الأقل بلا اسم ولا هوية أو نسب, وأغلب هؤلاء الأطفال جاء من الزواج العرفي.

عباد الله، ومن أضرار الاختلاط: الأضرار الاقتصادية حيث يحاول كل من الجنسين إظهار كرمه وسخائه وجماله أمام الجنس الآخر, فيتحمل بذلك مسؤوليات كبيرة ونفقات باهضة؛ للاهتمام باللباس والمظهر الخارجي ونفقات الاتصالات الهاتفية.

والضحية الكبرى والخاسر الأكبر في الاختلاط هو المرأة، فقد تصاب بالتوتر والقلق والكبت إذا حافظت على عفتها، وقد تترك الدراسة والوظيفة لكثرة المضايقات والتحرشات.

أما إذا سلَّمت نفسها للوحوش الكاسرة فقد ضيعت أعز ما تملك، وأصبحت في صراع نفسي قد يتحول إلى صراع عائلي وتصير خائنة في نظر أسرتها، ضائعة في مجتمعها لا تعرف دفء الأسرة، ولا حنان وراحة الحياة الزوجية النظيفة.

فهل من متعظ بعد هذه التصريحات والأرقام والإحصائيات يا عباد الله؟!

نسأل الله أن يحفظ بيوت المسلمين وأعراضهم من كل هدم وخدش.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. واستغفروا الله يغفر لكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

أيها المسلمون، من العجائب -والعجائب جمة- مطالبات حثيثة وسعي لا يمل من منظمات نسائية في بلاد المسلمين بالمساواة المطلقة بين الرجال والنساء في كل شيء، ويلزم من ذلك وجود الاختلاط في كل مجال.

والعجب كل العجب أن هذه النداءات الصارخة تريد استنساخ الحياة الغربية بعفنها لتطبق في بلاد المسلمين، ومن ذلك ما يتعلق بالاختلاط.

وعقلاء الغرب قد رجعوا من هذه السوق معترفين نادمين خاسرين, وبعض المسلمين والمسلمات يريدون أن يذهبوا إلى هذه السوق مبكرين, واسمعوا إلى أقوال هؤلاء الغربيين، وتأملوا في أحوالهم، لتعرفوا عظمة الإسلام، وحرصه على حفظ أعراض المسلمين وعفتهم.

تقول الكاتبة الانجليزية الشهيرة أنا رود: "ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف, إنه عار على بلاد الانجليز أن نجعل بناتنا مثلاً للرذائل بكثرة المخالطة للرجال، فمالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية, وبما يوافق القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها وحفاظاً على أنوثتها".

وفي ألمانيا قامت مظاهرة نسائية تدعو إلى تحرر المرأة من العمل وتفريغها للبيت وشؤونه، ونادت النساء في هذه المظاهرة أن ينص عقد الزواج على عدم مزاولة المرأة للعمل، وأن تكون رسالتها الزوجيةَ والأمومةَ لا مزاحمةَ الرجال في المكاتب والمصانع والمرافق الحكومية.

ويقول أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي: "إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقاً إذا بقيت في البيت الذي هو كيان الأسرة".

وهذه كاتبة أمريكية مشهورة تقول للمسلمين: "أنصح بأن تتمسكوا بأخلاقكم وتقاليدكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية المرأة، بل وارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية ومجون أوروبا وأمريكا".

ويقول جورج رائيلي: "والسبب الخطير الذي عمت لأجله الفوضى الجنسية في المجتمع أن النساء لا يزلن يتهافتن على الأشغال التجارية ووظائف المكاتب والحرف المختلفة، حيث تسنح لهن فرص الاختلاط بالرجال صباح مساء، وقد حط ذلك المستوى الخلقي في الرجال والنساء".

فيا أمة العفاف والنقاء، هذه صورة عن تلك المجتمعات البعيدة عن الإسلام، وهذه حروف الندم يكتبونها للعالم:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ذاقوا البلاء فأرسلوا كلماتهم |  | للاهثين وراءهم ليعوها |
| هذي ندامتهم وصدق حديثهم |  | في الاختلاط وعِبرة عرفوها |
| قل للذين يسارعون لنهجهم |  | عودوا فهذي حكمة فخذوها |

فماذا بعد هذا؟ ألا نحمد الله على ديننا دين العفة والنزاهة، الذي من تمسك بتعاليمه ربح السعادة في الدنيا والآخرة، {فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ }[يونس32].

هذا وصلوا وسلموا على الحبيب محمد....

# الإعلام السيء وهدمه للعفاف وصلاح الناس ([[208]](#footnote-208))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].( {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71]

أما بعد:

أيها المسلمون، إن الله تعالى خلق الإنسان محدود القوات والقدرات، والمواهب والطاقات، فاحتاج إلى غيره في إكمال نقصه لكي تتم الحياة الجماعية بين الناس في هذه الدنيا, فلو كان كل إنسان كامل النعمة لا يحتاج إلى سواه لعاش الناس وحوشاً متباعدين، لا يعرفون الأنس والاجتماع.

وما يعرفه الإنسان وتدركه حواسه وقدرته محصور قليل؛ فلهذا كان مفتقراً إلى إعلام الناس له ما يجهله ليتعلمه، وما خفي عليه مما حوله ليعرفه ويستفيد منه إن كان مفيداً، ويحترز منه إن كان مضراً.

وقد عرف الناس في العصور الماضية للإعلام وسائل كان من أبرزها: الخطابة الدينية والجماهيرية, والقصيدة الشعرية بجميع أغراضها الأدبية, والبُرد المرسلة، إما بإرسال الناس, أو بإرسال الحمام, وعرفوا كذلك من الوسائل: الكتابة للرسائل، والكتب في الأمور العامة والخاصة.

لكن التأثير الإعلامي في الجماهير ظل محدوداً حتى بدأت الوسائل الإعلامية الحديثة بالظهور في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي بظهور الصحف والجرائد، غير أن تأثير هذه الوسيلة بقي كذلك محصوراً في طبقات معينة من الناس ولا يصل إلى جميعهم.

فاستمر الإنسان في التفكير في وسائل إعلامية جديدة ليكون تأثيرها أوسع، وتناولها أسهل، فاخترع الراديو، وكانت بداية ظهوره عام 1906م، وكان له بعد ذلك انتشار واسع وتأثير كبير، خاصة أثناء الحروب العالمية.

حتى ظهر بعد ذلك الإعلام المرئي الذي كسر كثيراً من الحواجز وفتح قنوات كثيرة للاتصال الإعلامي بالجمهور، ووصل إلى الذروة في التأثير في تلك الفترة، وكانت بداية الظهور باختراع التلفاز عام 1927م.

غير أن وسيلة التلفاز ظلت محصورة الزمان والمكان، ورافقتها بعض العيوب بالنسبة للاتصال الإعلامي العام.

إلى أن جاءت فكرة الشبكة العنكبوتية الانترنت بظهور أولى صفحاتها عام 1969م فأصبحت أرقى وسيلة إعلامية وصل إليها العقل البشري إلى الان, مع ما يصاحبها من تطوير وتحديث يوماً بعد يوم.

معشر المسلمين، إن الإعلام ذو أهمية كبرى وتأثير عظيم في الناس؛ فهو الموجه للشعوب يخاطب عقولها وقلوبها وعواطفها ويشكلها على ما يريد.

فالإعلام يستطيع بقوة تأثيره تكوين الأفكار والثقافات والمعتقدات التي يحب.

ويستطيع أن يشعل حرباً وهمية ليجعلها حرباً حقيقية تتساقط فيها الجماجم، وتخرب فيها العمران ليعيش الناس في قلق واضطراب، وفي مقابل ذلك يستطيع أن يهون من أمر الحروب الحقيقية ويجعلها مناوشات استعراضية فحسب.

ويستطيع الإعلام أن يصنع جواً عاماً يتحدث عنه الصغير والكبير في قضية صغيرة لا تستحق ذلك النعيق والضجيج، وفي الجانب المضاد يغفل الحديث عن قضايا الأمة المصيرية ومشكلاتها الجوهرية، وإن تحدث عنها فحديثٌ عن خبر عابر لا يستدعي الوقوف عنده والانشغال به.

إخواني الكرام، إن رسالة الإعلام في الإسلام -في كل عصر وفي كل مصر- رسالة سامية نقية لا تقبل الخضوع لباطل القول والفعل, ولا ترضى بالعمالة والانهزامية, ولا يمكن أن تبيع الحقيقة، وتستجدي الأيادي الملوثة لتغدو بوقاً لذويها.

إن رسالة الإعلام في الإسلام حمل الحقيقة إلى الناس صِرفة بدون غربلة وزيادة ونقصان, الصدق شعار، والأمانة في الكلمة والصورة وسيلة، وتبشير الناس بالمبشرات وإنذارهم بالمخوفات هدف وغاية، والتثبت والتبين في النقل قاعدة ومنطلق.

الإعلام في الإسلام منارة لبث الثقة والوعي الصحيح بين الناس في قضايا الدين والدنيا, ونشر الفضائل والتحذير من الرذائل وإصلاح الخلل، ومعالجة المشكلات، والتربية على الجد والعمل ونبذ القعود والكسل.

الإعلام في الإسلام بجميع وسائله: التقليدية والحديثة إضاءة متألقة هادية إلى سبل الحياة السعيدة، والقيم النبيلة الرشيدة, والهدف الصالح والمستقبل الناجح في الدنيا والآخرة.

أخوتي الفضلاء، تعالوا معي لنقارن مضامين هذه الرسالة بما عليه أكثر الإعلام هذه الأيام، وقبل هذا لا بد أن نعلم أن أصحاب الباطل وأعداء المُثل والفضائل حينما علموا أهمية الإعلام وقوة إقناعه وتوجيهه للمجتمعات سيطروا عليه، وجندوا لهم جنوداً من بني جلدتنا وممن يتكلمون بألسنتنا ممن يوافقونهم في المنطلقات أو الغايات، وجعلوهم على المنابر الإعلامية المختلفة ليكونوا لهم ألسنة معبرة عن أهدافهم، ومنفذين لمخططاتهم الرامية إلى دفن الفضيلة وإحياء الرذيلة.

إن الإعلام السيء اليوم هو المستعمر الجديد للأوطان والعقول والأفكار والأخلاق والسلوك يقلبها في فضائه الموبوء كالريشة في الهواء ليوجهها حيث يشاء.

إن رجال الإعلام يعرِّفون الإعلام بأنه: تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم.

فانظروا إلى هذا التعريف الجميل وطابقوا ما فيه مع الإعلام السيء الدخيل.

التعريف يشترط الصدق والصحة والصواب والسلامة في نقل الخبر للجمهور لكننا نجد ذلك غير متوفر.

فالإعلام المستورد يقلب الحقائق، فيجعل الصدق كذباً، والكذب صدقاً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، والخبيث طيباً، والطيب خبيثاً, والبطولة تهمة, والانحرافات السلوكية نجومية!

على حد قول الشاعر:

تقــــول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تشاء قلتَ ذا قيء الزنا بير

مدحاً وذماً وما جاوزتَ وصفهما والحــق قد يعتــريه سوء تعبير

ولعل هذا الزمان الذي انقلبت فيه الموازين، وتولى كبرها الإعلام السيء داخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب، و يكذَّب فيها الصادق و يؤتمن فيها الخائن، و يخوَّن فيها الأمين، و ينطق فيها الرويبضة، قيل: و ما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة ) ([[209]](#footnote-209)) , وفي رواية: (من لا يؤبه له), وفي رواية: (السفيه يتكلم في أمر العامة), وفي رواية: (الفويسق يتكلم في أمر العامة).

ومن يقرأ في الصحف والمجلات، ويسمع الإذاعات، ويشاهد القنوات السيئة يرَ مصداق هذا الحديث النبوي الشريف.

وكذبة الإعلام ليست ككذبة غيره؛ لأن كذبة الإعلام تبلغ الآفاق، وتسير بين الناس بسرعة متناهية, أفلا يخاف أولئك الكذبة ما جاء في حديث رسول الله حينما جاءه ملكان فابتعثاه فرأى معهما بعض الذين يعذبون بعد الموت فكان مما جاء فيه: (فانطلقنا فأتينا على رجل مستلقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت: سبحان الله ما هذان؟.... قالا: فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق) ([[210]](#footnote-210)).

أيها المسلمون، إن الإعلام السيء يجيِّش جميع وسائله وطاقاته في إبراز المظاهر السلبية في المجتمعات, خاصة المجتمعات العربية والإسلامية، ولا يغطي المظاهر الإيجابية ويحث عليها, فوصف التخلف والرجعية والإرهاب هي الصفات الملازمة للمسلم، ونعوت التقدم والعز والسيادة هي السمات للمرافقة للصهاينة والأمريكان وإخوانهم.

والإعلام السيء يؤجج الفتن والصراعات, ويغذي الشجار والاختلافات القومية والدينية والطائفية والحزبية والعنصرية, ولا يوجد الحلول، وإنما يضع البنزين على وهج المشكلات.

والإعلام السيء يخدر الشعوب، ويشغلها بالتوافه؛ لتبقى في منأى عن همومها الحقيقية, وبذلك يكون خادماً للأعداء وعدواً للأوطان, ولا يعبر عن هوية الأمة، وإنما يعبر عن من يموله، ويحفظ له الاستمرار على منبره الإعلامي.

أمة الإسلام، وإذا جئنا للحديث عن العفاف وما يلاقيه من جروح وتشويه وتنكيل وتعيير وإذلال وقهر على أيدي إعلام الشر والضر فحدث عن البحر؛ فإن الإعلام السيء معول حاد مؤثر، ما برح يعمل بيننا ليل نهار في بيوتنا وفي شوارعنا وفي أسواقنا وأماكن عملنا، وأسراؤه جمهور كبير من الناس صغار وكبار وذكور وإناث.

أصبح هذا المعول الهدام يأخذ ساعات طويلة من ليل كثير من الناس ونهارهم، وهم يرون أنهم يجدون في مجالسته متعة وراحة، ولا يستطيعون مفارقته والعيش بدونه, ويشعرون أو لا يشعرون أنه يهدد بناء عفتهم واستقامة سلوكهم وأخلاقهم.

إن أعداء أمتنا يدركون أن من مصادر قوتنا وعزتنا بقاءنا محافظين على أخلاقنا الإسلامية الحميدة، وعاداتنا الفطرية الرشيدة, فعرفوا أن ذلك لا يخدمهم ولا يعين على تنفيذ أجنداتهم فينا، وأن حملاتهم العسكرية لا تُميت الأمة، وإنما تنبه الأعضاء النائمة منها، وتوقظها من سباتها.

فماذا عملوا؟ لقد غيروا الخطة الحربية إلى ميدان العقول، فغزوا عقولنا ليفسدوا أخلاقنا النظيفة لتفسد بعد ذلك حياتنا كلها.

فغدا إعلامهم السيء وإعلامنا التابع لهم حرباً ضروساً على العفة والطهارة، وعلى الأعفّاء والعفيفات، ويلاحظ ذلك من خلال مقروءاته ومسموعاته ومشاهدة مرئياته.

لقد أصبح يؤجج الشهوات بما يعرضه من صور وكلمات في الأغاني والمسلسلات والإعلانات واللقاءات, يمدح معاول هدم العفة من التفسخ والتبرج والاختلاط ويسميها تقدماً وسعادة وحرية، ويذم وسائل العفة من زواج نظيف، وغض البصر والحياء والحجاب، ويسميها تأخراً وكآبة ورجعية!.

و يمجد الساقطين والساقطات ويجعلهم مثالاً للقدوة والأسوة، ويذم الأعفاء والعفيفات ويصيرهم نموذجاً للانغلاق والمثالب، ومشهداً للسخرية والاستهزاء!.

والإعلام السيء يعلِّم الصغار والكبار من الذكور والإناث إقامة العلاقات المحرمة، ويبين لهم أهميتها قبل الزواج، وهذا فيه من الخطر ما تحدثت عنه أقلام المتأوهات المخدوعات.

والإعلام السيء يرشد إلى طرق الجريمة ويشجع عليها، ويشيد بأهلها, و يسلط الأضواء ويتابع الأحداث الخادشة للصيانة والعفاف، ليبثها بين الناس ليسيروا على طريقها ويقتدوا بروّادها.

والإعلام السيء يصور الانفلات الخلقي وتمرد المرأة على البيت والدين والعفة والشيم النبيلة إنجازاً وسابقة تستحق التكريم والتشجيع!.

أيها المسلمون، هذه بعض الألغام التي زرعها الإعلام الشرير على أرض العفاف وصيانة الأعراض.

فما هي نتائج تفجُّرِها أمام العيون في البيوت والمقاهي والطرقات؟

لعل من نتائجها المؤلمة الظاهرة: إضعاف الحياء والحشمة، وظهور الاختلاط والتلاعب بالحجاب.

ومن نتائجها: كثرة المعاكسات والمضايقات التي تتعرض لها النساء، أو تعرِّض المرأةُ نفسَها لها بسوء حركاتها ودعوة ملابسها الجائعين إليها.

ومن نتائجها الموجعة: إضعاف الغيرة عند بعض الرجال.

ومن نتائجها: كراهية الدين والمتمسكين به من الرجال والنساء؛ بسبب التشويه وتعميم الأخطاء الفردية على الجميع.

ومن النتائج: حصول الإعجاب بأهل المجون والفسق، وظهور المحاكاة والتقليد في الأقوال والأفعال والأحوال، في الكلام والحركات والملابس من الرجال والنساء.

ومن النتائج: تمزيق الأسرة بحصول الخيانات الزوجية، وبعض حالات الطلاق بسبب مسلسل أو صورة، والضيق بالحياة الزوجية، وفهمها أنها غُل وسجن، وأن الانفلات راحة وحرية.

ومن النتائج الُمرّة: حصول الفاحشة، والدعوة إليها، وبناء أماكن خاصة لها، وحمايتها من كل غيرة وحياء وضبط يحاول أن يدخل إليها.

فخرج بعد هذا كله جيل لكنه -والحمد لله قليل- همه المتعة وقضاء اللذة، ولا يهتم بما يفعل أحرام هو أم حلال.

لمثل هذا يذوب القلب من ألم إن كان في القلب إسلام وإيمان

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه أهل النهى والوفاء، أما بعد:

أيها المسلمون، ومع هذا العنفوان والقوة لإعلام السوء إلا أن الحق وأهله ما تركوا الباطل يسرح ويمرح، ويفسق ويفضح, ويؤلم ويجرح، فهذه سنة الله بين الحق والباطل: صراع دائم وعراك لا يتوقف.

فقد أنشأ أهل الغيرة والحرص على هوية الأمة وعفافها وسائل إعلامية نافعة للدين والدنيا؛ لكي تحفظ عفة الأمة، وتبقي منابع الخير في الأمة ثجاجة، وترفدها بروافد أخرى تنقيها وتعليها, فظهرت صحف ومجلات وإذاعات وقنوات ومواقع وصفحات على شبكة المعلومات، وهي وإن كانت قليلة إلا إنها تسد ثغرة خطيرة فوتت على العدو بعض ما كان يصبو إليه من السيطرة المتكاملة.

وأنت أيها المسلم قد وهبك الله عقلاً تستطيع أن تميز لنفسك ولأسرتك الطيب فتصطفيه وتتابعه، والخبيث فتبعده وتنابذه, فتختار المقروآت والمسموعات والمرئيات التي تنفعك في دينك ودنياك خلقياً وعلمياً وفكرياً وتوجيهاً إلى مصالح الدين والدنيا, قال الله تعالى: {مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا }[الإسراء15].

فيا أيها المسلمون، وبعد هذا التطواف في الحديث عن العفاف ووسائل حفظه ومعاول هدمه نقف مذكِّرين أنفسنا جميعاً بأهمية لزومنا حصن العفة والمرابطة فيه، حذرين من سلوك السبل التي توصل إلى خدشه وهدمه.

فالموفق من ذُكِّر فتذكر, وعُلِّم فتعلم, ووعظ فاتعظ, وعظات الأسماع أولى بالاتباع من عظات الوقائع الشخصية الموجعة.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }[ق37].

نسأل الله تعالى أن يستر عوراتنا، وأن يؤمن روعاتنا، وأن يحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ونعوذ بعظمته أن نغتال من تحتنا، ونسأله تعالى الهدى والتقى، والعفاف والغنى، ومن العمل ما يرضى.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير....

# سعادة النجاح ([[211]](#footnote-211))

الحمد لله نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].( {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71]

أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، اعلموا-رحمني الله وإياكم- أن كل إنسان عاقل يسعى بحثاً عن سعادته، وتحصيل وسائل سروره وراحته. ويبذل في سبيل ذلك ما يقدر عليه من جُهد ووقت، ومال وغير ذلك.

غير أن الناس ليسوا سواء في تحديد نوع السعادة التي عنها يبحثون، لكن الجميع يتفقون على أن النجاح بذلك المطلوب من أعظم جوالب سرور النفس وراحتها، خاصة إذا جاء بعد شدة الطلب، وكثرة التعب، وكثرة الأشواق وصعوبة الطريق، فلساعة النجاح طعم آخر.

عباد الله، إن النجاح مطلب محبوب للنفوس العزيزة، و شيء يكمن في خبايا الغريزة، له لذة كبيرة، وزمان لا ينسى، يتسلى الناجحون بالحصول عليه عن آلام الطريق إليه، ويبنون منه همة مضيئة إلى آفاق نجاح آخر، فالنجاح يلد النجاح.

يعيش الناجحون حياة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ينفعون الحياة وينتفعون بها، فلا يزالون مصابيح إشعاع للخلق بنور نجاحاتهم وبريق طموحاتهم.

فكيف ستكون الحياة إذا لم يكن فيها نجاح وناجحون؟! فلولا النجاح لكانت الدنيا ليلاً بلا صباح، وشقاء بلا أفراح.

أيها المسلمون، إن الله تعالى خلق عباده ومنحهم مواهب وقدرات يستطيعون الوصول بها إلى النجاح في حياتهم، والفلاح في فرصة أعمارهم.

فكل إنسان يستطيع-لو أراد- أن يكون ناجحاً نجاحاً كبيرا، وأن يصير ذا شأن مرموق إليه بعين الإكبار، فينفع نفسه وبني جنسه بنجاحه، لكن إذا بحث عن نفسه في نفسه، واكتشف إبداعاته، واستغل طاقاته، واستطاع أن يوظفها توظيفاً صحيحاً.

ومن الخطأ الكبير أن يغرس الإنسان في نفسه أنه لن يقدر على النجاح، ويعجز عن أن يكون شيئاً مهماً في الحياة، وإذا وصل الإنسان إلى عدم معرفة مواهبه فليستعن بغيره.

إن النجاح-معشر المسلمين- له مجالات كثيرة، وميادين متعددة، فاختلاف الناس في القدرات والميول، والمواهب والعقول جعلهم يفتحون آفاقاً متنوعة لتحقيق النجاح المرجو، وبهذا تصلح الحياة، وينتفع كل إنسان بما لدى الآخر وينفعه بما لديه.

الناس للناس من بدو وحاضرة\*\*\* بعض لبعض- وإن لم يشعروا- خدم

إن النجاح قد يكون في العلم الديني أو الدنيوي، وقد يكون في الوظيفة والمهنة، وقد يكون في حسن ترتيب الحياة وإدارة النفس والأسرة، وقد يكون في نفع الناس وإيصال الخير لهم، وقد يكون في غير ذلك، فليس له مجال محدود، وليس حصراً على أناس معدودين، وإن حصل هناك تباين في مقدار النجاح من شخص لآخر.

أيها الأخوة الأفاضل، إن طريق النجاح قد يطول أحياناً، وكلما كان الهدف كبيراً، كان العناء في الوصول إليه كبيراً كذلك.

فمن أراد النجاح فليسر إليه على خطوات مدروسة متدرجة، محدداً وجهته التي يصبو إليه، واثقاً من نفسه، مخططاً سبيله إلى أمنيته، باذلاً ما يستطيع من القدرات والوسائل حتى يعانق هدفه وبغيته.

ومن الخطأ الكبير الذي لا يقل عن الإخفاق الكبير في النهاية أن يتوجه الإنسان إلى شيء لا يرغب فيه، فهناك من الناس من يشكو التعاسة والضيق في وظيفته وعمله، وهذا بلا شك يضعف نجاحه في ذلك المجال، فليس السبب في ذلك ضعف قدرته، وقلة موهبته، وإنما السبب أن تلك الأعمال لا تلبي طموحاته، ولا تميل إليها نفسه، ولو كان في غيرها-مما تهواه نفسه- لنجح وأنتج.

أيها المسلمون، إن النجاح عمل إنساني، يحتاج إلى مدد رباني، وسند إيماني، بالنسبة للمسلم.

فالمسلم يَنشُد العونَ من ربه، ويستمنحه تأييده وقوته؛ لإقداره على إنجاز ما يسعى إليه. وهذا الفعل-مع ذلك- عبادة يتقرب بها إلى خالقه جل وعلا.

فمهما كانت قدرة الإنسان وذكاؤه في علمه أو عمله فهو فقير إلى الله يطلب منه التوفيق والإعانة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }[فاطر15].

ومن استغنى عن الله بما عنده من الإمكانيات والقدرات فقد ولج الفشل من أوسع أبوابه.

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى\*\*\* فأول ما يقضي عليه اجتهادُه

فعليك-أيها المسلم- أن تستعين بالله في طريق نجاحك، وتدعوه دعاء كثيراً؛ فإنه تعالى يحب الملّحين في الدعاء من عباده.

وقد كان سيد الناجحين صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى دعاء كثيراً في مواقف متعددة من حياته حتى نجح نجاحاً تاماً في جميع ما توجه إليه عليه الصلاة والسلام.

فقد كان يدعو الله تعالى في دعوته الناسَ إلى الإسلام والاستقامة بعد الإسلام، ويدعو الله في تعليمه وتربيته، وفي جهاده وغزواته، ويدعو للأفراد كما يدعو للجمع الكبير من الناس أيضاً.

فيقول عليه الصلاة والسلام للشاب الذي قال له: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: أدنه، فدنا منه قريبا، قال فجلس قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: ( اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء) ([[212]](#footnote-212)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم الطفيل وأصحابه فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً قد كفرت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، فقال: (اللهم اهدِ دوساً وائت به) ([[213]](#footnote-213)).

وقال: ( اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم ) ([[214]](#footnote-214)).

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام في طلب النجاح قوله: ( رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شاكرا، لك ذاكراً، لك أواهاً مطواعا، لك مخبتا أواها منيبا، رب، تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبّت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي ) ([[215]](#footnote-215)).

عباد الله، إن سبيل النجاح غير مفروش بالبسط الحمراء، والورد والزهور، بل عليه عقبات ومعوقات. داخلية وخارجية.

فمن المعوقات الداخلية: ضعف الهمة، وفتور العزيمة، والنجاح لن يولد في أرض العزيمة الخائرة والهمة الفاترة، وهذا الخور قد يطرأ على بعض الناس بعد توهج الهمة حينما يرى صعوبة الطريق وظهور التعب، والعاقل يستصغر تعب البداية لراحة النهاية، وهذه شيمة النفوس الكبيرة، قال أبو الطيب:

وإذا كانت النفوس كباراً\*\*\* تعبتْ في مرادها الأجسام

وقال أيضاً:

على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ \*\*\* وتأتي على قدْرِ الكرامِ المكارمُ

فتعظُمُ في عين الصَّغيرِ صغارُها \*\*\* وتصغر في عين العظيمِ العظائمُ

وقال غيره:

بقدر الكد تكتسب المعالي\*\*\* ومن طلب العلا سهر الليالي.

ومن المعوقات الداخلية: عدم الأخذ بأسباب النجاح الممكنة؛ لأن النجاح لابد له من حركة دؤوب، ونشاط وبذل؛ لأن الحياة قائمة على الأخذ بالأسباب، فمن أخذ بأسباب النجاح وصل إليه، ومن ترك تلك الأسباب استضافته الخيبة والفشل. يقول تعالى في طلب الرزق: { فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }[الملك15].

وقال رجل للنبي صلى الله عليه و سلم: أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال: ( اعقلها وتوكل ) ([[216]](#footnote-216)).

وفي عصرنا الحاضر عندما لم يأخذ المسلمون بكثير من أسباب النجاح الدنيوي تأخروا في التطور الحياتي، وحينما أخذ بها الكفرة سبقوا في التقدم الدنيوي ووصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم حتى ملأوا سمع الحياة وبصرها مما أنتجوا وأبدعوا وقدموا للحياة والأحياء.

أما المعوقات الخارجية فيقف على رأسها: محاربة النجاح والناجحين والإبداع والمبدعين في الدول العربية في أكثر مجالات الحياة النافعة.

فالعقول العربية المسلمة لو أتيحت لها الفرصة وهيئت لها المؤسسات والمراكز البحثية التي تُعنى بالإبداع والمبدعين من الفكرة حتى الإنتاج، واستغلت تلك المواهب واستثمرت تلك الجهود لاستطاعت أن تقضي على كثير من التخلف الحضاري التي تعانيه المجتمعات المسلمة.

وقد أظهرت بعض الإحصائيات مدى القضاء على العقل العربي المبدع الذي لم تتسع له المساحة العربية فخرج منها أو أُجبر على الرحيل عنها إلى أرضٍ أرحب وأرغب وأحرص على استيعابه وجني ثمرات تفكيره.

ففي إحصائية تقول: إنه في عام 1969م-1970م بلغ عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة وحدها أكثر من ستة عشر ألف عالم من البلاد العربية والإسلامية!

وفي إحصائية أكاديمية مصرية أظهرت أن عدد الذين هاجروا من مصر من العلماء المتخصصين بلغ أكثر من مليونين، بينهم ستمائة وعشرون في تخصصات نادرة.

فقارنوا هذا بما يحصل في الدول الغربية من الاهتمام والرعاية بكل صاحب فكرة نافعة وإبداع مفيد.

أيها المسلمون، إن النجاح حينما يكون سمة بارزة في حياة المسلمين أفراداً وجماعات سيكون له أثره الحسن عليهم وعلى غيرهم. سيجدون بذلك الحياة المستقرة الرغدة، والتقدم المنشود، والإنتاج النافع المتنوع، فإذا ازدهرت مجتمعاتهم سيكون ذلك دعوة غير مباشرة للكفار لكي يسلموا ويدخلوا في هذا الدين الذي يصلح الدنيا والآخرة.

ففي القرون الوسطى كانت الحضارة الغربية في الحضيض، وكانت أوروبا تعيش في ظلام دامس، وكانت-آنذاك- الأندلس هي قبلة العلم والمعرفة التي كان يفد إليها المتعلمون من كل مكان، حتى كان بعض ملوك أوروبا يبعثون أولادهم للدراسة هناك، وانظروا كيف انقلبت الأحوال بعد ذلك إلى يومنا هذا.

عباد الله، إن من المفاهيم الخاطئة في عصرنا العربي أن يقاس النجاح بالشهادات والوظائف والمناصب، ولا يقاس بالأعمال والإنتاج.

إن النجاح الحق هو ما ظهر أثره في الواقع من نفع الناس والنهوض بهم، فنجاح الطالب في تفوقه الدراسي الذي يثمر عائداً صالحاً للمجتمع من تلك الدراسة، ونجاح المعلم في اتقان تخصصه وحسن تعليمه، وكذلك نجاح كل موظف وعامل في براعته في عمله، وأداء الحق الموكل إليه فيه.

هذا بالنسبة للأفراد وأما الحكومات فنجاحها في استقرار البلاد، ورفع مستوى الاقتصاد، وشعور الناس بالأمان، وهيبة السلطة بين العباد.

أما الشهادات فبعضها صحيح وبعضها الآخر مزور أو مغشوش، فما أكثر الشهادات ولكن ما أقل أثرها في الواقع!

سأل طالب في جامعة ما أستاذه عن مثال لشهادة الزور، وكان الطالب في السنة الجامعية الأخيرة، فتعجب المعلم من سؤال الطالب، فما كان منه إلا أن قال: مثالها الشهادة التي ستستلمها بعد ستة أشهر!!

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله مُعينِ المتقين، وموفق الطائعين، ومؤيد المخلصين، وناصر عباده المؤمنين، والصلاة والسلام على سيد الناجحين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، سِيق الحديث في الخطبة الأولى عن النجاح الدنيوي النافع الذي يشترك فيه المسلم والكافر، والبر والفاجر، وهو نجاح محدود في حجمه وصفته، وزمانه ومكانه، ونتائجه وآثاره، وهو نجاح -أيضاً- قد يكون فيه بعض الضرائب التي يدفعها الناجح من وقته وقوته، وماله وجهده، وهذا لابد منه، غير أن هناك ضرائب أخرى تكون ثمنَ النجاح إذا نبت في أرض قوم يكرهون النجاح والناجحين، فقد تصل نتيجة النجاح إلى خوف المبدع على حياته، وذهاب جهوده إلى غيره أو قتل طموحه وهو على وشك الشروق والظهور، وعند ذلك يكره نجاحه واليوم الذي ولدت فيه تلك الفكرة، وقد يُسلِم نفسه في النهاية إلى الكبت والأمراض النفسية أو الموت عل سرير القهر والندم على جريمة النجاح ! وهذه أمور واردة على بعض النجاحات وبعض الناجحين وليست على الجميع.

لكن هناك نجاح من نوع آخر يُحاط بالعناية الإلهية، والسعادة الأبدية، لا يلحقه خوف ولا ندم، ولا حزن ولا كدر، هو النجاح الأخروي، والقيام الصادق بالمهمة التي خُلق لأجلها الإنسان، فالفلاح والفوز الحقيقي إنما يكون لمن نجح في هذا المجال.

يقول تعالى في بعض مفردات هذا النجاح: {بسم الله الرحمن الرحيم،

{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ{1} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ{2} وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ{3} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ{4} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ{5} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ{6} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ{7} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ{8} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ{9} أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ{10} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ{11}[المؤمنون 1-11].

إن نجاح الأمة الحقيقي-يا عباد الله، في هذه الدنيا يوم تحكِّم شريعةَ الله في الأرض، وليس النجاح حينما ترفع راية محاربة دينه، وإقصاء شريعته في حكم الناس.

قال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }[النور52].

فالنجاح الحقيقي يكون بالعمل بطاعة الله أمراً ونهياً، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }[التوبة20].

والنجاح الحقيقي حين تُؤثر الآخرة على الحياة الدنيا، فعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: كنت قد هممت بالخروج مع رسول الله فصدني فتيان من قريش فجعلت ليلتي تلك أقوم و لا أقعد فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه و لم أكن شاكياً فقاموا فلحقني منهم ناس بعدما سرت بريداً ليردوني فقلت لهم: هل لكم ان أعطيكم أواقي من ذهب و تخلون سبيلي و تفون لي، فتبعتهم إلى مكة فقلت لهم: احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواق، و اذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين، و خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل أن يتحول منها يعني: قباء فلما رآني قال: (يا أبا يحيى، ربح البيع) ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله، ما سبقني إليك أحد، و ما أخبرك إلا جبريل عليه السلام. ([[217]](#footnote-217)).

والنجاح الحقيقي يوم يخرج الإنسان من هذه الدنيا بالشهادة الكبرى: لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: ( من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) ([[218]](#footnote-218)).

والنجاح الحقيقي يوم يأتي المسلم يوم القيامة بصلاة تامة غير ناقصة، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر) ([[219]](#footnote-219)).

والنجاح الحقيقي يوم يأخذ الإنسان كتابه بيمينه يوم القيامة، ويعلن في الموقف نجاحه لكل الناس، قال تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ{19} إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ{20} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ{21} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ{22} قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ{23} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ{24}[ الحاقة 19-24].

والنجاح كل النجاح يوم يدخل الإنسان الجنة ويُزحزح عن النار، قال تعالى: { فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ }[آل عمران185].

أيها المسلمون، إن نجاح المسلم في دينه وآخرته لا يعني أبداً التكاسل في طلب نجاحات الدنيا الصالحة الممكنة، بل سعي المسلم إلى نجاح الدنيا أمر مطلوب، قد يصل أحياناً إلى درجة الفرض العيني أو الكفائي.

لكن المراد من هذا عدم تغليب الاهتمام بالدنيا على الاهتمام بالآخرة؛ بسبب الانشغال بنجاح الحياة الزائل.

فما أجملَ أن يكون المسلمون ناجحين في دينهم ودنياهم وآخرتهم؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر) ([[220]](#footnote-220)).

ما أجملَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا\*\*\* وأقبحَ الكفرَ والإفلاس في الرجل

هذا وصلوا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه...

# الاستعداد للآخرة ([[221]](#footnote-221))

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، ومالك يوم الدين, أحمده حمداً يليق بجلاله على كثرة نواله, حمداً نستجلب به نعمه، ونستدفع به نقمه, ونستكثر عطاياه, ونصبِّر النفس في بلواه, أشهد أنه الواحد الأحد, الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبى. إمام المتقين, وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، خير من دعا وأرشد, وتبتّل وتعبّد, وتقلّل من الدنيا وتزهّد, وقد عُرضت عليه الخزائن فأباها, ورغب فيما عند الله فنالت نفسه عنده مرادها ومناها، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين, وصحابته الميامين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وسلّم تسليما.

أما بعد:

فأوصي نفسي وإياكم -أيها الناس- بوصية الله لعباده كافة: أولهم وآخرهم، خاصتهم وعامتهم، ألا فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

عباد الله، إنها مكان وزمان: مكان محصور, وزمان محدود، مكان نعرفه ونألفه, نسير عليه ونأوي إليه, وزمان نعلم انتهاء وقته، ونجهل وقت انتهائه، إنها مركب عبور, لا منزلَ حبور, وموطن غرور, لا مهد سرور, تتزين بكل زينة, وتتلون بلون كلِّ طينة. وهي كعجوز شمطاء, قبيحة شوهاء, ومع ذلك فكم خدعت من مغرور بمظهرها, وسبَتْ عقلَ من لم يعرف جوهرها.

تبدو حقائق, وهي أوهام, وتتراءى للناظر وهي:

أحلام نوم أو كظل زائل...إن اللبيب بمثلها لا يخدع

تلكم -أيها الناس- الدنيا دارُ النفاد, لا دارالإخلاد، قال تعالى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[يونس24].

عباد الله، كانت هذه الدنيا –ولاتزال- مزرعة يضع فيها الزرّاع بذورهم من العمل؛ ليحصدوا ثمر ما زرعوا في الدار الآخرة، إن أحسنوا البذر حسُنَ حصادهم, وطابت ثمرتهم, وإن أساؤا ساء منقلبهم, وجاعوا وقت الحاجة، ولا سبيل إلى قضائها وقد فرطوا في زمن البذر، وندموا حين رأوا الناس يحصدون ويبتهجون بما أدخروا لهذا اليوم.

لم يوجد الناس على هذه الحياة ليعيشوا عيش الخالدين؛ فيعمروها ويخربوا الدار التي وعدوا بالخلود فيها؛ فإن الله خلق خلقه لغاية وهدف، ولم يخلقهم لأكل وشرب، وترف ولعب وعبث فقال الحكيم العليم: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ }[المؤمنون115].

تجلّت هذه الحكمة في قول ربنا الكريم: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }الذاريات56

إنها عبادة الله وحده, فإذا ما انتهت هذه الحياة عُرضِت للناس نتائجها في دار القرار والأبد.

ليطمئن الطائع إلى ثواب الله وحسن نُزله، وينال الخارج عن طاعة ربه جزاء فسوقه وإعراضه، فيظهر بذلك عدل الحكم العدل، ولا يظلم ربك أحداً.

عباد الله، إن الله تعالى جعل الدنيا مقر تكليف بأمره ونهيه فقال تبارك وتعالى لآدم عليه السلام ولإبليس لعنه الله حين أهبطا من السماء: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى }[طه123].

فانقسم الخلق في الدنيا إلى قسمين: أحدهما: أنكر أن للعباد داراً بعد الدنيا يثابون أو يعاقبون على ما عملوا فيها. وهؤلاء يمثلهم إبليس ومن كفر من الجن والإنس.

قال الله فيهم: {إَنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ } {أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }[يونس7-8].

وهؤلاء همهم التمتع في الدنيا بلذاتها وشهواتها قبل موتهم ورحيلهم عنها. فهم-في الرغبات والنزوات- كالأنعام في صور الأنام، قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ }[محمد12].

والقسم الآخر: من يقرون بدارٍ بعد الموت للحساب على ما عملوا في الدنيا، ويمثلهم آدم ومن أسلم من الجن والإنس، وهم منقسمون إلى ثلاثة أصناف حسب أعمالهم:

ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله، فصنف الظالم لنفسه: -وهم الأكثرون- وقفوا مع زهرة الدنيا وزينتها فأخذوها من غير وجهها، واستعملوها في غير محلها. صارت الدنيا أكبر همهم، ومبلغ علمهم, بها يرضون، ولها يغضبون، ولها يوالون، وعليها يعادون، يعلمون دقيقها وجليلها، ويصدق فيهم قول القائل:

أبنيَّ إن من الرجال بهيمة... في صورة الرجل السميع المبصر

حذِق بكل مصيبة في عيشه... وإذا أصيب بدينه لم يشعر

هؤلاء هم أهل اللهو واللعب, والزينة والفتور، وإن كانوا يؤمنون بالآخرة إيمانا مجملاً. فهم لم يعرفوا المقصود من الدنيا ولماذا كانت الحياة فيها.

وأما صنف المقتصد، فهم الذين أخذوا الدنيا من وجوهها المباحة، وأدوا الواجب فيها، وأمسكوا الزائد بعد الواجب على أنفسهم، يتوسعون فيه بالتمتع بشهوات الدنيا. وهؤلاء لا عقاب عليهم في ذلك إلا أنه ينقص من درجاتهم، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لولا أن تنقص من جناتي لخالفتكم في لين عيشكم، ولكن سمعت الله عيّر قوماً فقال: { أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا }[الأحقاف20].

وأما صنف السابق بالخيرات، فهم الذين فهموا المراد من الدنيا وعملوا بمقتضى ذلك، فعلموا أن الله إنما أسكن عباده في هذه الدار ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، كما قال الله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً }[الكهف7].

فاكتفى السابقون منها بما يكفي المسافر ويخفف عليه ثقله، ويسهّل عليه السرعة والقدوم على الوطن، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها) ([[222]](#footnote-222)). ومتى ما أخذ السابق من شهواته المباحة، ونوى بها التقوِّي على طاعة الله كانت طاعاتٍ يؤجر عليها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وفى بُضع أحدكم صدقة ). قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: ( أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر ) ([[223]](#footnote-223)).

وقال معاذ رضي الله عنه: "إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي ".

قال سعيد بن جبير: " متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، ومالم يلهك فليس بمتاع الغرور، ولكن متاع بلاغ إلى ما هو خير منه ".

عباد الله، إن السابقين رأوا أن هذه الدنيا ليست وطنهم الذي به يستقرون, ومقام مستقبلهم الذي له يبنون، وإنما هي منزل سفر عما قريب عنه يرتحلون, ومهيع غربةٍ لا راحة فيه ولا أُنس، فتهيأوا بزادهم الكافي في هذا السفر. قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي وقال: ( كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل )، وكان ابن عمر يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح, وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"([[224]](#footnote-224)).

فالناسك السالك في هذه الحياة كعبد أرسله سيده في حاجة إلى غير بلده فشأنه أن يبادر بفعل ما أُرسل فيه، ثم يعود إلى وطنه، ولا يتعلق بشيء غير ما هو فيه.

أيها الناس، يعمل كثير من الخلق للدنيا يظنون بقاءها، وعدم التحول عنها، وهي ذاهبة عنهم وذاهبون عنها، لا قرار ولا استمرار، وماهي إلا كالثلج وضع في الشمس فلا يزال في الذوبان حتى ينتهي.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " ارتحلت الدنيا مدبِرة, وارتحلت الآخرة مقبلِة, ولكل واحدة منهما بنون, فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل".

بينا -يا عباد الله- يسرح الناس ويمرحون في الدنيا يعمرونها ويلتهون بها، إذا بهم يفاجئون بداعي الحق ينادي: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ }[ق19]. لقد مات صاحب الجاه العريض، الذي غرّه جاهه، فهل دفع حشمُه وجنده قبَضةَ روحه؟! ومات صاحب المال الطائل الذي أطغاه ماله، فهل أغنى عنه ماله وما كسب؟! ماذا أخذ من ماله إلى قبره؟! لمن ترك الدنيا؟ لقد تعب فيها واجتهد على تحصيلها، أهكذا يفارقها وتفارقه، ويخرج منها بقطعة من القماش يستوي فيها مع الفقير الُمعدِم الذي لم يملك من الدنيا ما ملك. لقد مات هؤلاء ومات غيرهم {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ }{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ }[الرحمن26-27].

نعم -يا عباد الله- هكذا الدنيا سريعة الذهاب، قريبة الغياب.

لا راحة فيها ولا اطمئنان, هموم وأكدار، آلام وأسقام, إذا أقبلت نزل الهم والتعب, وإن أدبرت جثم الحزن والغم، لا يستريح المؤمن إلا بمغادرتها.

مُرَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة فقال: ( مستريح ومستراح منه) قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ قال: ( العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب) ([[225]](#footnote-225)).

عباد الله، لماذا الركون والميل إلى حياة أمدحُ ما فيها أنها زينة ومتاع، ومن طبيعة الزينة والمتاع سرعة التحول، وقرب التبدل؟! ثم ماهي إلا مضمار لعبٍ ولهو وزينة وتكاثر وتفاخر, بينما هي في نضارتها الزائفة, يمتد إليها الهلاك فتصبح أثراً بعد عين، وحطاماً بعد ابتهاج.

قال الله تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }[الحديد20].

وماذا ترجو من حياة متاعها قليل، ونعيمها مُشرب بعناء، وموعود بفناء قال تعالى: { قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً }بالنساء77].

فعلامَ يفرح الناس بها، ويسكنون إليها، وهي لا تستحق أن يفرح بها؟! قال الله تعالى: { وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ }[الرعد26].

إنها هينة عند الله تعالى حقيرة لا تساوي شيئاً يذكر.

في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مر بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفته فمر بجدي أَسَك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: (أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟)، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: ( أتحبون أنه لكم؟) قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه؛ لأنه أَسَك، فكيف وهو ميت؟! فقال: ( فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم). الله أكبر، هذه حقيقة الدنيا

و عن المستورد بن شداد الفهري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع؟!) ([[226]](#footnote-226)).

عباد الله، ألا وإن الدنيا جديرة بالانتباه والمعرفة؛ لأنها مليئة بالفتن المعترضة في طريق الآخرة، فتن الشبهات وفتن الشهوات التي تتخطف السالكين ممن قل نصيبهم من العمل الصالح الخالص، ومن العلم النافع المنير.

فطوبى لعبد زمّ نفسه وهواه، ونأت عن مواطن الفتن ميوله وخُطاه، وأودع في محاضن الخير جوارحه وفؤاده، وسلّم لشرع الله طاعته وانقياده.

أيها الناس، إن نبينا الرحيم عليه الصلاة والسلام لم يخفْ علينا إدبارَ الدنيا، وإنما خاف علينا إقبالها.

فقال صلى الله عليه وسلم: (فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم )([[227]](#footnote-227)).

فحذاري حذاري -معشر المسلمين- أن تستهوينا الدنيا؛ فنكونَ أُسارها، ورهن يُمناها، فلا نستطيع-حينذاك- الفكاكَ من بين أنيابها.

أيها الكرام الأفاضل، اعلموا أن ذم الدنيا الوارد في الكتاب والسنة وفي كلام العقلاء ليس لزمانها الذي هو الليل والنهار؛ فإن الله جعلهما خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا.

وليس راجعاً إلى مكانها الذي هو الأرض وما أودع فيها من آياته المنشورة: من جبال وبحار، وغير ذلك من متحرك ومن ساكن, فإن ذلك كله من نعم الله على عباده؛ لما ينالون منها من نفع وفائدة. وليس راجعاً إلى العمل والكد الجاري فيها؛ لسد الحاجة وستر الحال؛ فإن ذلك مطلوب فيها قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }[الملك15].

وإنما الذم راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا؛ لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تُحمد عاقبته، وتُجنى فائدته.

والذم أيضاً راجع إلى جعلها غاية وهدفاً، ينصبّ إليه همُّ الإنسان وفكره وعمله، مع الغفلة بها عن الهدف الأسمى الذي خُلق له الإنسان.

ولهذا فإن الدنيا نعمة من الله تعالى على المؤمن؛ لأنه لم يدخل الجنة إلا حينما كانت ظرفَ عمله ومزرعة زاده.

قال الحسن البصري رحمه الله: ": نعمت الدنيا داراً كانت للمؤمن؛ وذلك أنه عمل قليلاً، وأخذ زاده منها للجنة, وبئست الدنيا داراً كانت للكافر والمنافق؛ وذلك أنه ضيّع لياليه وكان زاده منها إلى النار".

وسئل أحد السلف: ماهي الدنيا التي ذمها الله في القرآن؟ والتي ينبغي للعاقل أن يتجنبها؟

فقال: "كل ما أصبتَ في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت منها تريد به الآخرة فليس منها".

ألا وإنها فرصة -يا عباد الله- لا تعود، وهبة لا تتكرر، ألا فاعملوا واغتنموا عمركم فيها, بما يسعدكم يوم المعاد، قبل الندم على زمن مضى وعمر انقضى بلا زاد, فكم من متمن يتمنى الرجعة والأوبة، ولكن هيهات الرجوع بعد ما ذهبت أيام الدنيا ولياليها قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ }المؤمنون99 {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }بالمؤمنون100].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

معشر المسلمين، لما علم الصالحون أن العيش الحقيقي ليس على هذه الدار، وإنما هو في دار القرار, وأن الحياة الكاملة الناعمة إنما هي حياة الآخرة صُغرت الدنيا في أعينهم, وهانت عليهم أن يجعلوها في قلوبهم، كما فعل أبناء الدنيا.

بنوْ الدنيا بجهلٍ عظّموها... فجلّت عندهم وهي الحقيره

يهارِشُ بعضهم بعضاً عليها... مهارشةَ الكلاب على العقيره

لم يحزن الصالحون على ما فاتهم منها, ولم يفرحوا بما نالوا من حطامها، وأخذوا من عرَضها الزائل زاد الراكب حتى بلغوا وجهتهم السعيدة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بُر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض) ([[228]](#footnote-228)).

وقالت: ( كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدَم، حشوة ليف ) ([[229]](#footnote-229)).

كان عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يكون أغنى الناس وأترفهم، يأكل ويشرب ويلبس ويسكن ما يريد، ولكنه سما عن ذلك إلى ادخارها إلى مكان آخر، ورضي بالقليل ليلقى هناك الكثير.

وأعرض عما يبلى لينال ما يبقى, فخرج من الدنيا خفيفاً غير مثقَل, ومات ودرعه مرهونة بدرهمين قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً }[الأحزاب21].

ألا -يا عباد الله- فاعرفوا هذه الحقائق ولا تجهلوها، فإذا عرفتموها فلا تغفلوا عن العمل الصالح، والاستعداد بخير زاد ليوم المعاد.

واصبروا اليوم لترتاحوا غداً, فما وجد الراحة من لم يصبر، وخذوا من الدنيا ما يكفيكم في هذه الرحلة، ولا تكثروا؛ فتثقلوا فيصعب عليكم المسير، ويطول عليكم الحساب.

ولا تنظروا إلى آلام الطريق فتقفوا عندها، بل جاوزوها؛ فعما قريب ترون دار الأحبة فيذهب عندها تعب الطريق. وسارعوا واستبقوا الخيرات، فما أقرب وصول من جدَّ في السير ليلَه ونهارَه.

قال ربنا الكريم: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ }[البقرة148].

وقال رسولنا صلى الله عليه و سلم: ( من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة) ([[230]](#footnote-230)).

وانتصرِوا-عباد الله- على قطاع الطريق: على النفس والهوى والشيطان، بالمجاهدة والمصابرة, وبالأمل إلى موعود الله تعالى.

وقل لنفسك – يا عبد الله- إذا اشتهتِ الحرام: صبراً قليلاً فعما قريب تنالين هناك أعظم مما تشتهينه هنا فأعينيني هنا تغنمي هناك.

وارتحل بقلبك إلى تلك المنازل التي ينتظر قدومَك فيها ملائكةٌ مستقبلون يقولون: {سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ }[الرعد24].

وفيها أهل مشتاقون أمضّهم الانتظار على باب الجنة، لك فيها دار بُنيتْ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ألا فطلقوا الدنيا الفانية لتتزوجوا الآخرة الباقية؛ إذ لا يجوز الجمع بين أختين:

إن لله عبـــاداً فُطنـــــا طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا إليها فلما علموا أنها ليست لحيِّ سكنا

جعلوها لجنة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

وصلوا وسلموا على الهادي البشير، والسراج المنير......

# إياكم واللعن ([[231]](#footnote-231))

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة للخلائق أجمعين، فصلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار..

أيها الناس، إن اللسان عضو صغير، لكن أثره في الخير، أو الشر كبير، فهو المعبر عن قدر الإنسان وقيمته رفعة أو ضعة: يعلي الإنسان أو يدنيه، ويكرمه أو يهينه، ويزينه أو يشينه، ويقربه من الناس أو يبعده عنهم.

والإنسان بلسانه:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

إذا زل اللسان فقد يهلك بزلله صاحبه في الدنيا أو الآخرة، وإذا أصاب فقد يسوقه إلى خيري الدنيا والآخرة. فاللسان قائد إما إلى الجنة، وإما إلى النار**.**

عباد الله، لهذا كله أمر الإنسان بحفظه، وخطمه، ومراقبته وكفه، وترك إرساله في غير الحق.

قال الله تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }[ق18].

والمتأمل في أحوال الناس مع اللسان يجد تساهلاً كثيرا، نتج عن ذلك جنايات لسانية عديدة أورثت غرامات دينية ومجتمعية غير قليلة، وغير يسيرة، حينها يتندم الإنسان على عواقب إطلاق هذه الجارحة دون تفكر، ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول:( ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدا) ([[232]](#footnote-232)).

أفما خيراً للإنسان-يا عباد الله- أن يمسك عليه لسانه في غير الرشد، ويحبسه قبل أن يصير أسير سقطاته وتعدياته؟!.

أيها المسلمون، ألا وإن من أعظم آفات اللسان خطرا، وأبلغها أثرا، وأفتكها ضررا، وأحدها شررا: زلة لسانية لم يبال في التفوه بها الكبير والصغير، والرجل والمرأة، في البيوت والأسوق، وفي الطرقات وأماكن الاجتماع، وفي الجد والهزل: هذه الخطيئة والجريرة الكبيرة هي: التلاعن بلعنة الله، والعياذ بالله تعالى.

كم يسمع السامع من يلعن نفسه، أو زوجته، أو ولده، أو دابته، ومركوبه، بل لم يسلم من ذلك الأرض التي يمشي عليها، والريح التي تمر به، والزمان والعيش الذي قسم له.

وهذا إثم لعمر الله صار ديدناً وعادة لدى بعض الناس، حتى نطقت به الألسنة بدون خجل، واستمرأته الأسماع من غير نكير، وجهل الناطق، أو تجاهل عظم ذنب هذا اللفظ النابي الجارح، وشدة خطره وعقوبته.

عباد الله، إن اللعن يعني الطرد والإبعاد عن رحمة الرحيم الرحمن، فمن قال لإنسان: اللهم العن فلاناً، فمعناه: اللهم اطرده من رحمتك، وأبعده عن قربك ورضوانك. عياذاً بالله؛ ولهذا جعل لعن الإنسان المعين كبيرة من كبائر الذنوب التي لا تكفر إلا بالتوبة النصوح، وإصلاح الخلل.

قال بعض العلماء: حتى ولو كان الإنسان كافراً؛ فإنه لا يجوز لعنه بعينه مادام حياً؛ فلعله أن يسلم ويهتدي إلى دين الحق. عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول:( اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله: {ليس لك من الأمر شيء إلى قوله فإنهم ظالمون}) ([[233]](#footnote-233)).

وعند أحمد في مسنده: كان يدعو على أربعة، قال: فأنزل الله:{ليس لك من شيء}قال: وهداهم الله للإسلام.

وعن أبى هريرة قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال: ( إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة ) ([[234]](#footnote-234)).

وقد جاء هذا المنع-عباد الله- لبيان أن عرض الإنسان مصون، وحقه محفوظ، وكرامته محترمة، وحال الإنسان وتقلبات قلبه بيد علام الغيوب. فالمسلم أعظم الناس حقاً أن يصان عرضه، ويسلم جانبه من السب والثلب، والطعن واللعن. فلعنه معصية وذنب وبيل وتعدٍّ ظلوم؛ إذ كيف يُطرد من رحمة الله من هو أقرب الناس إليه، أو يدعى عليه بالهلاك والأرض وأهلها في حاجة إلى بقائه؟!.

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:( ولعن المؤمن كقتله) ([[235]](#footnote-235)).

فانظروا-عباد الله- إلى هذه العصمة، وإلى عظم التعدي عليها، فالقاتل يقطع المقتول عن منافع الدنيا، واللاعن للبريء يريد أن يقطع من لعنه عن رحمة الله في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون، وللعجب أن يأخذ مكانه ممن يلعن الحيوانات والدواب التي تقوم بخدمته، ويناط بها تحقيق مصلحته، وقضاء حاجته، وهي غير مكلف ولا عقل لها، وإنما هي مسخرة ومصرفة مذللة.

عن عمران بن حصين قال: بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال:( خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة) قال عمران: فكأني أراها تمشي في الناس ما يعرض لها أحد([[236]](#footnote-236)).

وإنما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عقوبة لصاحبتها؛ لئلا تعود إلى مثل قولها؛ إذ الدابة لا تستحق اللعن، أو أم الله استجاب الدعاء باللعن لقوله: فإنها ملعونة.

ومرةً لعن رجل ديكاً فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( لا تلعنه؛ فإنه يدعو إلى الصلاة) ([[237]](#footnote-237)).

وتأملوا معي-يا عباد الله- في قوله عليه الصلاة والسلام:( لا تلعنه؛ فإنه يدعو إلى الصلاة): هذا فيه بيان أن من فيه نفع للخلق لا ينبغي لعنه، فماذا يقال عن أولئك الذين يتعرضون للعلماء بالسب والطعن واللعن وتأليب الرأي العام ضدهم، وهم حراس دين الله في الليل والنهار؟!.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "ما لعن أحد الأرض إلا قالت الأرض: لعن الله أعصانا لله".

معشر المسلمين، هناك من الناس صنف لم يكتفوا بلعن كل ذي روح. بل تعدوا إلى لعن ما يسمعونه أو يرونه مما خلق الله في الكون من الريح والهواء والمطر ونحو ذلك. وهذه المخلوقات لا فعل لها وإنما هي مأمورة من قبل اله تعالى.

فعن ابن عباس أن رجلا لعن الريح، وفي رواية: إن رجلاً نازعته الريح رداءه على عهد النبي صلى الله عليه و سلم فلعنها، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: ( لا تلعنها؛ فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه ) ([[238]](#footnote-238)).

وقد جاء عن أبي كعب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عله وسلم: ( لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به)([[239]](#footnote-239)).

قال بعض العلماء: "والسب: الشتم واللعن والعيب والقدح وما أشبه ذلك، وإنما نهي عن سبها؛ لأن سب المخلوق سب لخالقه".

عباد الله، وإن من الحمق والجزع والإثم وخفة العقل والدين: سب المعيشة والدهر والزمان. والوقت والزمن لا يتصرف بنفسه وإنما هو مصرف بأمر الله، من سبه فقد تعرض لسب مقلبه ومصرِّفه تعالى والعياذ بالله.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( قال الله عز و جل: يؤذيني بن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار) ([[240]](#footnote-240)).

ومعنى هذا: أن سب الإنسان للدهر إيذاء لخالقه ومدبره سبحانه، وهذا محذور أول، والمحذور الآخر: أن من سب الدهر على أنه هو الذي يأتي بالسوء والكدر فقد نسب الفعل لغير الله وقدره، وهذا شرك بالله تعالى.

أيها المسلمون، إن من صفات المؤمن طيب لسانه، وطهر مقوله، فهو بعيد عن الفحش والألفاظ الجارحة، والكلام الساقط، والقول الضار. فالدعاء باللعنة ليس من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله بالرحمة فيما بينهم، والتعاون على البر والتقوى، وجعلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه باللعنة فهو في غاية من المقاطعة والتدابر.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا البذيء ولا الفاحش )([[241]](#footnote-241)).

وجاء عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار) )([[242]](#footnote-242)). يعني: لا يلعن بعضكم بعضاً بلعنة الله فيقول: لعنة الله على فلان، ولا بغضب الله فيقول: غضب الله على فلان، ولا النار فيقول: أدخله الله النار.

وقال رسول الله رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً )([[243]](#footnote-243)).

عباد الله، إن المسلم مأمون الجانب من إيذاء الآخرين بلسانه أو بقية جوارحه، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده )([[244]](#footnote-244)).

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فإنه لم يكن سباباً ولا لعاناً و لا فاحشاً.

أمة الإسلام، إن اللعن الذي سبق التحذير منه طريق إلى التحلي بالفحش والبذاء والتخلي عن حسن القول وطيبه. وهو وسيلة إلى إذكاء العدوات وإحياء الخصومات، وقطع الصلات والعلاقات الحميدة.

واللعن مجلبة للإثم والبعد عن الرب تعالى، قال الإمام النووي رحمه الله في شرح حديث( ولعن المؤمن كقتله): أي في الإثم). وهذا ذنب غير هين.

وقال حذيفة رضي الله عنه: "ما تلاعن قوم إلا حق عليهم القول". وقال ابن عمر رضي الله عنه: "إن أبغض الناس إلى الله كل طعان ولعان".

واللعن ينقص الإيمان ويسلب عن المؤمن كماله فليس المؤمن باللعان.

ومن أضرار اللعن وآثاره السيئة: أن اللعنة إذا لم تصادف محلاً مستحقاً للعن فإنها تعود على لافظها ومرسلها، فكم من جانٍ يجني على نفسه، ولاعن يلعن نفسه وهو لا يشعر.

فعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ( إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذى لعن فإن كان لذلك أهلا وإلا رجعت إلى قائلها )([[245]](#footnote-245)).

فتأملوا -رحمكم الله- إلى عظم اللعنة، وليفكر اللاعن في غير الحق كم قد لعن نفسه!

وهذا مثل ما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك)([[246]](#footnote-246)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدوَ الله. وليس كذلك إلا حار عليه ) ([[247]](#footnote-247)).

قال ابن حجر –رحمه الله -: "والحاصل: أن المقول له إن كان كافرا كفرا شرعيا فقد صدق القائل وذهب بها المقول له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرةُ ذلك القول وإثمه".

عباد الله، هذه آثار اللعن في الدنيا، وأما في الآخرة فإن كثير اللعن لا يشفع يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا دخول النار، ولا يكون شهيداً في ذلك اليوم على الأمم بتبليغ رسلهم إيهم الرسالات فهو بذلك يكون غير عدل وغير خياركما قال الله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً }[البقرة143].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة) ([[248]](#footnote-248)).

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه الأخيار الأوفياء.

أما بعد:

أيها الناس، إن السعيد لمن صرف لسانه فيما ينفعه اليوم في دار الدنيا وغداً في دار الآخرة. وإن الشقي من صار لسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات بالسب والطعن واللعن.

فاحفظوا- يا عباد الله- ألسنتكم من التلاعن بلعنة الله، واستيقظوا من رقاد الغفلة عن هذه المعصية الكبيرة.

وأذكِّر كثيراً في هذا الذنب النساء؛ فإنهن الأكثر ممارسة له من الرجال بجهل أو غفلة. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( يا معشر النساء تصدقن؛ فإني أريتكن أكثر أهل النار). فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: (تكثرن اللعن وتكفرن العشير) ([[249]](#footnote-249)).

فلتنتبه المرأة من هذه الخطيئة قبل أن ترد موارد الهالكين.

ولأجل إكثار النساء من اللعن وتساهلهن فيه خصصت المرأة في باب اللعان بالغضب دون الرجل. قال تعالى: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ{6} وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ{7} عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ{8} وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ{9}بالنور 6-9].

عباد الله، والأطفال يقتدون بوالديهم في الخير والشر؛ فعلينا لذلك أن نحرص على تربية أولادنا على البعد عن التلاعن وكل حديث مشين بأقوالنا وأفعالنا، فتساهل الأبوين في اللعن في البيت يجعل الأطفال يفعلون مثلما يرون، ويقولون مثلما يسمعون.

فكيف يريد أب أو أم من الأولاد البعد عن التلاعن المذموم وهم يتلونه على أسماعهم صباح مساء:

تلوم على القطيعة من أتاها.... وأنت سننتها للناس قبلي!!

وكما قال الآخر:

مَشَى الطاووسُ يوماً باعْوجاجٍ... فقلدَ شكلَ مَشيتهِ بنوهُ

- فقالَ علامَ تختالونَ؟ قالوا:... بدأْتَ به ونحنُ مقلِدوهُ

- فخالِفْ سيركَ المعوجَّ واعدلْ... فإنا إن عدلْتَ معدلوه

- أمَا تدري أبانا كلُّ فرعٍ... يجاري بالخُطى من أدبوه؟

- وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا... على ما كان عوَّدَه أبوه

إخواني الكرام، هذا هو اللعن الذي يجب علينا أن نبتعد عنه، ونحذر منه، ولنا في الجمعة القادمة-بإذن الله- حديث عن اللعن المباح.

ثم صلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة....

# المستوجبون للعن ([[250]](#footnote-250))

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة للخلائق أجمعين، فصلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار..

أيها الناس، إن اللعن عقوبة عظيمة، وأثر شرعي ناتج عن ارتكاب ذنب كبير، ابتعد العبد بهذا الذنب الوبيل عن رحمة الرحيم الرحمن ورضوانه، وعن رضا عباده ومحبتهم في السماء والأرض.

ولعنة الله، أو لعنة رسوله، أو الملائكة، أو الناس، لا تجيء إلا على معصية قد بلغت غاية في القبح، إما معصية في حق الله، أو النفس، أو خلق تعالى. ولهذا قال بعض العلماء: "كل معصية ورد فيها لعن في الكتاب أو السنة فهي كبيرة من كبائر الذنوب التي تكفر بالتوبة والإنابة وإرجاع الحقوق إلى أهلها، وإذا مات الإنسان ولم يتب من ذنب استحق عليه اللعن فهو على خطر عظيم إلا أن يتغمده الله برحمة منه وفضل".

عباد الله، إن الذين لُعنوا في كتاب الله، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما لُعنوا لخطيئة كبيرة اقترفوها، وهذه المعصية قد تكون كفراً أو نفاقاً أو بدعة أو فسقاً، لعنهم بها الله عز وجل، أو رسوله، أو الملائكة، أو الناس أجمعون أو بعضهم.

أيها المسلمون، إن الله تبارك وتعالى أنعم على عباده نعماً لا تعد ولا تحصى: خلقهم ورزقهم وحماهم وكفاهم، وأسدى إليهم كل جميل. وأمرهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يطيعوه، ولا يعصوه، لكن بعض عباده ركبوا هواهم وسلكوا سبيل الشيطان فأغواهم فابتعدوا بذلك عن رحمة الله تعالى، فلعن الله كافرهم فقال:

{إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا}، ولعن منافقهم فقال: {لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً }[الأحزاب60].

ومن أولئك الكافرين الذين لعنهم الله تعالى: اليهود والنصارى الذي اجترموا جرائم عظيمة في حق الله، وفي حق رسله، وفي حق غيرهم من الناس. فلعن الله اليهود الذين وصفوه بما يتنزه عنه من الفقر والبخل فقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }[المائدة64].

ولعن اليهود المحتالين على شرع الله، والعصاة لرسله فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً }[النساء47].ولعن اليهود الناقضين للعهود معه سبحانه وتعالى، ومع أنبيائه، والمحرفين لنصوص كتبه فقال: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[المائدة13].

ولعن اليهود والنصارى الذين كتموا صفة رسوله صلى الله عليه وسلم التي وجدت عندهم في التوراة والإنجيل وغير ذلك من البينات فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ }[البقرة159].

عباد الله، فلا غرابة أن يبوء اليهود بلعنة الله وغضبه فتاريخهم ملطخ بالجرائم والرزايا، وحاضرهم ناطق للعالم كله بالفساد والرزايا، ومستقبلهم يَعِدُ-من خلال واقعهم ودراساتهم المستقبلية- بالكيد وإرادة الإضرار بالعالم غير اليهودي.

أيها الناس، ومن الذين يلعنهم الله تعالى: أناس يؤذونه بالشرك أو نسبة ما لا يليق به إليه، ويؤذون رسوله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب به، أو النيل من ذاته، أو الابتداع في الدين الذي جاء به، أو الطعن في زوجاته، أو أهل بيته، أو صحابته-رضي الله عنهم أجمعين.

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً }[الأحزاب57].

وقال في الذين بهتوا بالفاحشة حبيبة رسول الله عائشة الحصان الرزان رضي الله عنها: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[النور23].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية, فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذين يسبون أصحابه الكرام مشاعل الهداية رضي الله عنهم: (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ([[251]](#footnote-251)).

عباد الله، ومن الذين لعنهم الله تعالى: أهل الظلم الذين فارقوا العدل في حق خالقهم، وحق خلقه، ألا وإن أظلم الظلم الشرك بالله تعالى قال الله عز وجل: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }بهود18].ومن الشرك بالله تعالى: الذبح لغير الله جل جلاله، كالذبح لجني أو قبر أو غير ذلك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لعن الله من ذبح لغير الله) ([[252]](#footnote-252)).

ومن الظلم الكبير-عباد الله- عقوق الوالدين ولعنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لعن الله من لعن والديه) ([[253]](#footnote-253)).

ومن الظلم المستوجب صاحبه لعنة الله تعالى: الإفساد في الأرض، والتولي عن الطاعة وعن العدل قال الله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ } {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ }[محمد21-22].

إن قتل المؤمن نوع من الظلم يستوجب فاعله لعنة الله تعالى قال الله عز وجل: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً }[النساء93].

وسرقة أموال الناس وحقوقهم والسطو عليها ظلم أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده ) ([[254]](#footnote-254)).

أمة الإسلام، ومن الذين يلعنهم الله سبحانه: الكاذبون عليه أو على رسوله صلى الله عليه و سلم، أو على عباده قال تعالى: {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ }[آل عمران61].وقال تعالى في الملاعن الكاذب على زوجته: {وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ }[النور7].

ومن الكذب الذي يبلغ الآفاق: ما يجري في بعض وسائل الإعلام اليوم من الافتراء على بعض الشخصيات البريئة والمتاجرة بالبهتان بتواتر القصف الإعلامي عليها.

ومن الكذب الذي يستحق صاحبه اللعن: تغيير خلق الله تعالى خصوصاً عند النساء بالوشم، أو النمص، أو وصل الشعر، أو تفليج الأسنان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو في كتاب الله) (

. وهذا الفعل طاعة للشيطان واستجابة لتوعده القديم قال الله تعالى: {وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً }[النساء119].

إن من الأمور التي تساهل بعض الناس فيها: تغيير منار الأرض والحدود بين الأملاك في الأرض أو البيت أو المحلات الخاصة، وقد يدرون أو لا يدرون أن ذلك سبب للعنة الله تعالى قال رسول اله صلى الله عليه وسلم: ( لعن الله من غير منار الأرض) ([[255]](#footnote-255)).

قال بعض العلماء: "ويدخل في هذا تغيير العلامات واللوحات الإرشادية الموجودة على الطرقات والأماكن، فمن أزالها لكي يضل الناس عن معرفة الطريق كان ممن يدخل في هذا الحديث".

إن الإنسان العاقل ليعجب من فعل من ضعف دينه وقلت غيرته حينما يطلق زوجته ويريد إرجاعها فيذهب يستأجر تيساً مستعاراً ليحلل زوجته، إن هذا الفعل ملعون أهله: المحلل والمحلل له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لعن الله المحلل و المحلل له) ([[256]](#footnote-256)).

عباد الله، ومن الذين يلعنون بلعنة الله: الذين يؤوون المحدثين الفسادَ في الأرض ويحمونهم ويدافعون عنهم: كالقتلة والسرّاق والمبتدعين والمحاربين لله ورسوله وعباده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لعن الله من آوى محدِثاً ) ([[257]](#footnote-257)).

ويدخل في الإيواء: تأجير البيوت أو الدكاكين لهم.

فنسأل الله تعالى أن يقربنا من مراضيه وأن يباعد بيننا وبين لعنته وغضبه كما باعد بين المشرق والمغرب

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه...

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

أما بعد:

أيها المسلمون، كان الحديث في الخطبة الأولى عن الذين يلعنهم الله تعالى، وتبقى الحديث عن الذين يلعنهم رسول الله، والملائكة، والناس.

إن الملائكة عباد مكرمون يرضيهم ما يرضي ربهم سبحانه وتعالى، ويغضبهم ما يغضبه، فهم يلعنون من أشار إلى أخيه المسلم بسلاح سواء كان أبيض أم نارياً، جاداً أم هازلاً، وهذا يبين عظم قدر المسلم وشدة حرمة ترويعه فكيف بإيصال الاعتداء عليه؟!

قال رسول صلى الله عليه وسلم: ( من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه ) ([[258]](#footnote-258)).

. ويدخل في هذا: المزاح بالسيارات والدراجات النارية، وللتساهل في هذا حدثت حوادث تحولت فيها الابتسامات إلى دموع، والصداقة والصفاء إلى كراهية وعداء.

وممن تلعنه الملائكة أيضاً-يا عباد الله-: المرأة إذا دعاها زوجها للفراش فلم تستجب، وليس عندها مانع شرعي أو صحي من حيض ونفاس، أو مرض مؤثر.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) ([[259]](#footnote-259)).

عباد الله، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن بعض مرتكبي كبائر الذنوب فمن تلك الكبائر: التعامل بالربا عملاً وإيداعاً ونحو ذلك، وقد انتشرت هذه الكبيرة في عصرنا على نطاق واسع فلينتبه المسلم قبل أن تحق عليه لعنة الله، فعن جابر قال: " لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء([[260]](#footnote-260)).

وممن لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: المتعامل بالخمر صناعة وبيعاً وشراء وحملاً ونحو ذلك. فعن أنس بن مالك قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه و سلم في الخمر عشرة: عاصرها ومتعصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له "([[261]](#footnote-261)).

ويدخل في الخمر: كل مسكر من مخدرات ونحوها، ويدخل أيضاً في اللعن: كل من سهل لأهل السكر سكرهم من حماية ومدافعة وتسهيل عبور وتأجير سيارة أو بيت أو دكان ونحو ذلك.

أيها المسلمون، وممن لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال إما في لباس أو حركة أو كلام أو غير ذلك في الجد أو الهزل فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه و سلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال"([[262]](#footnote-262)).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه و سلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل"([[263]](#footnote-263)).

أيها الأحبة الكرام، إن الناس إذا ما رأوا ما يؤذي أبصارهم أو آنافهم، أو ما يعكر صفو راحتهم فقد يلعنون فاعله، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ( اتقوا اللاعنين ). قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: ( الذى يتخلى في طريق الناس أو ظلهم ) ([[264]](#footnote-264)).

فإذا كان أولئك الذين يبولون أو يتغوطون في طريق الناس أو ظلهم أو مواردهم يستحقون اللعن فكيف يكون حال أولئك الذين يكدرون حياة شعوب، ويضيقون معايش ملايين الناس، ويريدون طمس هويتهم وتسميم أفكارهم وإفساد أخلاقهم؟!

أخيراً أقول: إن الذين ارتكبوا كبائر ذنوب واستحقوا عليها اللعن وهم ما زالوا في دائرة الإسلام فلا يصح لنا أن نواجه كل فرد منهم باللعنة فنقول: لعنك الله، على التخصيص، ولكن نقولها على التعميم: لعنة الله على الظالمين، لعنة الله السارقين، وهكذا؛ لأن المراد من اللعن أن يرتدعوا وينزجروا عن المعصية التي يترتب عليها اللعن، وإذا ما فعلوا تابوا ورجعوا إلى الله من لعنته إلى قربه ورضاه.

فيا أيها المسلم، بعد هذا كله اعرض نفسك على ما سمعت، وفتش في أعمالك لعلك تجد أنك قد وقعت أو أنك واقع في ذنب يستوجب اللعن من حيث تدري أو لا تدري، فتب إلى الله تعالى، وانخلع عن معصيته إلى طاعته، ومن غضبه إلى رضاه، ومن أخذ حقوق الآخرين إلى أدائها لهم، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، {وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }[البقرة281].

ثم صلوا وسلموا على صاحب المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود محمد المحمود في السماء والأرض صلى الله عليه وعلى آله وصحبه....

# غصن نضير من دوحة البشير النذير([[265]](#footnote-265))

الحمد لله حمداً حمدا، والشكر له شكراً شكرا، أحمده على نعمه الغزيرة، وأشكره على آلائه الكثيرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً }[ الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، جاء في سنن النسائي، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم وصححه عن أبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات: ( اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب و الشهادة، و أسألك كلمة الحق في الغضب و الرضا، و أسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا يبيد، وقرة عين لا تنقطع، و أسألك الرضا بعد القضاء، و أسألك برد العيش بعد الموت، و أسألك لذة النظر إلى وجهك، و أسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، و لا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، و اجعلنا هداة مهتدين).

عباد الله، إن الله تعالى أنزل إلينا كتابه الكريم على الرسول الأمين هدى للناس مبشراً ونذيرا، يقول الله تعالى: {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً }[الإسراء9].

وأوحى الله تعالى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ما يبين به للناس معاني هذا الكتاب الكريم فكان ذلك المبيِّن هو سنته وأحاديثه عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى: { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }[النحل44].

فكانت معاني السنة من الله تعالى، وألفاظها وقوالب التعبير عنها من الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى } {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }[النجم3-4]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)([[266]](#footnote-266)).

معشر المسلمين، إن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم معصوم في أقواله وأفعاله؛ فلفظه وفعله هدى ونور يهدي به الله من يشاء.

فوجبت طاعته -عليه الصلاة والسلام- واتباع سنته، وحرم الخروج عنها إلى غيرها مما يخالفها؛ فهي مع القرآن عروة الهدى، وسد منيع عن الضلال والردى، يقول الله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[الحشر7].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلّفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض) ([[267]](#footnote-267)).

هذا وإن الله تعالى قد خص نبينا عليه الصلاة والسلام بجوامع الكلم: ألفاظ قليلة تحمل معاني كثيرة،فينطق صلى الله عليه وسلم بكلمات قليلة قد تشمل الدين كله.

مع فصاحته صلى الله عليه وسلم وبلاغته؛ لكونه نشأ في بيئة عربية خالصة.

أمة الإسلام، إن هذا النص النبوي الشريف قد جمع أطيب ما في الدنيا وأطيب ما في الآخرة، وهو يتحدث عن مسألة مهمة في الدين، وعبادة عظيمة من أجلِّ عباداته، ألا وهي عبادة الدعاء.

إن الدعاء -عباد الله- له شأن عظيم، ومنزلة سامية في الإسلام، لا يُهدى إليه إلا موفق، ولا يَضل عنه إلا محروم.

الدعاء عبادة من أعظم العبادات؛ لأنها تجتمع فيها أنواع كثيرة من التعبد والتقرب؛ فالدعاء يستدعي حضور القلب، وعبادةَ الله بالتوجه والقصد، والرجاء والتوكل، والرغبة فيما عنده والرهبة من عذابه. ويستدعي عبادة اللسان بالحمد والشكر والمسألة، ويستدعي عبادة البدن بالتضرع والاستكانة والانكسار والتوبة من الذنوب، والحرص على تطييب المكسب لإنفاقه على حاجات الإنسان.

والدعاء عبادة سهلة مطلقة غير مقيدة بزمان أو مكان أو حال؛ فهي في الليل والنهار، والبر والبحر، والسفر والحضر، والصحة والمرض.

ولكن ليس كل حامل سلاحٍ قادراً على الإصابة وعدم إخطاء الهدف، فالسيف بضاربه.

لهذا كان للدعاء شروطا وآداب، فمن ذلك:

أن على الداعي أن يعلم أنه لن يستطيع قضاء حاجته إلى الله، وأن يخلص الدعاء، وأن يحضر قلبه، ويتجنب أكل الحرام، وأن لا يمل من الدعاء، ولا يستعجل الإجابة، وأن يكون المدعو به من الأمور الجائزة شرعاً وعقلاً، وأن لا يكون في المدعو به إثم أو قطيعة رحم، وأن يختار من الأدعية الدعاءَ الجامع لخيري الدنيا والآخرة، و أن يرفع يديه، ويثني على الله تعالى بين يدي دعائه، ويختار الأوقات الفاضلة كالسحر، وحال الصوم، والسجود، وغير ذلك.

فمن جمع هذه الأحوال فهو قريب من الإجابة بعيد عن الرد.

عباد الله، إن هذا النص النبوي الشريف تضمّن خيري الدنيا والآخرة، فقد جمع على وجازة ألفاظه مبادئ كثيرة.

فهذا الدعاء شمل الإقرار بالإيمان بالله وصفاته، والإيمان باليوم الآخر وبعث الناس بعد مماتهم, وجمع بين إصلاح العامل نفسه، وإصلاح عمله، وتعدى ذلك الخير إلى الخلق نفعاً لهم، وإبعاداً للضر عنهم.

وضم في ثناياه الاهتمام بالباطن والظاهر، والسر والعلانية، ورضا الإنسان بما قسم الله له من أحوال حياته الدنيوية، دون تضجر ولا تسخط، مع علو الهمة في طلب أحوال الآخرة الباقية, واشتمل أيضا على طلب إصلاح الحياة النفسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والدنيوية والأخروية.

وما أحسنَ أن نقف عند هذه الجمل المضيئة لنقتبس من أنوارها، ونتعرف على بعض أسرارها؛ لتضيء لنا الطريق إلى خالقنا، ونصلح بما تحتويه من أعمالٍ دنيانا وآخرتنا.

أيها المسلمون، أولى جمل هذا الدعاء النبوي الشريف قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أسألك خشيتك في الغيب والشهادة).

إن ربنا عظيم في ذاته، ذو كمال وجمال وجلال في أسمائه وصفاته، لا يحيط أحدٌ بكنهه وقدره سبحانه وتقدس، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. ومن عرف الله تعالى بالكمال عرف نفسه بالنقصان، ومن عرف الله بالعلم عرف نفسه بالجهل، ومن عرف الله بالقدرة عرف نفسه بالعجز، ومن عرف الله بالقوة عرف نفسه بالضعف، ومن عرف الله بالألوهية عرف نفسه بالعبودية. انظروا -عباد الله- في آثار أسمائه وصفاته، انظروا إلى جبروته وقوته، ورحمته وقدرته، وعلمه وحكمته، وحياته وقيوميته. وتأملوا في بديع صنعه في مخلوقاته، وانظروا موجوداته في أرضه وسماوته هل رأيتم في خلقه من فطور، أو شاهدتم في فعله من قصور، سبحانه جل جلاله وعم فضله ونواله.

إن العلم بالمعاني الماضية عن الله تعالى توجب خشيته تعالى والخوف منه؛ ولذلك كان العلماء العاملون أخشى الناس لله تبارك وتعالى، قال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }[فاطر28].

إن خشية الله تثمر تعظيمه على كل معظَّم، وتقديمه على كل مقدَّم، وطاعته وترك معصيته، والانصياعَ لأوامره، والانكفاف عن زواجره.

وهي تثمر الإقدام على العمل الصالح واتقانه، واستصغاره في جانب الله وإخفاءه، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ{57} وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ{58} وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ{59} وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ{60} أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ{61}[المؤمنون57-61].

قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله، { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة } أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا، يا بنت أبي بكر، أو يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي، وهو يخاف أن لا يتقبل منه، أولئك الذين يسارعون في الخيرات([[268]](#footnote-268)).

عباد الله، هؤلاء الذين يخشون ربهم لا يخشونه في العلن دون السر، وإنما يجمعون بين خشية الظاهر والباطن، بل الباطن أشد قال تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ }[يس11].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، و منهم: ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ) ([[269]](#footnote-269)).

فما جزاء الخاشين معشر المسلمين؟. من جزائهم: غفران ذنوبهم وعظم أجورهم.

يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ }[الملك12].

أما الذين لا يخشون الله تعالى فما أسرعهم إلى عصيانه وانتهاك حرماته، وعدم تقديره حق قدره، وما أبطأ خُطاهم إلى طاعاته، والمنافسة على قرباته.

أيها المسلمون، ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (و أسألك كلمة الحق في الغضب و الرضا).

ما أكثر الباطل بين الناس! وهنا يبرز دور الحق وقول الحق في المواجهة والتغيير. فالجهر بالحق في وجه الباطل يزعج الباطل؛ لأن الباطل لا يريده، ولا يحب أن يصده عن إفساده شيءٌ. وقول الحق -ابتغاء وجه الله- لا يستطيعه كل أهل الحق؛ لأن كلمة الحق مرة،؛ فقد تذهب بإسماعها المصالحُ، وتجيء المكاره والمضار، فتقف الرغبة والرهبة حاجزاً دون الإعلان والإبلاغ. لكن أصحاب النفوس العظيمة الذين ينظرون إلى الدار الآخرة من وراء كلماتهم لا يستهويهم الترغيب؛ فما عند الله خير لهم وأبقى، فلا يخيفهم الترهيب، مادام أن أرواحهم وآجالهم بيد الله، ولن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، وإن أُصيبوا فما أحسن التضحية في جنب الله تعالى، وأحلى عاقبتها!

إن الإنسان له حالان: رضا وغضب، ففي حال الرضا يجب على المسلم أن يفعل الحق وينطق به، فإن رأى منكراً نهى عنه، أو معروفاً أمر به، ولا يسكت -في حال قدرته- عن النطق أمام الباطل، مهما كانت منزلة صاحب الباطل: أميراً أو وزيراً، عظيماً أو حقيرا. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه و سلم بسبع: (وذكر منها: وأن أقول الحق وإن كان مرا...) ([[270]](#footnote-270)).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ألا لا يمنعن أحدَكم رهبةُ الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده؛ فإنه لا يقرب من أجل، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم ) ([[271]](#footnote-271)).

وعنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ( إن الله جل وعلا ليسأل العبد يوم القيامة حتى إنه ليقول له: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره! فإذا لقن الله عبداً حجته يقول: يا رب، وثقت بك، وفرَقتُ من الناس) ([[272]](#footnote-272)).

فالعبد المؤمن في حال رضاه لا يداهن، ولا يرائي، وإن حكم وقضى لا يميل إلى طرف ظلماً في قضائه وحكمه، بل يصدع بالحق ولو شدخ رؤوس أهل الباطل، ولكن بعلم وحكمة.

أما في حال الغضب فإن الغضب متى قويت ناره والتهبت أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة حتى يغلي دم الإنسان لطلب الانتقام، لكن المؤمن لا يميل عن العدل والحق ولو في حال غضبه.

فالواجب -عباد الله- حال الغضب أن يحكِم الإنسان عقله، ولا ينساق وراء دواعي الغضب، فينطق بالباطل ويفعله؛ انتصاراً للنفس، وانتقاماً من خصم؛ فربما تغيب كلمة الحق حال الغضب؛ بسبب غيوم الغضب المتكاثفة، فيفوه الغضبان بما يضر نفسه وغيره.

أيها المسلمون، ثم يتدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في إرسال هذه الدعوات الجامعة فيقول: (و أسألك القصد في الفقر والغنى).

إن الإسلام دين الاعتدال والوسطية، فلا إفراط فيه ولا تفريط. ففي مجال المال يأمر باكتسابه من أوجهه المشروعة، وينهى عن ترك التكسب، ويحظر أخذه وتملَّكه من الجهات والموارد المحرمة، ويأمر كذلك بإنفاقه في النفقات الواجبات من زكاة ونفقة على النفس والزوجة والأولاد والأبوين وكل ذي حق على الإنسان، ولكن من غير إسراف ولا تقتير، كل حسب وسعه وغناه، فليست نفقة الفقير كنفقة الغني. وقد تختلف باختلاف الزمان والمكان، فلعلها تكون بعض الكماليات في أزمنة وأمكنة من الحاجيات المهمات. يقول تعالى: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً }[الطلاق7].

روى ابن جرير عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أبي عبيده؟ فقيل: إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام. فبعث إليه بألف دينار وقال للرسول: انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها؟ فما لبث أن لبس الليّن من الثياب، وأكل أطيب الطعام. فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى! تأول هذه الآية { {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً }[الطلاق7].

وللإنسان أن ينفق في المباحات بما يرفّه به على نفسه ومن يعول، شريطة أن لا يخرج ذلك عن حدِّ الحق إلى الاسراف الذي هو: صرف ما ينبغي زائداً على ما ينبغي, أو إلى التبذير الذي هو: صرف الشيء فيما لا ينبغي من المحرمات ونحوها.

وحث الإسلام –أيضاً- المسلمَ على الإكثار من البذل في سبيل الله من صدقات، وعون لذوي الحاجات، فلا إسراف في الخير، كما أنه لا خير في الإسراف في غير حق. قال إياس بن معاوية رحمه الله: "ما جاوزتَ به أمر الله فهو سرف"، وقال غيره: "السرف النفقةُ في معصية الله تعالى".

وكما أمره بالإنفاق نهاه عن الإمساك والبخل، وهو: حبس المال عن الحقوق الواجبة، والنفقات المأمور بها كالزكوات وحقوق من يعولهم الإنسان، أو إمساك المال عن بذله في الخير وادخار الأجر ليوم الحاجة إليه: يوم القيامة.

فمن أمسك فعلى نفسه جنى قال تعالى: {هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء }[محمد38 ].

وليبشر البخيل بحادث أو وارث، كما قيل.

فمن سار -عباد الله- على هذا الطريق المعتدل منفقاً في غير سرف، وممسكاً من غير حرمانِ حقٍّ، أو تقتير- فقد أصاب الحق وأخذ بزمام القصد يقول تعالى: {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً }[الإسراء29].

قال كعب بن مالك رضي الله عنه: "إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: ( أمسك بعض مالك؛ فهو خير لك) ([[273]](#footnote-273)).

فالاعتدال الاعتدال عباد الله تبلغوا.

أيها المسلمون، ثم يسترسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في سؤال ربه، وتعليم أمته فيقول: )وأسألك نعيماً لا يبيد، وقرة عين لا تنقطع).

إن هذه الدنيا خُلقت للفناء ولم تخلق للبقاء, ما فيها زائل، ومقيمها مرتحل، وإلى دار الخلود منتقل, دار مشوبة بالغصص، ونعيمها مخلوط بألم الحاجة قبله، والكدر بعده، وعدم التمام والكمال أثناءه. فما أجهل من اغتر بدار هذه حالها، وإلى ذلك المصير مآلها. وكما قال الله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً }[الكهف45].

من أراد النعيم المقيم الذي لا يتكدر فليس في هذه الحياة، وإنما هو في جنة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[الزخرف71 ].

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا، فذلك قوله عز و جل: { ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون } [الأعراف43 ] ([[274]](#footnote-274)).

فمن الغبن الفاحش –معشر المسلمين- أن يؤثر امرؤ الشهواتِ المحرمة في دنياه على ما أعد له مولاه في أخراه لو تركها، أو يركن وينقطع إلى الشهوات المباحة في حياته ويغفل أو يتغافل عن مثيلاتها في آخرته بعدم الاستعداد للظفر بتلك الملذات التامة، وما في الدنيا إلا نماذج وعينات لما في الاخرة.

أيها المسلمون، بعد هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (و أسألك الرضا بعد القضاء).

حينما يبلغ الإيمان الصادق بصاحبه منزلة راقية يلاحظ عند نزول البلاء به حكمة المبتلي جل وتقدس، وخيرته لعبده في ذلك الامتحان، وأن الله غير متهم في قضائه وقدره.

فينزل حينئذ على قلبه نعيمُ الاطمئنان والرضا، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساسَ بالألم بالكلية، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط) ([[275]](#footnote-275)).

والحياة الطيبة والعيش الهنيء حاصلان بالرضا بأقدار الله وأقضيته، قال بعض السلف في قوله تعالى: " { فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً }[النحل97]. قال: الرضا والقناعة", وقال غيره في قوله تعالى: "{ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ }[التغابن11 ]،قال: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى".

فإذا نال العبد المسلم الراضي هذا النعيمَ العظيم في الدنيا -وهو يعرف أنها وأنه عما قريب إلى ارتحال- استشرف إلى دار العيش الحقيقي إلى الجنة؛ فإنه العيش الكامل، وما سواه ظل زائل، وحالٌ حائل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم، لا عيش إلا عيش الآخرة)([[276]](#footnote-276)).

والعيش في الجنة فيه الراحة والرَّوح المنزه عن المنغصات؛ ولذلك دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا قائلاً: (و أسألك برد العيش بعد الموت).

فاللهم، إنا نسألك خشيتك في الغيب و الشهادة، و كلمة الحق في الغضب و الرضا، و القصد في الفقر والغنى، ونسألك نعيماً لا يبيد، وقرة عين لا تنقطع، و نسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد، ما تعاقب الملوان، واستمر الجديدان، أما بعد:

أيها المسلمون، عوداً حميداً إلى هذا الدعاء النبوي الجامع، إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك: (وأسألك لذة النظر إلى وجهك).

إن لذات أهل الجنة فيها كثيرة متنوعة: لذة المكان، ولذة الزمان، ولذة الجار، ولذة المسموع، ولذة المرئي، ولذة المطعوم، ولذة الخلطة, ولكنهم لا يجدون شيئاً أنعم ولا أعظم من تنعمهم بالنظر إلى وجه الله الكريم. فعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }[يونس26]. فقال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ألم يبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقرَّ لأعينهم)([[277]](#footnote-277)).

فيا لها من لذة ما أعظمها! ويا لها من ساعة ما أكرمها! وياله من موعد ما أحبه! وياله من جزاء ما أحسنه! نسأل الله من فضله.

لقد عبده المؤمنون به في الدنيا بالغيب ولم يروه، فأحبوا رؤية معبودهم ومحبوبهم، فكان من إكرام الله لهم أن تجلى لهم فرأوه عِياناً يوم القيامة، وهذا هو الحق: أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم في الآخرة يقول الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ }{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }[القيامة22-23].

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إنكم سترون ربكم عياناً يوم القيامة )([[278]](#footnote-278)).

وأما الكفار -فلكفرهم وجحودهم- فكانوا حقيقين أن لا يُكرموا برؤية ذي الكمال والجمال جل وتقدس، يقول الله تعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ }[المطففين15].

قال الشافعي رحمه الله: "لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا".

أيها المسلمون، ويتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء قائلاً: (وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، و لا فتنة مضلة).

إن من لوازم الرؤية: اللقاء، فكم قد طال بالمؤمنين الشوق، وبرَّح بهم الانتظار، وطول السفر. وفي أثر إسرائيلي: "طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إلى لقائهم أشوق".

وقال تعالى: {مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[العنكبوت5].

قال بعض العارفين: "لما علم الله شوق المحبين إلى لقائه ضرب لهم موعداً للقاء، تسكن به قلوبهم".

لقد جعل الشوقُ المشتاقين يتحملون الآلآم والمشاق، ويؤدون ما فرض عليهم إلى تبلغ الروح التراق، ويتجنبون ما نهوا عنه، حتى الممات والفراق.

ولما كان يمكن أن يُتصور الألم، أو يحصل الضرر والفتنة من فعل المطلوبات والعبادات السابقة سأل الرسول عليه الصلاة والسلام -إن كانت فتنة أو ضراء- أن لا تؤدي إلى تأثير سلبي على الديانة؛ فلهذا قال: ( من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة) أي: تفضي إلى الحيرة والهلاك.

أيها المسلمون، ثم ختم النبي عليه الصلاة والسلام هذا الدعاء العظيم بدعوتين عظيمتين فقال:( اللهم زينا بزينة الإيمان، و اجعلنا هداة مهتدين).

فأولى هاتين الدعوتين تعني: حصول كمال الإيمان وآثاره الحسنة على الظاهر والباطن.

والزينة زينتان: زينة تصلِح الظاهر، وتكون باللباس الذي يغطي العورات الحسية.

وزينة تصلِح الباطن والظاهر، بتغطية العورات المعنوية، وهذه الزينة هي زينة الإيمان، وحسن الإسلام، قال الله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }[الأعراف31].

وكان قد قال قبلها: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ }[الأعراف26].

فماذا يغني جمال المظهر والمنظر إذا فُقد جمال المخبر والجوهر؟! كثيرون هم المهتمون بظواهرهم، وقليلون من يهتمون بإصلاح بواطنهم.

وإن الإيمان -عباد الله- ليس ادعاءً أو أقوالاً ولكنه حقائق ثابتة في القلوب، وأفعال ناطقة على الجوارح.

وثاني الدعوتين: سؤال الله الهداية، وتلك نعمة ما أعظمها! ومنّة ما أكملها! ولا يكمل الاهتداء إلا بإهدائه إلى باقي الخلق.

فمن رزق الهداية فأمسكها على نفسه، ورأى المنكر مفعولا، والمعروف مهجورا، فلم ينه أو يأمر فقد لا يسلم في الدنيا وإن نجا في الآخرة، ولا تسل عن الثالث الذي ضلّ وأضل.

فإن الله تعالى قد ذكر لنا في كتابه قصة الذين اعتدوا في السبت وختم لنا تلك القصة بمشهد الختام والمصير للأصناف الثلاثة: العاصين، والساكتين عنهم، والناهين لهم فقال تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ }[الأعراف165]، وسكت عن الصنف الثالث. فيا أيها الناس، اعرفوا قدر سنة نبيكم: فعظموها واعملوا بها، و منها أحاديث الدعاء فخذوها وادعوا بها، وقدموها على غيرها، وسلوا الله التوفيق إلى خشيته في الغيب والشهادة واخشوه بسلوك سبيل الخشية، وسلوه التوفيق إلى قول كلمة الحق على كل حال وفي كل ظرف فقولوها، وتجنبوا سواها من الباطل، وسلوه التوفيق إلى الوسطية في جميع أموركم، ومنها: حال الغنى والفقر، فكونوا معتدلين: لا مبذرين ولا مقترين، وارجوه تعالى حسنَ المآل والمنقلب يوم تصيرون إليه، وإلى ما في ذلك من الخيرات الحسان فاستعدوا وأعدوا مهر تلك المطالب والرغائب. فإذا فعلتم ذلك فإنه من الإيمان الذي يلوح عليكم نوره، فكنتم بذلك هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.

ثم صلوا وسلموا على خير الورى....

# تداعي الأمم على أمة الإسلام ([[279]](#footnote-279))

الحمد الله ناصر المستضعفين، ومؤيد المؤمنين، وآخذ الظالمين، ومخزي الكافرين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وغياث المستغيثين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المتقين، وحبيب رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لم يعد خافياً على كل ذي لب اتفاقُ ملل الكفر على ملة الإسلام؛ لأنه قد أصبح من الواضح جداً أن العدو الذي يهدد كيان كفرهم، ويعرقل مسيرة بغيهم هو هذا الإسلام بما يحمله من عناصر القوة المتنوعة، وعوامل البقاء والخلود، وسرعة الانتشار والظهور، وقوة التأثير في القلوب، ورسوخ اقتناع معتنقيه الراضين به من غير بديل عنه.

ولهذا اجتمع أعداء الإسلام على حربه كلهم وإن اختلفوا فيما بينهم: اليهود والنصارى، والمجوس والهندوس، والبوذيون والملحدون.

فصار هذا التكالب مصداقَ إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ). فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: ( بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ). فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت) ([[280]](#footnote-280)). فذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا النص الشريف سبب تداعي أحزاب الكفر على أهل الإسلام –مع كثرة عدد المسلمين- وهذا السبب هو: خور المسلمين وجبنهم، وهزيمتهم الداخلية وضعفهم، وهذا هو الذي ولّد حبَّ الدنيا وكراهية الموت، حتى صار الحرص على الحياة الدنيا أهمَّ من الحرص على الآخرة، فحبّب في نفوس كثير من المسلمين البقاءَ ولو كان بقاء ذليلاً دنياً، وكرّه المواجهة بالجهاد لأعداء الدين، فكانت النتيجة هي ما عليه المسلمون اليوم من الانحطاط والاستذلال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) ([[281]](#footnote-281)).

إن هذا الانهزام الداخلي لدى المسلمين جعلهم يتفرقون ويتناحرون فيما بينهم، مما جعل كل دولة أو طائفة مشغولة بنفسها بعيدة عن همِّ غيرها، وهذا أعطى العدو فرصة افتراس الدول الإسلامية دولة بعد دولة، وأكلتُ يوم أكل الثور الأبيض كما قيل، وهذا مثل وأصله-كما يذكرون-: أن ثلاثة أثوار:أبيض وأحمر وأسود، اجتمعن مع أسدٍ في أجمة، فكان الأسد إذا أراد شيئاً منهن اجتمعن، فامتنعن منه، فقال للأحمر والأسود: إنه لا يفضحنا في أجمتنا هذه إلا مكان هذا الأبيض، فخليا بيني وبينه حتى آكله، ثم أخلوا أنا وأنتما في هذه الأجمة، فلونكما على لوني ولوني على لونكما، ففعلا، فوثب عليه فلم يلبثه أن قتله، قال: فكان إذا أراد أحدهما اجتمعا، فامتنعا منه، وقال للأحمر: يا أحمر، إنه لا يشهرنا في أجمتنا هذه إلا مكان هذا الأسود، فخل بيني وبينه حتى آكله، ثم أخلو أنا وأنت، فلوني على لونك ولونك على لوني، فأمسك عنه فوثب عليه فلم يلبثه أن قتله، ثم لبث ما شاء الله ثم قال للأحمر: يا أحمر ! إني آكلك، قال: تأكلني؟! قال: نعم، قال فدعني حتى أصوت ثلاثة أصوات، ثم شأنك بي، قال: فنعم، فقال: ألا إني إنما أُكِلتُ يوم أُكل الثور الأبيض، فصارت مثلا، وهذا حال الدول الإسلامية اليوم؛ فإنها لو اجتمعت واتحدت لهابها العدو ولم يجرؤ على قضم دولة منها.

ومن هنا نعلم السر في نهي الله تعالى المسلمين عن الاختلاف والتنازع كما قال تعالى: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }[الأنفال46].

أوصى والد أولاده عند وفاته فقال:

كونوا جميعاً يا بَنيَّ إذا اعترى\*\*\* خَطبٌ ولا تتفرقوا أفرادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً\*\*\* وإذا افترقن تكسرت آحادا

عباد الله، لقد أراد العدو الكافر-على اختلاف ملله ودوله- أن يصد دين الإسلام الذى أضحى نوره يشق دروب هداية البشرية في كل مكان؛ لينتشل العالم التائه من دياجيه الكثيفة.

إن أعداء الإسلام على يقين من ظهور الإسلام وسطوع ضيائه على كل الآفاق لكنهم يريدون عرقلته وتأخير خطواته الحثيثة عن بلوغ مداه؛ لذلك لم يألوا جهداً-بما يمتلكون من قوى متعددة ومتطورة- من محاولات لكبح جماح كل بارقة أمل تريد أن تخرج الأمة من كهف الذل والانحطاط، أو أن تأخذ بيدها لتنقذها من منحدراتها السحيقة؛ لترى مكانها الذي هي أهله من دون الناس، وتبصر الحياة والأحياء فتبث فيهم خيرها وهداها.

سخر أعداء الإسلام سياستهم المحكمة لوضع الأمة الإسلامية في أنفاق التبعية لها، فأضحوا هم المسيرَ الحقيقي للدول الإسلامية بشراء أصحاب القرار فيه بالترغيب أو بالترهيب، وفرضِ قوانينها -بعد ذلك- دستوراً يحكم المسلمين بما يخالف شريعة الله التي ارتضاها لهم.

وسخروا كذلك قوتهم الاقتصادية للانقضاض على ثروات المسلمين وجعل المسلمين سوقاً لهم، وزرعِ العقبات الكثيرة أمام كل دولة إسلامية تريد النهوض باقتصادها، وإغراقها باستعمار الديون والقروض الربوية التي تثقل كاهلها؛ لتصبح تلك المنح المالية مطيةِ ضغطٍ عليها لتستجيب لمطالبها وأجنداتها الخبيثة.

وسخروا أيضاً قوتهم الإعلامية الجبارة لغزو عقول المسلمين بثقافتهم الاستعمارية التي تستهدف كل المبادئ والخصال الحسنة بين المسلمين، فإعلامهم حرب على الدين وعلى القيم والأخلاق والاعتزاز بالفضائل، وهو طوفان يأتي على كل خير تبقى مع هذه الأمة.

وهذه المعركة الشديدة لم يقم بها العدو بنفسه فحسب، بل جند لها قوماً من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا ويعيشون بيننا ويتحكمون في أجهزة إعلامنا.

فكيف سينشأ جيل يربيه إعلام يحارب الفضائل ويغري بالرذائل؟!

لم يكتف عدونا بما مضى فقط، بل نما قوته العسكرية وطورها بتجربة أسلحته في لحوم المسلمين ودمائهم وأراضيهم، وغزوها للقضاء على كل ما ينبض فيها بعرق عز وإباء.

إخوة الإسلام، إن عصرنا الحاضر -الذي توزع فيه المسلمون مزقاً، وهُزم معهم المعسكر الشيوعي- أفرز قوة كبرى أصبحت تدير العالم كله وهي الولايات المتحدة الأمريكية التي استحوذت على مقاليد القوى: السياسية والاقتصادية والعسكرية العالمية، فكونت المجالس والجمعيات والمحاكم الدولية التي تشرف على مجريات أحداث العالم وتبتُّ فيها بقراراتها المتبعة، حسب إرادة الإدارة الأمريكية، وللمسلمين من تلك القرارات الجائرة أوفر نصيب؛ فإنها دائماً تمثل دور الخاسر في كل قرار؛ إذ لا حول لها ولا قوة حتى تملك حق الفيتو وترفض القرار وتنتصر لنفسها.

إخواني الأعزاء، سأذكر هنا مثالين من أمثلة كثيرة تبرهن على ما ذكرت من جور تلك الإدارات الحاكمية التي تقرر ما يصب في إضرار المسلمين وإيذائهم:

المثال الأول: ما يجري هذه الأيام لإخواننا المسلمين في بورما من إبادة جماعية على يد البوذيين، فقد قتلوا مئات الآلاف منهم بأبشع صور القتل والتنكيل، وهجروا وشردوا مئات الآلاف أيضاً، وفعلوا ما يشيب له الولدان.

وأولئك المسلمون ليسوا محاربين وليس لديهم سلاح للمواجهة حتى سكاكين الطعام أخذوها عليهم من البيوت كما أخبرني بذلك أحد أهل تلك البلاد.

فأين راعية السلام المزعومة، وأين تلك المجالس الأممية من هذه المجازر البربرية، لماذا لا تتحرك لإدانة السفاح وإنقاذ ما تبقى من المظلومين من بين براثن تلك الكلاب البوذية؟!.

أين مجلس الأمن الدولي من هذه الجريمة التي تعد خزياً في جبين الإنسانية جمعاء؟!.

أما لو قتل كافر محارب على أيدي المسلمين فإنهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها، وصدق من قال:

وقتلُ عِلْج واحدٍ\*\*\*جريمة لا تغتفرْ

وقتل شعب مسلم\*\*\* مسألة فيها نظر!!

أيها المسلمون، المثال الثاني -وهو مثال أكثر تعقيداً، وأطول نفَساً، وأبعد أثرا، هذا المثال هو: ما يجري للمسلمين السنة في سوريا من الإبادة والإهلاك، على أيدي التحالف النصيري الصفوي الأمريكي الشيوعي، ومن انضم إليهم من العملاء والحاقدين على الحق وأهله.

إن ما يحدث الآن في أرض الشام-يا عباد الله- من مجازر ومذابح، وفضائع وفواجع يفوق وصف الواصفين، ويربو على ما يعرض في الإعلام المتنوع. إنها جرائم تستمطر كل العيون الناظرة، ويؤلم كل القلوب الحية، عند من تبقى لديه ذرة من إنسانية يتحرك بها.

لم يسمع التاريخ الحديث بمثل ما يحدث من التنكيل والقتل والتشريد لأولئك المظلومين على يد أولئك الظالمين الذين لم يعد فيهم ضمير إنسان ولا قيم حميدة تحجزهم عن هذه الأفعال الشنيعة.

فماذا يقول الإنسان عن ذلك القصف المروع بالمدافع والطائرات والراجمات والدبابات التي حولت البلدات إلى مدن أشباح لا ينطق فيها إلا الخراب والدمار والأشلاء المتناثرة هنا وهناك، وكأنما قامت القيامة في تلك الأماكن الحزينة على ذهاب حركة الحياة منها؟!.

وماذا يقال عن عشرات الآلاف من القتلى الذين جيفوا، وعشرات الآلاف من الجرحى الذين لا يجدون المشافي الآمنة ولا الأدوية الكافية؟!.

وماذا يقال عن الآلاف من الأسرى الذين يلاقون من التعذيب ما لا يلاقيه أسراء فلسطين على أيدي اليهود؟!

وماذا يقال عن تلك العفيفات اللاتي انتهكت أعراضهن على مرأى ومسمع القريب والبعيد؟!

وماذا يقال عن الملايين الذين هُجِّروا من بيوتهم إلى العراء داخل سوريا وخارجها؟!

وماذا يقال عن تلك النداءات والاستغاثات التي قد بُحّت أصوات أهلها وهم ينادون المسلمين، وينادون أحرار العالم: أنقذونا أنقذونا، ولكن لا مجيب؟!

أيها المسلمون، إن النظام السوري الحالي نظام نصيري رافضي عنصري وحشي يعادي السنة وأهلها عداء شديداً، وهذا ليس جديداً عن هذه الطائفة الباغية؛ فتاريخهم ملطخ بجرائم إنسانية ضد أهل السنة في الشام في زمانهم القريب وزمانهم التاريخي البعيد.

وهذه الطائفة تدين بالرفض والعداء للسنة؛ ولذلك تقاطرت إلى سوريا الجموع الرافضية من العراق و إيران، ومن اليمن ولبنان، ومن غيرها.

ومن قرأ التاريخ سيجد أن الرافضة أشد عداوة للمسلمين من اليهود والنصارى وأكثر أذية لهم من غيرهم.

عباد الله، إن الأزمة السورية أزمة لكل الأمة المسلمة؛ لأنها أزمة عقائدية في الدرجة الأولى، أكثر منها سياسية واقتصادية،؛ فإنها مراهنة حقيقية لبقاء هذا النظام الجائر للقضاء على ما تبقى من أهل السنة ليخلو الجو بعد ذلك في أرض سوريا للعصابة النصيرية.

وأما من الجانب السياسي فإن الأزمة السورية أزمة إقليمية ودولية تقف كل دولة وراء مصلحتها في سوريا ولا يهمها بعد ذلك لو فني الشعب كله.

فإيران لها مصالحها، وروسيا والصين لهما مصالحهما، وأمريكا وإسرائيل لهما مصالحهما.

والضحية بين أنياب هذه المفترسات هو الشعب السوري السني الذي يظلم من القريب والبعيد.

فماذا فعل مجلس الأمن وغيره من المجالس التي تدعي أنها تحفظ الأمن في العالم؟!

وماذا قدم المسلمون وحكامهم لإخوانهم السوريين المظلومين من قبل النظام الجائر وحلفائه.

فيا أهل السنة في سوريا الحبيبة، لكم الله، وهو حسبكم ونعم الوكيل، ونقول لكم:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[آل عمران200].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز الجبار، القوي القهار، قاصم المتكبرين، ومهلك المفسدين، وقاهر الظالمين، وناصر المظلومين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن أمة الإسلام أمة حية لا تموت، وأمة يقِظة، إن نامت فلن تستغرق في نومها.

إنها أمة معطاء متجددة، فمهما نكأها الأعداء وأوجعوها وسعوا إلى إهلاكها وإبادتها ودفن معالم عزتها، والإجهاز على كل محاولة تريد أن توقظها من غفوتها فإن تلك الأفعال تبوء بالفشل وتعود على أهلها بيقين: أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام ماضية إلى قمة السؤدد وإن كثرت الأشواك على الطريق.

إخواني الكرام، إن هذه الآلام والنكبات التي سمعتم طرفاً منها لا تدعونا إلى الانكفاء على أنفسنا والهروب إلى مغارات الخوف واليأس، وإنما تدعونا إلى اليقظة والنهوض والجد في العمل؛ فرب ألم قاد إلى أمل، وجرح كان سبب الشفاء.

والمجد الذي يورث بغير تعب يسهل التنازل عنه، لكن المجد الذي يولد من تساقط الجماجم وتقديم التضحيات والملاحم لن يضيعه أهله بسهولة؛ فالمال الذي كسبه الإنسان بعنائه وكده، يحرص عليه أكثر من المال الذي ورثه عن أبيه وجده.

فهذه دعوة للتفاؤل، واستشراف المستقبل المشرق الذي ينبلج بعد مراغمة الظلام والظالمين، وتمحيص صفوف المؤمنين، {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ }[البقرة214].

أيها المسلمون، إن النصر المنشود الموعود يحتاج منا -نحن المسلمين- أن نبني أنفسنا وأجيالنا بناء عقائدياً إيمانياً وأخلاقياً سليماً؛ لأن الأمة الموحدة الصادقة لا تُقهر ولا تُخذل.

وعلينا أن نعتز بديننا بالأقوال والأفعال، وأن نعد أنفسنا لاستقبال النصر بإصلاح ديننا ودنيانا.

أما إخواننا المظلومون في سوريا وبورما وغيرهما من بلاد الله فالواجب على الأمة نصرهم؛ لأنهم إخواننا والله تعالى يقول: { وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[الأنفال72].

وإذا كانت الحماية لكافر مظلوم واجبة إذا استنصرنا فكيف بإخواننا المسلمين، قال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ }[التوبة6].

فواجبنا نحو إخواننا نصرهم بالنفس والمال والإعلام والدعاء، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه.

هذا وصلوا وسلموا على النبي محمد............

# أهل البهتان والإثم المبين([[282]](#footnote-282))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها الناس، اعلموا- رحمني الله وإياكم- أن الإسلام دين الخلق القويم، والتعامل المستقيم، الذي يبث السلام بين الأنام، ويرسي قواعد السكينة الاجتماعية بإصلاح الفرد الذي هو نواة المجتمع وأساسه بتقويم سلوكه وتشجيعه على ما يجلب الخير للعالم، ويحذره من كل سبيل توصله إلى إيذاء غيره، وإيصال الضرر إليه.

فأحب خلق الله إلى الله أنفعهم لخلقه وأحناهم عليهم، وأرفقهم بهم، وأحرصهم على إهداء النفع لهم، وطرد الضرر عنهم، فلا تراه إلا يرشدهم إلى الحق، ويطفئ عنهم وهج الحاجة، ويحميهم مما يؤذيهم، ويفرج عنهم همومهم، ويأخذ على يد ضعيفهم، ويدخل السرور عليهم، فما أعظمَ جزاء هذا الإنسان العظيم في العاجل والآجل؛ لأن الله لا يضيع أجر المحسينين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الناس إلى الله أنفعهم، و أحب الأعمال إلى الله عز و جل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة،أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعا، و لأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرا، و من كف غضبه ستر الله عورته، و من كظم غيظاً و لو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، و من مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، و إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل) ([[283]](#footnote-283)).

قال وهب ابن منبه: "إن أحسن الناس عيشاً من حسن عيش الناس في عيشه، وإن من ألذ اللذة إدخال اللذة والإفضال على الإخوان".

أيها المسلمون، إن من أشقى الناس وأتعسهم -في الحياة وبعد الموت- أولئك الساعين في إيذاء الناس وتنغيص حياتهم، وإنزال الضرر عليهم، وتضييق معايشهم، وتكدير صفو راحتهم، وقطع سبل السعادة عنهم.

إن أولئك المؤذين الأشقياء يحملون في حناياهم شره الضباع، وعدوان السباع التي لا تحب العيش إلا على تدفق الدماء، وتناثر الأشلاء، ورؤية الضحايا والبؤساء. بل هم أشرس من المفترسات العادية؛ لأنها إذا شبعت لم تتعرض للطرائد، أما هم فمستمرون على جلب الضرر لغيرهم، فتخمة الأذى لا تفارقهم، وعشق تعذيب الخلق لا ينفك عنهم.

طُبِعوا على حُبِّ الأذية مالهمْ \*\*\* عنها مفارقةٌ ولا مُتحوَّل

وإذا دُعوا يوماً لخير يُرتجى\*\*\* قالوا يقيِّدنا الحبيبُ الأول

إخواني الكرام، إن هذا التكريم للأحياء في حرمة إيذائهم وإيصال الضرر إليهم جاء من تكريم الله للنفوس الحية وصيانتها من الاعتداء عليها ما دامت غير مؤذية ولا معتدية، فإذا آذت واعتدت خرجت عن هذا التكريم.

يقول تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }[الإسراء70].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) ([[284]](#footnote-284)).

عباد الله، إن هناك أضراراً كثيرة يتعرض لها الأبرياء من هذا الشعب الذي تتواتر عليه البلية تلو البلية، والرزية بعد الرزية وهو صابر مرابط على حصون الحكمة، ونعمت المرابطة.

يُجرَّع غُصص التجويع والتفقير، والقهر والإذلال، والتجهيل وقتل الإبداع، والقضاء على العقول المنيرة، والتعطيل للطاقات والجهود القديرة، ويتوِّج هذه المحنَ الممتدة فوضى أمنية نتج عنه كثرة القتل والاعتداء على الأموال والحقوق الخاصة والعامة.

حتى ولد من رحم الفساد السابق- في هذه السنوات الأخير ة-مولود مشؤوم زاد الطين بلة والمرض علة والخرق اتساعا والجرح انفجارا، هذا العقاب الجماعي والضرر الشعبي العام هو: تعطيل الكهرباء وضربها المرة بعد المرة.

إن هذا العمل الإجرامي فريد في بابه، فإنه لم يحدث في أي بلاد أن يقضي أفراد منها على هذه المصلحة العامة ويُتركون المرة بعد المرة دون عقاب يزجرهم ويردع غيرهم. لقد أصبح الناس يعيشون في ظلام دامس، وعناء مستمر، وكآبة متصلة، وخسائر مالية فادحة في البدائل عن الكهرباء من مولدات وخزانات كهرباء وشموع ونحو ذلك، وكم من أعمال عُطِّلت وأوقات أُهدرت، وأضرار طبية حصلت بسبب انطفاء الكهرباء.

فإلى متى يستمر كابوس انطفاء الكهرباء، ومتى تستريح الآذان من أصوات المواطير، ومتى تسلم الأجهزة والآلات من الخراب والعطل، ومتى ترتاح الأنوف من دخان الشمع والفوانيس، ومتى يرعوي المخربون عن غيهم، والداعمون لهم عن جريمتهم؟

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ليت شعري أيَّ ذنب كسبتْ |  | عند أهل البغي هذي الكهرباءْ؟ |
| أثخنوها بجراحٍ كلّما |  | نبضتْ بالنور فينا والضياءْ |
| لم يرُقهمْ أن يروا بسمتَها |  | تملأُ الأفْق وتزهو بالسناء |
| عشقوا الليلَ وخافوا ضوءها |  | فاضحاً في الناس وجهَ الجبناء |
| ضلّتْ الأخلاقُ منهم مثلما |  | ضلتِ الأنوارُ عنَّا في المساء |
| والكريمُ الحرُّ لا يحملُه |  | بهرجُ المال لهذا الاعتداء |
| رحلةُ التخريب ذنبٌ مرهِقٌ |  | كاهلَ الباغي وزادٌ من شقاء |
| كم جناْ الجاني صَغاراً واجتنى |  | في الدجى الساجي سهاماً من دعاء |
| حجبَ اللهُ ضياءَ الشمس عن |  | نظرِ الساعي لحجب الكهرباء |

أيها المسلمون، إن الإسلام حرم على المسلم إيذاء غيره، وإيصال الضرر إليه، ولو كان الضرر يسيرا، سواء كان في نفسه أم ماله أم عرضه، ولو كان للمزاح والدعابة، ولو كان المؤذى كافراً في غير الحرب، بل ولو كان المتعرض له بالإضرار حيواناً.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر )([[285]](#footnote-285)).

وقال: ( لا يحل لامرئ أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه ) قال ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلم على المسلم ) ([[286]](#footnote-286)).

وقال: (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه) ([[287]](#footnote-287)).

وقال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما) ([[288]](#footnote-288)).

وعن سعيد بن جبير قال: كنت عند ابن عمر فمروا بفتية أو بنفر نصبوا دجاجة يرمونها، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، وقال ابن عمر من فعل هذا؟ إن النبي صلى الله عليه و سلم لعن من فعل هذا([[289]](#footnote-289)).

وهذا في حق الأحياء، وأما الأموات المسلمون فكذلك يجب احترامهم، ويحرم إيذاؤهم، وقد دل على ذلك ما جاء في أحكام وآداب القبور والمقابر في الإسلام.

فمن ذلك: احترام ما تبقى من أجزاء أجسادهم دون كسرها والعبث بها، فعن عائشة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ( كسر عظم الميت ككسره حياً ) ([[290]](#footnote-290)).

والابتعاد عن سبهم، قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا ) ([[291]](#footnote-291)).

والبعد عن المشي بالأحذية فوق القبور، فقد نظر رسول الله -صلى الله إلى رجل يمشى في القبور عليه نعلان فقال: (يا صاحب السبتيتين، ويحك! ألق سبتيتيك ) ([[292]](#footnote-292)).

عباد الله، لقد رتب ديننا الحنيف على إيذاء الناس والإضرار بهم عقوبات في الدنيا وعقوبات في الآخرة؛ لكي يرتدع أهل الإجرام والأذى، وينالوا جزاء تجنِّيهم وتعديهم.

فمن تلك العقوبات الرادعة: الحدود الشرعية على الجناة في الجرائم الكبيرة؛ حفظاً لدماء الناس و أموالهم وأعراضهم وأمنهم.

ومن تلك الحدود: حد الحرابة على الذين يهددون الناس في نفوسهم وحقوقهم واستقرارهم، قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[المائدة33].

ومن تلك الحدود: حد القصاص في القتل العمد، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[البقرة178].

ومنها: حد السرقة، قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[المائدة38].

ومنها: حد رجم الزاني المحصن، وجلد غير المحصن، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا: البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم )([[293]](#footnote-293)).

ورجم رسول الله الغامدية وماعزاً رضي الله عنهما.

ومنها: التعزير، وهو عقوبة تأديبية على ضرر لم ترد فيه عقوبة معينة في الشرع، فقد يكون بالكلام وقد يكون بالحبس، أو بالضرب، وقد يصل إلى القتل إن رأى ولي أمر المسلمين ذلك.

عباد الله، ومن العقوبات الرادعة: أن يتفكر المسلم الساعي في إيذاء غيره في الإثم والبهتان الذي يحمله معه إلى يوم القيامة وما يترتب عليه من العقوبة والقصاص في نار جهنم.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً }[الأحزاب58].

فالقصاص يوم القيامة من الحسنات والسيئات، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: هل تدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا -يا رسول الله- من لا درهم له ولا متاع، قال: ( المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته، وقد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيعطى هذا من حسناته، و هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يعطي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار )([[294]](#footnote-294)).

وقال: (من ضرب بسوط ظلماً اُقتص منه يوم القيامة) ([[295]](#footnote-295)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) ([[296]](#footnote-296)).

أيها المسلمون، إن إيذاء الناس والإضرار بهم إنما يأتي حينما يغيب عن القلوب وازع القرآن ووازع السلطان.

فخوف الله ومراقبته، والإيمان به وبلقائه وحسابه تحجز من يروم إيذاء غيره عن الأذى، كما امتنع ابن آدم الصالح عن قتل أخيه، قال الله تعالى: {لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }[المائدة28].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن ) ([[297]](#footnote-297)).

فوجود الدين المتين في قلوب المسلمين يمنعهم أن يكونوا من المؤذين، وكلما ضعف الدين كثر الضرر بين البشر.

فهذا وازع القرآن-أي: المانع الشرعي-، وأما وازع السلطان فهو وجود هيبة الدولة في قلوب الرعية حينما تقوم الحكومة بمسئوليتها في استتباب الأمن وفرض القوة بالعدل في كف الناس عن الجناية، والصرامة والعقوبة الرادعة في حق الجناة المؤذين.

عن سليمان بن يسار أن صبيغ بن عسل قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن وعن أشياء، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فبعث إليه عمر فأحضره وقد أعد له عراجين من عراجين النخل، فلما حضر قال له عمر: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فقال عمر رضي الله عنه: وأنا عبد الله عمر، ثم قام إليه فضرب رأسه بعرجون فشجه، ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد ذهب - والله - ما كنت أجد في رأسي، فقيل: إنه لم يتكلم ببدعته مدة بقاء عمر فلما مات عمر رجع إلى بدعته، والله أعلم.

فهذا وازع السلطان، فمن لم يرده عن آذاه وازع القرآن؛ لضعف إيمانه، وتأخر عقوبته، رده هذا الوازع: أي حزم الحكم وشدته في الحق.

قال عثمان رضي الله عنه: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه: "إذا وليتم فلينوا للمحسن، واشتدوا على المريب؛ فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن".

فإذا غاب من قلوب العباد هذان الوازعان فماذا ستكون النتيجة؟

إن النتيجة: أن يقهر القوي الضعيف، ويبطش القادر بالعاجز، ويستذل الغني الفقير، ويصبح الناس كحال الغنم غاب راعيها ولا مبيت لها ولا حمى، وهي مبعثرة بين ذئاب جائعة لم تذق ذواقاً مدة من الزمن.

فعلى أهل الأذى أن ينتهوا ويرعووا، ويؤبوا إلى رشدهم ويرجعوا، ويتذكروا وقوفهم الذليل بين يدي العظيم الجليل يوم القيامة. {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ }[البروج10].

فقد يُمد للمؤذي حبل الإمهال فلا يظنن أن الله غافل عن أذاه، فليستنقذ نفسه من شرَك الغفلة في زمن المهلة، ففي الحياة الدنيا متسع لرجوع المذنبين، وعودة المؤذين، مهما عظم الأذى، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

ونقول للداعمين للمخربين والمؤذين لعباد الله بالمال والسلاح ما قلنا لسامعي قولهم، ومنفذي جريرتهم، وأن يستغلوا ما أنعم الله عليهم من مال وجاه فيما ينفع لا فيما يضر، وينظروا إلى قول الله تعالى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ }[القصص17].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، قليلاً قليلاً من الصبر والحكمة، والحلم والتؤدة، فحبل الأذية قصير مهما طال، وهلاك الظالمين قريب مهما منَّتهم الآمال وتأخرت عنهم الآجال، فالعاقبة وخيمة، والنهاية بئيسة أليمة، والقصاص من ذوي الإضرار بالخلق حتم إن عاجلاً وإن آجلاً، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، وصاحب الأذى يسعى إلى حتفه بظلفه، ويغزل كفن مأساته بكفه، والله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

وعلى الإنسان الصالح بذل النصيحة النافعة لعشاق الأذى ترغيباً أو ترهيباً، بأسلوب حسن، وكلمة طيبة؛ معذرة إلى الله تعالى، ولعل أصحاب أذية الناس أن يرجعوا إلى رشدهم، ويؤبوا إلى ربهم، فرب كلمة نفعت مالم ينفع السلاح، وأثمرت مالم تثمر المواجهة بالقوة.

عباد الله، إن عقلاء البشر- ولو كانوا كفاراً- يحافظون على الممتلكات العامة من التخريب والعبث والسلب والنهب، خاصة الكهرباء التي تشرق حياتنا المعاصرة-جميعاً- بشروقها، وتغرب بغروبها، وتتحرك بحركتها وتسكن بسكونها، أو لا يشعر هواة التخريب أنهم أول المتضررين وأول من يُسدل الظلام عليهم ستاره، فيا لاحس المبرد كُف وتوقف قبل أن تصحو من السكرة فلا تجد غير الندامة والحسرة.

نسأل الله أن يرد أهل الضرر إلى الصواب، وأن يحبس البلاد من الخراب والاضطراب.

هذا وصلوا وسلموا على البشير الهادي.......

# حسن الخاتمة ([[298]](#footnote-298))

الحمد لله أول الأمر وآخره، وباطنه وظاهره، أحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنة عرشه، ومدادَ كلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله الحي القيوم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الرسول المأمون، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً }[ الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، إن الله تعالى جعل لكل إنسان عمراً واحداً من عمر هذا الزمن الدنيوي، وأبهم عنه مقدار نصيبه من هذه الحياة الموقوتة؛ ولهذا يظل المسلم اليقظ دائمَ الانتباه، حاضر الاستعداد لملاقاة أجله، واستيفاء عمره على هذه الدنيا فيما ينفعه حين رجوعه إلى ربه.

هذا الحس الساهر يبعده عن سِنة الغفلة، ونعاس الفتور، والقعود عن التهيؤ ليوم المعاد؛ فيكون عند ذلك من المسارعين على الصراط المستقيم، فإذا بقي هذا الشعور حياً ساق صاحبه إلى حسن الخاتمة.

عباد الله، إن الحديث عن الخاتمة حديث تشرئب إليه الأعناق المؤمنة، وتقف له القلوب الحية؛ لأنه حديث عن النهاية، وحديث عن المرحلة الأخيرة من سفر الدنيا، وحديث عن الحال التي سيقابل بها كل إنسان ربه، فهي الصفحة الأخيرة من دفتر الحياة، وعليها ختم السعادة أو الشقاوة.

فلأجلها بقيت سبل الخير آهلة بالعاملين، وظل المؤمن قريباً من ربه يتقرب إليه، ويتضرع بين يديه، ولأجلها شمّر المشمرون، وجدّ العابدون.

ولأجلها حلّق المؤمنون في آفاق العمر على جناحي الخوف والرجاء: يرجون رحمة الله وفضله، ويخافون عقوبته وتحويل القلوب عنه.

فكم ذرفت لها من دموع، وهجرت جنوبٌ النومَ واللذات والهجوع.

كان سفيان الثوري رحمه الله يبكي فيشفق عليه أهله وقالوا: أتبكي الذنوب؟ فقال: الذنوب أهون علي من هذه، وأشار إلى تبنة بيده، إنما أخاف سوء الخاتمة، قال تعالى: { وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[البقرة217].

أيها الناس، إن الناظر إلى حال بعض الناس ليرى الغفلة المطبقة عن الاهتمام بالخاتمة الحسنة، فهناك لهو ولعب، وتضييع وهجران لأعمال الآخرة، مع جد ونصب وحرص على أعمال الدنيا وملهياتها.

والمستقبل الذي يفكرون به: بلوغ الأماني والآمال الدنيوية فحسب. أو كما قال القائل:

إنما الدنيا طعام... وهيام ومُدام

فإذا فاتك هذا... فعلى الدنيا السلام!

ولهذا تأتي خاتمة الغافلين لتكشف عن سجل حياتهم، وتلّخص رحلة عمرهم، وتبدي للناس ما يشغل بالهم ويسيطر على تفكيرهم، وتعلن عن أعظم اهتماماتهم في مسيرة عمرهم.

فهذا يختم كتاب عمره بمعصية ليبعث عليها يوم القيامة، وذاك ينهي عمره بالحديث عما شغله في الدنيا عن الآخرة من مال أو جاه أو عقار أو نحو ذلك.

والآخر يودع الحياة والأحياء صامتاً لم يستطع أن يقول: لا إله إلا الله، ويستطيع قول غيرها من الكلام.

فشتان بين هؤلاء وبين المستعدين للآخرة طول حياتهم، فإذا جاءهم الموت خُتم لهم بخير، فمِن ميتٍ يموت على عمل صالح، ومن يقول الشهادة عند الاحتضار وتكون آخر كلامه من الدنيا، ومن يجيئه الموت على أثر طاعة أنجزها فتكون آخر عهده من الدنيا.

مات أبو ثعلبة الخشني ومجاهد بن جبر وهما ساجدان لله تعالى، وعبد الرحمن بن أبان بن عثمان يخرج من بيته إلى المسجد فيصلي الضحى وتقبض روحه في المسجد، ويحيى بن عمار يموت وهو يفسر سورة القيامة، وأبو زرعة المحدِّث يفارق الدنيا وهو يسرد سند حديث، وعبد الحميد كشك الذي أحب يوم الجمعة اغتسل في آخر جمعة له في الدنيا وتطيّب وتهيأ للذهاب إلى المسجد فصلى ركعتين وفي الركعة الثانية قبضت روحه، رحمة الله عليهم أجمعين.

قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ }[إبراهيم27].

أيها المسلمون، إن الصالحين من عباد الله ينظرون إلى الخاتمة بعين الاهتمام والاعتناء؛ خشية أن يتخبطهم الشيطان في أعقاب أيامهم، وقبيل غروب شمس حياتهم. فيظلون عاملين خائفين؛ فالقلوب بيد علام الغيوب يقلبها كيف يشاء، والنفوس أمارة بالسوء تتربص بالإنسان دوائر الشر، وفتن الشبهات والشهوات كثيرة تقف على كل طريق، والناجون قليل والهالكون كثر.

عن شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة: يا أم المؤمنين، ما كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك، قالت: قلت: يا رسول الله، ما أكثر دعاءك: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ! قال: (يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ)، فتلا معاذ: { ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا } ([[299]](#footnote-299)).

عباد الله، إنما يخشى أهل الإيمان عمل الخاتمة؛ لأنه من مات على شيء بعث عليه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما روى أحمد والحاكم.

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: ( وإنما الأعمال بالخواتيم) ([[300]](#footnote-300)).

قال ابن رجب رحمه الله: أي: "صلاحها وفسادها، وقبولها وعدمه بحسب الخاتمة".

وقصَتْ رجلاً راحلتُه -وهو مع رسول الله صلى الله عليه و سلم- (فأمرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يغسلوه بماء و سدر، وأن يكشفوا وجهه ورأسه؛ فإنه يبعث يوم القيامة وهو يُهل) ([[301]](#footnote-301)).

ولهذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يدعو فيقول: (اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، و أجرنا من خزي الدنيا و عذاب الآخرة) ([[302]](#footnote-302)).

أيها المسلمون، من أراد حسن الخاتمة، وطيَ آخر صفحة من صحيفة العمر ليلقى ربه سعيداً فليكن صافي العقيدة، خالص النية، صالح القلب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) ([[303]](#footnote-303)).

ومن أراد حسن الخاتمة فليداوم على الأعمال الصالحة، وليقلع عن الأعمال السيئة، فإن جاءه الموت أتاه على خير حال، وانتقل إلى ربه أحسن انتقال.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102].

والمعنى: داوموا على الإسلام حتى الموت تُقبضوا عليه.

ومن الأعمال: الصلوات الخمس، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:( من صلى البردين دخل الجنة ) ([[304]](#footnote-304)). ومعنى ذلك: أن من حافظ على صلاتي الفجر والعصر فهو لبقية الصلوات أحفظ، ومن حافظ على الصلوات كلها رُزق حسن الخاتمة، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر) ([[305]](#footnote-305)).

ومن أراد حسن الخاتمة فليكثر من الدعاء بالثبات على دين الله، والدعاء بحسن الخاتمة.

مثل قوله تعالى: {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ }[آل عمران8].

ومثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) ([[306]](#footnote-306)).

كان عامر بن ثابت بن عبد الله بن الزبير إذا صلى رفع يديه قائلاً: "اللهم أسألك المِيتة الحسنة، فقال أبناؤه: وما هي المِيتة الحسنة؟ قال: أن يتوفاني وأنا ساجد، فقام وصلى فقبض الله روحه وهو ساجد. رحمه الله.

معشر المسلمين، هناك الكثير من المسلمين يرجون حسن الخاتمة، ويدعون بذلك، ولكن كيف يرجو حسن الخاتمة من هو منهمك في الخطايا، بل ويجاهر بها ويدعو إليها؟!

إن الاستمرار على الذنوب والإدمان عليها يحول بين المسلم وبين حسن الخاتمة.

فالمعصية قد تخون صاحبها وتحضره في أحلك الظروف وأشد المواقف، ولا أضرَّ على العبد من حضورها حين مغادرة الحياة الدنيا إلى الآخرة.

ولا يعني هذا أن الإنسان يصبح من المعصومين من الذنب، إنما المراد أن يجاهد نفسه عن قربانه فإذا وقع فليسارع بالتوبة النصوح.

وكيف يرجو حسن الخاتمة من طال أمله وساء عمله، وهو يمنِّي نفسه بالعمل الصالح، والأوبة إلى الله من العمل السيء عندما يشيب، أو يترك الوظيفة، أو يتزوج، أو يرجع إلى وطنه. فمن يضمن للإنسان أن يصل إلى هذه الأماني؛ فإن المنية كثيراً ما تسبق الأمنية.

والتسويف وطول الأمل يفسد على المسلم دينه في الحاضر والمستقبل.

وكيف يرجو حسن الخاتمة-يا عباد الله- من يتكل على رحمة الله دون أن يعمل ويقول: الله غفور رحيم، وينسى أن عذابه هو العذاب الأليم!.

وينسى كذلك أن رحمته لا ينالها إلا أهل طاعته، كما قال تعالى: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ }[الأعراف156].

قال بعض الصالحين: " رجاؤك مَن لا تطيعه من الخذلان والحمق!".

وكيف يرجو حسنَ الخاتمة مَن لا يحب الصلاح والصالحين، وإنما يحب الفساد والمفسدين؛ لأن أحباب الإنسان قد يأتون حبيبهم عند الموت، فأصدقاء الطاعة يذكرونه بالآخرة، وبكلمة التوحيد، وبسعة رحمة الله تعالى، وبأعماله الصالحة التي كان يعملها؛ لعله يعظم رجاؤه بها، ويدعون له بالتثبيت.

دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم على شاب وهو في الموت فقال: ( كيف تجدك)؟ قال: والله ! يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف) ([[307]](#footnote-307)).

أما أصدقاء المعصية، فإن حضروا عند رفيقهم فإنما يذكرونه بالدنيا، وبمعصية الله تعالى، ولا ينفعونه بل قد يضرونه في هذا الموقف العصيب.

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاةُ دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم -وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟! حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب، وأبي أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فنزلت {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم}([[308]](#footnote-308)).

نسأل الله حسن الخاتمة، وحسن المنقلب، وكرم نُزل الرب الكريم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير النبيين، وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن هناك علامات تحدث عند موت بعض المسلمين، ينكشف بها حسن قدوم تلك النفس على ربها تبارك وتعالى، جعلت تلك الأمارات مرائي ناصعة للميت وللأحياء يرون من خلالها حسن المصير والمنقلب إن شاء الله تعالى.

فمن تلك العلامات التي تدل على حسن الختام: أن يقول الإنسان عند موته: لا إله إلا الله، فإذا نطق بها بنفسه، أو سمعها من الحاضرين فقالها ومات عليها-ولو طال الوقت من قولها حتى خرجت الروح- فقد حسنت خاتمته.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة) ([[309]](#footnote-309)).

وهذه الكلمة-عباد الله- لا تحضر على فم الإنسان وعقله في ذلك الموقف الرهيب إلا إذا كان يعمل بها في حياته، فإذا كان بعيداً عنها فلن يستطيع أن يقولها.

كما قال ذلك الرجل المحتضر-حينما قيل له: قل: لا إله إلا الله- فقال إنه يستطيع أن يقول كل كلمة إلا هذه الكلمة. والسبب أنه لم يعش لأجلها.

ومن العلامات المبشرة: أن يموت الإنسان غازياً أو مرابطاً في سبيل الله تعالى، قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }[آل عمران169].

ومن العلامات: أن يكون صالحاً فمات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر) ([[310]](#footnote-310)).

أما إذا كان غير صالح فلا بشارة له بذلك، إذا مات ليلة الجمعة أو يومها.

ومن العلامات: الموت بعرق الجبين، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (المؤمن يموت بعرق الجبين) ([[311]](#footnote-311)).

عباد الله، من البشارات عند الموت: أن يقتل المسلم دفاعاً عن الدين أو النفس أو المال أو العرض.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه، فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) ([[312]](#footnote-312)).

ومن العلامات أيضاً: موت المسلم صابراً على مرض من الأمراض كالطاعون، وداء البطن، أو السل، أو الموت بحرق أو غرق أو هدم، وموت المرأة في نفاسها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله عز و جل ) ([[313]](#footnote-313)).

وفي رواية: (وصاحب ذات الجَنْب شهيد، وصاحب الحَرق شهيد، والمرأة تموت بجُمْع شهيدة) ([[314]](#footnote-314))([[315]](#footnote-315)).

عباد الله، ينبغي أن نعلم أن المسلم إذا مات على إحدى هذه العلامات فلا يصح أن يُجزم بأنه من أهل الجنة قطعاً وجزماً، ولكن يُرجى له ذلك، والمسلم يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

وكذلك إذا تخلفت هذه العلامات عند موت مسلم لا يعد ذلك علامةَ خسران وحكماً بالنار.

فالعلامة المميزة في الحقيقة هي سيرة الإنسان في حياته، وعمله في عمره.

فالاستقامة مع الإخلاص وحدها علامة من علامات حسن الخاتمة، وإن لم يحصل لصاحبها واحدة من العلامات المذكورة.

فيا أيها المسلمون، لنجعل شغلنا الشاغل، وهمنا الأكبر إحسان القدوم على الله تعالى، بملازمة الطاعات بدون تأجيل، وهجر المعاصي من غير تسويف للتوبة منها.

ولنكن مخلصين في أقوالنا وأعمالنا؛ لأن النفاق والرياء قد يكونان سببين من أسباب سوء الخاتمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار. ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) ([[316]](#footnote-316)).

وعندنا تذكير يومي بالخاتمة-لو عقلناه- وهومن علامات حسن الخاتمة، وهو أن نقول صباحاً ومساء دعاء سيد الاستغفار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيد الاستغفار: اللهم، أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت). قال: من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل -وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح- فهو من أهل الجنة. ([[317]](#footnote-317)).

وعلينا أن نعي هذه الحكمة: من عاش لشيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

فاللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، و أجرنا من خزي الدنيا و عذاب الآخرة، وثبت اللهم على دينك قلوبنا، وعلى صراطك أقدامنا، واختم بالصالحات أعمالنا، يا سميع الدعاء.

هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير...

فهرس خطب المجموعة الأولى

المقدمة...

تأملات في وصايا لقمان

عاشوراء بين السنة والبدعة

البركة في الأرزاق

الشتاء حِكم وأحكام

خسر المتشائمون

إنه الحق

أدب الجوار

فضل يوم الجمعة

إدراك السعادة في ظلال العبادة

ولد الهدى

رسالة المسجد في الإسلام

وصايا في خضم البلايا

العفاف ذلك الكنز الثمين

الزواج طريق إلى العفاف

عفاف الطرْف

درع العفاف: الحياء والحجاب

الاختلاط وخطره على العفاف.

الإعلام السيء وهدمه للعفاف وصلاح الناس

سعادة النجاح..

الاستعداد للآخرة...

إياكم واللعن

المستوجبون للعن

غصن نضير من دوحة البشير النذير

تداعي الأمم على أمة الإسلام

أهل البهتان والإثم المبين

حسن الخاتمة

النور السائر

من  
خطب المنابر

المجموعة الثانية

تأليف

عبد الله بن عبده العواضي

# مقدمة المجموعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فهذه المجموعة الثانية من خطب الجمعة التي خطبت بها، تم تفريغها؛ رجاء الأجر وامتداد النفع بها، أسأل الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه نافعاً لعباده، والحمد لله رب العالمين وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: عبد الله بن عبده نعمان العواضي

إمام وخطيب مسجد ابن الأمير الصنعاني

اليمن-صنعاء

Moh3517@gmail.com

# مرض الحسد وعلاجه ([[318]](#footnote-318))

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أحمده على نعمه الوفيرة، وآلائه الغزيرة، وأشهد أن لا إله إلا هو المعبود الحق في أرضه وسمائه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد أوليائه، وخيرة أصفيائه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، اعلموا أن من مبادئ الإيمان العظيمة، ومن سبل الراحة القويمة: الرضا بقضاء الله وقدره خيره وشره وحلوه ومُرّه، على النفس أو على غيرها.

قال الله تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[التغابن11].

واعلموا كذلك أن من حكمة الله تعالى ورحمته بعباده أن خلقهم وقدر أن يكونوا غير متساوين في أرزاقهم وهباتهم وملكاتهم؛ حتى تتم الحياة وتُبنى المعايش باستفادة كل إنسان من أخيه الإنسان بما ليس عنده. ولو كانوا كلهم متساوين في عطاياهم التي حباهم مولاهم جل جلاله لما قامت الحياة ولا عمرت الأرض.

قال تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }[الزخرف32].

أي: هذا غني وهذا فقير، هذا قوي وهذا ضعيف، هذا عالم وهذا جاهل؛ ليكون بعضهم مسخراً لنفع بعض.

أيها المسلمون، إن النفس البشرية مطبوعة على الخصال الحميدة والخصال الذميمة، ومفطورة على المحاسن وعلى المساوئ؛ ليتم التكليف والابتلاء بمجاهدتها على تثبيت الفضائل في النفس، ومراغمتها على كبح جماح الرذائل.

أما من ترك نفسه وهواها دون تقويم فإنها ستقوده إلى كل هلاك، ومن زمّها وصقلها حتى أشرقت بالفعل الجميل علت به على كواكب العز والنجاح في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا }{وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا }[الشمس9-10].

عباد الله، إن من الأخلاق التي طبعت عليها النفوس: خلق الحسد. هذا الخلق الذي لا يسلم منه جسدُ حيٍّ حتى يموت. غير أن هذا الخلق من المحمود ومنه المذموم.

فالمحمود منه ما ساق صاحبه إلى الجد والعمل؛ ليحصل على ما حصل عليه غيره من الخيرات والنعم من غير إيذاء قولي أو فعلي يوصله إلى من رآه على خير ديني أو دنيوي. فهو يرجو ويعمل ليصل إلى ما ناله غيره مع تمنيه بقاء النعمة على صاحبها من غير زوال. وهذا تنافس شريف وهمة عالية محمودة يحسن بالإنسان العاقل أن يتخلق به ويسعى إليه؛ لأنه من كمال العقل ودليل علو الهمة، وبه صلاح الدنيا والدين.

فمن رأى أخاه المسلم على عبادة أو خلق كريم أو علم نافع أكثر منه فليجدّ ويجتهد حتى يكون مثله أو أحسن منه، مع صلاح النية وحسن القصد.

والمصنوعات والمخترعات المتنوعة ما جاءت إلا عبر هذا السبيل، فكل شركة أو صانع أو مخترع يحب أن ينتج أجود وأتقن مما يوجد في السوق؛ ليحصل على ربح ومكانة أعلى من غيره، وبهذا تطورت الحياة وتقدم الأحياء.

أيها الأفاضل، أما الحسد المذموم فهو ذلك المرض العضال الذي يتمنى صاحبه أن تزول النعمة عن محسوده، أو يسعى هو إلى إيذائه والإضرار به ليزيلها عنه.

وهذا مجال حديثنا هذه الخطبة بعون الله تعالى.

أحبتي الكرام، إن الحسد صفة ذميمة لا تتخلق بها إلا النفوس المريضة التي لا تحب إلا العيش منفردة والاستئثار على غيرها بما تهواه.

الحسد بوابة الآثام، وبضاعة اللئام، يبدأ بالقريب قبل البعيد، والصديق قبل العدو، فهو أكثر ما يكون بين الأقارب، وبين الجيران، وبين الزملاء.

فالقريب الحاسد لا يحب أن يكون قريبه أحسن منه فيما يتباهى به الناس، ولو كان أخاه لأبيه وأمه.

والجار الحاسد لا يحب أن يكون جاره أفضل منه في مال أو جاه أو قوة أو جمال أو علم.

والزملاء في الدراسة أو الوظائف أو الأعمال لا يرضى الواحد منهم أن يتقدم عليه في معلومات أو ترقيات أو مكافآت أو زيادة خير.

ولذلك لا تستغربوا من حصول المشكلات والمكايدات، والبغضاء والتقاطع، والهجران وفساد العلاقات وتعثر المشروعات، والتقاتل والأضرار بين الأصناف السابقة، فما ذلك إلا نتيجة من نتائج مرض الحسد.

فإذا لم يرافق المسلمَ من أهل هذه الجهات إيمانٌ وتقوى وقناعة فإن الحسد سيكون أسرع إليه من السيل إلى منحدره.

عباد الله، إن الحسد مرض ينشأ من ضعف الإيمان بالقضاء والقدر وقلة الفهم لمعاني الأسماء والصفات. فالحاسد لو كان عنده إيمان قوي بقضاء الله وقدره ما حسد الناس على ما قضاه الله وقدره، ولو كان عنده علم وفهم لاسمي الله: العليم والحكيم ما حسد؛ لأن الله حكيم في قضائه وقدره وعليم بخلقه، فمن علم ذلك انكف عن حسده.

إن أسباب نشوء الحسد: العجز عن الوصول إلى تلك الأمنية التي وصل إليها المحسود مع وجود رغبة الحاسد فيها وبذله الأسباب للوصول إليها، وقد يحصل عليها غيره بدون بذل ما بذل.

ومن الأسباب: صدور الإساءات إليه ممن حصل تلك النعمة، فيرى أنه كان أحق بها ويجب سلبها من صاحبها.

ومن الأسباب: عيش فاقد النعمة وسط واجديها، كعيش الفقير بين الأغنياء، والداني بين الوجهاء والقبيحة بين الحسناوات. وهذا التفاوت له أثره الكبير في بسوق شجرة الحسد الخبيثة.

أيها المسلمون، إن داء الحسد مرض يورث آثاراً سيئة ضارة على الحاسد وعلى غيره. والحاسد قد يشعر وقد لا يشعر أنه أول المتضررين بلفح نار حسده، فالحسد نار متأججة تحرق أول ما تحرق مذكيها ومشعلها. وقد قالوا: لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله.

فإبليس حينما حسد آدم عليه السلام فأبى السجود له بأمر الله له عصى ربه بذلك؛ حسداً لآدم وقال: { أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً }[الإسراء61]. فطرده الله تعالى من رحمته وأهبطه من سماواته؛ ليكتوي بنار حسده في الدنيا ويكتمل عذابه في الآخرة.

قال معاوية رضي الله عنه: " ليس من خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود".

إن الحاسد يعيش في حزن و غم وهم واكتئاب ومصائب لا يؤجر عليها، يحترق داخله عندما تكون عيونه في جنة مما يرى من نعمة المحسود وقلبه في نار حينما حرم ذلك.

والحاسد أفراح الناس لديه مآتم، وابتساماتهم شهب تحرق فؤاده، وصحتهم رسل مرض إلى جسده، وراحتهم تعب عليه. فمسكين هذا الحاسد مدنف القلب والروح والجسد ليس له دواء حتى يستيقظ ويرى نعمة محسوده وقد ذهبت فذلك شفاؤه الذي يتمناه.

هذا المريض يعيش في سجن ضيق كأنما يتنفس من ثقب إبرة، فلا تسمع منه إلا الآهات والزفرات، ولا ترى عليه إلا سحائب الظلمات تلوح على وجهه؛ لما يرى أصحاب النعمة وهم يرفلون فيها.

عباد الله، إن الحاسد معترض على نعم الله تعالى أن تصل إلى عباده، وهذا سوء أدب مع الله عز وجل.

ألا قل لمن كان لي حاسداً... أتدري على من أسأتَ الأدب

أسأت على الله في حكمه... لأنك لم ترض لي ما وهب

فجازاك ربي بأن زادني... وسدَّ عليك وجوه الطلب

الحاسد يخرب عيشه بنفسه، وقد يخرب دينه وآخرته، فيظل طائش الفكر، مشغول القلب بما لا يعنيه ولا ينفعه. وربما ساقه الحسد إلى التضجر والتسخط على الله تعالى فيفوه بعبارات قد توصله إلى الكفر.

أيها الأخوة الكرام، إن الحسد يمزق المجتمع ويفرقه، ويزرع فيه الشحناء والضغينة، قال النبي صلى الله عليه و سلم قال: (دب إليكم داء الأمم: الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم؟ أفشوا السلام بينكم) ([[319]](#footnote-319)).

والحسد ذنب ينبت ذنوباً أخرى فقد يحصل به: غيبة ونميمة، وتجسس وسوء ظن، وإيذاء وشتم ووقيعة، وقد يصل إلى القتل. كما فعل ابن آدم بأخيه.

قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ{27} لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ{28} إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ{29} فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ{30} فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ{31}[ المائدة 27-31].

وكما حاول إخوة يوسف عليه السلام ذلك، فحال الله بينهم وبين ما يشتهون.

عباد الله، إن الحسد ينافي الإيمان؛ لأن الإيمان يأمر صاحبه بالتسليم لأفعال الله. فلو حسد العالم أو العابد أو الصالح فإن ذلك يدل على ضعف إيمانه؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( لا يجتمع في جوف عبد مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد ) ([[320]](#footnote-320)).

الحسد يمنع قبول الحق والإذعان له إذا جاء من المحسود، بل يحاول الحاسد أن يتمحل حججاً واهية ليبطل بها ذلك الحق الناصع، لا لأنه حق، وإنما لكونه جاء ممن يحسده، ولو جاء من غيره لقبله، وهذه آفة خطيرة خاصة بين العلماء وطلبة العلم.

لقد كان اليهود يعلمون أن محمداً عليه الصلاة والسلام نبي الله حقاً، لكن حينما جاء من غيرهم -أي: من العرب- كفروا به بغياً وحسداً. قال تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً }[النساء54].

أيها المسلمون، الحسد مرض، ولكل مرض علاج، فمن علاجه: أن يقوي الحاسد إيمانه بالله تعالى وقضائه وقدره، ويرضى بما قسم الله له، ويكثر من الطاعات والقربات. ويلجأ إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع بين يديه؛ ليزيل عنه هذا الداء.

وعليه أيضاً: أن يفكر في نتائج الحسد وعواقبه الوخيمة؛ فالإنسان العاقل لا يقدم على ما يجلب له التعب والضرر.

وعلى الحاسد أن ينظر بعين التأمل إلى ما أعطاه الله تعالى من النعم؛ فإنه لو نظر جيداً سيجد أن لديه نعماً كثيرة قد لا توجد عند غيره. فقد يحسد فقير غنياً ولا يدري ذلك الفقير أنه أحسن منه صحة وأتم عافية وهدوء بال. وقد يحسد إنسان ليست له وظيفة مرموقة أو مسؤولية عالية من نالها في المجتمع، ولا يعرف ذلك الحاسد أنه في أمن واطمئنان وسرور وانشراح صدر أفضل من ذلك المسؤول أو الموظف الكبير.

فيا عباد الله، من أراد سلامة الدين، وصحة البدن، والنجاح في الحياة فلا يسلك مسلك الحسد، وليرحم نفسه؛ فإن الحاسد مصاب لا يجد أحداً يرحمه. وليكن حال الإنسان كما قال الشاعر:

إني امرؤ لا أحسد الناس نعمة... إذا نالها قبلي من الناس نائل

أأحسد فضل الله أنْ ناله امرؤ... سواي وعندي للإله فضائل

وهبني حسدت المرء بالجهل رزقه... وحال به عني من الله حائل

ولم يضرر المحسود مني نفاسة... أليس على قلبي تحوم البلابل

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

أيها المسلمون، سقنا الحديث فيما سبق عن الحسد و الحاسد، وأما صاحب النعمة المحسود فنقول له: إذا أردت أن تحفظ عليك النعمة وتأمن أعين الحاسدين عليها فعليك أن تشكر الله تعالى على نعمته وأن تتعوذ بالله تعالى من شر الحاسدين.

قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }[إبراهيم7].

وقال:{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ{1} مِن شَرِّ مَا خَلَقَ{2} وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ{3} وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ{4} وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ{5}[الفلق 1-5].

وعليك أن تعلق قلبك وعقلك بالله وكفايته، ولا تجعلهما رهيني الوساوس والشكوك، وأن تقبل على الله بالتقوى وأعمال الإيمان. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ }[الحج38].

وعليك أن تمد يد الإحسان إلى الحاسد وغيره، قال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ }[فصلت34].

وعليك أن تخفي بعض النعم التي يخاف عليها الحسد. قال تعالى عن يعقوب عليه السلام: { يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ }[يوسف67]. وعليك أيضاً أن تصبر على حسد الحاسد؛ فإن حسده سيناله ضرره قبل أن يصلك.

قال الشاعر:

اصبر على حسد الحسود... د فإن صبرك قاتله

كالنار تأكل بعضها... إن لم تجد ما تأكله

نسأل الله تعالى أن يقينا شر الأشرار، وكيد الفجار، وشر طوارق الليل والنهار.

ثم صلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه...

# الإصابة بالعين حقيقتها وعلاجها ([[321]](#footnote-321))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها الناس، إن الإنسان في هذه الحياة عرضة للأدواء والأسقام، والأوجاع والآلام، يأتيه بعضها من حيث يشعر، وبعضها من حيث لا يشعر. وتلك الأسقام منها ما يشتد عليه ألمه ويصعب علاجه، ومنها ما يخف ويسهل شفاؤه.

ألا وإن من الأدواء الموجودة والخطيرة: الإصابة بالعين، وهو مرض حقيقي موجود وتأثيره حقيقي. كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( العين حق ) ([[322]](#footnote-322)). أي: أن ضررها كائن واقع، لا يكذبه إلا من قل حظه من العقل والشرع ومعرفة الوقائع على حقيقتها.

إن عقلاء الأمم- على اختلاف أديانهم- لا ينكرون تأثير العين، وإن اختلفوا في كيفية تأثيرها وسببها.

فالعائن تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيتضرر بقدر الله تعالى. ولا يستغرب هذا؛ فإن هناك نوعاً من الأفاعي إذا وقع بصرها على الإنسان هلك.

قال الأصمعي رحمه الله: "رأيت رجلاً عيوناً سمع بقرة تحلب، فأعجبه شخبها، فقال: أيتهن هذه، فقالوا: الفلانية، لبقرة أخرى، فهلكتا جميعاً، قال الأصمعي: وسمعته يقول: إذا رأيت الشيء يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني".

والعقلاء لا يكذبون بوجود الأرواح داخل الأجسام مع أنهم لا يرونها. وقد ثبت اليوم أن أشعة (إكس) -وهي غير مرئية- تنفذ إلى داخل الأجسام وتخترقها.

أيها المسلمون، كان مشركو قريش لشدة عداوتهم للنبي عليه الصلاة والسلام أرادوا أن يصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من المشركين فقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حُججه. فحماه الله تعالى من عيونهم.

قال الكلبي:" كان رجل من العرب يمكث لا يأكل شيئاً يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الإبل أو الغنم فيقول: لم أرَ كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب حتى تسقط منها طائفة هالكة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب لهم النبي عليه الصلاة والسلام بعينه، فأجابهم، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

قد كان قومك يحسبونك سيدا... وإخال أنك سيد معيون

فعصم الله رسوله، ونزلت: {وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ }[القلم51].

عباد الله، إن طبيبنا محمداً عليه الصلاة والسلام قد أخبرنا عن العين وعن قوة إصابتها فقال عليه الصلاة والسلام: (العين تدخل الرجل القبر، و تدخل الجمل القدر) ([[323]](#footnote-323)).

يعني: أنها تصيب الرجل فتقتله فيدفن في القبر، وتصيب الجمل فتمرضه حتى يذبح ويطبخ في القدر.

وقال صلى الله عليه وسلم: (أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله و قدره بالعين) ([[324]](#footnote-324)).

وقال: (إن العين لتولع بالرجل بإذن الله تعالى حتى يصعد حالقاً-أي: جبلاً- ثم يتردى منه) ([[325]](#footnote-325)).

وكانت العرب تسمي العائن بالتلقاعة، أي: من اللقع وهو شدة الرمي.

أيها الأحبة الكرام، كم من إنسان كان سعيداً في بيته الواسع الشامخ الراقي فانقلب ذلك البيت في عينه سجناً لا يطيق البقاء فيه.

كم من زوجين كانا يعيشان عشرة زوجية سعيدة لا تكدرها الخلافات ولا المشكلات، فتحولت الحياة بينهما إلى جحيم قد تنتهي بالطلاق.

وكم من أب كان يعيش بين أولاده الناجحين في حياتهم، البارين بأبيهم، فدب بينهم الخلاف والقطيعة.

وكم من إنسان كان يعيش في نعمة وارفة فتبدلت نعمته إلى نقمة ومسرته إلى محزنة.

ومن تأمل سبب هذا التحول المفاجئ سيجد أن العيون الخبيثة الحاسدة قد أطلقت سهامها إلى تلك النعم فأصابت مقاتلها؛ لأن تلك العيون لم ينل أصحابها ما ناله المعيون من النعم، أو أصابته بنارهالحبها الإضرار بصاحب النعمة وإيذائه، والاستمتاع برؤيته وهو صريع الآلام والأوجاع ورهين المشافي والعيادات.

أيها المسلمون، إن قوة أثر العين قد تأتي بسبب آخر غير الحسد، فتأتي بسبب الإعجاب، وهذا الإعجاب قد يكون بإعجاب الإنسان –ذكراً كان أو أنثى- بنفسه، أو أولاده أو زوجه أو غيره، فقد يطلق كلمة الإعجاب -من غير ذكر الله تعالى في حال غفلة- فيصيب نفسه أو غيره.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليدعُ له بالبركة؛ فإن العين حق) ([[326]](#footnote-326)).

قال الغساني: "نظر سليمان بن عبد الملك في المرآة فأعجبته نفسه فقال: كان محمد عليه الصلاة والسلام نبيا، وأبو بكر صديقا، وعمر فاروقا، وعثمان حبيبا، وأنا الملك الشاب، فما دار عليه الشهر حتى مات".

وكان لرجل ابنة جميلة فدخل عليها ذات يوم فنظر إليها-ولم يذكر الله- وقال: يا حظ من تكونين نصيبه!. فلم تطلع عليها الشمس حتى ماتت.

و من قوة أثر العين: أنها قد تصيب الجماد أيضاً، قال الأصمعي رحمه الله: "مر رجل عائن بحوض من حجارة فقال: تالله ما رأيت كاليوم قط، فتطاير الحوض فرقتين".

عباد الله، هناك من الناس-أفراداً أو أسراً معينة- عُرِفوا في المجتمع أنهم عائنون، فيستغلون هذه الوسيلة الدنيئة لإيذاء الناس والتكسب من خلالها، وأكل أموال الناس بالباطل. فقد كان بنو أسد بين العرب يعرفون بإصابة العين، حتى إن البقرة السمينة أو الناقة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية، خذي المكتل والدرهم فأتينا من لحم هذه الناقة، فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر. وهذا لم يزل موجوداً عند بعض العائنين لمسناه في واقعنا.

معشر المسلمين، إن الإصابة بالعين قد تكون من عيون الإنس، وقد تكون من عيون الجن؛ ولذلك ذكر ابن القيم وغيره أن العين نوعان: عين إنسية، وعين جنية. ودليل هذا حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتعوذ من عين الجان وعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك) ([[327]](#footnote-327)).

عباد الله، من القضايا المهمة: أن على الأبوين حراسة الأطفال من العين؛ فإنها أسرع إليهم من غيرهم.

فعن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه و سلم رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة-لون يخالف لون وجهها من صفرة أو سواد- فقال: ( استرقوا لها؛ فإن بها النظرة ) ([[328]](#footnote-328)).

وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: (يا رسول الله، إن ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقي لهم؟ فقال: نعم؛ فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين) ([[329]](#footnote-329)).

وفي بعض الروايات أنه رآهم ضارعين، أي: بهم نحول شديد.

عباد الله، الوقاية خير من العلاج كما يقال؛ لهذا إذا أراد الإنسان البعد عن الإصابة بالعين فعليه أن يتبع سبل الوقاية من الإصابة، ومن تلك الوسائل:

المحافظة على ذكر الله تعالى، ومن ذلك أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والاستيقاظ منه. فذكر الله تعالى حصن حصين وكهف أمين لا يُخاف معه ضرر الإنس والجن.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، لم يضره شيء) ([[330]](#footnote-330)).

وقال النبي صلى الله عليه و سلم: ( الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما من ليلة كفتاه ) ([[331]](#footnote-331)).

ومن وسائل الوقاية: الاستعاذة بالله تعالى من شر العيون الخبيثة، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( استعيذوا بالله من العين؛ فإن العين حق) ([[332]](#footnote-332)).

ومن ذلك: تعويذ الأطفال، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه و سلم يعوذ الحسن والحسين ويقول: ( إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة) ([[333]](#footnote-333)).

ومن وسائل الوقاية: كتمان بعض النعم التي يُخاف عليها من العين؛ فإن يعقوب عليه السلام حينما خاف العين على أولاده لكونهم ذوي صور حسنة وأبناءً عشرةً لرجل واحد قال لهم: { يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ }[يوسف67].

وقد ذكر البغوي في شرح السنة أن عثمان رضي الله عنه رأى صبياً تأخذه العين-أي: لحسنه-، فقال: "دسموا نونته". النونة: النقرة في الذقن. يعني: لعل ذلك التعييب يصرف عنه العين.

إن من الأشياء اللافتة للنظر: تسارعَ الأمراضِ إلى بعض النساء، وبعض هذه الأمراض يعيا أهلها في علاجها دون جدوى، ولعل من أسباب تلك الأمراض: الإصابة بالعين من النساء؛ فإن العائنات أكثر من العائنين بالاستقراء، وقد تكون المرأة المصابة هي سبب مرضها؛ فالمرأة بفطرتها تحب التزين والتجمل، وربما تسوقها هذه الجبلة إلى المبالغة المفرطة، فقد تدخل إلى محافل النساء وتجمعات الأعراس فتكشف عن كثير من مفاتنها وتسرف في تجميلها وتحسينها خصوصاً إذا كانت جميلة البدن كثيرة المال الذي يظهر أثره على ثيابها وحليها ومجملاتها، فتسرق الأنظار إليها فتزدهي ساعة بنظر النساء وإعجابهن، ثم تقضي زمناً من عمرها بعد ذلك في أحضان الأمراض والأوجاع.

ولهذا ندرك-أيها الأحبة- عظمة الإسلام وحرصه على الحشمة ونهيه عن التعري والتهتك والتشبه بالكافرات اللاتي يجتمعن-بعريهن- أكواماً من لحم مكشوف. ومن هنا ينبغي على أولياء النساء تحذيرهن من المبالغة في إبداء المفاتن والإسراف في الزينة عند حضورهن مجامع النساء.

ومن وسائل الوقاية: تحصين الإنسان نفسه إذا نزل منزلاً بهذا الدعاء الذي قاله رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ( من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك) ([[334]](#footnote-334)).

ومن وسائل الوقاية: أن على المسلم إذا رأى شيئاً يعجبه من نفسه أو ماله أو ولده أو غيره أن يدعو بالبركة، وليقل: ما شاء الله.

قال تعالى: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً }[الكهف39].

قال الإمام مالك رحمه الله: " ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله"

قال النبي صلى الله عليه و سلم: (إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه ما يحب فليبرك؛ فإن العين حق) ([[335]](#footnote-335)).

أيها المسلمون، ما جعل الله من داء إلا جعل له دواء، وإنه لمفخرة عظيمة للإسلام وأهله أن هناك أمراضاً وقف الأطباء الحذاق أمامها حائرين، لا يدرون ما أسبابها وما علاجها.

ومن هذه الأمراض: مرض الإصابة بالعين؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما تحدث عن هذا الداء تحدث معه عن الدواء.

فإذا حصلت الإصابة بالعين-نسأل الله السلامة لجميع المسلمين- شُرع عند ذلك الاستشفاء. فإن عُرف العائن فالعلاج الناجع- بإذن الله- هو الاستغسال، وهو أن يغسل العائن وجهه ويديه ومغابنه وداخلة إزاره ويصب ذلك الماء على رأس المريض من خلفه.

فعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: (رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل فقال: والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، قال: فلُبط سهل-أي صُرع وسَقَط إلى الأرض-، فأُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: يا رسول الله، هل لك في سهل بن حنيف؟ والله ما يرفع رأسه فقال: ( هل تتهمون له أحدا؟ ) فقالوا: نتهم عامر بن ربيعة قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامراً فتغلظ عليه وقال: ( علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت؟ اغتسل له ). فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صب عليه فراح مع الناس ليس له بأس) ([[336]](#footnote-336)).

فإن لم يعرف العائن فتستعمل مع المصاب الرقية الشرعية، فتقرأ عليه الفاتحة، والمعوذات وغيرها من القرآن الكريم.

ويدعا له بهؤلاء الدعوات:

(بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك) ([[337]](#footnote-337)).

( اللهم رب الناس، أذهب الباس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما) ([[338]](#footnote-338)).

(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) ([[339]](#footnote-339)).

(أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة) ([[340]](#footnote-340)).

(أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر و لا فاجر من شر ما خلق و ذرأ و برأ، و من شر ما ينزل من السماء و من شر ما يعرج فيها، و من شر ما ذرأ في الأرض و برأ، و من شر ما يخرج منها و من شر فتن الليل و النهار، و من شر كل طارق يطرق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ) ([[341]](#footnote-341)).

(أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) ([[342]](#footnote-342)).

ويُستعمل مع ذلك ماء زمزم، مع كمال التوكل على الله والثقة به دون غيره، ويستمر في استعمال هذه الرقية حتى يبرأ بإذن الله تعالى.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، مع أننا عرفنا -فيما سبق- الأثر الحقيقي للعين، إلا أن على المسلم أن يعتقد أنه لن يحصل شيء إلا بقدر الله وقضائه، وإذا كان السحر أشد من العين، وقد قال الله في أهله: { وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ }[البقرة102]. فالعين من باب أولى.

فعلى المسلم أن يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له.

قال تعالى: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }[التوبة51].

عباد الله، ومهما كانت سهام العيون الخبيثة قوية حادة والمسلم في حصن من حصون الله، فلن يضره شيء، وسترد سهام الشر على أصحابها مخذولة منكسرة.

إن من الأمور المهمة في هذا الموضوع أن لا ينجر الإنسان إلى الشك والوسوسة ويعيش مع القلق والخوف؛ فزعاً من العيون المرسلة بالشر، فإذا حصل هذا فإنه من وساوس الشياطين.

ومن الأخطاء التي تحصل جراء هذه الوسوسة: الذهاب إلى المشعوذين والسحرة، أو تعليق التمائم والحروز على الأطفال أو البيوت أو السيارات؛ خوفاً من العين، وهذا شرك بالله تعالى.

أيها الفضلاء، نقول لمن كان عنده سلاح الإصابة بالعين: أن يتقي الله في إخوانه المسلمين، ويبتعد عن إيذائهم وظلمهم، وأن يبرك إذا رأى ما يعجبه، وعليه أن يوجه هذا السلاح الفتاك إلى أعداء الله تعالى.

وعلى العائن: أن يوقن بأنه إذا ذهب مال إنسان بسبب عينه فإنه مسئول عن ذلك ديانة وقضاء، كما قال الفقهاء. وأما إذا قتل بعينه فقد اختلف الفقهاء في القصاص منه على قولين.

ومما ذكره العلماء-وهذا من واجبات الدولة في الإسلام- أن من عرف بالعين وإصابة الناس بعينه- أن على الدولة أن تحجر عليه وتحبسه في بيته وتجري عليه من الرزق ما يكفيه حتى يموت ويستريح الناس من شره.

نسأل الله تعالى أن يحمي جميع المسلمين، وأن يشفي المرضى والمصابين.

هذا وصلوا وسلموا على النبي الأمين...

# السحر بثوبه الجديد ([[343]](#footnote-343))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا ه[[344]](#footnote-344)ادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، اعلموا أأن المسلم أُفق أمان وسلام للعالم، لا يبتدأ الإيذاء ولا يطلب الإضرار بالآخرين، بل هو الذي يعمل على إزالة الضرر عن الناس ويسعى لإسعاد العباد.

ولذلك يقول نبينا عليه الصلاة والسلام-كما في الحديث المتفق عليه: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).

إن الاعتداء بالقول أو بالفعل على المسلمين ظلم كبير، فكيف إذا كان الاعتداء والإيذاء لصالحي عباده وأوليائه. قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً }[الأحزاب58].

إن الله تعالى قد توعد الظالمين بالعذاب الوبيل في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }[هود102]. ويوم القيامة يوم القصاص العادل، وأخذ حق المظلوم من الظالم، وإذا كان القصاص في ضربة سوط ظلماً كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة) ([[345]](#footnote-345)). فكيف سيكون حال من خرب على المسلم دنياه ففرق بينه وبين زوجته أو أولاده، أو أذهب عقله، أو أقعده على فراش المرض.

أيها المسلمون، هناك وسيلة سيئة وطريقة خبيثة من طرق الظلم يلجأ إليها أناس قد باعوا دينهم وأخلاقهم وإنسانيتهم وهي استعمال السحر في إيذاء الآخرين بدافع الحسد أو العداوة أو التكسب الدنيء أو غير ذلك.

فمهما بلغ العداء والحسد واشتدت حبال الحقد في قلب المسلم على أخيه المسلم فإنه لا يلجأ إلى هذا الطريق الخبيث المخبث.

عباد الله، إن للسحر تاريخه المظلم في صفحات الزمن البعيد يسير مع سير الحياة ويتطور بتطورها، فللزمان القديم طرقه السحرية القديمة، وللزمن الحديث طرقه السحرية الحديثة كذلك.

وللحديث عن السحر في هذه العصر الذي نعيشه أهمية خاصة؛ فقد غدا السحر اليوم خطراً يعبر من أقاصي الدنيا إلى داخل البيوت بأيسر طريق وأسرعه.

فلم يألوا السحرة والمشعوذون جهداً في إضلال الناس وابتزاز أموالهم، وتفكيك روابطهم وصلاتهم فأنشأوا لذلك وسائل حديثة كفتح قنوات خاصة بالسحر والدجل، فصاروا يصلون إلى مشاهديهم الجاهلين والضالين إلى كل مكان عبر برامج مباشرة وغير مباشرة.

وقد يظهر الساحر أو الدجال يجيب على أسئلة المشاهدين ويحاورهم ويصف لهم الأدوية مستخدماً في ذلك السحر، أو الكهانة بإخبارهم عن المستقبل. وبعضهم قد يستخدم التمويه فيظهر نفسه راقياً بالقرآن الكريم ليصطاد عقول الجاهلين وأموالهم. ومن خلال هذه البرامج المضلة يجنون أموالاً طائلة.

أيها الأخوة الأحبة، ومن الوسائل الحديثة التي اتخذها السحرة: الكتاب، والصحيفة، والمجلة، ومواقع النت وصفحاتها، وشبكات التواصل الاجتماعي.

ومن الوسائل الحديثة أيضاً: إنشاء معاهد تقوم بتعليم التنجيم والسحر، ومنح شهادات للدارسين، وكذلك إنشاء اتحاد المنجمين الذي يضم آلاف الأعضاء.

عباد الله، إن انتشار السحر بين الناس على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية-بعد أن كان في إطار الجهلة وعامة الناس- ليدعو إلى التساؤل عن أسباب ذلك، فمن أسباب ذلك: الجهل بالله وعظمته، والجهل بدينه. وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام حرمة وخطر الذهاب إلى السحرة والكهنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) ([[346]](#footnote-346)).

فعلى الذين يصدقون السحرة ويذهبون إليهم أن يتوبوا إلى الله قبل مجيء الموت، وأن يقووا يقينهم بالله تعالى؛ فهو الذي ينفع ويرفع ويدفع كل سوء.

ومثل الذهاب إلى السحرة أو الكهنة: سؤالهم عبر القنوات، أو الاتصال بهم عبر أي وسيلة اتصال. ولهذا فقد أفتى العلماء بحرمة مشاهدة قنوات السحر والشعوذة لما يترتب على تلك المشاهدة من خطر على عقيدة المسلم وعمله.

ومن الأسباب كذلك: ضعف الإيمان بالله والثقةِ به، والتوكلِ عليه، فأصبح هؤلاء الضعفاء يعلقون قلوبهم بأولئك الدجالين دون الله تعالى.

ومن الأسباب أيضاً: عرض قضية السحر والسحرة في بعض البرامج حتى بعض برامج الأطفال على أنها قضية مستساغة، مما أفقد استعظام شرها في قلوب المسلمين فتساهلوا في سؤال السُّحار والاتصال بهم.

ومن الأسباب: محبة الاستطلاع ومعرفة ما يكتنفه الغيب المستقبلي، وهذه الأخبار عن ذلك كلها تخرصات واستضعاف للعقول الجاهلة؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، قال تعالى: {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ }[النمل65].

وقال عن خيرة خلقه: {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف188].

ومن الأسباب: ضعف الصبر مع كثرة الأمراض واستعجال الشفاء.

أيها الأحبة الكرام، إن الساحر والكاهن والمشعوذ دجاجلة كذابون، آكلون لأموال الناس بالباطل، ضالون مضلون، صادون للناس عن سواء السبيل، يعيشون في شقاء؛ لأنهم لا يريدون السعادة للناس فحياتهم جحيم، ولعذاب الآخرة-إن لم يتوبوا- أشد وأبقى.

إن الساحر إنسان ضعيف ذليل عبد للشياطين؛ إذ لا يرتقي إلى مرتبة الساحر حتى يقدم لهم قرابين من دينه، فبعضهم يضع المصحف تحت قدميه ويدخل به الخلاء، وبعضهم يكتب آية الكرسي بدم الحيض، وبعضهم يقطع ورقة من المصحف ويضع بداخلها براز كلب، وغير ذلك من الأعمال الكفرية الشنيعة.

أيها المسلمون، هناك علامات يُعرف بها الساحر، فمن تلك العلامات: أنه يطلب ممن جاءه حيوانات محددة وبألوان معينة، ويسأل المريض عن اسمه واسم أمه، وتكون كتابته عبارة عن طلاسم وأشكال غير معلومة، وأحياناً يخبر المريض باسمه واسم بلده والمشكلة التي جاء من أجلها؛ ليقوي في قلبه التصديق به.

عباد الله، إن السحر-معشر المسلمين- جريمة من أبشع الجرائم تعلماً وتعليماً وامتهاناً وتصديقاَ وإتياناً.

يقول تعالى: {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ }[البقرة102].

وأما الساحر فقد ذهب جماهير العلماء إلى كفره وخروجه من الدين، واتفق الصحابة على قتله؛ لعظم شره وخطره على الدين والمجتمع.

فعن بجالة بن عبدة قال: كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس إذ جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنة: ( اقتلوا كل ساحر) ([[347]](#footnote-347)).

وجاء عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها ([[348]](#footnote-348)).

فعلى السحرة أن يتوبوا إلى الله تعالى وهم مازالوا في زمن الإمهال قبل الندامة والخزي يوم لقاء الله تعالى.

قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ }[الزمر53-54].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن موضوع السحر والسحرة وخطرهم على المجتمع يتطلب تظافر جهود الجميع، فواجب الدولة أن تلاحق هؤلاء العابثين بعقيدة الناس وأموالهم وأعراضهم وراحتهم وصحتهم، وتقيم عليهم الحدود الرادعة التي تريح الناس من شرهم، وتحجز من تسول له نفسه أن يسير في دربهم المظلم، ومن واجبها: محاربة القنوات والمواقع السحرية وردع شركات الاتصال التي تتعامل معها.

وهناك واجب على العلماء والدعاة ومن يستطيع أن يتكلم أو يكتب وهو: أن ينصح السحرة والمشعوذين ويدعوهم إلى الرجوع إلى الحق بدل الاستمرار على الباطل الذي يخرب عليهم الدنيا والآخرة. فباب التوبة مفتوح لا يغلق أمام أحد مهما تعاظم ذنبه.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: (يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي) ([[349]](#footnote-349)). وهناك بعض السحرة والمشعوذين رجعوا إلى الله تعالى وتابوا.

وكذلك من واجب العلماء والدعاة: تحذير الناس من الذهاب إلى السحرة والتواصل معهم عبر الوسائل الحديثة، مبينين لهم خطر هذا الفعل الأثيم.

وأما بقية الناس فعليهم تثبيت عقيدة الثقة بالله والتوكل عليه، والبعد عن الخرافات والشعوذات في حال الصحة أو في حال المرض.

وعليهم التحصن بالقرآن والسنة، تلاوة وسماعاً للقرآن في البيوت، والمداومة على أذكار الصباح والمساء وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وإخراج آلات الفساد واللهو من البيوت؛ لأنها مدعاة للشياطين.

وعليهم كذلك ترك الأوهام والخيالات والشكوك بالناس، وأن يعتقد المسلم أنه لن يحصل شيء إلا بإذن الله تعالى.

قال تعالى:{ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى }[طه69].

أيها المسلمون، أما من أصيب بهذا الداء-نسأل الله الحماية والعافية للجميع- فعليه التداوي بالدعاء والتضرع بين يدي الله، وأن يستعمل الرقية الشرعية وهي موجودة-بحمد الله- في الكتب والصوتيات الحديثة، وإذا كان لا يقدر على رقية نفسه فليذهب إلى راقٍ من أهل الصدق والأمانة ويحذر الدجالين من المشعوذين وطالبي الدنيا الذين يظهرون بثوب الرقاة الشرعيين.

نسأل الله أن يعافي المسلمين من كيد السحرة والمشعوذين.

هذا وصلوا وسلموا على النبي الكريم...

# اللهم أغثنا ([[350]](#footnote-350))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].( {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }الأحزاب70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، اعلموا- رحمني الله وإياكم- أن الله تعالى قد منح عباده منحاً كثيرة، وأسبغ عليهم نعماً غزيرة، منها ما ظهر ومنها ما بطن، {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }[النحل18].

ألا وإن من أعظم نعمه وأظهر مننه: نعمةَ الرزق والكفاية الغذائية التي بها قيام أبدان الكائنات الحية، وبقاء حياتها، من جن و إنس، وحيوان وطير.

قال تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }[هود6].

وقال: {وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[العنكبوت60].

عباد الله، إن من أعظم نعم الله تعالى في الرزق: نعمةَ الماء الذي ينزل من السماء ويدخره الله لعباده في جوف الأرض ليستنبطوه وينتفعوا به إلى حين.

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ }[الزمر21].

إن هذه النعمة تنزل من عند الله تعالى وحده لتغيث عباده، وتذكرهم فضله، فهلا شكروه، ونسبوها إليه دون غيره، قال تعالى:{ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ{68} أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ{69} لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ{70} [الواقعة 68-70].

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)([[351]](#footnote-351))

إن الماء-معشر المسلمين- هو عنصر الحياة، وسبب البقاء والنماء على هذه الأرض.

قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }[الأنبياء30].

فقد أنبت الله به النبات الذي هو قوام حياة الإنسان والحيوان، وأحيا به الأرض بعد موتها، فأصبحت مشرقة بعد جدوبها، مبتهجة بعد عبوسها، متزينة بالاخضرار بعد الاسوداد والكآبة، فبعثت في النفوس الانشراح والارتياح، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }[الروم24].

وقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[فصلت39].

وهذه آية تستحق النظر والتأمل، والشكر لواهبها، قال تعالى: {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ{24} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً{25} ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً{26} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً{27} وَعِنَباً وَقَضْباً{28} وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً{29} وَحَدَائِقَ غُلْباً{30} وَفَاكِهَةً وَأَبّاً{31} مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ{32}[عبس 24-32].

أيها المسلمون، لقد كان من حكمة الحكيم الخبير الذي يعلم أحوال عباده ويطلع على قلوبهم وأعمالهم: أن ينوع لهم الأحوال ولا يبقيهم على حال واحدة؛ فيطغوا أو يقنطوا، بل يبتليهم بالسراء والضراء والشدة والرخاء والخصب والجدب؛ لعلهم أن يرجعوا إلى ربهم، فمن لم يتب في حال الرخاء فعساه أن يتوب في حال الشدة. قال تعالى: { وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }[الأنبياء35].

وكم من إنسان انتفع بالضراء ما لم ينتفع في السراء، وأفادته المحنة ما لم تفده المنحة.

قد ينعم الله بالبلوى ولو عظمت\*\* ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فلو بقي الإنسان في النعمة دائماً لنسي قدر النعمة وشكرَ المنعم واللجوء إليه، فالنعم قد تبطر بعض الناس وتجعله متكبراً على ربه، فيأتي سوط البلاء ليرد العبد إلى معبوده، والمخلوق إلى خالقه، والمولى إلى سيده. فتصرّفُ الأحوال يعيد الشاردين إلى باب ذي الرحمة والإفضال. قال تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ }[الشورى27].

إننا في هذه الأيام- عباد الله- نعاني أزمات متعددة، ومن هذه الأزمات: أزمة القحط وقلة الأمطار. لقد أصبحت الأرض مكفهرة عابسة، غبراء قاتمة، ترسل للعيون الضيق والحزن، وغدا الجو مشحوناً بالكآبة متشحاً بالأسى، فأضحت النفوس ضيقة كئيبة.

لقد حل بلاء الجدب لكي يظهر العباد افتقارهم إلى ربهم، ويبتهلوا بين يديه، ويعلموا أن ضرهم لا يكشفه عنهم إلا مولاهم، بإظهار فقرهم للغني الحميد. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }[فاطر15].

وقال تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أَهدكم، يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي، كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم) ([[352]](#footnote-352)).

إن بعض الناس قد لا يدرك هذه البلية؛ لغفلته عن شكر نعمة الغيث النافع، ولظنه أن نفع المطر إنما هو لأهل المواشي والزروع، وسكان البوادي والقفار، ولا يدري أن أكله وشربه وصلاح بيئته قائم على نعمة الأمطار. فلا صلاحَ لعيش الناس في أي مكان كانوا إلا بالمطر، قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ }[الملك30].

أيها الأخوة الكرام، إن الله رحيم بعباده، كريم في عطائه، قادر على غوث خلقه وإزالة بلواهم، لكنه يحب أن يعلمهم أن طاعته سبب كل خير، ومعصيته سبب كل شر.

إن تأخر المطر عن ميعاده، مع شدة الحاجة إليه له أسبابه، فما هي أسباب حبس المطر عنا -يا عباد الله- ونحن في موسمه الذي ينزل فيه؟

لقد انحبس الغيث عن الأرض حينما جفت القلوب من غيث الإيمان، وفاضت بالاعتماد على غير الله، واليقين بمن سواه، ورجاء غيره، ونسيان حقه.

وصارت مملؤة بالأحقاد والحسد، والأضغان والكراهية الممقوتة، والرغبة في الدنيا والحرص عليها، ولو أدى ذلك إلى ترك الدين الحق وخسارة الآخرة.

وحبس المطر لأن الألسنة جفت كثيراً عن ذكر الله وشكر نعمة الغيث وآثاره، وأصبحت رطبة بذكر الدنيا، وعبارات اليأس والقنوط، والكلام في أعراض المسلمين أحياء وأمواتا.

قال تعالى:{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }[إبراهيم7].

وحبس المطر لأن الأرض صارت تشكو إلى ربها تخمتها من ذنوب بني آدم، فبساط المعصية مازال ممدوداً بين الناس فمستقل منه ومستكثر.

ألا وإن من أعظم المعاصي: ظلم العباد بعضهم بعضا، فكم من دماء تسيل بغير حق، وكم من أعراض تنتهك، وكم من أموال تمتد إليها أيادي الناس بالحرام.

لقد غدت المعاصي أعمالاً شريفة يجاهر بها أهلها ويدعون الناس إليها، وهذا عنوان الهلاك للمجتمعات المسرفة على أنفسها، أو للساكتين عن وعظ المسرفين معذرة إلى الله ولعلهم يرجعون.

حتى لقد تضررت بمعاصي بني آدم الحيوانات فحرمت الغيث الذي ينبت لها رزقها.

قال عكرمة رحمه الله: "دواب الأرض وهوامها، حتى الخنافس والعقارب يقولون: مُنعنا القطر بذنوب بني آدم".

وانحبس المطر لأن بعض أرباب الأموال التي وجبت فيها الزكاة لم يؤدوا زكاة أموالهم؛ حرصاً على الدنيا، وضعف يقين بما عند الله من الأجر والعوض.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (و لم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، و لولا البهائم لم يمطروا) ([[353]](#footnote-353)).

أليس من الإثم والعيب أن يكون بنو آدم سبب انقطاع الغيث، وتكون البهائم سبب نزوله؟!

وانحبس الغيث لأن الغش والخداع في البيع والشراء كثر واستشرى، وصار ظاهرة من الظواهر التي تقضي على اقتصاد المجتمعات المسلمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذِوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم) ([[354]](#footnote-354)).

وهذه الآثار كلها واقعة هذه الأيام، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

أخوتي الكرام، إذا أردنا أن يغير الله ما بنا من الشدة واللأواء فلنغير ما بأنفسنا من شر إلى خير ومن معصية إلى طاعة، ومن إعراض عن الله عز وجل إلى إقبال عليه.

قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[الأنفال53].

فلنعمر قلوبنا وحياتنا بالإيمان والتقوى، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }[الأعراف96].

ولنتب إلى الله تعالى من جميع ذنوبنا صغيرها وكبيرها، سرها وعلنها ما بيننا منها وبين الله، وما بيننا وبين الناس.

ولنكثر من الاستغفار الصادق بالقلوب والألسنة، قال تعالى عن نبيه هود عليه السلام: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ }[هود52].

عن الشعبي رحمه الله قال: "خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستسقي، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فقيل له: ما رأيناك استسقيت! فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ:{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً{10} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً{11} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً{12}[نوح 10-12]".

وإذا أردنا المطر النافع فلنؤد حق الله تعالى علينا من الواجبات، وترك المحرمات، ولنسارع إلى فعل المستحبات، وترك المكروهات.

عباد الله، إن الغيث المدرار النافع يحصل حينما يكف أصحاب الظلم عن ظلمهم، وأهل الفساد عن فسادهم، وذوو الإجرام عن جرائمهم.

وإذا دفع أرباب الأموال زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم، من غير إخفاء للحق عليهم أو تحايل فيه، وهم بأداء هذا الحق رابحون الخيرَ في الدنيا والآخرة غير خاسرين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبدالله، ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة فقال له: يا عبدالله، لِمَ تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه) ([[355]](#footnote-355)).

وعن يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ( كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ) أو يقول: ( حتى يحكم بين الناس ) ([[356]](#footnote-356)).

قال يزيد: فكان أبو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء ولو كعكة ولو بصلة.

فانظروا -يا أهل الأموال- ماذا يلاقي باذل الخير في سبل الخير من الجزاء الحسن والعوض الكريم.

عباد الله، إن المطر يسقي البلاد التي تعيش على الأمانة في البيع والشراء، ويعيش أفرادها على الإخاء والمحبة، وتجمع كلمتها على الحق، فلنكن كذلك؛ حتى يغيثنا ربنا.

وعلينا أن نوقن بأن الله قريب مجيب سميع كريم، فلا نيأس ولا نقنط، وإن تعاظم البلاء، فما ابتلانا إلا ليسمع دعاءنا، ويرى تضرعنا ورجوعنا إليه وحده.

{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ }[الشورى28].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم القريب، الرحيم المجيب، مغيث المستغيثين، وراحم المضطرين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، لقد شرع الله لعباده حين الجدب والقحط أن يستسقوا ربهم، إما بالدعاء في مساجدهم وغيرها، وإما بالخروج للمصلى لصلاة ركعتين، ودعاء وتضرع واستغفار في خطبة تلي الصلاة، على هيئة مفتقرة متخشعة عليها سيما التواضع والتضرع؛ لعل الله أن يرحم عباده وقد جاءوا إليه على هذه الحال المستكينة داعين محتاجين، ناوين العودة إلى بيوتهم من حال سيئة إلى حال حسنة، عازمين على التوبة والإنابة، والإقبال على الطاعة وهجر المعصية.

وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلتا الكيفيتين.

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه و سلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم قائماً ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يغيثنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه و سلم يديه ثم قال: (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا)، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتا). أي: أسبوعا.

ففي هذا الحديث بيان أن الاستسقاء حصل بالدعاء على المنبر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم متواضعاً متبذلاً متخشعاً مترسلاً متضرعاً، فصلى ركعتين كما يصلي في العيد )([[357]](#footnote-357))

وفي هذا الحديث بيان الخروج إلى المصلى للاستسقاء.

عباد الله، من هذا المكان سنطلب الله تعالى السقيا؛ لعله أن يرحمنا ويكرمنا بإجابة دعائنا.

فاللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنت الكريم ونحن المحتاجون، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا، يا مجيب دعاء المضطرين، ويا كاشف كرب المكروبين، اللهم إنا خلق من خلقك، فلا تحبس عنا بذنوبنا رحمتك.

اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت.

اللهم اسقنا غيثاً مغيثا، سحاً غدقا، مَريعاً طبقا، عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار.

اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق، اللهم تحيي به البلاد، وترحم به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد.

اللهم أنبت لنا الزرع، وأدر لنا الضرع، وأنزل علينا من بركاتك، واجعل ما أنزلته قوة على طاعتك، وبلاغاً إلى حين.

اللهم إن بالعباد والبلاد من الضر واللأواء والجهد ما لا نشكوه إلا إليك، فاكشف عنا ضرنا وبلوانا، وأجب دعاءنا وارحم شكوانا.

اللهم ارحم الأطفال الرضع والشيوخ الركع والبهائم الرتع.

اللهم نستغفرك إنك كنت غفارا، فأرسل السماء علينا مدرارا.

اللهم ارفع عنا الجَهد والجوع والخوف، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه إلا أنت.

اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا.

[[358]](#footnote-358)اللهم أغث قلوبنا بالإيمان، ووطنا بالخيرات والأمان.

اللهم ردنا إليك رداً جميلاً، ألّف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واجمع كلمتنا على الحق والهدى، يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على عباده المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

# لا تجارة بالإسلام والأخلاق الحميدة ([[359]](#footnote-359))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها الناس، إن آلاء الله علينا كثيرة لا تحصى ولا تعد، قال تعالى: {وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ }[إبراهيم34].

وإن المسلم إذا تأمل في نعم الله عليه سيجد أن أعظم النعم عليه هي: نعمة الإسلام، والهداية للحق القويم، فلله الحمد والشكر على هذه النعمة.

عباد الله، لقد أكرم الله هذه الأمة بدين الإسلام الذي أرسل به محمداً عليه الصلاة والسلام، وارتضى الله هذا الدين لعباده، ولا يقبل من أحد ديناً سواه، كما قال تعالى:{ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} [المائدة3]، فمن حاد عنه واتخذ ديناً غيره فهو من الخاسرين الذين لا حظ لهم من الفوز والفلاح، قال تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[آل عمران85].

وإذا أراد المسلم أن يعرف قدر هذه النعمة فلينظر بعين البصيرة والتأمل والحق والعدل إلى أولئك البعيدين عن هذا الدين: من وثنيين وملحدين، ويهود ونصارى كيف يعيشون في تخبط وضلال، وحيرة وضياع في عقائدهم وأفكارهم، وأخلاقهم وحياتهم الاجتماعية والأسرية.

قال تعالى: {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[البقرة257].

وقال: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[الأنعام122].

وقال: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ }[الأنعام125].

وقال جل وعلا: {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[الملك22].

فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة الهداية إلى الحق الواضح، ونسأل الله أن يديم علينا هذه النعمة وأن يتوفانا عليها.

أيها المسلمون، إن نعمة الإسلام التي أكرمنا الله بها توجب علينا القيام بشكرها: بفعل ما أمر به الإسلام وترك ما نهى.

وأهم ما أوجب الله سبحانه وتعالى على عباده: توحيده الخالص، وإفراده بالعبادة والتعظيم والقصد والإقبال، ثم إقامة الصلاة التي هي عمود هذا الدين وهكذا بقية الشرائع.

وإن مما يجب علينا أن نعتقده-أمة الإسلام- أن ديننا كامل في شرائعه وأحكامه وجميع ما جاء به؛ لذلك فهو دين صالح للعمل به والاحتكام إليه في كل زمان ومكان وبيئة، ولا يفتقر إلى زيادة وإكمال وإتمام في أصوله وأحكامه. وإنما يحتاج إلى فهم صحيح له، وتنزيل راشد، وتمسك بتعاليمه، وعمل بما جاء به في جميع المجالات الخاصة والعامة. وبذلك تظهر للعالم كله هذه الصلاحية الدائمة والخلود القائم الذي لا يطرأ عليه الفناء.

قال تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }[المائدة3].

فمن زعم أن الإسلام غير قادر على استيعاب كل العصور وتلبية حاجاتها وما يستجد فيها فقد اتهم الله تعالى بالجهل وضعف القدرة، واتهم رسول الله محمداً عليه الصلاة والسلام بالخيانة وقصور البلاغ.

إخوة الإسلام، إننا نعلم أن أهل الكتاب قد حسدونا على نعمة الإسلام ونبي الإسلام الذي كانوا يظنون أن يكون منهم وتكون هذه النعمة فيهم، ولكن الله تعالى صرف ذلك عنهم، والله أعلم حيث يجعل رسالته وينزل نعمته.

قال تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً }[النساء54].

وقال: {مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }[البقرة105].

وقال: {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً }[النساء89].

وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ }[آل عمران118].

وتلبية لمطالب حسدهم وحقدهم فقد قطعوا على أنفسهم عهوداً غليظة، وجندوا أنفسهم وغيرهم لحرب الإسلام وأهله في كل زمان ومكان بكل ما يستطيعون ليخرجوا المسلم عن دينه إما إلى دينهم وإما إلى غير دين. وما الحرب المتنوعة اليوم القائمة على المسلمين في كل مكان والتي يتبناها اليهود والنصارى خصوصاً إلا برهان هذه الحقيقة.

قال تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ} [البقرة120].

عباد الله، ولو تساءلنا عن أسباب هذه الفوضى الفكرية والفوضى الأخلاقية لوجدنا أن من بين أسبابها: الإغراء بالأموال والوظائف المرموقة وغير ذلك من أعراض الدنيا الفانية.

حتى لقد باع بعض الناس لأجل الحصول على ذلك دينهم وأخلاقهم وأوطانهم وشعوبهم.

إخوة الإسلام، إن الإنسان الشهم الشريف الذي يكره الذل ومطايا الدنايا، ويحب معالي الأمو وسنامها لا يمكن أن يُستعبد بالإغراءات مهما عظمت وكثرت.

يمكن أن يقبل الجوع والحبس والتضييق مادام العز في ذلك. لكن لا يمكنه قبول الدنيا وما فيها إذا كان في ذلك بيع الدين والخلق الكريم، والعز والسؤدد.

قال بعض الشعراء:

عش عزيزاً أو مت حميداً بخير... لا تضع للسؤال والذل خدا

كم كريم أُضيع في الدهر حتى... أكل الفقر منه لحماً وجِلدا

كلما زيدَ في الزمان اتضاعاً... زاد في نفسه علواً ومجدا

يستحب الفتى بكل سبيل... أن يرى دهره على الفقر جَلدا

إن الإنسان الحر لا يبيع دينه وخلقه لأي مشترٍ أو سمسار ولو بذل له ما بذل من الدنيا، فماذا يقال عن قوم يبيعون دينهم بثمن بخس دولارات معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.

معشر المسلمين، في أيام الفتن كأيامنا هذه- يرخص الدين وتغلو الدنيا لدى بعض الناس فيتقلب في أحضان الفتن؛ طلباً للعرض الزائل، دون تفكير إلى أين منقلبه ومآله.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا) ([[360]](#footnote-360)).

وتفكروا معي-أحبابي الأفاضل- في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه رضي الله عنهم كيف ضحوا من أجل هذا الدين، وتركوا الدنيا التي عُرضت عليهم أو التي تلهيهم عن الإسلام.

لقد جاءت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرضت عليه الملك والرئاسة، والمال والطب والتزويج بأجمل النساء فقالوا: "إن كنت إنما تريد، بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً؛ وإن كنت تريد به شرفاً، سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً، ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه". فما قبل رسول الله عروضهم هذه حتى مضى إلى سبيله وقد أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على العالمين.

وعلى هذا السبيل هاجر المهاجرون من مكة مخلفين وراءهم أموالهم ودنياهم، فراراً إلى الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

فهذا صهيب رضي الله عنه لما هاجر إلى المدينة تبعه نفر من المشركين فنثل كنانته وقال لهم: "يا معشر قريش، تعلمون أني من أرماكم، ووالله لا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا: فدلنا على مالك ونخلي عنك، فتعاهدوا على ذلك، فدلهم عليه، ولحق برسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ربح البيع أبا يحيى).

وانظروا إلى هذا الموقف العظيم لعبد الله بن حذافة السهمي والدنيا تعرض عليه بملكها ومالها وجمالها فيأباها؛ حفاظاً على دينه.

فعن ابن عباس قال: "أسرت الروم عبد الله بن حذافة السهمي صاحب النبي صلى الله عليه و سلم فقال له الطاغية: تنصر وإلا ألقيتك في البقرة -لبقرة من نحاس- قال: ما أفعل. فدعا بالبقرة النحاسية فملئت زيتاً وأغليت، ودعا برجل من أسرى المسلمين فعرض عليه النصرانية فأبى، فألقاه في البقرة فغذا عظامه تلوح وقال لعبد الله: تنصر وإلا ألقيتك. قال: ما أفعل. فأمر به أن يلقى في البقرة فبكى فقالوا: قد جزع قد بكى: قال ردوه. قال: لا ترى أني بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعر في ثم تسلط علي فتفعل بي هذا. قال: فأعجب منه: وأحب أن يطلقه فقال: قبل رأسي وأطلقك. قال: ما أفعل. قال تنصر وأزوجك بنتي وأقاسمك ملكي. قال: ما أفعل. قال قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين. قال: أما هذه فنعم. فقبل رأسه وأطلقه وأطلق معه ثمانين من المسلمين. فلما قدموا على عمر بن الخطاب قام إليه عمر فقبل رأسه".

أيها المسلمون، إن الأخلاق الحميدة والقيم النبيلة جزء عظيم من الدين، وهي كذلك ليست سوقاً للبيع والشراء. فالإنسان الكريم لا يبيع أخلاقه الحسنة وعاداته وأعرافه القبلية الفاضلة ليأخذ بها حطام الدنيا ولو جاع وهُدد وطُرد.

كان بعض نساء السلف يوصين أزواجهن عند خروجهم للعمل بالتماس الرزق الحلال ويقلن لهم: اتقوا الله فينا؛ فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار.

وهذا السموأل بن عاديا كان رجلاً مشهوراً بالوفاء، فقد ذُكر أن امرأ القيس الكندي لما أراد المضي إلى قيصـر الروم أودع عند السموأل أدرعاً وسلاحاً، وأشياء تساوي ثلاثمائة ألف دينار، فلما قتل امرؤ القيس أرسل قيصـر يطلبها من السموأل فامتنع وقال: لا أدفعها إلا لمستحقها ولا أغدر بذمتي، فقصده قيصـر فتحصن السموأل، فأخذ قيصـر ولداً للسموأل من خارج الحصن، وقال: إما أن تدفع ما عندك وإلا قتلنا ولدك، فأبى فأخذوا ولده فقتلوه، ولم يسلِّم لهم ما عنده من الأمانة، ثم جاء أهل امرؤ القيس فدفعها إليهم، ثم قال السموأل مفتخراً:

وفيت بأدرع الكندي إني... إذا ما خان أقوام وفيت

وقالوا إنه كنز رغيب.... ولا والله أغدر ما حييت

أيها المسلمون، إن من صور الخيانات اليوم: المتاجرة بالأوطان المسلمة وثروات شعوبها، والأوفياء من قادة المسلمين وولاة أمرهم لا يستخدمون بلاد الإسلام سلعة للمتاجرة مهما أُعطوا. فإن فعلوا فالتاريخ لن يرحمهم، والشعوب لن تسامحهم، والله تعالى لهم بالمرصاد.

أما أهل الشمم والشهامة من ساسة المسلمين فهم حراس دين شعوبهم ودنياهم لا يمكن أن يبيعوا من تراب المسلمين لأعدائهم شبرا. وهذا التاريخ يذكر لنا موقفاً مضيئاً للسلطان العثماني عبد الحميد رحمه الله حينما عرض عليه هرتزل اليهودي إغراءات مالية ليتنازل عن فلسطين فكان جوابه رحمه الله: "لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحدة من فلسطين؛ لأنها ليست لي بل لشعبي، لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بدمائهم، وسوف نحميها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها". الله أكبر ما أعظمها من روح، وأعزها من نفس حينما صغرت الدنيا في عينيها، وأبت إلا الوفاء والبقاء على هام العزة والكبرياء، ولم تستجب لنداءات الخيانة التي تمد بساط الدنيا أمام رغباتها فتطويها بأيدٍ لا تعرف الهوان. هؤلاء هم الزعماء الذين تكتب سيرهم من نور، ويستعذب الحديث عنهم وهم في طوايا القبور.

عباد الله، إن بيع الدين والأخلاق الحميدة والأرض المسلمة: برها أو بحرها أو جوها لأعداء الأمة جريمة كبيرة هلك بسببها أفراد وشعوب، وأورث البلدان المسلمة نقماً وشتاتاً، وزرع بينهم الإحن والأحقاد.

ولا يظن ذلك الخائن لدينه أو خلقه، أو وطنه أو جيرانه أنه بمنأى عن آثار إفساده وتبعات جريمته ومواليد خيانته، فلا شك أنه أول الخاسرين ومقدَّم الهالكين، قال تعالى: { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً }[فاطر43]. قال محمد بن كعب – رحمه الله -:" ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر، قال تعالى: { إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم }[يونس23]، وقال تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ }[الأنعام123]، وقال تعالى:{ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ }[الفتح10]".

وقال بعض العرب: من حفر حفرة سوء وقع فيها.

إن ذلك الخائن البائر يتبعه لسان السوء بعد وفاته إلى قبره عبر الأجيال المتلاحقة، كما فعل العرب الأوائل بأبي رغال الثقفي الذي دل أبرهة الحبشي على طريق مكة، فلما مات جعلت العرب لا تمر على قبره إلا رجمته؛ تذكراً لفعلته الشنيعة، قال الشاعر:

وأرجم قبره في كل عام... كرجم الناس قبر أبي رغال

نسأل الله أن يرفع عن الأمة الإسلامية الذل والهوان، وأن يعجل بنصره لعباده الصالحين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن مرض خيانة الدين والأخلاق والأوطان المسلمة الذي أصيب به بعض الناس يحتاج أصحابه إلى رجوع إلى الصواب والرشاد، وأن يفكروا بمقامهم بين يدي الله تعالى، وأن يعوا حجم الأخطار العامة والخاصة التي تترتب على هذا الفعل الوبيل. وأن يتذكروا أن ما يحصلون عليه من أعراض الدنيا الفانية سيفنى كما يفنون، ثم يكون عليهم حسرة يوم القيامة.

فهذه دعوة صادقة ونصيحة خالصة لأولئك المسرفين على أنفسهم وعلى غيرهم بذنب التجارة بالإسلام والخلق الكريم وبلاد المسلمين: أن يرجعوا قبل الندامة، وأن يقفوا عن بغيهم قبل الوقوف المخزي يوم القيامة.

فلنحافظ جميعاً-معشر المسلمين- على ديننا وقيمنا الصالحة، ولا نقبل أي إغراء يسرق ديننا وأخلاقنا؛ حتى لا نعض أصابع الندم بعد ذلك، ولات ساعة مندم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102].

هذا وصلوا وسلموا على قائد البشرية...

# الإسراء والمعراج: ذكريات وتأملات ([[361]](#footnote-361))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها الناس، لقد تفاقمت في مكة أذية المشركين، واشتد إضرارهم بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وزاد تعديهم على صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين. فعظم حزنُ رسول الله عليه الصلاة والسلام لِما يلقاه أهل الإيمان من الإيذاء، ولاستمرار قريش في غطرستها وعنادها وصدودها.

وفي هذا الجو الملبد بغيوم الأسى تشرق بشارة متألقة برحلة مقدسة مدتها ليلة واحدة لرجل واحد من الأولين والآخرين، يمضي بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، صحبةَ جبريل عليه السلام، مغادراً مكة المكرمة صاعداً إلى السماوات العلى، ثم يهبط إلى الأرض المباركة بيت المقدس مجمع الأنبياء والمرسلين، ثم يعود إلى فراشه عليه الصلاة والسلام.

إنها رحلة المشتاق إلى من أحب، رحلة بالعروج إلى العلي الأعلى للقرب والمناجاة، والدنو والملاقاة، تجاوزَ السماوات، وارتفع في المقامات، حتى انتهى إلى المقام الأعلى وخاطبه ربه الكريم بما شاء، ثم أكرمه بالإسراء إلى خير بقاع الأرض بعد مكة؛ ليلقى رفقاء المهمة العليا والرسالة الكبرى، فيتقدمهم إماماً؛ لتقدمه عليهم فضلا، ثم يؤوب إلى بيته بعد هذه الرحلة العلية مسرور النفس، منشرح الصدر، مغموراً بالسعادة والطمأنينة، بعد سنين من العناء والبذل والتضحية.

يا أيها المسرى به شرفاً إلى \*\*\*ما لا تنال الشمس والجوزاء

يتساءلون وأنت أطهر هيكل \*\*\*بالروح أو بالهيكل الإسراء؟

بهما سموت مطهرينِ كلاهما \*\* \* نور وريحانية وبهاء

فضل عليك لذي الجلال ومنة \*\*\*والله يفعل ما يرى ويشاء

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه \*\*\* والرسل في المسجد الأقصى على قدم

صلى وراءك منهم كل ذي خطر \*\*\* ومن يفز بحبيب الله يأتمم

جبتَ السماوات أو ما فوقهن بهم \*\*\* على منوّرة درية اللجم

ركوبة لك من عز ومن شرف \*\*\* لا في الجياد ولا في الأينق الرُسم

أيها المسلمون، إن رحلة الإسراء والمعراج إكرام من الله تعالى لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام؛ ليطلعه ربه على آيات من آياته الكبرى، فيراها عِياناً، ويسمعها قريباً؛ ليزداد ثقة إلى ثقته وقوة إلى قوته، وثباتاً إلى ثباته، وأملاً إلى أمله.

ففي حكمة العروج يقول تعالى: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى }[النجم18].

وفي حكمة الإسراء يقول جل وعلا: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }[الإسراء1].

عباد الله، جاء في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ( بينا هو على فراشه إذ أتاه آتٍ فشق ما بين نحره وما فوق عانته فاستخرج قلبه ثم أتي بطست من ذهب مملوء إيماناً فغسل قلبه ثم حُشي ثم أعيد)

وهذا يبين أن حادثة شق صدره عليه الصلاة والسلام وقعت أكثر من مرة، ولكل منها حكمة "فالأولى حكمتها ما جاء عند مسلم من حديث أنس قال: (فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك) وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه؛ ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء؛ ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه صلى الله عليه وسلم. وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك" ([[362]](#footnote-362)).

ثم يتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم رحلته المقدسة فيقول: (ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم، فسلم عليه. فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل: من هذا؟قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إلى إدريس قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي)

أيها المسلمون، ليس بكاء موسى عليه السلام حسداً لرسولنا عليه الصلاة والسلام؛ فالأنبياء منزهون عن كل خلق دنيء، وإنما بكاؤه على نفسه، حيث نقص أجره بجانب أجر رسولنا عليه الصلاة والسلام؛ لأن لكل نبي مثلَ أجر كل من اتبعه، وأمته حينما كانت كثيرة المخالفة والعناد -مما يدني درجتها وأجرها- لم يصل أجره إلى أجر محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم يواصل رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رحلة العروج فيقول: (ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه؟ قال: فسلمت عليه فرد السلام قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفعت إلي سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات. ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي)

أيها المسلمون، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلته المباركة أخبر قومه بذلك فقال لهم -في مجلس حضره المطعم بن عدي، وعمرو بن هشام والوليد بن المغيرة،: (إني صليت الليلة العشاء في هذا المسجد، وصليت به الغداة، وأتيت فيما دون ذلك بيت المقدس، فنشر لي رهط من الأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى وصليت بهم وكلمتهم) فقال عمرو بن هشام كالمستهزئ به: صفهم لي، فقال: (أما عيسى، ففوق الربعة، ودون الطول، عريض الصدر، ظاهر الدم، جعد، أشعر تعلوه صهبة- والصهبة: حُمْرة يعلوها سَواد في الشعر- كأنه عروة بن مسعود الثقفي، وأما موسى فضخم آدم طوال، كأنه من رجال شنوءة، متراكب الأسنان، مقلص الشفة، خارج اللثة، عابس، وأما إبراهيم فوالله إنه لأشبه الناس بي، خَلقا وخُلقا)

فقالوا: يا محمد، فصف لنا بيت المقدس، قال: (دخلت ليلاً، وخرجت ليلاً) فأتاه جبريل بصورته في جناحه، فجعل يقول: (باب منه كذا، في موضع كذا، وباب منه كذا، في موضع كذا).

ثم سألوه عن عيرهم فقال لهم: (أتيت على عير بني فلان بالروحاء، قد أضلوا ناقة لهم، فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت منه فاسألوهم عن ذلك) قالوا: هذه والإله آية، (ثم انتهيت إلى عير بني فلان، فنفرت مني الإبل وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق، مخطط ببياض، لا أدري أكسر البعير، أم لا فاسألوهم عن ذلك)، قالوا: هذه والإله آية، (ثم انتهيت إلى عير بني فلان في التنعيم، يقدمها جمل أورق وها هي تطلع عليكم من الثنية)

فقال الوليد بن المغيرة: ساحر، فانطلقوا فنظروا فوجدوا الأمر كما قال، فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد بن المغيرة فيما قال.

وسعى بعضهم بذلك إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فقالوا: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟

قال: أَوَقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: "لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة". فلذلك سمي أبو بكر بالصديق من ذلك اليوم.

معشر المسلمين، إن النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الرحلة الميمونة-كما جاء في أحاديث أخرى- قد رأى أشياء عظيمة مما هو كائن من أمر الغيب أو سوف يكون.

فقد رأى مالكاً خازن النار وهو لا يضحك، ورأى الجنة والنار، ورأى أكلة أموال اليتامى ظلماً، لهم مشافر كمشافر الإبل، يقذفون في أفواههم قطعاً من نار فتخرج من أدبارهم، ورأى أكلة الربا لهم بطون كبيرة لا يقدرون لأجلها أن يتحولوا من مكانهم.

ورأى الزناة بين أيديهم لحم سمين طيب، إلى جنبه لحم غث منتن فيأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب.

ورأى النساء اللاتي يدخلن على أزواجهن من ليس من أولادهم وهن معلقات بثديهن.

ودخل الجنة فرأى قصراً لعمر بن الخطاب، ورأى مكانة علية للرميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك في الجنة.

ورأى الكوثر الذي أعطاه الله أشد بياضاً من اللبن، ومر برائحة طيبة فقال: (ما هذه الرائحة يا جبريل؟ فقال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها).

واطّلع في النار فرأى قوماً يأكلون الجيف، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم.

ورأى في النار عاقر ناقة صالح.

ورأى قوماً تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار فقال من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم.

ورأى آدم وعلى يمينه أشخاصاً، وعلى يساره أشخاصاً، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى. فقال جبريل: فأهل اليمين أهل الجنة من بنيه، وأهل الشمال أهل النار من بنيه.

ورأى إبراهيم عليه السلام فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان-أي: أرض مستوية- وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وصدق الله تعالى: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى }[النجم18].

وقال: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }[الإسراء1].

عباد الله، هناك حقائق مهمة لابد أن نعيها عند حديثنا عن الإسراء والمعراج.

أولى هذه الحقائق: أن هذه الرحلة امتحان وابتلاء؛ ليُعرف المصدق من غيره، من الأولين ومن الآخرين أيضاً، كما قال تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ }[الإسراء60].أي: ابتلاء يتميز به الناس.

فيجب على كل مسلم أن يصدق مجريات هذه الرحلة الصادقة كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة؛ فإن الله على كل شيء قدير.

ثانياً: لم يثبت بدليل صحيح تعيين زمن هذه الحادثة سنة وشهراً وليلة، وإنما كان الحديث عنها في هذه الأيام لاشتهار أنها وقعت في ليلة السابع والعشرين من رجب.

ثالثاً: أن ما يفعله بعض الناس من الاحتفال بهذه الليلة شيء محدثٌ، لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا صحابته رضي الله عنهم، وهم أحرص من غيرهم على الخير. وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: اشتهر عند بعض الناس من خطباء وغيرهم حديث يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الحادثة يزخر بتفاصيل كثيرة غير ثابتة عن هذه الليلة، وهو حديث موضوع لا ينبغي التعويل عليه.

خامساً: الصحيح أن المعراج إلى السماء كان قبل الإسراء إلى بيت المقدس، وأن الأسراء والمعراج كان بالروح والجسد معاً؛ لقوله تعالى: {بعبده}، وأنه كان يقظة لا مناماً، ولو كان مناماً لما كذبت ذلك قريش؛ لأن الإنسان قد يرى أنه ينتقل عن مكانه إلى أماكن أخرى بعيدة.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن هذه الرحلة المقدسة فيها دروس وعظات، تستفيد منها الأمة إذا تدبرتها.

فمن أعظمها: بيان منزلة الصلوات الخمس وأهميتها وعلو مكانتها، حيث انفردت عن بقية الفرائض بأمرين:

الأول: أنها فرضت في السماء، وبقية الفرائض إنما فرضت في الأرض.

الثاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى فرضيتها مباشرة عن الله تعالى بدون جبريل عليه السلام.

فيا أمة الصلاة، لقد أكرمنا الله بالصلاة فلماذا ضيعها بعض هذه الأمة وتساهلوا فيها، لماذا لا تمتلئ المساجد في الصلوات الخمس كما تمتلئ الآن يوم الجمعة؟! الشوارع والأسواق ودور اللهو تشكو الزحام، وبيوت الله تعالى تجأر بالشكوى لقلة روادها و قصّادها.

إذا ضيعت الأمة الصلاة فهي لما سواها أضيع، وهذا هو الحاصل، والله المستعان.

فالصلاةَ الصلاةَ يا أمة محمد؛ فإنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

ومن دروس هذه الرحلة الميمونة: بيان فضل رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام على سائر الأنبياء والرسل، وبيان فضل أمته على بقية الأمم؛ فرسالة رسولنا معلومة لجميع الرسل، وصلاة رسول الله بهم إماماً دليل التقديم والتكريم، والرسل حريصون على الخير لهذه الأمة المفضلة التي هي أمة الفطرة السليمة والطريقة المستقيمة، كما سمعتم قول موسى وإبراهيم عليهما السلام.

فأروا الله من أنفسكم-يا أمة محمد- خيرا؛ فإن الشرف لمن اقتدى واهتدى، لا لمن انتسب ولم يعمل.

ومن دروس هذه الرحلة المباركة: الإشارة إلى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى؛ فقد كان المسجد الأقصى هو القبلة الأولى، ومسرى رسول الله، ومكان اجتماع الأنبياء والرسل للصلاة فيه، فعلى هذه الأمة أن تحافظ عليه، وأن تسعى في تحريره من أيدي اليهود الغاصبين الذين دنسوا تقديسه، وصدوا أمة الإسلام عن شد الرحال إليه.

فآلامه اليوم آلام للأمة جمعاء، فمن للمسجد الأقصى يا عباد الله؟

إن المسجد الأقصى في خطر مستمر، ولن يحرر بالاتفاقيات والمعاهدات، ولن يتحرر بتمزق الأمة وعمالة بعضها للمغضوب عليهم.

ولن يحرر تحت مظلة القومية أو غيرها من المظلات الجاهلية الضيقة.

ولن يحرره أعداء اليهود في العلن وأصدقاؤهم في السر.

المسجد الأقصى -يا أمة الإسلام- لن يتحرر إلا تحت مظلة الإسلام النقي، بأيادٍ نظيفة ونفوس غير مرهونة للعدو، وراية متحدة تجمع المسلمين على اختلاف بلدانهم ولغاتهم وأجناسهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله) ([[363]](#footnote-363)).

نسأل الله تعالى أن يقرب وعده الصادق وبشرى نبيه الحقه، اللهم أمين.

وصلوا وسلموا على خير البرية....

# شعبان آداب وأحكام ([[364]](#footnote-364))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، إن الله تعالى كريم يتفضل على عباده بوجوه كثيرة من الإكرام، ويواتر عليهم أصنافاً عديدة من الآلاء والإنعام. فسبحان ربي ما أكرمه! وله الحمد على ما أعطى، وله الشكر على ما أنعم به وأولى.

ألا وإن من عطاياه الجسام ونوائله العظام: اصطفاء أزمنة على أزمنة ليستغلها عباده في التقرب إليه، والمسارعة إلى ما يرفع درجتهم لديه.

والعاقل من الناس من ينتهز الفرص ويغتنم الفضائل، ولا يجعلها تفوت عليه، وتنطلق من بين يديه إلا وقد أخذ حظه منها؛ فالآجال مجهولة، والأعمار محدودة، والغنائم قد لا ترجع، والغاية التي يرجوها المسلم ثمينة، والدنيا دار التزود بعمر واحد فقط. { وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى }[البقرة197].

والإنسان لا يدري ما يعرض له في الدنيا فيشغله عن زاد الآخرة، فقد يهجم عليه المرض والبلاء، وتستولي عليه أعمال الدنيا وحاجاتها، وقد تأتي عليه شدائد وفتن لا يستطيع معها العمل الصالح. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (بادروا بالأعمال؛ فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا) ([[365]](#footnote-365)). نسأل الله السلامة من زوال نعمه، وتحول عافيته، وفجأة نقمته، وجميع سخطه**.**

عباد الله، من الأزمنة الفاضلة التي ينبغي أن تستغل في الخير: شهرنا هذا شهر شعبان.

فشعبان دورة تدريبية بين يدي رمضان؛ لكي يدخل المسلم شهر الصيام وقد تمرن على المسارعة إلى العمل الصالح. وإنما تسهل الأعمال على من تعود أمثالها قبل مجيئها.

إن شهر شعبان شهر استعداد روحي لاستقبال ضيف الروح السنوي، لكن هذا الاستعداد الصحيح لا تعرفه كل النفوس، وإنما تعرفه النفوس المتألقة في سماء الطاعة، التي تصقل القلوب والجوارح حتى يدخل رمضان التحلية بعد رحيل شعبان التنقية.

يدخل شعبان على الأرواح الصالحة شهرَ تهيؤ واشتياق لموسم الخيرات الأكبر الذي تحلق فيه الروح في آفاق الفضائل والخير العظيم.

لقد دخل شعبان على أهل القلوب الحية فعمروه بالاستعداد الصالح في كسب الخيرات والمسارعة إلى القربات.

ودخل شعبان على المهتمين بالبطون على حساب الروح فاستعدوا لشراء أصناف المأكولات والمشروبات التي تكفي الفئام من الناس، وكأنهم مقبلون على موسم جوع لا ينجو فيه إلا أصحاب المطابخ الممتلئة.

أيها المسلمون، إن الحريصين على طاعة الله إذا رأوا الناس يجدّون من أجل بطونهم وما يلهيهم، فهم في شأن آخر.

فشعبان عندهم شهر للقربات، ومن أعظم القربات فيه-بعد الفرائض-: قربة الصيام، هذه القربة التي تصلح الأجساد والأرواح والعقول، فلا يخرج شعبان عنهم إلا وقد أخذوا نصيبهم من صيامه؛ حرصاً على الخير واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصوم حتى نقول: لا يفطر،ويفطر حتى نقول: لا يصوم، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان) ([[366]](#footnote-366)).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: ( ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم) ([[367]](#footnote-367)).

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصوم شعبان كله، يصوم شعبان إلا قليلا([[368]](#footnote-368)).

ففي هذه النصوص الشريفة حث على الإكثار من الصيام في شعبان، غير أنه لا ينبغي أن يصام شعبان كله متصلاً برمضان.

فعن عائشة و ابن عباس رضي الله عنهما قالا: (ما صام النبي صلى الله عليه و سلم شهراً كاملاً قط غير رمضان) ([[369]](#footnote-369)).

أما حديث أم سلمة رضي الله عنها الذي تقول فيه: ( ما رأيت النبي صلى الله عليه و سلم يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان) ([[370]](#footnote-370)).

فمقصودها أنه يصوم أكثر شهر شعبان لا كله؛ لأن لغة العرب قد يستعمل فيها الكل بمعنى الأكثر، وقد قال الترمذي في سننه: قال ابن المبارك في هذا الحديث: "وهو جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقال: صام الشهر كله، ويقال: قام فلان ليله أجمع، ولعله تعشى واشتغل ببعض أمره ".

إلا إذا كان المسلم معتاداً صيام الاثنين والخميس فوافق ذلك قبل رمضان بيوم أو يومين فيجوز الصيام.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:( لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم) ([[371]](#footnote-371)).

وعلى هذا يجوز الصيام بعد انتصاف شعبان لمن أحب ذلك، وعرف من نفسه النشاط والقوة، أما إذا أحس بالضعف مع طول الصيام فالأولى أن لا يصوم بعد النصف من شعبان،؛ حتى يتقوى بالفطر ويدخل رمضان قوياً نشيطاً. أما الحديث الوارد في النهي عن الصيام بعد انتصاف شعبان فهو حديث ضعيف غير صحيح.

أيها المسلمون، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من الصيام في شعبان لثلاث معانٍ-كما قال ابن القيم رحمه الله-: أحدها: أنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، فربما شغل عن الصيام أشهراً فجمع ذلك في شعبان؛ ليدركه قبل صيام الفرض.

الثانية: أنه فعل ذلك تعظيماً لرمضان، وهذا الصوم يشبه سنة فرض الصلاة قبلها تعظيماً لحقها.

الثالثة: أنه شهر ترفع فيه الأعمال، فأحب صلى الله عليه و سلم أن يرفع عمله وهو صائم.

أمة الإسلام، شهر شعبان شهر للألفة والمحبة، والائتلاف والاتفاق، شهر يربي المجتمع المسلم على نزع كراهية المسلمين والحقد عليهم، ونبذ التشاحن والتباغض، ويحوطه بسياج من الود و الدعوة إلى الاجتماع والقرب، فيا من تدنس قلبه بأدناس الغل والبغض، وولج أتونَ التفرق والنزاع والتشاجر، فهذا شعبان مغتسل بارد وشراب.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شعبان أقبلَ بالمحبة والصفا |  | ليذيب أحزان التشاحن والجفا |
| شعبان أستاذ يعلمنا الإخا |  | ويقول للمتباغضين ألا كفى |
| شعبان مطهرةُ الذنوبِ ومطلع |  | لنسيمِ شهر بالصيام تشرّفا |
| زمن لترويض النفوس لكي ترى |  | رمضانَ بستانَ اللذاذة والصفا |
| يهديكمُ حلل الصيام وكل ما |  | يجلو القلوب على طريق المصطفى |
| طوبى لعبد جدّ في خيراته |  | وقضى مآرب روحه وتزلفا |

هلم أيها الفرقاء إلى كلمة سواء في شهر المحبة والإخاء؛ لكي تجمعوا بها الشمل وترأبوا بها الصدع، وتداووا بها الجراح؛ فشعبان يدعو المتباغضين إلى خلع أسمال الكراهية والتناحر؛ لكي ينالوا مغفرة الله فيه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه، فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد لحقدهم حتى يدعوه) ([[372]](#footnote-372)).

وقال صلى الله عليه و سلم: (يطلع الله عز و جل على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن) ([[373]](#footnote-373)).

فهل من سامع يعي، وطالب مغفرة ينتصر على نفسه وهواه فيقبل على تصفية قلبه من الشرك والأحقاد-إن كانت فيه- ويمد يد المحبة إلى إخوانه المسلمين؟

عباد الله، من القربات التي ينبغي الحرص عليها والمبادرة إليها في هذا الشهر: الإكثار من قراءة القرآن الكريم، وترطيب الألسنة بآياته، وترقيق القلوب بحلاوة تلاوته، وتنوير العيون بالنظر إليه، وفتق العقول بتدبر معانيه.

قال سلمة بن كهيل رحمه الله:" شهر شعبان شهر القراء"؛ وذلك أن قراءة شعبان لها أثر على قراءة رمضان إكثاراً وسهولة، وحلاوة وفهما.

وكان بعض السلف إذا دخل عليه شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن.

أيها المسلمون، هناك ليلة من ليالي شعبان يدور حولها جدل كل عام، وهذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان، حيث وقعت هذه الليلة بين غالٍ بالغ فيها حتى خرج عن المشروع، وجافٍ لم يعرف لها قدراً ولم يجعل لها منزلة تخصها عن بقية الليالي فحرم نفسه فضلها وخيرها، والحق خلاف هذين القولين.

فالغالون في هذه الليلة عظموها تعظيماً غير مشروع، حتى خصوا نهارها بصيام دون بقية الأيام، وليلها بقيام دون سائر الليالي، مع احتفالات وأعمال دينية محدثة، ويستدلون على ما يفعلون بأحاديث موضوعة وأعلى درجتها-لو خرجت عن الوضع- الضعف.

ويزعمون أنها الليلة المباركة التي تكتب فيها الأرزاق والآجال. والصواب أن الليلة المباركة إنما هي ليلة القدر من رمضان، قال تعالى:{ حم{1} وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ{2} إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ{3} فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ{4} أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ{5} رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ{6} [الدخان 1-6].

وإنزال القرآن-كما هو معلوم- لم يكن إلا في ليلة القدر من رمضان، قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ }[القدر1].

وأما الجافون فزعموا أنها ليلة كغيرها من الليالي التي ليس لها مزية أو فضيلة تختص بها.

والصواب أن هذه الليلة ليلة فاضلة لها ميزة على غيرها ورد فيها الحديثان السابقان اللذان بينا أن ليلة النصف من شعبان ميعاد لتفضل الله بمغفرة الذنوب لعباده الموحدين الذين طهروا قلوبهم من الشرك ومن الحقد والشحناء.

ولكن هذا الفضل لا يعني أن نحدث فيها ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحابته رضي الله عنهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما ليلة النصف من شعبان ففيها فضل، وكان من السلف من يصليها، لكن اجتماع الناس فيها لإحيائها في المساجد بدعة، والله أعلم".

إلا من كان معتاداً صيام الخامس عشر من كل شهر وقيام الليل فلا مانع من صيام نهارها وقيام ليلها.

عباد الله، يعد شعبان آخر فرصة في العام لمن كان عليه قضاء صوم ولم يقضه من رجل أو امرأة، فمن كان عليه دين لربه من صيام فليبادر به ولو إلى آخر يوم من شعبان، ولا يجوز تأخير القضاء حتى يدخل رمضان ويخرج، فمن فعل فعليه التوبة والقضاء والإطعام.

قالت عائشة رضي الله عنها: " كان يكون علي الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان" ([[374]](#footnote-374)).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن شهر شعبان شهر حافل بالأحداث الشرعية والوقائع التاريخية الإسلامية.

فشهر شعبان من السنة الثانية للهجرة كان زمنَ تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة. قال تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }[البقرة144].

وفي شهر شعبان من السنة نفسها فرض الله تعالى القتال على المسلمين بعد أن كانوا مأمورين بالصبر على أذى المشركين، وذلك بعد وقعة سرية عبد الله بن جحش، وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ }{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ } {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ }[البقرة190-193].

وفي شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة كانت غزوة بدر الآخرة أمام مشركي قريش، لكن الله قذف في قلوب المشركين الرعب فرجعوا على أعقابهم خائبين ولم يحدث قتال.

وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله عزيزاً حكيما.

وفي شهر شعبان من السنة الخامسة أو السادسة للهجرة وقعت غزوة المريسيع أو بني المصطلق فنصر الله المسلمين على المشركين، وكان من جملة خيرها تزوج رسول الله بأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها بعد أن أعتقها حينما كانت في السبي.

وفي شعبان من السنة العاشرة للهجرة قدم وفد خولان من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا عشرة، وجرى بينهم وبين رسول الله حديث، ومن ذلك أنه كان لهم ببلادهم صنم يعبدونه فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه إذا رجعوا ففعلوا.

وفي السنة الثالثة عشرة للهجرة وقعت معركة الجسر بين المسلمين والفرس، وكانت معركة مؤلمة دامية، لكن الله انتصر للمسلمين فيما تلاها من معارك ضد الفرس حتى غدت الامبراطورية الفارسية أثراً بعد عين.

فيا أيها المسلمون، المسارعة المسارعة إلى خير هذا الشهر؛ فالتجارة رابحة، ورأس المال موجود، والأرواح مازالت في الأجسام، قبل ذهاب العافية وتصرم الأيام.

والموفق من سلك سبيل السابقين، وحاز قصب السبق في ميدان تجارة الآخرة التي تنجيه من الخسارة يوم الدين.

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى....

# الصيف.. حِكَم وأحكام ([[375]](#footnote-375))

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أحمده على نعم تترى، وآلاء لا أدرك لها حصرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله واحد، ورب شاهد، ونحن له مسلمون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين، وخيرة المتدبرين، وأعظم المتفكرين في خلق رب العالمين، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وصحابته المهتدين، وسلم تسليما،

{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاْ تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأنتُمْ مُسلِمُونَ }..

{ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً }..

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً }..

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار..

أيها المسلمون! اعلموا –رحمني الله وإياكم- أن في تقلب الزمان من ليل إلى نهار، ومن نهار إلى ليل، ومن صيف إلى شتاء، ومن شتاء إلى صيف لعبرةً لأولي الأبصار الذين يعقلون عن الله حِكمَه في فعله وتقديره، وتصريفه وتدبيره.

قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ }[آل عمران190]،

وقال جل وعلا: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ{71} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ{72} وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }{73} القصص،

قال ابن القيم رحمه الله: (تأمل بعد ذلك أحوال هذه الشمس في انخفاضها وارتفاعها لإقامة هذه الأزمنة والفصول وما فيها من المصالح والحكم؛ إذ لو كان الزمان كله فصلاً واحداً لفاتت مصالح الفصول الباقية فيه، فلو كان صيفاً كله لفاتت منافع مصالح الشتاء ولو كان شتاء لفاتت مصالح الصيف وكذلك لو كان ربيعاً كله أو خريفاً كله... وفي الصيف يحتد الهواء ويسخن جدا فتنضج الثمار وتنحل فضلات الابدان،والأخلاط التي انعقدت في الشتاء وتغور البرودة وتهرب الى الأجواف؛ ولهذا تبرد العيون والآبار ولا تهضم المعدة الطعام التي كانت تهضمه في الشتاء من الأطعمة الغليظة؛ لأنها كانت تهضمها بالحرارة التي سكنت في البطون، فلما جاء الصيف خرجت الحرارة الى ظاهر الجسد وغارت البرودة فيه).

عباد الله! لقد أظلنا-نحن أهل المناطق الباردة- فصلُ الصيف بجماله وظلاله، وإشراقه وهداياه، بعد رحيل فصل الشتاء بجفافه ورياحه، وعبوسه وبلاياه. لقد انتظر فصلَ الصيف منتظرون ليستنشقوا هواءه العليل، ونسيمه الجميل، ويرون فيه ابتهاج الحياة وحسن منظرها، حينما يسدل الصيف على السماء صفاء وبهاء، وعلى الأرض اخضراراً ورِواء، فتبتهج النفوس، وتتسع الصدور، وتخصب العقول، وتستنير العيون.

وأما أهل البلاد الحارة فينزل الصيف عليهم ثقيلاً كئيبا، فيضيقون به ذرعا، ولا يستطيعون له دفعا، وأحسن أهلها حالاً من خفف أوام الصيف بالمرواح والمكيفات، فماذا يفعل الفقير الذي لا يجد هذه النعمة! وماذا يفعل الناس جميعاً في هذه الأيام والكهرباء في إجازة مرضية تتنقل بين أيدي المخربين من فترة لأخرى، فإلى الله المشتكى.

يشتد الصراع مع حر الصيف في المناطق الحارة فيجدونه يشبه قلب الصب، ويذيب دماغ الضب، تحكي هواجره فؤاد المهجور والتنور المسجور. حتى يقول العاقل بلسان الحال أو المقال:

رُبَّ يومٍ هواؤه يتلظى... فيحاكي فؤادَ صَبِّ متيّمْ

قلتُ إذ صاب حرُّه حرَّ وجهي... ربنا اصرف عنا عذاب جهنمْ

معشر المسلمين! إن الصيف يتميز على غيره بشدة الحر، ونزول المطر، ويختلف ذلك من مكان إلى مكان قلة وكثرة، وقوة وضعفا.

فالحر الشديد تكرهه النفوس، وتنفر من أواره، ومحالّ وهجه، غير أن ذا اللب من المسلمين ينتقل بفكره من مشهد الدنيا إلى مشهد الآخرة، فيذكّره عنفوانُ الحر والتهابه حرَّ يوم القيامة والناس في العرصات والشمس دانية منهم قدر ميل، ولا يجدون منها سترا، ولا عن هدفها متحولا ولا مخفِّفا، ويتدبر حال أهل النار التي وقودها الناس والحجارة، وأهلها يأتيهم الموت من كل مكان وما هم بميتين ولا منها ناجين، فيرى نار الدنيا بجانب نار الآخرة شيئاً هيناً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ( ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ) قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: ( إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا)، رواه مالك وابن حبان والبيهقي.

فالذي في الدنيا واعظ للوعاة قبل لقاء الله، قال الله تعالى: {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }البقرة269]، والشيء يذكر بمثله، كما قال متمم بن نويرة في أخيه مالك:

وقالوا: أتبكي كل قبر رأيته... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك؟

فقلت لهم: إن الأسى يبعث الأسى ... دعوني فهذا كله قبر مالك

وفي نار الهجير في الدنيا يقول الله تعالى عن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك؛ لشدة الحر –زعموا-: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ }التوبة81]،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:( اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير) متفق عليه.

أيها المسلمون! حينما يجد الإنسان الحكيم شدة حرارة الدنيا لأيام معدودة يتذكر نار الآخرة فيسلك طرق السلامة منها، ويتنكب السبل الموصلة إليها، ويستعيذ بالله من لقائها، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ما سأل رجل مسلم الجنة ثلاث مرات إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ولا استجار رجل مسلم من النار ثلاث مرات إلا قالت النار: اللهم أجره ) رواه أحمد وابن حبان وأصحاب السنن ما عدا أبا داود.

وشدة الحر مذكِّرة أيضاً بالجنة؛ فإن أهل الجنة يدخلون الجنة في نصف النهار عند القيلولة وقت اشتداد الحر، قال تعالى: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً الفرقان24]، قال النخعي: كانوا يرون أنه يُفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف النهار، فيقيل هولاء في الجنة، وهولاء في النار، وقال عكرمة: الساعة التي يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار هي الساعة التي تكون عند ارتفاع الضحى الأكبر إذا انقلب الناس إلى أهليهم للقيلولة.

عباد الله! وشدة الحر تذكرنا بنعم الله علينا بما يسر لنا من وسائل وأسباب تساعدنا على تعديل الجو الحار وتلطيفه، وقد عاش قبلنا خيارنا فما وجدوا ما وجدنا، ولا تنعموا تنعمنا، فعن أنس بن مالك قال: (كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في شدة الحر، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكّن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه) رواه مسلم. عن جابر بن عبد الله قال: (كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه و سلم الظهر فآخذ قبضة من حصى في كفي أبرده ثم أحوله في كفي الآخر، فإذا سجدت وضعته لجبهتي)،

وفي تلك الأجواء الملتهبة شرع الله الرحيم بعباده الإبرادَ بالظهر أي: تأخير الصلاة حتى تخف الحرارة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة؛ فإن شدة الحر من فيح جهنم).

أيها المسلمون! إن كثرة العناء والتعب، وتجرع المشقة والنصب في القيام بعبادة من العبادات التي شرعها الله ورضيها يكون أعظم أجرا، وأكثر فضلا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعائشة رضي الله عنها: (إن لك من الأجر على قدر نصبك)، رواه الحاكم. ألا وإن من العبادات الشاقة في أيام الصيف: عبادةَ الصيام وإنما صارت شاقة؛ لشدة حرارة النهار وطوله، لكن السابقين إلى الخيرات، والراغبين في الأجور والحسنات، يتحملون المشقة في الدنيا ليجدوا الراحة في الآخرة، فرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم كان يكثر الصيام في الصيف فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحر، حتى أن الرجل ليضع يده على رأسه في شدة الحر، وما في القوم صائم إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم وعبد الله بن رواحة) رواه مسلم، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (صوموا يوماً شديداً حره، لحر يوم النشور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور. ومن حرص أبي بكر رضي الله عنه على الخير والأجر أنه كان يصوم في الصيف ويفطر في الشتاء، ووصى عمر رضي الله عنه عند موته ابنه عبد الله فقال له: عليك بخصال الإيمان، وسمى أولها: الصوم في شدة الحر، ولما حضرت معاذاً الوفاةُ كان يتأسف على الصيام في شدة الهواجر. فرضي الله عنهم ما كان أرغبهم في الآخرة، وأزهدهم في الدنيا!. نزل الحجاج بماء بين مكة والمدينة فدعا بغدائه ورأى أعرابياً فدعاه إلى الغداء معه فقال: دعاني من هو خير منك فأجبته، قال: ومن هو؟ قال: الله تعالى دعاني إلى الصيام فصمت، قال: في هذا الحر الشديد! قال: نعم، ليوم أشد منه حرا. فهنيئاً للصائمين بعظم الأجر، الذين آثروا الجوائز الموعودة على الملذات الموجودة، {.. وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }الأنعام32]،

عباد الله! تحية إكبار وإعظام، وحروف ثناء وإجلال لأولئك النسوة العفيفات الكريمات اللاتي يحافظن على حجابهن وسترهن في شدة القيظ وعواء الهجير في فصل الصيف، إنما حبسهن عن إبداء المحاسن خوف العليم الخبير، والحياءُ وحب الحشمة طلباً للأجر، وخوفاً من الوزر، وحرصاً على الستر، خلافاً لتلك النساء اللائي يختصرن الحجاب ويتلاعبن به ويبدين ما أمر الله أن يخفى عن عيون الأجانب، فشتان بين الفريقين: بين اللاتي يردن الله والدار الآخرة فتجشمن التحجب كما أمرت الشريعة، وبين أولئك اللاتي يفرحن بقدوم الصيف ليعرضن المحاسن والمفاتن دون رادع من حياء، ومانع من قريب غيور، ودون خوف من الذي لا تعزب عليه خفيات الصدور.

أيها المسلمون! في الصيف تضحك الأرض حينما تبكي السماء بالأمطار وهطول الغيث المدرار، الذي يرحم الله به العباد والبلاد والشجر والدواب. فتبتسم به الأرض بعد عبوسها، وتكتسي بعد عُريها، وتبتهج بعد شقائها، وتنتج بعد عقمها، وتحيا بعد موتها. قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ }الحج63]، إن المطر مظهر كبير من مظاهر رحمة الله بعباده، ودليل بيّن على علمه بهم، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ }الشورى28]، وهو برهان ساطع على عجز المخلوقين وحاجتهم إلى خالقهم القادر على غوثهم وقضاء حوائجهم، فلوا أجدبوا وأقحطوا فلا مغيث لهم إلا الله، ولا ساقي لهم أحد سواه. قال تعالى: أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ{63} أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ{64} لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ{65}،

وقال تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ }الحجر22]،أي: ليست خزائنه عندكم بل نحن الخازنون له، ننزله متى شئنا.

إن نزول الغيث منحة كريمة، ونعمة عظيمة، من نعم الله على عباده تستحق الشكر وحسن العبادة، وأن تنسب إلى الله لا إلى غيره من كوكب ونحوه. عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: ( هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب) متفق عليه. والسبب في هذا الحكم-يا عباد الله-أن من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فقد صرف أفعال الله إلى غيره، وهذا كفر.

عباد الله! إن هناك تهديدات بيئية تعلن عبر وسائل الإعلام المختلفة بأن البلاد أو بعض المحافظات مهددة بالجفاف، وتنظر إلى أسباب ذلك نظراً مادياً مجرداً، وكان الأولى بهذه الجهات أن تقول للناس: إن الأرض مهددة بالجفاف إذا جفت أرواحكم من الطاعات، وكثرت من الخلق المعاصي والسيئات، فعمَّ الظلم، وانتشر الفساد، ومنعت الزكاة، وأُكل المال الحرام كثيرا؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (خمس بخمس قالوا: يا رسول الله! وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر) رواه الطبراني وهو صحيح.

معشر المسلمين! هناك آداب وأحكام في فصل الصيف يحسن بالمسلم أن يتعلمها وأن يتعبد الله تعالى بما استطاع منها، فمن ذلك: أنه يستحب للمسلم عند نزول أول الغيث أن يصيب منه بعض بدنه، فعن أنس قال: أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه و سلم مطر، فحسر رسول الله صلى الله عليه و سلم ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله! لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه تعالى) رواه مسلم**.** قال النووي رحمه الله: ومعناه: أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها، فيتبرك بها.

ومن الآداب: أن يقول المسلم عند نزول الغيث: اللهم صيّباً نافعاً، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان إذا رأى المطر قال: اللهم صيبا نافعا) رواه البخاري. والصيب: هو السحاب ذو المطر، ومناسبة الدعاء بهذا في هذه الحال: أن المطر إذا لم يكن نافعاً فهو ضار، وقد يصير عذاباً ونقمة، بدل الرحمة والنعمة؛ فإن الله عذب بعض عباده العاصين له بالمطر، قال تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ }[الأعراف84].

ومن الآداب: أنه يستحب الدعاء بخيري الدنيا والآخرة أثناء نزول الغيث،

قال رسول اله صلى الله عليه وسلم: (ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء، و تحت المطر). رواه الحاكم وهو حسن. قال الشافعي: وقد حفظت عن غير واحد طلب الإجابة عند نزول الغيث وإقامة الصلاة.

ويستحب للمؤذن أثناء المطر أن يقول في أذانه بدل حي على الصلاة: ألا صلوا في الرحال، أو صلوا في رحالكم، أو الصلاة في الرحال. وقد ثبت ذلك عن رسول الله في الصحيحين والسنن والمسانيد والمعاجم. وهذا رحمة من الله بعباده وتيسير عليهم.

أيها المسلمون! من الأحكام المهمة في فصل الصيف: الجمع بين الصلوات عند هطول المطر، فاعلموا أولاً: أن الأصل أن تؤدى كل صلاة في وقتها المحدد شرعاً، قال الله تعالى: {...فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً }النساء103]، ولكن الله لم يجعل في هذا الدين حرجاً وضيقاً على أهله، فخفف عنهم ما يشق عليهم ومن ذلك الجمع بين الصلوات في المطر. فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (جمع رسول الله صلى الله عليه و سلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر) وفي حديث وكيع قال: قلت لابن عباس: (لِم فعل ذلك؟ قال: كي لا يحرج أمته). رواه مسلم.

ثانياً: أجاز جمهور العلماء الجمع بين المغرب والعشاء بسبب المطر جمع تقديم، أي: تقدم صلاة العشاء فتصلى بعد المغرب مباشرة، وأما الجمع بين الظهر والعصر بسبب المطر فمنعه جمهور العلماء، وأجازه الشافعية في أحد القولين، ورواية عن أحمد، ومذهب الجمهور أرجح، إلا إذا وجدت المشقة نفسها التي توجد بين المغرب والعشاء فلا حرج حينئذ من الجمع بين الظهر والعصر، والله أعلم.

ثالثاً: لا يكون المطر عذراً للجمع إلا بشروط: أن يكون المطر غزيراً مستمراً، وأن يكون الجمع في مسجد الجماعة أو المصلى الذي تصلى فيه الصلوات الخمس، وعليه فلا يجوز الجمع في البيوت، ولا المساجد التابعة للمصانع أو الدوائر بحيث لا أثر للمطر على ذهابهم إلى الصلاة ورجوعهم منها؛ لأن العبرة بالمشقة فإذا انتفت فلا جمع.

رابعاً: قد يحصل –أحياناً- اختلاف بين الإمام والمصلين في قضية الجمع‘ فقد يرى الإمام عدم مشروعية الجمع، وقد يرى بعض المصلين خلاف رأيه، فالأولى بالمؤتمين أن يرضوا بما اختاره لهم إمامهم إذا كان فقيهاً أخذاً بالعزيمة، فإذا كثر الراغبون في الصلاة فليس للإمام أن ينكر عليهم إذا انتخبوا لهم إماماً يصلي بهم والعذر بالمطر صحيح قائم. حفظاً للمسجد من الشجار والنزاع.

خامساً: أما الجمع بين الجمعة والعصر، فالصحيح أنه لا يجوز؛ لأنه لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولاختلاف الصلاتين من أوجه كثيرة ذكرها العلماء. والله أعلم.

ومن الأحكام المحتاج إليها في فصل الصيف: أن مياه الشوارع المصحوبة بطين التي تتطاير على الثياب أثناء المطر أو بعده ليست نجسة؛ فالأصل الطهارة ولا يخرج عن هذا الأصل إلى غيره إلا بيقين.

ومن الأحكام المحتاج إليها في فصل الصيف كذلك: استحباب الخروج للاستسقاء عند الجدب والقحط، بهيئة خاشعة وقلوب مقبلة تائبة، لعل الله أن يرحم عباده حينما يخرجون إلى الصلاة والدعاء تائبين منيبين بعد الإسراف في ارتكاب الذنوب وإغضاب أرحم الراحمين.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لمن يسند إليه كل حمد، إليه مرفوعاً بغير عد، والصلاة والسلام النبي محمد، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الراشدين، أما بعد:

عباد الله! إن حديثنا عن الصيف يجرنا إلى الحديث عن الكهرباء التي نفتقر إليها في جميع الفصول، ولكن الحاجة إليها تعظم في فصل الصيف خصوصاً في المحافظات الحارة.

فأقول: إن الكهرباء نعمة عظيمة علينا في هذا الزمن الذي أصبحت مكوناً من مكوناته وجزء كبيراً من حركته ونشاطه. ومنافعها كثيرة متعددة.

غير أن فصل الصيف يعظم فيه قدر الاحتياج إليها لحفظ الأطعمة والأشربة؛ لوجود شدة الحرارة، التي تسرع بالتلف إلى المأكولات والمشروبات، إضافة إلى كونها وسيلة من وسائل تعديل الجو وتلطيفه بالمكيفات والمراوح.

أيها المسلمون! إن عشاق الظلام لا يحبون رؤية النور والعيشَ فيه، ويكرهون أن تمتد خيوطه على آفاق البلاد، فراحوا يفجرون أعمدة الضياء ومطالع الأنوار، لتلبس البلد بعد ذلك وشاح الظلمات ساعات طويلة، وتخسر الدولة وشعبها أموالاً غزيرة، وجهوداً كثيرة.

كم جرت من كوارث وحوادث، ومظالم وجرائم، وكربات وآلام، وأوجاع وأسقام، وكم عطلت من أعمال، وذهب من مال، جراء انطفاء الكهرباء.

فأين العقول من أولئك المفجرين والمتعاونين معهم، وأين الإيمان وحب الخير من قلوب أولئك المجرمين ومن يمولهم، يريدون أن يقتاتوا من دموع الناس ودمائهم، وأن تنالهم دعواتهم وشكاواهم إلى قاصم ظهور الجبارين، ومنصف المظلومين من الظلمة المتمادين.

وأين الحزم والردع من جهات الضبط حتى لا يتجرأ متجرأ على مثل هذه الأفعال المشينة التي صارت عقاباً جماعياً على الشعب كله.

فإلى الله المشتكى من يقظة المفسدين، وتناوم القادرين على ضبطهم وإزالة فسادهم.

ثم صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله...

# مشكلاتنا: أسبابها وعلاجها ([[376]](#footnote-376))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، ذكر بعض الأدباء أن قوماً خرجوا للصيد في يوم حارٍّ فطردوا ضبعاً حتى ألجئوها إلى خباء أعرابي فاقتحمته، فأجارها الأعرابي، وحال بينها وبينهم، وجعل يطعمها ويسقيها اللبن، وبقيت عنده بخير حال، فبينما هو نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه ومضت هاربة، وجاء ابن عم له يطلبه، فإذا هو بقير، والتفت إلى موضع الضبع فلم يرها فقال: هي التي فعلت فعلتها، والله لأجدنها وأخذ كنانته واقتفى أثرها حتى أدركها ورماها فقتلها، وقال:

ومن يصنع المعروف في غير أهله... يلاقِ الذى لاقى مجير ام عامر

أعدَّ لها لما استجارت ببيته... أحاليب ألبان اللقاح الدرائر

وأسمنها حتى إذا ما تمكّنت... فرته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من... يجود بمعروف إلى غير شاكر

أيها المسلمون، إن المشكلة يسهل علاجها ما دامت في بداية أمرها، فإذا تُركت وغفل عنها تمكنت وتجذرت وتكاثرت وتوالدت، فيصعب عند ذلك حلها ويعسر قلعها.  
فلو أن هذا الأعرابي-لما أراد حماية الضبع حينما استجارت به من الصيادين- منعهم منها حتى إذا ذهبوا طردها عن خبائه لكان في سلامة من أذاها، لكنه آوى إليه المشكلة ورعاها بيديه حتى قضت عليه.

إن المشكلات- أياً كانت عامة أو خاصة، داخلية أو خارجية- إذا لم تُتلافَ عند ورودها استفحلت وتعاظمت، فتضاعفت عند ذلك جهود طردها وإذهابها؛ ولذلك يقول الفقهاء: "الدفع أولى من الرفع"، ويقول الأطباء: "الوقاية خير من العلاج".

عباد الله، لو رجعنا إلى بداية أمر العالم لوجدنا أن المشكلة عنصر مصاحب للخلق منذ نشأتهم على يدي أبوي المكلفين، وهما مازالا في السماء.

فقد كانت مشكلة أبي الجن إبليس هي الشبهة التي قامت على الحسد والعُجب، فولدت الاستكبار والعداوة، وساقت صاحبها إلى الطرد من رحمة الله تعالى الذي آل قسمه ووعيده بإغواء ذرية آدم وعدائهم.

وأما أبو الإنس آدم عليه السلام فكانت مشكلته هي الشهوة التي قادته إلى الآكل من الشجرة التي منع الأكل منها، فكانت سبب خروجه من الجنة. لكنه تاب إلى ربه تعالى فتاب الله عليه؛ لتعلم ذريته أن حل المشكلة راجع إلى صلاح النفس برجوعها تائبة إلى خالقها،

قال تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[البقرة37].

ومنذ ذلك الوقت انخرط عقد المشكلات، وبدأ الصراع بين الحق والباطل، فخُلقت سنة المدافعة بين الخير والشر.

أيها الأحبة، إن المشكلة تنشأ بين الخلق بسبب تعارض المصالح واختلاف الأهواء والمعتقدات، وما حصل التنازع والحروب والفوضى إلا وهي ترتكز على هذه المنطلقات. والإنسان هو من يحدث المشكلة بنفسه إما بكسبه لوسائلها، وإما بغفلته عن طلائعها ووصولها إليه.

إن المشكلات في عصرنا الحاضر تطورت بتطوره، وتعقدت بتعقده، وامتدت بامتداد آفاقه، واتسعت باتساع مجالاته.

وأغلب هذه المشكلات تنصب في بوتقة المسلمين وفي بلدانهم، حتى لقد ظهر في هذا الزمن القاتم فن صناعة المشكلات وتصديرها لبلاد المسلمين بعد ذلك. فإن وجدت مشكلة بين المسلمين سلط الأعداء عليها الأضواء ومدوا مداها، وخلقوا فيها مشكلات جديدة حتى تتكاثر وتستمر، فإن لم يكن لدى المسلمين مشكلة صنعوا لهم مشكلة جديدة ليبقوا سابحين فيها باحثين عن شواطئ السلامة؛ حتى لا يفكروا بالعدو الذي يتربص بهم، وهذا من الحرب الناعمة التي انتهجها أعداء الإسلام من غير تكاليف بشرية أو مادية يخسرونها.

أيها المسلمون، هناك مشكلات كثيرة يعانيها المسلمون اليوم: مشكلات داخلية، ومشكلات خارجية. وهذه المشكلات ترجع في الغالب إلى أربع مشكلات رئيسة:

الأولى: الجهل بدينهم، الذي جعلهم ينحون شريعة ربهم عن واقع حياتهم، ويقبلون بلهث وانشغال بدنياهم التي أنستهم أمر دينهم.

والثانية: عدم التحاكم إلى القرآن والسنة فيما يجري بينهم، والثالثة: اختلافهم وفساد أنظمة الإدارة الحاكمة فيما بينهم، والرابعة: تبعيتهم لعدوهم، وانهزامهم أمامه في كل ميدان، والنظر إليه بعين الإكبار والإجلال. ويمكن أن ترجع هذه المشكلات إلى مشكلتين هما: اتباع الشهوات، والتأثر بالشبهات.

أيها المسلمون، إن المشكلات لابد أن تكون لها حلول وعلاج طال وقت الحل أم قصر. والمشكلة العظيمة لا ينجع معها الحل الآني السريع، بل تحتاج إلى تأنٍ واستيعاب للمشكلة حتى تعالج من جميع جوانبها. والعقلاء يسعون لحل مشكلاتهم بكل وسيلة ممكنة، ونحن المسلمين لو كانت لدينا نية صحيحة لحل مشكلاتنا لاستطعنا ذلك.

إن المشكلات الكبيرة تحتاج إلى جهود كبيرة، فلو قام كل مسلم بدوره بصدق لحلت مشكلاتنا؛ لأن هناك مشكلات ليست حلولها بأيدي الشعوب المسلمة، بل بأيدي حكامها وأصحاب القرار فيها، وهناك مشكلات حلولها ليست بأيدي الحكام، بل بأيدي الشعوب نفسها. وهناك مشكلات حلولها بأيدي العلماء والخبراء والمتخصصين، وهناك مشكلات حلها بأيدي جميع المسلمين على اختلاف تخصصاتهم.

عباد الله، إن المبادرة للبحث عن الحلول هي أول طرق الحل؛ ولهذا كان أصحاب رسول الله إذا نزلت بهم مشكلة عامة أو خاصة بادروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باحثين عن الحل.

قال تعالى: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً }[النساء83].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }[النساء59].

إننا لو رجعنا إلى دين الله تعالى إلى الكتاب والسنة لنبحث عن حلول مشكلاتنا لوجدنا الحلول الناجحة؛ لأن هذا الدين هو الذي رضيه الله لنا لإصلاح دنيانا وأخرانا، فلما ابتعدنا عنه كثرت مشكلاتنا، فلو رجعنا إليه لحلت كل المشكلات التي غرقنا فيها.

أيها الاخوة الكرام، مع تزايد المشكلات التي تحاصر المسلمين داخلياً وخارجياً إلا أن العزم الصادق عند المسلمين مازال ضعيفاً جداً؛ بسبب ضعف التمسك بالدين، ووجود المصالح الشخصية من استمرار الأزمات، وانتظار ما يتفضل به الغرب علينا من حلوله التي هي في الحقيقة تصعيد للمشكلات وبدائل شيطانية يريدون من ورائها استكمال حِلق السيطرة علينا من كل جانب.

أيها المسلمون، من المشكلات الداخلية التي يعانيها المسلمون: القلة والضعف، فالناظر لأحوال المسلمين اليوم يجدهم قلة ضعفاء أمام العدو المتجبر على اختلاف ملله، وزاد الطين بلة وجودُ الانقسامات الداخلية الحسية منها والمعنوية. لقد عانت طليعة الإسلام الأولى الضعف والقلة بين المشركين في مكة، فماذا كان حل هذه المشكلة عندهم؟ لقد نزلت الآيات القرآنية حاثة على التكافل والتعاون والحب والإخاء، وزادها رسوله صلى الله عليه وسلم بياناً بقوله وبفعله. بل حينما وصل رسول الله عليه الصلاة والسلام المدينة أقام بين المهاجرين والأنصار مبدأ الإخاء القائم على تقاسم السراء والضراء بينهم، فصاروا بهذا العلاج أمة واحدة وجسداً واحداً، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

قال تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }آل عمران103].

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ([[377]](#footnote-377)).

وقال: ( مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ([[378]](#footnote-378)).

فلو تكافل المسلمون وتعاونوا، وتراحموا وتعاطفوا لصاروا قوة مهيبة الجانب، فلا يتجرأ عليها عدو يستبيح حرماتها، قال النابغة:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له... وتتقي حومة المستأسد الحامي

عباد الله، ومن المشكلات: مشكلة الفقر والبطالة في كثير من بلدان المسلمين، حتى لقد صار يطلق على دول العالم الإسلامي: دول العالم الثالث؛ لفقرها وقلة تحضرها وتطورها، والحقيقة أن بلاد المسلمين بلاد غنية لو استثمرتها أيادٍ أمينة، ولكن مشكلة المشكلة أن خيراتها لتلك الدول الكفرية المتحضرة بأساليب مباشرة وغير مباشرة. فلو كان خيرها لها لقل الفقر والبطالة. هذا جانب، ومن جانب آخر فقد جاءت التشريعات الإسلامية الحكيمة بشرع فريضة الزكاة والحث على الصدقة والحث على العمل والتكسب واستثمار خيرات الأرض. فالزكاة لو أخذت على من وجبت عليهم بقدرها وصرفت إلى مستحقيها كما ينبغي لقُضي على الفقر والبطالة، وتأتي الصدقات بعد ذلك محسنة ومتممة، وحينما تتوفر الأعمال ينطلق المسلم إلى التكسب والعمل.

ففي الزكاة قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }[التوبة60].

وفي الصدقة قال: {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ }[آل عمران92]. وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }[البقرة267].

وفي العمل قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }[الملك15].

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده ) ([[379]](#footnote-379)).

معشر المسلمين، ومن المشكلات: مشكلة الاختلاف والتنازع، وهذه من أعظم المشكلات الحاصلة بين المسلمين، فقد قضت على قوتهم وإخائهم، وعلى تطورهم وتقدمهم، وعلى تحرر قراراتهم، وعلى استمرار سيادتهم على غيرهم. لقد صارت اليوم منطقة العالم الإسلامي والشرق الأوسط خصوصاً منطقة الصراعات الداخلية، والحروب الأهلية التي لا تنتهي، حتى لقد شكلت مادة إعلامية خصبة في وكالات الأنباء العالمية،؛ حتى يقلوا لغير المسلمين: انظروا ماذا يصنع المسلمون، وماذا يدور في بلدانهم!!؛ من أجل الصد عن دين الله تعالى.

هذه المشكلة تعالج بتذكير المسلمين بالإسلام الذي جمعهم، والإخاء الذي ألفهم، والنتائج السيئة التي ولدها هذا الاختلاف والتنازع. لقد حدث اختلاف الصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليهم، حينما أشعل أعداء الدين فتيل التنازع بينهم دون أن يشعروا، لكن انظروا كيف عالج رسول الله المشكلة: "قال ابن إسحاق: مر شاس بن قيس ـ وكان شيخاً يهودياً قد عسا، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم ـ على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قَيْلَةَ بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتي شاباً من يهود كان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بُعَاث وما كان من قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جَذَعَة ـ يعني الاستعداد لإحياء الحرب الأهلية التي كانت بينهم ـ وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة: الحَرَّة ـ السلاح السلاح، فخرجوا إليها، وكادت تنشب الحرب . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: ( يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم )؟!

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس".

وما أشبه الليلة بالبارحة، فاليهود والنصارى وأولياؤهم اليوم يسيرون على منوال شاس بن قيس في تأجيج الصراع بين المسلمين، فهلا استيقظنا فعرفنا مكر عدونا؟.

عباد الله، ومن المشكلات: مشكلة التعدي على الحقوق من النفس والمال والعرض، وهذه أم الجرائم التي تلد جرائم أخرى، فيعيش الناس في ظلها في خوف وقلق، وركود عن الإنتاج والعمل. لقد حصلت السرقة في عهد رسول الله صلى عليه وسلم فقطع يد السارق، وحصل الزنا فجلد البكر ورجم المحصن، وحصلت أعمال توجب القصاص فقتل رسول الله أهلها، فعاش المجتمع بعد هذا العلاج آمناً على نفسه وماله وعرضه. فلو طبقت حدود الله على أهلها كيف سيكون المجتمع!. إن إقامة حدود الله على أصحابها صِمام أمان للناس، وحصن حصين يصد عنهم سطوة الباغين وشراهة المفسدين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لحد يقام في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحا) ([[380]](#footnote-380)).

ومن المشكلات العظيمة: مشكلة الأيادي الخفية التي تعبث داخل البلاد الإسلامية، وتصير عيوناً للأعداء، فهناك قوم لم يخالط الإيمان قلوبهم قد مرقوا من الدين؛ حباً للدنيا وكراهية لتعاليم الإسلام، وطمعاً فيما ينالونه من أعداء الدين مكافأة على عملهم الخبيث في نقل أسرار المسلمين وإيجاد الاضطرابات بينهم، إنها مشكلة النفاق والمنافقين. وهذا ليس غريباً فقد حصل ذلك في المجتمع المدني أيام رسول الله، فواجههم رسول الله بالصبر والحلم والحذر واليقظة، والردع والزجر، وعدم توليتهم مناصب تأثير في المجتمع الإسلامي.

لقد تطور بالمنافقين الحقد في عهد رسول الله فعزموا على بناء مقر لاستقبال أعداء الإسلام في المدينة وسموه خداعاً مسجداً، فجاء الوحي رسولَ الله ليخبره بعمل المنافين مسجد الضرار، فأمر رسول الله بهدمه وحرقه.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } {لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ }[التوبة107-108].

وفي في بلاد المسلمين اليوم أوكار للفساد المتنوع بين المسلمين، تعمل لتنفيذ أهداف خارجية لزعزعة المجتمعات المسلمة، أفلا ينبغي أن يصير مآلها مآل مسجد الضرار بعد أن تبين خطرها وضررها على البلاد والعباد؟! نسأل الله أن يصلح أحوالنا ويعيننا على حل مشكلاتنا.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، تلكم المشكلات الداخلية وعلاجها، أما المشكلات الخارجية، فمنها:

مشكلة شدة الإيذاء والتضييق على الإسلام والمسلمين في بعض البلدان التي يمثل فيها المسلمون أقلية، فكم يواجه المسلم الحريص على التمسك بدينه من تضييق وصعوبات، حتى صار غريباً في المجتمع. بل العجيب أنه يواجه هذه الغربة في بلاد المسلمين، وقد يجد من السعة والفسحة في خارجها ما لا يجده فيها. عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء)([[381]](#footnote-381)).

لقد كان التضييق على أشده على الثلة المؤمنة الأولى في مكة، فعالجها رسول الله بالصبر والتصبير، والتفاؤل والتبشير، والهجرة. يمر على أسرة ياسر فيقول: (صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة).

وعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال ( كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ) ([[382]](#footnote-382)).

عباد الله، ومن المشكلات: التهديد والوعيد من قبل أعداء الله، فكم يتوعدون المسلمين ويتهددونهم بالاستئصال والحروب المتنوعة، ويسخرون إعلامهم الواسع في ذلك، لقد حصل مثل هذا لرسول الله وأصحابه، فعالج رسول الله ذلك بإعداد العدة وتربية الصحابة رضي الله عنهم على الثقة بالله واليقين بحمايته ونصره، قال تعالى: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[التوبة40].

وقال: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }[الأنفال60].

وقال: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ }[آل عمران173-174].

ومن المشكلات الكبيرة: مشكلة حرب المسلمين والاعتداء عليهم، وهذه المشكلة التي تبكي العيون وتدمي القلوب حينما يرى المسلم الغيور على دينه المحب لإخوانه أعداء الله يتعدون على ديار المسلمين ويقتلون مئات الآلاف بل الملايين من المسلمين والشعوب المسلمة تتفرج، أو تندد وتعقد القمم والمؤتمرات التي لا تجدي في الأمر شيئاً، وقد قال العرب في الأمثال: "الحديد بالحديد يُفلَح"، وقالوا أيضاً: "ادفع الشر بمثله إذا أعياك غيره"؛ فإنه لا يوقف العدوان إلا القوة، فلا مكان للضعفاء بين العالم. ولذلك قام رسول الله والخلفاء الصالحون من بعده بإعداد الجيوش والدفاع عن بيضة الإسلام وفتح البلدان وكبح جماح كل من يطمع في غزو بلاد المسلمين والاعتداء عليهم.

قال تعالى: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ }[البقرة190]، وقال: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }[البقرة216].

هذا وصلوا وسلموا على النبي الكريم...

# الثقة بالله تعالى ([[383]](#footnote-383))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، إن تعلق العبد بخالقه ومعبوده سبحانه وتعالى مطلب من مطالب العبودية لله تعالى، وعلى قدره يكون تأييد الله تعالى ونصره وقربه وعونه لعبده.

وحينما ابتعد كثير من المسلمين في الأزمنة المتأخرة عن كثير من تعاليم دينهم وشريعة ربهم وحلت بهم الخطوب والبلايا نظروا أثناء ذلك إلى البشر آملين أن ينجدوهم من مصائبهم، ولم يرجعوا إلى ربهم الذي بيده كل شيء. تعلقوا بخيوط العنكبوت ليخرجوا من هوتهم السحيقة وتركوا الحبل المتين الكفيل بإخراجهم من كل مأزق.

عباد الله، في زماننا كثر القلق، وتواردت الهموم، وادلهمت الأحزان على بعض المسلمين عندما ينظر إلى حاله وحال سائر الناس.

لقد كثر تعلق المخلوق بالمخلوق فصار يخشاه ويرجوه، وربما باع دينه بعرض من الدنيا قليل.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: " إن الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه فيلقى الرجل وله إليه حاجة فيقول له: أنت كيت وكيت!-يثني عليه-؛ لعله أن يقضي من حاجته شيئاً فيسخط الله عليه، فيرجع وما معه من دينه شيء".

فأين الثقة بالله تعالى والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه؟

قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً{2} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً{3}[الطلاق 2-3]. وقال: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً{4}[الطلاق 4].

قال ابن القيم: " أي: كافي من يثق به في نوائبه ومهماته، يكفيه كل ما أهمه، وكلما كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه ألبتة؛ فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل ولا يضيع عمل عامل، وعبر عن الثقة وحسن الظن بالسعة؛ فإنه لا أشرح للصدر ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به".

أيها الأحبة الكرام، إن الثقة بالله تعالى معراج وثيق يصل بين العبد وربه، يصل به إلى المحبوبات والمرغوبات، وينجو به من المكروهات والمرهوبات.

والثقة بالله تعالى صرح شامخ في قلب المؤمن لا تهزه عواصف المصائب والمحن، بل تزيده شموخاً ورسوخاً، ولا يهدمه إلا سوء الظن بالله، والشك في حصول فرجه، وكثرة التعلق بالمخلوقين، وتناسي الخالق جل وعلا.

والثقة بالله تعالى اطمئنان قلبي لا يخالطه ريب، وتسليم مطلق لمن يصرف أمور خلقه وحده.

الواثق بالله يعتقد أن الله تعالى إذا حكم بحكم وقضى أمراً فلا مرد لقضائه، ولا معقب لحكمه، فمن حكم الله له بحكم وقسم له بنصيب من الرزق أو الطاعة أو الحال أو العلم أو غيره فلا بد من حصوله له ومن لم يقسم له ذلك: فلا سبيل له إليه، فبهذا القدر يقعد عن منازعة الأقسام فما كان له منها فسوف يأتيه على ضعفه، وما لم يكن له منها فلن يناله بقوته.

عباد الله، إن الإنسان مهما بلغ من قوة الوسائل في الوصول إلى المطالب والرغائب فإنه ضعيف عاجز؛ لأن الضعف وصف خلقي ملازم للإنسان منذ خلق إلى أن يموت.

قال تعالى: { وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً }[النساء28].

وهذا يوجب على الإنسان أن يطلب القوة والقدرة على ما يريد من القوي المتين سبحانه وتعالى. وأن لا يركن إلى نفسه وقوته؛ لأنه لو فعل ذلك لكان الخسران والخذلان في انتظاره.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا لم يكن عون من الله للفتى |  | فأول ما يقضي عليه اجتهاده |

أيها الأخوة الفضلاء، إن ما يجري في الكون لا يغيب عن علم الله العليم الخبير، وقد يكون شراً في ظاهره، ولكن عواقبه إلى الخير أقرب، والإنسان محدود العلم والقدرات فلا يدرك الخفايا والعواقب، لكن الواثق بالله تعالى يسلم قياد أمره إلى من يتصرف في خلقه بعلمه وقدرته ومشيئته؛ لأنه جل وعلا الأعلم بما يصلحنا وينفعنا، واختياره لنا خير من اختيارنا لأنفسنا.

فأحسن الظن بالله -أيها المسلم- وثق به تسلم وتغنم. عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ( إن الله جل وعلا يقول: أنا عند ظن عبدي بي: إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله ) ([[384]](#footnote-384)).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: " ما أعطي عبد مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله تعالى، والذي لا إله إلا هو لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه، ذلك أن الخير في يده".

أيها المسلمون، إن الثقة بالله تعالى وسيلة نجاح يحتاجها المسلم في كل المجالات المشروعة، فيحتاجها في تحصيل الرزق، حيث يمشي في مناكب الأرض، ويسعى في جوانبها طالباً رزق الرزاق الكريم مما أحله الله له، معتقداً أن الرزق من عند الله وحده، حتى صار قلبه معلقاً بالله دون غيره، وما سعيه إلا بذل للسبب الممكن، راضياً بما قسم الله له، فلا يحسد الناس إن زادوا عليه في الرزق؛ لأنه يعلم أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر بعلمه وحكمته ورحمته، وأن الغنى لا يدوم، والفقر لا يبقى. وبهذا الشعور يجد البركة في رزقه وإن قل، ويذوق طعم الراحة والاطمئنان.

قال تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }[هود6].

وقال تعالى: {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[الشورى12].

وقال تعالى: { وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[التغابن11].

معشر المسلمين، ويحتاج المسلم الثقة بالله تعالى أيضاً عند المخاوف فيأمن بها من كيد أعدائه ومكر الماكرين به، فما دام من أهل الطاعة والاستقامة فليثق بأن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا، وأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

لقد كان أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام واثقين بالله تعالى ثقة لم تزعزعها رياح الابتلاءات وأعاصير الرزايا، فكان ذلك من أسباب نجاتهم ونصر الله لهم.

يقول تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ{71} فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ{72} فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ{73}يونس [71-73].

إنها كلمات مشرقة بالثقة بالله تعالى وتحدي أعدائه الذين كانت عاقبتهم الزوال، وعاقبة نوح ومن معه من المؤمنين النجاة والسلامة.

ويقول جل وعلا عن نبيه هود عليه السلام: { إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ{54} مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ{55} إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{56} إلى قوله تعالى: { وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ{58} وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ{59}[هود54-56، 59].

وهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام الذي ألقى به قومه المشركون في النار فوثق بالله وفوض أمره إليه فنجاه الله تعالى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: { حسبنا الله ونعم الوكيل }. قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه و سلم حين قالوا: { إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل }([[385]](#footnote-385)).

قال تعالى في نجاة إبراهيم عليه السلام: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ }[الأنبياء69].

وقال في نجاة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم: {فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ }[آل عمران174].

وقال تعالى عن كليمه موسى عليه السلام حينما خرج ببني إسرائيل من مصر والبحر أمامهم والعدو خلفهم: { فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ{61} قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ{62} فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ{63} وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ{64} وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ{65} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ{66}[الشعراء 61-64].

عباد الله، إن البلاء إذا اشتد على أهل الإيمان قويت ثقتهم بالله تعالى ولم تضعف. فهذا الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يعقوب عليه السلام قد فقد حبيبه وقرة عينه: يوسف عليه السلام، ثم فقد بعده الحبيب الثاني بنيامين، فاشتد عليه الحزن حتى فقد حبيبتيه أي: عينيه على فقد ولديه الكريمين، ومع هذا كله لم يفقد ثقته بالله تعالى ولم يقنط ولم ييأس، بل قال لأولاده: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ }[يوسف87].

فرد الله عليه بصره ورد إليه ولديه الحبيبين. قال تعالى: { فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ{96} قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ{97} قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ{98} فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ{99} وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ{100}[يوسف 96-100].

معشر المسلمين، إن نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام كان على جانب كبير من الثقة بالله تعالى في حمايته له ونصرة ما جاء به ورفعة من اتبعه.

فإن أبا طالب-كما ورد في السيرة- حينما رغّب رسول الله عليه الصلاة والسلام في عرض قريش عليه بعض متاع الدنيا على أن يترك ما جاء به، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته لشيء". فحماه الله من كيدهم فخرج مهاجراً من بين أيديهم، حتى وصل غار ثور ثم المدينة النبوية. قال تعالى: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[التوبة40].

قال له صاحبه ورفيقه أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: ( ما ظنك باثنين الله ثالثهما ) ([[386]](#footnote-386)).

وفي يوم من الأيام خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض أصحابه فتفرقوا يستظلون تحت الشجر من حر الهجير، فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن هذا اخترط سيفي، وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فها هو ذا جالس ). ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه و سلم) ([[387]](#footnote-387)).

أيها المسلمون، لقد ضربت المرأة المسلمة أيضاً أمثلة رائعة من الثقة بالله تعالى، فها هي أم إسماعيل عليهما السلام حينما وضعها إبراهيم عليه السلام في مكة بوادٍ غير ذي زرع بلا أنيس ولا شيء قالت وهو يودعها وابنها: (يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يتلفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا) ([[388]](#footnote-388)).

فحسن بعد ذلك حال هذه الأسرة المؤمنة هناك وجاءها القوت والجيران الصالحون.

وهذه أم موسى عليهما السلام أيضاً تضرب مثلاً آخر في الثقة بالله تعالى، فهي لما خافت على ولدها من ذبح فرعون ألهمها الله تعالى أن تلقي فلذة كبدها في الماء الذي هو مظنة الهلاك المحقق، ثم لو سلم فلا تدري إلى أين سيأخذه الماء! لكن الله تعالى ألهمها أن تلقي موسى الرضيع في اليم، فلثقتها بالله تعالى وبوعده الذي وعدها برده ألقته وانتظرت تحقق وعد الله الذي لا يخلف الميعاد، فرجع إليها سالماً غانماً الإكرامَ والمكانة المرموقة لأسرته لدى فرعون.

قال تعالى:{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ{7} فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ{8} وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ{9} وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ{10} وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ{11} وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ{12} فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ{13}[ القصص 7-13].

عباد الله، إن الثقة بالله تعالى لا تعني تعطيل الأسباب، وانتظار القدر المنجي بدون سعي وعمل لجلب المرغوب ودفع المرهوب.

وإنما الثقة بالله تعالى تعني: أن تفوض أمرك إليه وتعلق قلبك به، وتتوكل في أمرك كله عليه، وتبذل ما في قدرتك ووسعك من الأسباب لتحصيل المحبوبات ودفع المكروهات.

ولذلك قال نبي الله صلى الله عليه و سلم: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا) ([[389]](#footnote-389)).

فذكر عليه الصلاة والسلام أن الطير تخرج من أوكارها لطلب الرزق ولا تبقى فيها.

أيها الأحبة الكرام، إن الخطأ كل الخطأ في فهم هذا الأمر لدى طائفتين من الناس:

الطائفة الأولى: اتجهوا إلى العمل بالأسباب واثقين بأنفسهم وما عندهم من القدرة، وتركوا الاعتماد على الله تعالى. وهذا تخلٍّ عن الله ووثوق بالنفس، ومن توكل على غير الله وكله الله إلى من توكل عليه، وليس له عند ذلك إلا الذم والخسارة.

والطائفة الأخرى: وثقت بالله ثقة مغلوطة بحيث انفصلوا معها عن العمل بالأسباب وقعدوا ينتظرون. وهذا هو التواكل الذي يذمه العقل والشرع.

وكلتا الطائفتين على خطأ، والصواب هو تعليق القلب بالله تعالى وفعل ما يستطاع من الأسباب الممكنة المشروعة.

نسأل الله تعالى أن يبصرنا بديننا، وأن ينمي في قلوبنا الثقة بربنا، وأن يصلح بذلك جميع أحوالنا.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد الله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه الأخيار الأوفياء، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الواقع الذي يعيشه كثير من المسلمين اليوم-شعوباً وحكومات، أفراداً وجماعات- واقع مرير، أوصل بعض الناس إلى شيء من الإحباط وضعف الثقة بالله تعالى الذي بيده مقاليد أمور الخلق.

فاحتاج هؤلاء-بل نحتاج جميعاً- إلى وسائل تجذر الثقة بالله تعالى والركون عليه وحده في قلوبنا الذي هو خالقنا ورازقنا، ومالك أمرنا كله وبيده حياتنا ومماتنا.

فمن تلك الوسائل التي تقوي الثقة بالله في قلب المسلم: العلم بالله تعالى عن طريق النظر والتفكر في أسمائه وصفاته، وفي مخلوقاته وصنعه عز وجل في خلقه، والعلم بقضائه وقدره وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[التغابن11].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا) ([[390]](#footnote-390)).

وكذلك العلم بدين الله تعالى عن طريق القراءة في القرآن والسنة وسؤال العلماء الناصحين عما لم يفهم منها؛ فإن ذلك يورث المسلم البصيرة والنور في معضلات الحياة.

ومن وسائل تقوية الثقة بالله تعالى: التحلي بالصبر؛ فإن الصبر مفتاح الفرج، وعلاج للألم، وبوابة للأمل، فمن صبر ظفر، فالحال السيئة لا تدوم، وتغييرها يسرع إليها أكثر من إسراعها لأهل العافية منها، وكلما اشتد الهم وتواترت المشقات آذانت بانفراج قريب كالليل الذي تتكاثف ظلماته عند اقتراب الفجر، فإذا وصل المسلم إلى اليقين بهذه الحقائق نمت الثقة في قلبه نماء راسخاً.

قال تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً } {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً }[الشرح5-6].

ومن الوسائل الناجعة لتقوية الثقة بالله تعالى: الإقبال على الله تعالى والتضرع بين يديه والإلحاح عليه بالدعاء؛ فإن المسلم إذا عاش مع الدعاء صادقاً فيه مكثراً منه وثق قلبه واطمأنت نفسهن وقوي بالله وحده يقينه.

أيها المسلمون، إن الثقة بالله تعالى كنز عظيم، إذا ظفر به المسلم وصل إلى الراحة وذهاب القلق والهموم والغموم، وزاد إيمانه وكثر إحسانه، واستمر في اللجوء إلى الله تعالى، وانتصر على عدوه وغلب الماكرين به؛ لأن الثقة بالله تعالى من أمضى الأسلحة وأقوى العُدد الناجحة.

قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }[الأنفال60].

جاء عن بعض المفسرين أن من معاني القوة في الآية: الثقة بالله تعالى.

فعلينا-معشر المسلمين- أن نكون واثقين بالله تعالى في إصلاح أحوالنا وذهاب آلامنا وتحقق آمالنا الخيّرة، فالليل المظلم عما قريب يدركه الفجر الصادق.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا صاحب الهمّ إن الهم منفرج |  | أبشر بخير فإن الفارج الله |
| إذا بُلِيتَ فثق بالله وارضَ به |  | إن الذي يكشف البلوى هو الله |

هذا وصلوا وسلموا على خير الأنبياء...

# الحفاظ على نعمة العقل ([[391]](#footnote-391))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا ه[[392]](#footnote-392)ادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، اعلموا أن نعم الله علينا كثيرة، وآلاءه علينا غزيرة، وما زالت تتواصل بامتداد الأعمار وتواتر الأيام.

ألا وإن من أعظم نعم المنعم الكريم علينا: نعمة العقل الذي مُيزنا به عن سائر الحيوان، فصرنا بها ندرك المنافع من المضار، والخير من الشر في أمر المعاش وأمر المعاد.

فالعقل أساس الأعمال وينبوعها، والمميز بين الأشياء ومرجعها؛ ولذلك كان مناط التكليف الإلهي في الإنسان، فإذا وجد وجد التكليف وإذا انعدم انعدم به التكليف، فلا تكليف على قاصر حتى يبلغ، ولا على مجنون حتى يعقل.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الغلام حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق) ([[393]](#footnote-393)).

وإذا أردت أن تعرف-أيها الإنسان- فضل الله عليك بهذه النعمة فانظر إلى من فقدها كالمجنون أو أصحاب الأمراض العقلية، فالحمد لله على نعمته ونسأله المزيد من فضله، وأن تكون هبته سائقة لنا إلى شكره وحسن عبادته.

ومما يبين لنا عظم هذه النعمة وأهميتها في الشريعة الإسلامية: أن الجناية على العقل حتى يخرج عن حد التكليف توجب الدية كاملة كدية النفس؛ لأن العقل أشرف المعاني والأعضاء، وهو من أعظم آلات السعادة وصلاح الحياة.

أيها المسلمون، إن العقل عند العقلاء ينقسم إلى قسمين: الأول: العقل الغريزي، وهو العقل المشترك بين العقلاء. والثاني: العقل الاكتسابي، وهو ما يكتسب من تجارب الزمان ووقائعه.

والعقل الغريزي لا يبلغ غاية الكمال إلا بمعاونة العقل المكتسب كالنار والحطب، وذلك أن العقل الغريزي آلة، والمكتسب مادة، وإنما الأدب عقل غيرك تزيده إلى عقلك.

وأما العقل المكتسب فإنه لا ينفك عن العقل الغريزي، وقد ينفك العقل الغريزي عن المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضائل موفور الرذائل، وبهذا يتمايز العقلاء، ويعرف الألباء من الجهلاء.

أيها العقلاء، إن العقل نور يهدي صاحبه إلى محاسن الأقوال والأفعال، وكم من إنسان يتصرف تصرف المجانين والبهائم، بحيث يعيش لشهواته ونزواته وأهوائه واعتداءاته.

قال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[الأعراف179].

ولقد خلق الله الإنسان وخلق له العقل ليتدبر الأمور ويحسن التصرفات، ويعرف قيمة الحياة الفانية وقيمة الحياة الباقية. قال تعالى: {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[النحل78].

وقد أدرك العقلاء فضل العقل وأهميته، فقال بعض السلف: " ما أوتي رجل بعد الإيمان بالله عز وجل خيراً من العقل". وقال بعضهم: " مروءة الإنسان عقله".

وقال آخر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يُعدُّ رفيعَ القوم من كان عاقلاً |  | وإن لم يكن في قومه بحسيب |
| وإن حلّ أرضاً عاش فيها بعقله |  | وما عاقل في بلدة بغريب |

وقال بعضهم:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأفضل قَسْم الله للمرء عقلُه |  | وليس من الخيرات شيء يقاربه |
| ويزري به في الناس قلةُ عقله |  | وإن كرمت أعراقه ومناسبه |

عباد الله، إن العقل الصحيح النافع يقود صاحبه إلى معرفة خالقه والعمل بشرائعه، والسير على الطريق التي جعلها سبيلاً موصلة إليه، يعرف من أين جاء ولماذا جاء وإلى أين المصير.

والعقل الصحيح هو المستفيد من آيات الله تعالى المسطورة، وآياته المنشورة على هذا الكون؛ لتهديه -حينما يشاهدها ويتفكر فيها- إلى الصراط المستقيم.

وهذا العقل هو اللب والنُّهى الذي أثنى الله على أصحابه في كتابه العزيز، وبين أنهم هم المستفيدون من آيات الله ومن العظات والعبر في هذه الحياة.

قال تعالى: {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }[البقرة269].

وقال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }[البقرة164].

وقال: {كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى }[طه54].

أيها الأحبة الكرام، هناك عقول ذكية وألباب مشرقة، لكن على مصالح الدنيا فحسب، فهذه عقول مظلمة في مصالح الآخرة ربحت في الدنيا لكنها خسرت الآخرة.

كم من ذكي ألمعي، ومخترع عبقري هداه عقله الفطري وذكاؤه الخارق إلى مجاهل ومسالك في الدنيا لم يصل إليها أحد قبله، فصار صاحب اكتشافات وحقائق ونظريات، وأوصله عقله وذكاؤه إلى مقامات رفيعة في الدنيا، لكنه لم يوصله إلى خالقه ويعرفه الدين الحق، فماذا استفاد من عقله وذكائه عند ربه؟!

وكم من إنسان مسلم بصير بمصالح الدنيا ذكي في تحصيل منافعها ودفع مضارها بعقله الخصب وذكائه الوقاد. غير أنه لم يستغل هذا الذكاء في جلب مصالح الآخرة والإكثار منها، ولعله قد يصرف هذا الذكاء وطاقته العقلية الجبارة في المكر وإضرار إخوانه المسلمين.

فماذا استفاد من هذا العقل الذي لم يصرف إلى مصالح دينه وأسباب نجاته بين يدي ربه؟!

عباد الله، إن العقل الممدوح في الشرع له نتائج حسنة ومظاهر منبئة عن كماله واستقامته، تظهر على صاحب هذا العقل الحصيف في أقواله وأعماله وأحواله، فمن تلك المظاهر الدالة على عقل صاحبها:

الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة؛ لأن الزاهدين الصادقين المتبعين عرفوا حقيقة الدنيا بحسن عقولهم فلم يركنوا إليها، وعرفوا حقيقة الآخرة فاستعدوا لها ورغبوا فيها.

فالعاقل من عقل عن الله أمره ونهيه، والزهاد منهم؛ ولهذا قال بعض علماء الشافعية: إن من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس فإنه يكون مصروفاً في الزهاد؛ لأنهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالأمل. فالزهاد أخذوا من الدنيا ما يكفيهم لبلوغ الآخرة، ولم تكن هذه الحياة هدفهم ومنتهى أمانيهم فيصرفوا الزمن والجهد كليهما في خدمتها والانشغال بها، وإنما بغيتهم الحياة الأبدية في جنة عرضها السموات والأرض، هؤلاء هم العقلاء الفطناء والأذكياء النبهاء:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إن لله عباداً فطناء |  | طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا |
| نظروا إليها فلما علموا |  | أنها ليست لحي وطنا |
| جعلوها لجة واتخذوا |  | صالح الأعمال فيها سفنا |

ومن علامات وجود العقل الصحيح عند الإنسان: الإقبال على المنافع والبعد عن المضار في أمر الدين والدنيا. فالإنسان العاقل يحرص على ما ينفعه، ويستعين بالله على تحصيله، ولا يعجز، وأعظم ما ينفع الإنسان في عيشه الأخروي: الإيمان والعمل الصالح. قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[النحل97]. وأعظم ما ينفع الإنسان في عيشه الدنيوي: أن يكون معافى في بدنه آمناً في بيته عنده قوت يومه، فإذا نال ذلك فقد حيزت له الدنيا كما أخبر بذلك نبينا عليه الصلاة والسلام.

فالعاقل من بني آدم يكدح في عمره كي يسلم من مضار الدنيا ويسلم من مضار الآخرة.

وكم من إنسان يجلب الشقاء على نفسه بجهله وحمقه، وتوانيه وغفلته، فلا يعود إليه عقله وصوابه إلا حين تنزل ببابه المكاره، وتحل عليه الخطوب، ويودع الدنيا ويتعلق بالأمل إلى الرجوع، ولكن ولات حين مناص، إذا هجم الأجل انقطع الأمل وذهب العمل.

ألا وإن مما ينفع الإنسان-يا عباد الله- أن ينشغل كل امرئ بنفسه مما يعنيه في أمر دنياه ودينه، ويصرف الوقت والجهد في ذلك، دون أن يقحم نفسه في شؤون غيره مما لا يعنيه.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن من حسن إسلام المرء: تركه ما لا يعنيه) ([[394]](#footnote-394)).

ومما ينفع الإنسان: أن ينظم حياته الدينية والدنيوية، وأن يسير على خطط واقعية مرسومة بعيدة عن الفوضى والعشوائية، وأن يستفيد من أخطاء الماضي؛ لئلا يعود إليها في المستقبل، وأن يستفيد من مواعظ الأيام ومرور الزمان ومن تجارب الآخرين وعقولهم؛ لتزداد فضائله وتنتظم أمور معاشه. وكتبُ المذكرات والذكريات الحياتية النافعة للشخصيات الصالحة، والتاريخ وأحداثه، والواقع ومجرياته معارف مغذية للعقول التي يريد أهلها أن تتشكل تشكلاً صحيحاً لتنتج نتائج صحيحة.

والعقل منظم الحياة، فإذا تشبع بمعارف صحيحة وإضاءات سليمة كانت مخرجاته وآثاره كذلك، والعكس بالعكس.

أيها المسلمون، إن العقل إذا اكتمل واستنار عند صاحبه أثمر له معرفة استغلال الفرص وكيفية الاستفادة منها؛ فقد أدرك بتجاربه وبتجارب غيره التي أضافها إلى عقله أن الفرص أطياف تمر، وأنفاس تخرج وقد لا تعود مرة أخرى، فعندما يجد الفرصة أو يعيش فيها فإنه يستفرغ حاجته منها ولا تفارقه إلا وقد نال منها ما يريد.

فيا أيها المسلم العاقل عمرك فرصة، وفراغك فرصة، ورخاؤك فرصة، وأمنك فرصة، وقدرتك فرصة، وأمرك بيدك في بعض شؤونك فرصة، وامتلاك الوسائل الميسرة والمؤثرة فرصة؛ فلا تضيعن منك هذه الغنائم وتمر عليك وأنت نائم غير مكترث بها.

يا أهل الحجا، إن العقل إذا اكتمل واتسع عرف صاحبه كيف يخرج من المضائق، ويفك عنه قيد المآزق، وكيف يتعامل مع المواقف الشديدة التي تطيش فيها الأحلام، فينقُب عقله الوقاد جُدد الأزمات وحصونها العتيدة ليصل إلى مخارج من قبضتها وشقائها بالأسباب المباحة والوسائل الصحيحة المتاحة.

فقبيل غزوة بدر خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام مع أبي بكر رضي الله عنه يستطلعان أمر قريش، حتى وقفا على شيخ من العرب، فسألاه عن قريش، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش. فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن من ماء، ثم انصرف عنه.فظل الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟. فاستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم التورية خروجاً من الكذب، ومحافظة على الأسرار الحربية.

أيها المسلمون، إن العقلاء من الناس: مسلمهم وكافرهم متفقون على وجوب حماية العقل من كل ما يخرجه عن الاستقامة الفطرية؛ حتى لا يصير سيء التصرف يجني به على نفسه وعلى غيره.

فلقد حافظ الإسلام على العقل البشري محافظة شديدة، واعتنى به اعتناء بالغاً؛ لأنه مناط استقامة دنيا الإنسان ودينه، وسبب للسلامة في المجتمعات.

فقد حرم على صاحبه كل المفسدات العقلية الحسية والمعنوية. فالمفسدات الحسية هي التي تؤدي إلى الإخلال بالعقل حتى يصبح الإنسان كالمجنون لا يعرف الضار من النافع، ولا الزوجة من الأم أو البنت. وهذه المفسدات العقلية الحسية هي الخمور و المخدرات وما قام مقامها. وقد جاء النص على تحريم الخمر ويقاس عليه ما ماثله في الإسكار أو زاد عليه أو نقص، جاء ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ }[المائدة90-91].

وقال النبي صلى الله عليه و سلم: (كل مسكر خمر، وكل خمر حرام )([[395]](#footnote-395))

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن الله لعن الخمر وعاصرها، ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وشاربها، وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها ) ([[396]](#footnote-396)).

عباد الله، إن آفة السكر هي أم الخبائث، ومفتاح كل شر، وبوابة الهلاك، فهل هناك إنسان عاقل يدخل نفسه إلى وادي الهلاك والخسارة؟.

هذه الآفة-معشر العقلاء- قد تقضي على الضرورات التي جاءت الشريعة لحمايتها. فكم حصل بسببها من سفك للدماء المعصومة، وانتهاك للأعراض المصونة-حتى على المحارم، وكم حصل بسببها من إتلاف للأموال الخاصة والعامة، وكم قضت على طاقات عقلية وعقول ناضجة، وأشقت من أسر سعيدة، وكم أذلت من عزيز، وأفقرت من غني، وأهانت من كريم، وصغرت من عظيم، وأمرضت من صحيح، وفرقت بين الأقارب والأحبة والأصدقاء.

إن السكر-أيها العقلاء- إهلاك للفرد والمجتمع: إهلاك ديني، وإهلاك أخلاقي، وإهلاك اقتصادي، وإهلاك صحي ونفسي. يتحدث العقلاء كلهم عن أضرارها ووجوب تجنبها على اختلاف أديانهم وتخصصاتهم العلمية.

إن الدول العالمية الكبرى كأمريكا حاربت الخمر وأنفقت في سبيل ذلك أموالاً وقدرات كثيرة، لكنها لم تفلح.

لكن الإسلام حينما ربى أهله على أساس الدين وغرس تعاليمه في نفوس معتنقيه لم يكن بحاجة إلى تلك الجهود الضخمة التي بذلتها تلك الدول، فالمسلم الصادق عندما يعلم أن السكر حرام في الإسلام ينكف وينتهي دون أن يراجع أو يراوغ أو يتردد. فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حرمت الخمر، فقالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل). وهكذا يصنع التسليم لحكم الله تعالى.

عباد الله، إن الدولة في بلاد المسلمين عليها واجب عظيم تجاه هذه القضية الخطرة على أفرادها، وعلى استقرار شعبها يحتمه عليها الشرع الحنيف والمصلحة العامة. فمن مسؤوليتها: بث الوعي الديني والصحي والاجتماعي عن أخطار هذه الآفة عبر وسائل الإعلام المختلفة، وحجب كل الوسائل الإعلامية التي تسعى لترويجها ولتحسينها بين الناس.

ومن مسؤوليتها: منع التجارة بها: استيراداً وعصراً وتصنيعاً وبيعاً وشراء، وسن القوانين الرادعة للمخالفين ذلك.

ومن مسؤوليتها: مراقبة مظان وجودها وتعاطيها كالفنادق والمتنزهات وغيرها، وفرض العقوبات التعزيرية الصارمة على أصحاب هذه الأماكن التي تسهل للسكارى تناول السكر.

ومن مسؤوليتها: تطبيق حد الله تعالى على متناول المسكر: أربعين جلدة، وقد تزاد إلى ثمانين جلدة تعزيراً، وقد أقام هذا الحد على أهله رسولُ الله وخلفاؤه والأمراء العادلون بعد ذلك؛ فكان في ذلك ردع للناس عن أن يتناولوا هذه البلية. ولكن حينما عُطل هذا الحد كما عطل غيره من حدود الله انتشرت الجريمة وعظمت المصيبة واتسع الخرق على الراقع.

أيها العقلاء الكرام، وأما المفسدات المعنوية فهي كل ما يطرأ على العقول من تصورات فاسدة في الدين أو السياسة أو الاجتماع أو غيرها، وهذه قد يكون بعضها أشد من الخمر والمخدرات.

فكل تصور يفسد العقل عن التفكير السليم، والفهم الصحيح، ويعكر تصوراته النقية التي يأمر بها دين الإسلام والخلق الكريم فإنه تصور يجب إبعاده عن العقول؛ لأنه داء قتال ومرض عضال.

وبسبب تطور وسائل التأثير والإعلام، ولجهل كثير من الناس بدين الإسلام وغلبة الشهوات على القلوب والشبهات على الأحلام انتشرت بعض الأفكار المشبوهة والآراء المسمومة في بعض العقول التي قلت أنوارها من مشكاة الشرع، فتقبلت الإلحاد والعلمنة، والرفض والزندقة، والشك والحيرة، فجانبت الحق عندما تشربت تلك المفاهيم الخاطئة، وأفسدت أعمالها حينما أصبحت أسيرة تلك التصورات الهدامة حتى صار حال أصحابها كما قال أحدهم:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نهاية إقدام العقول عقال |  | وغاية سعي العالمين ضلال |
| وأرواحنا في وحشة من جسومنا |  | وحاصل دنيانا أذى ووبال |
| ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا |  | سوى أن جمعنا فيه قيل وقالُ |

نسأل الله أن ينير عقولنا بنور كتابه، وأن يرزقنا الهداية والرشاد إلى مرضاته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أكرمنا بالعقول؛ لندرك بها المنقول والمعقول، والصلاة والسلام على خير رسول محمد بن عبد الله الذي دلنا على معارج القبول وسبيل الوصول إلى أعظم مأمول، صلى الله عليه وعلى آله ذوي النفوس الزكية، والألباب النقية، وسلم تسليما، أما بعد:

فيا أيها المسلمون، إن العقول إذا أظلمت وفسدت خلَّفت آثاراً سيئة على أصحابها وعلى الناس.

فأصحاب العقول الناقصة المظلمة يتبعون أهواء أنفسهم الأمارة بالسوء، ويلبون رغباتها دون نظر إلى قبح ما يفعلون وجُرم ما يرتكبون.

واتباع الهوى وطاعة النفس في الشر من أعدى أعداء العقل.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى |  | فقد ثكلته عند ذاك ثواكله |
| وما يزع النفسَ اللجوج عن الهوى |  | من الناس إلا حازمُ الرأي كامله |

وإذا صار للهوى على الإنسان سلطان فقد ذهب العقل واندحر؛ لأن الهوى ملك غشوم ومتسلط ظلوم.

وأصحاب العقول القاصرة لا يفكرون إلا بملذات أجسادهم وشهواتها العاجلة، ويقولون:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنما الدنيا طعام |  | وشراب ومُدام |
| فإذا فاتك هذا |  | فعلى الدنيا السلام |

وليس لديهم تفكير في أسباب النجاة في الآخرة، فهم في سكر الهوى والشهوة، فإذا جاءهم ملك الموت صحوا!.

وأصحاب العقول الصغيرة يحبون أن يستمتعوا بالإضرار بالآخرين وإيذائهم، وبالإفساد في الأرض وإذهاب السكينة والطمأنينة في المجتمع، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

عباد الله، هناك صنف من الناس ينسبون أنفسهم إلى الثقافة والتنور والعقلانية، ويطلقون لعقولهم القاصرة العنان في شريعة الله فيعرضون ما جاء فيها على عقولهم فما قبلته أخذوه وما أبته رفضوه، فقدموا عقولهم الصغيرة الضعيفة على وحي الله: القرآن والسنة؟.

وأنتم تعلمون أن شرع الله معصوم، والعقول غير معصومة، وشرع الله واحد والعقول متعددة، والشرع متفق، والعقول مختلفة، فكيف تقدم العقول على المنقول بعد هذا؟!

ولهذا فإن الذين قدموا العقل على نص الشارع الحكيم ضلوا وانحرفوا عن الصراط المستقيم، ولو كانت عقولهم سليمة لما وجدوا في شرع الله مطعناً؛ لأن العقل الصحيح لا يعارضه النقل الصريح.

أيها المسلمون، أخيراً أقول: ما واجبنا تجاه نعمة العقل الذي وهبه الله لنا؟

إن من واجبنا: أن نشكر الله تعالى على هذه النعمة ونستعملها في الفضائل ودحر الرذائل، وأن تكون لنا نوراً يهدينا إلى سبيل الله الذي يسعد سالكه في الدنيا والآخرة. وأن نحاول أن ننمي عقولنا، ونزيدها بالمعارف النافعة، والتجارب المشرقة. وأن نحافظ على هذه النعمة من مفسداتها الحسية والمعنوية، وأن نحصنها بالثقافة النظيفة والوعي الصحيح ضد الشبهات والشهوات.

وأن نعلم علم اليقين أن العقل البشري له حدوده التي ينبغي أن لا يتجاوزها بتفكيره؛ لأنه إذا سبح في غيره جوه تاه وتحير.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

# فضل الاستغفار ([[397]](#footnote-397))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أستغفر الله ذنباً لست محصيه... رب العباد إليه القول والعمل

اللهم إن استغفارنا-مع إصرارنا- لَلؤم، وإنّ تركنا الاستغفار-مع علمنا بسعة عفوك- لعجز، فكم تتحبب إلينا بالنعم مع غناك عنا، ونتبغض إليك بالمعاصي مع فقرنا إليك، يامن إذا وعد وفّى، وإذا توعد تجاوز وعفا، أدخل عظيم جرمنا في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، حينما يتباعد الناس عن نور الرسالة تتسارع إليهم ظلمات الضلالة، فتسهل عليهم الخطيئة فينسونها أو يتناسونها، وقد يجاهرون بها، وحينئذ تدلهم عليهم الخطوب، وتتوالى الكروب، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

أيها المسلمون، إن حصول الأضرار، ونزول الأخطار، وارتحال النعم، وحلول النقم ابتلاء من الله لعباده، ولعل هذا البلاء يردهم إلى باب الله خاضعين منكسرين.

قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[الروم41].

أيها الأحبة الأفاضل، هل تذكرنا-ونحن نسير في هذه الحياة الرحيبة، ونواجه معضلاتها ومشكلاتها الخاصة والعامة- هل تذكرنا استغفار الغفور الغفار، وفكرنا في هذا السبيل للخروج من مضائق هذه الحياة؟

فربنا تبارك وتعالى يأمرنا باستغفاره، ويدعونا إلى المسارعة واللياذ بجواره فيقول: { وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[البقرة199]. ويقول: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }[آل عمران133].

فلماذا نرى أنفسنا متباطئين عن هذه الدعوة، وهي دعوة كريم رحيم؟!

عباد الله، إذا أردنا المتاع الحسن والرزق الكافي والسعة المحمودة وكثرة الخيرات والبركات فلنركب سفينة الاستغفار فهي وسيلة النجاة إلى شواطئ السلامة والسعادة.

قال تعالى:{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً{10} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً{11} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً{12}[نوح 10-12].

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستسقي فما زاد على الاستغفار فقالوا: "يا أمير المؤمنين ما نراك استسقيت! فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر"، ثم قرأ قوله تعالى:{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً{10} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً{11} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً{12}[نوح 10-12].

وكان لأنس بن مالك رضي الله عنه مزرعة في البصرة أصابها قحط فقام فصلى ركعتين واستغفر. قالوا: "مالك؟ قال: أما سمعتم قول لله: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً{10} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً{11} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً{12}[نوح 10-12]".

فما قام من مجلسه حتى أتت غمامة فطوقت مزرعته وأمطرت حتى سالت جداولها، وما جاوز الماء المزرعة.

أيها المسلمون، من شكا المرض فعليه بالاستغفار، ومن شكا الفقر فعليه بالاستغفار، ومن شكا قلة الولد فعليه بالاستغفار.

"جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله يشكو الجدب فقال له: استغفر الله، وجاءه رجل ثانٍ يشكو الفقر، فقال: استغفر الله، وجاءه ثالث يشكو العقم، فقال: استغفر الله، ثم تلا قوله تعالى: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً{10} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً{11} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً{12}[نوح 10-12]".

من شكا الضعف وقلة الأعوان والأنصار فليلذ بالاستغفار. قال تعالى عن نبيه هود عليه السلام: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ }[هود52].

من استصعبت عليه الأمور وانغلقت أمامه الأبواب والحيل فليلجأ إلى نور الاستغفار. قال ابن تيمية رحمه الله: "إنها لتُعجَم عليّ المسألة الواحدة فأستغفر الله ألف مرة أو أكثر فيفتحها الله علي".

من كثرت ذنوبه، وأحرقه لهيب معاصيه فليتطهر من درن الأوزار بفرات الاستغفار.

عن زيد مولى النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ( من قال: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فرَّ من الزحف) ([[398]](#footnote-398)).

وحينما ألمّ ماعز رضي الله عنه بالفاحشة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله، طهرني، فقال: ويحك! ارجع فاستغفر الله وتب إليه، قال ذلك ثلاث مرات) ([[399]](#footnote-399)).

فيا عبد الله، إياك أن يغلبك الشيطان على فعل المعصية، ثم يغلبك على ترك الاستغفار منها فتهلك، فاستغفر الله وتب إليه تجد الله غفوراً رحيما. فهو سبحانه وتعالى يناديك في الحديث القدسي فيقول لك: (يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) ([[400]](#footnote-400)).

هل وجد الخلق أكرم وأحلم من خالقهم سبحانه وتعالى وهم يعصونه صباح مساء، وهو يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها.

قيل للحسن البصري رحمه الله: " ألا يستحيي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفر ثم يعود، فقال: ودّ الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملوا من الاستغفار".

وقال قتادة رحمه الله: "إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فداؤكم الذنوب، ودواؤكم الاستغفار".

فأي عقل يحب صاحبه البقاء مع الداء ولا يتناول الدواء، وهو يُعرض عليه بدون مقابل!.

فأكثروا-يا عباد الله- من الاستغفار.

قال لقمان رحمه الله لابنه: "يا بني، عوّد لسانك الاستغفار؛ فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلا".

فمن أحب أن تسره صحيفته يوم القيامة فليكثر من الاستغفار، قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا ) ([[401]](#footnote-401)).

أيها المسلمون، إن المسلم بحاجة كبيرة إلى الاستغفار الكثير خاصة النساء؛ فقد أمرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: ( يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن من الاستغفار؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار ) ([[402]](#footnote-402)).

عباد الله، إننا مهما قلّتْ ذنوبنا، ومهما بلغنا المراتب العالية في الصلاح والتقوى فنحن بحاجة إلى عبادة الاستغفار، ولنا قدوة بأعبد الناس وخيرهم وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فآدم عليه السلام عندما اقترف الخطيئة في السماء هبط بها إلى الأرض، فلم يرتفع بعد ذلك عند أهل السماء والأرض إلا عندما أناب واستغفر، قال تعالى: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[الأعراف23].

وقال: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[البقرة37].

ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام -الذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- كان يعدّ له في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم ([[403]](#footnote-403)).

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) ([[404]](#footnote-404)).

لقد كان عمر رضي الله عنه يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول: " إنكم لم تذنبوا"، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول للغلمان: "قولوا: اللهم اغفر لأبي هريرة، ثم يؤمن على دعائهم".

انظروا- يا عباد الله- إلى حرصهم على الاستغفار مع أنهم قد بُشِروا بالجنة وما زالوا يمشون على وجه الأرض.

معشر المسلمين، لا ينبغي أن يكون استغفارنا في وقت دون وقت، أو مكان دون مكان، بل علينا أن نلهج بالاستغفار في جميع أوقاتنا وفي كل مكان يشرع فيه ذكر الله تعالى.

فأكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم؛ فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة، كما قال الحسن البصري رحمه الله.

أيها المسلم، إذا أصبحت فأكثر من الاستغفار، وإذا أمسيت فأكثر من الاستغفار، وإذا جئت إلى النوم فأكثر من الاستغفار.

وإذا ركبت فاستغفر الله؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ركب دابة قال:(بسم الله، فإذا استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم قال: الحمد لله. ثلاث مرات. ثم قال: الله أكبر. ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسى فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ([[405]](#footnote-405)).

أيها الأحبة الكرام، لقد شرع الله لعباده الاستغفار في ختام الأعمال الصالحة؛ ليقبل العمل ويجبر الخلل.

ففي ختام الوضوء يقول المسلم: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

وعندما ينصرف من صلاة الفريضة يستغفر الله ثلاثاً، ثم يقول بقية الأدعية.

وفي صلاة الليل يقول تعالى: {كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ }{وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }[الذاريات17-18].

ونعمت البشرى لأولئك العابدين المستغفرين في تلك الساعة بقوله تعالى في الحديث: (هل من سائل يعطى، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له حتى حتى يطلع الفجر ) ([[406]](#footnote-406)).

وفي الحج يقول تعالى: {ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[البقرة199].

وبعد التضحيات العظيمة، والجهاد الطويل، والصعاب المتتابعة والانتصارات الإسلامية الممتدة يقول الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ{1} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً{2} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً{3}[النصر 1-3].

وعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، قالت: فقلت: يا رسول الله، أراك تكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟ فقال: خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ{1} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً{2} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً{3}[النصر 1-3].) ([[407]](#footnote-407)).

عباد الله، يجب على المسلم أن يكون صادقاً فيما يقول، فيقرن صدق القول بصدق الفعل، فالاستغفار النافع ما كان أوله العزم على الإقلاع عن الذنب والندم على اقترافه، ثم الاستجابة والإنابة والتوبة، فيجمع أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهذا هو الاستغفار النافع.

أما ذكر اللسان بدون مطابقة الفعل واستقامة الطريق فإنه استغفار قد لا ينفع صاحبه. فإذا كان استغفارنا هكذا فاستغفارنا يحتاج إلى استغفار.

أستغفر الله من أستغفر الله... من لفظة بدرت خالفت معناها

وكيف أرجو إجابات الدعاء وقد... سددت بالذنب عند الله مجراها

عباد الله، أحسن الاستغفار ما جمع الثناء على الله تعالى، والاعتراف بالفقر والحاجة إليه، وبنعمته على عبده، وجميل صنعه فيه، مع الدوام والاستمرار.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك وأبوء لك بذنبي؛ فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت. إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة، وإذا قال حين يصبح فمات من يومه ) ([[408]](#footnote-408)).

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

**الخطبة الثانية**

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن نار الأخطار لا يطفئها إلا نور الاستغفار، فالاستغفار بوابة الفرج من الكروب العامة والخاصة، وهو الدليل إلى الحياة الهنية والعيش المطمئن.

في ظل هذه الأزمات التي نعانيها هل مر بنا قول الله تعالى فوقفنا عنده: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }[الأنفال33].

قال أبو موسى رضي الله عنه: " كان لنا أمانان، ذهب أحدهما –وهو كون الرسول فينا- وبقي الاستغفار معنا، فإذا ذهب هلكنا".

فلو لزمنا الاستغفار-معشر المسلمين- لم تجد الكروب والهموم عندنا مكاناً أو مقاماً.

روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ( من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا، ومن كل هم فرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب) ([[409]](#footnote-409))

قال أحد الحكماء: " أنت لا تسطيع أن تمنع الطيور أن تحلق فوق رأسك، ولكنك تستطيع أن تمنعها أن تعشعش فيه".

قد نتساءل: ما سبب البلاء الذي حل بيننا ولم يرحل، والجواب ما قاله أحد الأعراب الحكماء حينما قيل له: ما للقطر لا ينزل في بلادكم؟ فقال: "لأنا هدأنا عن الاستغفار".

ولقد صدق في هذا الجواب الحصيف، فرحمة الرحيم الرحمن تنزل بدوم الاستغفار.

قال تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[النمل46].

وللإنسان العاقل أن يعجب من أحوالنا! كيف نعاني آلام البلاء، ونحن نعرف طريق النجاة منها ولا نسلكه!.

قال علي رضي الله عنه: "العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار".

وكان يقول: " ما ألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه".

فاتقوا الله-يا عباد الله- والزموا الاستغفار فما أقرب الفرج وأدنى المخرج.

وفقنا الله لدوام الاستغفار، ورزقنا عاقبته الحسنة في الدنيا والآخرة.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

# مفاتيح الرزق ([[410]](#footnote-410))

الحمد لله الغني الوهاب، الكريم التواب، لا تغيظه نفقة بإعطاء، ولا تلحقه فاقة بإسداء؛ فلله خزائن السموات والأرض، ويد الله ملأى، لا تغيظها نفقة، سحاءُ الليلَ والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده.

ولو أن العباد أولهم وآخرهم، وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكه إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر. فسبحان الواسع المعطي!

وأشهد أن لا إله إلا الله الغني عن عباده وجميعهم إليه مفتقرون: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }[فاطر15]

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد:

فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله؛ فإنها العروة الوثقى، والعون الأقوى، قال الله تعالى: { يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ }[الزمر16].

عباد الله، إن الله خلق الخلق, وأسكنهم هذه الأرض وهم عاجزون عن كفاية أنفسهم، وإصلاح معايشهم، وبهم حاجة ملحّة إلى بارئهم اختياراً واضطراراً، لا يسدها أحد سواه.

فالفقر والحاجة، والعوز والفاقة أوصافهم الذاتية السرمدية، والغنى والوسع، والملك والعز أوصاف خالقهم الذاتية الأبدية , فلما خلقهم تكفل برزقهم وحده قبل وجودهم على هذه الأرض، ودخولهم بالحياة إليها، كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم تكون علقة مثل ذلك، ثم تكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك فينفخ فيه الروح، ثم يؤمر بأربع كلمات: كتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي هو أم سعيد) ([[411]](#footnote-411)).

ولن يخرجوا عن الحياة بالموت حتى يستكملوا ما كتب لهم من ذلك الرزق، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن روح القدس نفث في روعي: أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، و تستوعب رزقها، فاتقوا الله، و أجملوا في الطلب، و لا يحملن أحدَكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية الله؛ فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته)([[412]](#footnote-412)).

عباد الله، لقد كان من حكمة الله العليم الخبير أن يكون الناس صنفين: فقراء وأغنياء؛ وأن لا يكونوا صنفاً واحداً، ويبدو أن من حكمة ذلك: حصول تبادل المنافع بينهم، وتحقيق مقاصد الحياة الجماعية، قال تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }الزخرف32.

والله حكيم في بسطه وقدْره رزقَ عباده، قال تعالى: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }العنكبوت62، وفي ذلك التفاوت دلائلُ على حكمة الله وعلمه بعباده، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }الروم37، وبعض الناس لا يعرف هذه الحكمة؛ فيظن إغناءه محبة ونعمة، وفقره كراهية ونقمة! قال تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }سبأ36

بل إن من نعمة الله على بعض الناس: العيش في ظل الفقر؛ لأن الغنى خطر عليه؛ إذ هو بوابة البغي والطغيان، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، قال تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ }الشورى27.

فعلى المسلم أن يرضى بقدر الله وقضائه، ويعلم أن اختيار الله له خير مما يتشوف إليه ويريده، وعليه أن يعلم كذلك أن قضية الرزق من قضايا الإيمان بالقدر، وأن الغنى غير آتٍ بذكاء الأذكياء، أو سعة عقول العقلاء؛فكم من صاحب ذكاء كبير يرافقه الفقر والحاجة، وكم من جاهل غير فطن يتقلب بين أحضان الغنى والترف:

لو كان بالحيــــــــــل الغنــــى لوجدتني بتخوم أعناق السماء تعلقي

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤسُ الذكي وطيب عيش الأحــمق

فما أحسن الشكر للمنعم، والتسليم للقادر الحكيم، وسبحان الله الرزاق الذي كفى خلقه، ووسعهم رزقُه، وأعطى خلقه حسب العلم والحكمة، واللطف والرحمة !

عباد الله، إن الله هيأ لعباده في هذا الكون أسباب الرزق ووسائله: فأرض مبسوطة فيها عوامل العيش، وسماء تسكب الغيث عليها فتنبت من كل زوج بهيج، قال تعالى: {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ{24} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً{25} ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً{26} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً{27} وَعِنَباً وَقَضْباً{28} وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً{29} وَحَدَائِقَ غُلْباً{30} وَفَاكِهَةً وَأَبّاً{31} مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ{32}[عبس 24-32].

وخلق لهم من الأنعام ما فيه طعامهم وشرابهم، ولباسهم وركوبهم، وسخر لهم وأرشدهم إلى ثروات الأرض الطبيعية قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ{71} وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ{72} وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ{73}[يس71-73].

وخلق لهم الأعضاء التي بها يكتسبون، والعقول التي بها يصلحون أمر معيشتهم و يسعدون، قال تعالى: {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }النحل78

معشر المسلمين، إن الله تعالى أمر الإنسان أن يسعى في طلب الرزق، وتحصيل ما يصلح العيش؛ فالرزق لا ينزل على متكاسل أو متواكل, قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }الملك15.

ولقد عمل الأنبياء والصالحون ولم ينتظروا مجيء الرزق إليهم, وإنما أكلوا من عمل أيديهم، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده ) ([[413]](#footnote-413)). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "كان آدم عليه السلام حراثاً، ونوح نجاراً، وإدريس خياطاً، وإبراهيم ولوط زراعين، وصالح تاجراً، وداود زرّاداً، وموسى وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم رعاة".

كان كثير من أصحاب رسول الله حريصين على حضور مجالسه، ومواطن تعليمه وتربيته، ومرافقته في حله وترحاله، ولو وجدوا كفايتهم لما فارقوا مسجده، ومواضع إرشاده، لكنهم أخذوا من ذلك ما استطاعوا، وخرجوا باحثين عن الرزق، وطلب ما يقيم الأبدان.

قالت عائشة رضي الله عنها: "كان أصحاب رسول الله عمالَ أنفسهم" ([[414]](#footnote-414)). وربما تناوبوا في سماع رسول الله، حيث كان عند بعضهم يوم للعمل، ويوم لطلب العلم، قال عمر رضي الله عنه: "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه و سلم، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك...) ([[415]](#footnote-415)).

إخواني الكرام، إن العمل وطلب الرزق أمر يحث عليه العقل والفطرة والشرع, فالعقل جعل الكافر يبحث عن الرزق ويسعى في تحصيله.

والفطرة جعلت الحيوان يخرج من وكْره ومسكنه باحثاً عما يملأ بطنه، ولا يقعد منتظراً رزقه إلى مكانه.

وجاء الإسلام وحث على العمل وطلب الرزق وبذل الأسباب مع كمال التوكل على الرزاق الكريم, ونهى عن تكفف الناس وسؤالهم والذل لهم، قال عليه الصلاة والسلام: (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه) ([[416]](#footnote-416)).

روي عن لقمان رحمه الله أنه قال لابنه: "يا بني، استعن بالكسب الحلال؛ فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دِينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الخصال: استخفاف الناس به".

وحينما حث ديننا الحنيف على طلب الرزق فإنه قد حرم كل طريق مشبوه لأخذ الرزق وتحصيله، فحرم السرقة والسلب والنهب والغصب والغش والتدليس والكذب في البيع والشراء وغير ذلك من الأساليب المحظورة.

عباد الله، إن الله تبارك وتعالى قد يبسط الرزق لبعض العصاة ابتلاء واستدراجاً، لا محبة ولا مكافأة، وإن كان لهم في الدنيا المال الكثير فإنه مال لا خير فيه، و يغدو نقمة عليهم لا نعمة، وعذاباً لا نعيماً، ولكن أكثر الناس لا يفقهون، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً }الأنفال36، وقال تعالى: {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }القصص82، وقال النبي صلى الله عليه و سلم قال: (إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم: { فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) ([[417]](#footnote-417)).

وأما الطائع لربه، المتحري الحلالَ في كسبه فإن لطاعاته أثراً كبيراً في جلب الرزق وبركته؛ فالإيمان والعمل الصالح -وهو تقوى الله تعالى- سبب كبير من أسباب الرزق، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }الأعراف96،), وقال: {.. وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً } {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً } [الطلاق2-3]

فإقامة شرع الله والاستقامة على دينه سبب كبير لجلب الرزق، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ }المائدة66

أيها الفضلاء، من أسباب جلب الرزق: استغفار الله تعالى استغفاراً صادقاً، قال تعالى: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً{10} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً{11} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً{12}[نوح 10-12] , قال الشعبي رحمه الله: "خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا، فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟! فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح([[418]](#footnote-418)) السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ الآية السابقة".

البر وصلة الأرحام من أسباب زيادة الرزق، ففي الصحيحين عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:( من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه **).**

التبكير في طلب الرزق يزيد الرزق، فعن صخر الغامدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( اللهم بارك لأمتي في بكورها )، قال: وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم في أول النهار. قال: وكان صخر رجلاً تاجراً. فكان يبعث تجارته في أول النهار فأثرى وكثر ماله) ([[419]](#footnote-419)).

التوكل على الله -مع الأخذ بالأسباب الممكنة- يجلب الرزق, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا )([[420]](#footnote-420)).

وفعل الأسباب الشرعية لا يقدح في التوكل، وإنما يربي النفس على البذل والحركة النافعة، فرسل الله وصالحو عباده أُمروا بفعل سبب الرزق، ودفع الهلكة عن أنفسهم، قال تعالى: {وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ }الفرقان20، قال بعض المفسرين: أي: يتجرون ويحترفون.

وقال الله لموسى عليه السلام: {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ }الشعراء63, وهو تعالى قادر على فلق البحر دون ضرب العصا.

وقال لمريم رحمها الله تعالى: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً }مريم25, وهو سبحانه القادر على إسقاط الرطب دون هز.

أيها المسلمون، ومن أسباب جلب الرزق: الجهاد في سبيل الله تعالى, روى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له، و جعل رزقي تحت ظل رمحي). وقال تعالى: {فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }الأنفال69

ومن مفاتيح الرزق: الصدقة والإنفاق في وجوه الخير. قال تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }سبأ39, وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم، أنفق أنفق عليك). وقال صلى الله عليه وسلم لبلال: (أنفق بلال، و لا تخش من ذي العرش إقلالا) ([[421]](#footnote-421))**.**

شكر النعم يحفظ الرزق الموجود ويجلب إليه المزيد، قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }إبراهيم7,

ومن تلك الأسباب الجالبة للرزق: الزواج من أجل العفاف، قال تعالى: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }النور32, قال عمر رضي الله عنه: "عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح! وقد قال الله تعالى: {إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ}!", وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف) ([[422]](#footnote-422)).

عباد الله، إذا أردتم الرزق الحسن المبارك فاطرقوا باب السماء بالدعاء واللجوء الصادق إلى الرزاق الكريم، الذي لا يخيب من رفع يديه إليه واثقاً به متفائلاً بجوده وفضله.

فالدعاء من الأسباب العظيمة، و هو باب مفتوح لكل مسألة مشروعة من أمور الدنيا والآخرة, فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيِّ حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه، وأبدله مكان حزنه فرحا ) قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟ قال: ( أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن ) ([[423]](#footnote-423)).

فاللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمن سواك.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المجتبى، وعلى آله وأصحابه الأخيار الأوفياء، أما بعد:

عباد الله، إن ثمة أموراً تذهب الرزق وتمحقه، وتحول بين العبد وبين التنعم برزقه، وهذه الأمور على كثرتها ترجع إلى أصل واحد هو: معصية الله تعالى، ومن هذه المعاصي:

كفران النعم وجحودها, ونسبتها إلى استحقاق الإنسان لها، وذكائه في تحصيلها، والتباهي بها على عباد الله تعالى، قال تعالى: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }النحل112

وقال تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ{76} وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ{77} قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ{78} فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ{79} وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ{80} فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ{81}[القصص 76-81].

ومن الأمور التي تقضي على الرزق: التعامل بالربا؛ لأن الربا معصية كبيرة للخالق سبحانه، وظلم شنيع للمخلوق، وقطع للمعروف بين الناس، وإفساد للمجتمعات, قال تعالى: {يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ }البقرة276، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ }[البقرة278-279].

معشر المسلمين، إن كثرة الحلف في البيع تمحق الأرباح، وتذهب بركة الرزق، وقد صارت اليمين عند بعض الباعة لفظاً سهلاً يفوه به دون أن يبالي، هذا إذا كان ما يحلف عليه حقاً، فكيف إذا كانت يميناً كاذبة غموساً!؟

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:( الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة) وفي لفظ:( للربح)، وعند مسلم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إياكم وكثرة الحلف في البيع؛ فإنه ينفق ثم يمحق).

وبعض الناس قد لا يحلف، لكنه يغش ويدلس، ويكذب؛ طلباً لزيادة المال، ولا يدري أن ذلك ينقصه، وقد يدري، غير أنه غلبه حب المال على قلبه فأخذه من غير حلّه، قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما) ([[424]](#footnote-424))

ومما يغلق باب الرزق الطيب المبارك على صاحبه: الانشغال بطلب الرزق عن فرائض الله، وهذا الفعل المنكر صار ظاهرة في كثير من الأسواق، فالمؤذن ينادي للصلاة، والناس في غفلة منشغلون بالبيع والشراء، فأين تعظيم الله، وأين تقديم طاعته وحبِّ الآخرة على هوى النفس وحب الدنيا؟!

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }المنافقون9

فيامن رزقك الله، ومد عليك بساط رزقه الواسع، أنفق فيما يرضي من رزقك وأعطاك فيما يجب عليك من زكوات، ونفقات على نفسك وأهلك وأولادك ومن ولاك الله الإنفاق عليه، وتناول منه على وجه الاقتصاد بلا إسراف في وجوه الكرم والمباحات ولا تبذر؛ فإن المبذرين كانوا إخوان الشياطين.

ولا تبخل وتشح عن إخراجه في أوجهه المشروعة من حقوق الله وحقوق الخلق؛ فإن البخيل غني اليد فقير الحال، يكد ويتعب لغيره، عليه الغرم ولسواه الغنم.

ومن قُدِر عليه رزقُه، فليطمئن إلى قدر الله، ويرض بقسمة الله؛ فإنه تعالى أرحم به من نفسه، وليلزم القناعة شعاراً والصبر دثاراً، فما أحسنه من لباس على العبد!

وليعلم أن الرزق ليس باباً واحداً هو المال؛ فالصحة والعافية رزق قد يرزقها الفقير ويحرمها الغني، فكم من فقير يأكل ما يشاء ويشرب ما يشاء مما عنده, وغني لا يأكل إلا كسرة خبز وشربة لبن، فمن أسعد قلباً وأحسن حالا؟!

وكذلك الستر رزق، ومحبة الناس رزق، والزوجة الصالحة رزق، والأبناء البررة رزق، والجار الصالح رزق، والتوفيق من الله رزق، والعلم والعقل رزق، وغير ذلك.

فما أكثر مجالات الرزق، ولكن ما أقل من يتفكر فيها!

فيا رزاق ارزقنا ما يكفينا ولا يطغينا، ويعيننا على طاعتك ولا يلهينا، اللهم وارزقنا التوفيق إلى شكرك، وحسن عبادتك، ومدِّ يد العون إلى خلقك، واجعلنا من أهل اليد العليا، ولا تجعلنا من ذوي اليد السفلى يا كريم.

وصلوا وسلموا على المبعوث رحمة للعالمين......

# بين يدي رمضان ([[425]](#footnote-425))

الحمد لله المنعم على العباد، الهادي إلى سبيل الرشاد، ينعم جوداً وفضلا، ويمنع ما شاء حقًا وعدلا، كم من خير منه على خلقه نازل، وكم من شر منهم إليه صاعد، يتقرب إليهم بفضله ونعمته، وهو الغني عنهم، ويبتعدون عنه بمخالفته ومعصيته، وهم الفقراء إليه، فرحماك ربي رحماك ما أكرمك وما أحلمك!

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المعبود عبادة حق في أرضه وسمائه، وأشهد أن محمد بن عبد الله عبده ورسوله، سيد أنبيائه وخيرة أصفيائه، خير من صلى وصام وتبتل وقام. بلغ رسالة ربه كما أراد ربه بلاغاً أنار المحجة حتى لا يكون للناس على الله حجة، فصلى الله عليه ما صلى المصلون وصام الصائمون صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم المعاد، وسلم تسليما.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- واعلموا أنه قد هل عليكم شهر التقوى، فحققوها فيه تفلحوا، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[البقرة183].

أيها الناس، مع امتداد فجر هذا اليوم الأغر من هذا الشهر الأزهر نحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبه ربنا ويرضى، نحمده عز وجل على أن بلغنا هذا الشهر الفضيل ونحن في صحة وإقامة، وجعلنا ممن هل عليهم هلاله وشملتهم ظلاله، فكم قد حُرِم هذا الخير ناس بين ميت فارق الحياة إلى قبره، ومريض حبسه مرضه، وحي يعيش بجسد ميت ترك الصيام لغلبة شره. فالحمد لله على فضله ومنته، فاللهم أدم علينا نعمك وأسبغ علينا فضلك.

أيها الصائمون، لقد أقبل علينا رمضان يحمل معه الجوع والظمأ، والتعب والنصب، ولكنه جوع تشبع معه الروح وتروى، وعناء تستريح فيه وتقوى.

لقد جاء رمضان لتورق فيه شجر الطاعة، وتذبل فيه أشجار المعصية.

أتى رمضان ليستمتع المؤمن بجنة من جنات الدنيا، يشتم فيها نسائم التلاوة العذبة، ويذوق فيها حلاوة الصيام الماتع، ويتلذذ بطول القيام الخاشع بين يدي الرب الكريم.

حل رمضان على الأمة ليفتح للعاصي صفحة بيضاء من صفحات الأيام؛ ليتوب فيها بعد أن سوّد صفحات العام.

نزل رمضان ضيفاً كريماً على عباد الله ليتزود المتقون، ويقبل الشاردون، ويكثر التالون والعابدون، والقائمون والمتصدقون، وينتصر الصادقون على الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

هكذا هل رمضان ليربط الماضي بالحاضر؛ فالصوم عبادة قديمة في الأمم الماضية، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[البقرة183].

غير أن الصيام في هذه الأمة يختلف عما قبلها بالزمان والمقدار والتيسير.

أيها المسلمون، إن شهر رمضان شهر تفتح فيه أبواب الجنان لكثرة الطاعات، وتغلق فيه أبواب النار لقلة السيئات، وتصفد فيه الشياطين لقلة الإغواء.

شهر تفضل الله فيه على عباده بليلةٍ العبادةُ فيها خير من العبادة في ألف شهر، وهذه الليلة هي ليلة القدر.

شهر شُرِّف بالصيام الذي يقي صاحبه النار والشهوات، ويسوق خطاه إلى أعلى الدرجات في الجنات، ويشفع له عند لقاء ربه، ويكفر عنه ذنبه، ويسعده في دنياه وأخراه.

عباد الله، فلا عجب-بعد هذا- إذا شُرِع الاستبشار والتبشير بقدوم هذا الضيف الكريم؛ فرسولنا العظيم-عليه الصلاة والسلام- كان يبشر أصحابه بمجيئه- كما روي عنه- أنه قال: (أتاكم رمضان شهر بركة يغنيكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا؛ فإن الشقي من حُرِم فيه رحمة الله عز وجل)([[426]](#footnote-426)).

فماذا أنت فاعل فيه يا عبد الله؟ وما الخير الذي قد نويته واستعديت له؟ وما أبواب الخير التي ستلجها، وأبواب الشر التي ستوصدها؟ أم أن الشهور كلها عندك سواء، وعملك في جميع السنة لا يختلف؟!

تذكر أن رمضان فرصة قد لا تعود، وغنيمة قد لا ترجع، وعمرُ خيرٍ قد يذهب ولن تلقاه بعد رحيله.

أتى رمضان مزرعة العباد\* لتطهير القلوب من الفساد

فأدِّ حقوقه قولاً وفعلاً\* وزادك فاتخذ للمعاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها\* تأوه نادماً يوم الحصاد

أيها الصائمون، إن الصوم عبادة من العبادات التي شرعها الله تعالى لغايات حميدة، وأسرار في الخيركثيرة، علم ذلك من علم وجهله من جهل.

فالصيام سبيل إلى تحصيل التقوى، وتربية النفس على الإخلاص والمراقبة للمولى، وهو طريق إلى تخلي القلب للفكر، واللسان للذكر، وسائر الجوارح للمسابقة إلى الخيرات في جميع الأوقات. والصيام يعرف الغنيَّ قدر نعمة الله عليه بالغنى.

والصيام يعين على ضبط النفس والسيطرة عليها والحد من كبريائها وانفلاتها.

والصيام يربي المسلم على الإيثار ورحمة المحتاجين، والصبر على إساءة المسيئين، والصبر على طاعة الله ومُرِّ قضائه. ويذكر الصائم بأنه عبد لله تعالى مستسلم لأمره وحكمه.

وهذه العبادة العظيمة تزرع في نفس المسلم التطلع إلى الدار الآخرة حينما يجوع ويظمأ ويحرم من الشهوات ويعاني النصب والتعب، فيتذكر ما يلاقيه أهل النار من ذلك فيبحث لنفسه عن منجاة وخلاص.

أيها المسلمون، إن الصيام من العبادات العامة التي جعلت بعض المسلمين يؤديها عادة وجرياً مع الجمع الصائم مكتفياً بظاهرها دون التأمل في معانيها والأهداف التي شرع لأجلها.

فالمسلمون يصومون رمضان كل عام، لكن بعضهم اقتصر على الإمساك عن الطعام والشراب والمعاشرة الزوجية فحسب، وظن أن الصيام هو ذاك فقط، والحق أن الصيام أعمق من ذلك، وأوسع مما ظن وتصور.

إن الصوم الشرعي-معشر الصائمين- ليس هو الامتناع عن تلك المفطِّرات وحدها، بل هو إمساك عن جميع ما لا يرضي الله عز وجل من المعاصي صغيرها وكبيرها.

فالصوم الكامل أن تصوم جميع الجوارح عن المساخط والرذائل، فاللسان يصوم عن قول الزور والباطل، والسوء والفحش، والبذاء والتعدي على الآخرين بالطعن والثلب ونحو ذلك من سقط الكلام وعيبه.

والصوم الصحيح أن تصوم العينان عن النظر إلى الحرام من الأعراض الممنوعة والعورات المستورة.

والصوم التام أن تصوم الأذنان عن سماع اللهو والخنا، والنم والتعييب للخلق.

والصيام النافع أن تصوم الرجلان عن الخطوات إلى الحرمات والثبات على العثرات.

والصوم الناجح أن يصوم القلب والعقل والنفس كلها عما لا ينبغي ديناً وخلقا.

هذا هو صيام العبادة، أما أهل صوم العادة فإنهم يطلقون لجوارحهم العنان في رمضان لترتع حيث شاءت مما تعودت عليه أو ما استُحدث لها في شهر الصيام من المكروهات.

فأصبحوا يسمعون ويشاهدون ويبطشون ويسعون إلى منازل الشر عن علم أوعن جهل.

ففي رمضان قد يُرى بعض صوّام العادة صائماً ولا يصلي، أو يصلي بعض الفروض ويترك بعضها الآخر.

وفي النهار يقضي نهاره بالنوم، وفي الليل يقدح زناد اللهو لينطلق في ليالي الغفلة إلى عكوف أمام قنوات تخدش حياءه وتجرح صومه، وتذهب عنه أثر عبادة الصيام إن أثمرت فيه شيئا.

ومنهم من يجعل رمضان شهراً للغضب وضيق الخُلق؛ فيخرج منه السب والشتم والجواب غير اللائق بالمسلم وذي الخلق الكريم.

ومنهم من يجعل رمضان فرصة للكسل والإكثار من المأكولات والمشروبات.

ومن النساء من تجعل رمضان دورة مكثفة للتفنن في إعداد الأطعمة والأشربة المختلفة وتظل حبيسة مطبخها مفوتة على نفسها فضائل رمضان.

ما بهذا-يا عباد الله- أُمر الصائم، وما لهذا شرع الصيام!

إن الصيام- معشر الصوّام الكرام- امتثال قولي وفعلي لما يأمر به الهدى والخير، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ) ([[427]](#footnote-427)). وقول الزور هو: كل قول وفعل يغضب الله تعالى.

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر) ([[428]](#footnote-428)).

وقال عليه الصلاة والسلام: (ليس الصيام من الأكل و الشرب، إنما الصيام من اللغو و الرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فلتقل: إني صائم إني صائم) ([[429]](#footnote-429)).

وقال جابر رضي الله عنه: "إذا صمتَ فليصم سمعك وبصرك و لسانك عن الكذب و المحارم، و ليكن عليك وقار و سكينة يوم صيامك، و لا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سوءا".

إذا لم يكن في السمع مني تصاون...وفي بصري غض وفي منطقي صمت

فحظي إذاً من صومي الجوع والظما... فإن قلت إني صمت يومي فما صمت

فيا أيها الصائم، هذه مائدة رمضان مدت أمامك فلا تحرم نفسك الصيام المقبول، والفوز بنيل المأمول، ولا تضيع وقت رمضان النفيس في اللهو واللعب، والغفلة وكثرة العبث؛ فالمفلح من انتهز الفرص وبادر العمل قبل مفاجأة الأجل، وتهيأ بالزاد الذي ينجيه يوم المعاد. { وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ }[البقرة197].

رزقني الله وإياكم المسارعة إلى الخيرات، والكفَّ عن المنكرات والخطيئات.

قلت قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي الفضل والمنة، العليم بما تخفي الأجنة، وما تستر الأكنة، جعل الصوم جُنة، وسبيلاً إلى الجنة، أنزل القرآن هدى للإنس والجنة، فاستنارت به العقول، ولانت به القلوب، وغدت النفوس به مطمئنة، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، وسلم تسليما.

أما بعد:

أيها الصائمون الأفاضل، الصيام عبادة من العبادات التي تحتاج إلى معرفة أحكامها؛ حتى يؤديها المسلم كما ورد في الشرع الحنيف، وهذا من العلم الذي قد تتعين معرفته وعدم جهله على كل مسلم يجب عليه الصيام؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما زاد على الواجب فهو من الخير الذي ينبغي الحرص عليه.

عباد الله، لا يجوز للمسلم المكلف أن يسبق رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا إذا كان معتاداً للصيام فوافق ذلك كذلك، كأن يكون ممن يصوم الاثنين والخميس، أو يصوم يوماً ويفطر يوماً، فلا حرج عند ذلك في الصيام إن صام.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، إلا رجل كان يصوم صوماً فليصمه)([[430]](#footnote-430)).

ومن الأحكام: أن رمضان يثبت دخوله برؤية هلاله، فإن لم يُر الهلال فتكمل عدة شعبان ثلاثين يوما.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين ) ([[431]](#footnote-431)).

ومن الأحكام: أن من وجب عليه صيام رمضان فعليه أن ينوي صومه قبل مجيئ فجر أول يوم منه، فينوي بقلبه أنه إذا كان الغد من رمضان فإنه صائم، فإن أصبح ولم ينو لم يصح صومه ذلك اليوم، وعليه القضاء، فعن حفصة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له) ([[432]](#footnote-432)).

أيها المسلمون، يجب صيام رمضان على المسلم البالغ العاقل الصحيح المقيم والمرأة النقية من الحيض والنفاس، ولا يجب الصيام على كافر حتى يسلم، ولا على مجنون حتى يعقل، ولا على صبي حتى يبلغ، لكن لو صام صح منه وأجر عليه وينبغي أن يشجع على ذلك كما كان بعض الصحابة يصومون صبيانهم ليتدربوا على هذه العبادة، ولا يجب على مريض يؤثر عليه الصوم حتى يصح، ولا على مسافر سفراً تقصر فيه الصلاة حتى يقيم، فلو صام صح منه، ولا يجوز للحائض والنفساء أن تصوما حتى تطهرا.

عباد الله، على المسلم أن يعلم أن الصيام يبطل بالأكل والشرب وما في معناهما مما يقوم مقام الطعام والشراب كالإبر المغذية، ويبطله أيضاً الجماع والاستمناء في نهار الصوم، والتقيؤ عمدا، ونزول دم الحيض أو النفاس من المرأة، أما دم الاستحاضة فلا يفطر المرأة ويجب عليها الصيام معه متى ما علمت أنه دم استحاضة لا حيض، ومن أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه وليس عليه شيء، ومن اغتسل أو اكتحل أو شم الطيب أو بلع الريق أ ورعف أو احتلم فأنزل في نهار الصوم فصومه صحيح. والله أعلم

فنسأل الله أن يعيننا على صيام رمضان وقيامه والظفر بخيراته وفضائله.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

# رمضان والقرآن([[433]](#footnote-433))

الحمد لله الذي جعل القرآن مناراً للمهتدين، وضياءً للسالكين، ومعجزة باقية إلى يوم الدين؛ لا يعتريه النقص والتبديل، ولا التحريف والتغيير، محفوظ بحفظ الله الذي أنزله {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[الحجر9].

لا يَخلق مع كثرة ترداده، ولا ينضب مَعينُه باستقاء ورّاده، ولا تفنى جواهره بازدياد غائصيه؛ فما زال البحرَ الذي لا ساحل له، والغيثَ الذي لا تحصى قطراته، والنور الذي لا أمَد لهداياته، فمن سأل عن الشفاء فيه وجده، ومن استرشد به أرشده، ومن تدبره وعقلَه فما نسي حلاوته، ولا هجر تلاوته، {يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [المائدة(16)].

وما ذاك إلا لأنه تنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين؛ {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [سورة فصلت (42)].

والصلاة والسلام على النعمة المسداة، والقدوة المهداة الذي بعثه الله تعالى على فترة من الرسل، وانقطاع من السبل، فكان فجراً ظهر في الآفاق بعد الليل الدامس، ليكسو البسيطة بضيائه وسنائه، ويتلو على الكون الحائر هدى ربه عز وجل؛ ليتضح للوجود الصراط المستقيم {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [سورة الإسراء (9)]، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته الأكرمين، وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

أيها الصائمون الأخيار، حديثنا في هذا اليوم المبارك عن خير الحديث، وكلامنا فيه عن خير الكلام الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }[الزمر23].

إنه الكلام الذي أعيى الفصحاء، وأعجز البلغاء، وأخرس الخطباء، ولم يكن بنظم شاعر، ولا سجع كاهن، ولا بقول إنس ولا جن.

له حلاوة وعليه طلاوة، أسفله مغدق وأعلاه مثمر. إنه القرآن الكريم، كلام رب العالمين، وحبل الله المتين، و النور المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، فيه خبر من قبلكم، ونبأ من بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، والشفاء الناجع، والعصمة لمن تمسك به، والنجاة لمن اتبعه.

أيها المسلمون، إن هذا القرآن حياة الأرواح من موت الكفر والعصيان والقسوة، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[الشورى52]. وهو نافع لقارئه في الدنيا والآخرة، شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة) ([[434]](#footnote-434)).

فيه الأجر والثواب، والتجارة التي لا تبور، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ }[فاطر29].

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) ([[435]](#footnote-435)).

عباد الله، إن حفاظ القرآن العاملين به هم أصفياء الله من خلقه، وخيرته من عباده، ومن أعلى الناس درجات في الجنة يوم القيامة.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن لله أهلين من خلقه)، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته) ([[436]](#footnote-436)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلك عند آخر آية تقرأها) ([[437]](#footnote-437)).

أحبتي الفضلاء، نحن في شهر رمضان في روضة فواحة بالفضائل والعبادات المتنوعة، وعلى رأس هذه العبادات: قراءة القرآن الكريم.

فللقرآن ارتباط وثيق بالصيام عموماً وبرمضان خصوصاً، فكلاهما يصفي الروح ويجلو القلب والعقل، والقيام بهما معاً له شأن من الحلاوة والراحة، وقد جمع رسول الله بين الصيام والقرآن فقال: ( الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان) ([[438]](#footnote-438)).

وفي رمضان أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ }[البقرة185].

وقال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ }[القدر1].

أيها الصائمون، ما أحسن قراءة القرآن للصائم في رمضان، وما ألذ حروفه في اللسان، وألطف وقعها على القلوب. حينما يفرغ البطن ويصفو العقل من كدر المأكولات والشهوات يكون للقرآن طعم آخر؛ فالطعام والشراب والشهوة تكسب القلب قسوة، والنفس غفلة، والجوارح ثقلاً وكسلا، فيأتي الصيام ليقدح الفكر، ويذهب الغفلة، وينقل القارئ الصائم إلى التفهم والتدبر، والمعرفة ورقة القلب. وهذه الحال التي يمكن للقارئ الاستفادة منها.

فالعين ترى في تلك الصفحات المشرقة نوراً يهديها إلى الطريق المستقيم، والأذن تسمع أحلى كلام يصل الأسماع، والقلب يتنعم بتلك المعاني المؤثرة التي تزرع فيه حب هذا الكتاب وحب منزله العظيم، فيعظم رجاؤه لما عند الله من الخير، ويشتد خوفه أن يصل إليه غضبه أو تناله عقوبته، والعقل يتدبر ذلك الكلام البديع الذي لا يدرك من أسراره إلا الشيء اليسير، وكلما زادت قراءته وتأمله انكشفت له حقائق ودقائق لم تكن مرت عليه من قبل.

أيها الأحبة، إن القرآن الكريم لا ينفع قارئه إلا إذا تدبره، والصوم زمان خصب لتحقيق هذه الغاية الحميدة، ومن الخطأ الكبير أن يكون الهم الأكبر للقارئ في رمضان وفي غير رمضان الوصول إلى نهاية السورة أو نهاية المصحف بإسراع القراءة وأكل الحروف والكلمات.

قال بعض السلف: "لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ"إذا زلزلت" " والقارعة"، لا أزيد عليهما أتردد فيهما، وأتفكر أحب إلي من أهذ القرآن ليلتي كلها".

والقرآن إنما أُنزل للتدبر الذي يعقبه العمل به، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }[ص29].

معشر المسلمين، تدبر القرآن يفتح لصاحبه آفاقاً رحبة من الخير العاجل والآجل، فهو يُريه طرق الخير وأهلها، وسبل الشر وأصحابها، فيدعوه إلى الطريق الأولى وصحبة سالكيها، ويحذره من الطريق الأخرى والهالكين فيها.

ويريه حكمة المشرع المعبود سبحانه في نهيه وأمره، وعظمتَه في خلقه، وفضلَه في إكرامه، وعدله في عقابه، وقوته في مؤاخذته، ورحمته بعباده، وسعةَ علمه في مخلوقاته، وجبروته في قهر أعدائه، ونصرته لأنبيائه وأوليائه، وعزته ومنعته أن يناله أذى المؤذين، وقدرتَه أن يفوته أحد المخلوقين، وسمعه الواسع في إدراك نطق الناطقين، وبصره النافذ العظيم أن تخفى عليه حركة أو سكون من خلقه أجمعين.

أيها الصائمون، ما ملَّ القرآنَ من تدبر ألفاظه ومعانيه، وما نسي لذة القرآن من تدبر أحكامه وحكمه، وما هجر القرآن من ذاق طعمه وخالطت بشاشته قلبه.

إن القرآن –متدبَراً- ما تلاه لسان إلا طاب وحلا، ولا وصل أثره قلباً إلا صلح وصفا، ولا حل صدراً إلا انبسط وانشرح، ولا تأمل فيه عقل راجح إلا اتسع وانفسح.

وهل هملت الدموع الصادقة عند تلاوته أو سماعه إلا بتدبره، وخشعت القلوب بعد أن كانت قاسية كالحجارة إلا بتعقله، وهل عرفت علوم الشريعة إلا بالنظر فيه، والتفكر فيما يحويه. {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }[النساء82].

ألا إن الصديقين والشهداء والصالحين أوصلهم تدبر القرآن إلى ما هم فيه من المراتب العالية والمناقب السامية، وإن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين.

لقد كان لأهل الإيمان مع تدبر القرآن حديث مؤثر، خشعت له قلوبهم، ودمعت منه عيونهم، وسارعت به إلى الأعمال الصالحة جوارحهم.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم: ( اقرأ علي القرآن). قال: فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: (إني أشتهي أن أسمعه من غيرى ). فقرأت النساء حتى إذا بلغت: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً }[النساء41]،رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل([[439]](#footnote-439)).

فما الذي أبكاه عليه الصلاة والسلام إلا التدبر والتفكر فيما سمع.

وكان خليفته أبوبكر الصديق رضي الله عنه رجلاً أسيفاً أي: حزيناً لا يفتتح الصلاة قارئاً إلا هملت عيناه.

وعمر الفاروق رضي الله عنه في ليلة من ليالي عدله وإحساسه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه يخرج ليتفقد رعيته، إذ مر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ الطور حتى بلغ: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ } {مَا لَهُ مِن دَافِعٍ }[الطور7-8]، فقال عمر: قسم ورب الكعبة، فنزل عن حماره واستند إلى حائط فمكث ملياً ثم رجع إلى بيته فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه، وما مرضه إلا تأثره بما سمع.

وهذا الصحابي الكريم أبو طلحة رضي الله عنه يقرأ سورة التوبة، فلما بلغ قوله تعالى: {انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }[التوبة41]. قال: أرى ربنا يستنفرنا شيوخاً وشباباً، جهزوني يا بَني. فركب البحر غازياً في سبيل الله فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام فنزلوا فدفنوه، ولم يكن قد تغير جسده خلال تلك الأيام التسعة فوق السفينة رضي الله عنه ورحمه.

وجبير بن مطعم صحابي آخر رضي الله عنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور حتى بلغ قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ }[الطور35]. قال: فكاد قلبي يطير، فكان ذلك من أسباب إسلامه، نعم لقد تأثر حتى طار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والفضيل بن عياض رحمه الله كان قبل توبته من لصوص الليل فبينا هو في ليلة من تلك الليالي المظلمة أشرقت في قلبه آية فبددت تلك الظلمات، إذ رقي تلك الليلة بيتاً فسمع قارئاً يقرأ: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }[الحديد16].

فقال: بلى، والله قد آن، فنزل وتاب وصار يضرب بعبادته وصلاحه المثل بعد ذلك، رحمه الله.

أمة الإسلام، هذا كتاب ربنا الذي أنزله إلينا لنقرأه ونتدبره ونعمل بما فيه، فلو تدبرت الأمة هذا الكتاب ورجعت إليه لعزت وسادت، وتخلصت من مشكلاتها وأزماتها، ولكن ما حال أمتنا مع القرآن؟!

أين القراءة، وأين التدبر، وأين التحاكم، وأين العمل بهذا الدستور العظيم.

هناك هجر كبير وإعراض كثير، فهلا من رجعة وأوبة إلى هذا الكتاب تلاوة وتأملاً وتحكيماً واسترشاداً.

فالقرآنَ القرآن يا أمة القرآن، والتدبر التدبر؛ فإنه نعم المحبب والمقرب للأنس بهذا الكتاب الكريم.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الرحيم الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المرسل بالقرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما،

أما بعد:

أيها الصائمون، إن قراءة القرآن الكريم عبادة عظيمة، لها آداب حسنة يستحب للقارئ أن يتمسك بها لكي يكمل أجره ويتم انتفاعه. ومن تلك الآداب:

إخلاص النية في القراءة والتمهلُ فيها؛ طلباً لرضوان الله لا طلباً لحظوظ الدنيا. عن جابر بن عبد الله قال: دخل النبي صلى الله عليه و سلم المسجد فإذا فيه قوم يقرؤون القرآن قال: ( اقرؤوا القرآن، وابتغوا به الله عز و جل، من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القِدْح يتعجلونه ولا يتأجلونه) ([[440]](#footnote-440)). والمعنى: اقرأوا القرآن لله تعالى قبل أن يأتي قوم يسرعون في تلاوته كإسراع السهم إذا خرج من القوس، يطلبون بقراءته عرض الدنيا وأعراضها ولا يريدون به جزاء الآخرة.

ومن الآداب: الخشوع عند قراءته، وذلك أثر التدبر، وقد يؤدي ذلك إلى البكاء، وهذه صفة أهل العلم العاملين به، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً } {وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً } {وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً }الإسراء[107-108].

ومن الآداب: الطهارة من الحدثين، واستعمال السواك، واستقبال القبلة، وتحسين الصوت ما أمكن من غير تكلف.

ومن الآداب لحفاظ القرآن وقارئيه: أن تظهر آثار القرآن على أخلاق القارئ وسلوكه وأعماله.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعهما مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) ([[441]](#footnote-441)).

قال ابن مسعود رضي الله عنه قال: "ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون". وقال الفضيل بن عياض: "حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو؛ تعظيما لحق القرآن".

فالقرآن القرآن- يا عباد الله- حافظوا على تلاوته وتدبره، وتحكيمه والعمل به، وأكثروا من قراءته هذه الأيام؛ فإنها أيام فاضلة وموسم خير فسيح، فأروا الله من أنفسكم مع كتابه خيرا؛ فالسعيد من كان القرآن حجة له لا عليه.

رزقني الله وإياكم الإقبال على كتابه، والعمل بما فيه، وجعلَه حجة لنا لا علينا.

هذا وصلوا على النبي المصطفى...

# رمضان والجود ([[442]](#footnote-442))

الحمد لله الغني الكريم، الوهاب الرحيم، الذي أغنى وأقنى، وأنعم وأولى، وأعطى وأسدى، وأفضل وأجزل، فسبحانه ما أكثر مِننه على عباده، وما أعظم كرمه وجوده، وأوسع غناه وسخاءه،، لا ينفد ما عنده ولو أعطى كلَّ عبد من عباده ما سأل، وهو القائل جل وعلا-في الحديث القدسي-: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) ([[443]](#footnote-443)).

أشهد إلا إله إلا هو، إله كريم يحب الكرم، جواد يجب الجود، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بلغ المدى فيما سخا وأنفق، وبذل في الخير وتصدق، أعطى عطاء من لا يخشى الفقر، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الصائمون الفضلاء، اعلموا- رحمني الله وإياكم- أن شهر رمضان شهر الخيرات والبركات، وموسم المسارعة إلى الطاعات والقربات.

يتنقل المسلم في رياضه من خير إلى خير، ومن بر إلى بر، ومن نعمة إلى نعمة، ومن أجر إلى أجر. فلله الحمد والشكر.

فمما يزخر به هذا الشهر الكريم من الطاعات: طاعة الجود بالصدقات، وبذل المال في سبل البر والخيرات، وما أحوج الصائمين الفقراء إلى من يعينهم بسخائه ليكملوا عدة رمضان وقد حمدوا نزوله عليهم، فأقبلوا على الطاعات وقد خُفف عنهم همّ المعيشة، وأُعينوا على التفرغ لإدراك فضائل رمضان.

والله إنها لسعادة كبيرة لك أيها الغني المتصدق عندما ترى مسلماً أعنته على طاعة الله بمالك فأصبح يتقرب إلى الله تعالى خالي البال من هموم الحاجة والعوز، فكيف لو رأيته متفرغاً للقيام والقراءة والإقبال على العبادة في هذا الشهر الغالي وأنت سبب ذلك؟

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا ) ([[444]](#footnote-444)).

وقال: (من فطر صائماً كتب له مثل أجره، لا ينقص من أجره شيء) ([[445]](#footnote-445)).

هذا العمل من أحب الأعمال إلى الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعا، أو تقضي عنه دينا) ([[446]](#footnote-446)).

أيها المسلمون، إن الله تعالى كريم ويحب من عباده أن يتصفوا بصفة الكرم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى جواد يحب الجود، و يحب معالي الأخلاق، و يكره سفسافها) ([[447]](#footnote-447)).

ومظاهر كرم الله تعالى وجوده لا تعد ولا تحصى، فمن ذلك: ما تفضل به عليهم من الخير في شهر رمضان: عبادات متعددة، وأجور مضاعفة، ومغفرة ورحمة، وقبول وعتق من النار.

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.

عباد الله، إن النفس البشرية مطبوعة على حب المال والاستئثار به، فإذا طُلب منها فقد تشح به ولا تعطيه، لكن النفس المسلمة الراغبة في الخير إذا دُعيت إلى البذل في مراضي الله تعالى فلا تبخل؛ لأنها ترجو الأجر على ذلك من الله تعالى، ولها في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، الذي كان أكرم الخلق وأسخاهم مع قلة ذات يده.

فلقد كان الجود ديدن رسول الله عليه الصلاة والسلام وصفته الملازمة له في كل شهور العام، غير أن جوده في رمضان كان يتضاعف ويكثر.

ويحكي لنا ابن عباس رضي الله عنهما صورة من صور دوام جود نبينا عليه الصلاة والسلام وإسراعه إلى العطاء الكثير فيقول: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) ([[448]](#footnote-448)).

إن جود رسول الله عليه الصلاة والسلام يزداد في رمضان لمناسبة الزمان والحال، فحينما رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام جود الله على عباده في هذا الشهر المبارك دعاه ذلك إلى مزيد من البذل، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه، والكرم يذِّكر بالكرم.

وازداد جود رسول الله في الشهر؛ طلباً لزيادة الحسنات؛ فإن الأجور في رمضان مضاعفة على غيره.

وتضاعف جود رسول الله عليه الصلاة والسلام وسخاؤه في رمضان لأن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله عز و جل لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام) ([[449]](#footnote-449)).

وهذه الأعمال تجتمع في رمضان.

ويتضاعف جود رسول الله لمجالسته جبريل عليه السلام؛ فإن لقاء الصالحين يرغب في الخير، وفي الاقتداء بأهله.

وهناك سبب عظيم آخر وهو: مدارسة القرآن؛ فلتأثره بكتاب الله بكثرة قراءته زاد كرمه؛ عملاً به؛ لأنه-عليه الصلاة والسلام- كان خلقه القرآن، كأنه قرآن يسير على وجه الأرض؛ لتطبيقه ما يحث عليه كتاب الله الكريم.

أيها الأحباب الكرام، لقد كانت صفة الجود والكرم خلقاً ثابتاً في شخصية النبي عليه الصلاة والسلام حتى قبل البعثة، قالت له خديجة رضي الله عنها: " أبشر؛ فوالله لا يخزيك الله أبدا، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَل، وتُكسِب المعدوم، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحق" ([[450]](#footnote-450)).

وما سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة([[451]](#footnote-451)).

وقال صفوان بن أمية: "والله لقد أعطاني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي" ([[452]](#footnote-452)).

وفي غزوة حنين يوزع رسول الله غنائمها بين الناس ولم يبق لنفسه شيئاً، مع كثرة الغنائم، ثم يقول: (لو كان عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا ) ([[453]](#footnote-453)).

ويلخص ابن القيم رحمه الله جود نبينا عليه الصلاة والسلام فيقول: "كان صلى الله عليه و سلم أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه لله تعالى ولا يستقله، وكان لا يسأله أحد شيئا عنده إلا أعطاه قليلا كان أو كثيرا، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه: تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ينوع في أصناف عطائه وصدقته: فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعا كما فعل ببعير جابر، وتارة كان يقترض الشيء فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر، ويشتري الشيء فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها؛ تلطفا وتنوعا في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله فيخرج ما عنده ويأمر بالصدقة ويحض عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء، وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى".

هذا –يا عباد الله- مع فقره وقلة ما عنده، فكيف لو كان ذا سعة وغنى؟

ويصدق فيه قول القائل:

تعوّد بسط الكف حتى لو انه\* أراد انقباضاً لم تطعه أنامله

تراه إذا ما جئته متهللا \*كأنك تعطيه الذي أنت نائله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه \*لجاد بها فليتق الله سائله

هو البحرُ من أيِّ النَّواحي أتيتهُ \* فَلُجَّتهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهْ

أيها المسلمون، إن الجود بالصدقة من الأعمال الصالحة التي دعا الله عباده إليها، ووعدهم العوض والمضاعفة عليها. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[البقرة254].

وقال: { وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }[سبأ39].

وقال: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[البقرة261].

إن الصدقة –معشر الصائمين- تدفع البلاء وتديم النعماء؛ فصنائع المعروف تقي مصارع السوء. وهذا مشاهد في الواقع، فكم دفع الله تعالى من الكوارث والمصائب عن أهل الصدقة والجود.

بخلاف أولئك البخلاء الذين يمنعون حق الله تعالى فيما رزقهم فضلاً عن الصدقة، فإنهم لا يزالون يتنقلون بين أحضان البلاء في أنفسهم وأهليهم وأولادهم وأموالهم.

ذكر الشوكاني رحمه الله تعالى في كتابه: البدر الطالع هذه القصة فقال: "كان رجل من الزرعة وكان ذا دين وصدقة، فاتفق أنه بنى مسجدا يصلى فيه وجعل يأتي ذلك المسجد كل ليلة بالسراج وبعشائه، فإن وجد في المسجد من يتصدق عليه أعطاه ذلك العشاء، وإلا أكله وصلى صلاته، واستمر على ذلك الحال، ثم إنها اتفقت شدة ونضب ماء الآبار، وكانت له بئر فلما قل ماؤها أخذ يحتفرها هو وأولاده، فخربت تلك البئر والرجل في أسفلها خرابا عظيما، حتى إنه سقط ما حولها من الأرض إليها فأيس منه أولاده، ولم يحفروا له، وقالوا: قد صار هذا قبره، وكان ذلك الرجل عند خراب البئر في كهف فيها فوقعت إلى بابه خشبة منعت الحجارة من أن تصيبه فأقام في ظلمة عظيمة، ثم إنه بعد ذلك جاءه السراج الذى كان يحمله الى المسجد وذلك الطعام الذى كان يحمله كل ليلة، وكان به يفرق ما بين الليل والنهار، واستمر له ذلك مدة ست سنين والرجل مقيم في ذلك المكان على تلك الحال، ثم إنه بدا لأولاده أن يحفروا البئر لإعادة عمارتها فحفروها، حتى انتهوا إلى أسفلها فوجدوا أباهم حياً، فسألوه عن حاله فقال لهم: ذلك السراج والطعام الذى كنت أحمل الى المسجد يأتيني على ما كنت أحمله تلك المدة".

فانظروا-يا عباد الله- إلى حفظ الصدقة لصاحبها، ونجاته من مصيبته بسببها.

أيها المسلم، ألا تحب أن يغفر الله لك ذنبك، ويقيك عذابه يوم تلقاه، إن كنت تريد ذلك- ولا أظنك تأبى- فعليك بالصدقة، قال رسول الله عليه وسلم: (فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف) ([[454]](#footnote-454)).

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:( اتقوا النار ولو بشق تمرة ) ([[455]](#footnote-455)).

عباد الله، إن الصدقة من الأعمال الشاقة على النفوس التي لم تتعودها؛ لأن النفس من طبيعتها الشح والصد عن كل بر؛ ولذلك سمي هذا العمل الصالح صدقة؛ لأنها دليل على صدق صاحبها في العبودية لله تعالى، وسميت أيضاً برهاناً؛ لأنها تبرهن على إيمان معطيها.

أيها الصائمون، إن الجود في سبل الخير يحتاج إلى نية صالحة بأن يكون البذل ابتغاء مرضاة الله تعالى وطلب ما عنده، قال تعالى: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً }[الإنسان9].

ويحتاج إلى ستر وإخفاء مهما أمكن؛ لأن ذلك أدعى للإخلاص، وإلى استصغار ما يُعطى ولو كثر البذل؛ لأن الاستعظام للمبذول قد يغير النية ويمنع استمرار العطاء.

قال بعض السلف: "لا يصلح المعروف إلا بثلاث: تعجيله، وستره، واستصغاره".

وأن يكون المال حلالاً؛ فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، ومن الأفضل أن تكون الصدقة من أحسن المال وأحبه إلى النفس كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }[البقرة267].

وأن يتخير المتصدق في صدقته القريبَ، والأشد حاجة، والطائع قبل العاصي، والمساكين الذين تسترهم بيوتهم عن التعرض للناس، قال تعالى: {لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ }[البقرة273].

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم و أستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الحديث عن السخاء المستحب يدعونا إلى الحديث عن السخاء الواجب؛ لأن بعض أصحاب الأموال التي تجب فيها الزكاة يجعلون رمضان موسماً لإخراج زكاتهم؛ حرصاً على مضاعفة الأجر. وهذا عمل طيب إذا كان رمضان هو موعد حولان الحول على ذلك المال، أو كان الحول بعده بشهر أو أشهر وأراد صاحب الزكاة أن يعجل زكاته قبل وجوبها؛ حرصاً على خير رمضان. أما إذا كان موعد وجوب الزكاة في ذلك المال في شهر أو أشهر سابقة لرمضان؛ فإنه لا يجوز تأخيرها إلى رمضان؛ لأن ذلك فيه ظلم للفقراء والمستحقين للزكاة بتأخير حقهم عن موعده المحدد، وهذا أمر مهم ينبغي لأصحاب الأموال أن يتنبهوا إليه.

أيها المسلمون، إن الزكاة ركن ركين من أركان الإسلام، وسمة ناصعة في جبين هذا الدين؛ لأنها صِمام أمان للمجتمعات من الأخطار التي تهددها، ومن أعظمها خطر الحاجة والفقر. والذي ينتج عنه الأخطار الأخرى كالاضطراب الأمني والاجتماعي والسياسي.

فالزكاة لو أُخذت كما وجبت وصرفت إلى مستحقيها لتحسن الوضع الاقتصادي للمجتمعات المسلمة، وربما لن يوجد حينها فقير معوز.

وَلَما ظلت بعض الدول الإسلامية مادة أيديها للمساعدات الغربية والأوروبية، والقروض الربوية التي لا تعطى إلا بضرائب تدفعها البلاد من تحجيم لبعض شعائر الشريعة الإسلامية، والسيادة الوطنية، والتبعية لتلك الدول المانحة.

أيها الأخوة الأحبة، إن الله تعالى لم يوجب الزكاة على كل مسلم، ولا على كل مال، وإنما أوجبها على المسلم الذي ملك مالاً زكوياً ملكاً تاماً، وحال عليه الحول، وبلغ النصاب. وهذا من عدل الله تعالى ورحمته بصاحب المال وبالفقراء أيضا.

فالأصناف التي تجب فيها الزكاة هي: بهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم. والخارج من الأرض من الحبوب والثمار. وعروض التجارة. والذهب والفضة وما يقوم مقامها في عصرنا الحاضر من الأوراق النقدية.

وسأتحدث في هذه العجالة عن الصنفين الأخيرين.

أيها الصائمون الأفاضل، من ملك ذهباً قدره خمسة وثمانون جراماً فأكثر- أو ما كان قيمة لها من العملة الورقية- فقد وجبت عليه الزكاة وهي ربع العشر.

وطريقة إخراج الزكاة في ذلك: أن يعرف قيمة الجرام ثم ينظر ما عنده من الذهب ويضربه به ثم يقسم على أربعين وخارج القسمة هو الزكاة، فلو كان عنده ذهب بمليون فزكاته خمسة وعشرون ألفاً، وهكذا.

وأما عروض التجارة- وهي كل ما يعرض ويعد للبيع والشراء من مواد غذائية وقطع غيار وعمارات وأراض وغيرها- فنصابها أيضاً نصاب الذهب ومقدار الواجب فيها كذلك.

وطريقة الإخراج أن يقوم التاجر بحساب ما عنده من البضائع المعروضة والمخزنة والتي في البنك أو هي ديون يرجى قضاؤها ثم يقسم ناتجها على أربعين –كما سبق- والناتج هو الزكاة، ويكون ذلك عند حولان الحول.

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما سمعنا.

هذا وصلوا وسلموا على رسول الله محمد....

# رمضان والتفكر ([[456]](#footnote-456))

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أحمده على نعمه الوفيرة، وآلائه الغزيرة، وأشهد أن لا إله إلا هو المعبود الحق في أرضه وسمائه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد أوليائه، وخيرة أصفيائه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، في رمضان تتعدد الخيرات، وتتنوع الطاعات، فتسمو الروح إلى آفاق الصفاء والنور، وتتسع في النفس مساحات البهجة والسرور، وتحيا القلوب وتصفو العقول، وتسعد الجوارح بالإقبال على القُرب التي تجد فيه لذتها وأنسها.

عباد الله، هناك عبادة عظيمة من العبادات التي قد يكون الصيام الصحيح سبباً لقيام العبد بها؛ لأن هذه العبادة تفتقر إلى انتشال النفس من لهو الدنيا ومشاغلها، وتصفية العقل من مكدراته التي قد تحول دون الوصول إلى هذه العبادة.

فطغيان الحياة المادية المعاصرة بملهياتها ومشكلاتها جعلت الإنسان مأسوراً في بحار الغفلة التي تتقاذفه أمواجها من مكان إلى آخر، فهو في ذلك دائم الانشغال بلذة تلهيه، أو مشكلة تنسيه.

تحتاج هذه العبادة إلى وقفة وتريث وإعمال للروح واللب والقلب معاً. ولا شك أن رمضان إذا صيم الصيامَ الشرعي مِن أحسن الأحوال للسياحة في آفاق هذه العبادة الشريفة.

هذه العبادة هي: التفكر.

نعم، التفكر بمعناه الشامل في ملكوت الله وأمره، وتشريعه لخلقه، وفي مصالح العباد وطرق اجتلابها، وفي مفاسد المعاد وطرق اجتنابها.

أيها الصائمون، لقد دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التفكر وإعمال النظر؛ لما في ذلك من آثار حسنة، وعوائد حميدة.

قال بعض العلماء: "كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته، لكن جهلوا حقيقته وثمرته".

إن من أحسن الأحوال التي تعين على التفكر: الصيام؛ وذلك أن التقليل من الطعام والشراب والشهوات، والإقبال على قراءة القرآن وكثرة الصلاة وغيرهما من سائر العبادات تصقل الروح، وتصفي العقل، وتطهر القلب. فإذا وصل الإنسان إلى هذه الحال من الصفاء والنقاء انطلق فكره واتقد ذهنه، وراح ينظر ما يدركه بالمشاهدة أو الحس أو السمع أو الخبر الصادق بعين التأمل؛ ليجني من وراء ذلك العظة والعبرة.

فيا أيها الصائم الكريم، تفكر في أسماء الله وصفاته في معانيها وآثارها في خلقه تعالى، انظر إلى حلم الله عز وجل ورحمته بعباده، {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ }[النحل61].

وتفكر في علمه وقيوميته وإحاطته بكل شيء، {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }[الأنعام59].

وتفكر في قوته وجبروته، {فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[العنكبوت40].

وتفكر في عظمته؛ لتربي هيبته في قلبك؛ فتسعى لعبوديته، قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }[الزمر67].

قال بشر بن الحارث الحافي رحمه الله: "لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل".

وتفكر في شريعة الإسلام التي منَّ الله بها عليك، كيف أكملها وأتمها، ويسرها ورفع الحرج عنها، وكيف كانت مراعية لمصالح الخلق في كل زمان ومكان، شاملة لكل ما يهمهم، باقية قوية صامدة شامخة رغم شدة الحرب عليها والتآمر على مبادئها وأحكامها السماوية الخالدة،

قال تعالى: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }[الحج78]. وقال: { مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ }[الأنعام38].

تفكر -أيها الصائم- في خلق الله تعالى كيف خلقه وأبدعه، وأنشأه وصنعه، { صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ }النمل88].

فانظر هذه الأرض كيف بسطها وسواها، وهذه السماء كيف رفعها وبناها، وهذه الجبال كيف ثبتها وأرساها، وهذه الأنهار كيف أنبعها وأجراها، وهذه البحار كيف مدها ودحاها، والمواخر الجواري عليها كيف حفظها وأجراها إلى مهواها، والأرض الجدباء البور كيف أخصبها وأحياها، وأشجارها وثمراتها كيف تفاوتت -بقدرته- صنوفها وألوانها وطعومها.

قال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ{190} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ{191}[ آل عمران 190-191].

قال ابن عمير لعائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: ( يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي ) قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟! قال: ( أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: { إن في خلق السموات والأرض } ) الآية ([[457]](#footnote-457)).

ألم تقرأ -أيها الصائم-قوله تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ{17} وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ{18} وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ{19} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ{20}[ الغاشية 17- 20].

أما نظرت إلى النحلة كيف هداها، والنملة كيف علمها، والطير كيف حفظها في طيرانها ورزقها.

قال تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ }[النحل68].

وقال تعالى: {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }[النمل18].

وقال تعالى: {أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[النحل79].

تأمل في نبات الأرض وانظر \*إلى آثار ما صنع المليك

جفون من لجين ناضرات\* كأن حداقها ذهب سبيك

على قضب الزبرجد مخبرات \*بأن الله ليس له شريك

فيا عجبا كيف يُعصى الإله \*أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له شاهد \*يدل على أنه واحد

أيها الصائمون، ألا تفكرنا في نعم الله علينا، وسوابغ آلائه فينا، خلقنا فأحسن خلقنا، ومنَّ علينا بالهداية إلى الإسلام وأكرمنا، ورزقنا وسخر ما في الكون لنا.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ{6} الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ{7} فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ{8}[ الانفطار 6-8].

وقال: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ{71} وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ{72} وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ{73}[يس 71-73].

معشر الصائمين، هلا وقفنا وقفة تفكر صادقة، ونظرنا إلى هذه الدنيا التي نعيش فيها، وتأملنا في حقارتها وقلتها، وسرعة زوالها وتحولها، وكدر عيشها وتغير ما فيها، ماذا أخذ منها من دخلها حينما فارقها؟! ألم يأن للسكرى بشهواتها وهواها أن يصحوا ليعرفوا الحقيقة.

قال تعالى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[يونس24].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي صلى الله عليه و سلم وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال: يا رسول الله، لو اتخذت فراشا أوثر من هذا؟ فقال: ( يا عمر، مالي وللدنيا، وما للدنيا ولي، والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها ) ([[458]](#footnote-458)).

بكى عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوماً بين أصحابه فسئل عن ذلك فقال: "فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر، إن فيها مواعظ لمن ادكر".

قال بعض الشعراء:

إني رأيت عواقب الدنيا... فتركت ما أهوى لما أخشى

فكرت في الدنيا وعالمها... فإذا جميع أمورها تفنى

وبلوت أكثر أهلها فإذا... كل امرئ في شأنه يسعى

أسنى منازلها وأرفعها... في العز أقربها من المهوى

تعفو مساويها محاسنها... لا فرق بين النعي والبشرى

ولقد مررت على القبور فما... ميزت بين العبد والمولى

أتراك تدري كم رأيت من الـ... أحياء ثم رأيتهم موتى

وفي مقابل ذلك أما تفكرنا في الآخرة الدار الباقية، وتأملنا في دوامها وخلودها، وراحتها وسعودها، واستمرار طيبها ولذاتها، وذهاب الأحزان والعناء عند دخولها، {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ }[فاطر34].

خيرها متصل، وعيشها مستقر، { وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[الزخرف71].

وقال تعالى:{ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }[العنكبوت64].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه. ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ: { وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة - وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا - وهم لا يؤمنون } ) ([[459]](#footnote-459)).

ثم تفكر –أيها المسلم- في بضاعتك التي ستقدم بها على الله تعالى، ماذا عملت، وكيف عملت؟ قال تعالى: { وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ }[البقرة197].

وقال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ } {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء88-89].

أيها المسلمون، إن عبادة التفكر تدل المتفكر على طريق الجنة فيعمل لها قبل مفاجأة الموت. وقد لِيمَ لقمانُ رحمه الله تعالى على الوحدة فقال للائمه: "إن طول الوحدة أفهم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة".

وحينما يتفكر الإنسان يدعوه ذلك إلى فعل الخيرات وترك المنكرات؛ لأنه علمَ بذلك أنه خلق لغاية فلا بد من سعيه لها.

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: "اعلم أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يفنى- وإن كان كثيرا- يعدل ما يبقى، وإن كان طلبه عزيزا، واحتمال المئونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مئونة باقية".

ألا رحم الله امرئ تفكر قبل أن يُقبر، فساقه تفكره إلى إحسان العمل، وإصلاح الخلل، قبل حضور الأجل.

وتفكر في دنياه فلم يركن إليها، ولم يشغل قلبه بها، وتفكر في آخرته فأعد زاد النجاة، وبعث قلبه إليها فعاش في الدنيا غريباً بين أهلها؛ لأن دار أُنسه الحقيقية هي دار السلام بجوار الرب السلام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

أيها الصائمون الفضلاء، فما زالت أيام رمضان ولياليه تتسارع وتتسابق، وأنفاس الصائمين الصادقين، والقائمين الخاشعين، والتالين المتدبرين تتصاعد وتتلاحق؛ خوف الفوات والفراق.

ولكن تلك الأزمان الشريفة لا يزيدها مرور الوقت إلا شرفاً وحلاوة، فكلما تتقدم ازدادت حسناً وبهاء.

وإنا مع تسارع هذه اللحظات السعيدة قد أصبحنا على مشارف خير زمان في رمضان، وأسعد لحظات يعيشها الصائم القائم في شهر البركة والغفران، بل لعلها أبهى لحظات تمر عليه في العام.

وبهذا المضي يزداد الشهر ألقاً، ويفتح أمام الصائم المجدِّ من الخير والفضل أبواباً كثيرة. تمضي أيام رمضان كالفجر الذي يخرج كبصيص ضعيف ثم يكبر ويكبر حتى ينير الآفاق والدروب. من هذا التجدد الزمني المشرق يفيد الإنسانُ منه الجدَّ؛ فإنه كلما كبر صغر عمره، وقرب أجله، وضاقت مهلة حياته، ومن كان كذلك فليقصر الأمل، وليحسن العمل مع تقدم الزمن ومروره.

أيها الصائمون، في ختام شهر رمضان ليالٍ مباركة هي العشر الأخيرة من رمضان، التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعد له استعداداً خاصاً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر ([[460]](#footnote-460)).

وقد تميزت على العشرين السابقة بمزايا وخصائص تجعلها محل اهتمام المسلم الحريص على الخير والسبق إلى الفضل.

فمن فضائلها: مشروعية الاعتكاف في المساجد الجامعة؛ ليتفرغ فيها العبد الصائم لروحه وقلبه، بعيداً عن مشاغل الدنيا واهتماماتها.

وقد اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده؛ لنيل هذا الخير العظيم.

إن المعتكف يتأمل في هذه المدة اليسيرة في حاله ماذا قدم، وماذا سيقدم من الأعمال، فيتفكر في سالف أيامه: فإن كان محسناً يزد في إحسانه، ويعترف بتقصيره تجاه ربه.

وإن كان مسيئاً تضرع إلى الله تعالى ودعاه بغفران ذنبه، وستر عيبه، مع ندم صادق على زمان انقضى في التضييع والعصيان.

ويتفكر في مستقبل أيامه التي يكتنفها المجهول، فيعزم على الجد وترك التفريط والفتور، ويدعو الله تعالى بالتوفيق والسداد في القول والعمل.

فالاعتكاف فرصة للمراجعة والمحاسبة، وفرصة للتزود وشحذ الهمة الإيمانية، وطلب الصواب في قابل الأيام.

والاعتكاف فرصة لتعويض ما ضيع الصائم في أيام رمضان الأولى، فإن كان جرح صومه بمخالطة الناس فلم يسلم صومه من غيبة أو تعدٍّ فالاعتكاف مكان للسلامة والمداواة.

وإن كان فاته القيام فيما مضى فالاعتكاف يعينه على المحافظة على القيام فيما بقي.

وإن كان قد شُغل عن كثرة قراءة القرآن وتدبره فالاعتكاف ظرف كريم لما فاته من ذلك.

أيها الصائمون، ومن مزايا هذه العشر الأخيرة وفضائلها: أن فيها ليلة شريفة القدر عظيمة الفضل، لا يُلقى خيرها إلا ذو حظ عظيم من الصبر والجد والاجتهاد.

هذه الليلة ليلة أنزل الله فيها القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

في هذه الليلة تقدر الآجال، وتقسم الأرزاق للعام القابل، ويضاعف فيها العمل الصالح، وتنزل فيها ملائكة السماء إلى الأرض؛ لكثرة خير هذه الليلة وبركتها.

هذه الليلة هي ليلة القدر قال تعالى: {حم{1} وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ{2} إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ{3} فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ{4} أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ{5} رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ{6} [سورة الدخان 1-6].

وقال تعالى:{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ{1} وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ{2} لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ{3} تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ{4} سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ{5} [القدر 1-5].

هذه الليلة غير معروفة الزمن تحديداً؛ حتى يجتهد الناس في العبادة. غير أنها في العشر الأواخر أقرب، وفي أوتارها أقرب، وفي السبع الأواخر أقرب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى ) ([[461]](#footnote-461)).

ويستحب تحري هذه الليلة بكثرة العبادة، وتخصيصها بالدعاء الوارد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أدعو؟ قال: ( تقولين: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) ([[462]](#footnote-462)).

فيا أيها الصائمون، هذا منهل عذبٌ فأين ورّاده، وزاد نافع أين أهله وقصاده، فيا سعدَ من ظفر بخيره، وغنم فضله، فصار من الفائزين، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية.....

# رمضان والجهاد ([[463]](#footnote-463))

الحمد لله الذي أعز من أطاعه واتقاه، وأذل من خالفه وعصاه، مكّن لمن نصر دينه ووالاه، وقهر من حارب شرعه وعاداه، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا معبود لنا غيره، ولا رب لنا سواه، وأشهد أن محمد بن عبد الله نبيه ومجتباه وخليله ومصطفاه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى توفاه الله.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره وسلك منهجه واتبع هداه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الصائمون، في مثل هذا اليوم المبارك يوم الجمعة السابع عشر من رمضان قبل عام ألف وأربعمائة واثنين وثلاثين للهجرة النبوية حدث حدثٌ عظيم هز جزيرة العرب، وغير مجرى التاريخ، وقلب موازين القوى، ولفت انتباه الناس إلى أن الأمور لا تبقى دائماً على ما هي عليه من الظاهر، وأن هناك قوى وأموراً تخفيها سُجف الغيب عن نظر البشر القاصر تنتظر الميلاد؛ لتخرج من أرحام الغيوب إلى عالم الشهادة؛ فتحول عجلة الزمان إلى طريق أخرى.

فيُعز ذليل ويكثر قليل، ويقوى ضعيف ويضعف قوي، وينتصر مظلوم ويقهر ظالم، إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب، {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[آل عمران26].

هذا الحدث الكبير كان نكسة كبيرة لرؤوس الظلم والجبروت والفخر والخيلاء، خسر الباطل فيه بعض زعمائه، وأضاع فيه الغرور عصبة من كبرائه، خرجوا بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط.

في هذا اليوم من ذلك الزمان أركب الشيطان ثلة من أوليائه مراكب الهلكة، وهم يحسبون أنهم خارجون إلى نزهة مع الهوى، ثم يؤوبون قافلين منصورين ظافرين، وذلك حين { زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[الأنفال48].

أمة الإسلام، في هذا اليوم الأغر في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان من العام الثاني للهجرة عند ماء يسمى بدراً التقى معسكر الإيمان: المهاجرون والأنصار بمعسكر الطغيان: مشركي قريش عبدة الأوثان، فتقابل الحق والباطل، والخير والشر، والنور والظلام، والإسلام والكفر، فكان آية من آيات الله تعالى، {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ }[آل عمران13].

أيها المسلمون، إن يوم بدر يوم مشرق في تاريخ الإسلام، أضاء للمسلمين طريق العزة، وفسح الدرب أمام موكب الدعوة الحقة؛ لتنطلق لفتح الأبواب الموصدة تجاه النور الساطع؛ ليملاء الآفاق والسبل. {يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[المائدة16].

لقد كان يوم بدر يوماً أراده الله تعالى، وإن لم يستعد له جند الإسلام الاستعداد التام، هم أرادوا العير والله أراد النفير، فكان الخير فيما أراده العليم الخبير.

{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ }{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ } {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ }[الأنفال5-7].

كان ذلك اليوم الميمون موعداً اجتمع فيه جند الحق من السماء والأرض لمقارعة جند الباطل الذي صلب عود كبريائه، واشتد حبل إيذائه للفئة المؤمنة، ووقف حجر عثرة أمام النفوس الظامئة لزمزم الإيمان، فلما بلغ السيل الزبُا، ووصلت الغطرسة المدى، وجاءت بحدها وحديدها تحاد الله ورسوله لتطفأ جذوة الهدى جاء نصر الله على حاجة. {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }[الأنفال12].

وقال:{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ } {بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ } {وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }[آل عمران123-126].

أيها الصائمون، في هذه المعركة المقدسة واجهت الفئةُ المؤمنة الفئةَ القرشية الكافرة بجلد وثبات، وعزم لا تخبو جذوته، وعشق للموت لم تعرف له قريش مثيلاً. فانتهت معركة الفرقان بهزيمة ساحقة تجرعها الكفر وساغها، وجاءه الموت من كل مكان على يد ثلة قليلة العدد والعدة، ولكنه الإيمان الذي يصنع العجائب.

خلفت المعركة وراءها سبعين قتيلا، وسبعين أسيراً من المشركين، كان لصناديدهم وكبار أشقيائهم نصيب وافر ما بين قتيل وأسير. ليعذبهم الله بأيدي المؤمنين وينصرهم عليهم ويشفي صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم.

لترتفع بعد ذلك راية الإسلام خفاقة في السماء، وتنكس أعلام الشرك والنفاق واليهودية المحرفة، وليموت أهل الباطل كمداً وغيظاً؛ {لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ }[آل عمران127].

أيها المسلمون، إن شهر رمضان شهر الجد والعمل، وليس شهر العجز والكسل؛ فهو في تاريخنا العريق شهر الفتوحات والملاحم.

فبعد غزوة بدر التي كانت في رمضان جاءت فتوحات أخرى للمسلمين في رمضان أيضا.

ففي رمضان من العام الثامن للهجرة فتحت مكة المكرمة، وطُهرت من رجس الوثنية، وكان ذلك منطلق النصر إلى ما بعده من الانتصارات.

وفي رمضان من العام الثاني والتسعين من الهجرة فتح المسلمون بلاد الأندلس التي قامت فيها حضارة إسلامية دانت لها الدنيا آنذاك.

وفي رمضان من العام الثالث والثلاثين بعد المئتين من الهجرة فتح المسلمون مدينة عمورية، أيام حكم الخلافة العباسية.

وفي رمضان من العام السادس والستين بعد الستمائة من الهجرة انتصر المسلمون على الروم في أنطاكية.

وفي رمضان من السنة الثامنة والستين بعد الستمائة من الهجرة نصر الله المسلمين على التتار في معركة عين جالوت الشهيرة التي كانت سداً منيعاً أمام عزم التتار على اكتساح بلاد المسلمين وإذلالهم.

أيها الصائمون، إن عدو الإسلام والمسلمين لا يكبح جماح بطشه واعتدائه إلا قوةٌ تواجهه، وجهاد يوقف مدَّ ظلمه وصده عن الحق. ولا يمكن أن يكون الذل وتقديم التنازلات الدينية والدنيوية سبيلاً إلى احترام المسلمين ومنع الصيالة عليهم، و الكف عن تدنيس مقدساتهم وكرامتهم، وهضم حقوقهم بين الناس.

فلا حل لمواجهة القوة الظالمة إلا تحرك القوة العادلة، ولا رد لتيارات الإذلال الهادرة إلا موانع من العزة والكبرياء التي لا تعرف الوهن، أما من استمرئ القهر فلا يبالي.

من يهن يسهل الهوان عليه\* ما لجرح بميت إيلام

عباد الله، إن المسلمين الأوائل الذين ذاقوا طعم العزة لم يصلوا إليها إلا بعد كفاح ومهر غال بذلوه من دمائهم وممتلكات دنياهم، فهابهم العدو في عقر داره، ودفع الجزية عن يد وهو صاغر وهم في عقر دارهم، ولو أحبوا الدنيا كما أحبها كثير ممن تلاهم، وكرهوا المنايا في سبل الحق كما كرهها من وراءهم لصارت الأحوال متشابهة.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها)، قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: ( أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن)، قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: ( حب الحياة وكراهية الموت) ([[464]](#footnote-464)).

أيها المسلمون، إن الله تعالى شرع الجهاد في سبيله حفظاً للملة، وذياداً عن النفوس والأعراض والأموال والحقوق المعصومة، وسن فيه قوانين عادلة تمنع من الجور مع العدو المحارب؛ ولذلك لا يوجد في الأرض كلها-و النصوص الشرعية والتاريخية تشهد - حروب أعدل من حروب المسلمين المجاهدين الصادقين للكافرين المحاربين.

قال الله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }[الأنفال60].

أيها المسلمون، إن عبادة الجهاد في سبيل الله تعالى من أعظم العبادات؛ فهي ذروة سنام الإسلام، وعمل من أعظم الأعمال، بل لا عمل في الإسلام يعدل الجهاد في سبيل الله تعالى، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم أي العمل أفضل؟ فقال: ( إيمان بالله ورسوله ). قيل: ثم ماذا؟ قال: ( الجهاد في سبيل الله ). قيل: ثم ماذا؟ قال: ( حج مبرور ) ([[465]](#footnote-465)).

وقيل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: « لا تستطيعونه ». قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا،كل ذلك يقول: « لا تستطيعونه ». وقال: في الثالثة: « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى إلى أهله »([[466]](#footnote-466)).

وأما أهله المخلصون فيه فهم في أعلى المراتب وأسمى المقامات؛ فقد قال تعالى: {لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً } {دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }[النساء95-96].

وأما الفائزون بالشهادة في سبيل الله فلهم من الكرامة والجزاء الحسن خير عظيم، فمن ذلك أن لهم حياة خاصة في البرزخ دون بقية الناس، وفرحاً واستبشاراً بما نالهم من النعيم الكبير، قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ }[آل عمران 169-171].

إن الشهيد حينما يرى إكرام الله تعالى له يحب أن يرجع إلى الدنيا؛ ليقاتل في سبيل الله فيقتل، قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة ) ([[467]](#footnote-467)).

أيها المسلمون، إن الأمة الإسلامية في العصور المتأخرة أصيبت بالانحطاط والهزيمة من أعدائها، ومن أسباب ذلك: ترك الجهاد في سبيل الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) ([[468]](#footnote-468)).

أيها المسلمون، إن الجهاد في سبيل الله تعالى ليس محصوراً في ميدان القتال فحسب، بل هو أوسع من ذلك، فهناك الجهاد بالمال من أجل نصرة هذا الدين، وهناك الجهاد بالكلمة نشراً للإسلام، ودفاعاً عنه، ورد الشبهات عن حماه، وهناك غير ذلك مما فيه نصر وإعزاز للإسلام والمسلمين.

أسأل الله تعالى أن يرفع راية الإسلام على كل الرايات، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

أيها الصائمون، إن حياة المسلم الصادق كلها جهاد ومراغمة ومصابرة لأعداء الحق من الداخليين والخارجيين، وهذا جزء من تكاليف العبودية. و الجهاد بالسلاح والكلمة قد لا يتيسر لكل مسلم؛ ولذلك هناك مجالات أخرى للجهاد يشترك فيها جميع المسلمين.

فعدم الاستجابة لدواعي الهوى والشيطان والنفس الأمارة بالسوء هو الجهاد الأكبر الذي يتولد عنه الجهاد في ميدان القتال وميدان كلمة الحق، فمن لم يجاهد نفسه وهواه-وهما العدو الداخلي- لن يستطيع أن يجاهد الكفرة والمنافقين، وهم العدو الخارجي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:( المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، و المهاجر من هجر الخطايا و الذنوب ) ([[469]](#footnote-469)).

أيها الصائمون، نحن في شهر عظيم لمجاهدة النفس، فالقيام بفريضة الصيام، والمسابقة إلى الإكثار من الصلاة والصدقة والقراءة والقيام وسائر الطاعات هو من المجاهدة.

لأن لزوم الطاعات فرضها ونفلها ثقيل على النفس يحتاج وقتاً طويلاً للانتصار فيه علىها، قال بعض السلف: "جاهدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت". لكن حينما تُربى النفس على فعل الطاعات وتجاهد على الاستمرار عليها تصير لها سجية، وأنساً لا تستطيع الراحة إلا معه. قال أحد الصالحين: "جاهدت نفسي في قيام الليل عاما فذقت حلاوته عشرين عاما".

ومن مجاهدة النفس في رمضان: أن يحافظ الصائم على صيامه من ركوب الخطايا القولية والفعلية، فيعود نفسه على القول الحسن، والاستماع المباح، ويبعد نظره ويده وخطاه عن كل ما حرمه الله عليه.

وهذه المجاهدة لعلها أشق من الأولى؛ لأن فعل الأوامر قد يوافق رغبة داخلية في الإنسان، وقد تكون تلك الأوامر محدودة القدر والزمن، بخلاف بعض المعاصي التي تركها صعب على النفوس؛ لأن دواعي المعصية وجواذبها كثيرة.

فيا سعد من جاهد نفسه، وانتصر عليها حتى ألزمها طريق الاستقامة، وصار لها قائداً إلى مسالك الهدى والرشاد.

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }[العنكبوت69].

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار...

# رمضان والدعاء([[470]](#footnote-470))

الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، وعلم دعوات عباده مع اختلاف اللغات، بيده قضاء الحاجات، وكشف المكروهات، ونيل الأمنيات، سميع قريب، رحيم مجيب، في جميع الأحوال والأوقات.

وأشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له، مغيث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير الداعين، وسيد المتضرعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الصائمون الأفاضل، فما زالت عطايا الرب الكريم في الشهر الكريم تتوالى وتتحبب لأهل الطاعة؛ علها تجد لديهم همة عالية وعزمة صالحة تُقبِل بهم إلى معين تلك العطيات السنية؛ ليغسلوا أرواحهم، ويطهروا قلوبهم؛ لتصفو-بعد ذلك- دنياهم وأخراهم.

ألا وإن من تلك التحف الثمينة التي يجدها الصائم في هذا الشهر الخيّر: استجابة الدعاء.

عباد الله، لقد قرن الله تعالى الدعاء بالصيام عندما تحدث عن آيات الصيام؛ ليعلمنا أن للدعاء شأناً عظيماً في رمضان، فقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }[البقرة186].

فالروح في رمضان تسمو وتقبل، والقلب يرق ويخشع، والعين تبكي وتدمع، والنفس والهوى ووساوس الشيطان تقيم في هوة الانكسار والفتور.

فحينما يصل الصائم إلى هذه الحال من الاستقامة والإخبات بحيث اكتست جوارحه بالعمل الصالح والاستجابة والانقياد لربه يكون إقباله على الدعاء بقوة يقين، وذل وإلحاح شديدين بين يدي ربه، فيغدو عند ذلك مسموع الدعوة، قريب الإجابة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر) ([[471]](#footnote-471)).

أيها المسلمون، إن ربنا تبارك وتعالى يدعونا إلى دعائه، وعرض حاجاتنا بين يديه، فيقول جل وعلا: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }[غافر60]. أي كرم هذا! يحثنا على دعائه ويعدنا الإجابة! فأين الداعون المستجيبون لربهم وهو يندبهم إلى الدعاء ويتفضل عليهم بالإجابة؟.

إن الدعاء-معشر الصائمين- يُظهر عبودية العبد لربه، ويعرف الإنسان بأنه مخلوق فقير لخالق غني، وأنه محتاج يطلب كفايته من سيده القادر الكريم. وذلك حينما يرفع يديه إليه في ذل وانكسار، وخشوع ورجاء، ويقول: يا رب يا رب، عندها يشعر بعزة عبوديته لله، ولذة مناجاته والإلحاح عليه، ويجد أُنس النفس بالاقتراب من ربه الرحيم، وانشراح الصدر ببث ما فيه إلى سيده العظيم.

ما أحسنَ تلك اللحظات-أيها الصائم الكريم- وأنت تناجي مولاك، وتبثه شكواك، وتطلبه حاجاتك، وتنزل به-وحده- طَلِباتك، ولم تسألها من البشر، بل خصصت ربك بطلبها؛ فهو القدير الغني الذي يكفي ويقضي حاجات عباده المنكسرين بين يديه، {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ }[النمل62].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: (يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) ([[472]](#footnote-472)).

لا تسألن بني آدم حاجة\* وسل الذي أبوابه لا تحجب

الرب يغضب إن تركت سؤاله\* وبُنيُّ آدم حين يُسأل يغضب

أيها الأحبة الكرام، لماذا لجأ الناس إلى الناس وتركوا رب الناس؟! لماذا كثر التذلل بين أيدي الخلق ولم يكن ذلك بين يدي الخالق؟! لماذا بحث البشر عن الحلول لمشكلاتهم في الأرض ولم يبحثوا عن حلها في السماء؟! أما تشاهدون ذلك واقعاً في حياتنا-نحن المسلمين؟

أمِن العقل والحكمة أن يُدعى العاجز والقادر موجود، ويستغاث بالضعيف والقوي ينتظر من يدعوه، ويُستمنح البخيلُ والكريم باذل لمن يأتيه ما يرجوه؟ أليس الله أرحم وأكرم أن يُدعى ويُسأل دون غيره!.

وإذا ابتُلِيتَ بمِحْنةَ فالبس لها\* ثوبَ السكوتِ فإن ذلك أسلمُ

لا تشكوَن إلى العباد فإنما\* تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يَرْحَم

أيها الصائمون، إن الدعاء عبادة عظيمة تحمل معها دلالات واضحة على صفات المدعو سبحانه وتعالى، فالدعاء يدل على وجود الله تعالى؛ لأن الغائب لا يدعى، وعلى قدرة الله؛ فالعاجز لا يُسأل، وعلى قوة الله؛ فالضعيف لا يُرجى، وعلى غنى الله؛ فالفقير لا يطلب، وعلى سمع الله؛ فالأصم لا ينادى، وعلى علم الله؛ فالجاهل لا يغني شيئاً، وعلى كرم الله؛ فالشحيح لا يُسأل، وعلى رحمة الله عز وجل؛ فالغليظ الجافي لا يطلب فضله وخيره.

عباد الله، لايظنن ظان أنه إن دعا الله تعالى ولم ينل إجابة سريعة أنه قد خسر، كلا، بل أبشر أيها المسلم الداعي، فهناك خير كثير ينتظر الداعي المخلص وإن لم يحصل على مطلبه العاجل. قال النبي صلى الله عليه و سلم: (ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها مأثم و لا قطيعة رحم إلا أعطاه إحدى ثلاث: إما أن يستجيب له دعوته، أو يصرف عنه من السوء مثلها، أو يدخر له من الأجر مثلها) قالوا: يا رسول الله، إذا نكثر قال: (الله أكثر) ([[473]](#footnote-473)).

فماذا فاتك أيها الداعي؟ فرب شر صُرف عنك وأنت لا تدري أن الدعاء كان سبب ذلك، وكم من خير قد يكتنز لك ليوم الحاجة الكبرى بدعواتك، فلا تمل من الدعاء فأنت كاسب على كل حال، وأما من استحسر عن الدعاء استعجالاً للإجابة فهو الخاسر حقاً.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل) قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: ( يقول: قد دعوت، وقد دعوت فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء) ([[474]](#footnote-474)).

أيها المسلمون، إن الحياة الدنيا مشوبة بالأكدار والآلام، والأوجاع والأسقام، والشدائد والمصائب، والكروب والأحزان، فقر وديون، أمراض وذل، حروب وفتن، اضطراب وقلق، عقم وعنوسة، مع حاجات مستمرة، وأمانٍ غير منقطعة.

ثمانية لا بد منها على الفتى \* ولابد أن تجري عليه الثمانيه

سرور وبئس واجتماع وفرقة \* وعسر ويسر ثم سقم وعافيه

من لهذه التحديات الحياتية الكبيرة؟ هل يستطيع هذا الإنسان الذي يحيط به النقص من كل جانب أن يتنصر عليها وحده؟ إذا ظن بنفسه-دون عون ربه- القدرة عليها فقد خذل وذهب في كل مهلك.

إذا لم يكن عون من الله للفتى\* فأول ما يقضي عليه اجتهاده

إن المسلم الصادق يستطيع التغلب على هذه المعضلات والخروج بالظفر منها إذا لجأ إلى الله تعالى وتضرع بيقين بين يديه.

وكم في التاريخ والواقع من نماذج تبرهن على هذا.

فأنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام واجهوا كروباً وشدائد خاصة وعامة فكان الدعاء سبيلهم السالك إلى كشف تلك البليات.

فهذا نوح-عليه السلام- آذاه قومه وتهددوه وسخروا منه ولم يستجيبوا لدعوته بعد ذلك العمر المديد في دعوتهم، حينها طرق نبي الله نوح باب الدعاء فكانت النجاة والغلبة له ولمن تبعه على قومهم الكافرين.

قال تعالى: {وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ } {وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ }[الأنبياء76-77].

وذاك يعقوب عليه السلام الذي فقدَ أحب أولاده إلى قلبه الأول ثم الثاني فترة من الزمن، فوكل أمره إلى السميع القريب سبحانه وتعالى ودعاه فاستجاب الله تعالى له، فقال: {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }[يوسف86]. وقال تعالى: {اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ{93} وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ{94} قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ{95} فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ{96} [يوسف 93-96].

وموسى عليه السلام حينما خرج إلى مدين وسقى للمرأتين شياههما اشتد عليه الجوع فلم يسأل أحداً، وإنما سأل الله تعالى، فقال: {فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ }[القصص24].

وأيوب عليه السلام اشتد مرضه وطال سقمه، فرفع أمره إلى ربه جل وعلا فقال تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ } [الأنبياء38-84].

ويونس عليه السلام لما أمسى حبيس بطن الحوت في قاع البحر في ظلمة الليل دعا ربه في تلك الظلمات قال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ }الأنبياء[87-88].

وزكريا عندما امتد عقمه، وطال عمره، واشتد شوقه إلى ولد يؤنسه ويرثه من بعده على بني إسرائيل لجأ إلى كشاف الكروب والقادر على تحقيق المرغوب، فقال تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ } {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }[الأنبياء89-90].

ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام قد دعا الله تعالى وتضرع بين يديه في الرغب والرهب كثيراً، فدعا لنفسه، ولأصحابه ولآل بيته، ولأمته، وأمثلة ذلك عديدة.

ففي بدر دعا فقال: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) ([[475]](#footnote-475)).

وعن عبد الله بن أبى أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الأحزاب فقال: ( اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم ) ([[476]](#footnote-476)).

وفي أيام حكم المأمون في الخلافة العباسية تبنى هذا الحاكم امتحان الناس بالقول بخلق القرآن، فمن استجاب له تركه، ومن خالفه كان مصيره القتل أو السجن والتعذيب، وكان من بين من أبى الاستجابة لدعواه الباطلة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فأمر بسجنه وتعذيبه، ثم أمر بالإتيان به إليه؛ لكي يكون آخر الأمر أن يُقتل بين يديه، وكان قد جهز له سيفاً صلتاً يقتله به، فدعا الإمام أحمد ربه أن يكفيه شر هذا الطاغية فاستجاب الله دعوته، فأتى الناعي بموت المأمون و أحمد في الطريق فأعيد إلى السجن ولم يقتل.

وهذا رجل كانت زوجته تعاني من أكياس دهنية في الرحم فقررت لها الطبيبة عملية جراحية عاجلة، فحار الرجل؛ لأنه لا يجد المال الكافي لتلك العملية، فدعا الله تعالى واستمر في رقية زوجته مدة شهرين كاملين، ثم أعاد الفحص مرة أخرى عند الطبيبة نفسها، فلم تجد شيئاً من تلك الأكياس، فتعجبت الطبيبة وسألت المرأة: أين أجريتم العملية؛ لأنها لم تجد تلك الأكياس؟ فقالت المرأة: إنه الدعاء والرقية الشرعية.

ولرب نازلة يضيق بها الفتى\* ذرعاً وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها\* فرجت وكنت أظنها لا تفرج

أيها الصائمون، في هذه الأيام المباركة ألحوا على الله تعالى بالدعاء والسؤال لأنفسكم وأهاليكم وأولادكم وللأمة الإسلامية جمعاء.

فما أحوجنا – في هذه الأيام إلى الدعاء-! كثرت الفتن، واشتدت عُقد الحياة، وضاقت معايش الناس، وتواترت المصائب الخاصة والعامة من كل جانب، وفي خضم هذه الظلمات لا ينجي الإنسان المسلم إلا رجوعه إلى ربه ودعاؤه وابتهاله واليقين بأن الفرج من عنده.

نظر الناس يميناً وشمالاً والتفتوا إلى كل وجهة يظنون وجود الحلول هناك لكنهم لم يجدوا، أفما كان الأولى بالمسلمين أن يقصدوا باب الكريم سبحانه وتعالى صادقين فيدعوه واثقين، ويمدوا أيديهم إليه مستغيثين طالبين، فلو فعلوا لما خابوا؛ فالله سميع مجيب، ولكن أين الأدعية الصادقة والأيدي الصالحة المرفوعة؟

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها الصائمون، قال العرب: السيف بضاربه، وقالوا أيضاً:

إن السيوف مع الذين قلوبهم \*كقلوبهن إذا التقى الجمعان

تلقى الحسامَ على جراءة حده \* مثل الجبان بكف كل جبان

وكذلك الدعاء؛ فإنه يحتاج إلى داع اجتمعت فيه وفي دعائه أسباب الإجابة؛ فإن دعاء الله تعالى عبادة لا بد فيها من شروط وآداب حتى ينيل الله صاحبها ما يريد.

فمن آداب الداعي: أن يكون مخلصاً في دعائه، ولو كان الدعاء خفياً بينه وبين ربه فذاك أقرب إلى الإخلاص، وأن يكون واثقاً بالله وأنه لا يقضي حاجته إلا هو، وعلى قدر يقينه تكون إجابته.

وأن يكون حاضر القلب، بعيداً عن الغفلة أثناء دعائه، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل يا أيها الناس، فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة؛ فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل) ([[477]](#footnote-477)).

وأن يكون آكلاً للحلال بعيداً عن الحرام، فعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }[المؤمنون51 ]، وقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ }[البقرة172 ]،». ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك! » ([[478]](#footnote-478)).

وأن يكون من أهل الدعاء في السراء والضراء، قال سلمان الفارسي رضي الله عنه:" إذا كان الرجل يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء فيدعو فتقول الملائكة: صوت معروف من آدمي ضعيف كان يدعو في السراء فيشفعون له، و إذا كان الرجل لا يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء فدعا فيقول الملائكة صوت منكر من آدمي ضعيف كان لا يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء، فلا يشفعون له ".

ويا حبذا لو كان الداعي متوضئاً، متجهاً نحو القبلة، مثنياً على الله تعالى بما هو أهله قبل دعائه، رافعاً يديه إلى الله تعالى، فعن سلمان عن النبي صلى الله عليه و سلم

قال: ( إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفرا أو قال: خائبتين ) ([[479]](#footnote-479)).

أيها الأحباب الكرام، وأما الدعاء فلا بد أن يكون مباحاً، ليس فيه ما هو محظور في الشرع، قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم) ([[480]](#footnote-480)). والإثم يشمل كل دعاء يجر إلى الذنب، والقطيعة تشمل كل دعاء فيه ظلم للمسلمين من الأقارب أو الأباعد.

ويا حبذا لو اختار جوامع الدعاء في دعائه، وجوامع الدعاء: هي الأدعية التي تتضمن خيري الدنيا والآخرة، ومنها- مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم-: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، وكذلك: اللهم أصلح لي ديني الذى هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر.

وأن يختار الأوقات المناسبة لإجابة الدعاء ومنها: نهار الصيام وعند فطره، والساعة الأخيرة من يوم الجمعة، وفي السجود، وفي الثلث الأخير من الليل ومنه عندما يقوم للسحور، وبين الأذان والإقامة، غير ذلك.

فيا أيها الصائمون، الدعاء الدعاء؛ فأنتم في زمن يتفضل الله تعالى فيه على عباده الصالحين، ويكرم فيه الصائمين المخلصين؛ فكونوا من أهل المسارعة في الطاعة، والإلحاح في الدعاء؛ فإنه من أعظم الطاعات، وأجلِّ القربات، فادعوا تفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة.

فاللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ورسولك محمد، ونسألك صلاح الدين والدنيا والآخرة، يا كريم.

ثم صلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه....

# وداع رمضان ([[481]](#footnote-481))

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعونه تُنال المنى وتُبلغ الغايات، حمداً طيباً مباركاً فيه ملئ الأرض وملئ السماوات، وملئ ما شاء ربنا من شيء بعد.

له الحمد كما ينبغي لوجهه وعظيم سلطانه، وله الشكر على جزيل كرمه، ووافر امتنانه. له الحمد في أول الأمر وآخره، وباطنه وظاهره، وعلنه وسره، وحلو القدر ومره. له الحمد كما حمد نفسه وفوق ما يحمده خلقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الحي القيوم الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، الذي لا يزال على العرش مستويا، وفي الوجود حيا باقيا، لا يزول ولا يحول، وخلقه في تحول وزوال: { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }[القصص88].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الأصفياء والمتقين، من عبد ربه حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله –عباد الله- وداوموا عليها في كل زمان ومكان، كما قال تعالى لسيد المتقين-عليه الصلاة والسلام: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً }[الأحزاب1].

أيها الصائمون، اعلموا-رحمني الله وإياكم- أن الدهر يمضي ولا يعود، وأن أيامه تجري تباعاً بلا سكون، حلوها ومُرُّها، وخيرها وشرها، وهي غنيمة باردة لمن سابقها فسبقها أو أدركها، والحياة مهلة واحدة لا تتكرر، والفرص متحولة لا ترجع، والآجال خطّافة، لا ترِّيث ولا تمهل.

يركض الزمان بالإنسان لينقله من مكانه الموقوت حتى يستقر في موطنه الخالد: إما الجنة وإما النار.

كلما بلغ الدنيوي مدة من العمر نقص نصيبه من الحياة الدنيا؛ فإنه كلما زاد نقص، وإذا امتد مكثه قرُب نكثه.

لكل شيء إذا ما تم نقصان... فلا يُغرّ بطيب العيش إنسان

وهذه الدار لا تبقي على أحد...ولا يدوم على حال لها شان

عباد الله، لقد دنت ساعات الرحيل، وبدت أمارات التوديع من الضيف الكريم.

فبينا قبل أيام قلائل نستقبله بشوق وتلهف، إذا بنا نودعه بحزن وتأسف. نعم، نودعه بالحزن على تلاوته وصيامه، وسخائه وقيامه، وتطهيره للنفس ورفعه للروح على مراقي السعود إلى سعادات الدنيا والآخرة.

فوا أسفاه على تلك الرياض النضرة، والنسائم العطرة؛ فالمسرة لا تدوم.

كانت تلك الأيام والليالي لحظات سعيدة مرت وسرعان ما قربت من الأفول؛ فساعات الحلاوة دقائق.

أيها الصائمون، ها هو رمضان على وشك أن يرفع مائدته المباركة بعد أن مدها لباغي الخير، فهلا امرؤ منا وقف عند هذا الفراق وقفة محاسبة وتأمل فيما قدم في الأيام والليالي القريبة الخالية.

هلا سأل الصائم نفسه كيف كان صيامه؟ أكان صوماً يرضي ربه تعالى: نوى به القربة والزلفى، لا الموافقة والمجاراة للناس؟ وهل وصل صيامه عند الخاتمة سالماً من الجروح التي تخدش الصيام كسيئ القول والعمل؟

ما كان نصيبه من التلاوة، والقيام، والصدقة، وبذل الخير للناس؟

هل رق قلبه، ودمعت عيناه، وطابت نفسه، وارتفعت روحه، وصلحت جوارحه؟

هل غير رمضان حياته إلى الأفضل، أو أن رمضان كغيره من شهور العام؟

فمن وجد من المحاسبة في نفسه وعمله خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

أيها الصائمون، ها هو شهر الصيام يلوح بالوداع، ويوشك أن يذهب عنا فماذا تعلمنا من هذا المعلّم النافع؟

لقد علمنا رمضان أن الإنسان ضعيف مهما كان قوياً؛ ففقدُ اللقمة والشربة يُنهكه، وتضييق مجال الشهوة قد يتعبه، فهو فقير الحاجات، فلماذا تستغني عن ربك يا ابن ادم، وأنت فقير إليه!

وأظهر لنا رمضان جانباً من جوانب رحمة الخالق الرازق بعباده حيث هيأ لهم الطعام والشراب الذي يحفظ بقاءهم، ويجدون فيه لذتهم وراحتهم، مذكراً لنا- ونحن نتقلب في هذه النعمة متناولين ما نشاء مما أباح لنا- أقواماً لا يجدون ما نجد، حتى أصبح الجوع والحاجة شعارهم ودثارهم طوال العام.

وعلمنا معلمنا الحبيب رمضان أن السعادة الحقيقية هي سعادة الروح لا سعادة البدن، وأن ظن السعادة بظاهر الحياة ولذاتها الحسية ظن كاذب وبرق خلب: لا غيث فيه.

ففي رمضان تتجلى السعادة الروحية في صيام صادق، ومناجاة خاشعة، وتلاوة متدبرة، وكف سخية في دروب البر.

وعلمنا رمضان أن النفس لا تصلح إلا بكبح جماحها، ومنعها أهواءها، وحبسها عن طيشها، وعدم مجاراتها في شهواتها.

وأنك مهما تعط نفسك سؤلها... تمنت وتاقت إلى كل مطلب

ألا ما أنفع تلك الليالي الأخيرة من رمضان ونفس الصالحين مجدة، والقلب خاشع، والطرف دامع، والكف ممدودة إلى السماء، والأقدام منصوبة بين يدي الله تعالى، وبركات تلك الليالي تتنزل فتكسو الوجوه ألقا، والصدور انشراحا، والنفس زكاة وطهرة.

وآهٍ من المسلمين حينما لم يتعلموا من رمضان الاتحاد وجمع الكلمة-وهو يجمعهم بالصيام في شهر واحد في العام-؛ لينهضوا من كبوتهم؛ ويصلحوا بذلك دينهم ودنياهم.

أيها الصائمون، إن رمضان سوق كثيرة الخيرات، وبضاعتها معروضة لمن شاء، يردها الناس فيصدرون بين رابح وخاسر.

وربحها وافر مضاعف، وخسرانها عظيم لو عرفه أهل الخسارة لتقطعت قلوبهم على خيره حسرات.

فالرابحون في رمضان هم الصائمون المخلصون، والتالون المتدبرون، والقائمون الخاشعون، والكرماء الباذلون لأهل الحاجة ابتغاء وجه الله تعالى.

والرابحون في رمضان من جعلوا رمضان مزرعة لخير تتدلى عليهم ثمراته في الدنيا باستقامة تعقب رمضان، وأجر ومثوبة في يوم الحساب.

وأما أهل الخسارة فهم المضيعون لحظ أرواحهم فيه، الذين فاتتهم فضائله، وتجاوزتهم نوائله.

الخاسرون فيه هم من أفطروا نهاره، وقضوا ليله في اللهو والعبث.

والخاسرون في رمضان من صاموا عما أباح الله تعالى، وأفطروا على ما حرم الله عز وجل من هتك الأعراض بالطعن والبطش والتعدي.

الخاسرون في رمضان هم الذين لم تعرفهم المساجد، ولم تألفهم المصاحف، ولم يعرفهم القيام، ولم تدركهم ليلة القدر، ولم تعتق رقابهم من النار.

أهل الخسارة في رمضان هم الذين لم يعرفوا من رمضان إلا كثرة النوم والكسل، والتوسع في المشرب والمأكل، والسياحة في عالم اللهو عبر الفضائيات أو صفحات الشبكة العنكبوتية، ناموا نهارهم وسهروا ليلهم في جلسات عابثة أو مجالس آثمة.

فماذا لو عرف الخاسرون قدر خسارتهم، ونتيجة تفريطهم، لا شك أنه سيشتد حزن من كان له قلب ويعظم تأسفه.

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه و سلم صعد المنبر فقال: ( آمين آمين آمين ) قيل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر قلت: آمين آمين آمين؟! قال: ( إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين ) ([[482]](#footnote-482)).

أيها المسلمون، في نهاية كل عمل يكون الأجر، فمن وفّى عمله وفي له أجره، ومن قصر حصد نتيجة تقصيره وتفريطه حرمانا وندما:

غداً توفى النفوس ما كسبت... و يحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم... و إن أساءوا فبئس ما صنعوا

أيها الأحبة الصائمون، يوشك البساط أن يُطوى، والحبيب أن يفارق فراق وامق.

ومع تلك اللحظات تحن قلوب المتقين إلى ذلك الحبيب، وتتفجر العيون بمدامع الحزن؛ فقد لا يعود إليهم ولا يعودون إليه؛ فالآجال بيد الله عز وجل.

هكذا-معشر المسلمين- تُجمع صحيفة رمضان إلى سجل الذاهب الذي لا يرجع، ويأفل بدر هذه الليالي المقمرة والأيام المشرقة، وليس منا إلا الصبر على الوداع المر لضيف كان كالطيف لم تطل إقامته.

نودعه وحزننا يتبعه، ودموعنا تشيعه، والقلب يَبكيه ولا يُرجعه، وإن العين لتدمع، والقلب ليحزن، وإنا على فراقك يا رمضان لمحزونون:

وداعك مثل وداع الربيـ... ع وفقدك مثل افتقاد الدِّيَم

عليك السلام فكم من ندى... لقيناه منك وكم من كرم

وما نملك إلا أن نقول: سلام عليك يا شهر الجود والصيام، وسلام عليك يا شهر التلاوة والقيام، وسلام عليك يا شهر الجد والالتزام، وسلام عليك يا محفل الطاعات ومحرقة الأوزار والآثام.

جبر الله المصاب، وأعاد علينا شهر الخير والثواب، وإنا لله وإنا إلينا راجعون.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، لقد شرع الله تعالى للمسلم الصائم في ختام شهره شعائر يتقرب بها إلى ربه؛ ليزيد أجره، ويعظم ثوابه.

فمن ذلك: أن الله عز وجل شرع للأمة الإسلامية عيداً بعد صوم رمضان هو عيد الفطر، يفرح فيه الصائم بإتمام صيامه، ويتقاسم السرور مع أقاربه وجيرانه وخلانه، قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }[يونس58].

إن العيد شاطئ السلامة بعد رحلة الجد والعمل في شهر الصيام، فحق للصائم أن يسر بأمان الوصول، وحسن النزول.

ومع أنه يفرح إلا أن فرحه مضبوط بالشرع لا يتجاوز ما حده الله تعالى في سمع وبصر ومأكل ومشرب وهيئة.

وليت شعري أي فرح وسرور للخاسرين في رمضان؟

لأن العيد في الحقيقة إنما هو للفائزين فقط؛ ولذلك يعرف تفاوت الناس في رمضان باختلاف أحوالهم بعده.

فأهل التفريط لا يقدرون الشرع حق قدره في العيد حيث يجعلون العيد زمناً للهو والعبث والمعصية، ويعدونه فرجاً لهم من قيد الصيام في رمضان.

فبعد ما كان بعضهم يحافظ على الصلاة في أوقاتها يبدأ بتضييعها من أول ليلة من شوال. وبعد سماع القرآن صار أسير الألحان، وبعد معرفة سبل الخيرات ينهض لسلوك دروب المنكرات.

وحاله حال من قال الله فيه: { كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً }[النحل92].

فيا عقلاء الصائمين، ما بهذا أُمر الصائم، وما لهذا شُرع العيد، فلماذا كان رمضان، إذن؟! أهو زمان عبادة موسمية تنتهي هي وآثارها الحسنة في يوم التاسع والعشرين أو يوم الثلاثين؟!

أيها الصائمون، ومن الشعائر التي شرعت للصائم في نهاية صومه: صدقة الفطر؛ طهرة له من اللغو والرفث في رمضان، وطعمة للمساكين يوم العيد. وهي فرض على من ملك قوت يوم العيد وليلته على الصغير والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين، ومقدارها صاع من القوت المعتاد من بر أو أرز أو تمر أو ذرة أو نحو ذلك، وهذا الصاع يساوي كيلوين ونصف الكيلو تقريباً.

وأفضل وقت لإخراجها قبيل صلاة العيد، ويجوز تقديمها قبل ذلك بيوم أو يومين.

عباد الله، وإن كان رمضان على مشارف الوداع فإنه لم ينته بعد، ولم يخرج عنا جميعه، فما زال في أيامه ولياليه بقية خيّرة يمكن فيها عمل الكثير من البر.

فإذا ما تمت وبدا هلال شوال عند غروب يوم التاسع والعشرين من رمضان، أو غُم فأكمل رمضان ثلاثين يوماً فقد شُرع للمسلم أن يكبر الله تعالى عند إكمال العدة، فإذا فعل ذلك فلعله أن يكون من الشاكرين.

قال الله تعالى: { وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[البقرة185].

وصلوا وسلموا على النبي المختار....

# الناس بعد رمضان ([[483]](#footnote-483))

الحمد لله المعبود الحق في كل زمان ومكان، والشكر له على منته بإكمال عدة رمضان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان،، نبي الشريعة الدائمة، والرسالة الخاتمة، فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحابه أجمعين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، أولُ القول حمدٌُ جزيل لله تعالى على نعمة رمضان التي أنعم بها علينا فصمنا الشهر كاملاً، نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ما عملنا فيه من الخير، ويعفو عنا ما تجاوزنا فيه حدوده، فاللهم آمين.

عباد الله، لم يدم رمضان بيننا طويلا، بل ارتحل عنا سريعاً ومعه أعمالنا: صالحها وطالحها شاهداً بها على أهلها لدى خالقنا، فمن أساء فإساءته كبيرة، ومن أحسن فلا يدري أُقبل منه عمله أم رد عليه، ولكنا نسأل الله أن يعفو عنا وأن يتقبل منا صالح العمل.

فليست العبرة-معشر المسلمين- أن العامل عمل، ولكن العبرة كيف عمل العامل؛ فالله تعالى يقول: { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }[الملك2]. وأحسن العمل: أخلصه وأصوبه، كما قال بعض العلماء.

كان بعض الصالحين يقفون على أبواب وداع رمضان ومعالم الحزن على وجوههم بادية، وعلى ألسنتهم ناطقة، مع أنهم كانوا يجتهدون اجتهاداً قد لا نستطيعه. فهمهم الأكبر في إتمام العمل وإتقانه، ورجاء قبوله وخشية رده.

روي عن علي رضي الله عنه أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: "يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه، و من هذا المحروم فنعزيه؟"، و عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: "من هذا المقبول منا فنهنيه، و من هذا المحروم منا فنعزيه؟ أيها المقبول، هنيئا لك، أيها المردود جبر الله مصيبتك".

وقال علي رضي الله عنه: "كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً من العمل، ألم تسمعوا قول الله عز وجل: { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ }[المائدة27]؟".

وقال فضالة بن عبيد: "لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها؛ لأن الله يقول: { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ }[المائدة27]".

وقال بعضهم: " أدركتهم يجتهدون في العمل فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا؟!".

ورأى وهب بن الورد قوماً يعبثون حراماً بعد رمضان فقال: "إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين!".

أيها الناس، لقد كان رمضان كوكب إشعاع عم ضياؤه وهناؤه، ومورد خير لا تحصى فضائله وخيراته، فطوبى لمن شمله خيرُه وأدركه فضله، واستمر معه أثره الحسن في استقامة النفس وصلاحها؛ فرمضان- عند ذوي الهدى- شحنة إيمانية مدخرة لما بعد رمضان تملأ الحياة نوراً واستبصاراً، ومن ذاق طعم الإيمان ووصل شغاف قلبه صعبت عليه مفارقته.

أيها المسلمون، إذا اكتمل عقل الإنسان وبلغ بدأ تكليف الله له بفرائض يعملها ومحارم يتركها، ويبقى على هذا التكليف حتى يأتيه اليقين أي: الموت، قال تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }[الحجر99].

ولا يخرج عن هذا التكليف إلا بفقد ما أدخله فيه وهو ذهاب العقل والتمييز للأمور.

ليتبين بعد هذا أن فرائض الله تعالى على عباده إنما فرضت على الدوام، فإن أخصبت بعض المواسم الزمانية أو المكانية بمزيد المضاعفة وكثرة الطاعة فلا يعني ذلك انحصار تلك القرب في تلك الأزمنة والأمكنة الفاضلة.

إن المداومة على العمل الصالح دليل العبودية الصادقة، سواء كان ذلك العمل الصالح فرضاً أم نفلا، وهذا هو هدي نبينا عليه الصلاة والسلام، عن عائشة رضي الله عنها قالت

: (كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا عمل عملاً أثبته-يعني: جعله ثابتا غير متروك- وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة) ([[484]](#footnote-484)).

وهذه دعوة إلى أهمية الاستمرار على العمل الصالح، ولو كان قليلاً، فقليل دائم خير من كثير منقطع، كما قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) ([[485]](#footnote-485)).

و كان للمداومة هذه المكانة عند الله تعالى؛ لما للعمل الصالح المداوم عليه من الآثار الطيبة على المسلم بحيث يبقى متصلاً بالعبادة التي يصلح الروحَ استمرارها، ولعل الأجل يأتيه وهو فيه فيقبض على عمل صالح؛ فمن مات على شيء بعث عليه، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام ([[486]](#footnote-486)).

فالصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر إلا بالمواظبة عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، إن فلانا يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق؟ قال: ( سينهاه ما تقول ) ([[487]](#footnote-487)).

والتوبة لا ينال صاحبها محبة الله تعالى إلا إذا استمر عليها التائب، قال تعالى: { إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }[البقرة222]. فالتواب كثير التوبة.

والمسلم إذا كان كثير الدعاء في كل الأحوال: في السراء والضراء كان أقرب إلى الإجابة من غيره، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء) ([[488]](#footnote-488)).

أيها الأحبة الفضلاء، مما لا شك فيه أن المداومة على العمل الصالح ثقيلة على النفس، خاصة إذا هجم عليها صاحبها دون ترقٍ وتدرج؛ لأن النفس تحب الراحة والميل إلى الدعة؛ ولذلك كان على المسلم الذي يريد المواظبة على الطاعة أن يجاهد نفسه ويتدرج معها شيئاً فشيئاً حتى تألف العمل ويصبح لها سجية بعد ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( خذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لن يمل حتى تملوا)([[489]](#footnote-489)).

والجد والعزيمة الصادقة، وبُعد الهدف وسموه، والنظر إلى ما عند الله تعالى، ومعرفة حقيقة النفس ومجاهدتُها، عوامل مساعدة للإنسان على الاستمرار.

أيها المسلمون، يقول النبي صلى الله عليه و سلم لبلال رضي الله عنه:( يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعت خشف نعليك-أي: تحريك نعليك- بين يدي في الجنة ). قال ما عملت عملا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورا في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي) ([[490]](#footnote-490))، فالمداومة من بلال على هذا العمل جعله عنده أرجى أعماله رضي الله عنه.

وعائشة رضي الله عنها كانت تصلي الضحى ثمان ركعات وتداوم عليها وتقول: " لو نشرني أبواي على تركها ما تركتها". هكذا حب المداومة على العمل الصالح يصنع في نفس صاحبه.

عباد الله، ما أحسن ما كان، وما أقل ما خلف! غصت في رمضان المساجد، وكثر الراكع والساجد، والباكي والتالي، والذاكر والباذل ماله في الخير، فما لهذا الجمع بدأ يتصدع ويقل من بيوت الله تعالى ومن هذه الأعمال؟! أفبهذا أمرهم رمضان إذا أفل، أهكذا تظهر آثار رمضان؟!

ما لهذا جاء رمضان، وما على هذا أحب أن يفارق، أين عمار المساجد وأهل الجماعة، أين قراء القرآن، وأين الممسكون لألسنتهم وأهوائهم، لماذا تغيرت الحال وانقلب الواقع؟

لقد شكت بيوت الله-هذه الأيام- فراغها وقلة ارتيادها، وشكت المصاحف هجرانها، وضعف الإقبال عليها، فأين ذلك الإقبال المشهود في رمضان؟

من أمر بالصلاة-معشر المسلمين- في رمضان أمر بها بعد رمضان وقبل رمضان أيضاً.

ومن أمر بقراءة القرآن في رمضان أمر به في غير رمضان أيضا، ومن نهى عن محظورات الأعمال والأقوال في رمضان هو من نهى عنها في غيره.

نعم نحن لا ننكر أن لرمضان مزاياه وخصوصياته في النشاط والجد؛ بسبب الجو العام للطاعة، ولعدد الأيام المحدد من عمر السنة، ويظهر هذا خصوصاً في بداية رمضان، ورسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة ) ([[491]](#footnote-491)).

ولكن تلك الخصوصية لا تعني أبداً الترك بالكلية للطاعات والإقبال بالنفس على المعاصي بعد تولي شهر الخير.

ولا ريب أنه يحصل فتور ويعتري الإنسان خمول وقلة عمل، ولكن تلك الأحوال لا يجوز أن تصل بصاحبها إلى ترك الفرائض وركوب المحرمات؛ ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نهاية الحديث السابق: (فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك). وفي رواية لأحمد والبزار: (فمن كانت فترته إلى اقتصاد فلا يلام، أو فلا لوم عليه، ومن كانت فترته إلى المعاصي فأولئك هم الهالكون).

فالثباتَ الثباتَ -عباد الله- وإياكم الفتورَ المؤدي إلى ترك ما وجب وفعل ما حرُم. فمن هجم عليه الفتور والكسل في بعض المستحبات والنوافل فيرجى له حسن العودة، وأما من شرع في مساخط الله ومحارمه فالفطام عسر، والذنوب ودود ولود يجر بعضها بعضا

أيها المسلمون، من فاته فضل رمضان وخيراته لتقصيره أو تفريطه، وإضاعة لحظاته الغالية فيما لا ينفع أو فيما يضر فالخسارة كبيرة عليه.

غير أن ذلك لا يغلق أمامه أبواب الخير، فكم لله من باب مفتوح لا يوصد، ولا يعمِّي عليه طرق القربات ومسالكها، فكم من سبيل إلى الخير والقربة مشرع، ولا يقنطه ضياعه في رمضان من وجود فرص متاحة للاستغلال والاستدراك، ولا ييأس من رحمة الله وكرمه ويظن أن خسارته لا تعوض، وأن توبته لا تقبل، وأنه من الهالكين، لكن عليه أن يستأنف ويعزم ويبدأ بطرق باب الله بالندم والتوبة والعزيمة الماضية على المسابقة في مضمار الخيرات، والله ذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون.

وأما من أحسن فعليه أن لا يغتر بإحسانه، ولا ينظر إلى ما قدم بعين الرضا، ولكن لينظر كيف قدم. فمن نظر إلى نفسه وعمله بعين العجب فتر ودل بما فعل، وقد يؤول به الأمر إلى الترك والانقطاع، والإنسان لا يأمن على نفسه؛ فالقلوب بيد الله فقد ينقلب حاله إلى ما لا يحمد. والجوارح عرضة للخمول والفتور.

والغريب عن بعض المجتهدين في رمضان أن يفتر ذلك النشاط، ويذبل ذلك الجد لديهم، بل قد يصل الأمر ببعضهم إلى أن يتحول من طاعة إلى معصية، ومن قرب من الله إلى بعد عنه، وحال كهذه أسوأ ممن خسر رمضان واستأنف بعد مضيه أوبة ورجوعاً، وولدت له حياة معمورة بالندم وسرعة المبادرة إلى الخير.

فلا أحسن -يا عباد الله- من أن نستقل ما قدمنا وندعو بقبول ما عملنا، ونستغفر على ما فرطنا واقترفنا، ونواظب على ما وجب علينا فعله، وترك ما فرض علينا تركه، والله يثبت الذين آمنوا، ويوفق من صدقوا إلى لزوم الصراط المستقيم.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، ليس كل من شهد الصيام يجب عليه الصيام فورا؛ فقد يكون عنده عذر دائم كالهرِم والمريض مرضاً لا يُرجى شفاؤه، أو يكون عنده عذر طارئ كالحائض والنفساء والمريض مرضاً يُرجى شفاؤه، وكذا المسافر.

فهؤلاء قد يفطرون رمضان كله أو بعضه، ومن تيسير الله تعالى أن جعل رخصة في الفطر ومهلة للقضاء لذوي الأعذار.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } {أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[البقرة183-185].

عباد الله، من أفطر بهرم أو عجز دائم عن الصيام، أو به مرض لا يرجى شفاؤه ولا يستطيع معه الصوم، فهؤلاء ليس عليهم صيام، ولكن تجب عليهم الفدية، وهي إطعام كل واحد منهم مسكيناً عن كل يوم أفطروه من رمضان، ولا يشترط أن يكون الإطعام في رمضان، بل يجوز بعد رمضان، وإن كان الإطعام في رمضان أولى؛ براءة للذمة بتقديم حق الله تعالى، ولمضاعفة الأجر في رمضان.

إلا أن الهرِم الذي قد بلغ به كبر السن حد الخرف وعدم التمييز للأشياء فهذا قد خرج عن عهدة التكليف، وعليه فلا صيام في حقه ولا إطعام.

عباد الله، ومن أفطر بعذر يمكن زواله في رمضان أو بعده كالمسافر والحائض والنفساء والحامل والمرضع والمريض مرضاً يرجى شفاؤه فهؤلاء يجب عليهم قضاء ما أفطروه بعد رمضان.

ومن فاته صيام رمضان ومات قبل أن يتمكن من القضاء بأن مات وعذره قائم كالنفساء أو المريض الذي استمر مرضه وقبض عليه أو مات في رمضان فهذا ليس عليه شيء وليس على أقاربه قضاء عنه ولا إطعام. أما إن أفطر في رمضان بعذر شرعي وقدر على القضاء بعد رمضان ولم يقض فقد شُرع لأوليائه الصيام عنه أو الإطعام عن كل يوم أفطره مسكينا.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من مات وعليه صيام صام عنه وليه ) ([[492]](#footnote-492)).

أيها المسلمون، أما من أفطر في رمضان من غير عذر بالطعام أو الشراب أو الجماع أو الاستمناء فقد ارتكب إثماً كبيرا، ولكن لا يعني حصول الإثم ترك قضاء ما أفطره.

بل عليه أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفره، ويقضي الأيام التي أفطرها، ولعل بذلك محو سيئة إفطاره وتعديه حرمة رمضان، والله أعلم.

هذا وصلوا وسلموا على القدوة المهداة..........

# الثبات الثبات عبادَ الله ([[493]](#footnote-493))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا ه[[494]](#footnote-494)ادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، جاء في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفر فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه و سلم: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: ( إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه).

إن الإنسان في حياته الدنيوية مرمى لسهام الفتن المتنوعة، لا تمضي عليه واحدة إلا خلفتها أخرى، وقلوب بني آدم هي التي بها تبتلى وتختبر.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه) ([[495]](#footnote-495)).

عباد الله، إنه لا أضر من فتنة تميل المسلمَ عن الطريق المستقيم إلى سبل أهل الجحيم، فمن إسلام إلى ردة، ومن سنة إلى بدعة، ومن طاعة إلى معصية.

إن وقتنا الحاضر بتقنيته العالية، ووسائل اتصاله الحديثة قد جعلت أهل الأرض كأنهم يعيشون في غرفة واحدة من خلال الهاتف والقناة والانترنت، فسوقت العقائد المنحرفة، والأفكار الضالة فوصلت إلى البيوت، واختلطت البيئات بعد أن كان المسلمون لا يعرفون إلا بيئة الإسلام والسنة والطاعة.

أيها المسلمون، إن شيوع الانحراف عن الحق الذي يدعو إليه أهل الباطل عبر وسائل الإعلام المختلفة بالإغراء بالمال أو الجاه أو النساء قد أوجد تجاوباً لدى أصحاب القلوب الضعيفة من المسلمين فباعوا الدين والقيم الحميدة بعرض من الدنيا قليل من مال أو وظيفة أو شهوة عاجلة.

والواقع والأخبار تطلعنا على بعض ضحايا الشبهات والشهوات الذين وقعوا في شباك الكفر أو البدعة أو الخطيئة.

عباد الله، لهذه المظاهر ونحوها يشتد خوف المسلم على دينه واستقامته فيخاف على نفسه وأهله وأولاده من خطاطيف الضلالة التي تقف على الطرقات. لأجل هذا كان الحديث عن الثبات على دين الله تعالى من الأمور المهمة في هذه الأحوال المدلهمة.

إن أعظم نعمة-معشر المسلمين- أنعم الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق بها هي هدايته إلى الإسلام الخالص، وهذه النعمة تستوجب الشكر الجزيل، ومن شكرها: الثبات عليها مهما ادلهمت الخطوب، وتبهرجت دواعي الإغراء والترغيب.

فما هو الحق الذي يجب على الإنسان أن يثبت عليه؟

إن الحق الذي يطالب كل إنسان بالثبات عليه هو دين الإسلام الصافي الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من عند ربه تعالى، وبلغه أصحابه إلى الناس بعده.

وهو تصديق وانقياد، وعمل واعتقاد، وفهم وسلوك. فالحق ما كان عليه رسول الله وأصحابه. فمن خالف ذلك فليصحح ما هو فيه على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام. قال تعالى: {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ }[الأنعام90].

وقال تعالى: {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[البقرة137].

إخواني الكرام، إن موضوع الثبات على الحق موضوع ذو أهمية كبيرة؛ ولهذا تحدث عنه القرآن الكريم على صور شتى: فأحياناً بالدعاء به، قال تعالى: {وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }[البقرة250].

وقال: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }[آل عمران147].

وأحياناً يبين بعض أسباب الثبات على دين الله كالعمل بالموعظة والاستجابة لها بتنفيذ الأوامر والنواهي. قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً }[النساء66].

وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }[محمد7].

وأحياناً يذكر نماذج للثابتين ممن سبقونا على طريق الإيمان من الأنبياء وأتباعهم. فذكر لنا قصة إبراهيم عليه السلام وكيف ثبت على الحق حتى ألقي في النار، فكانت عليه برداً وسلاماً؛ جزاء ثباته وتضحيته.

وذكر لنا قصة موسى عليه السلام أمام فرعون وملائه وكيف نجاه الله من فرعون وجنده.

وذكر لنا ثبات سحرة فرعون بعد أن رأوا الحق فاستمسكوا به وثبتوا عليه مع وعيد فرعون وتهديده.

وذكر لنا ثبات أصحاب الأخدود الذين لم ترهبهم النار ذات الوقود. وغير ذلك من حديث الثابتين في القرآن الكريم. ليأتي التعليق بالحكمة من ذلك قائلاً: {وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ }[هود120].

أيها المسلمون، إن سيد البشرية محمداً عليه الصلاة والسلام هو سيد الثابتين على الحق وقد اجتمعت له دواعي النكوص ترغيبها وترهيبها، لكنه لم ينصع لها ولم يستجب لها بتثبيت الله إياه. رُغِّب في الدنيا ورئاستها، ورُهب بالبلايا وصروفها كي يرجع عن الحق. فوضع ذلك كله تحت قدميه ومضى في طريق الحق ثابتاً.

جاء إليه وفد قريش فقالوا: يا محمد، إن كنت إنما تريد بما جئت به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كنت تريد بما جئت به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً.. إلى آخر ذلك الإغراء، فما كان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الإعراض عن ذلك كله.

وقالوا له: ساحر، كذاب، شاعر، مجنون، ثم توعدوه بالقتل، وحاولوا ذلك مرات عديدة، لكن الله حال بينهم وبين ما يشتهون. قال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }[الأنفال30].

فلما رأى صحابته الكرام ثباته عليه الصلاة والسلام ثبتوا لثباته في حياته وبعد مماته، وربما ثبتهم بقوله عليه الصلاة والسلام. فلقد مر على آل ياسر وهم يعذبون فقال لهم: (صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة)([[496]](#footnote-496)).

وعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: ( كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون ) ([[497]](#footnote-497)).

وما هي إلا سنوات قليلة حتى مات رسول صلى الله عليه وسلم فظهرت بوادر الردة عند بعض القبائل فثبت الله المسلمين حينئذ بثبات أبي بكر الصديق رضي الله عنه والصحابة الآخرين رضي الله عنهم.

والحديث عن الثابتين بعد رسول الله إلى يومنا هذا يطول، واقرأوا –إن شئتم- عن ثبات عبد الله بن حذافة السهمي أمام ملك الروم، وعن ثبات أبي مسلم الخولاني أمام الأسود العنسي، وعن ثبات الأوزاعي أمام أحد الأمراء العباسيين، وعن ثبات الأمام أحمد في محنة خلق القرآن، وعن ثبات ابن تيمية، وابن الأمير الصنعاني والشوكاني أمام المبتدعين وأصحاب المذاهب المتعصبين.

أيها المسلمون، هناك أسباب عملية تساعد المسلم على الثبات على الحق عند ورود الشبهات والشهوات الصادة عن الحق. فمن ذلك:

كثرة الأعمال الصالحة والإخلاص لله فيها ومتابعة رسول الله في عملها. فالعمل الصالح الكثير إذا كان خالصاً صائباً يبعد المسلم عن الانتكاس والتراجع عن الدين الحق.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }[محمد7].

ومن الأسباب: العلم الشرعي النافع؛ لأن العلم القوي بالشريعة والعمل به يجعل المسلم في مأمن من هجوم الشبهات المضلة، والشهوات المزيغة.

ومن الأسباب: مجالسة الصالحين وملازمة المساجد وأهلها؛ لأن الجليس يتأثر بجليسه، قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً }[الكهف28].

عباد الله، ومن ذلك أيضاً: الحذر من وسائل الإعلام المنحرفة التي تضل الناس عقائدياً وأخلاقياً. فالقنوات التي تبث السحر والشعوذة، والرفض والطعن في الدين، وتنشر المجون وتشجع على الرذيلة وتدعو إليها، فلا تبح لعينك أو عيون أسرتك مشاهدتها فهي السم الزعاف.

ومن أسباب الثبات على دين الله: استشعار عظمة الله تعالى وقدرته ومراقبته، فمن كان الله عز وجل في قلبه عظيماً فلن ينحرف مع المنحرفين، ولن يزيغ مع الزائغين، وعلى قدر مراقبة الله وعظمته في قلب الإنسان يكون ثباته.

ومن أسباب الثبات على دين الله: الحذر من الانشغال بالدنيا والركون إليها ومتابعة شهواتها ولذاتها والتوسع في مباحاتها.

أيها المسلم، لا تجعل الدنيا لك دار خلود وبقاء، ولكن اجعلها دار تزود واستعداد. فكم من إنسان انحرف بسبب مال حصله، أو منصب سيق له، أوامرأة سلبت عقله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) ([[498]](#footnote-498)).

ومن أسباب الثبات على دين الله: تعلق قلب المسلم بالله تعالى، وأن كل شيء بيده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فإن جاء ترغيب بدنيا بشرط دفع ضريبة من الدين والخلق الكريم فدع ذلك، فما كان لك فسيأتيك، وما صرف عنك فهو خير لك. وإن جاء ترهيب لتتنازل عن مبادئ دينك الحق فلا تتنازل، فلن يصيبك إلا ما كتب الله عليك.

قال تعالى: { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ{173} فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران 173-174].

ومن أسباب الثبات على دين الله تعالى: كثرة ذكر الله وقراءة القرآن؛ فذكر الله تعالى إذا توافق القلب واللسان فيه اطمأن القلب. قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }[الرعد28].

وقراءة القرآن قراءة متأنية متدبرة مع معرفة معانيه ومقاصده وحدوده عون عظيم على الثبات. قال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }[النحل102].

أخيراً عليك أيها المسلم أن تقارن نعيم الآخرة الباقي الكامل بلهو الدنيا الذاهب الناقص؛ لتتضح لك الحقيقة. ولو حصّل الإنسان الدنيا كلها بمالها وجاهها وجميع شهواتها كم سيبقى فيها وما مصيره بعد انقضائها!

قال تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى }[الأعلى16-17].

وقال: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }[العنكبوت64].

نسأل الله أن يثبتنا على دينه، وأن يجعلنا مقتدين برسوله، وأن يتوفانا مسلمين، غير ضالين ولا مضلين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد المعبود، والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الثبات على دين الله تعالى مطلب كل مسلم صادق، وأمنيته الغالية التي يحب أن يخرج بها من الدنيا؛ لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

أخي المسلم، لا تأمن على نفسك، ولا تركن إلى ما عندك من العلم والعبادة، بل اجتهد في العمل والافتقار إلى الله ودعائه بالثبات، وقل: {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ }[آل عمران8].

وادعُ كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، ويا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك.

عن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه و سلم يكثر أن يقول: ( يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قال: فقلنا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: فقال: نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز و جل يقلبها) ([[499]](#footnote-499)).

وكيف آمن على نفسي وتأمن على نفسك وقد قال الله لسيد الثابتين: {وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً } {إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً }[الإسراء74-75].

عباد الله، إنها لنكسة عظيمة، ومصيبة كبيرة، أن يترك المسلم طريق الحق ليسلك طريق الباطل لشبهة عرضت له أو لشهوة انحرفت به، فكيف سيكون حاله وحياته لو حصل ذلك؟

كيف هجر محبة الله، ووصل محبة الشيطان! وكيف سلخ عنه السعادة ليلبس الشقاء!، وكيف نسي الجنة وما أعد الله تعالى لأهلها فيها ومضى في طريق الجحيم.

كم هو ندمه وحسرته، وكم هو عناؤه وشقوته إذا بعثر من في القبور وحصل ما في الصدور، وجمع الناس ليوم البعث والنشور.

فأصبح كالبازي المنتف ريشه... يرى حسراتٍ كلما طار طائر

وقد كان دهراً في الرياض منعّماً... على كل ما يهوى من الصيد قادر

إلى أن أصابته من الدهر نكبة... إذا هو مقصوص الجناحين حاسر

قال ابن القيم رحمه الله: " فيا من ذاق شيئاً من معرفة ربه ومحبته ثم أعرض عنها واستبدل بغيرها منها، يا عجباً له بأي شيء تعوض، وكيف قر قراره، فما طلب الرجوع إلى أحنيته وما تعرض، وكيف اتخذ سوى أحنيته سكناً وجعل قلبه لمن عاداه مولاه من أجله وطناً، أم كيف طاوعه قلبه على الاصطبار ووافقه على مساكنة الأغيار!!".

اللهم إنا نسألك الثبات على الحق حتى الممات، ونسألك أن تتوفانا وأنت راضٍ عنا يا رب العالمين.

هذا وصلوا على خير الورى...

# السفر إلى الدار الآخرة([[500]](#footnote-500))

الحمد لله الذي جعل الدنيا دار ممر إلى دار مقر, ومزرعةَ أعمال، وفرصة إمهال؛ لنتزود منها بصالح الأعمال إلى دار المآل.

أيام تمضي، وسنونَ تنقضي، وأعمار تنتهي، ولا يبقى إلا العمل بعد انقضاء الأجل سبباً للسعادة، أو للشقاوة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفضل على عباده بإرسال الرسل، وإنزال الكتب للبشارة والنذارة؛ لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل، و لئلا يقول الخلق: ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد جاءهم بشير ونذير.

وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله الذي أرسله الله بالجنة مبشراً، ومن النار محذِّراً، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- فالتقوى سبب كل هناء، وذهاب كل شقاء، فيا فرحة المتقين يوم لقاء رب العالمين، قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ }[القمر54-55].

أيها المسافرون في سفرة الحياة الدنيا، العابرون طريقَ المهلة القصيرة، يا من لا تزالون على السبيل سائرين، يوشك أن تصلوا.

كم من غافلٍ في هذه السفرة لم يفكر في وجهة سفره، وكم قد قطع في مسيرته، وكم قد بقي لاقتراب استيطانه ووصول غايته.

كم ذهب من الأيام فما اتعظ الأنام، وما استيقظ النيام، إلا عند مفاجأة الحِمام.

كم من حريص على بقاء دنياه فما بقيت له، ونهمٍ في جمع أعراضها وهي تعرض به عما ينفعه، وتعرِّضه لما يضره.

كم متمنٍ فيها قطعته أمانيه، فأوصلته إلى مهاويه.

والعجب أن يوقن الناس بالزوال وعدم البقاء في اعتقادهم وأقوالهم، ولكنَّ أفعالهم تأبى ذلك، فيستجمعون قواهم في بناء الزائل الفاني، ويهدمون بذلك الدائم الباقي.

عباد الله، يفكر الإنسان بأشياء كثيرة, ولكنه قليلاً ما يفكر بشيء واحد: قليلاً ما يفكر بالموت وحتمية الرجوع إلى الله، قال تعالى: {ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ }الأنعام62

إن الموت -معشر المسلمين- حقيقة سيذوقها كل حي، وثوب سيلبسه كل متحرك بحياة، لا مناص من لقائه, ولا وزَرَ ينجي من هجمته, قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }الأنبياء35

من تذكر الموت صغُرت الدنيا في عينيه، وكبرت فيهما الآخرة، فإن كان في ضراء وضيق انفسح أمله، وقل كدره، وهانت عليه مصائبه. وإن كان في سراء وسعة تنغّص عيشه، وقل تلهّيه, وانتبهت فكرته, وضعفت شهواته, فلم يركن إلى لذاته ومسراته؛ فهي عما قريب إلى زوال، وهو عما قليل إلى ارتحال. فما ذُكِر الموت في كثير إلا قلّله، و لا ذُكِر في قليل إلا كثّره.

أيها المسلمون، من جعل الموتَ نُصبَ عينيه استيقظت همته، واستعدت نفسه، وهيّأ زاد النجاة، وعُدةَ السلامة للملاقاة، فإن نزل به الموت قال: مرحباً بحبيب جاء على موعد.

و يا سعده يوم يسمع في تلك الحال ما جاء في حديث البراء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ( إن الملائكة لتقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح الطيبة، في الجسد الطيب كنت تعمرينه، اخرجي إلى رَوح وريحان، ورب غير غضبان) ([[501]](#footnote-501)).

قال الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }فصلت30.

أما الغافلون عن هذا المصرع المحتوم فما أشد ضرهم في ضرائهم، ومصيبتهم في مصائبهم ! انسدت عليهم آفاق الأمل وأظلمت في أعينهم المسالك، وتاهوا في مهامه البلاء من غير دليل أو مسلِّ مخفِّف.

وإن كانوا في نِعمٍ ومنح فليس لغفلتهم غاية، ولا لهوهم نهاية، يحسبون أنهم غير متحول عنهم نعيمهم أو زائل عنهم فرحهم ولهوهم.

فما حالهم حين يبغتهم هادم اللذات، وتنزل بهم سكراته، وتحل عليهم ألآمه؟! ماذا سيقولون، وكيف ينجون؟ إنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا، ويكرهون القدوم على الآخرة؛ لأن بضاعتهم مزجاة، وأيديهم من تقديم عمل مُنجٍ خالية.

قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ }السجدة12

أمة الإسلام، إن وراء الموت لدارين لا ثالث لهما هما: الجنة والنار, فيهما نهاية رحلة الدنيا، وموطناْ الاستقرار. وفيهما تحط الرحال، وتوضع عصا التسيار.

وفي تينك الدارين تظهر نتائج أعمال الدنيا، وتنكشف الأحوال على حقيقتها, وهناك الحياة التي لا موت بعدها، والعمر الذي لا أمد له، قال الله تعالى: { وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }العنكبوت64

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه. ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه. فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، و يا أهل النار، خلود فلا موت، ثم قرأ: {وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون}) ([[502]](#footnote-502)).

أيها الناس، الوجهة متضحة، والمصير بيِّن معلوم، ولكل دار عمل وزاد مطلوب, وسبيل مطروقة, وعلى كل طريق سالكون ولكل دار ملؤها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ولكل واحدة منهما-أي: الجنة والنار- ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط قط، فهنالك تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز و جل من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز و جل ينشئ لها خلقا ) ([[503]](#footnote-503))**.**

أيها المسلمون، ألا هل من منتبهٍ من رقاد الغفلة، ومتحرك من سكون الهمة، إن الأمر جِد وما هو بالهزل.

ألا فليسمعْ الآباقون عن سيدهم الرحيم، والشاردون عن ربهم الكريم، إن مولاهم يحذرهم من سخطه، وهم يسارعون إلى مساخطه، وينذرهم غضبه وهم يبتعدون من رحمته، أما وعواْ إنذاره وهو يقول: {فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى }الليل14.

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها) ([[504]](#footnote-504)).

إنها نار عظيمة، لا يحيا مُعذَّبوها فينجوا، ولا يموتون فيستريحوا، قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ }فاطر36

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: فإنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلها مثل حرها) ([[505]](#footnote-505)).

أين المفر لداخليها، وأين ملجئ ساكنيها, لا فكاك ولا نجاة من العذاب والهلاك، قال تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ }الهمزة8

يا حسرةَ المغلول حين يُغل، والمأخوذ يوم يؤخذ، والمسحوب عندما يُسحب، لا وليَ يواليه، ولا ناصر ينصره، قال تعالى:{ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ{30} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ{31} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ{32}[الحاقة 30-32].

وقال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً{64} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً{65} يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا{66}[الأحزاب 64-66].

وإلى أين المأخذ، وما هي دارالضيافة؟! إنها الهاوية، والنار الحامية، بعيدة القعر, شديدة الحر، منوعة العقاب والعذاب. لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.

عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه أنه خطب فقال: "قد ذُكر لنا أن الحجر يُلقى من شفة جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرِك لها قعراً، ووالله لتملأن، أفعجبتم؟!" ([[506]](#footnote-506)).

أيها الناس، إن أهل النار ليأكلون ويشربون ويلبسون, ولكن هل أكلوا ما يشبعهم من جوع, أو شربوا ما يرويهم من ظمأ، أو لبسوا ما يكسوهم من حر أو قر؟، الجواب: لا.

قال تعالى: { وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ }محمد15

قال تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ{43} طَعَامُ الْأَثِيمِ{44} كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ{45} كَغَلْيِ الْحَمِيمِ{46} [الدخان 43-46].

وقال: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ{19} يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ{20} وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ{21} كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ{22}[الحج 19-22].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه) ([[507]](#footnote-507)).

هذا -يا عباد الله- جزء يسير من العذاب الحسي لأهل النار، نسأل الله السلامة والعافية.

وأما العذاب المعنوي: فمنه:العتاب والتلاوم، والتحسر والآهات، والندامات والنداءات والاستغاثات المردودة عليهم.

قال تعالى: { تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ{104} أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ{105} قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ{106} رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ{107} قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ{108}[ المؤمنون 104-108].

وقال: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ }الزخرف77

وليس لهم بعد ذلك إلا الشهيق والزفير، أصواتهم تشبه أصوات الحمير: أولها شهيق وأخرها زفير. فيا شقاء من كانت النار منزله وموئله.

قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ }هود106 {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ }هود107. اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

عباد الله، وفي الجانب الآخر تتراءى للناظرين دار الكرامة وهي تزدهي بسكانها المصطفين، الذين نجوا من الخسران، وفازوا برضا الرحمن، ما أحسن عيشهم في تلك المنازل، وهم في غاية النعيم، ومنتهى السرور والحبور!

يُلقى على عتبات تلك الرياض النضرة عناء الدنيا وبؤسها، وتعب الحياة -التي فنيت- وشقاؤها.

ما ألذَّ ذلك الموقف يوم يقولون: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ }فاطر34 {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ }فاطر35

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط) ([[508]](#footnote-508)).

تلك المنازل أعدها الله لعباده الذين أطاعوه بالغيب ولم يروه. في الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى: ( أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ). قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم: { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين }) ([[509]](#footnote-509)).

دار وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها: (لبنة ذهب، ولبنة فضة، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه)([[510]](#footnote-510)).

أيُّ موكب أعظم من موكب المؤمنين وهم يُزفَون إلى أمنيتهم المنشودة، وطِلبتهم المقصودة، وأملِهم الذي طالما اشتاقوا إليه، وسهروا من أجل قطع المسافات حرصاً عليه، وتحملوا العناء والحزن حتى يحطوا رحال سفرهم الشاق فيه.

ما أشد سرورهم، ووفود التهنئة تستقبلهم على الأبواب تهنئهم بسلامة الوصول، وتفرش على طريقهم البشاشة بنيل المأمول، وتبشرهم بطيب الَمنزِل وكرم المُنزِل وراحة النازل، في أعلى المنازل، تقول: {سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ }الرعد24، وقال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ }الزمر73 {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ }الزمر74

على تلك الأبواب المفتّحة تدخل أول زمرة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألّوة، أزواجهم الحور العين, أخلاقهم على خُلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء.

فإذا ولجوها يتجه كل منهم إلى منزله الذي أُعد له، يهتدي إليه ولا يخطئوه كأنه ساكنه منذ خُلِق لا يستدل إليه بأحد.

قال تعالى:{وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ }محمد6, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا) ([[511]](#footnote-511)).

وهل ذلك المنزل كمنازل الدنيا؟ لا والله.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا) ([[512]](#footnote-512)).

عباد الله، والمؤمنون في تلك القصور المشيدة معهم أهلوهم وزوجاتهم المؤمنات اللاتي كن معهم في الدنيا، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ }الطور21

ويزيدهم الله من فضله فيعطي كل واحد من الرجال زوجتين من الحور العين اللاتي وصفهن الله في كتابه فقال: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ }الصافات48.

أيها المسلمون، إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ويلبسون ما يشاءون من غير حاجة إلى الذهاب للخلاء، ومن غير خوف على الثياب من البلى.

قال تعالى: {وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ }الواقعة20 {وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ }الواقعة21

وقال تعالى: {عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً }الإنسان21

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك، يُلهَمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس ) ([[513]](#footnote-513)).

وأن أهل الجنة -عباد الله- إذا دخلوها سلِموا من كل ألم وحاجة إلى شيء، فإن كانوا يأكلون في الدنيا لجوع ويشربون لظمأ، وينكحون لشبق ويلبسون لعري، فما في الجنة هذه الحاجات والضرورات, فأكلهم وشربهم ولبسهم ونكاحهم تنعّم لا احتياج.

معشر المسلمين، وإذا كان النعيم يتفاوت ويختلف فإن في الجنة لنعمياً إذا أدركه أهل الجنة نسوا كل نعيمهم فيها، ذلك النعيم الأكبر هو النظر إلى وجه الله الكريم.

فعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }يونس26، فقال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ألم يبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقرَّ لأعينهم)([[514]](#footnote-514)).

ألا يا عباد الله، اعلموا أن ما في الجنة أعظم من وصف الواصفين، وأبلغ مما يخطر في البال ويدور في الخيال.

قال تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }السجدة17

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المجتبى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى.

أما بعد:

أيها المسلمون، سكِرَ كثير من الناس بحب الدنيا ولم يصحُ إلا القليل الذين جدّوا في الارتحال، وخلفوا وراءهم ذوي الهمم الفاترة والعزائم الخائرة تتخطفهم الشياطين، ويستولي عليهم الهوى، وتلعب بهم أمواج الأماني حتى تُلقي بهم في ساحل الآخرة من الخاسرين.

فاحذروا -عباد الله- أن تكونوا منهم، وتزودوا من الدنيا بزاد ينجيكم عند مولاكم، وكونوا على يقين جازم أنكم لن تخلدوا في هذه الحياة؛ فالموت يطلبكم في كل لحظة.

فيا سعد َمن أتاه وهو على استعداد وأهبة, و يا شقاء من جاءه وهو في لهو وغفلة، طويل الأمل، سيء العمل، يرجو التأخير والإمهال حتى فجأه الموت فقطع أمانيه، وكشف له الحجب حتى رأى الحقائق, وأنزله من مراكب الأحلام والسلامة, إلى شاطئ اليقظة والندامة.

أيها المسلمون، لو أن عاقلاًَ فكر وتأمل فيما هو مقدم عليه لا محاله، لأعد للسلامة أماناً وزادا، ومن الهلاك وقاية وابتعادا؛ فإنه قبيح بالعبد أن ينسى أو يتناسى تلك النار المتقدة, وذلك السخط المستعر الذي أُعد لمن تنحى عن طريق الاستقامة، وخبَّ وأسرع في طريق الغواية فيا عجباه لعبد! يخاف النار وهو يقدحها بسوء عمله, ويشتاق إلى الجنة وهو يهرب منها بإعراضه وكسله.

يا سلعة الرحمن لست رخيصة... بل أنت غالية على الكسلان

يا سلعة الرحمن هل من خاطب... ولقد عرضت بأيسر الإثمان

يا سلعة الرحمن كيف تصبر الـ.... خطاب عنك وهم ذوو إيمان

عباد الله، لنكن مستعدين للسفر الصادق إلى دار الخلود بالمسارعة إلى مراضي الله، والإبطاء عن مساخطه، حتى إذا فاجأنا الموت أتانا ونحن ننتظره, فيا فرحةَ المسافر إلى أحبابه بقدوم المبشِّر بقرب الوصول إلى ذلك المأمول إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير.............

# الإسلام والنظافة ([[515]](#footnote-515))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا ه[[516]](#footnote-516)ادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن الإسلام جاء ليرقى بالإنسان ليعيش الحياة المنظمة المكرمة، فانتقل الإنسان في ظل هذا الدين الحنيف من العيش مع القذر والنجس إلى التعبد لله بالطهارة والنظافة. فدين الإسلام دين الذوق الرفيع والعيش الأنيق، ودين الصفاء والنقاء، والضياء والبهاء.

عباد الله، إن الجهل بالإسلام وضعف العمل بمبادئه وأحكامه وقيمه جعل الكافرين وبعض المسلمين الجاهلين أو الغافلين ينسبون تأخر المسلمين وانحطاطهم وقلة مدنيتهم إلى الأخذ بالإسلام. وأن تقدم أولئك الكفار وتطور حياتهم وتنظيمها عائد إلى كونهم غير مسلمين. ومن ذلك ما يتعلق بالنظافة؛ فإن كثيراً من الكفار قد اهتموا بتنظيف بيوتهم وشوارعهم وأماكنهم العامة أحسن من كثير من بلاد المسلمين. حتى يذكر أحد الطلبة المسلمين أنه كان يدرس في دولة غربية وكان على متن حافلة فألقى قرطاساً في الطريق فتبعتهم سيارة الشرطة إلى مسافة نصف ساعة ليرجع فيأخذ القرطاس الذي ألقاه في الطريق!.

لكن الناظر المنصف إلى أولئك الكافرين يجد أن نظافتهم مقصورة على نظافة ما تصل إليه عيون الآخرين. أما أجسادهم وملابسهم الداخلية فهي في غاية القذر والروائح الكريهة.

ومن المشاهد التي يجدها المسلم عند أولئك الكافرين فتجعله يحمد ربه على نعمة الإسلام: حبهم للقذارة ومداومتهم عليها عند قضاء الحاجة في استعمالهم للمناديل والأوراق بدل الماء. واسمعوا لهذا الحدث.

في عام 1963م في بريطانيا وبالتحديد في مدينة واندي حدث انتشار مرض التيفود بشكل مرعب للناس هناك، وفي النهاية اتفق أطباؤهم على إذاعة تحذير في مختلف وسائل الإعلام يأمرون الناس بعدم استعمال الأوراق في دورات المياه، واستبدالها بالماء؛ لوقف انتشار العدوى، وتمت محاصرة المرض بذلك، فتعلم الناس عادة جديدة لم تكن عندهم، وهي استعمال الماء عند قضاء الحاجة. فكيف لو علموا أن ذلك شرعه الإسلام قبل ألف وأربعمائة سنة!، فالحمد لله على نعمة الإسلام دين الصحة والنظافة والنقاء.

أيها المسلمون، إن دين الإسلام دين النظافة بكل أبعادها: النظافة الباطنة، والنظافة الظاهرة.

فالنظافة في الإسلام ليست لظاهر الجسد فحسب، بل هي للروح والقلب و النفس والعقل، والجوارح. نظافة معتقد ونظافة أعمال ونظافة أخلاق وسلوك.

فالإسلام يدعو إلى نظافة الروح من أدران الشرك والخرافة والتعلق بغير الله تعالى، فالكفر بالله، والالتجاء إلى غيره دنس لا ينظف إلا بالتوحيد والإيمان والتوكل على الله تعالى؛ ولذلك يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا }التوبة28].

ويدعو الإسلام إلى نظافة القلب من الرياء والكراهية المكروهة، ونظافته من الغل والحقد والحسد وسائر الأخلاق القلبية المقيتة. فالعمل لغير الله تعالى وزرع العداوة في القلب وتنميتها أوساخ تنظف بالإخلاص وحب المسلمين وإرادة الخير لهم.

ويدعو الإسلام إلى نظافة العقل من الأفكار والتصورات الخاطئة التي تخالف ما جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام. فالثقافات المشبوهة، والآراء المسمومة أدران خطيرة تنظف بالتصور الصحيح والتفكير المستقيم المضبوط بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ويدعو الإسلام أيضاً إلى نظافة الجوارح من الأخلاق المذمومة والمعاملات السيئة. فيدعو الإسلام إلى نظافة البطن من أكل الحرام بجميع طرقه من ربا أو رشوة أو غش أو خيانة. ويدعو إلى نظافة السمع من سماع قول الزور والكذب واللعن والسباب و آلات اللهو وسائر المسموعات الممقوتة. ويدعو إلى نظافة العين من النظر إلى ما حرم الله كالعورات والحرمات. ويدعو إلى نظافة اليدين من كسب الحرام أو الإنفاق فيه، ومن الظلم والبطش في غير الحق.

ويدعو إلى نظافة الرجلين من السعي بهما إلى مساخط الله كالذهاب للجرائم وهتك أستار المحارم. فهذه دعوة الإسلام إلى النظافة المعنوية، فالمسلم نظيف في معتقده وفكره، وفي أخلاقه وسلوكه، وفي معاملاته، وفي جسده وفي بيته وسوقه وعمله وفي حياته كلها.

عباد الله، إن الناظر في شريعة الإسلام الغراء يجد فيها مظاهر تدعو إلى النظافة الحسية، وإبعاد الأجساد وما اتصل بها عن الأوساخ والأدران، فمن ذلك:

أن الإسلام حرم على المسلم ما اشتمل على الأقذار من المأكولات والمشروبات والمنكوحات. فحرم عليه تناول الميتة وما لحق بها والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله؛ لما فيها من الجراثيم والأضرار.

قال تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ }[المائدة3].

وحرم عليه أيضاً شرب الخمر والمخدرات وسائر المسكرات؛ لما فيها من إذهاب العقل وإمراض الجسد وإفساد التصرفات.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[المائدة90].

سأل رجل النبي صلى الله عليه و سلم عن الخمر فنهاه عنها، فقال: إني أصنعها للدواء؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم: ( إنها داء وليست بدواء) ([[517]](#footnote-517)).

وحرم الزنا واللواط وإتيان الزوجة حال حيضها أو نفاسها؛ لما تجره هذه الأفعال الشنيعة من الأمراض والأوبئة، وقد كشف الطب الحديث عن تلك الأخطار المترتبة على تلك الجرائم.

أيها الأحبة، ونجد الإسلام من جانب آخر شرع شرائع وسنناً للنظافة والنقاء، فمن ذلك:

ما يتعلق بقضاء الحاجة، فقد شرع الابتعاد والاستتار عن الناس، وعدم التخلي في طريقهم أو ظلهم وموردهم وأماكن نزولهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل) ([[518]](#footnote-518)).

ونهى عن قضاء الحاجة في الماء الراكد؛ لما فيه من الاستقذار وتجميع الجراثيم.

عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم( أنه نهى عن أن يبال في الماء الراكد) ([[519]](#footnote-519)).

وأمر بالتنزه من البول، وبين النبي عليه الصلاة والسلام أن عامة عذاب القبر منه،

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم: أنه مر بقبرين يعذبان فقال: ( إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ) ([[520]](#footnote-520)).

وأمر بالاستنجاء بالماء لتنقية مكان القذر حتى لا تبقى للنجاسة ريح ولا عين ولا لون. وليكن ذلك بالشمال لا باليمين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام ومعنا إداوة من ماء يعني: يستنجي به) ([[521]](#footnote-521)).

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه ولا يتمسح بيمينه ) ([[522]](#footnote-522)).

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: ( ما رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج من غائط قط إلا مس ماء) ([[523]](#footnote-523)).

عباد الله، ومن مظاهر النظافة في الإسلام ما يتعلق بسنن الفطرة.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، والمضمضة) ([[524]](#footnote-524)).

وكل واحدة من هذه العشر لها حديث عجيب عند الأطباء بما فيها من النظافة وإزالة القذارة وحماية الجسد والحفاظ عليه مما يهدده.

ومن مظاهر النظافة التي شرعها الإسلام: الوضوء، هذه العبادة العظيمة التي تؤدى كل يوم أكثر من خمس مرات، فتكسب الجسد والروح النقاء والبهاء والوضاءة والحسن والرواء، وتزيل عن الجسم ملايين الميكروبات.

قال ابن القيم رحمه الله: "فتأمل محاسن الوضوء بين يدي الصلاة وما تضمنه من النظافة والنزاهة ومجانبة الأوساخ والمستقذرات، وتأمل كيف وضع على الأعضاء الأربعة التي هي آلة البطش والمشي ومجمع الحواس التي تعلق أكثر الذنوب والخطايا بها؛ ولهذا خصها النبي صلى الله علية وسلم بالذكر في قوله: ( إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك ولا محالة، فالعين تزني وزناها النظر، والأذن تزني وزناها الاستماع، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والقلب يتمنى ويشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه، فلما كانت هذه الأعضاء هي أكثر الأعضاء مباشرة للمعاصي كان وسخ الذنوب ألصق بها وأعلق من غيرها فشرع أحكم الحاكمين الوضوء عليها؛ ليتضمن نظافتها وطهارتها من الأوساخ الحسية وأوساخ الذنوب والمعاصي، وقد أشار النبي صلى الله عليه و سلم إلى هذا المعنى بقوله: ( إذا توضأ العبد المسلم خرجت خطاياه مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء حتى يخرج من تحت أظفاره) وقال أبو إمامة: يا رسول الله، كيف الوضوء؟ فقال: ( أما فإنك إذا توضأت فغسلت كفيك فأنقيتهما خرجت خطاياك من بين أظفارك وأناملك، فإذا مضمضت واستنشقت بمنخريك وغسلت وجهك ويديك إلى المرفقين ومسحت برأسك وغسلت رجليك إلى الكعبين اغتسلت من عامة خطاياك، فإن أنت وضعت وجهك لله خرجت من خطاياك كيوم ولدتك أمك) رواه النسائي، فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين ورحمته أن شرع الوضوء على هذه الأعضاء التي هي أكثر الأعضاء مباشرة للمعاصي وهي الأعضاء الظاهرة البارزة للغبار والوسخ أيضا وهي أسهل الأعضاء غسلا فلا يشق تكرار غسلها في اليوم والليلة).

أيها الأحبة الفضلاء، ومن مظاهر النظافة التي شرعها الإسلام: الاغتسال الواجب والمستحب، فالواجب الاغتسال من الجنابة ومن الحيض والنفاس، والغسل ليوم الجمعة على القول الراجح. والمستحب له أسباب كثيرة ذكرها الفقهاء كالاغتسال للعيدين وغيرهما. وهذا المظهر فيه نظافة عالية للجسد وإزالة أقذاره وإعادة لنشاطه وحيويته.

ومن مظاهر النظافة في الإسلام: النظافة في الطعام والشراب بما شرعه لنا من سنن وآداب، فمن ذلك:

اختيار الحلال دون الحرام، والبسملة في أوله والحمد في آخره، واستعمال اليمين، وأن لا يشرب من فم الإناء ولا يتنفس فيه.

ومن المظاهر كذلك: الأمر بتطهير الثياب واختيار أحسن الألوان وهو البياض. قال تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ }[المدثر4].

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم؛ فإنها من خير ثيابكم) ([[525]](#footnote-525)).

أيها المسلمون، هناك وسائل شرعها الإسلام للنظافة، وهي:

الماء، فالماء أكثر وسائل التنظيف وأجودها، وهو وسيلة فعالة لتنظيف البدن والثوب والمكان.

والوسيلة الثانية: الطيب، وهو وسيلة لإذهاب الروائح الكريهة، والظهور بالرائحة الطيبة، سواء كان في البدن، أم الثوب، أم المكان.

والوسيلة الثالثة: التتريب، وهو وسيلة تطهيرية لإزالة الأقذار والجراثيم من ولوغ الكلب في الإناء. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: (طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب ) ([[526]](#footnote-526)).

والوسيلة الرابعة: الدباغ وهو وسيلة تطهيرية للجلود لإذهاب ما فيها من نتن وقذر.

عباد الله، إن النظافة والحفاظ على النقاء سلوك جميل له فوائده وعوائده الطيبة، فمن ذلك:

أن النظافة عبادة من العبادات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه، والنظافة وسيلة للسلامة من الأقذار التي تمرض البدن وقد تقتله، فكم من ألم ووجع سببه قلة النظافة الشخصية أو العامة.

والنظافة وسيلة للحيوية والنشاط الذي يثمر العمل النافع والحركة لما يصلح دنيا الإنسان ودينه.

والنظافة مدعاة لمحبة الآخرين وتقديرهم، فالنفوس تنفر من أهل الأوساخ، والباعة النظيفون يقبل عليهم الشراة.

والنظافة تنمي العقل وتصفيه، وتجعله يفكر جيداً ويصدر القرارات بأناة وروية. والنظافة تبعث في النفس الاطمئنان والراحة والانشراح بخلاف القذارة التي تجعل النفس في كآبة وضيق وحرج وشراسة في الخلق.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ غنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن النظافة سلوك ديني، وسلوك حضاري رائع، وهي مسؤولية فردية وجماعية تبدأ من الذات، بالحفاظ على النظافة الظاهرة والمنظر اللائق.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس) ([[527]](#footnote-527)).

ثم بعد ذلك النظافة الأسرية في البيت وبين أفراد الأسرة، ثم بعد ذلك في المدرسة والعمل والشارع والسوق.

وعلى المدرسة والإعلام وأماكن التوجيه أن يعنوا بالدعوة إلى الحفاظ على هذا الأدب الإسلامي والإنساني عبر برامج وأعمال مختلفة؛ لتجعل الموضوع حاضراً حياً في الذهن والواقع العملي.

وعلى المجتمع كله في أي مكان نزل أن تكون النظافة عنده ثقافة ملازمة وعملاً يمارسه في كل أعماله وتحركاته حتى تنشأ الأجيال على هذه الثقافة النافعة التي تلامسها وتسمعها وتتربى عليها.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية....

# الغضب بين الذم والمدح ([[528]](#footnote-528))

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1 ].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (أوصني، قال: لا تغضب، فردد مراراً، قال: لا تغضب).

أيها الناس، إن نبينا عليه الصلاة والسلام هو طبيب الأمة الذي يعرف كيف يداوي مرضى الأرواح والأخلاق السيئة. فهذا الرجل المستوصي أبصر عليه النبي صلى الله عليه وسلم سحائب الغضب تعلو وجهه، فرأى أحسن وصية تسدى إليه أن ينهاه عن الغضب.

إن الغضب-أيها الأخوة- نزوة شيطانية، وصفة عدوانية، والإنسان ينزع فيه عند الغضب عرق إلى الشيطان الذي قال: خلقتني من نار وخلقته من طين.

فالغضب شعلة من نار، ومن شأن النار الاشتعال، والحركة والاضطراب، والتلظي والالتهاب.

وحقيقة الغضب-كما يقول بعض علماء السلوك- غليان دم القلب لطلب الانتقام، فمتى غضب الإنسان ثارت نار الغضب ثوراناً يغلي به دم القلب، وينتشر في العروق، ويرتفع إلى أعالي البدن كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر؛ ولذلك يحمر الوجه والعين والبشرة، وكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة الدم التي تحكي الزجاجة لون ما فيها.

أيها الأحبة، إن الغضب خلق ذميم، ومسلك غير قويم، وقد أصبح لدى بعض الناس سمة بارزة في شخصيته، ومرافقاً ملازماً في حياته. ففي بيته قطوب الجبين، عابس الوجه، مرفوع الصراخ، ضيقٌ بأهله وأولاده وهم كذلك. فأين هذا من خلق النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان أباً رحيماً وزوجاً كريماً الذي يقول: ( خيركم خيركم لأهله، وأنا من خيركم لأهلي ) ([[529]](#footnote-529)).

وإن خرج هذا الغضوب إلى عمله فإنه بعيد عن الناس وهم بعيدون عنه؛ اتقاء لشره، وسوء أخلاقه، و(إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم([[530]](#footnote-530)).

هذا الغضوب تنقدح نار غضبه بأدنى مؤثر، فيلقي بشرره على غيره بدون تعقل وتفكر.

أيها المسلمون، هناك من الناس من هو معجب بنفسه، مزهو بما عنده من مال أو جاه أو قوة، فإذا عومل بأقل مما يريد سل سيوف غضبه وتهجمه على من لم يرفعه إلى المعاملة التي يرومها، خصوصاً إذا كان المغضوب عليه أقل شأناً وحالاً.

إن الإفراط في المزاح والدعابة-بدون حدود وضوابط- قد يشعل فتيل الغضب بين المازحين، والكلمة تجر أختها فربما جاوزت الخطوط الحمراء.

وكذلك الفهم الخاطئ للشجاعة والرجولة والقوة يولد حب الغضب والتطبع عليه والتباهي بالاتصاف به، فأكثر الجهال عقلاً وفهماً يسمون سرعة الغضب شجاعة ورجولية، وعزة نفس وكبر همة وقدرة على السيطرة. فاستحسنه هؤلاء الجهال خاصة إذا ذكر الآكابر في الدنيا وأنه من أخلاقهم.

ومن الخطأ الكبير أن صار معروفاً بين الناس أن الأب لا يكون مسموع الكلمة في البيت إلا إذا كان غضوباً. والزوج لا يكون قوي الشخصية مع أهله إلا إذا كان شديد الغضب. والمدير لا يكون مهاباً بين الموظفين وناجحاً في إدارته إلا إذا كان من أهل الغضب والعبوس، لا يعرف إلا قانون العقوبة ونظام الشدة ولم يع أن الإدارة الناجحة إنما تكون بالحب وحسن المعاملة من غير ضعف أو غفلة، مع الأخذ بالغضب والشدة في ظرفها المناسب.

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى... مضر كوضع السيف في موضع الندى

عباد الله، إن الغضب الشديد خلق ذميم، يجر على صاحبه وعلى الناس أضراراً كثيرة.

فالغضب مرض خُلقي تظهر آثاره على الباطن بالحقد والحسد والكراهية، وعلى اللسان بالسب والشتم والقذف، وعلى اليدين بالبطش والانتقام. بحيث يصدر عن صاحبه تخبط في الحركات، واضطراب في الأقوال والقرارات.

قيل: إنه مكتوب في حكمة داود: " يا داود، إياك وشدة الغضب؛ فإن شدة الغضب مفسدة لفؤاد الحكيم".

إن الغضب-معشر المسلمين- بوابة لدخول الشيطان على الإنسان والتحكم فيه.

قال الحسن البصري رحمه الله: " أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان: من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب".

عباد الله، إن الغضب الشديد ليس من أخلاق الرجال الكاملين، وأهل الفضائل العاقلين، وإنما يتخلق به أهل اللؤم والعجز والنقص والضعف، فيعوضون عن عجزهم بسرعة غضبهم، ومما يدل على ذلك: أن المريض أسرع غضباً من الصحيح، والمرأة أسرع غضباً من الرجل، والصبي أسرع غضباً من الرجل الكبير، والشيخ الضعيف أسرع غضباً من الكهل، وصاحب الخلق السيئ والرذائل أسرع غضباً من صاحب الخلق الحسن ومحامد الفضائل.

ولذلك لا يملك نفسه عند الغضب إلا الإنسان العاقل القوي في نفسه وخلقه، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ( ليس الشديد بالصُرَعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ) ([[531]](#footnote-531)).

قال بعض الحكماء لابنه: " يا بني، لا يثبت العقل عند الغضب، كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة، فأقل الناس غضباً أعقلهم".

أيها الأفاضل، إن الغضب يقضي على راحة الإنسان وسعادته وصحته إذا ما استبد به واستحكم على عقله، فيغطي الغضب على حواسه، ومعاقل تصرفاته، فيصير أعمى في صورة المبصرين، وأصم في صورة السامعين، ومجنوناً في صورة العاقلين. ولو رأى الغضبان صورته حال غضبه بعد ذهاب غضبه لاستعاذ منها.

وكما أن الغضب مضر بالعقل والبدن فإنه مضر بعبادة الإنسان وأحكام معاملاته أيضاً.

قال بعض العقلاء: " اتقوا الغضب؛ فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصَبِر العسل".

كتب أبو بكرة رضي الله عنه إلى ابنه بسجستان: أن لا تقضي بين اثنين وأنت غضبان؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان) ([[532]](#footnote-532)).

ومن هذا الحديث الشريف يستفاد أنه لا يجوز القضاء والحكم ولو بين الأولاد والتلاميذ حال الغضب؛ خشية الوقوع في الظلم ومآرب النفس الغضوب؛ لأن الغضب يذهب الفكر الصائب والنظر الثاقب.

كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى أحد عماله: "أن لا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه".

أيها المسلمون، ها هو الغضب قد مثل أمامنا وحشاً كاسراً يفترس عقولنا وحسن تصرفاتنا، ويجر العقل إلى المهالك، وينحرف به عن أسلم المسالك، ويقرع البدن حتى يهده ويصيبه بالإعياء والعناء، ولم يكتف بذلك حتى أخرج العالم عن علمه، وجهّله في حكمه، وأبعد الحليم عن حلمه، وأسلمه إلى جهله وطيشه.

فلهذا كان لابد أن نبحث لهذا الداء عن دواء وشفاء، مع علمنا أن الغضب صفة طبعية في الإنسان، لا يمكن أن تزال عنه. لكن المقصود أن لا ينجر المسلم وراء الغضب، وأن لا يستجيب لدواعيه ومثيراته.

فإذا غُلِب الإنسان فعلاه الغضبُ فهناك أدوية مسكنة ومخففة تصرف الغضب عن الغضبان؛ لئلا تصدر عنه أعمال لا تحمد شرعاً وعقلاً.

فمن تلك الأدوية: الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم؛ لأن الغضب نزوة شيطانية.

فقد استب رجلان عند النبي صلى الله عليه و سلم فغضب أحدهما فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير فقال النبي صلى الله عليه و سلم: ( إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد ). فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبي صلى الله عليه و سلم وقال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: أترى بي بأساً! أمجنون أنا! اذهب. ([[533]](#footnote-533)).

ومن الأدوية: السكوت عند الغضب، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (علموا ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت) ([[534]](#footnote-534)).

ومما يداوى به الغضب: الوضوء أو الاغتسال؛ لأن الغضب حرارة وتلهب، ولا يطفئ ذلك إلا الماء البارد، جاء في الحديث: ( إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) ([[535]](#footnote-535)).

عباد الله، ومن علاج الغضب: أن يذكر الغضبان ربه عز وجل، قال تعالى: { وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ }[الكهف24].

قال عكرمة تلميذ ابن عباس: "إذا نسيت أي: إذا غضبت، فيدعوه ذلك إلى الخوف منه".

وذكر في التوراة: يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب".

ومن علاج الغضب: أن يتفكر الغضبان في النصوص الواردة في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال، فيحجزه ذلك عن التشفي والانتقام.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: ( من كظم غيظاً - وهو قادر على أن ينفذه - دعاه الله عز وجل على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور ما شاء) ([[536]](#footnote-536)).

كان لأبي الدرداء رضي الله عنه مولى يرعى له الغنم فجاءه وقد كسر رجل شاة من شياهه، فقال: من كسرها؟ قال: أنا فعلته عمداً لأغيظك فتضربني فتأثم، فقال: لأغيظن من حملك على إغاظتي-أي: الشيطان- فأعتقه.

ومن العلاج أيضاً: تغيير الحال التي كان عليها الغضبان، فإذا كان قائماً فليجلس، وإذا كان جالساً فليضطجع.

عن أبى ذر قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: ( إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع) ([[537]](#footnote-537)).

ومن العلاج كذلك: أن يتذكر الإنسان ما يؤول إليه الغضب من الندم، ومذلة الانتقام، وذل الاعتذار. وقد قيل: " إياك وعزة الغضب؛ فإنها تفضي إلى ذل الاعتذار".

قال جعفر الصادق رحمه الله: " ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }[الأعراف199].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

أيها المسلمون، هناك نوع من الغضب مطلوب من المسلم أن يتصف به، وهو مأجور عليه، بل قد يدخل ضمن الواجبات، وهذا هو الغضب المحمود إما لجهته التي يستحقها أو لزمانه الذي يكون فيه.

ولذا فإن الغضب صفة من صفات الله تعالى على ما يليق به سبحانه وتعالى.

فقد غضب الله عز وجل على من عصى أمره وارتكب نهيه من الكفار على اختلاف أصنافهم.

قال تعالى: {مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[النحل106].

ومن هؤلاء الكفار: المنافقون. قال تعالى: {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً }[الفتح6].

ومن الكفار: اليهود. قال تعالى: { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ }[البقرة61].

أيها المسلمون، إن المعاصي سبب من أسباب غضب الله على صاحبها، وهناك ذنوب اشتد غضب الله على أهلها أكثر من غيرها، فمنها:

إيذاء الأنبياء بالأقوال أو الأفعال، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه - يشير إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله صلى الله عليه و سلم في سبيل الله ) ([[538]](#footnote-538)).

ألا يشتد غضب الله-يا عباد الله- على قوم يصورون رسول الله في صور تدعو إلى السخرية والتنقص، كما حصل في أوروبا وفي صحيفة مصرية؟!.

ألا يشتد غضب الله على قوم يطعنون في فراش رسول الله وعرضه برمي زوجته الطاهرة العفيفة وأحب نسائه إليه رضي الله عنها؟!. بلى.

وممن يشتد غضب الله عليه: من يقتل النفس المؤمنة من غير حق.

قال تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً }[النساء93].

ويشتد غضب الله على من يأخذ مال مسلم بغير حق.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من حلف على يمين صبر -وهو فيها فاجر- يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان ) ([[539]](#footnote-539)).

عباد الله، إن غضب الله تعالى لا يعظم إلا على من عظم جرمه وقبح فعله؛ لأن الله تعالى أرحم بالعباد من أنفسهم.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي ) ([[540]](#footnote-540)).

وإنما أخبرنا الله تعالى عن غضبه حتى لا نقع فيه.

ولهذا كان من هدي رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يستعيذ من غضب الله فيقول: (اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك) ([[541]](#footnote-541)).

أيها الأفاضل، هناك أشياء تستثير من الإنسان السليم كوامن الغضب وتدعوه لاعتناقه والمضي معه؛ غيرةً لله تعالى وانتصاراً لدينه وأوليائه.

أنشد النابغة الجعدي أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ولا خَيْرَ في حِلْم إذا لم يكن له... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَه أن يُكدَرَا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له... حَليمٌ إذا ما أَوْردَ الأمرَ أَصْدَرَا

فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لأن من فقد الغضب في الأشياء المغضبة حتى استوت حالتاه قبل الإغضاب وبعده فقد فقد من فضائل النفس: الشجاعةَ والأنفة والغيرة والدفاع عن الحقوق المعنوية.

عباد الله، إن المسلم الحر لما يرى محارم الله تنتهك، وحقوقه تستباح، وحدوده تضيع، كيف لا يغضب!

وحينما يشاهد شريعة الله يُتلاعب بها بين مطرقة الديموقراطية وسندان الدولة المدنية كيف لا يغضب!

وعندما يرى حقوق المسلمين يستهان بها وكرامتهم تداس وتلقى، كيف لا يغضب!

وحين يرى كثيراً من القوى تعين الظالم، وتتخلى عن المظلوم ليسحق ويباد ويسلب الحياة كيف لا يغضب!.

إذا لم تغضب أيها المسلم في هذه الأحوال فمتى ستغضب!!

أيها المسلمون، إن موسى عليه السلام عندما خرج للقاء ربه ورجع فوجد قومه قد عبدوا العجل، غضب لله من أجل هذا الفعل الشنيع. ولشدة غضبه ألقى الألواح من يده وفيها هدى ونور. قال تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }[الأعراف150]. فيا أيها المسلمون، علينا أن نكون حكماء حلماء، غيرى على حرمات الله تعالى، نغضب في موضع الغضب، ونحلم في نوضع الحلم. وهذه هي الحكمة.

قال تعالى: {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }[البقرة269].

هذا وصلوا وسلموا على القدوة المهداة...

# الطلاق الممنوع والطلاق المشروع ([[542]](#footnote-542))

الحمد لله الذي عمّ كلَّ شيء علُمه وقضاؤه، ووصل إلى عباده فضله وعطاؤه، لا تُحصى آلاؤه، ولا تُعدّ نعماؤه، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتنزهت علياؤه، تسبح بحمده أرضه وسماؤه.

أُزجي إليك ربي، حمداً كثيراً قاصراً عن بلوغ حق حمدك ومجدك، وشكراً جزيلاً يعجز عن الوفاء بمكافأة فضلك ورِفدك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تفرّدَ بالخلق والملك والتدبير، واستحق الإفراد بالعبادة والقصد والتقدير، وتعرّف إلى عباده بجلال ذاته، وكمال صفاته، وجميل فعاله، وسعة إفضاله، فسبحانه ما أعظمه وأكرمه، وما أرحمه وأحلمه!

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل من ذكر ووحّد، وتبّتل وتعبّد، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين، وأتباعه المقتفين، وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، وسلم تسليما.

أما بعد:

فاتقوا الله-عباد الله- فتقوى الله بها السعادة والفلاح، والظفر والنجاح، واليُمن والنجاة، والطمأنينة والحياة، فحُقَّ للتقوى أن تكون وصيةَ رب العالمين إلى الأولين والآخرين، كما قال تعالى: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيّاً حَمِيداً }[النساء131].

أيها المسلمون، نتحدث اليوم عن قضية كم بكت لها عيون كانت قريرة، وحزنت لها قلوب كانت مسرورة. قضية كم فرقت بين أرواح كانت متداخلة، وأجساد كانت متآلفة، وباعدت بين أُسر كانت متقاربة متعاونة، فغدت متباعدة متقاطعة.

إنها كلمة تصل إلى الأسماع كالقذيفة لها شظايا تصيب أشخاصاً كثيرين.

هذه القضية كانت قبل عقود من الزمان حالة نادرة، لكنها في أيامنا هذه أصبحت ظاهرة منتشرة. إحصائياتها مهولة تهدد المجتمعات، خاصة المتحضرة منها.

هذه القضية هي قضية الطلاق. وليس الطلاق المشروع والحل، ولكنه الطلاق الممنوع المستعجل الذي يصير مشكلة بدل أن يكون حلاً.

في إحدى الدول العربية كانت آخر إحصائية في سنة من السنوات عن حالات الطلاق أنه بلغت نسبة الطلاق فيها: 35% من إجمالي حالات الزواج.

وفي دولة أخرى بلغ عدد الزيجات في تلك السنة (70) ألف حالة، وفي المقابل كانت حالات الطلاق قد بلغت (13) ألف حالة في تلك السنة.

عباد الله، إن حصول الطلاق بين الزوجين ظاهرة طبيعية متعارف عليها بين الأمم كالفراعنة والبابليين والأشوريين والهنود والبوذيين والرومان والصينيين واليونانيين وعند اليهود والنصارى. وكذلك عندنا نحن المسلمين.

غير أن الطلاق في تلك الأمم والديانات تختلف أسبابه التي تشرعه، ويختلف في عدده وفي الجهة التي لها الحق فيه، وفي الآثار الحكمية المترتبة عليه.

والمطلع على مسألة الطلاق في تلك الأمم والديانات-غير السماوية- يجد بُعده عن العدل والعقل وعن المصلحة ودفع الضرر.

أما في ديننا الذي هو دين مراعاة المصالح ودفع المضار فالطلاق مضبوط بأحكام وآداب يراعى فيها تحصيل المصلحة ودفع المضرة. فهو في الإسلام آخر الحلول لمشكلات لا تحل إلا به، ولم يشرعه ليكون مشكلة جديدة. ولذلك تأملوا معي هذه الآيات الكريمة التي تعالج الخلاف بين الزوجين أين كان موضع الطلاق في ذكر الحلول التي أوردتها.

قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً{34} وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً{35}[النساء34-35].

وقال: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً{128} وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً{129} وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعاً حَكِيماً{130}[النساء 128-130].

فذكر اللهُ من وسائل الحل عند نشوز الزوجة: الموعظة، ثم الهجر في المضجع، ثم ضرب التأديب، ثم الصلح، ثم ذكر بعد ذلك الطلاق.

ولذلك قال بعض الفقهاء: إن الطلاق تدور عليه الأحكام الخمسة، فقد يكون مباحاً، وقد يكون واجباً، وقد يكون مستحباً، وقد يكون حراماً، وقد يكون مكروهاً.

أيها الأخوة الكرام، إن حديثي اليوم عن ظاهرة كثرة الطلاق إنما جاء من كثرة إيقاعه من غير تروٍ وأناة، ومن كثرة تلاعب بعض الناس في هذه الرابطة الوثيقة.

بحيث صار الطلاق سلاحاً بيد بعض الأزواج يهدد به الزوجة متى شاء، حتى تعيش الزوجة حين ذلك حياة يشوبها القلق والخوف.

معشر المسلمين، إن مصير الطلاق ظاهرة في المجتمعات نتيجةٌ مُرّة لها أسبابها التي أدت إلى ذلك. ومجمل هذه الأسباب-التي سيأتي ذكرها- ترجع إلى سببين رئيسين هما: عدم إقامة هذه الرابطة على الآداب الإسلامية، وعدم الفهم الصحيح للحياة الزوجية.

إن من تلك الأسباب التفصيلية: التقصير في اتباع هدي الإسلام في هذا الباب قبل حصول الزواج، ومن ذلك: ترك البحث عن الخلق والدين من الزوج ومن أقارب الزوجة.

فبعض أولياء النساء لا يهمهم سلوك الخاطب واستقامته، إنما يهمه حظه من الدنيا من مال ووظيفة فقط، وبعض الخاطبين أيضاً لا يبالي بحسن سيرة المخطوبة و التزامهما، إنما ينظر إلى الجمال والأسرة والوظيفة فحسب.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها، وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك ) ([[543]](#footnote-543)).

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) ([[544]](#footnote-544)).

ومن التقصير قبل الزواج: عدم السماح للخاطب أن يرى مخطوبته، وللمخطوبة أن ترى خاطبها. والإسلام في هذه المسألة وسط بين المتشددين الذين لا يسمحون لأحدهما أن يرى الآخر والمتساهلين الذين يسمحون لموليتهم أن تخلو بخاطبها وأن تخرج معه وتتصل به، وكلا الأمرين خطأ.

والصحيح جواز رؤية الخاطب من مخطوبته ما يدعوه إلى نكاحها: إلى الوجه والكفين على الصورة الطبيعية.

فعن المغيرة بن شعبة: أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه و سلم: ( انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما) ([[545]](#footnote-545)).

فالخاطب الذي لم ير مخطوبته قبل العقد قد يفاجئ بامرأة لا توافق رغبته؛ ولذا قد يطلقها في الأسبوع الأول من الزواج، وإن بقيت بقيت على كُره سرعان ما يهجم عليها الطلاق.

عباد الله، قد يكون من الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق: ضعف معرفة كل من الزوجين لدوره في الحياة الزوجية. فالزوج عليه واجبات لزوجته يؤديها إليها، وله حقوق على زوجته تؤديها إليه، وهكذا الزوجة. والجهل بمعرفة ذلك قد يسوق إلى الطلاق.

ومن ذلك: نسيان الزوج أن زوجته أمانة في عنقه بالعقد الذي عقده، أخذها من بيت أهلها عزيزة كريمة مسرورة؛ ليكرمها ويحافظ عليها ويبني معها أسرة صالحة.

ومن ذلك: غياب اتصاف بعض الزوجات بصفات الزوجة الصالحة التي ذكرها الله تعالى بقوله: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ }[النساء34]. فبعض الزوجات غير مطيعات لأزواجهن، وغير حافظات لأنفسهن ولأموال الأزواج.

ومن الأسباب: متابعة الأفلام والمسلسلات ومواقع النت والاشتراك في الدردشات، ونحو ذلك. وهذه الأمور قد يجد فيها كل من الرجل والمرأة من هو أجمل مما عنده، ويرى أن السعادة توجد في العلاقات المحرمة خارج الحياة الزوجية، أو تخيل لهما المسلسلات أن الحياة الزوجية كلها حب وغرام فقط، وليس هناك مشكلات أو مكدرات في الحياة الزوجية، فيظنان أن ذلك الخيال الكاذب المشاهد يمكن تطبيقه في واقع الحياة. فقد يحصل بعد هذا مقارنة من الزوجين بين ما يشاهدان أو يتواصلان تواصلاً محرماً كل مع غير قرينه وبين واقعهما الزوجي فيجدان ذلك الجو الرومانسي مفقوداً فيؤدي ذلك إلى الكراهية فالطلاق.

وأنت تعرف أيها الزوج وتعرفين أيتها الزوجة أن الأمور المشتركة بين الشركاء لابد أن يحصل فيها شيء من الخلاف والنزاع، والعقلاء من الشركاء من يعالجون تلك الخلافات قبل أن تستفحل، والحياة الزوجية هي نوع عظيم من أنواع الشراكة يحصل فيها الاتفاق والاختلاف. لقد أجرت جامعة مصرية في سنة من السنوات إحصائية لنتائج الزيجات التي قامت على الحب قبل الزواج فكانت النتيجة أن أكثر من 80% آل إلى الطلاق. فليعتبر من كان مغرورا.

ومن الأسباب: الاستعجال وعدم التثبت والتأني. فإذا جاءه خبر عن زوجته أو رأى منها ما لا يعجبه سارع إلى الطلاق بدون مقدمات. وهناك من الأزواج من صار الطلاق على لسانه ليله ونهاره في جده وهزله. إذ لا يحلف إلا بالطلاق، وإذا أراد أن يمنع زوجته من شيء قال: إن فعلت فأنت طالق، أو إن لم تفعلي فأنت طالق. والطلاق المعلق من أخطر أنواع الطلاق؛ لأنه لا يمكن تلافيه. وقد يقع الشرط من الزوجة فتطلق وهي لا تشعر وقد يشعر الزوجان بذلك لكن يتساهلان في الأمر فربما جرت المعاشرة بينهما بعد ذلك على الحرام؛ إ ذ تصير الزوجة لا تحل لزوجها لوقوع الطلاق بالشرط.

ومن الأسباب كذلك: طلب بعض النساء الطلاق لأسباب لا تستدعي هذا الطلب، وهذا لا يجوز في هذه الأحوال؛ لأن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ( أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة ) ([[546]](#footnote-546)). وهذا وعيد شديد لكل زوجة طلبت الطلاق من غير سبب صحيح.

أيها المسلمون، إن ظاهرة الطلاق المستعجل تحتاج إلى علاج ينبغي للزوجين أن يتناولاه، كل حسب ما عنده من الأسباب السابقة؛ ولذلك فإن طرق معالجة هذا الداء أن تُتجنب الأسباب السابقة التي ذكرناها، ويضاف إلى ذلك: أن يعلم الزوج أن بدأ الكراهية ليس مسوغاً للطلاق، فالمرأة إنسان له عيوبه مثل الرجل كذلك، فليس هناك من شخص كمل في صفاته الحميدة وأداء ما عليه من واجبات فالتغاضي والصبر وعدم الاستقصاء بلسم شاف.

قال تعالى: { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً }[النساء19].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضى منها آخر) أو قال: (غيره ) ([[547]](#footnote-547)).

جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه يشكو إليه زوجته وقال:" إنه لا يحبها، فقال له عمر: وهل لا تُبنى البيوت إلا على الحب؟!".

فليتذكر الزوج خدمتها له، وتربية أطفاله، وإصلاح بيته، وإعفافها له، و أن تتذكر ما قدمه لها زوجها من خير ومعروف كذلك.

وأيضاً أن يفهم كل من الزوجين معنى الحياة الزوجية المتكاملة وأنها تعني إعفافاً للمجتمع، وربطاً وثيقاً بين الأسر، وبناء أسرة نظيفة، وتربية جيل صالح، هذه الأهداف السامية للحياة الزوجية، فليست الحياة الزوجية مقصورة على الاستمتاع والغرام فقط.

وعلى الزوجين أن يفكرا في الود القديم بينهما، وإسعاد كل منهما لصاحبه، وأن يفكرا جيداً في عواقب الطلاق وآثاره فيهما وفي أولادهما وأسرتيهما، فكم ضاع ابن بسبب طلاق أمه، وكم ضاعت بنت بسبب طلاق أمها أيضاً.

فاتقوا الله -يا عباد الله- في زوجاتكم، وقبل القرار الأخير عليكم أن تصبروا وأن تتثبتوا وأن تستخيروا وتستشيروا قبل أن يقع الفأس على الرأس، وتحصل الندامة كندامة الفرزدق حينما طلق زوجته النوار فندم على ذلك ندماً شديداً حتى قال:

ندمت ندامة الكسعي لما... غدت مني مطلقةً نوار

وكانت جنتي فخرجت منها... كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أني ملكت يدي ونفسي... لكان عليّ للقدر الخيار

فأصبحتُ الغداة ألوم نفسي... بأمر ليس لي فيه اختيار

وكنت كفاقئ عينيه عمدا...فأصبح ما يضيء له النهار

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه أهل الفضل والوفاء، أما بعد:

أيها المسلمون، سمعتم الحديث عن الطلاق غير المشروع القائم على العبث والاستعجال والقصور في فهم الحياة الزوجية فهماً صحيحاً. ونتحدث الآن عن الطلاق المشروع الذي يكون علاجاً لمشكلة لا تُشفى إلا بذلك.

إخواني، تعلمون أن الإسلام دين الوسطية، ومن مظاهر وسطيته: أنه لم يبح الطلاق إباحة مطلقة بدون حدود وضوابط؛ فيصير ظلماً على الزوجات، ولم يحرمه تحريماً مطلقاً؛ فيكون ظلماً للأزواج.

وإنما أباحه ليكون هو الحل الأخير لحياة زوجية وقفت زوارق سعادتها عن مخر بحر الحياة السعيدة، فأصبحت الحياة لا تطاق، ولم تنجع فيها الوسائل الأخرى لحل مشكلاتها، فيأتي الطلاق فرجاً ومخرجاً من هذه النفق المظلم.

فالطلاق المشروع- معاشر الأزواج الكرام- يكون بعد استنفاد الوسائل الأخرى قبل اللجوء إلى وسيلة الطلاق، فإذا اضطر الزوج إلى الطلاق بعد ذلك كله فليكن باختيار الزمان المناسب، والحالة المناسبة، والعد د المناسب، فيكون الطلاق في طهر لم يجامعها فيه؛ خشية أن تكون قد حملت في ذلك الطهر فتحصل مشكلة الحمل والولادة والنفقة وتأخيرها عن الزواج. وانتظار الزواج في ذلك الطهر المجامع فيه حتى تحيض فتطهر فرصة للتفكير العميق في بقاء الزوجية قبل قرار الطلاق. فسبحان الله ما أحرص الإسلام على بقاء رابطة الزوجية!

فإذا حاضت بعد طهرها انتظر حتى تطهر، فإذا طهرت طلقها طلقة واحدة؛ فلعله أن يراجعها ويشتاق لعودة عشرته معها مرة أخرى.

أيها المسلمون، هذا هو الطلاق المشروع في الإسلام، فإذا قام على هذه المراحل والضوابط والحدود فقد يكون نعمة على الزوجين، بدل العيش في جحيم مستعرة، وقد يكون أيضاً نعمة على الأولاد بعد أن كانوا بين أبويين لا ينام البيت إلا على صراخهما ولا يستيقظ إلا على تشاجرهما.

قال تعالى: {وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعاً حَكِيماً }[النساء130].

فإذا كان الطلاق على هذا الوجه فهو طلاق إحسان ومعروف وإصلاح.

عباد الله، إذا ما حصل الطلاق فعلى الزوجين أن لا ينسيا العشرة السعيدة التي عاشاها في عش واحد مدة من الزمن.

وأن يبتعد كل واحد عن ذكر الآخر أو ذكر أسرته بسوء أو ذم. وأن لا تهمل الزوجة تربية أولادها إذا كانوا عندها، وأن لا يهمل الزوج النفقة عليهم وحسن رعايتهم، وأن لا يمنع أحدهما الآخر من رؤية ولده وزيارته. نسأل الله أن يحفظ بيوت المسلمين من التصدع والأكدار، وأن يبني فيها السعادة والطمأنينة والاستقرار.

هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير...

# تعظيم الأشهر الحرم ([[548]](#footnote-548))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا ه[[549]](#footnote-549)ادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }[القصص68].

أيها الناس، في هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى عباده بأنه يخلق ما يشاء ويختار من خلقه ما شاء؛ لأن الخلق خلقه والملك ملكه، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مانع لاجتبائه ولا غالب لأمره.

فلقد اختار الله تعالى الملائكة عليهم السلام لسكنى سماواته والتفرغ لعبادته، وتفويضهم بمهمات بين عباده، واصطفى من بينهم جبريل عليه السلام فجعله سيدهم ومقدمهم، ووكله بأشرف مهمة وهي السفارة بينه وبين رسله عليهم السلام.

واختار سبحانه وتعالى بني آدم على سائر خلقه بالعقل، وتسخير جميع ما في الكون لهم. قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }[الإسراء70].

واصطفى سبحانه وتعالى الإنس ورجال الإنس فجعل الأنبياء والرسل منهم، وفاضل بينهم، فاصطفى أولي العزم، واصطفى من بينهم سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام فكان سيد ولد آدم.

قال تعالى: {وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ }[الأنعام124].

وقال: {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً }[الإسراء55].

أيها المسلمون، ومن مظاهر اصطفاء الله: اصطفاء الأزمنة والأمكنة، ففي الزمان نرى أن الله اختار أشهر الحج والأشهر الحرم على غيرها من الشهور، واصطفى رمضان على سائر شهور العام، واصطفى يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع، واصطفى يوم النحر على سائر الأيام، واصطفى ليلة القدر على بقية الليالي.

وفي الأمكنة نجد أن الله تعالى اجتبى مكة والمدينة وبيت المقدس على سائر المدن، واصطفى المساجد على غيرها من بقاع الأرض.

عباد الله، إن هذا الاختيار والاصطفاء من الله رب العالمين قائم على الحكمة والعلم، والملك والقدرة، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

ولهذا يقول تعالى في اجتباء الرسل من أهل السماء والأرض: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }[الحج75].

والمعنى- كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى -: "أنه تعالى يختار من الملائكة رسلاً فيما يشاء من شرعه وقدره، ومن الناس لإبلاغ رسالته، إن الله سميع بصير، أي: سميع لأقوال عباده، بصير بهم، عليم بمن يستحق ذلك منهم كما قال: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}.

وحينما بعث الله رسولنا محمداً عليه الصلاة والسلام قال بعض المشركين: { لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ }[الزخرف31]، فرد الله عليهم: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }[الزخرف32].

أمة الإسلام، إننا نعيش هذه الأيام في شهر عظيم من شهور العام، في الشهر الثالث من الأشهر الحرم، وهو ذو القعدة الحرام.

قال تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }[التوبة36].

عباد الله، إن من نعمة الله على البشر أن علمهم وألهمهم علم التوقيت؛ حتى يضبطوا أمر دينهم ودنياهم.

لقد كانت الشهور القمرية أقدم شهور التوقيت التي عرفها الإنسان وأضبطها؛ لتعلقها بسير القمر؛ ولأن استنادها للأحوال السماوية أبعد لها عن تناول أيدي البشر لها بالتبديل والتغيير.

وأما التوقيت بالشهور الشمسية فلم يعرفه البشر إلا بعد معرفتهم لعلم الفلك والميقات.

والشهور القمرية هي التي تبدأ بمحرم وتنتهي بذي الحجة، وهي شهورنا وتاريخنا أهل الإسلام؛ لارتباط بعض عباداتنا بها كالصوم والحج والأعياد والطلاق والخلع والكفارات، وعدد النساء، وغير ذلك.

إخواني الكرام، لقد تعارف العرب قبل الإسلام على هذه الشهور وسموها بأسماء ترتبط بأحوال تحدث فيها أو تتعلق بها.

فالمحرم سموه بذلك لتأكيد تحريمه؛ لأنه من الأشهر الحرم، وهو شهر العودة من الحج. وصفر سمي بذلك لخلو بيوتهم منهم، حين يخرجون للقتال والأسفار، يقال: صفر المكان: إذا خلا.

وشهر ربيع؛ لارتباعهم فيه أي: إقامتهم لإصلاح الربع وهو المسكن. وجمادى؛ لجمود الماء فيه في البرد، ورجب، من الترجيب وهو التعظيم، وقد كانت قبيلة مضر تحرم رجب نفسه بدون نساء؛ ولذلك خصه رسول الله بنسبته إليهم فقال: (رجب مضر) ([[550]](#footnote-550)).

وشعبان؛ لتشعب القبائل وتفرقها للقتال بعد الشهر المحرم: رجب. ورمضان، من شدة الرمضاء، وهو الحر. وشوال، من شول الإبل، وهو رفعها أذنابها للطراق، وذو القعدة؛ لقعودهم عن القتال والترحال، وذو الحجة؛ لإقامتهم للحج فيه.

أيها المسلمون، لقد أوحى الله تعالى إلى خليله إبراهيم عليه السلام أن يبلغ الناس أن الله تعالى قد كتب عليهم الحج فبلغهم، وبلغهم أيضاً المواقيت الزمانية لذلك، وهي: شوال وذو القعدة وذو الحجة. ولتباعد أقطار الناس وللثارات التي كانت تجري بينهم كانت الأشهر المحرمة أربعة لأداء مناسك الحج والعمرة، فحرم قبل شهر الحج شهراً هو ذو القعدة، وحرم شهر ذي الحجة لإيقاع الحج فيه، وحرم شهراً بعده هو المحرم؛ ليرجعوا إلى أقصى بلادهم آمنين، وحرم شهر رجب في وسط الحول؛ لأجل زيارة البيت والاعتمار فيه لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب لزيارته ثم يعود إلى وطنه آمناً.

وقد بقي عند العرب من هذه الشعيرة الحنيفية بقايا، ولكن لما كانت حياتهم مصبوغة بالحل والترحال والثأر والقتال شق عليهم أن يقعدوا أربعة أشهر بدون قتال؛ لما فيهم من القوة الغضبية والسطو والحمية فلأجل هذا بدأوا يتلاعبون في حرمة هذه الأشهر بما سموه بالنسأ، وهو التأخير، مثل أن يحلوا شهر المحرم عاماً ويحرموا عوضه شهر صفر عاماً آخر، وهكذا.

وكان أول من نسأ الشهور على العرب: القَلّمس بن الحارث بن كنانة، ثم قام أولاده من بعده إلى أن كان آخرَهم: أبو ثمامة جنادة بن عوف.

ثم جاء الإسلام فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فقام فيهم خطيباً فيحل ويحرم ويقول: إني لا أُجاب ولا أعاب ولا مرد لما أقول. فيسمع له العرب ويطيعون.

وهذا من أعمالهم السيئة التي ضلوا بها وزادتهم كفراً إلى كفرهم. قال تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }[التوبة37].

ومن هنا نعلم-يا عباد الله- عظم ذنب التلاعب بشرع الله تعالى والتحيل على دينه، وفظاعة تحريم ما أحل الله وتحريم ما حرم.

فشريعة الله تعالى إنما هي لمصلحة الإنسان في العاجل والآجل، والتلاعب بها جناية تدل على الاستخفاف والكراهية والسير وراء الأهواء ووساوس الشيطان.

فمن يتلاعب بشرع ربه إنما يتلاعب على نفسه ويخسر حظه ونصيبه، ولن يضر الله شيئاً، ومن يتحيل على أوامر الدين ونواهيه ففيه شبه باليهود المغضوب عليهم، وكأن نفسه لم ترتض ما ارتضاه الله لعباده، حتى ضاقت عن قبول ما شرع، فلجأت إلى الحيلة وتظن أنها تخرج بذلك عن الملامة. قال تعالى: {يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ }[البقرة9].

والتحليل والتحريم ليس للمخلوق العاجز الضعيف الجاهل، وإنما حق للرب الخالق العليم الحكيم القادر، فتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله تجنٍّ وعدوان على حق الله تعالى، قال الله: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ }[النحل116].

وقال: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }الأعراف33].

وقال: {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ }[يونس59].

أيها المسلمون، وهكذا ظل تلاعب العرب واختلاط الأمور عندهم فربما أوقعوا بعض المناسك في غير زمانها فأنعم الله على الأمة بحجة النبي عليه الصلاة والسلام في العام العاشر للهجرة فوافقت حجته الحساب الصحيح للحج فاستقر الأمر على ذلك، وذهب نسيء الكافرين بمجيء الحق المبين.

فقد وقف النبي عليه الصلاة والسلام خطيباً في حجته فقال: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة، اثنا عشراً شهراً منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ) ([[551]](#footnote-551)).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعه، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الأشهر الحرم حينما كانت عظيمة عند الله فعلينا أن نعظمها، فمن تعظيم الله: تعظيم ما عظمه الله، قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ }[الحج30]. وقال: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ }[الحج32].

لقد بين الله تعالى المطلوب من العباد في الأشهر الحرم وهو: الحفاظ على حرمتها وقداستها، بقوله تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ }[التوبة36].

والظلم هنا جاء بمعنى أشمل وأعمق يتناول كل ذنب لازم أو متعدٍّ يرتكبه الإنسان. فالمذنب يظلم نفسه بمعاصيه من حيث يشعر أو لا يشعر؛ لأن تلك المخالفات تورد نفسه موارد العطب والهلاك في الدنيا والآخرة، -فيا عباد الله- هذه دعوة من الله تعالى لعباده أن يجعلوا بينهم وبين الذنوب حاجزاً؛ لعلهم يرحمون أنفسهم بذلك.

أيها الأحبة، لقد ختم الله الآية السابقة بقوله: { وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }[التوبة36]. كالتنبيه لأهل الإيمان بعد علمهم بأن ابتداء القتال للكافرين في الشهر الحرام حرام؛ لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ }[المائدة2]. وقوله: {فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[التوبة5]. فقوله:{ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }[التوبة36]. تنبيه وإذن للمؤمنين بقتال المشركين إذا كانت البداءة منهم كقوله: { وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ }[البقرة191]. فإن كان القتال قد ابتدأ في شهر حلال واستمر حتى دخل الشهر الحرام فلا مانع من مواصلة الجلاد والجهاد؛ لأنه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء. وهذا القول على رأي بعض أهل العلم في بقاء حرمة قتال الكفار في الأشهر الحرم، لكن رأي جمهور العلماء أن هذا الحكم قد نسخ، وأن الجهاد للكفار مشروع في كل وقت.

نسأل الله أن يوفقنا لطاعته، ويحول بيننا وبين معصيته، فلا حول لنا ولا قوة إلا به.

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار....

# الكلمة الطيبة وآثارها الحسنة ([[552]](#footnote-552))

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان، علمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء } {تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } {وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ }[إبراهيم24-26]. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله جاء بالحق ونطق به، القائل: (والكلمة الطيبة صدقة) ([[553]](#footnote-553)).

صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته الصادقين، وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، وسلم تسليما. أما بعد، فاتقوا الله-عباد الله-؛ فإن تقوى الله أطيب الأعمال وأزكاها، وأفضل الوصايا وأسماها، فما أوصى موصٍ بمثلها.

قال تعالى: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيّاً حَمِيداً }[النساء131].

فمن اتقى الله نال الفلاح كله. {أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[البقرة5].

أيها الناس، ذكر بعض المؤرخين أن يهودياً مرَّ بإبراهيم بن أدهم رحمه الله، فأراد ذلك اليهودي أن يستفز إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم، ألحيتك أطهر من ذنب الكلب، أم ذنب الكلب أطهر من لحيتك؟! فقال إبراهيم: إن كانت في الجنة فهي أطهر من ذنب الكلب، وإن كانت في النار فذنب الكلب أطهر منها. فلما سمع اليهودي هذا الجواب الحليم من المؤمن الكريم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فتأملوا-أيها الأخوة الكرام- ماذا صنعت الكلمة الطيبة- مع ذلك الاستفزاز المقيت- في نفس اليهودي وكيف أنبتت نباتاً حسناً بإذن ربها.

قال تعالى: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً }[الإسراء53].

عباد الله، إن الكلمة الطيبة ثمرة طيبة تخرج من نفس طيبة، وزهرة حسنة تقطفها يد كريمة من حديقة قلب معمور بالطيب وروائح الحب السليم. والكلمة الطيبة حروف مضيئة تنبثق من صدر يتلألأ بالنور، ويزهر بالسرور. تولد الكلمة الطيبة من ذلك المكان المشرق لتضيء القلوب والأرواح والوجوه. الكلمة الطيبة بسمة الحياة، وعطر الشفاه، وبلسم الجروح، وشفاء الجسد والروح.

والكلمة الطيبة عنوان المتكلم ودليله، ولباسه الساتر وجماله الظاهر، وعطره الفواح، ومفتاحه إلى القلوب والأرواح، وسفيره الذي يصعد إلى السماء ليجد حسن الجزاء.

قال تعالى: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }[فاطر10].

والكلمة الطيبة تكشف عن مكنون صاحبها من رجاحة العقل وصفاء القلب، قال الشاعر:

وزنِ الكلامَ إذا نطقت فإنما... يُبدي عقولَ ذوي العقول المنطقُ

أيها المسلمون، إن الكلمة الطيبة هي الألفاظ الحسنة التي تخرج من فم الإنسان ابتداء أو جواباً، وتحمل معها الخير والنفع للناس، وتبتعد عن الفحش والبذاء، والإضرار والإيذاء، والشتم والاستهزاء.

إنها ليست كلمة واحدة، بل كلمات تنبع من مشكاة مليئة بما لذ وطاب من الكلام الذي ينبت في القلب السليم وينشره اللسان المستقيم.

والكلمة الطيبة ذكر لله تعالى وتسبيح، وتهليل وتكبير، وحمد ودعاء، وشكر وقراءة قرآن، وعلم نافع، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ونصيحة نافعة، وغير ذلك من العبادات القولية.

والكلمة الطيبة أقوال طاهرة من السباب وجرح الأعراض، وإيذاء الأسماع، وإيجاع القلوب، وإنبات وغر الصدور.

وهي جواب حسن، ورد لطيف على القريب والبعيد، والصديق والعدو. فالمؤمن طيب ولا يتكلم إلا بطيب الكلام. قال تعالى: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }[النور26].

إن صاحب النفس الشريفة لا تضيق عليه الألفاظ والأساليب فيلجأ إلى القول السيء، بل لديه معجم رحب من الجمل النظيفة التي يستطيع أن يصل بها إلى مراده الحسن دون اللجوء إلى الكلمات الجارحة، ولو كانت على سبيل المزاح والدعابة، أو استرجاع الحق وإثباته.

عباد الله، إن الكلمة الطيبة نبتة حسنة تثمر وتزهر في نفوس الخلق وترسل لهم ألذ الثمر وأطيب العرف الشذي.

هذا النبتة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها لابد لها من أرض تنبت عليها، فما هذه الأرض الطيبة التي خرجت منها الكلمة الطيبة؟

هذه الأرض الطيبة هي نفس المؤمن الذي يحسن عبادة الله تعالى، ويحسن معاملة الخلق، فقد دعاه علمه ومراقبته لله تعالى إلى أن تصدر منه الكلمات الحسنة.

أيها المسلمون، إن الطبع الصافي والتربية الأسرية الناجحة والبيئة الصالحة، والقدوة الحسنة منابت خصبة تنبت المسلم الذي ينبلج من فمه النور الذي يبهج عيون الآخرين ويشرح صدورهم.

هذه الكلمة الطيبة تصدر من المؤمن عن يقين بثواب الله عليها، وحسن جزائه لقائلها، وتصدر عن حب الخير للناس، وإرادة إدخال السرور عليهم. وتصدر الكلمة الطيبة من المؤمن عن قوة عظيمة في الانتصار على النفس خاصة عند الخصام والجدال والعداوة، والقوي الحق هو الذي ينتصر على نفسه. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) ([[554]](#footnote-554)).

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقسم غنائم حنين بالجعرانة فقال ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم: يا رسول الله، اعدل، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ). فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال ( دعه...) ([[555]](#footnote-555)). فانظروا إلى حلم رسول الله أمام هذه الكلمة الخبيثة التي خرجت من هذا الرجل وقالها لأعدل الناس صلى الله عليه وسلم.

أيها الأحبة، إن النفس الإنسانية فيها من الشرور والأذى شيء كثير لا يحصى، ومن ذلك: أنها قد تستثار لتنطق برديء الكلام وسيء المقال، وفي هذه الحال يبرز دور تربية الإنسان نفسه ومجاهدته لها، ومحاسبتها على ما تتفوه به اللسان وتقوله، مستعيناً في تربية لسانه على الكلمة الطيبة بما في الكلمة الطيبة عند الله من الثواب الجزيل، والخير الكثير.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والكلمة الطيبة صدقة) ([[556]](#footnote-556)).

وقال: (إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه ) ([[557]](#footnote-557)).

وقال: ( اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة ) ([[558]](#footnote-558)).

أيها المسلمون، ما أجمل أن يكون الإنسان ذا كلمة طيبة مع الناس جميعاً، من عرف ومع من لم يعرف، ولكن أجمل الجميل أن تكون مع أخص الناس به.

فالكلمة الطيبة مع الوالدين ولو قسواْ وأغلظا في الكلام والتعامل؛ فإن لهما حقاً في حسن الخطاب، قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً }[الإسراء23].

والكلمة الطيبة بين الزوجين، بدل التراشق بالألفاظ الجارحة، والكلمات النابية التي قد توصل إلى ما لا تحمد عقباه.

والكلمة الطيبة بين الأخوة والأخوات والأقارب والأرحام، والكلمة الطيبة بين الجيران في المنازل والأسواق والوظائف وأماكن العمل. والكلمة الطيبة بين المدير وموظفيه والمعلم وتلاميذه، والكلمة الطيبة بين السائقين والراكبين، وبين الباعة والمشترين. والكلمة الطيبة من الغني للفقير ومن رب المال للسائل بدلاً من النهر والمنِّ ورفع الأصوات بالطرد. قال تعالى: قال تعالى:{وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ }[الضحى10]. وقال: {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ }[البقرة263].

والكلمة الطيبة حتى مع الكافر، قال تعالى: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } {فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }[طه34-44].

قيل: تصدى رجل للرشيد فقال: إني أريد أن أغلظ عليك لي في المقال، فهل أنت محتمل؟ قال: لا؛ لأن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من كان شراً مني! فقال: {فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }[طه44].

والكلمة الطيبة مع الحيوان، فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم إذ بصرت بالنبي صلى الله عليه و سلم وتضايق بهم الجبل فقالت: حل، اللهم العنها قال: فقال النبي صلى الله عليه و سلم: 0 لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة) ([[559]](#footnote-559)).

والكلمة الطيبة مع الجماد أيضاً، فعن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح - وقال مسلم إن رجلا نازعته الريح رداءه على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- فلعنها - فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ( لا تلعنها؛ فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه ) ([[560]](#footnote-560)).

إذن -أيها المسلم- ليس هناك مجال للكلمة الخبيثة في حياة المسلم.

عباد الله، إن الكلمة في حياة الإنسان لها شأن عظيم؛ فهي بوابة الخير أو بوابة الشر، وهي منطلق الأعمال الكبيرة، بل هي الوقود الأول للمعارك. والصراع الحقيقي اليوم صراع كلمة وفكرة تنتج عن ذلك أفعال وأحداث. فانظروا إلى الإعلام اليوم ماذا يصنع؟ سواء كان إعلام خير أم إعلام شر. فلا يستهينن أحد بالكلمة مهما قلت، ومن أي فم خرجت، فرب كلمة أضاءت الدنيا أو أظلمتها.

فالكلمة الطيبة لها آثارها الحسنة العاجلة والآجلة على صاحبها وعلى من بلغته، فكم من كلمة طيبة غيرت مجتمعاً من الشر إلى الخير، ومن الذل إلى العز، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة.

فمصعب بن عمير رضي الله عنه خرج إلى المدينة داعياً إلى الله تعالى، وفي يوم من الأيام بينما كان جالساً مع أسعد بن زرارة جاءهما أسيد بن حضير فقال لهما: "ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام، وتلا عليه القرآن. قال أسيد: فو الله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله ! ثم جاء سعد بن معاذ فقال مثل ما قال أسيد، فقالا له: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال: قد أنصفت، ثم ركز حربته فجلس. فعرض عليه الإسلام فأسلم، ثم أخذ حربته فأقبل إلى نادى قومه، فلما رأوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة". لقد كلمة مصعب الطيبة آسرة لهذين الخيِّرين رضي الله عنهما حتى أسلما، ثم سمعتم كيف كانت نتيجة إسلامهما بين قومهما.

ومن آثار الكلمة الطيبة: أنها قد توحد الصفوف وتجمع الشمل، وتؤلف بين القلوب، وتقرب بين الأباعد، وتحبب بين المتباغضين، وتذهب أحقاد الصدور، وتعين على إصلاح ذات البين.

يذكر أن علي بن الحسين رحمه الله كان بينه وبين حسن بن حسن رحمه الله شيء من الجفاء، فجاء يوماً حسنُ بن حسن و علي بن الحسين جالس مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئاً إلا قاله له، وعليّ ساكت، فلما كان الليل، أتى علي بن الحسين حسن بن حسن في منزله، فقرع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له: يا أخي، إن كنت صادقاً فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك.. السلام عليكم. وولى.. فما كان من الرجل إلا تبعه، والتزمه من خلفه، وأخذ يبكي، ويقول: لا جرم لا عدت في أمر تكرهه.. فقال له علي: وأنت في حل مما قلت لي.

ومن الآثار الحسنة للكلمة الطيبة: أنها تجعل لصاحبها محبة بين الناس واحتراماً ومكانة مرموقة.

والكلمة الطيبة قد تنجي صاحبها يوم القيامة، فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرني بشيء يوجب لي الجنة قال: ( عليك بحسن الكلام وبذل السلام ) وفي رواية(عليك بالسلام وبذل الطعام) ([[561]](#footnote-561)).

والكلمة الطيبة قد يُعز بها بعد الذلة، ويغتنى بعد القلة، ويشرف بعد الخفوت.

خرج الشاعر الأعشى إلى سوق عكاظ-وهي السوق الأدبية في ذلك الزمان التي كانت تعرض فيها بضاعة الأدب- فتلقاه رجل فقير يقال له: المحلَّق له ثمان بنات لم يتزوجن، فأراد أن يكسب منه كلمة من شعره بين العرب لعل بها تزويج بناته، فنحر له ناقته التي لا يملك غيرها وأكرمه، وبينما كان الأعشى عند المحلق تحلّقت البنات بالأعشى فقال لأبيهن: ما هؤلاء الجواري؟ فقال: هؤلاء بنات أخيك، فذهب الأعشى من بيته ولم يقل شيئاً، فلما وافى عكاظ قال قصيدته القافية التي منها قوله:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة... إلى ضوء نار باليفاع تَحرّق

تُشب لمقرورين يصطليانها... وبات على النار الندى والمحلَّق

ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه... كما زان متنَ الهندواني رونق

ثم نادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مذكار يزوج ابنه إلى الشريف الكريم؟ فما قام من مقعده إلا وقد زوجت البنات الثمان على أشراف من العرب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، يذكر أن عمرو ابن هند قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي؟ فقالوا: نعم، أم عمرو بن كلثوم، فأرسل عمرو ابن هند إلى عمرو بن كلثوم يطلب زيارته مع أمه، فأقبل ابن كلثوم مع أمه، فدخل هو على ابن هند، ودخلت أمه على هند أم عمرو. وكان عمرو ابن هند قد أمر أمه أن تنحي الخدم، وتستخدم ليلى أم عمرو بن كلثوم، فلما حضر الطعام قالت هند لليلى: يا ليلى، ناوليني ذلك الطبق، فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فأعادت عليها وألحّت، فصاحت ليلى: وا ذلاه!، يا لَتغلب، فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه فاخترط السيف فضرب رأس عمرو ابن هند وذهب، وقال معلقته المشهورة التي أولها:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا... ولا تبق خمور الأندرينا

أرأيتم ماذا صنعت الكلمة الخبيثة التي قالها عمرو ابن هند؟!

عباد الله، إن الكلمة الخبيثة نفخة شيطانية، وصفة عدوانية، سببها ضعف النفس وغرورها وقوة الشر فيها وسيطرة الحمق عليها، وقلة المراقبة لله تعالى فيما يتفوه به الإنسان.

إن الكلمة الخبيثة قد تفسد على الإنسان الدنيا والآخرة، وتجلب له شقاء كان في غنى عنه لولاها.

قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء- يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه-، فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقة فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث بحديث الركب يقطع به عناء الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو ويقول: إنا كنا نخوض ونعلب. فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون، فالتفت إليه وما يزيده عليه.

قال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ } {لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ }[التوبة65-66].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه ) ([[562]](#footnote-562)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: (ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروته وسنامه؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا، فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم!) ([[563]](#footnote-563)).

فاتقوا الله-يا عباد الله-وانتبهوا للكلمة؛ فإنها جنة أو نار، وربح أو خسارة، وسعادة أو شقاء. فسارعوا إلى الكلمة الطيبة ولا تحقروها مهما قلت؛ فإنه كالحبة قد تنبت ولو بعد حين ولو في أرض لم يردها صاحبها؛ فإن الزمان يذهب والأعمار تذهب ولكن الكلمات تبقى. قال لقمان لابنه: " يا بني، إن من الكلام ما هو أشد من الحجر، وأنفذ من الإبر، وأمرّ من الصبر، وأحرّ من الجمر، وإن من القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة؛ فإنها إن لم تنبت كلها نبت بعضها".

واحذروا الكلمة الخبيثة مهما صغرت؛ فإنها قد تكون شرارة صغيرة تلد حريقاً عظيماً من الشقاء على صاحبها وعلى غيره.

نسأل الله أن يطهر ألسنتنا، ويصلح قلوبنا وأعمالنا.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

# فضل العمل الصالح في العشر الأُول من ذي الحجة ([[564]](#footnote-564))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا ه[[565]](#footnote-565)ادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن الحياة الدنيا مجال رحب للتنافس على الأهداف المرجوة: شريفها ووضيعها، قريبها وبعيدها، حسيها ومعنويها، خاصها وعامها.

وبذلُ الجهد واستعذاب التعب للوصول إلى الآمال المنشودة من قبل آمليها، وإن كان مرهقاً لهم إلا إنهم يوقنون أن ذلك العناء والبذل سيُنسى عند أول لقاء مع ما بذلوا لأجله.

أما الكسالى والقاعدون الذين يرون مواكب المتنافسين متسارعة متلاحقة في سبيلها فإنهم سيعضون أيادي الندم، ويتجرعون غصص الألم حينما يجدون أهل العزائم والهمم قد حصّلوا ما اجتهدوا من أجله وألفوا الراحة بعد التعب في ظله. عند ذاك يقول القاعدون: { يَاْ لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً }[النساء73].

ولكن هيهات هيهات فلن ينفع بكاء المفرط في زمن البذر عند رؤية حصاد العاملين المجدين.

عباد الله، إن التنافس الحق هو الذي تعظم غاياته، وتسمو أهدافه، ويُصلح عاجل أمر الإنسان وآجله.

والتنافس على الأشياء التافهة يدل على تفاهة هواتها. ولا تنافس أتفه من تنافس يعود وبالاً على صاحبه يجر إليه الويلات والحسرات.

إن المشاهد لتنافس الناس في الحياة الدنيا ومسارعتهم فيها يجد أكثر ذلك لغرض العلو في الدنيا والراحة فيها، مع أنه قليلة منقطعة. وهذا التنافس على القليل المنقطع قد يُنسي صاحبه التنافس على الكثير الدائم، وذلك هو الحياة الأخروية.

أيها الأفاضل، إن الإنسان ليعجب ممن رُزق العقل حينما ينافس على ما يفنى، ويتناسى ما يبقى، ويقدم المسارعة إلى الملذات المشوبة، ويؤخر الملذات الخالصة.

فيا من منّ الله عليه بالعقل السليم فكر وتأمل في الشيء الذي يجب عليك أن تسارع إليه فاسلك سبيله، ودع كل منافسة تجلب لك الشقاء في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون، إن ربنا تبارك وتعالى قد دعانا إلى التنافس والتسابق والإسراع إلى الخيرات وأعمال الجنات.

فقال عز وجل: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ{22} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ{23} تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ{24} يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ{25} خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ{26} [المطففين 22-26]. وقال: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }[الحديد21].

وقال: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }[آل عمران133].

وكذلك رسولنا صلى الله عليه و سلم فقد قال: (التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة) ([[566]](#footnote-566)).

عباد الله، إن الله تعالى حثنا على استباق الخيرات لعظيم ما ينتظر المسابقين من الربح الذي لا ينبغي التكاسل عنه، ولأن المسارعة تثبّت الإنسان على الاستمرار على عمل الآخرة، ولأن الحياة الدنيا فرصة؛ فقد تعرض للإنسان فيها صوارف تمنعه من المسابقة إلى عمل الخير والصبر عليه؛ فالدنيا كثيرة الأمراض والهموم والحوائل والفتن وتقلبات الأحوال ومفاجأة الآجال.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( بادروا بالأعمال؛ فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا) ([[567]](#footnote-567)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: ( اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) ([[568]](#footnote-568))

قال الحسن البصري رحمه الله: " المبادرة المبادرة؛ فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرأ نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ هذه الآية { إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً }[مريم84].

وقال أيضاً: ( يتوسد المؤمن ما قدم من عمله في قبره، إنْ خيراً فخير، وإن شراً فشر، فاغتنموا المبادرة رحمكم الله في زمن المهلة".

أحبتي الكرام، إن ميدان التنافس على أعمال الخير ميدان فسيح يستطيع المسلم صاحب الهمة العالية أن يربح فيه ويغنم، وإن اختلفت أحواله وكثرت أعماله وقلت معرفته وخبرته. فالمسابقة في أداء الواجبات وترك المحرمات القولية والفعلية. والمسابقة في نوافل العبادات كالصلوات والصيام والصدقات. والمسابقة في الإحسان إلى الناس وتفريج كروبهم وإعانتهم على صلاح دينهم ودنياهم. والمسابقة في الدفاع عن شريعة الله والحفاظ على هوية الأمة وحماية بيضتها وأهلها. والمسابقة في كثرة ذكر الله تعالى وقراءة القرآن وحضور مجالس العلم والسؤال عما يجهل المسلم من أمر دينه. والمسابقة في استغلال مواسم الخير التي يتفضل الله بها على عباده؛ ليغتنموا خيراتها وبركاتها، فتثقل بها موازين حسناتهم وترتفع درجاتهم عند ربهم.

عباد الله، إن من مواسم الخير الشريفة التي ينبغي استغلالها بالمسابقة إلى الأعمال الصالحة: العشر الأول من ذي الحجة. فهي أيام فاضلة، وغنيمة باردة على العاقل أن يعمرها بالطاعة المضاعفة.

إن مما يدل على مكانة هذه الأيام وفضلها: أن الله تعالى أقسم بها، ولا يقسم الله إلا بعظيم. فقال تعالى: {وَالْفَجْرِ } {وَلَيَالٍ عَشْرٍ }[الفجر1-2].

قال مسروق رحمه الله: "هي عشر الأضحى، هي أفضل أيام السنة"، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك رحمهم الله.

وليالي هذه الأيام العشر هي الليالي التي أتم الله بها لموسى عليه السلام ميقات المناجاة والتكليم، فكلمه وناجاه يوم النحر. قال تعالى: {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً }[الأعراف142]. وهذا القول قاله مجاهد ومسروق وابن جريج.

ومن فضائل هذه الأيام المباركات: أنها الأيام المعلومات التي أمر الله بذكره فيها، خصوصاً التسمية عند الذبح.

قال تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ } {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ }[الحج27-28].

ومن فضائل هذه الأيام: أنها تجتمع فيها أمهات العبادات التي لا تجتمع في غيرها من صيام وصدقة وحج وذبح ابتغاء وجه الله وذكر ودعاء ونحو ذلك من العبادات؛ ولأجل هذا كانت خير أيام السنة، بل أيامها أفضل من أيام العشر الأواخر من رمضان، كما قال بعض العلماء.

فقد صار العمل الصالح فيها خيراً من الخروج للجهاد في سبيل الله بالنفس والمال وعدم الرجوع من ذلك بشئ؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام العشر ) قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ( ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء ) ([[569]](#footnote-569)).

وفي رواية للدارمي: (ما من عمل أزكى عند الله ولا أعظم أجراً من خير يعمله في عشر الأضحى).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( أفضل أيام الدنيا العشر يعني: عشر ذي الحجة، قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: ولا مثلهن في سبيل الله، إلا رجل عفر وجهه بالتراب الحديث) ([[570]](#footnote-570)).

عباد الله، من أفضل هذه الأيام الفاضلة: يوم عرفة، وهو اليوم الذي أكمل الله به لأمة محمد عليه الصلاة والسلام الدين وأتم به النعمة على العالمين، قال تعالى: { أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }[المائدة3].

عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: (يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت - لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: أي آية؟ قال: { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا }. قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه و سلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة) ([[571]](#footnote-571)).

إن يوم عرفة يوم خير كثير للحاج والمقيم، ففيه عتق من النار لمن شاء الله من عباده، قال رسول صلى الله عليه وسلم: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء) ([[572]](#footnote-572)).

وفيه أن الله يباهي ملائكته بأهل عرفة، يقول النبي صلى الله عليه و سلم: (إن الله عز و جل يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي آتوني شعثاً غبرا) ([[573]](#footnote-573)).

وفيه قبول الدعاء والإثابة الكبيرة عليه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( خير الدعاء دعاء يوم عرفة ) ([[574]](#footnote-574)).

وفيه الصيام للمقيم الذي يكفر ذنوب سنتين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده) ([[575]](#footnote-575)).

قال ابن سيرين رحمه الله في فضل هذا اليوم: " كانوا يرجون في ذلك حتى للحمل في بطن أمه".

أيها المسلمون، وفي هذه الأيام المباركة: يوم النحر وهو يوم العاشر من ذي الحجة، وهو يوم فضيل، بل هو أعظم الأيام عند الله تعالى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر ثم يوم القر) ([[576]](#footnote-576)).

وهو يوم الحج الأكبر-أي: الذي تحصل فيه أعظم أعمال الحج وأكثرها- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وقف النبي صلى الله عليه و سلم يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها وقال: ( هذا يوم الحج الأكبر ) ([[577]](#footnote-577)).

فيا أيها المسلمون، هذا خير كثير في وقت يسير فأين أهله الحريصون على اغتنامه؟ جعلنا الله جميعاً من أهله المسابقين إلى فضله.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنعم علينا وأكرم، والصلاة والسلام على خير من هدى وعلّم، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

أيها المسلمون، يقول علي رضي الله عنه: "هتف العلم بالعمل..." فبعد أن عرفنا فضل هذه الأيام وكثرة خيرها لم يبق إلا البذل من الأوقات والهمم الصادقة المشتاقة إلى هذا الخير؛ لتسمو الروح، وتنشرح الصدور، وتبتهج النفوس، وتحيا القلوب، وتستنير العقول، وتصلح الدنيا والآخرة.

لم يبق أمامنا إلا الجد والاجتهاد والمسارعة إلى الأعمال الصالحة في هذه الأيام المشرقة؛ فقد كان دأب السلف في هذه الأيام الاجتهاد والجد، فسعيد بن جبير رحمه الله كان إذا دخلت عليه العشر اجتهد اجتهاداً شديداً حتى ما يكاد يقدر عليه، وكان يقول لأهله: " لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر". كناية عن كثرة القيام والقراءة.

قال ابن رجب رحمه الله:" لما كان الله سبحانه و تعالى قد وضع في نفوس المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، و ليس كل أحد قادراً على مشاهدته في كل عام فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره، و جعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين و القاعدين فمن عجز عن الحج في عام قدر في العشر على عمل يعمله في بيته يكون أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج".

عباد الله، فما هي العبادات التي ينبغي أن نسارع إليها في هذه العشر؟

رياض الخير كثيرة وأبوابها مشرعة لمن رغب في ولوجها، سواء كانت عبادات قولية أم فعلية متعدية أو لازمة، لكن هناك عبادات ينبغي الإكثار منها في هذه العشر، فمنها:

الإكثار من ذكر الله تعالى، خاصة التكبير، في البيت وفي السوق وفي المساجد وغيرها.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد) ([[578]](#footnote-578)).

وكان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

وعن ميمون بن مهران رحمه الله قال: " أدركت الناس وإنهم ليكبرون في العشر، حتى كنت أشبهه بالأمواج من كثرتها، ويقول: إن الناس قد نقصوا في تركهم التكبير".

ومن الأعمال الصالحة في هذه الأيام القادمة: الإكثار من الصيام، فعن بعض أزواج النبي صلى الله عليه و سلم قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر أول اثنين من الشهر والخميس) ([[579]](#footnote-579)).

عباد الله، ومن الأعمال الصالحة كذلك في هذه الأيام الفاضلة: الحرص على الأضحية ممن كان قادراً عليها؛ فإنها عبادة من أجلّ العبادات التي يتقرب بها المسلم في هذه الأيام إذا صلحت نية صاحبها.

وفي هذه العبادة هناك بعض التنبيهات:

منها: أن على من أراد الأضحية إذا دخلت عليه العشر أن لا يأخذ من شعره ولا من ظفره شيئاً حتى يذبح أضحيته، وهذا في حق رب الأسرة فقط وليس على جميع أفرادها.

فعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحى فليمسك عن شعره وأظفار) ([[580]](#footnote-580)).

وإذا نوى الأضحية أثناء العشر أمسك عن ذلك من حين نوى.

وكذلك عليه أن يستسمن الأضحية أي: يبحث عن الأحسن والأجود؛ لأن المقصود الأعظم هو التقرب إلى الله تعالى تعظيماً له. ويحذر الأضحية العوراء البين عورها والعرجاء والعمياء وكل ذات عيب مؤثر في لحمها.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل اغتنام الخيرات المسابقين إلى الأعمال الصالحات.

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة..

# الحج عبر ودروس ([[581]](#footnote-581))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، ما أجمل النداء، وأطوع المنادي يوم نادى، وأعظم المنادى له، وأشرف مكانه يوم أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام ببناء بيته العتيق أول بيت وضع للناس. فلما أتم ذلك البناء العظيم أمره الله أن ينادي الناس للحج فقال: يا رب، كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقال: نادِ وعلينا البلاغ، فقام على مرتفع فنادى وقال: أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه. يقول تعالى في كتابه الكريم: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } { وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ }{ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ }{ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ }[الحج:26-29].

عباد الله، في مكة المكرمة أقيم بيت الله العتيق في صحراء قاحلة غير آهلة فاعشوشبت بعد جدبها وأنست بعد وحشتها، وتطيبت بعد غبارها.

فما أحسنها عامرة بذكر الله تعالى، مأهولة بوفود الرحمن الذين يأتون من كل فج عميق.

إنها بقعة طاهرة تأسر العين بمرآها والقلب بذكراها، كم اشتاقت إلى تلك البقاع المقدسة من أفئدة فما بلغتها، وكم وصلت من نفوس إليها فما سئمتها، استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام: { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }[إبراهيم:37].

أيها الأحبة، لقد حدا الشوق أهله إلى استعذاب التعب، وبذل المال، وفراق الأهل والأوطان والمحبوبات من أجل الوصول إلى ذلك المهوى السامي، في رحلة تتسابق فيها القلوب قبل الخُطى من فرط الشوق. تتحمل النفوس النصب والمشقة وبعد الشُّقة، لكنها تنسى ذلك عند رؤية ذلك البيت المهيب والمنزل الآمن المشيد.

فلله ما أنضره من منظر وأبهاه من موقف. خصوصاً لمن وصل إليه أول مرة بعد مكابدة الأشواق.

وحينما يصل إلى تلك البقعة المقدسة تعود به الذكريات إلى الوراء ليتذكر عمل إبراهيم وابنه إسماعيل وأم إسماعيل عليهم السلام، ويتذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم يطوفون ويسعون ويلبون ويقفون. ويتذكر مرور التاريخ من ذلك الزمن إلى زمنه.

فيا سعد العين التي اكتحلت بذلك المرأى البهيج، ويا فرحة ذلك القلب الذي أطفأ أوار حنينه حينما وصل إلى تلك البقاع المقدسة.

وما أشد الحزن على المشتاق يوم يشاهد مواكب الحجيج مرتحلة تطير على أجنحة الشوق وسحب السرور، وما حاله إلا كما قيل:

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد... سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذر وعن قدر... ومن أقام على عذر كم راحا

أيها المسلمون، إن الله تعالى قد أوجب قصد بيته العتيق مرة في العمر على المسلم المستطيع مالاً وحالاً وبدناً، فقال: {... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ }[آل عمران:97].

عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: (أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام؟ يا رسول الله، فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) ([[582]](#footnote-582)).

وجاء الحث على الإكثار منه ومتابعته؛ لما فيه من غفران الذنوب وسعة الرزق والعتق من عذاب الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة) ([[583]](#footnote-583)).

وقال: (من حج لله فلم يرفث و لم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) ([[584]](#footnote-584)).

وقال: (إن مسح الحجر الأسود و الركن اليماني يحطان الخطايا حطا) ([[585]](#footnote-585)).

وقال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟)([[586]](#footnote-586)).

عباد الله، لهذا أقبل المسلمون من كل بقاع الأرض واجتمعوا في ذلك المكان المقدس أحمرهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، ذكرهم وأنثاهم، راعيهم ومرعيهم، جاءوا للاجتماع على شعيرة الحج. التي اجتمعت فيها عبادات كثيرة، فقد جمع الله في الحج أنواعاً من العبادات: القلبية والقولية والفعلية والمالية.

مع ما يسبق الحج من الاستعداد الصالح، قال الغزالي رحمه الله: "إنّ الحجّ من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدّين. فعلى كلّ حاجّ ومعتمر أن يبدأ بالتّوبة، وردّ المظالم، وقضاء الدّيون، وإعداد النّفقة لكلّ من تلزمه نفقته إلى وقت الرّجوع، ويردّ ما عنده من الودائع، ويستصحب من المال الحلال الطّيب ما يكفيه لذهابه وإيابه، كما ينبغي أن يلتمس رفيقا صالحا محبّا للخير معينا عليه، إن ذكر اللّه أعانه، وإن جبن شجّعه، وإن عجز قوّاه، وإن ضاق صدره صبّره".

أيها الفضلاء، إن أولئك الناس الذين تقاطروا إلى هذه البقعة المقدسة من كل حدب وصوب، وهم مختلفو اللغات والأجناس، والعواطف والأوطان، ما الذي جمع هذا التفرق فيهم على هذه الشعيرة؟ أي قوة في الأرض تستطيع أن تجمع مثل هذا الجمع على هذا الاختلاف فيه، في حال رغبته وشوقه ببذل يقدمه هذا الجمع من ماله ووقته وجهده وفراقه لمألوفاته وعوائده؟ إنه لا أحد من البشر يستطيع ذلك.

ليبقى الحج بعد هذا التحدي حجة ظاهرة على أن هذا الدين هو الدين الحق الذي يلائم الفطر وتقبله العقول ويصلح الحياة كلها.

إن هذا الركب المبارك لم يسافر هذه السفرة الشاقة للنزهة والترفه، وإنما جاء لعبادة ربه تعالى، وعندما وصلوا لأداء مناسكها كان المتأمل منهم يرى أن كل شعيرة فيها تشير إلى معان أعمق مما يبدو. فما الحج إلا انتصار على النفس والهوى والشيطان، وإشارة إلى اجتماع الأمة وإن تفرقت. وما لبسة الإحرام البيضاء الناصعة الموحدة إلا حث على تصفية العمل وتوحيد الصف وإذابة الفوارق التي تفرق الأمة؛ إذ لا ميزة للمظاهر، إنما الميزة بما تحمله القلوب من تقوى والجوارح من استقامة على الهدى.

وما التلبية بتلك الجمل الصادقة العميقة إلا شهادة بالاستمرار والدأب على الطاعة ومواصلة طريق التوحيد.

وما تقبيل الحجر الأسود إلا اقتداء بسيد الأنبياء من غير اعتقاد بحجر لا يضر ولا ينفع.

عن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر الأسود ويقول: ( إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك) ([[587]](#footnote-587)).

وما السعي والطواف إلا برهان على الامتثال والحركة من أجل الله تعالى قياماً بحق التعبد، وإن لم تظهر الحِكم من وراء هذه الشعيرة.

وأما الوقوف بعرفة فهو مذكر بالوقوف بين يدي الله يوم القيامة، وتفرغٌ خاشع لمناجاة الله ودعائه في ذلك المكان والزمان الذي لا يجتمع الحجيج في مكان مثله.

وأما رمي الجمرات فهو امتثال للهدي النبوي، يرمي المسلم الحاج كما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لم تدرك حكمته وعلته، وحاله: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

وأما حلق رأسه فهو عبادة تحمل معها التفاؤل بإسقاط الأوزار عن النفس كما يتساقط شعر الرأس، بعد أداء المناسك.

وما هي إلا أيام قلائل وتحين ساعة الوداع المؤلمة وتنقشع تلك المواكب مرتحلة إلى أوطانها، والحزن والكمد يعتصر العيون والقلوب حسرة على فراق بيت الله العتيق.

ويبلغ الحزن المدى بطواف الوداع الذي يحمل معه في كل شوط شظايا من الحزن التي يتلظى بها القلب، وربما أهرقت العيون دمعات الأسى في الوادع ألما كما أهرقتها في طواف القدوم فرحا.

فيا أيها القاعد، وأنت مالك الاستطاعة ولم تحج ما الذي أقعدك عن فرضك؟ أفلا تتعجل قبل أن يبغتك الأجل أو تشغل عن بلوغ ذلك الأمل. فتبدلُ الأحوال من غنى إلى فقر ومن صحة إلى مرض ومن فراغ إلى شغل ومن حياة إلى موت أحوال متوقعة في هذه الدنيا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له ) ([[588]](#footnote-588)).

قال عمر رضي الله عنه: (لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له سعة ولم يحج ليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين".

أيها المسلمون، إن عبادة الحج من العبادات التي شرعها الله تعالى لحكم عظيمة وغايات حميدة، ففي الحج يتجسد في تلك التلبية العذبة توحيد الله تعالى وحده لا شريك له وكذلك في بقية المناسك التي ينوي بها الحاج وجه الله دون سواه.

وفي الحج يظهر كمال الانقياد لله تعالى والعمل بشريعته وإن لم يعلم العبد حكمة ظاهرة لكثير مما يعمل من شعائر هذه العبادة.

وفي الحج يبرهن المسلم على اقتدائه بنبيه عليه الصلاة والسلام فيعمل كما عمل رسول الله ويقول ما قال مما هو من شعائر هذه العبادة، بتوسط واعتدال من غير إفراط ولا تفريط، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته: ( القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)([[589]](#footnote-589)).

وفي الحج إعادة للأمل باجتماع هذه الأمة تحت راية الحق الواحدة ولو بعُد ذلك الزمان، لكنه سيكون متى شاء الله؛ لأن هذه الأمة لديها عوامل الاجتماع والاتحاد.

قال بعض المبشرين بالنصرانية: " سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير ما دام للإسلام هذه الدعائم: القرآن، واجتماع الجمعة، ومؤتمر الحج".

وفي الحج تتجلى المساواة بين الناس وتذوب الفوارق الدنيوية منذ لبس الإحرام إلى التحلل، فالناس في الحج أمام الله سواء راعيهم ومراعيهم، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم، حسنهم وقبيحهم، وعربيهم وعجميهم، لا ميزان لميزات الدنيا، إنما الميزان تقوى الله تعالى. إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، وفي الحج أيضاً تربية عظيمة للنفس في جوانب شتى، فهو تربية لها على جعل الأعمال الصالحة خالصة لوجه الله، وهو تربية لها على البذل والسخاء في سبيل الله؛ لتذهب عنها الشح والبخل، وهو تربية لهاعلى التمسك بالأخلاق الفاضلة من صبر وحلم وسكينة ورفق.

وهو تربية لها على ترك ملذاتها وعوائدها وزمها عن مقارفتها، ففي الحج لا طيب ولا لباس مما يعتاد، ولا جماع ولا كلام يشير إليه.

قال تعالى: { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ...}[البقرة:197].

وفي الحج تربية للنفس على تحمل المشاق ابتغاء مرضاة الله، وفي الحج تربية للنفس على اجتناب الآثام واحترام الحرمات، فلا تعدٍّ ولا مجاوزة، فيعيش الناس في أمن وسلام.

وفي الحج تربية للنفس على النظام والدقة في الأعمال، فالحياة بلا ترتيب وضبط للأمور حياة تعيسة آيلة إلى التعب والعناء.

عباد الله، ما أهيب ذلك الموكب العظيم والعرصات في الحج مزدحمة والرحاب ممتلئة بأنواع من البشر، إن ذلك المحفل الهائج المائج ليذكر المرء بالوقف العظيم بين يدي الله تعالى يوم القيامة فالزحام يذكر بالزحام وتنوع الخلق يذكر باجتماعهم جميعاً في ذلك الصعيد.

ألا يا عباد الله فاعلموا هذه الحكم من هذه الشعيرة وتيقنوا أن الله تعالى جعل لما تعبد به خلقه من العبادات غايات وحكماً عرفنا منها ما عرفنا وجهلنا ما جهلنا.

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

# خطبة عيد الأضحى ([[590]](#footnote-590))

الحمد لله الواسع الكريم، الوهاب الرحيم، أنعم وأسدى، وأجزل فيما أعطى، لا عاد لعطائه، ولا محصي لنعمائه، يُعبد فيشكر، ويُعصى فيغفر، فلا إله إلا الله ما أوسع علمه، وما أعظم حلمه، وهو الغني عن عباده وعباده مفتقرون إليه. نحمده ونشكره وهو أهل الشكر والحمد، ونثني عليه وهو أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لله عبد، ونصلي ونسلم على نبينا محمد خير العابدين وسيد الشاكرين، ودليل السالكين إلى رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فالله أكبر عدد ما ذكره الذاكرون، والله أكبر عدد ما غفل عن ذكره الغافلون، والله أكبر عدد ما لبى الحجيج وكبروا، وطافوا وسعوا وذكروا، والله أكبر عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، والله أكبر عدد أسمائه وصفاته، والله أكبر عدد ما خط به قلمه، وأحاط به علمه، والله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد.

أيها المسلمون، إن يومكم هذا يوم عظيم: فهو يوم عيد الأضحى الذي هو أعظم أعيادنا نحن المسلمين وأفضلها وأكبرها.

وهو أعظم الأيام عند الله تعالى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر ثم يوم القر) ([[591]](#footnote-591)).

ويوم القر هو يوم الحادي عشر من ذي الحجة أول أيام التشريق الثلاثة، وسمي بذلك لأنهم يقرون فيه بمنى بعد تعب الأيام الثلاثة السابقة.

ويوم النحر يوم الحج الأكبر؛ لأنه اليوم الذي يؤدي فيه الحجاج أعظم مناسك الحج: من رمي ونحر وحلق وطواف وسعي.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وقف النبي صلى الله عليه و سلم يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها وقال: ( هذا يوم الحج الأكبر ) ([[592]](#footnote-592)).

وهذا اليوم يوم العج والثج، والعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج هو إهراق دماء الأضاحي والهدايا تقرباً إلى الله تعالى. عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سئل أي الأعمال أفضل؟: قال ( العج والثج ) ([[593]](#footnote-593)).

وهذا اليوم المعظم هو خاتمة الأيام المعلومات: أيام عشر ذي الحجة، قال الله تعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ }[الحج28].

عباد الله، هذا اليوم العظيم يوم للعبادة والتقرب إلى الله تعالى بأنواع القربات: من ذبح للأضاحي ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويوم لكثرة ذكر الله تعالى بالتكبير وغيره، ويوم لمد يد السخاء بالعطاء للأقارب والأصدقاء والمحتاجين. قال تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[الحج36]، ويوم لشكر الله تعالى عند التنعم بنعمه على عباده في هذا اليوم السعيد. قال تعالى: {لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ }[الحج37].

معشر المسلمين، هذا اليوم يوم سعيد يأتي على إثر أداء الركن الخامس من أركان الإسلام لمن وفق للحج، كما أتى عيد الفطر بعد أداء الركن الرابع وهو صيام رمضان. فهو عيد لأهل الطاعات بإكمال أجل القربات: من صيام وذكر وصدقة وذبح وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

فهو بهذا يوم للفرح والسرور، وإظهار البهجة والحبور بنعمة الله وفضله، ويوم للتوسعة على النفس والأهل والأولاد والأقارب والمساكين. لكن هذا السرور يجب أن يكون في حدود المباح، فلا يخرج إلى معصية الله والاعتداء على حقوق الآخرين وإيذائهم. فلا إسراف ولا غرور، ولا تعري ولا إزعاج.

عباد الله، ما أجمل أن يكون هذا اليوم يوماً للصفاء والمحبة بين الإنسان وقريبه وجاره، فلا قطيعة ولا هجران، ولا عبوس ولا بغضاء، ولا تنافر ولا شحناء.

إن هذا اليوم العظيم يوم للاتحاد والتآلف، يوم يجمع الأمة الإسلامية، ويذيب الأحقاد التي طحنتها وفرقتها، هكذا ينبغي أن يكون حال الأمة أن تستلهم تماسكها واجتماعها وقوتها من تعاليم دينها.

فالعيد-يا أمة الإسلام- يعيد للأمة ذكرى اتصال الماضي بالحاضر، وأنها أمة متصلة، جذورها راسخة في أعماق التاريخ، إنها كالكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

فما أحسن الأمة لو اقتبست أنوار مسيرتها من مشكاة دروس العيد؛ لكي تعود إلى طريق النور والريادة بعد أن اعوج سيرها وأضلت طريق عزها.

فالعيد يوحي للأمة أنها أمة متحدة في شعائرها، فلماذا لا تتحد في مشاعرها؟!

العيد يشير لنا أن الأمة فرد في تماسكها، والفرد أمة بانتمائه إليها بحمل مبادئها وهمومها وتطلعاتها.

العيد يقول للأمة: إن تعاونها الاجتماعي على اختلاف طبقاتها هو سبب من أسباب سعادتها وتقدمها، فلا هزأ ولا كبر من غني الأمة على فقيرها لعوزه وفاقته، ولا حقد ولا حسد من فقيرها لغنيها على ما ملكت يداه من الغنى.

العيد يعلم الأمة وهي تلبس الجديد، وتتعطر بالطيب الشذي أن تلبس على ذلك لباس الأخلاق الحسنة الصادقة على الوجوه والأعمال، فما أحسن الأمة بخصالها الفاضلة وحبها المبثوث بينها، أخلاق حسنة كلباسها الحسن، وسمعة طيبة كرائحتها الزكية.

عباد الله، لماذا تفتح أمتنا على أنفسها نوافذ التقاطع ولديها أبواب إلى الإخاء مشرعة؟!

فالعجب كل العجب من أمة تتفرق يوماً بعد يوم وعندها عوامل الاتفاق، وأعداؤها يجتمعون ولديهم أسباب الافتراق!.

ولعل السبب في هذا: أننا لم نفهم ديننا فهماً صحيحاً، ولم نأخذه لنبني به الحياة التي نعيشها من جميع جوانبها.

نسأل الله تعالى أن يصلح أحوالنا وأحوال إخواننا المسلمين في كل مكان، وأن يجعل أيام المسلمين أعياداً بالنصر والعز والتمكين.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

عباد الله، إن أعظم ما يقوم به المسلم المقيم في هذا اليوم العظيم-بعد الفرائض والواجبات- أن يذبح أضحيته، إن كانت له أضحية تقرباً إلى الله تعالى. وأن يذكيها الذكاة الشرعية: بأن يكون المذكي مسلماً-إذا لم يذبح هو بنفسه، وأن يسمي وأن يكبر عند الذبح، ويقول: بسم الله والله أكبر اللهم هذا عنى، ويستقبل القبلة بذبيحته. وأن يحسن إلى الذبيحة عند ذبحها: بأن يحد شفرة الذبح بعيداً عن الأضحية، وأن لا يذبحها أمام الأخريات، وأن لا يقطع منها جزء حتى تموت.

ويستحب أن يذبحها بنفسه، فإن ذبح له غيره بالأجرة فليعطه مالاً ولا يعطه من الأضحية ثمناً لعمله، لكن يجوز إعطاء الجزار من باب الصدقة أو الهدية لا من باب الأجرة على الذبح. عن على رضى الله عنه قال: ( أمرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم أن أقوم على بُدنه، وأقسم جلودها وجلالها، وأمرني أن لا أعطي الجزار منها شيئاً:، وقال: نحن نعطيه من عندنا ) ([[594]](#footnote-594)).

وأن يقسمها أثلاثاً: ثلث يأكله مع أهله، وثلث يدخره، وثلث يتصدق به.

ثم اعلموا عباد الله، أن أيام الذبح ممتدة إلى غروب شمس الثالث عشر من هذا الشهر.

فضحوا تقبل الله ضحاياكم، وكل عام أنتم بخير، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

# ذكر الله تعالى([[595]](#footnote-595))

الحمد لله حمداً حمدا، والشكر له شكراً شكرا, أحمده تعالى على كماله وجلاله، وأشكره على جزيل عطائه، وسابغ نواله.

وأشهد أن لا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد, وأشهد أن نبينا محمداً عبدُالله ورسوله، وحبيبه وخليله، خير من عبد ربه وذكرَه، وحمد فضله وشكره، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأسوةِ المقتدين، والهداة المهتدين، وسلّم تسليما.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- فبتقوى الله صلاح العمل، وغفران الزلل، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أيها المسلمون، إن مَن أحب شيئاً أكثر من ذكره، فالذي فطر الإنسان وخلقه، وتفضل عليه ورزقه، وصوّره فأحسن صورته، وهداه وبين له محجّته، وفضلّه وكرّمه، وعلّمه وفهّمه، أرسل له رسله وأنزل عليهم -من أجله- كتبه، وجعل ما في الأرض مسخراً لخدمته، وحفظهُ بالمعقبات من ملائكته من بين يديه ومن خلفه، وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة، لا يستطيع المخلوق عدها ولن يبلغ حصرها، أفلا تحب النفوس -عباد الله- مَن هذه بعض عطاياه ومننه على الإنسان؟! بلى.

إن المؤمنين الصادقين أحبوا الله حباً حقيقياً قال الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ }البقرة165

ومن علامات حبهم له: أنهم يكثرون من ذكره على كل حال: في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم, فيجدون في ذكره تعالى أنسهم وراحتهم كما قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }الرعد28.

ويلقون فيه حصناً حصيناً، وحرزاً أميناً من كل عدو، وفي مقدمة الأعداء: الشيطان الرجيم وأعوانه، ففي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (إن الله جل وعلا أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات، يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وإن عيسى قال له: إن الله قد أمرك بخمس كلمات تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم قال فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأت، وجلسوا على الشرفات فوعظهم، وقال: إن الله جل وعلا أمرني بخمس كلمات أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن، وذكر منهن:

(وآمركم بذكر الله؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى على حصن حصين فأحرز نفسه فيه، فكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله) ([[596]](#footnote-596)).

ولا عجب أن الذاكرين اللهَ تعالى موصفون بالحياة والغافلين عن ذلك موصوفون بالموت.

قال صلى الله عليه وسلم: ( مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت ) ([[597]](#footnote-597)) فالغافلون أدركهم الشيطان فأمات أرواحهم وقلوبهم؛ ولهذا فإن الذاكرين يعيشون حياة حقيقية ملؤها السعادة واليقين، وتحفها الطمأنينة والراحة، وأفعالهم بيضاء لصفاء قلوبهم بذكر الله تعالى، أما غيرهم -ممن يعيشون الغفلة- فأموات في صورة أحياء، وأشباح بلا أرواح، ليس لهم من الحياة إلا حركة الأجسام التي عشعشت فيها الغفلة وفرّخت فيها العناءَ والكآبة؛ ولذا فأعمالهم مظلمة؛ نتيجة سواد قلوبهم، وما صلاح الظاهر إلا بصلاح الباطن، وما فساده إلا بفساده.

ولا ريب أن القلب يصدأ، وصدأه بالغفلة والذنب، وجلاؤه بالذكر. فإذا صدأ تغير وانتكس، فتغيرت الجوارح بتغيره، قال تعالى: { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً }الكهف28.

أيها المسلمون، إن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بذكره ذكراً كثيرا، فإذا فعلوا ذلك أثنى عليهم ورحمهم، واستغفرت لهم ملائكته، فقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً{41} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً{42} هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً{43}[الأحزاب 41-43]. }

بل الذاكر مذكور عند الله؛ حينما امتثل الأمر، كما قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ }البقرة152.وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما قول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم ).

وهذا الذكر جزء يسير من الشكر لله تعالى على نعمه؛ ولهذا ذكر بعد آية الأحزاب-الآنفة الذكر- الآمرةِ بالذكر نعمَه عليهم بالثناء عليهم، ودعاءِ ملائكته لهم، وإخراجِهم من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان. وفي آية البقرة جُعلت آية الذكر جزاءً لنعمته عليهم بإرسال محمد عليه الصلاة والسلام لهدايتهم وإرشادهم فقال تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ }{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ }[البقرة 151-152].

فمن لم يذكر الله فقد جحد نعمه وما شكرها، ومن ذكره فقد شكرها وما كفرها.

عباد الله، إننا نجد نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم دائم الذكر لله تعالى على كل أحيانه؛ قياماً بشكر الله، وتقرباً إلى مرضاته، فلا يفتر لسانه وكل جوارحه عن ذكر الله، يقرأ القرآن ويصلي، ويكبر ويحمد ويهلل ويسبح، ويحوقل، ويبسمل، ويستغفر، ويحسبل، أي: يقول: حسبي الله، ويدعو ويبتهل قائماً وقاعداً وعلى جنبه، في حال يقظته وعند منامه و استيقاظه، في صباحه ومسائه، في سفره وحضره، وعند دخوله وخروجه من البيت والمسجد والخلاء، وعند لبسه وخلعه لثوبه، وعند أكله وشربه وعطاسه ووضوئه، وفي كل أحواله سرائها وضرائها، صلى الله عليه وسلم.

إخواني الكرام، إن ذكر الله تعالى عبادةٌ من العبادات، ولكنها عبادة ميسرة لا صعوبة فيها، ولا موانع تمنع عنها، ولا مقدار يضبطها فلا تزيد عليه, قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً }الأحزاب41،: "إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر؛ فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على تركه فقال: {يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم} بالليل والنهار، في البر والبحر, وفي السفر والحضر, والغنى والفقر, والسقم والصحة, والسر والعلانية, وعلى كل حال".

إنه قد يستطاع منعُ العبد من عبادة من العبادات، إلا ذكر الله فهو حر بلا قيود.

وقد يقتصر في أداء بعض العبادات على جارحة معينة، وعضو محدد أو على الظاهر فقط أو على الباطن فحسب، ما عدا ذكر الله؛ فإنه يؤدى بالقلب، ويؤدى باللسان، فذكر القلب نوعان: أحدهما: -وهو أرفع الأذكار وأجلها- التفكر في عظمة الله وجلاله، وجبروته وملكوته، وآياته في سماوته وأرضه.

والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي، فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه سبحانه وتعالى. وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الأذكار، ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث.

ومع هذا اليسر -عباد الله إلا أن الغافلين والمستصعبين لهذه العبادة الفاضلة كُثر.

وهناك نوع آخر من الغفلة، وليس الغفلة عن الفعل، ولكنه الغفلة حال الفعل، فما أكثر من يذكر الله تعالى بلسانه ويغفل عنه بقلبه! فالقلب بذلك خالٍ من التعظيم والإجلال، وقد يكون مملوءً بالفساد والظلام، والجوارحُ ملطخة بالخطايا والآثام؛ ولهذا قلّت آثار الذكر الحسنةُ على من هذه صفته من الذاكرين، فصارت الأذكار- خصوصاً التي لها مناسبة- تؤدى أذكاراً جوفاء، لا معاني لها ولا تفكر فيما تحويه من القيم والعمل.

معشر المسلمين، إن ذكر الله تعالى عبادة لها مكانتها العظيمة بين العبادات، وقربة كبيرة لها أهميتها بين القربات, فالذكر أولُ كثيرٍ من الأعمال وختامُها، فالوضوء -الذي هو مفتاح الصلاة- مبدوء ببسم الله، ومختوم بالشهادتين والدعاء، والصلاة تفتتح بالتكبير وهو من أعظم الذكر، وتختم بالدعاء والاستغفار، قال تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ }النساء103

وفي صلاة الجمعة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[الجمعة9-10]، وهو ختام الصيام، قال تعالى: { وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }البقرة185، وهو ختام الحج أيضاً، قال تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ }البقرة200

والذكر أول دخول الدنيا، وآخر شيء منها، فمن السنة عند خروج الجنين مولوداً حياً: أن يؤذن في أذنه، ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة، كما قال ذلك نبينا عليه الصلاة والسلام.

وهو أيضاً ختام الأعمال الفاضلة المتنوعة في الأيام الأُوُل من ذي الحجة قال تعالى: {وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ }البقرة203، وهي أيام التشريق, والذكر كذلك مفتتَح النهار وختامه قال تعالى: { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى }طه130ومن ذلك: أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والاستيقاظ.

فالنهار والليل مبدوآن بالذكر ومختومان به، والليل والنهار هما عُمر الإنسان في هذه الدنيا.

أيها المسلمون، إن ذكر الله تعالى له فضل عظيم يعود على الذاكر في الدنيا والآخرة، فهو خير الأعمال وأزكاها وأرفعها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله([[598]](#footnote-598)).

وذكر الله مرجع كثير من شرائع الإسلام، ومفتاح لكثير من أبواب الخير فيه، فعن عبد الله بن يسر رضي الله عنه أن أعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأنبئني منها بشيء أتشبث به، قال: ( لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز و جل ) ([[599]](#footnote-599)).

وبذكر الله الفلاح والفوز والانتصار على العدو، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ }الأنفال45

وبذكر الله حصول تأييد الله وتوفيقه للعبد الذاكر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: (أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفتاه )([[600]](#footnote-600)).

وبذكر الله الراحة والنشاط، وبالغفلة عنه الكآبة والكسل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة يضرب عليك ليل طويل، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان، فإذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان )([[601]](#footnote-601)).

عباد الله، مما يدل على فضل ذكر الله تعالى: أن أحب الأعمال إلى الله أن يأتي الموت ولسان المرء رطب بذكر الله، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: ( أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله) ([[602]](#footnote-602)). ولا يوفق لذلك إلا أهل الذكر الدائم المستمر، الذين عُمِرت قلوبهم به، وواظبت ألسنتهم عليه.

أيها المسلمون، إن أهل الذكر ذوو رتب عالية عند الله، ونصيبهم من الأجر من أوفر الأنصبة، وتقدمهم في طريق الفضل غير مسبوق.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبق المفردون) قالوا: وما المفردون؟ يا رسول الله، قال: ( الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)([[603]](#footnote-603)).

قال أبو بكر رضي الله عنه: "ذهب الذاكرون اللهَ بالخير كله".

وهم -وإن انغلقت أمامهم أبواب من الخير لا يجدون مفاتيحها كالمال للصدقة والإحسان- فإنهم بالذكر يدركون ذلك كله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قالوا:

يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم. قال: ( كيف ذاك؟ ). قالوا: صلوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم، وليست لنا أموال. قال: ( أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم، وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله؟ تسبحون في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدون عشراً، وتكبرون عشراً ) ([[604]](#footnote-604)).

الذاكرون الله مجالسهم رياض من رياض الجنة، تغشاهم الرحمة، وتنزل عليهم السكينة، وتحفهم الملائكة، ويباهي الله بهم في الملأ الأعلى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يقعد قوم يذكرون الله عز و جل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده ) ([[605]](#footnote-605)).

والذاكرون الله كثيراً مستجابو الدعوة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذاكر الله كثيرا، و المظلوم، و الإمام المقسط)( [[606]](#footnote-606)).

فنسأل الله أن يجعلنا من أهل ذكره، وشكره، وحسن عبادته.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على النبي محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها الناس، إن الغفلة عن ذكر الله أوردت أصحابها الموارد، فبينما يبقى الذاكرون يلهجون بذكر الله تعالى يُرى صرعى الغفلة مشغولين بذكر الناس: مغتابين ونمامين، هتاكين وعيّابين، ساخرين وشامتين. فما أحسن الذكر مَشغلةً عن معصية الله وإيذاء الناس!

وبينما الذاكرون يحييون حياة الاطمئنان، والراحة النفسية والبدنية يحيا سجناء الغفلة أسرى في التعاسة والبؤس، والأمراض والهموم. فما أنفع الذكر دواءً وشفاءً للأرواح والأبدان، ولكن رواده وقصاده قليلون.

وبينما الذاكرون يُحييون قلوبهم فالغافلون يميتونها، فتصير خراباً ومقابر تسكن فيها الأدواء والآفات.

وفي الوقت الذي يُصلح الذاكرون فيه دنياهم، ويعمرون أخراهم إذا بالغافلين يفسدون الدنيا، ويخربون الآخرة، فلا دنيا وجدوا بها راحة حقيقية، ولا أخرى حصلوا فيها على ثمر يطمئنون عند رؤيته.

عباد الله، في ذكر الله وجد الذاكرون حصناً منيعاً يحميهم من الشيطان ومس الجان وشرِّ عيون بني الإنسان الخبيثة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال حين يصبح -ثلاث مرات-: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم تفجأه فاجئة بلاء حتى يمسي، ومن قالها حين يمسي لم تفجأه فاجئة بلاء حتى يصبح ) ([[607]](#footnote-607)).

وقال بعض السلف: "إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟! فيقال: قد مسه الإنسي".

وأما الغافلون فما أكثر تلاعبَ الشيطان بهم، وتسلطه عليهم، قال تعالى: {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ }النحل100.

فإلى متى يطول نوم الغفلة- يا عباد الله؟ ألم يحن وقت الاستيقاظ؟ وقد استبان النهار؟ وسار الذاكرون المجدون، وبقي الغافلون على حُمر معقرّة، أو ما زالوا على فرش غفلتهم لم ينهضوا للمسير؟!

ألم يكفِ الغافلين جراحُ غفلتهم، وسوء حالهم، وبؤس حياتهم، وانغلاق أبواب الخير عليهم؟

قال الحسن البصري: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق". هذا فيمن يعمل هذه الأشياء فكيف حال من لم يعملها؟

فيا أيها الناس، ذكرَ الله ذكرَ الله تؤجروا، وتنتجوا، وتستريحوا، ففي ظل ذكر الله الرَّوحُ والراحة، والعيش الهنيء والمنقلب الحسن عند لقاء الله، وإياكم والغفلةَ عن ذكر الله، ففي لفح الغفلة يُصنع العناء والشقاء ليُشقي الغافلين في الدنيا، وتبقى الغفلة بعد ذلك على أهلها حسرات وندامات يوم القيامة. نسأل الله تعالى أن يعمر قلوبنا بذكره، وألسنتنا بشكره، وجوارحنا بفعل أمره وهجر زجره.

هذا وصلوا وسلموا خير الورى...

# عبادة الشكر([[608]](#footnote-608))

الحمد لله الكريم المتفضل، الواهب المجزل، مَن نعمه على الخليفة نازلة, ومننهُ إلى عباده واصلة، يتقرّب إليهم بجوده وإحسانه، وهم يبتعدون عنه بجحوده وعصيانه.

أحمده ربي وأشكره، وأثني عليه ولا أكفره، أعبده ولا أجحده، وأعترف بفضله ونعمائه، وأعجز -مهما شكرتُ- عن إيفاء حق جوده وعطائه.

وأشهد أن لا إله إلا هو الشكور الصبور، الكريم الغفور، لا عاد لنعمه، ولا حدَّ لسخائه وكرمه.

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله... على نعمٍ ما كنتُ قطُّ لها أهلا

فإن زدتُ تقصيراً فزدني تفضلاً... كأنيَ بالتقصير استوجب الفضلا

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل نائل شاكر، وأثبتُ مبتلى صابر.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، نجوم الشاكرين في السراء، وأعلام الصابرين في الضراء، وسلم تسليماً

أما بعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له ).وروى الشيخان أيضاً عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: إن كان النبي صلى الله عليه و سلم ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له؟ فيقول: ( أفلا أكون عبدا شكورا !).

عباد الله، نعم الله على عباده أكثر من أن تحصى وتعد، وأوسع من أن يحيط بها أحد، غير الله تعالى، قال الله تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }النحل18.

نعمٌ ظاهرة مشاهدة بالعيون، أو مسموعة بالآذان،أو مشهودة بغيرهما من الجوارح،

و نعم علوية، ونعم سفلية, ونعم دينية، ونعم دنيوية, ونعم باطنة يدرك بعضها بالتأمل والتفكر، ونعم لا تدرك.

انظر يا عبدالله، إلى نفسك كم فيك من آيات ونعِم. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ{6} الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ{7} فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ{8} [الانفطار6-8]،

وقال: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ} {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ{21}[الذاريات20-21]،

أيها الإنسان، أتظن نفسك خالياً من آيات لله فيك! لا تظن ذلك.

وتحسب أنك جِرْم صغير... وفيك انطوى العالم الأكبر!.

انظر ما حولك كم من مخلوق خلق لخدمتك، وسخر لنفعك وراحتك.

قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ{71} وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ{72} وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ{73}[يس71-73].

قال أحد السلف لرجل يشكو ضيق حاله: "أيسرك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا, قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فبرجليك مائة ألف؟ فما زال يذكره نعم الله عليه واحدة واحدة، ثم قال له: أرى عندك مئات الألوف وأنت تشكو الحاجة؟!".

أيها المسلمون، إنما أنعم الله على عباده نعمه الغزيرة؛ رحمة بهم ليرى شكرهم، ولا يريد منهم ثمناً أو عائداً عليه، فإذا شكروا فلأنفسهم، وإن جحدوا فعليها.

قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }لقمان12

فإن الله لا ينفعه شكر الشاكرين، ولا يضره جحود الجاحدين، فمن شكر فقد حرس النعمة عليه بالبقاء، وكسب به المزيد والنماء، ومن كفر وجحد سارع في إذهاب النعمة، وتعجيل النقمة، قال الله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }إبراهيم7

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرَن،فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد".

وقال الحسن البصري رحمه الله: "إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يُشكر عليها قلبها عذاباً؛ ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ؛ لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب؛ لأنه يجلب النعم المفقودة".

وقال كعب الأحبار رحمه الله: "ما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا فشكرها لله، وتواضع بها لله، إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفع له بها درجة في الآخرة. وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها، إلا منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقات من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه".

ألا أيها الشاكر، اعلم أن شكر الله طريق إلى الأجر الكبير، فماذا أنت خاسر؟! قال عليه الصلاة والسلام: (للطاعم الشاكر مثل ما للصائم الصابر)([[609]](#footnote-609)).

وشكرك سبيل إلى مرضاة الله عنك، فماذا تريد وراء ذلك؟!

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها)([[610]](#footnote-610)).

عباد الله، إن حياة المؤمن بين صبر وشكر: صبر على ضراء، يصبر عندها فيربح بها أجراً ويُرفع بها قدرا, وشكر على سراء يحمد ربه عليها، ويعرف حق الله عليه فيها. عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)([[611]](#footnote-611)).

فماذا فات المؤمنَ إن شكر في هنائه وصبر في بلائه؟!

وماذا حصّل الجزِعُ من جزعه غيرَ الوزر والتعب؛ فإن ما قُدِّر عليه كائن.

معشر المسلمين، إن الشكر عبادة من العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، ومما يدل على أهمية هذه العبادة وعظيم ثوابها: أن الله أوقف الجزاء في كثير من الأعمال الصالحة على المشيئة، فقال في الإغناء: { وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }التوبة28، وقال في المغفرة: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً }النساء48، وقال في التوبة: { وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }التوبة15.

أما الشكر فأطلقه ولم يقيده بالمشيئة؛ لكرم الله تعالى على الشاكرين، ولتفاضل الشاكرين في الشكر، قال تعالى: { وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ }آل عمران145.

عباد الله، إن الشكر جُعل غاية للخلق فقال تعالى: {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }النحل78، وإن أعظم الشكر: توحيد الله وعبادته.

وكان الشكر صفة من صفات الأنبياء التي أثنى الله عليهم بها فقال نوح: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً }الإسراء3، وقال عن إبراهيم: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }النحل120.

وأخبر تعالى أنما يعبده من شكره، ومن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال: { وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }البقرة172

ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أجل المقامات وأعلاها جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: {ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }الأعراف17

أيها المسلمون، إن الشكر أعلى منازل السالكين إلى الله، ولن يكون كذلك حتى يبنى على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره.

فهذا ربنا المنعم الكريم علينا - عباد الله -ألا يليق بنا ونحن غارقون في نعمه ومننه أن نخضع له، ونحبه حباً صادقا، ونعترف بنعمته علينا، ونثني عليه، ونستعمل ما أنعم به في طاعته ومرضاته؟!

عباد الله، من سارع في طاعة الله وتنكب طريق معصيته وعمرَ قلبه بحبه، ولسانه بذكره، وجوارحه بخدمته ورضاه فقد أدى شيئاً من شكره.

قال أحد السلف: "الشكر:تقوى الله والعمل الصالح".

فالصلاة الصحيحة شكر، والصيام المقبول شكر، وكل عمل تعمله -أيها المسلم- لله شكر.

قال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين؟ قال: إن رأيت بهما خيراً أعلنته، وإن رأيت بهما شراً سترته, قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيراً وعيته، وإن سمعت بهما شراً دفعته. قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقاً لله هو فيهما. قال: فما شكر البطن. قال: قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ } {إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ }[المعارج29-30].

وقال علي رضي الله عنه لرجل: هل تدري ما حق الطعام؟ قال: ما حقه؟ قال: تقول: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا. قال: وتدري ما شكره إذا فرغت؟ قال: قلت: وما شكره؟ قال تقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا.

إخواني الأعزاء، إن النجاة من المآزق نعمة تستحق الشكر، الذي يتجلى في أعمال صالحة تعقب النجاة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه و سلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ( ما هذا؟). قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. قال: ( فأنا أحق بموسى منكم ). فصامه وأمر بصيامه ([[612]](#footnote-612)).

إن حصول النعمة سبب يدعو الإنسان إلى شكر الله تعالى، ومن شكر الله: القيام بسجدة الشكر عند حصول ما يُسر؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه أمرٌ يسره، أو بُشر به خرّ ساجداً لله شكراً.

معشر المسلمين، إننا ننام ثم نصبح إلى الحياة من جديد، وهذه نعمة علينا؛ لكوننا رجعنا إلى زمن المهلة؛ لعلنا نستغفر ونتوب، ونزداد عملاً صالحاً، فكيف نشكر هذه النعمة؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر. فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته )([[613]](#footnote-613)).

فنسأل الله عز وجل أن يجعلنا من عباده الحامدين، ومن صفوة خلقه الشاكرين، والحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم؟

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

عباد الله، ما أحسن الإحسان إلى الخلق، وأجمل بذل المعروف في الحق، وألذ أثره في النفس، وأطيب ذكره في السمع، وأنضر رؤيته للعين.

ولكن ما أبقاه وأوفاه إن صادف نفوساً حية تفيض بالشكر الوافر، والثناء العاطر. فتقابل النعمة بالمدح والشكران، لا بالجحود والكفران، وتستقبل الجميل بالاعتراف والإعلان، لا بالنكر والكتمان.

فشكر الناس، وحمد صنيعهم، وعدم نكران جميلهم من شكر الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) ([[614]](#footnote-614)).

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: (من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء) ([[615]](#footnote-615)).

قال الشاعر:

ومن يسدِ معروفاً إليك فكن له... شكوراً يكن معروفه غير ضائع

ولا تبخلنْ بالشكر والقرضَ فاجزه... تكن خيرَ مصنوعٍ إليه وصانع

إلا وإن من أعظم من أسدى إليك معروفاً -ولن تستطيع جزاءه مهما شكرت-: والداك الحنونان، قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ }لقمان14

وشكر الوالدين: برهما والإحسان إليهما، وهذا إذا كان في حق الوالدين اللذين لن يقدر الإنسان على رد معروفهما، فكيف بالمنعم الكريم سبحانه وتعالى الذي لا تنقطع نعمه عنا؟! فما أكثرَ النعم، ولكن ما أقلَّ شاكريها، قال تعالى: { وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ }سبأ13

فلماذا لا نحرص-يا عباد الله- أن نكون من هذا القليل؟ لندعُ الله بذلك كما كان رسول الله يدعو، كان عليه الصلاة والسلام يقول: (اللهم اجعلني لك شكّارا، لك ذكّارا، لك مطواعا، إليك مخبتا، لك أوّاها منيبا)([[616]](#footnote-616)).

فالشكرَ الشكرَ- يا عباد الله- على نعم الله تعالى الظاهرة والباطنة، ما قل منها وما كثر، فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وبالجحود تفنى وتبيد، وقد يخلفها العذاب والنقمة، والندم والحسرة. قال تعالى: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }النحل112

واعلموا- رحمني الله وإياكم- أنه لن تتغير نعم الله بالذهاب أو القلة إلا إذا غيّرنا ما بأنفسنا من الشكر إلى عدمه، قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }الأنفال53

وإن المسلم الشاكر ليقول لربه بلسان حاله أو مقاله:

أوليتني نعماً أبوح بشكرها... وكفيتني كلَّ الأمور بأسرها

فلأشكرنك ما حييتُ وإن أمت... فلتشكرنك أعظمي في قبرها

فيا رب لك الحمد كما ينبغي لوجهك وعظيم سلطانك، ولك الشكر على جزيل نعمائك وإحسانك، اللهم اجعلنا لك شكّارين، لك أوّابين، إليك منيبين، ومنك وحدك طالبين.

اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك.

ثم صلوا وسلموا على خير الورى....

# حقيقة بين عامين ([[617]](#footnote-617))

الحمد لله الحليم الغفار، العليم القهار، يدبر الأمر في السموات والأرض: يحي ويميت، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويقلب الليل والنهار، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار. وأشهد أن لا إله الله المتفرد بالقيومية والبقاء، والعظمة والكبرياء، يفعل ما يشاء ويختار. وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار، وصحابته الأبرار، وسلم تسليما.

أما بعد، فاتقوا الله-عباد الله- فبتقوى الله الخلاص من الفتن، والنجاة من المحن، وحصول اليسر والرزق الحسن. قال تعالى: {...وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً } {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً }[الطلاق2-3]. { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً }[الطلاق4].

أيها الناس،إنها حركة لا تتوقف وجري لا يعرف التريث والانتظار، وسباق لا ملل فيه ولا كسل، وكر لا يعرف الفر، ومضي لا يؤمن بالعودة، تلك طبيعة الزمان.

ارتحال لا إقامة فيه، ليل ونهار يذهبان بالأيام والليالي، وليالٍ وأيام تذهبان بالشهور، وتلك الشهور تذهب بالأعوام، وأعوام وراء أعوام وينتهي العمر وتزول الحياة.

هكذا الدنيا-عباد الله- فأيامها ثلاثة: فأمس عظةٌ وشاهدُ عدلٍ لك أو عليك، ذهب عنك وأبقى عليك حكمته، واليوم غنيمة وصديق أتاك ولم تأته، طالت عليك إقامته، وستسرع عنك رحلته، وغد لا تدري من أهله، وسيأتيك إن وجدك.

أيها المسلمون، إن الحياة سفر من الأسفار، فيه مراحل ومحطات، كل من قطع مرحلة وقف ونظر كم قد مضى من المراحل وكم قد بقي، كلما ذهب من عمره عام تأمل كم قد قطع من عمر الحياة المحدود، وهل بقي له فيه من نصيب؟!

كم من الناس من لا يسأل نفسه لمَ السفر؟ وبعض الناس يعرفون الوجهة ولكن سافروا بغير استعداد فكيف سيصلون؟

وما هذه الأيام إلا مراحل... يحث بها داعٍ إلى الموت قاصد

وأعجب شيء لو تأملت أنها... منازل تطوى والمسافر قاعد

قال داود الطائي رحمه الله: "إنما الليل والنهار مراحل، ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل؛ فإن انقطاع السفر عن قريب، فاقض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتك".

عباد الله، إن الزمان يأكل من أعمارنا يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة وشهراً بعد شهر وعاماً بعد عام، ما مضى منه مضى منا، قال الحسن رحمه الله:" يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يومك ذهب بعضك".

أرى الأعيادَ تتركني وتمضي... وأحسبني سأتركها وأمضي

وما كذبَ الذي قدْ قالَ قبلي... إذا ما مرَّ يومٌ مرَّ بعضي

أرى الأيام قد ختمت كتابي... وأحسبها ستتبعه بفض

أيها الإنسان، ينقضي العام فتظن أنك عشته، وأنت في الحقيقة قدْ مِته. ما من يوم إلا قرّبنا وبعّدنا، قربنا من الآخرة، وبعدّنا من الدنيا.

قال ابن رجب رحمه الله:" يا من يفرح بكثرة مرور السنين عليه، إنما تفرح بنقص عمرك".

إنا لنفرح بالأيام نقطعها... وكل يوم مضى يدني من الأجل

أيها الأحبة، ها هو عامنا هذا يحتضر على وشك الموت والوداع بعد أن قضى بيننا اثني عشر شهراً بأفراحها وأتراحها، بأرباحها وخسرانها، بزيادة الحياة بأحياء، ونقصانها بأموات.

إن رحيل العام عظة وذكرى برحيل العمر وانقضائه، كما خلقنا للأرض بعد سلف يوشك أن نكون سلفاً يعقبنا خلف، نتركها كما تركوها، وتلفظنا كما لفظتهم. ونكاد أن نعيد للأرض ما أخذنا منها، نعيد لها أجسادنا ليأكلها البلى بعد أن خلقنا من ترابها، وتضمنا بين أحضانها بعد أن كنا نمشي على ظهرها، ونهريق فيها دماءنا بعد أن شربنا من مائها، ونقرب لها أبداننا بعد أن نمت من ثمارها وأشجارها.

عباد الله، ذهب العام وصار من أخبار الماضي، لكن المؤمن العاقل لم يذهب عنه دون استغلال وحصاد من الخيرات. فقد غنم شهوره وربح أيامه ولياليه، ومضى الزمان فمضى معه ولكن بالاستفادة من لحظاته بما عمره من جلائل الأعمال وجميل الأحوال التي تنفعه يوم حاجته؛ لأنه عرف شرف زمانه فجعله شاهداً له لا شاهداً عليه، واتعظ بمرور الأيام فجعلها أيام مرور ولم يجعلها ظرفاً للخلود. رأى تقلبات الزمان وتغير أحوال الناس فعلم أنه لن يحصل هنا على ما يريد، فتهيأ بعُدّةٍ لحياة أخرى يحصل فيها على ما يريد.

رأى أغلب الناس سابقين إلى ما يفنى، ومبطئين في السير إلى ما يبقى، فأبطأ فيما يسابقون فيه، وسابق فيما أبطأوا فيه. رأى كثيراً من الناس يطلبون بأفعالهم البقاء، وهم منتقلون لا محالة يعمرون خراباً ويهدمون بنياناً باقياً فسعى إلى إعمار ما يدوم بنيانه.

لقد اتعظ بلحظاته، واعتبر بأوقاته فلم يركن إلى دعته من حزن، وصحته من سقم، وإقامته من ظعن، وقوته من ضعف، يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

أيها المسلمون، لقد فاز قوم أعدوا للسفر زاده فربحوا حتى وصلوا في عافية إلى وطنهم الموعود. تطلع الشمس عليهم صباحاً ثم تغيب مساء فيعتبرون أن للشروق غياباً وللذهاب إياباً فلا بقاء.

يهل هلال الشهر صغيراً ثم يكبر حتى يكتمل، فإذا وصل إلى كماله بدأ بالنقصان والاضمحلال فيعلمون أن للعمر نهاية وللدنيا أفولا.

أما المغرور أو الغافل فركن إلى حاله، ولم يتهيأ لانتقاله، فيظن أنه في عافيته لن يسقم، وفي شبابه لن يهرم، وفي غناه لن يفتقر، وفي قوته لن يضعف، وفي فرحته لن يحزن، وفي حياته لن يموت.

يقضي ليله ونهاره في خدمة الدنيا، تمر عليه الأحداث فلا يتعظ، ويمضي به الزمان فلا يعتبر، يرى المصارع والفواجع فلا ينزجر، ولا يبالي أمرّ تْ به أعوام أو أيام؛ لأنها في ميزانه سواء.

يموت عليه قريب أو حبيب، أو صديق أو بعيد ويخلفون ما وراءهم لا يأخذون منه شيئاً، فلا يتذكر أنه سيصير إلى ما صاروا إليه، وأن هذه الدنيا التي يعيش فيها سريعة التقضي قريبة الانصرام.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار الراوي بالسبابة - في اليم فلينظر بم يرجع؟) ([[618]](#footnote-618)).

كم للمؤملين فيها من آمال، وللمتمنين فيها من أمانٍ ذهبت بحلول الآجال وانقطاع الأعمال.

نؤمل آمالا ونرجو نتاجها... وعلَّ الردى مما نرجّيه أقرب

ونبني القصور المشمخرات في الهوا... وفي علمنا أنا نموت وتخرب

عباد الله، ها نحن على وشك توديع عام من أعمارنا يذهب عنا ولن يعود إلينا إلا يوم القيامة بما أودعنا فيه من الأعمال.

تفكر-يا عبد الله وأنت تودع مرحلة من فرصة حياتك- أنه مسجل فيها أعمالك صغيرها وكبيرها صالحها وطالحها، وأنك ستلاقيها في كتابك وستحاسب عليها بين يدي ربك.

قال تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }[ق18].

وقال: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً }[الكهف49].

أيها المسلمون، إن المؤمن العاقل دائم المحاسبة لنفسه: ماذا فعلت، وكيف فعلت، ولمن فعلت، ولمَ فعلت؟ ويحاسب نفسه كل حين، وقد تمر به محطات زمنية لها خصوصيتها، كهذه المحطة في نهاية العام فيقف على رأس الحول فينظر ما صدر منه- وهو في زمن الاستطاعة والقدرة- فإن كان العمل محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل، واستغفر واستعفى؛ فصلاح المستقبل بدوام المحاسبة، وإتقان الأعمال بكثرة المراقبة.

اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، فمن حاسب نفسه اليوم خف عليه الحساب غداً، وسهل عليه العمل، ومن قصر في محاسبة نفسه اليوم ثقل عليه الحساب غدا، وعسر عليه فعل الطاعات في حياته.

قال الحسن البصري رحمه الله: "أيسر الناس حساباً يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله عز و جل في الدنيا، فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإن كان الذي هموا به لله مضوا فيه، وإن كان عليهم أمسكوا، وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور فأخذوها من غير محاسبة فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر فقالوا: { يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها }".

من حاسب نفسه عرف حق الله عليه وعظيم فضله، فقارن ذلك بتقصيره في جنب الله فأتقن العمل وتجنب الخطل.

من حاسب نفسه قل زلله، وكثر صوابه، فأثمر ذلك صلاح عمله قبل حلول أجله.

من حاسب نفسه لم يغتر بسلامته وشبابه، وغناه وحسن أحواله، بل استعجل العمل الصالح ولم يستأجل، ورمى بالتسويف جانباً.

ها أنت يا عبد الله تدعى إلى المحاسبة اليوم فماذا أنت صانع؟ ألا تعتبر بما مضى من عمرك لتصلح ما بقي من دهرك، أما مرت بك الجنائز وذهب بعض من شاركوك في استقبال العام الذي نودعه، فهل ستبقى إلى مثل اليوم من العام القابل؟ إذا قيل لك: إنك ستموت غداً فهل ستنشغل بالدنيا جامعاً مانعاً أو ستقبل على الآخرة؟ ها أنت اليوم في زمن المهلة فهلاّ استعديت؟ فربما بغتك الأجل في ساعتك أو يومك أو شهرك أو عامك. حاسب نفسك على ما فرطت وأسرفت، وتعديت واعتديت، واليوم:

انْدُبْ زَماناً سلَفا... سوّدْتَ فيهِ الصُّحُفا

ولمْ تزَلْ مُعتكِفا... على القبيحِ الشّنِعِ

كمْ ليلَةٍ أودَعْتَها... مآثِماً أبْدَعْتَها

لشَهوَةٍ أطَعْتَها... في مرْقَدٍ ومَضْجَعِ

وكمْ خُطًى حثَثْتَها... في خِزْيَةٍ أحْدَثْتَها

وتوْبَةٍ نكَثْتَها... لمَلْعَبٍ ومرْتَعِ

وكمْ تجرّأتَ على... ربّ السّمَواتِ العُلى

ولمْ تُراقِبْهُ ولا... صدَقْتَ في ما تدّعي

فالْبَسْ شِعارَ النّدمِ... واسكُبْ شآبيبَ الدّمِ

قبلَ زَوالِ القدَمِ... وقبلَ سوء المصْرَعِ

واخضَعْ خُضوعَ المُعترِفْ... ولُذْ مَلاذَ المُقترِفْ

واعْصِ هَواكَ وانحَرِفْ... عنْهُ انحِرافَ المُقلِعِ

إلامَ تسْهو وتَني... ومُعظَمُ العُمرِ فَني

في ما يضُرّ المُقْتَني... ولسْتَ بالمُرْتَدِعِ

أمَا ترَى الشّيبَ وخَطْ... وخَطّ في الرّأسِ خِطَطْ

ومنْ يلُحْ وخْطُ الشّمَطْ... بفَودِهِ فقدْ نُعي

ويْحَكِ يا نفسِ احْرِصي... على ارْتِيادِ المَخلَصِ

وطاوِعي وأخْلِصي... واسْتَمِعي النُّصْحَ وعي

واعتَبِرِي بمَنْ مضى... من القُرونِ وانْقَضى

واخْشَيْ مُفاجاةَ القَضا... وحاذِري أنْ تُخْدَعي

وانتَهِجي سُبْلَ الهُدى... وادّكِري وشْكَ الرّدى

وأنّ مثْواكِ غدا... في قعْرِ لحْدٍ بلْقَعِ

آهاً لهُ بيْتِ البِلَى... والمنزِلِ القفْرِ الخَلا

فَيا مَفازَ المتّقي... ورِبْحَ عبْدٍ قد وُقِي

سوءَ الحِسابِ الموبِقِ... وهوْلَ يومِ الفزَعِ

ويا خَسارَ مَنْ بغَى... ومنْ تعدّى وطَغى

وشَبّ نيرانَ الوَغى... لمَطْعَمٍ أو مطْمَعِ

يا مَنْ عليْهِ المتّكَلْ... قدْ زادَ ما بي منْ وجَلْ

لِما اجتَرَحْتُ من زلَلْ... في عُمْري المُضَيَّعِ

فاغْفِرْ لعَبْدٍ مُجتَرِمْ... وارْحَمْ بُكاهُ المُنسجِمْ

فأنتَ أوْلى منْ رَحِمْ... وخيْرُ مَدْعُوٍّ دُعِي

عباد الله، ها هي شمس عام جديد عما قريب ستشرق مؤذنة بمرحلة جديدة من مراحل العمر القصير، ولا ندري ماذا تخفي طياتها من أفراح أو أتراح، وماذا سنعمل فيها من الأعمال.

فالربح كل الربح في استقباله بعزم صادق على فعل الخير، والمسابقة إليه، وارتياد معاهده، والارتشاف والعب من موارده، والحذر الشديد من تضييع لحظاته، بما يجني على النفس الندامة والإثم، بسلوك سبل العصيان، والتيه في تضييع الزمان، وفرصة العمر المحدودة.

العام الآتي سيكون لك صفحة بيضاء فارقم فيها ما تحب أن تراه في قبرك ويوم حشرك.

أيها المسلمون، مهدوا لأنفسكم فرش السلامة بلزوم طريق الاستقامة، قبل حصول الحسرة والندامة. لا تركنوا إلى عمر مديد، وعيش رغيد، ووقت مهيئ؛ فالأعمار مجهولة والآجال مقدرة، والأوقات والأحوال متقلبة؛ فكم من جنين لم يولد، ووليد لم يبلغ، وشاب لم يكتهل، وكهل لم يشخ، وشيخ لم يهرم، وهرم لم يمتد هرمه.

فرحم الله عبداً أصلح ما مضى، وجدّ فيما بقي، وتزود من دار الغرور بما ينجيه يوم البعث والنشور، وجمع من الدنيا ما خف عليه حمله وسهل حسابه، فيا سعادة المخفّين، ويا فوز العاملين.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر له شكراً شكراً، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، يقول ربنا تبارك وتعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ... }[التوبة36].

لما ابتدأ الله خلق السماوات والأرض جعل السنة اثني عشر شهراً هلالية جعلت مواقيت للناس يقضون فيها حوائجهم، وتبنى عليها أحكام من شرائع دينهم، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...}[البقرة189].

عباد الله، لقد عرف الناس التاريخ من قديم الزمان على اختلاف بينهم في تحديده وطريقة معرفته.

وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم أن الفرس لها تاريخها والروم لها تاريخها فينبغي أن يكون للمسلمين تاريخهم كذلك.

ففي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إليه واليه أبو موسى رضي الله عنه: "إنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ". فجمع عمر الناس فاستشارهم، فيقال: إن بعضهم قال: أرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكها، كلما هلك ملك أرخوا بولاية من بعده. فكره الصحابة ذلك، فقال بعضهم: أرخوا بتاريخ الروم فكرهوا ذلك أيضاً، فقال بعضهم: أرخوا من مولد النبي عليه الصلاة والسلام، وقال آخرون من مهاجره، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فأرخوا بها، فأرخوا من الهجرة.

وقد اتفقوا على ذلك، ثم تشاوروا: من أي شهر يكون ابتداء السنة، فقال بعضهم: من رمضان، فاختار عمر وعثمان وعلي أن يكون من المحرم؛ لأنه شهر حرام يلي شهر ذي الحجة الذي يؤدي فيه المسلمون حجهم الذي به تمام أركان دينهم.

أيها المسلمون، إذن للأمة الإسلامية استقلاليتها وتميزها عن الأمم، فتاريخنا-نحن المسلمين- تاريخ ترتبط به بعض شعائر ديننا ابتداء وانتهاء.

وقد ظل تاريخ الأمة هو التاريخ الهجري إلى عهود قريبة، فلما اشتد الوهن وضعف عند الأمة التمسك بدينها أخذت بتقليد أهل الكفر حتى في تاريخهم. فأرخت الأمة بتاريخ النصارى بميلاد المسيح عليه السلام. وهذه طبيعة المغلوب مع الغالب.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ). قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: ( فمن ) ([[619]](#footnote-619)).

لقد أصبح بعض المسلمين لا يعرف من التاريخ الهجري إلا رمضان والأعياد، ولو سئل عن تاريخ يومه بالتاريخ الهجري لما درى.

فالواجب علينا-عباد الله- أن نعتز بديننا وتاريخنا، ونعرف أننا أمة من دون الناس، ولئن غُلبنا في المعاملات الرسمية بالتاريخ الميلادي فلنؤرخ في معاملاتنا الشخصية بالتاريخ الهجري عسى أن نحيي ما مات من عز أمتنا.

هذا وصلوا على البشير النذير...

# فضائل أهل اليمن ([[620]](#footnote-620))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا ه[[621]](#footnote-621)ادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن الله تعالى هو العليم الحكيم، ومن مظاهر علمه وحكمته: أن يختار من خلقه ما يشاء ويفضله على غيره؛ لما يعلمه سبحانه فيه من أسباب التفضيل. سواء كان ذلك في البشر أم الملائكة أم الأماكن أم الأزمنة.

إن من أولئك الذين فضلهم الله تعالى من أمة محمد عليه الصلاة والسلام: أهل البلدة الطيبة أهل اليمن. فإن لهم من الفضائل والمناقب والمحامد والمكارم ما شهدت به الأخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم. وشهد بذلك أيضاً حسن الفعال عبر التاريخ الإسلامي الطويل.

عباد الله، إن لأهل اليمن أوائل وسوابق في الخير على غيرهم من الناس، فمن ذلك:

أن أهل اليمن هم أول من أجاب إبراهيم عليه السلام حين أذن بالحج، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، قال تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ }[الحج27].

وكذلك كان تبع اليماني هو أول من كسا الكعبة، وأول أهل اليمن إيماناً بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه. فقد روى عبد الرزاق عن ابن جريج قال: " بلغنا أن تبعاً أول من كسا الكعبة الوصائل فسترت بها ". ثم كساها الناس من بعده إلى يومنا هذا.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه قال: أقبل تبع يفتتح المدائن حتى نزل المدينة وأهلها يومئذ يهود فظهر على أهلها، وجمع أحبار اليهود فأخبروه أنه سيخرج بمكة نبي يكون قراره بهذا البلد اسمه أحمد، وأخبروه أنه لا يدركه، فقال تبع للأوس والخزرج: أقيموا بهذا البلد، فإن خرج فيكم فآزروه وصدقوه، وإن لم يخرج فأوصوا بذلك أولادكم، وقال في شعره:

حُدِّثتُ أن رسول المليك يخر ج حقاً بأرض الحرم

ولو مُدّ دهري إلى دهره... لكنت وزيراً له وابن عم

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( لا تسبوا تبعاً؛ فإنه كان قد أسلم) ([[622]](#footnote-622)).

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كان تبع رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله عز و جل ذم قومه و لم يذمه) ([[623]](#footnote-623)). وأخرج ابن عساكر عن بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عن سب أسعد وهو تبع. قلنا: يا أبا عبد الله، وما كان أسعد؟ قال: كان على دين إبراهيم" ([[624]](#footnote-624)).

عباد الله، ومن سوابق أهل اليمن أيضاً: أنهم أول من سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أول هذا العالم، فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: إني عند النبي صلى الله عليه و سلم إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: ( اقبلوا البشرى يا بني تميم ). قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: ( اقبلوا البشرى يا أهل اليمن؛ إذ لم يقبلها بنو تميم ). قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: ( كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء ) ([[625]](#footnote-625)).

وجاء عن أبي هريرة الدوسي اليماني رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم: ( لقد ظننت يا أبا هريرة، أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصة من قبل نفسه) ([[626]](#footnote-626)).

ومن سوابق أهل اليمن: أنهم أول من جاء بالمصافحة، فعن أنس بن مالك قال: لما جاء أهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد جاءكم أهل اليمن، وهم أول من جاء بالمصافحة) ([[627]](#footnote-627)).

أيها المسلمون، إن لأهل اليمن فضائل كثيرة أخرى جاءت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك:

أن أهل اليمن هم أهل الإيمان، وهو درجة أعلى من الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية) ([[628]](#footnote-628)).

و عن أبي مسعود قال- وأشار النبي صلى الله عليه و سلم بيده نحو اليمن: ( الإيمان هاهنا - مرتين -، ألا وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين - حيث يطلع قرنا الشيطان -: ربيعة ومضر ) ([[629]](#footnote-629)).

وقد بوب الإمام النووي في صحيح مسلم: باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، وساق الحديثين السابقين.

قال بعض العلماء في معنى الحديث الأول: " أي: يتأخر الإيمان بها بعد فقده من جميع الأرض، وقال بعضهم: لإذعانهم إلى الإيمان بغير كلفة".

ومن الفضائل: أن أهل اليمن هم أهل الفقه والعلم، كما في الحديث السابق: (والفقه يمان). والمقصود بالفقه: الفهم الشمولي للإسلام وليس المصطلح الفني عند المتأخرين.

قال ابن رجب رحمه الله: " وهذا إشارة منه إلى أبي موسى رضي الله عنه، ومن كان على طريقه من علماء أهل اليمن كأبي مسلم الخولاني وأويس القرني ووهب بن منبه وغيرهم من علماء أهل اليمن، وكل هؤلاء من العلماء الربانيين... ولم يكن تميزهم عن الناس بكثرة قيل وقال ولا بحث ولا جدال".

ومن الفضائل: أن أهل اليمن هم أهل الحكمة والإصابة في القول والفعل، كما في الحديث السابق: (والحكمة يمانية). والحكمة معناها: ما منع من الجهل والجفاء، والحكيم من منعه عقله وحلمه من الطيش. وقال بعض العلماء: "الحكمة الإصابة لما يرضي الله وما يحبه، وترك ما يسخطه ويكرهه، ولا ينال ذلك إلا برقة القلب وصفائه، فمن كان أصفا قلباً فإنه أحسن إدراكاً وأشد إصابة".

قال ابن رجب رحمه الله: " وقال ابن مسعوداً: (إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه، وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه، كثير خطباؤه)، فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم. وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم لأهل اليمن بالإيمان والفقه. وأهل اليمن أقل الناس كلاماً وتوسعاً في العلوم، لكن علمهم علم نافع في قلوبهم ويعبرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك. وهذا هو الفقه والعلم النافع".

وكفى بهذه منقبة بعد الإيمان بالله؛ لأن الله تعالى يقول: {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }[البقرة269].

ومن فضائل أهل اليمن: أنهم من أهل الخشوع ورقة القلوب والشفقة على المخلوق، والطاعة والانقياد في الحق كما في الحديث السابق: (جاء أهل اليمن هم أرق قلوباً وأضعف أفئدة)، وعند أحمد: ( وأنجع طاعة) وعند الطبراني: (وأسمع طاعة) ([[630]](#footnote-630)).

وقد قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر رضي الله عنه أيام خلافته فسمعوا القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر: "هكذا كنا ثم قست القلوب".

أيها الأحبة الكرام، ومن فضائل أهل اليمن: أنهم يحبون الله ويحبهم الله، وأنهم أشداء على الكفار أرقاء على المؤمنين.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[المائدة54].

فعن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: ({يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ....}[المائدة54].أومأ رسول الله إلى أبي موسى بشيء كان معه فقال: هم قوم هذا ) ([[631]](#footnote-631)).

وروى الطبري في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي: "أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يومًا، وهو أمير المدينة، يسأله عن ذلك: فقال: محمد: يأتي الله بقوم، وهم أهل اليمن، قال عمر: يا ليتني منهم!".

وأخرج البخاري في تاريخه عن القاسم قال: " أتيت ابن عمير فرحب بي ثم تلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ....}[المائدة54]، ثم ضرب على منكبي وقال: أحلف بالله لمنكم أهل اليمن، ثلاثاً".

ومن الفضائل: أنهم من أكثر الناس تشبهاً بصحابة رسول الله في اتباع السنة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رفقة من أهل اليمن في الحج رحالهم الأدم، فقال: "من أحب أن ينظر إلى أشبه رفقة كانوا بأصحاب رسول الله فلينظر إلى هؤلاء".

ومن فضائل أهل اليمن: أنهم من أسرع الناس استجابة للحق وبعداً عن الاستكبار عنه؛ فقد استجابوا لدعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام برسالة، ولم يلق منهم رسول الله محاربة وصداً. وجاءت وفودهم أفواجاً مسلمين منقادين من غير إكراه ولا رهبة.

عن ابن عباس: قال: بينما النبي صلى الله عليه و سلم بالمدينة إذ قال: ( الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله وجاء الفتح، وجاء أهل اليمن قوم نقية قلوبهم، لينة طاعتهم، الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية ) ([[632]](#footnote-632)).

وعن أبي هريرة قال: لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح...) قال النبي صلى الله عليه و سلم: (أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوباً، الإيمان يمان، الفقه يمان، الحكمة يمانية) ([[633]](#footnote-633)).

ومن فضائل أهل اليمن: أن رجالهم خير الرجال، قال النبي صلى الله عليه و سلم: (خير الرجال رجال أهل اليمن..) ([[634]](#footnote-634)).

أيها الأخوة الأكارم، ومن فضائل أهل اليمن: أن أعمالهم الصالحة أعظم من أعمال غيرهم، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إنه سياتي قوم تحقرون أعمالكم إلى أعمالهم، قلنا يا رسول الله، أقريش؟ قال: لا، ولكن أهل اليمن) ([[635]](#footnote-635)).

ومن فضائل أهل اليمن: أنهم جيش الإسلام وجنده البواسل في كل زمان، فقد كانت لهم أيادٍ بيضاء في الفتوحات الإسلامية في حياة رسول الله وبعد موته في فتوح العراق والشام وبلاد الترك وأفريقية والأندلس وأوروبا حتى وصلوا إلى أبواب فرنسا، وما زالت معالمهم في إسبانيا شاهدة على آثارهم. فمن ذلك: أن غالب أهل معركة القادسية التي انتصر فيها المسلمون على الفرس وكانت بوابة فتح فارس كان غالب جندها من اليمن، بل كانت قبيلة بجيلة اليمنية وحدها ربع الناس فضلاً عن غيرهم. وفي معركة نهاوند أيضاً أبلوا بلاء حسناً، وفي معركة بلاط الشهداء كذلك، وغيرها. ولم يزل لأهل اليمن مشاركات معلومة في الجهاد ضد أعداء الإسلام في العصر الحاضر.

فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن الله عز و جل استقبل بي الشام وولى ظهري لليمن، وقال لي: يا محمد، جعلت ما تجاهك غنيمة ورزقاً، وما خلف ظهرك مدادا) ([[636]](#footnote-636)).

وفي آخر الزمان لأهل اليمن بشرى ففي حديث عبد الله بن حوالة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة: جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق) قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله، إن أدركت ذلك. فقال: عليك بالشام؛ فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبى إليها خيرته من عباده، فإن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله) ([[637]](#footnote-637)).

ومن الفضائل أيضاً: أن أهل اليمن هم أهل الأمانة والشريعة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( الملك في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والأمانة في الأزد يعني: اليمن) ([[638]](#footnote-638)). وعند أحمد: (والشرعة في اليمن).

عباد الله، ومن الفضائل: أن هذه البلدة حظيت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما في البخاري: ( اللهم بارك لنا في شأمنا، اللهم بارك لنا في يمننا ). قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ قال: ( اللهم بارك لنا في شأمنا، اللهم بارك لنا في يمننا ). قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: ( هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان ).

قال بعض العلماء: " وقد استجيبت دعوة رسول الله وحصل من البركات بسبب هذ الدعوة في الشام واليمن ما هو معروف مشهور، وهل دونت الدواوين وجندت الأجناد، وارتفعت الرايات والبنود إلا بعد إسلام أهل اليمن والشام وصرفت أموالهما في سبيل الله".

إن أهل اليمن مقربون من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن عتبة بن عبد: أن رجلاً قال: يا رسول الله، العن أهل اليمن؛ فإنهم شديد بأسهم، كثير عددهم، حصينة حصونهم قال: ( لا )، و لعن رسول الله صلى الله عليه و سلم الأعجمين: فارس و الروم، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إذا مر بكم أهل اليمن يسوقون نساءهم و يحملون أبناءهم على عواتقهم فإنهم مني و أنا منهم ) ([[639]](#footnote-639)).

أيها المسلمون، ومن فضائل أهل اليمن: أنهم من خيار أهل الأرض، فجبير بن مطعم رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بطريق مكة قال: ( أتاكم أهل اليمن مثل السحاب خيار من في الأرض ) فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله إلا نحن، فسكت ثم أعادها فسكت، ثم أعادها فقال كلمة خفية: ( إلا أنتم ) ([[640]](#footnote-640)).

ومن الفضائل: أنهم أول الناس شرباً من حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة. فعن ثوبان أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: ( إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم) ([[641]](#footnote-641)).

قال النووي رحمه الله: " معناه: أطرد الناس عنه غير أهل اليمن؛ ليرفض على أهل اليمن-أي: يسيل عليهم- وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه؛ مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم في الإسلام والأنصار من اليمن، فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا في الدنيا عن النبي صلى الله عليه و سلم أعداءه والمكروهات".

أيها الأفاضل: ولا ننسى-ونحن نذكر- فضائل أهل اليمن ذكر تلك الملكة الصالحة ملكة سبأ بلقيس رحمها الله التي استجابت لنبي الله سليمان عليه السلام، وأسلمت معه لله رب العالمين، وسخرت ملكها في خدمة الدين الحق الذي دعاها إليه سليمان عليه السلام.

ولا ننسى أيضاً أن أهل اليمن هم أصل العرب ومنهم تحدرت قبائلها، ومنهم قبيلة جرهم التي نزلت بمكة وتزوج منهم إسماعيل عليه السلام فجاءت من ذريته قريش، وخرج من قريش محمد عليه الصلاة والسلام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أما بعد:

أيها المسلمون، لقد جانب الصوابَ من قصر فضائل أهل اليمن كلها على زمان دون زمان، وفئة دون فئة من أهل اليمن؛ فإن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عام لكل زمان، ولكل أهل اليمن بحدودها الجغرافية السابقة، لا بحدودها الحالية المصطنعة.

نعم، هناك بعض الفضائل السابقة سيقت سياقاً خاصاً ببعض أهل اليمن كالأشعريين ومن كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن بقية النصوص الأخرى تبقى على إطلاقها.

ولذلك فلا يزال أهل اليمن بمرور الأيام لهم قدم صدق في الحفاظ على الإسلام ونشره في ربوع المعمورة، ولئن كتبت عليهم الهجرة عن بلدتهم الطيبة إلى أصقاع الأرض المختلفة فقد صارت هجرة بعضهم نشراً للإسلام والخير والأخلاق الحسنة في الجهات التي وصلوا إليها.

ثم إنه لازلت بعض البلدان الإسلامية في عصرنا الحاضر تنطمس فيها معالم الإسلام يوماً بعد يوم، غير هذه البلاد المباركة التي ما تزال معالم الإسلام هي المعلم المميز لها.

إلا أن هناك خطى حثيثة وأيادي خبيثة من داخل البلاد وخارجها تحاول طمس تلك المعالم الوضاءة تحت مسميات شتى. وبعون الله، ثم بتكاتف أهل الفضيلة والغيرة على الإسلام يحول الله بينهم وبين ما يشتهون من الشر للبلاد والعباد.

عباد الله، وقد جانب الصواب أيضاً من رأى تقصير بعض أهل اليمن في المحامد وارتكابهم ما لا يليق من المذام خلقاً وديناً أن ذلك سمة عامة لكل أهل هذه البلاد. نعم هناك مفسدون ومجرمون لكنهم أعضاء مشوهة في جسم كبير طيب لا يعبرون إلا عن أنفسهم الدنيئة التي لم تحظ بشرف العمل الصالح والخلق الحسن فيشملهم فضل هذه البلدة المباركة.

فأهل اليمن كغيرهم من الناس فيهم الصالح والطالح، فلا ينظر إلى فعل الطالح فيعمم على جميع الناس.

يا أهل اليمن السعيد، رويداً رويداً، لا تدعونكم هذه الفضائل إلى الزهو والتعالي والفخر على غيركم؛ فإن الفضل في الدين لا يزيد صاحبه إلا تقى وتواضعاً كالشجرة المثمرة التي تدنو أغصانها ولا تشمخ كالشجرة العاطلة من الثمر.

فالإنسان لا يرفعه إلا عمله الصالح وتقواه لرب العالمين، لا انتسابه لقبيلة أو وطن.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[الحجرات13].

والأوطان لا تقدس أحداً، إنما يقدس الإنسانَ عملُه، كما قال سلمان رضي الله عنه.

وعليكم أن تعلموا كذلك أن هذه الفضائل ليست لكل أهل اليمن؛ فأهل اليمن فيهم المسلم واليهودي، وفيهم المتبع والمبتدع، وفيهم الطائع والعاصي. إنما هذه الفضائل لمن رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولا، فلا افتخار ليمني بهذه الفضائل إذا لم يكن من أهل الإيمان والاتباع.

يا أهل اليمن إن هذه الفضائل تدعوكم إلى التمسك بالإسلام أكثر من غيركم، وتدعوكم إلى الدفاع عنه ونشره بأقوالكم وأفعالكم الحسنة بين الناس، فأروا العالم من أنفسكم خيراً أنكم أهل لها باستقامتكم وحملكم همَّ الإسلام. وهذه الفضائل كذلك تدعوكم لقراءة سير أسلافكم الأماجد الذين رفعوا راية هذا الدين فارتفعوا بها، اقرأوا أمجادهم الخالية حتى تصنعوا مثلها في أيامنا الحالية، وسيروا على منهاجهم ودربهم، حتى يقال: إنهم خلفوا وراءهم رجالاً يواصلون مسيرتهم المشرقة.

{ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ }[محمد38].

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية...

فهرس خطب المجموعة الثانية

المقدمة

مرض الحسد وعلاجه

الإصابة بالعين حقيقتها وعلاجها

السحر بثوبه الجديد

اللهم أغثنا - لا تجارة بالإسلام والأخلاق الحميدة

الإسراء والمعراج: ذكريات وتأملات

شعبان آداب وأحكام

الصيف.. حِكَم وأحكام

مشكلاتنا: أسبابها وعلاجها

الثقة بالله تعالى

الحفاظ على نعمة العقل

فضل الاستغفار

مفاتيح الرزق

بين يدي رمضان

رمضان والقرآن

رمضان والجود

رمضان والتفكر

رمضان والجهاد

رمضان والدعاء

وداع رمضان

الناس بعد رمضان

الثبات الثبات عباد الله

السفر إلى الدار الآخرة

الإسلام والنظافة

الغضب بين الذم والمدح

الطلاق الممنوع والطلاق المشروع

تعظيم الأشهر الحرم

الكلمة الطيبة وآثارها الحسنة

فضل العمل الصالح في العشر الأُول من ذي الحجة

الحج عبر ودروس

خطبة عيد الأضحى

ذكر الله تعالى

عبادة الشكر

حقيقة بين عامين

فضائل أهل اليمن

النور السائر

من  
خطب المنابر

المجموعة الثالثة

تأليف

عبد الله بن عبده العواضي

# مقدمة المجموعة الثالثة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فهذه المجموعة الثالثة من الخطب التي ألقيتها لتوفي مجموعتين سابقتين، أسأل الله تعالى أن يتقبلها بقبول حسن وأن ينفع ملقيها وغير ممن يشاء من المسلمين.

وكتبه: عبد الله بن عبده نعمان العواضي

إمام وخطيب مسجد ابن الأمير الصنعاني

اليمن-صنعاء

Moh3517@gmail.com

# الإيمان هو الحياة ([[642]](#footnote-642))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن شدة عناية الإنسان بشيء ما في هذه الحياة يجعله يأخذ مساحة كبيرة من أفكاره وجهوده وأعماله وأوقاته. وكثرة الاهتمام بشيء تدل على الحرص عليه والخوف من فواته. فمن كان محباً للمال حباً شديداً عاش لأجله مفكراً وجامعاً مانعاً ليله ونهاره.

ومن كان مغرماً بالجاه والترأس قضى وقته في أسباب نيله والحفاظ عليه بعد حصوله.

ومن كان محباً للعلم والمعرفة بذل لأجل ذلك الغالي والرخيص وغدا شغله الشاغل الذي لا يستطيع الانفكاك عنه.

وهكذا كل إنسان في هذه الحياة له اهتماماته وهواياته التي تأخذ جزءاً كبيراً من عمره، وحيزاً واسعاً من تفكيره.

والملاحظ في واقعنا-نحن المسلمين- الذين عرفنا لماذا جئنا وإلى أين المصير أننا قد غفلنا عن أمر عظيم لم نوله جُلَّ اهتمامنا وعنايتنا، وهو كنز ثمين لو اهتمينا به اهتماماً كبيراً لصلحت دنيانا وأخرانا. لكن حينما قلّت العناية به بدأ يضعف ويخبو بريقه مع كثرة تكاثف ظلمات الغفلة والانزواء عنه إلى غيره. هذا الأمر العظيم هو الإيمان.

أيها الأحبة، الإيمان كلمة عظيمة تحمل في طياتها الحياة السعيدة والمستقبل المشرق، وتكتنز بين جنباتها العزة والرفعة والسيادة والريادة. تلك الكلمة التي تعدّ سفينة النجاة من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك.

هذه الكلمة السامية ليست عبارة تقال باللسان، وإنما هي معتقدات صحيحة وأعمال صالحة ابتغاء وجه الله تعالى.

إنها تعني التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والعمل الصادق الذي يتلو هذا الاعتقاد.

قال تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }[البقرة177].

إن الإيمان-يا عباد الله- جهاد صادق للنفس على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده والبحث عن الحق والسؤال عنه للتمسك به والتزامه. قال تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[النور51].

وهو حقائق ومعانٍ تنتج أعمالاً صالحة وسلوكاً مستقيماً. الإيمان درجة رفيعة في بنيان الإسلام الشامخ يصل إليها المسلم بصفاء قلبه من كل ما يعارض ما يجب اعتقاده واستقامة جوارحه على أوامر الشرع. قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }[الحجرات15].

والإيمان هو دواء للنفس والمجتمع، وصلاح للدين والدنيا، والحكومات والشعوب.

أيها المسلمون، إن الأزمات المتتابعة على الأمة الإسلامية إنما جاءت بسبب أزمة ضعف الإيمان ونقصانه، فلو عولجت أزمة ضعف الإيمان لعولجت جميع أزماتنا؛ لأن الله تعالى وعد المؤمنين بالنصر والتمكين فقال: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }[النور55]. وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }[محمد7].

وتكفل الله بالدفاع والحماية للمؤمنين فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ }[الحج38].

وأقسم تعالى على حصول الحياة الطيبة لمن آمن وعمل صالحاً فقال: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[النحل97].

فمن أراد هذه الوعود من النصر والحماية والحياة الطيبة فليحقق الإيمان عملياً في سره وعلنه، فمن وفى وفى الله له.

معشر المسلمين، إن الإيمان هو الحياة، فلا طعم للحياة بلا إيمان مهما اتسعت ورحبت وأينعت، فمن رزق الإيمان عرف العيش الهنيء والراحة النفسية والاستقرار الروحي وأحس لذة الاطمئنان وانشراح الصدر وسلامة البال.

إذا تغلغل الإيمان في القلوب ثبت المسلم على دينه وأحبه وأحب كل ما جاء به، ورآه أعظم نعمة عليه وصار محالاً لديه أن يبيعه بالدنيا وما فيها. قال هرقل لأبي سفيان-في أسئلته عن النبي عليه الصلاة والسلام عندما كان أبو سفيان في الشام قبل أن يسلم-: (وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب) ([[643]](#footnote-643)).

ذكر ابن حجر رحمه الله في كتابه الإصابة "أن عمر رضي الله عنه وجه جيشاً إلى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة فأسروه فقال له ملك الروم: تنصر أشركك في ملكي فأبى، فأمر به فصلب وأمر برميه بالسهام فلم يجزع، فأنزل وأمر بقدر فصب فيها الماء وأغلى عليه وأمر بإلقاء أسير فيها فإذا عظامه تلوح فأمر بإلقائه إن لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى قال: ردوه فقال: لم بكيت؟ قال: تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في الله، فعجب فقال: قبّل رأسي وأنا أخلي عنك فقال: وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبّل رأسه فخلى بينهم، فقدم بهم على عمر فقام عمر فقبل رأسه". فانظروا ماذا يصنع الإيمان.

إذا رسخ الإيمان في القلوب هانت على صاحبه آلام الجسد إذا كانت من أجل الله تعالى.

وتعرفون ثبات الصحابة المعذبين في مكة كبلال وخباب وأسرة آل ياسر وغيرهم. ما الذي جعلهم يتحملون ذلك العذاب الشديد؟ إنه شيء واحد اسمه الإيمان.

وحينما يستقر الإيمان في القلب تقل الدنيا وتصغر في عين صاحبه، فلا يقدم على الآخرة شيئاً من الدنيا يذهب إيمانه أو يضعفه، فلو ذهبت دنياه كلها وبقي له دينه فلا يبالي.

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه... فما فاته منها فليس بضائر

ترك المهاجرون في مكة أموالهم وتجاراتهم وأهاليهم ودنياهم كلها ثم خرجوا بالإيمان.

عن صهيب رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة و خرج معه أبو بكر رضي الله عنه و كنت قد هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم و لا أقعد فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه، و لم أكن شاكياً فقاموا فلحقني منهم ناس بعدما سرت بريدا ليردوني فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب و تخلون سبيلي و تفون لي؟ فتبعتهم إلى مكة فقلت لهم: احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواق و اذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين و خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل أن يتحول منها يعني: قباء، فلما رآني قال: يا أبا يحيى، ربح البيع ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله ما سبقني إليك أحد و ما أخبرك إلا جبريل عليه السلام) ([[644]](#footnote-644)).

وحينما يكون القلب معموراً بالإيمان تثبت النفوس أمام البلايا والمحن من مرض أو فقر أو تشريد.

وعندما يزيد الإيمان في القلوب يغدو صاحبه منصفاً للناس من نفسه، فيكون مع الحق أينما كان، لا يتعصب لجنسه أو لونه أو عرقه أو قبيلته أو وطنه أو حزبه أو جماعته في الباطل؛ لأن الإيمان يفرض عليه التوجه مع الحق أينما مضت ركائبه.

قال حذيفة رضي الله عنه: " ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار".

عباد الله، إن الإنسان إذا زاد حظه من الإيمان فسيخاف الله تعالى من أن يقع في معاصيه، ويخاف الله أن يؤذي عباده بقول أو فعل. قال تعالى عن ابني آدم: {لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }[المائدة28]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن) ([[645]](#footnote-645)). والفتك قتل الإنسان غيلة.

عباد الله، إن المسلم لما يرتقي إلى درجة الإيمان تستريح به نفسه، ويسعد به أهله وقرابته، وينعم به مجتمعه الذي يعيش فيه؛ لأن أعماله وأقواله وأحواله وفق شريعة الله التي هي سعادة الدنيا والدين. قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "المؤمن مثل النحلة تأكل طيباً وتضع طيباً". ولا يعني هذا أنه معصوم من الأخطاء، لكنه إذا أخطأ أقلع وعاد إلى حالته السابقة من الخير.

فما أحسن الحياة بالإيمان والمؤمنين، وما أسعد المجتمع بالصلاح والمصلحين، وما أنعم العيش بالتقوى والمتقين.

{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[النحل97].

نسأل الله أن يصلح إيماننا، وأن يقويه في قلوبنا، وأن يصلح به دنيانا وأخرانا.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

أيها الأخوة الأخيار، كما أننا نهتم بأمور معاشنا وحياتنا علينا كذلك أن نهتم بترسيخ الإيمان في قلوبنا. وكما نربي أطفالنا ونرعاهم ونحميهم ونحافظ عليهم علينا كذلك أن نربي إيماننا ونرعاه ونحميه من كل ما يذبله ويوهيه.

وكما نهتم بتجديد حياتنا وتلوينها بما يسعدنا ويفرحنا علينا أيضاً أن نجدد إيماننا بما يرقيه ولا نجعله عرضة للتآكل والذوبان يوماً بعد يوم.

عباد الله، إن الحب الصادق لله ورسوله والرضا بذلك والعمل الصالح كل ذلك يقوي الإيمان في القلوب ويزيده ويجعل له حلاوة ومذاقاً ولذة لا تساويها لذات الدنيا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً) ([[646]](#footnote-646)).

وقال: ( ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار ) ([[647]](#footnote-647)).

ويقوى الإيمانُ ويزيد إذا كان حب المسلم وبغضه من أجل الله يحب ما أحب الله ويبغض ما أبغض الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) ([[648]](#footnote-648)).

ويقوى الإيمان ويزيد حينما يرضى المسلم بقضاء الله وقدره من غير سخط ولا جزع.

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه لابنه: " يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك".

ويقوى الإيمان ويزيد حينما يكون المسلم سليم اللسان لإخوانه المسلمين الأحياء والأموات لا يغتابهم ولا يطعن فيهم، وحينما يكرم ضيوفه وجيرانه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) ([[649]](#footnote-649)).

ويقوى الإيمان ويزيد حينما يتصف المسلم والمسلمة بالحياء؛ لأنه يحمل المسلم والمسلمة على أحسن الأفعال وترك أقبح الأعمال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( الحياء من الإيمان ) ([[650]](#footnote-650)).

أيها المسلمون، إن مساعدة الآخرين والتعاون معهم وحب الخير لهم وقضاء حوائجهم وتفريج كروبهم مما يرقي الإيمان إلى درجات عالية.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) ([[651]](#footnote-651)). وقال: ( مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ([[652]](#footnote-652)).

فيا أيها المسلم، جدد إيمانك وحافظ عليه من كل ما ينقصه، واعلم أنه كنزك فاحرسه، وسعادتك فاحرص عليه، وحياتك فعش من أجله، فإن فعلت فقد ربحت الدنيا والآخرة.

فاللهم ارزقنا لذة الإيمان وحلاوته، وارتقاءه وزيادته، واجعلنا من المؤمنين الصادقين واحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

# الجليس وأثره على جليسه ([[653]](#footnote-653))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

أيها الناس، إن مما تعارف عليه الناس: أن الإنسان مدني بطبعه، يميل إلى مخالطة غيره ويأنس بمن سواه، ولا يستطيع -في حالة الصحة والاختيار- أن يعيش وحده ويبقى بعيداً عن مجالسة الناس والالتقاء بهم.

لقد جعل الله تعالى في نفس الإنسان قابلية التأثر والتأثير على غيره، فهو يتأثر بمن وبما حوله ويؤثر كذلك. والمؤثرات التي ترد على الإنسان في هذه الحياة كثيرة، وتستطيع تلك المؤثرات أن تصل إلى اعتقادات الشخص وأفكاره، وأعماله وأخلاقه، ونفسيته وسلوكه. وقد تكون صحيحة أو باطلة نافعة أو ضارة.

عباد الله، لقد أدرك الإسلام هذه المعاني كلها، ولحرصه على استقامة الإنسان وصلاحه، وإبعاده عن كل سبيل يورد إلى الأخطار والأضرار حث على اختيار الجليس والصاحب من بين الجموع الكثيرة.

فقد رغب ديننا الحنيف الزوجَ في اختيار الزوجة الصالحة، كما رغب الزوجة وأولياءها في اصطفاء الزوج الصالح؛ لأن الزوجية أطول المجالسات وأشدها تأثراً وتأثيراً، وتنشأ من هذا الارتباط الوثيق الذرية التي تتأثر بالأب والأم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تنكح المرأة لأربع: لمالها و لحسبهاـ و لجمالها و لدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) ([[654]](#footnote-654)).

وعن أبي حاتم المزني مرفوعا: ( إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، ثلاث مرات) ([[655]](#footnote-655)).

كما حث أيضاً على القرب من الجلساء الصالحين وحذر من جلساء السوء؛ لأن كل إنسان لديه خلائق وطبائع قابلة للتصدير إذا وجدت من يرضاها.

فالجليس الصالح إما أن يحث جليسه على الصلاح والخير، فيصلح بمجالسته وحرصه على إيصال النفع إليه، وإما أن يسأله عن طرق الخيرات فيدله عليها، وإما أن يستفيد منه الخير والانتفاع بمجرد المجالسة والملازمة، وإن لم يدعُه إلى ذلك أو يسأله.

قال لبيد:

ما عاتب الحر الكريم كنفسه... والمرء يصلحه الجليس الصالح

لقد سعد أبو بكر رضي الله عنه بمجالسة النبي عليه الصلاة والسلام قبل البعثة، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه إلى الإسلام فاستجاب له، فكان سبب سعادته في الدنيا والآخرة.

وأما الجليس السوء فإما أن يدعو جليسه إلى فساده ويشجعه عليه فيتأثر الجليس المدعو بالجليس الداعي ويصير مثله أو أكثر. كما قال الأول:

وكنتُ فتى من جندِ إبليسَ فارتقَتْ... بي الحالُ حتى صار إبليسُ من جُندي!

كان أبو طالب جليس أبي جهل وعبد الله بن أبي أمية فلما حضرت أبا طالب الوفاة شقي بأثر مجالستهما عند خروجه من الدنيا حينما زفّاه إلى مصير الهلاك وفاءً بحق الصحبة!.

عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره: أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه و سلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبي طالب: ( يا عم، قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله ). فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله صلى الله عليه و سلم يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله ([[656]](#footnote-656)).

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في تأثير الجليس على جليسه: ( إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة) ([[657]](#footnote-657)).

أيها الأحبة الكرام، إن الجلساء يختلفون في التأثير على جلسائهم قوة وضعفاً، فمنهم من هو قوي التأثير حتى يربح موافقة جلسائه في أعماله وآرائه ومواقفه بسرعة؛ ويرجع ذلك إلى قوة شخصيته وتفكيره وبراهين إقناعه، وقد تعود قدرة تأثيره على غيره إلى قوته المادية وارتباط مصالح جلسائه به، فمن لم يقتنع من عقله وقلبه اقتنع من بطنه وشهوته. خاصة إذا غلب الطمع وكثرت الحاجة.

فداعي الخير أو داعي الشر إذا امتلك هذه القوى ووجد جلساء من أهل الذوبان السريع في شخصيات غيرهم وصل منهم إلى ما يريد.

هذا هو الواقع؛ ولذلك يحذر المسلم مجالسة أصحاب الشبهات الذي يفسدون عليه عقله وقلبه، و يحذر أصحاب الشهوات الذين يفسدون عليه قلبه وجوارحه.

أيها المسلمون، إن الأزمنة الماضية من تاريخ هذه الأمة حظيت بأهل صلاح واستقامة كثيرين كانوا هم الموجهين لمسيرة المجتمع القائدين للناس فيه؛ فلذلك كثر الصلاح والمصلحون، وقل الفساد والمفسدون. لكن تلك الحال العامة الحسنة لم تبق إلى أيامنا، بل أخذت في الانحسار والتلاشي. مع أن الزمان لم يتغير والمكان لم يتبدل، وإنما تغير وتبدل الإنسان الذي فيهما.

يقولون الزمان به فساد... وقد فسدوا وما فسد الزمان

وقال الآخر:

نعيب زماننا والعيب فينا... وما لزماننا عيب سوانا

عباد الله، إن الواقع الحاضر كثر فيه الفساد وأهله، وقل فيه الصلاح وأصحابه، لقد امتلك أهل الفساد وسائل التأثير الجذابة للجماهير فأخذوا يغزون النفوس في عقر دارها لينحرفوا بالأفكار، ويفسدوا الأخلاق الحسنة، ويُجهِزوا على ما تبقى من الفضيلة.

فكم هي الوسائل الإعلامية المتنوعة التي تحارب العقيدة الصحيحة، وكم هي تلك الوسائل التي تدعو إلى الرذيلة وتعادي الفضيلة، وكم هي تلك الوسائل التي تخدر المجتمعات وتحول بينها وبين العمل الجاد والتفكير السليم والعمل المستقيم؟!.

في ظل هذه الأجواء المكفهرة، وبين هذه السهام الحادة الكثيرة من كل جانب يتعب الإنسان الصالح في حماية نفسه وأسرته من هذه الأسلحة الموجهة إليه، فيخاف على زوجته من جليسات السوء اللاتي تأثرن بذلك الداء، ويخشى على أبنائه وبناته أن تصل إليهم الكارثة التي تطل عليهم من كل جهة في المجتمع توجهوا إليها، إذ يلاقون فيها مندوبي السوء يدعونهم: هلم إلينا، مزينين لهم الباطل بكل زينة.

لكن مع ذلك لابد على أولياء الأمور أن يفتشوا عن الجلساء الصالحين لمن ولاهم الله عليهم. فإذا وجدوا أهل الخير الصادق والصلاح الباطن والظاهر فليشدوا أيدي من وُلّوا عليه بأيديهم.

أبلُ الرجال إذا أردت إخاءهم... وتوسمنّ أمورهم وتفقدِ

فإذا وجدت أخا الأمانة والتقى... فبه اليدين قريرَ عين فاشدد

إن أولئك الصالحين يوجدون في المساجد وفي حلقات العلم وفي الأماكن الطيبة الأخرى.

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

من كان ملتمساً جليسا ًصالحاً...فليأت حلْقة مسعر بن كدام

فيها السكينة والوقار وأهلها...أهل العفاف وعِلية الأقوام

أيها المسلمون، لا تملوا من متابعة الأولاد ومراقبتهم لتنظروا جلساءهم؛ فإن الناس إنما يعرفونهم بجلسائهم، فاحرصوا على سمعة أولادكم.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه... فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وكما قال الآخر:

أنت في الناس تقاس... بالذي اخترت خليلا

فاصحب الأخيار تعلُ... وتنل ذكراً جميلا

فإذا لم تتابعوا فجليس السوء متابع حثيث سيقوم بمهمة المتابعة والتربية عنكم، ولكن إلى شفا الندامة ومنحدرات الألم.

أيها الشبان، اختاروا الأصحاب والأصدقاء الذين يعينونكم على صلاح دينكم ودنياكم، وإياكم ورفقة السوء فإنها نواب الشيطان؛ لأن الصاحب ساحب إما إلى المناقب وإما إلى المعاطب.

يكفي الشابَّ المرافق للصالحين أن يقال عنه: هو صاحب فلان ورفيق فلان الذي تعرفه المساجد ودور الخير، وتعرفه المدراس والجامعات بالتفوق والسلوك الحسن، ويعرفه حيه وجيرانه بدماثة الأخلاق وطيب المعشر وحسن المعاملة.

تذكر أيها الشاب، أن الإنسان يحشر مع من أحب، فمن أحب الصالحين حشر معهم، ومن أحب الطالحين حشر معهم، فمع من تحب أن تحشر؟.

عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم:متى الساعة؟ قال: ( وما أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله، قال: (أنت مع من أحببت)، قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنت مع من أحببت)، قال أنس: فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم ([[658]](#footnote-658)).

إن من يجالس الصالحين تشمله بركتُهم ويعمه خيرهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم -وهو أعلم بهم-: ما يقول عبادي، قال: يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني، قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوك، قال: فيقول: فكيف لو رأوني، قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا، قال: فيقول: فما يسألوني، قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: فيقول: وهل رأوها، قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها، قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون، قال: يتعوذون من النار، قال: فيقول: وهل رأوها،قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها، قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، قال: فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم.قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) ([[659]](#footnote-659)).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)([[660]](#footnote-660)).

أيها الأحباب الأفاضل، من يجالس الصالحين يصلح عيبه، ويكمل نقصه؛ إذ بهم يتذكر إذا غفل ويتعلم إذا جهل، ويتقوّى إذا ضعف ويتسلى إذا حزن، ويعان إذا احتاج. قال أبو هريرة رضي الله عنه: " المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيباً أصلحه".

ومن يجالس الصالحين يعرّفونه على الصالحين فينتقل بين تلك الرياض النضرة فيشم من أريجها ويتنزه بين أفنانها فيعود بنفس منشرحة وسمعة طيبة.

من يجالس الصالحين يحفظ دينه ودنياه فيحفظ صحيفة عمله، ويحفظ وقته وعمره وماله.

عباد الله، إن الجليس الصالح مثل النخلة فما أخذت منها نفعك، قال سفيان الثوري رحمه الله:" لربما لقيت الأخ من إخواني فأقيم شهراً عاقلاً بلقائه". لأنه يتذكر برؤيته الطاعة والصلاح؛ لأن من خير الناس من إذا رآهم الناس ذكروا الله تعالى.

قال عيسى عليه السلام:" جالسوا من تذكركم اللهَ رؤيتُه، ومن يزيد عملَكم كلامه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله".

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم؛ إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

أيها المسلمون، إن الإنسان-صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى- إذا رضي لنفسه مفارقة الصالحين واللحاق بركب الطالحين سيجني على نفسه جنايات كثيرة، سيندم على تلك المجالسة لهم ولو بعد حين.

فمجالسة السيئين سم زعاف إن لم يقتل يُمرض، وإن سُرَّ مع أصدقاء السوء وقتاً وأحبهم زمناً فسيندم ولو بعد حين، فتنقلب المودة إلى عداوة والحب إلى بغض، قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً } {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً } {لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً }[الفرقان27-29].

وقال: {الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ }[الزخرف67].

إن مجالسة أهل السوء دعوة ملحة إلى الوقوع في مساخط الله وما لا يحمد في الخلق الكريم فعله، وتكفي رؤيتهم فإنها دعوة غير مباشرة إلى الخطيئة.

ومجالسة أهل السوء خراب للبيوت وإهدار للطاقات وتضييع للأوقات الثمينة التي هي رأس مال الإنسان على هذه الدنيا. وهي بوابة إخراج الأسرار وكشف لأستار، وقد قيل:

يخرج أسرار الفتى جليسه... رب امرئ جاسوسه أنيسه

عباد الله، إن الجلساء مفاتيح ومغاليق، فمنهم من جعله الله مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، ومنهم من جُعل مغلاقاً للخير مفتاحاً للشر. فاختاروا لأنفسكم مفاتيح الخير مغاليق الشر تربحوا وتنجوا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر و إن من الناس ناساً مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، و ويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه)([[661]](#footnote-661)).

أيها المسلمون، إذا نزل الإنسان مكاناً أو خالط مجموعة من الناس فلم يجد فيهم جليساً صالحاً فليفر من هناك فراره من الأسد، ولا يسوّف في الفرار والهروب؛ فإن البقاء هناك قد يفقده الإحساس بالخطر فيتسرب إليه الداء شيئاً فشيئاً حتى يعمه فيرضاه ويستمرأه. فلتكن الوحدة عن أولئك الأشرار كهفه الذي يأوي فسينشر له ربه من رحمته ويهيئ له من أمره رشدا. كان يقال: الجليس الصّالح خير من الوحدة، والوحدة خيرٌ من الجليس السّوء.

قيل لابن المبارك: إنك تكثر الجلوس وحدك. فقال: أنا وحدي؟! أنا مع الأنبياء والأولياء والحكماء والنبي وأصحابه، ثم أنشد هذه الأبيات:

ولي جلساء ما أمل حديثهم...ألباء مأمونون غيباً ومشهدا

إذا ما اجتمعنا كان حسن حديثهم...معيناً على دفع الهموم مؤيدا

يفيدونني من علمهم علم ما مضى...وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا

بلا فتنة تُخشى ولا سوء عشرة... ولا أتقي منهم لساناً ولا يدا

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

# آداب المجالس وآفاتها ([[662]](#footnote-662))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، لقد كان الحديث في خطبة الجمعة الماضية عن الجليس وأثره على جليسه، وفي هذا اليوم- بعون الله تعالى- يكون الحديث عن المجالس، فإذا كان اختيار الجليس مهماً فاختيار المجالس كذلك؛ إذ ليست كل المجالس صالحة لأن يجلس فيها المسلم الحريص على دينه وأخلاقه.

إذا تكلمنا اليوم عن المجالس وآدابها وآفاتها فلا نعني بالمجلس ذلك المكان الذي يجتمع فيه الناس في بيت من البيوت فحسب، وإنما يراد بالمجلس كل مكان يجلس فيه الإنسان سواء كان في البيوت أم الطرقات أم الأسواق أم أماكن العمل أم الحدائق والمتنزهات.

عباد الله، إن مما يدعو المتكلم للحديث عن هذا الموضوع رؤية كثير من مجالس المسلمين تحولت من مجالس خير وفائدة إلى مجالس شر ومضرة. فبدل أن تكون مجالس نفع وذكر لله تعالى وتداول للكلمة الطيبة وحلول لمشكلات الواقع الخاص والعام، أصبحت مجالس قيل وقال وضياع للأعمار والأموال والأوقات، هذا إذا لم تصل إلى مجالس سخط وإثم في الأقوال والأفعال.

إن الإسلام يريد للمسلم أن يكون في منزلة رفيعة تقوم على أماكن الفضيلة والارتقاء بالروح والقلب والعقل إلى درجات الصفاء والبهاء لتحلق في آفاق السعادة الدنيوية والأخروية. وينأى به عن مهاوي الانحطاط إلى سخط الله وإهانة النفس التي كرمها الله.

ولهذا جعل للمجالس آداباً دعا إلى التحلي بها، ونهى عن آفات من الأقوال والأفعال لكي يتخلى عنها؛ لتصبح المجالس بذلك شاهدة للإنسان لا عليه.

أيها المسلمون، إن القرآن الكريم قد أدبنا إذا جلسنا مجلساً أن نختار مجالس الصلاح والخير وأن نبتعد عن مجالس السوء والشر. قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }[الأنعام68].

وقال: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً }[النساء140].

وهذا الترغيب الكريم في حضور المجالس الطيبة والتحذير من المجالس الأخرى لكون المجلس الذي يجلس فيه الإنسان إما أن يكون له وإما أن يكون عليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة) ([[663]](#footnote-663)).

فلكي تكون المجالس التي يجلسها المسلم أجراً له ورفعة عند الله وعند خلقه، وليست عليه وزراً ومنقصة فليتأدب بآداب الإسلام فيها، فمن تلك الآداب:

إلقاء السلام دخولاً وخروجاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة) ([[664]](#footnote-664)).

هذه تحية الإسلام تحية الاقتداء والأجر والأمان والسلامة، ولن تصل إلى رتبتها أي تحية أخرى مهما حملت من الألفاظ والمعاني الجميلة.

ومن الآداب: اختيار أطايب الكلام والبعد عن العبارات التي تجرح الدين والخلق والناس؛ فالإنسان يوزن بكلامه وتعظم منزلته أو تدنو في النفوس من خطابات لسانه.

قال تعالى: { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً }[البقرة83].

ومن الآداب: تهادي النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجلس.

إن المجالس الخالية من سقط الكلام وأفعال السوء مما يرغب إليها ويدعى إلى ملازمتها، لكن قد يحتاج الإنسان أن يجلس في مجالس أخرى لمصلحة ما، فإذا كان لابد من الجلوس هناك فليجلس المسلم وهو حذر على دينه وأخلاقه، فلا يشارك أهل السوء في سوئهم، بل يأمر بالمعروف إن رآهم بعيدين عنه، وينهى عن المنكر إن وجده بينهم، بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن، ولا يسكت عن منكر حصل في ذلك المكان؛ فالساكت مشارك. فقيام هذه الشعيرة في المجالس تكثِّر مجالس الخير وتقلل مجالس الشر.

ومن الآداب أيضاً: الحرص على جمع الكلمة وإصلاح ذات البين واستغلال تلك الجلسات لتقريب وجهات النظر وجمع القلوب على الحق، والبعد عن تأجيج الصراعات والاختلافات فلا يخرج الجالسون إلا وقد شحنوا حقداً وبغضاً من بعضهم لبعض، خاصة في أيامنا هذه التي تموج بالفتن وتطفح بالصراع والاختلاف الذي قد وصل إلى البيوت ليفرق بين الأخ وأخيه، فالحكمةَ الحكمة معشر المسلمين.

قال تعالى: {لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً }[النساء114].

ومن آداب المجالس: الابتعاد عما يؤذي الجالسين من قول أو فعل أو هيئة. فليحرص المسلم عند جلوسه مع غيره أن يكون نظيف الظاهر والباطن طيب الرائحة حلو اللسان، لا تصدر من قبله أفعال تكدر على الجالسين مجلسهم.

ومن الآداب: استعمال اليد اليمنى في الأخذ والإعطاء والأكل والشرب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يأكلن أحدكم بشماله ولا يشربن بها؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها) ([[665]](#footnote-665)).

عباد الله، الستر على عورات الجالسين القولية والفعلية والمحافظة على الأسرار أدب آخر، فمن رأى من أخيه المسلم شيئاً يستحيا من ذكره فليستره؛ فالمجالس بالأمانة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة.

التوسع في المجلس وإبداء البشاشة والارتياح للقادم للمجلس أدب من آداب المجالس.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا.. }[المجادلة11].

عدم إقامة أحدٍ أحداً من مجلسه ليجلس فيه من الآداب أيضاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم) وفي رواية: وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه) ([[666]](#footnote-666)).

جلوس الإنسان حيث ينتهي به المجلس دون البحث عن رؤوس المجالس ووجوهها من الآداب كذلك، فقد كان رسول الله يجلس حيث ينتهي به المجلس.

احترام الكبار بالعلم أو السن من الآداب أيضاً. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا و يوقر كبيرنا) ([[667]](#footnote-667)).

ومن الآداب: ختم المجلس بكفارة المجلس؛ لأن الإنسان مهما تحرز وحرص على الخير في مجلسه فإنه قد يقع في زلة أو غفلة؛ فلذلك شرع هذا الدعاء محواً لخطيئة من الصغائر المتعلقة بالنفس. وهذا الدعاء هو: (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)([[668]](#footnote-668)).

أيها المسلمون، إن الآداب الإسلامية في المجالس كثيرة، وقد تختلف باختلاف الجلساء وتنوع المجالس. لكن هذه الآداب توحي بأن الإسلام والخلق الراقي يجب أن يكون رفيقك وملازمك-أيها المسلم- في كل مكان نزلت فيه وكل وقت أنت فيه. وهذا كله يعلم الناس عظمة هذا الدين وحرصه على بناء الشخصية المسلمة السامية التي تفرض وجودها وحبها وعلوها وأثرها في أي مكان نزلت فيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إننا لو جئنا لنحاسب أنفسنا ونفتش عن هذه الآداب في مجالسنا فسوف نرى غيابها أو قلة حضورها فيها. بل إننا إذا وجدنا من يتمثلها ويتخلق بها أو ببعضها فسيكون غريباً بين الناس؛ لأنه أتى بما لم يتعود عليه الناس. وهذا من عجائب الزمن.

فماذا نجد في مجالسنا اليوم يا عباد الله؟

إن مجالسنا اليوم لتشكو التخمة من آفات الحديث ومساوئ الفعل، والناس فيها بين مستقل ومستكثر. فاكهة المجالس اليوم والحديث العذب فيها: الغيبة والنميمة، والسخرية والتحقير، والتعييب والتشهير، وحياكة المكائد وفتل حبال الشر. قذف وكذب، جدال وخصومة، سب وشتم، لعن وفحش، تنابز وتفاخر ولعب وعبث، وغير ذلك من الآفات.

أيها الأحبة، أما عن مجالس النساء فيما بينهن فحدث عن التعري والسفور والتشبه بالكافرات وتضييع الأوقات واللهو واللعب وتهذيب الحياء، فأين مجالس الخير والفضيلة والحشمة؟ لماذا أُعرض عنها واستعيض بها مجالس اللهو والخطيئة؟

فهل لنا من عودة قبل خروجنا من الدنيا بلا عودة إليها؟ فهلا اخترنا مجالسنا وجلساءنا وعمرنا تلك المجالس بما ينفعنا يوم حشرنا، ونزهنا تلك المجالس من الآفات التي تضرنا في حياتنا وبعد موتنا.

عباد الله، إن الحديث عن المجالس وآدابها وآفاتها لا يعني أن الإنسان لا يتكلم عما يهمه من أمر دنياه كعمله ووظيفته وهواياته المباحة، كالسياسي في السياسة والعسكري في الأمور العسكرية والتاجر في التجارة والمثقف في الثقافة ونحو ذلك من التخصصات. إنما المقصود أن يُلتزم بهذه الآداب ويبتعد عن الآفات في المجالس مهما كان الحديث في أمر الدين أو أمر الدنيا مادام الكلام مباحاً. نسأل الله أن يجعل مجالسنا شاهدة لنا لا علينا.

هذا وصلوا وسلموا على القدوة المهداة...

# الأمانة في الحكم ([[669]](#footnote-669))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون،

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

تبقى الأمور بأهل العدل ما صلحوا.... فإن تولوا فبالظُلاّم تنقاد

إن الجسد بلا رأس موت محقق، والماشية بلا راعٍ فرصة الذئاب ونُهبة الكلاب، والأسرة بلا ربٍّ ضياع وشتات، والسفينة بلا ربان غرق وهلاك. والشعوب بلا حاكم عادل ورق تذروها الرياح في كل مكان، ويُتمٌ ترعاه الجريمة والفوضى، وتربيه الخيانة والأيادي الأثيمة.

عباد الله، إن أي مجتمع بشري يريد النماء والاستقرار والاطمئنان والازدهار، لابد له من قائد يسوس أموره، ويدير شئونه بقوة وأمانة؛ لأن العيش الجماعي مظنة التنازع والتخاصم، والاختلاف والتظالم، فلو ترك الناس بلا سلطة حاكمة، وولاية حازمة لقهر القوي الضعيف، وغلب القادر العاجز، وظلم الغني الفقير.

معشر المسلمين، لقد عاش الناس منذ قديم الزمان وفي طبعهم ميل إلى أن يكون لهم رأس يأتمرون بأمره، ويرجعون إلى رأيه، وإن اختلفت أسماء ذلك الرأس من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، وسواء اتسعت مساحته الجغرافية التي يديرها أم ضاقت.

ومع مرور الزمام عُرف فضل هذه الرئاسة وأهمية الاستظلال بظلها، فلما جاء الإسلام جعل ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين. بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس.

عباد الله، إن اختيار الحاكم في الإسلام لا يقوم على القرابة أو الصداقة أو الشهادة أو كثرة الأتباع وظهور القوة، إنما يقوم على شروط تتوفر في حاكم المسلمين.

ومن تلك الشروط: الإسلام، البلوغ، العقل، سلامة الحواس، العلم بالدين والعلم بالسياسة والحكم والقدرة على الإدارة والقيادة. وترجع هذه الشروط ونحوها- مما لم يذكر- إلى ركنين أساسيين هما القوة والأمانة. قال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام الذي تولى أمر خزائن مصر: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ } {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }[يوسف54-55].

ومعنى حفيظ: أمين، ومعنى عليم: ذو علم بما يتولاه.

فإذا ما نصب للأمة حاكم بالشروط السابقة وجبت طاعته والانقياد له بالمعروف.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }[النساء59].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) ([[670]](#footnote-670)).

أيها المسلمون، إن تولي الولاية العامة وحكم الناس بها وظيفة شاقة ومسئولية عظيمة ثقيلة الأعباء كثيرة التبعات؛ لأنها عرضة للنجاح الذي يكرم صاحبه في الدنيا والآخرة، أو عرضة للإخفاق الذي يذل القائم عليه في الدنيا وقد يهلكه في الآخرة.

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ويل للأمراء، ويل للعرفاء، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم معلقة بالثريا، يتذبذبون بين السماء والأرض، ولم يكونوا عملوا على شيء) ([[671]](#footnote-671)).

إن هذا العمل ليس منصباً لتحقيق الرغبات الدنيوية، وليس مكاناً لتسهيل الانتقام من الخصوم، بل هو تكليف وخدمة للأمة، فإذا أدى متوليه الأمانة فيه كان من أعظم الأعمال التي تقرب صاحبها إلى الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...) ([[672]](#footnote-672)).

عباد الله، لقد حدد الله تعالى وظيفة الحاكم في آية جامعة هي قوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً }[النساء58].

فهذه الآية الكريمة رسمت منهج دستور الحكم الإسلامي العادل المتمثل في أداء الأمانة الوظيفية من الحاكم إلى الشعب الذي يحكمه، وفي سلوك سبيل العدل في جميع شئون الحكم. وتحقيق هذه الغاية يتطلب بذل جهد كبير من الحاكم المسلم في إصلاح نفسه تقوى وعلماً بمتطلبات الحكم الرشيد، وفي اختيار بطانته وولاته على مفاصل الدولة؛ لأن صلاح الحكم بصلاح بطانة الحاكم ونوابه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه) ([[673]](#footnote-673)).

معشر المسلمين، إن أداء أمانة الحكم تتمثل في أعمال توصل الحاكم المسلم إلى تحقيق الحكم الصالح الذي يسعد الحاكم والمحكوم.

فأولى هذه الأعمال: توطيد دعائم العدل بين الناس. فالعدل هو إنصاف الرعية بحزم في موضع الحزم، ولين في موضع اللين، بلا محاباة مع القريب والبعيد والصديق والعدو.

عن عائشة رضي الله عنها: أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه و سلم، فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( أتشفع في حد من حدود الله ). ثم قام فاختطب ثم قال: ( إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ) ([[674]](#footnote-674)).

إن العدل هو عماد بقاء الحكم وسبب قوته وهيبته في نفوس الرعية. والحاكم العادل يحجزه الخوف من الله تعالى عن الظلم والجور والخيانة.

يقول النبي صلى الله عليه و سلم: ( ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة ) ([[675]](#footnote-675)).

وقال: (اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به)([[676]](#footnote-676)).

ثانياً: الحكم بما أنزل الله تعالى، وإبعاد كل ما يخالف هذا الأصل. قال تعالى: { وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[المائدة45]. وقال تعالى: { وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[المائدة42].

قال علي رضي الله عنه: " حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدي الأمانة، فإن فعل فحق على الناس أن يسمعوا وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دُعوا".

ثالثاً: رعاية مصالح الناس الدينية والدنيوية في جميع المجالات. قال بعض العلماء: "فالمقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم وهو نوعان: قسمة المال بين مستحقيه، وعقوبات المعتدين".

ومتى ما اهتمت الولاة بإصلاح دين الناس صلح للطائفتين دينهم ودنياهم، فإن لم اضطربت الأمور وانفرط العقد على الجميع.

إن الاهتمام بإصلاح عيش الرعية-بعد الاهتمام بإصلاح الدين- من أهم المهمات التي تحفظ استقرار الحكم وعدم اضطرابه، خاصة الجوانب الثلاثة الكبرى: الجانب العلمي، والجانب الاقتصادي، والجانب الأمني. فرعاية الدولة لهذه المجالات الثلاثة صِمام أمان للمجتمع، وبوابة انطلاقة راشدة إلى الحياة المستقرة الهادئة.

رابعاً: تفقد أحوالهم والسؤال عنهم،وعدم الاحتجاب منهم. فبحث الحاكم عن أحوال رعيته لإصلاحها وتلبية احتياجاتهم المشروعة، وإنصافهم ممن ظلمهم من أسباب صلاح البلاد والعباد. كان عمر رضي الله عنه يخرج في الليل يفتش عن رعيته لعله يجد ملهوفاً أو مستنجداً أو محتاجاً فيعينه ويلبي حاجته.

وأما إقامة الحواجز بين الراعي والرعية: إما بعدم تفقده لهم، وإما بإيجاد حجبة وموانع تحول دون وصول المظلومين الذين لم ينُصفوا، أو المحتاجين الذين لم يُعانوا إلى ولي أمرهم فإنه يسبب الفساد ويقطع الحق عن أهله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة) ([[677]](#footnote-677)).

قال بعض العلماء: "الاحتجاب من أ عظم الخِلال في هدم السلطان وأسـرعها خراباً للدول؛ فإنه إذا احتجب السلطان فكأنه قد مات؛ لأن الحجبة موت حكمي، فتعيث بطانته بأرواح الخلق وحريمهم وأموالهم؛ لأن الظالم قد أمن أن لا يصل المظلوم إلى السلطان. ولا تزال الرعية ذات سلطان واحد ما وصلوا إلى سلطانهم، فإذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة".

خامساً: حمايتهم من أي خطر داخلي أو خارجي يتهددهم ويذهب سكينتهم. فالحاكم في الدولة الإسلامية هو-بعد الله- كهف المسلمين الذي يأوون إليه، وجُنتهم الواقية التي بها يستجنون، ودرعهم السابغ الذي به يتقون. فالأمن من أعظم المطالب البشرية، ومن أهم الحاجات الحياتية.

قال تعالى: بسم الرحمن الرحيم، لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ{1} إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ{2} فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ{3} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ{4}[قريش 1-44].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن ولي أمر المسلمين حينما يقوم بأمانته في ولايته، ويؤدي حق الله وحق رعيته في وظيفته، يسعد نفسه ويسعد شعبه، ويجعل لنفسه ذكراً حسناً صادقاً بعد تخليه أو بعد موته، ويكون سبباً في حفظ عقبه وأهله من بعده.

سأل بعض خلفاء بني العباس بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك، فقال:" أدركت عمر بن عبد العزيز فقيل له: يا أمير المؤمنين، أقفرت أفواه بنيك من هذا المال، وتركتهم فقراء لا شيء لهم، -وكان في مرض موته- فقال: أدخلوهم علي، ليس فيهم بالغ، فلما رآهم ذرفت عيناه، ثم قال: يا بني، والله ما منعتكم حقاً هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين: إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله، قوموا عني، قال: فلقد رأيت بعض ولده حمل على مائة فرس في سبيل الله -يعني أعطاها لمن يغزو عليها-... قال: وحضـرت بعض الخلفاء وقد اقتسم تركته بنوه فأخذ كل واحد منهم ستمائة ألف دينار، ولقد رأيت بعضهم يتكفف الناس"!.

ومن ذلك ما ذكره الإمام الذهبي في ترجمة المعتمد بن عباد صاحب الأندلس الذي حكم قرطبة وإشبيلية فترة من الزمن، وظلم وقتل وفعل ما فعل –وبقي ما شاء الله- إلى أن صار أسيراً في يد البربر بعد أن قتلوا ابنيه: الراضي والمعتد، ونهبوا أمواله، ومضوا بالمعتمد وآله إلى طنجة ثم سجن بأغمات –منطقة في بلاد البربر- عامين وزيادة في قلة وذلة، فقال:

تبدلّتُ من ظل عز البنودِ... بذلّ الحديد وثقل القيود

وكان حديدي سناناً ذليقاً... وعضباً رقيقاً صقيل الحديد

وقد صار ذاك وذا أدهماً... يعضّ بساقيّ عض الأسود

وقيل: إن بنات المعتمد أتينه في عيد، وكن يغزلن للناس بالأجرة في أغمات، فرآهن في أطمار رثة، فصدعن قلبه، فقال:

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسـرورا... فساءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة... يغزلن للناس ما يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعةً.... أبصارُهن حسيراتٍ مكاسيرا

يطأن في الطين والأقدام حافية... كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

عباد الله، قال رجل لعمر بن الخطاب: "يا أمير المؤمنين! لو وسعت على نفسك في النفقة من مال الله تعالى، فقال له عمر: أتدري ما مثلي ومثل هؤلاء؟ كمثل قوم كانوا في سفر فجمعوا منه مالاً وسلموه إلى واحد ينفقه عليهم، فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من أموالهم؟".

وحُمل مرة إليه مال عظيم من الخمس فقال: "إن قوماً أدوا الأمانة في هذا لأمناء، فقال له بعض الحاضـرين: إنك أديت الأمانة إلى الله تعالى فأدوا إليك الأمانة، ولو رتعت لرتعوا".

وولي عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة سنتين فأحسن السيرة وعفّ عن أموال الناس، ثم عُزل فاجتمعوا إليه فأنشد لدرّاج الضّبابي:

فلا السجن أبكاني ولا القيد شفّني... ولا أنني من خشية الموت أجزع

ولكن أقواماً أخاف عليهمُ.... إذا متّ أن يعطوا الذي كنت أمنع

ثم قال: واللّه ما أسفت على هذه الولاية، ولكني أخشى أن يلي هذه الوجوه من لا يرعى لها حقها.

نسأل الله أن يولي علينا خيارنا، وأن يصرف عنا شرارنا.

هذا وصلوا وسلموا على إمام الأمة...

# الأمانة في العمل والوظيفة ([[678]](#footnote-678))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً }[الأحزاب72].

أيها المسلمون، اعلموا-رحمني الله وإياكم- أن الأمانة أمر عظيم من أوامر الدين، وخلق كريم من أخلاق الصالحين، وهي جزء من السلوك الفاضل، وجانب مهم من جوانب الإسلام، بل هي الإسلام كله. فهي أداء لحق الله بالقيام بالتكاليف الشرعية، ومراقبة الله في السر والعلانية. وهي أيضاً أداء لحقوق الخلق على وجه الحق.

قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا... }[النساء58].

عباد الله، إن الأمانة تنتظم مجالات متعددة في الحياة، ومن أعظم تلك المجالات: مجال العمل والوظيفة، الذي يتجه إليه كثير من الناس.

إن الله تعالى قد أمر الإنسان بالسعي في الأرض لطلب الرزق، وترك الكسل والخمول، فقال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }[الملك15].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"([[679]](#footnote-679)).

وليس المقصود بقوله: "عمل يده" قصر العمل المحمود على عمل اليد، بل يراد كل عمل مباح يقوم به الإنسان سواء كان العمل بيده أم بغيرها.

وهذه الحياة مجال رحب لاستفادة الإنسان من أخيه الإنسان واستعانته به، ولن يستطيع أن يعيش الإنسان حياة مستقرة متكاملة إلا بالاستفادة من غيره، ومن ذلك العمل والوظيفة.

قال تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }[الزخرف32].

الناس بالناس من حضر وبادية... بعض لبعض- وإن لم يشعروا- خدم

أيها المسلمون، إن من أقوى أسباب نجاح الوظائف والأعمال: اختيار الموظفين والعمال الذين تجتمع فيهم الأمانة في العمل والقدرة عليه.

وقد ذكر الله تعالى هذين المقومين لنجاح العمل في كتابه فقال تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ }[القصص26].

قال لها أبوها: "وما علمك بذلك؟ قالت له: إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشـرة رجال، وإني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي: كوني من ورائي، فإذا اختلفت عليّ الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه".

وقال تعالى: {قَالَ عِفْريتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ }[النمل39]. فذكر هذا العفريت مؤهلاته لحمل عرش ملكة سبأ من مأرب إلى الشام، وهي كونه قادراً على المجيء به، وكونه أميناً على ما فيه.

فهذان الوصفان: القوة والأمانة يضمنان صلاح الأعمال والوظائف. فالقوة تضمن القدرة على القيام بالعمل المطلوب حصوله و تأديته من غير تقصير، والأمانة تضمن إتقانه وحفظ ما فيه من دون لا نقص.

إن القوة ليس المقصود بها قوة البدن فحسب، بل هناك أعمال ووظائف تحتاج قوة لسان ونطق، وأعمال تحتاج قوة تفكير وتدبر، وهناك أعمال تحتاج قوة بيان وكتابة، وهكذا.

فشرط القوة يكون حسب كل عمل. وقد قال الله تعالى عن يوسف عليه السلام: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }[يوسف55]. فقوة يوسف هنا بعلمه وحسن تدبيره وتصريفه ما في الخزائن. وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه تم اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه لمهمة جمع القرآن من الرقاع والعظام وكتابته في صحائف خوفاً عليه من الضياع بموت حفاظه فقال له أبو بكر: (وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك) ([[680]](#footnote-680)). فشباب زيد وعقله هي القوة لهذه المهمة، وعدم تهمته أمانة لذلك أيضاً.

عباد الله، إن القوة والأمانة وصفان قد يقل اجتماعها في كثير من العمال والموظفين، فقد يوجد موظف قوي لكنه خائن، وقد يوجد إنسان أمين لكنه ضعيف. وهذا هو الذي شكا منه عمر رضي الله عنه حيث قال: "أشكو إلى الله عجز الثقة وجلد الفاجر".

فإذا لم يجتمع هذا الوصفان في موظف ووجد واحد منهما فيتخير للعمل ما يناسبه، فقد يحتاج في عمل ما قوة موظف أكثر من أمانته، وفي عمل آخر أمانته أكثر من قوته.

إن من أسباب نجاح الأعمال والوظائف وقيام الأمانة فيها: أن تراعي الحكومات والشركات والمؤسسات موظفيها والعاملين فيها بأن تعطيهم الراتب الكافي-حسب العمل- الذي يضمن لهم حياة كريمة مستقرة؛ لأن قلة المرتبات مع التصاعد الشديد في الأسعار ومتطلبات الحياة المعاصرة قد يكون ذريعة لبعض الموظفين إلى الخيانة في أعمالهم.

ويبدو أن التشجيع من قبل الدولة أو الشركة لموظفيها يعد حافزاً مهماً في نجاح الأعمال واستقراره الموظفين.

معشر المسلمين، هناك ظاهرة سيئة كان لها أثرها السلبي الواضح على بعض الموظفين، هذه الظاهرة هي وجود الخيانة والضعف الوظيفي لدى كبار الموظفين، الذين لم يدخلوا تلك الوظائف ولم يترقوا فيها حسب المعايير التوظيفية الصحيحة، فنقلت خيانتهم وضعفهم إلى الموظفين الجدد أو الذين لم يصلوا إلى مراتبهم. فالموظف الصغير يرى مديره أو المسئول عنه يختلس ويرتشي ويخون ويقصر في عمله فيدعوه ذلك بقصد أو بغير قصد إلى أن يسلك مسلكه. وذلك الموظف الكبير الخائن لا يستطيع أن يقنع من وُليَّ عليهم بأداء العمل بقوة وأمانة؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه. ولسان حال الموظف الصغير عند ذلك:

تلوم على الخيانة من أتاها... وأنت سننتها للناس قبلي!

عباد الله، إن الموظف المراقب لله تعالى يؤدي عمله بقوة وأمانة ولو رأى خيانات الموظفين صغارهم وكبارهم، ويحفظ دينه من دنس المال الحرام، فلا يضعف دينه ليقوي دنياه، ولا يشبع بطنه لتجوع روحه وقلبه وأخلاقه السامية عند الله وعند الناس. إنه يأكل اللقمة وهو يعرف من أين جاءت، فإن كانت من حرام رفضها ولفظها.

قالت عائشة رضي الله عنها: "كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبوبكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبوبكر فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبوبكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فأعطاني بذلك، فهذا منه. فأدخل أبوبكر يده فقاءَ كلَّ شيء في بطنه" ([[681]](#footnote-681)).

والموظف المراقب لله حريص على أن يطعم أسرته من الحلال ولا يرضى لهم كسباً من خيانة، كان بعض السلف إذا خرج من منزله قالت له زوجته: "اتق الله فينا؛ فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار". فسبحان الله! ما أحسن هذا المنطق أمام ما يُسمع من بعض النساء التي تطلب من زوجها توفير المال ولو من الحرام.

كان العلامة يحيى المليكي المتوفى سنة(678هـ ) يدّرس في ذي جبلة في المدرسة الأشـرفية، ويبقى فيها العام الدراسي ما عدا شهرين منه يعود فيهما إلى بلده، فكان يُعطَى مستحقه من الأجر على تدريسه لعام كامل، ولكنه كان لا يأخذ إلا عن المدة التي كان يتصدر فيها للتدريس، ويعيد إلى الناظر مستحق الشهرين، ولما قيل له: (افعل كما يفعل المدرسون الآخرون؛ فإنهم يأخذون أجور السنة كاملة، مع أنهم يتخلفون عن التدريس أكثر من شهرين) فكان يجيب عليهم بقوله تعالى: {قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ }[سبأ25].

أيها المسلمون، هناك صور لأداء الأمانة في الوظيفة والعمل ينبغي للعامل والموظف أن يعتني بها:

أولى تلك الصور: الجد والاجتهاد في العمل أو الوظيفة. فالإخلاص في العمل وإتقانه وترك التلاعب والكسل فيه أمر يحبه الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)([[682]](#footnote-682)).

الثانية: تجنب تعاطي الرشا ومد اليد إلى الحرام، فمادام أن العامل أو الموظف يأخذ أجراً على ذلك العمل فلا يحل الأخذ بعد ذلك من الناس. عن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه وقال: هذا مالكم وهذا هدية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا"، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يده حتى رؤي بياض إبطيه يقول: اللهم هل بلغت ثلاثاً)([[683]](#footnote-683)).

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول) ([[684]](#footnote-684)).

الثالثة: الحفاظ على أدوات العمل وممتلكاته وحقوقه من العبث والإهمال والإتلاف والتصرف الخاص.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله فقال: (يا غلام هل من لبن؟ قال: قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: فهل من شاة لم ينز –يثب- عليها الفحل؟ فأتيته بشاة فمسح ضـرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشـرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضـرع: اقلص فقلص –اجتمع- قال: ثم أتيته بعد هذا فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فمسح على رأسي وقال: يرحمك الله؛ فإنك غلِّيم معلم ) ([[685]](#footnote-685)).

الصورة الرابعة: أن يؤدي ما وجب عليه أداؤه في عمله إلى أهله من غير محاباة أو مماطلة أو خيانة. فتأخير أصحاب المعاملات والاحتياجات أو التقصير في حقوقهم –من غير سبب صحيح- لأجل رشوة لم تدفع أو لأجل تباين ديني أو حزبي أو فكري أو مناطقي أو عنصري- خيانة لا تجوز. فما وضع الموظف في ذلك العمل إلا ليقوم بعمله مع جميع الناس حسب النظام في ذلك العمل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخازن الأمين الذي ينفق –وربما قال: يعطي- ما أمر به كاملاً موفراً طيباً نفسه إلى الذي أُمر به أحد المتصدقين)([[686]](#footnote-686)).

فليتق الله الموظف في وظيفته والعامل في عمله؛ فإن الله سائله عن ذلك ومحاسبه عليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة عند ربه حتى يسأل عن خمس: عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم)([[687]](#footnote-687)).

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، هنالك بعض الوظائف المهمة التي يجب أن تراعى فيها الأمانة أكثر من غيرها؛ لأنها كالأعمدة لرفع بنيان الحياة.

فمن تلك الوظائف العظيمة:

وظيفة الولاية العامة على الناس، فالحاكم أو الرئيس أو الأمير أو الملك يجب عليه أداء الأمانة في هذا العمل العظيم كما يجب، وذلك برعاية مصالح الناس الدينية والدنيوية.

في جميع المجالات. وسيسأل عن هذه الوظيفة عند ربه تعالى.

قال أبو مسلم الخولاني رحمه الله لمعاوية رضي الله عنه: " إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها، فإن أنت هنأت جرباها وداويت مرضاها وحبست أولاها على أخراها وفاك سيدها أجرها، وإن أنت لم تهنأ جرباها ولم تداو مرضاها، ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها".

ومن تلك الوظائف:

وظيفة القضاء والفصل بين الناس، وهي وظيفة مهمتها فض الخصومات وقطع المنازعات والحكم في الدماء والأموال والأعراض وغير ذلك بحكم الله تعالى؛ حتى يسود الاستقرار العام في المجتمع، ولا يتأتى ذلك إلا بالقيام بالأمانة الوظيفية في هذا العمل العظيم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار) ([[688]](#footnote-688)).

ومن تلك الوظائف المهمة:

وظيفة تعليم الناس وإرشادهم وتربيتهم على الحق، وهذه الوظيفة يقوم عليها العلماء والدعاة والمصلحون والمربون، فالعلماء هم حراس الدين من العادين، وأدلّة الناس إلى رب العالمين فإذا أدوا الأمانة في عملهم هذا حُفظ الإسلام وأهله، وعلا الحق واتضح، فإن غابوا عن أمانتهم أُتي الإسلام من قبل تفريطهم، وخفي الحق عن كثير من الناس؛ لغياب النور الذي كان يرشدهم إلى الطريق الصحيح.

قال تعالى: {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ }[آل عمران187].

قال ابن كثير رحمه الله: "وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم؛ فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسالكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئاً".

وهكذا على المعلم والمربي والمصلح أن يقوم بإيصال رسالته إلى المجتمع بأمانة وإخلاص حتى ينشأ الناس على الخير ويسلكوا السبيل السوي.

عباد الله، ومن الوظائف المهمة كذلك:

وظيفة الطب، فكما أن الحكام حراس البلدان والعلماء حراس الأديان فإن الأطباء حراس الأبدان، ولا قيام للدنيا إلا بسلامة هذه الحصون الثلاثة. فالطبيب الأمين هو الذي لا يمارس هذه المهنة إلا بعد تأهله الكافي لها؛ حتى يحافظ على حياة الناس من آثار جهله بها.

فالأمين من الأطباء من يحفظ مرضاه من الأدوية الفاسدة أو الضارة ويداوي المرض كما ينبغي، وإلا أحاله إلى من عنده الكفاءة العالية والأجهزة المناسبة لعلاج ذلك المرض.

والأمين من الأطباء من يتخذ هذه الوظيفة عبادة لله، وخدمة للناس، ولا يسعى للكسب فيها من خلال الخيانة فيها بالتجارة بأبدان الناس وغشهم.

أيها المسلمون، إن أمتنا الحبيبة بحاجة ماسة إلى الموظفين والعمال الأمناء؛ لأنهم من أسباب رقيها وتقدمها وصلاح أحوالها. فاتقوا الله-أيها الموظفون والعمال- في أعمالكم ووظائفكم بأداء الأمانة فيها؛ لأنكم مسئولون عما تعملون.

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

# الانتصار على الخوف في الأزمات ([[689]](#footnote-689))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، إن الخوف دليل على ضعف الإنسان وعجزه، وحاجته وفقره، { وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً }[النساء28]. وهو يشير إلى احتياجه إلى قوة تسانده لتجلب له الأمن والاطمئنان.

والخوف توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب بأمارة معلومة أو مظنونة، يضطرب به القلب، وقد تظهر آثاره على الجوارح والوجوه والأقوال والأفعال.

ويتنوع الخوف إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الخوف المحرّم، وهو أن يخاف العبد من غير الله كخوفه من الله أو أشد، كأن يخاف من خيال أو جني أو إنسي حي أو ميت، قال تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }[آل عمران175].

فالضار النافع هو الله تعالى الذي بيده مقاليد الأمور، فلو اجتمع الخلق كلهم على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.

النوع الثاني: الخوف المطلوب، وهو الخوف من الله تعالى ومن كل سبب يوصل إلى غضبه ومعصيته. قال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }[النحل50].

فالمسلم يخاف عذاب الله أن ينزل به بسبب عصيانه، قال تعالى: {قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }[الأنعام15].

والمسلم يخاف أن يقف بين يدي الله يوم القيامة فيخزيه بذنوبه أمام العالمين؛ فلذلك ساقه هذا الخوف إلى الاستعداد بالعمل الصالح ليأمن في ذلك اليوم، قال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ }[الرحمن46].

وقال: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى }[النازعات40-41].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل) ([[690]](#footnote-690)).

وهذا الخوف عبادة لله تعالى؛ لأنه يتضمن صرف القلب إليه واعتقاد أنه الذي يفعل ما يريد ولا يصده عما أراده صاد.

وهذا الخوف إذا سكن القلبَ ساق صاحبه إلى الله تعالى وبصرّه بطريقه حتى يصل إلى ربه جل وعلا.

وليس الخوف من الله نطقاً باللسان فقط، بل هو اعتقاد بالجنان ونطق باللسان يصدّق ذلك عمل الجوارح والأركان. قال ابن تيمية رحمه الله: "الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله".

عباد الله، والنوع الثالث من أنواع الخوف: هو الخوف الطبيعي الذي يحصل لكل نفس بشرية من شيء يُتوقع منه اعتداء على المحبوبات. كالخوف من أسباب الآلام التي تقتل أو تجرح أو تؤذي.

قال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ }[القصص18]. وقال: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى }[طه67].

وهذا الخوف مباح بشرط أ لا يصل إلى درجة الخوف المحرم كأن يعتقد الخائف حصول تأثيره دون قدرة الله. فالخوف المباح لا يخرج صاحبه إلى طرح قلبه ورجائه وتوسله بين يدي ذلك الشيء المخوف، وإنما يظل داعياً اللهَ تعالى أن يصرف عنه ذلك الشر؛ فموسى عليه السلام لما خاف ظلم فرعون وآله دعا الله تعالى، قال عز وجل: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }[القصص21].

أيها المسلمون، إن أعظم ما يملكه الإنسان العاقل: دينه ونفسه وماله وعرضه. ولا تتم عليه النعمة في هذه الأشياء إلا بحصول السلامة والأمان على هذه الضرورات.

فيحصل الأمان على دينه بلزومه طريق الحق والثبات عليه، وبوجود العلماء العاملين وقيام شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويحصل الأمان على النفس والمال والعرض بالحفاظ على أسباب بقائها سالمة، وبوجود دولة عادلة تحفظ حياة الناس وحقوقهم وتحول بينها وبين الصائلين عليها، وتقيم على المتعدين عليها الحدود الرادعة.

إن الحروب التي تنشأ في المجتمعات تجعل الإنسان في غير مأمن على هذه الحقوق، وما يجري هذه الأيام في بلادنا وفي بعض البلدان العربية من صراع سياسي جعل بعض الناس يعيشون في خوف شديد. حتى نقل بعضهم إلى الخوف المحرم فصار يخاف بعض أطراف الصراع خوفاً جعله يعتقد أنهم يقدرون على ضره، دون أن يعلق قلبه بربه تعالى، وهذه الحال ليست حال الواثق بالله تعالى.

وقد أنكر الله تعالى على بعض الصحابة الذين كانوا يتمنون في مكة أن يفرض عليهم الجهاد للمشركين، فلما صاروا في المدينة وفرض عليهم الجهاد تضجر هؤلاء النفر القليل؛ خوفاً من الناس فأنزل الله قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً } {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً } {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً } [النساء77-98].

وقال تعالى عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة أحد: {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }[آل عمران154].

وحكم الله تعالى على اليهود بعدم الفهم والإيمان حينما خافوا من الصحابة أشد من خوفهم من الله تعالى، قال عز وجل: {لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ }[الحشر13].

عباد الله، لقد جر الخوف –في هذه الأحداث- بعض الناس إلى اليأس والقنوط من تحسن الأحوال وذهاب الفتنة، فعاشوا في ظلام الخوف والقنوط لا يرجون رؤية نور الفرج وتغير الحال السيئة. بل إن بعضهم لم يصل إليه مكروه، لكن توقعه للمكروه نزل به أشد من حصول المكروه، وتوقع العذاب عذاب. وهذه الحال ليست حال المؤمن الذي يرجو ربه في مثل هذه الظروف حينما لم يعلق أمله بأحد، وإنما علقه بربه.

إن من المشاهد لدى بعض الناس في خضم هذه البلايا أنه ركن إلى الكسل والشرود فنسي العبادة والرجوع إلى ربه، مع أن العبادة في مثل هذه الأيام مضاعفة الأجر، كم قال عليه الصلاة والسلام: (العبادة في الهرج كهجرة إلي) ([[691]](#footnote-691)).

وظهر كذلك التكاسل عن الأعمال الدنيوية النافعة الممكنة، فضاع بالخوف شيء من الدين وشيء من الدنيا.

لقد علمنا رسول الله عليه الصلاة والسلام علو الهمة والحرص على العمل النافع حتى في أحرج الأوقات، فقال عليه الصلاة والسلام: (إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها) ([[692]](#footnote-692)).

أيها المسلمون، ولكي نخفف وطأة الخوف ونعيش في أمان مع المكروه العام فعلينا أن نسلك بعض الطرق الموصلة لذلك الأمان المرجو، فمن تلك الطرق:

أن نقوي إيماننا بالله تعالى الذي بيده كل شيء، ونقوي إيماننا ومعرفتنا بأسمائه وصفاته، فهو العليم الحكيم القدير الرحيم، فنعتقد أنه لا يقع شيء إلا بعلمه، ولا يحدث شيء في خلقه إلا بحكمته، وهو القدير على أن يأمننا من الخوف؛ لأنه أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا.

وعلينا كذلك أن نقوي إيماننا بقضاء الله وقدره، فنرضى بما قدر وقضى، ونعلم أنه لن ينجي حذر من قدر، ولن يستطيع أحد أن يوصل إلينا ضرراً لم يرده الله تعالى، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }[التوبة51].

ومن السبل التي تخفف الخوف: أن يتوكل الناس على الله تعالى ويفوضوا أمرهم إليه، وأن تعتمد قلوبهم عليه. فالمتوكلون على الله هم أهنأ الناس عيشاً، وأكثرهم أماناً واطمئناناً، قال ربنا الكريم: { وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً }[الطلاق3]. وقال تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ }{فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ }آل عمران {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }[آل عمران173-175].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ({ حسبنا الله ونعم الوكيل }. قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه و سلم حين قالوا: { إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل }) ([[693]](#footnote-693)).

ومن السبل كذلك: كثرة اللجوء إلى الله تعالى والتضرع بين يديه، والتحصن بحصون الدعاء العام والخاص، كأدعية الصباح والمساء، والاستيقاظ من النوم، والخروج من المنزل.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي) ([[694]](#footnote-694)).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من قال -يعني إذا خرج من بيته-: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان) ([[695]](#footnote-695)).

وعن أبي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خاف قوماً قال: (اللهم إنا نجعلك في نحورهم و نعوذ بك من شرورهم) ([[696]](#footnote-696)).

وكذلك أن يدعو المسلم بالأدعية العامة بالكفاية والحماية والوقاية ورفع البلاء ودفع الفتنة، وإحلال الأمن والسلام، والله سميع قريب يجيب دعوة المضطرين والملحين والمداومين.

أخلق بذي الصب أن يحظى بحاجته... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،

أيها المسلمون، ومن سبل دفع الخوف في هذه الأزمة: اليقين بأن في هذه البلية مصالح ونعماً كثيرة، عرفها من عرف وجهلها من جهل، فلننظر إليها بمنظار الحكمة، فلعل بعض الشاردين عن الله يرجعون إلى باب ربهم بسببها.

قال تعالى: { وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }[البقرة216]. واليقين بأن هذا البلاء لن يستمر فالله سيغير الحال إن شاء تعالى.

ما بين غمضة عين وانتباهتها... يغير الله من حال إلى حال

ومن السبل كذلك: الاستقامة على طاعة الله تعالى، ولزوم حدوده؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فعون الله ودفاعه وإنجاؤه يحصل لمن أطاعه واتقاه؛ ولذلك قال تعالى لنبييه موسى وهارون عليهما السلام حينما خافا بطش فرعون: {قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى } {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }[طه45-46].

ومن ذلك الإكثار من نوافل العبادة كالذكر وقيام الليل والصيام ونحو ذلك، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }[الرعد28].

عباد الله، ومن سبل الانتصار على الأزمة: الابتعاد عن مواطن الخوف ومثيراته،

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيبا قال: ( أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم) ([[697]](#footnote-697)).

فالمكان والزمان المخوفان ينبغي اعتزالهما إن أمكن ذلك، فموسى عليه السلام لما حصل له الخوف في مصر خرج عنها إلى مدين. قال تعالى: {وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ } {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }[القصص20-21].

أخيراً كثرة الاستعجال بقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال تعالى: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ }[البقرة156].

عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه و سلم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ( ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها - إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها، قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخلف الله لي خيرا منه: رسول الله صلى الله عليه و سلم) ([[698]](#footnote-698)).

ونحن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها.

هذا وصلوا وسلموا على النبي الأمين...

# الحدود الشرعية: عدلٌ ورحمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، إن الحروب المتنوعة الموجهة نحو الإسلام وأهله مازالت في امتداد واتساع، وتأخذ بين كل فترة وأخرى طابع التجديد حسب الزمان والمكان والبيئة.

ومن بين تلك الحروب: حرب قولية وكتابية تمثلت بالطعن في ثوابت هذا الدين ومسلماته والشرائع الراسخة التي جاء بها. قال تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ }[آل عمران:186].

لقد كان أمراء هذه الحرب في الماضي من الكفار الصرحاء من اليهود والنصارى والوثنيين والملحدين. وأما اليوم فقد سلم هذا الدور لأناس من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ويدعون أنهم أغير الناس على دين الله من أهله.

في هذه الأيام عبر بعض وسائل الإعلام المختلفة ظهرت هجمة شرسة تتناول بعض الحدود الشرعية القطعية بالرد والتكذيب، والاستهزاء والتشويه، والطعن والتعطيل،

ويزعمون زوراً أن الإسلام بريء من هذه الحدود التي تشوه الأعضاء البشرية المجرمة، أو أنها كانت لفترة زمنية تاريخية منغلقة، وأما اليوم فنحن في عصر الانفتاح الحضاري والحياة المدنية الراقية فلا يناسب تطبيق هذه الحدود! هذا على أقل الأحوال لدى من اعترف بها. أما الطرف الآخر فقد طعن فيها جملة أو اختار بعضها بالطعن والرفض.

لقد راجت هذه الدعوة الباطلة في أوساط بعض المنسوبين إلى الثقافة والتنور من الساسة والإعلاميين، وتأثر بها بعض الجهال وأصحاب القناعات المناوئة للإسلام من بين المسلمين فراحوا يرددونها خلف أولئك الناعقين، طالبين تطبيق القوانين الغربية بديلاً عن الشريعة الإسلامية. والله تعالى يقول: { أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ }[البقرة:61]. ويقول: { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }[المائدة:50].

عباد الله، إن المسلم العاقل ليعجب من هذه الدعوة المشبوهة التي تحاكم النصوص الشرعية القطعية المعصومة إلى عقول بشرية شوهتها الأفكار الغريبة المسمومة!

لقد رحموا المجرم والمفسد في الأرض الذي سطا على الدين أو النفس أو العرض أو المال أو العقل، وأحدث الخوف والقلق والفساد في المجتمع، ولم يرحموا المعتدى عليه! فهل هم أعلم أم الله بمصالح العباد ودفع المضار عنهم؟.

لقد أرادوا بهذا النعيق أن يرضوا الغرب عنهم ويسخطوا الله تعالى، الذي شرع هذه الحدود.

ومن المعلوم لدى المسلم الصادق إن الله تعالى شرع هذه الحدود بعلم وحكمة، وعدل ورحمة؛ ليتعبد عباده بذلك وينالوا الثواب على امتثالهم هذا التكليف.

وشرعها كذلك ليعيش الناس بأمان واطمئنان واستقرار، فيُحفظ لهم دينهم الحق من الذهاب والسخرية ولعب اللاعبين به، وتحفظ لهم دماؤهم من السفك والجرح ظلماً، وتحفظ لهم أموالهم المعصومة من التعدي عليها والأخذ منها بغير طيب نفس، وتحفظ لهم أعراضهم مصونة محمية من كل خدش ونهش، وتحفظ لهم عقولهم من الاختلال وتضييع الدين والدنيا. والأمن على هذه الجوانب العظيمة مطلب شرعي وفطري وعقلي.

أيها المسلمون، إن المسلم الصالح في المجتمع يسعى لإيجاد الأمن والاهتمام بنشر الخير والاطمئنان بين الناس؛ لأن الشرع أمره بأن يكون عضواً صالحاً في جسد المسلمين بعيداً عن التعدي على غيره. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)([[699]](#footnote-699)).

ولأن بُعده عن إيذاء الناس عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، وخروجه عن هذا الأصل يعرضه للعقوبة.

وكل مسلم يستشعر هذه المعاني فلن تنازعه نفسه ويقوده هواه للفساد والإفساد، وبهذا تتم المراقبة الذاتية والوازع الشخصي فيعيش المسلمون في صلاح للدين والدنيا. ومن ثم فلا حدود تقام وقد صلح الناس ولم يتجاوزوا حدود الله تعالى.

لكن إن خرج مسلم عن هذا الإطار الآمن الصالح ولم تمنعه نفسه عن الأذى فهناك يأتي الوازع الآخر الذي يوقفه عند حده حتى لا يفسد المجتمع بتعديه وهذا الوازع هو الحدود الشرعية التي تكفل للمجتمع أن يعيش حياة آمنة مطمئنة يأتيه رزقه رغداً من كل مكان.

معشر المسلمين، إن الناظر المنصف إلى الحدود التي حددها الشرع الحنيف لكف الفساد في الأرض سيحكم بأنها وسام مدح في صدر هذا الدين وليس عيباً فيه، وهي سبب راسخ من أسباب استمراره وظهوره وتأثيره، فالمجتمعات الغربية رغم دقة أجهزة المراقبة فيها وتوفر الحس الأمني المنتشر، ورغم عقوبات القانون مع كل ذلك لم تستطع أن تكبح جماح الجريمة، فهذا يبين أن القانون البشري مهما كان دقيقاً فإنه لا يمكن أن ينال رضا البشر ويحبس المجرمين منهم عن الجريمة. فالله يعلم وهم لا يعلمون؛ ولذلك شرع لعباده الدين الحق الذي إذا التزموا بهم سعدوا في دنياهم وأخراهم.

والناظر المنصف إلى الحدود الشرعية يرى أنها حدود مقدرة كماً وكيفياً، فلا مجال للعقل البشري أن يضيف عليها أو أن ينقص منها؛ لأن الله أعلم حيث حدد وقدر.

إلا في التعزير على عمل لم يرد في الشرع فيه حد معين؛ لكونه ليس من الجرائم الكبيرة أو المنتشرة.

والناظر المنصف إلى الحدود الشرعية يرى أن هناك شروطاً لا بد من توفرها قبل إقامة الحد، كما سيأتي.

والناظر المنصف إلى الحدود الشرعية يجد أنها تُدرأ بالشبهات، وأن الشرع يتشوف إلى براءة المتهم والتحقق واليقين من صحة الدعوى فلا يقيم الحد إلا في النهاية؛ ولذلك كان من الأفضل لمن وجب عليه حد أن يستر نفسه ويتوب بينه وبين ربه، وكذلك على الناس أن يستروا من وقع منه ما يوجب الحد وكان غير مجاهر ولا مستهتر، وأن لا يرفعوا أمره إلى الحاكم؛ فلعله أن يتوب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب)([[700]](#footnote-700)).

وقد جاء عن عمار بن ياسـر أنه أخذ سارقاً ثم قال: "أستُره؛ لعل الله يسترني". وقال أبو بكر الصديق: "لو لم أجد للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره عليه".

ودعي عثمان في ولايته إلى قوم على أمر قبيح فراح إليهم فلم يصادفهم، ورأى أمراً قبيحاً فحمد الله إذ لم يصادفهم وأعتق رقبة.

والناظر المنصف إلى الحدود الشرعية يجد أنها لا تقام على يد كل أحد وإنما تقام على يد ولي أمر المسلمين أو من ينيبه عنه.

والناظر إلى الحدود الشرعية يرى أنه راعت المصلحة العامة والمصلحة الخاصة،

فمن المصلحة العامة أن يبقى دين المسلمين محفوفاً بالهيبة والتقدير، فأما إذا صار

ظرفاً للتجربة واللعب، فيخرج منه من أقر به كيف شاء ومتى شاء؛ لغدا ألعوبة لكل لاعب يريد القضاء عليه من الداخل فذهبت هيبته من النفوس.

قال تعالى عن منافقي أهل الكتاب: { وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }{ وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[آل عمران:72-73].

ومن مصلحة الفرد المعتدي إذا كان مسلماً أن يقام عليه الحد ليكون كفارة لذنبه، وحينما يحضر إلى القضاء سيرد الحقوق إلى أهلها وسيوعظ وينصح ويكون ذلك عوناً له على التوبة ولزوم الطاعة حتى إذا رجع إلى المجتمع –إن كان حده القطع أو الضرب- عاد إنساناً صالحاً، وقد وجد ذلك عمن أقيم عليه الحد. وإن كان حده القتل لقي الله تعالى بعد توبة ورجوع إلى الله تعالى فكان حسن خاتمة. فالحدود زواجر وجوابر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا و لا تسرقوا و لا تزنوا و لا تقتلوا أولادكم و لا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم و أرجلكم و لا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله و من أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، و من أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه و أن شاء عفا عنه) ([[701]](#footnote-701)).

ومن مصلحة الفرد المعتدى عليه وذويه: أن يقتص لهم ممن ظلمهم وتعدى على حقوقهم؛ لكي ينسوا ألم المظلمة، فكيف يرحم القاتل -عند الكارهين للحد- ولا يرحم المقتول الذي غيِّب عن الحياة وفقده أهله وأحبابه؟!

ومن مصلحة المجتمع أن يبقى في منأى عن الخوف على دينه ونفوس أهله وأعراضهم وأموالهم وعقولهم؛ لأن هذه الكليات الخمس إذا تعرضت للخوف شقيت الحياة وشقي أهلها.

أيها المسلمون، يمكن تقسيم العقوبات الحدية على أهلها إلى ثلاثة أقسام رئيسة،

وهي أولاً العقوبة بالجلد، وهذه العقوبة تشمل ثلاثة حدود: حد السكر، وحد القذف، وحد الزاني البكر

فأما حد السكر فإنه يكون في حق من اعتدى على نعمة العقل بالتغييب بأي نوع من أنواع المسكرات المشروبة أو المأكولة أو المشمومة أو غير ذلك؛ لأنه جناية على العقل الذي يعقل الإنسان عن القبائح في حق نفسه أو حق غيره.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ }[المائدة:90-91].

وقد جعل الشرع الحد فيه ثمانين جلدة، وهذا قول الجمهور من العلماء، وقيل حده أربعون وما بين الأربعين والثمانين تعزير.

ومن حرص الشارع على درأ هذا الحد عن الشارب أنه لا يثبت الحكم بالحد إلا بعد ثبوته بالبينة وهي شهادة مسلمين عدلين، أو بإقراره على نفسه بتناوله المسكر، فإن رجع عن إقراره دفع عنه الحد.

ثم إن الحد لا يقام إلا إذا كان الشارب مسلماً عاقلاً بالغاً مختاراً، فلا حد على كافر ومجنون وصغير ومكره.

عباد الله، الحد الثاني مما تكون عقوبته بالجلد: حد القذف، ومعنى القذف الرمي لإنسان ذكرا كان أو أنثى بالزنا.

وقد جعل الإسلام في هذا الأمر الحد بالجلد ثمانين جلدة؛ حفظاً لأعراض المسلمين، وإبعاداً لتدنيس شرفهم. قال تعالى: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [النور:4].

ومن حرص الشارع على التحري في الحدود أن القاذف لا يقام عليه هذا الحد إلا إذا كان عاقلاً بالغاً مختاراً، وقد قَذف بالزنا بصريح العبارة، وطالب المقذوف بإقامة الحد على من قذفه، و أن يكون المقذوف مسلماً بالغاً عاقلاً عفيفاً، سواء كان رجلاً أم امرأة.

أيها المسلمون، ومن الحدود التي تكون العقوبة عليها بالجلد: حد الزاني البكر ذكراً كان أو أنثى. فالأصل في الفروج التحريم إلا بزواج أو ملك يمين، وهذا هو السبيل الآمن لقضاء الوطر الفطري، بنظر الدين والعقل والصحة والحفاظ على المجتمع والكائن البشري.

قال تعالى:{ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا }[الإسراء:32].

فمن خرج عن هذا الإطار النظيف المطمئن فقد أوجب الشرع عليه الحد.

فمن كان بكراً-رجلاً أو امرأة- فحده مائة جلده. قال تعالى:{ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }[النور:2].

ومن حرص الشارع الحكيم العدل الرحيم أنه لم يشرع إقامة هذا الحد إلا إذا كان الزاني بالغاً عاقلاً مختاراً عالماً بالتحريم. ولا يثبت هذا الحد إلا بإقرار الزاني على نفسه بأنه زنى وهو في كامل قواه العقلية، أو بالبينة وهي أن يشهد أربعة شهود عدول بأن يصفوا الفعل وصفاً دقيقاً بأن رأوا الفرج في الفرج. وهذه البينة الشديدة بهذا العدد وبهذه الكيفية الدقيقة التي يندر حصولها-لأن الزنا يعتمد على الستر والاختفاء- تدل أيضاً على تشوف الشارع إلى الستر ودرأ الحدود؛ ولذلك حتى لو اجتمع ثلاثة عدول ودينهم وعلمهم كالجبال ولا يوجد لهم رابع فإنه يقام عليهم حد القذف. فانظروا إلى هذا الحرص يا من تطعنون في حدود الله!

أيها المسلمون، ثانياً العقوبة بالقطع، وهذا العقوبة تتناول حداً واحداً هو حد السرقة.

فالمال -كما يقال- عصب الحياة وتتعلق به أغلب مصالح الحياة، وميل النفوس إليه ميل كبير، والتنازل عنه ليس سهلاً عليها، ثم إن تحصيله ليس بالأمر اليسير لكل الناس.، وليس في قدرة الإنسان أن يبقى مع ماله كله دائما؛ لهذا جعل الشرع حد السرقة رادعاً عن الصيالة على الأموال المعصومة. وذلك بقطع العضو الفاسد الذي تعدى على أموال غيره.

قال تعالى:{ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[المائدة:38].

ومن حرص الشارع على درء الحدود أنه لا يقام على السارق هذا الحد إلا بشروط، وهي أن يكون السارق بالغاً عاقلاً مختاراً، وأن لا يكون في المال شبهة ملك كالأخذ من مال الزوج أو الزوجة أو من مال الوالدين أو مال الأولاد، وأن يكون المال المسروق نصاباً، ومحروزاً في حرز مثله.

ثم إنه لا يثبت الحد إلا بالإقرار، أو ثبوت البينة وهي شهادة شاهدين عدلين.

أيها الأخوة الفضلاء، النوع الثالث من عقوبات الحدود الشرعية هو العقوبة بالقتل، وهذا يتناول حد الردة، وحد القتل، وحد زنا المحصن، وحد الحرابة.

فأما حد الردة، فهو حد يكون في حق من رجع إلى الكفر بعد الإسلام إما بالقول وإما بالفعل وإما بالاعتقاد، وهذا الفعل ذنب عظيم وتبديل لنعمة الله تعالى بعد حصولها.

قال تعالى:{ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[البقرة:217].

عن عكرمة أن علياً رضي الله عنه حرق قوما فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لأن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ( لا تعذبوا بعذاب الله ). ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( من بدل دينة فاقتلوه )( [[702]](#footnote-702)).

ومن حرص الشارع على درء الحدود: أنه لا يقام هذا الحد إلا على من كان بالغاً عاقلاً مختاراً عالماً مدركاً ما يقول، بعد الاستتابة وثبوت الردة بالإقرار أو البينة.

وأما حد القتل، فهو عقوبة بالقصاص مماثلة للفعل على من أزال أغلى ما يملكه المسلم بعد دينه، وهي حياته التي يستعين بها على العمل الصالح ورعاية أهله وأولاده ونفع نفسه وغيره، فالجناية عليها بالإزهاق جرم كبير يخرب العالم ويوصله إلى الفناء. فجاء العدل الرباني بإزالة هذه النفس المعتدية على المقتول بالإفناء وعلى غيره بالتخويف والوعيد، لتلقى هذه النفس المجرمة المصير نفسه، وتشرب من الكأس المر نفسه الذي سقته غيرها؛ لتستمر حياة الآخرين بأمان واستقرار.

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ }{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[البقرة:178-179].

ومن حرص الإسلام على درء الحد عن القاتل أنه لا يقام عليه هذا الحد إلا إذا كان عاقلاً بالغاً عامداً قاصداً، وأن لا يكون المقتول كافراً، وأن لا يكون القاتل أباً للمقتول.

وأما حد زنا المحصن، وهو الذي قد تمت عليه النعمة بالزواج، فإنه يكون بالرجم حتى الموت، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بماعز والغامدية وغيرهما.

عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما قالا: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله، فقام خصمه فقال: صدق، اقض بيننا بكتاب الله فقال الأعرابي: إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته، فقالوا لي: على ابنك الرجم ففديت ابني منه بمائة من الغنم ووليدة، ثم سألت أهل العلم فقالوا: إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( لأقضين بينكما بكتاب الله: أما الوليدة والغنم فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، وأما أنت يا أنيس –لرجل كان عنده- فاغدُ على امرأة هذا فارجمها، فغدا عليها أنيس فرجمها) ([[703]](#footnote-703)).

ومن حرص الشارع على درء هذا الحد أن لا يقام على صاحبه ذكراً أو أنثى إلا بشروط، كما تقدم ذكرها في حد الزاني البكر.

وأما حد الحرابة، فإن الحرابة تعني الخروج مجاهرة لأخذ مال أو إخافة سبيل اعتماداً على القوة، وقد يكون فيها قتل. فهي إذن جريمة تشتمل على عدة جرائم شخصية ومجتمعية؛ ولذلك غلِّبت عقوبة فاعليها.

قال تعالى: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[المائدة:33].

ومن حرص الشارع على درء الحد هنا: أنه لا حد على مجنون وصغير ومكره، و لا على من تاب قبل القدرة عليه. قال تعالى: بعد الآية السابقة: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[المائدة:34].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

أيها المسلمون، أرأيتم كيف تصير المجتمعات لو طبقت فيها الحدود الشرعية؟ إنه تصير ناعمة بالأمن والاستقرار والنمو والإنتاج.

ولكن انظروا إلى المجتمعات اليوم كيف تموج فيها الجريمة!

لقد تجرأ أراذل من الناس على الردة علناً ودعوا الناس إليها، حيث طعنوا في الدين، وشتموا سيد المرسلين، وسخروا من القرآن الكريم، حتى ارتقوا لسب رب العالمين، ولاقوا التشجيع الإعلامي والمالي، فما لهؤلاء من رادع إلا تطبيق حد الله في رقابهم، إذا لم يتوبوا ويرعووا.

وجريمة القتل العمد العدوان امتد نطاقها وصارت حديث الناس فلا نسمع إلا قتل فلان وقتل فلان وفي مكان كذا قتل كذا، ولم يقبض على القتلة، بل غدوا يسرحون ويمرحون مستمرين في عدوانهم على النفوس المعصومة!

وهكذا في جرائم الزنا والسرقة والسكر وقطع الطريق، فقد غدت هذه الجرائم ظواهر في المجتمع ولم تعد حالات نادرة.

فكيف نريد أن تصلح المجتمعات-يا عباد الله- وحدود الله معطلة؟! إما بدافع الخوف من الغرب، وإما بالتساهل والتعاون مع أصحاب تلك الجرائم، وإما لأسباب أخرى.

إن المصائب التي تعانيها مجتمعاتنا الإسلامية لن ترفع عنه إلا إذا عدنا إلى دين الله تعالى، ومن ذلك تطبيق الحدود الشرعية؛ لأن إقامتها تجلب النعم وتدفع النقم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا)([[704]](#footnote-704)).

قال ابن كثير رحمه الله: " والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطي المحرمات, وإذا تركت المعاصي كان سبباً في حصول البركات من السماء والأرض؛ ولهذا إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية-وهو تركها- فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف, فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج, قيل للأرض: أخرجي بركتك, فيأكل من الرمانة الفئام من الناس ويستظلون بقحفها, ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس, وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير؛ ولهذا ثبت في الصحيح أن الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب".

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

# الذنوب: أسبابها وآثارها ([[705]](#footnote-705))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) ([[706]](#footnote-706)).

عباد الله، إنه لا يخفى عليكم ما تمر به البلاد الإسلامية-ومنها بلادنا- من أزمات متلاحقة في مجالات متعددة: أزمات روحية وتربوية وسياسية واقتصادية وأمنية.

إنها فتن تتبعها فتن، لا تذهب أولاها حتى تدركها أخراها، وكثير من الناس ينظرون إلى هذه المصائب نظرية دنيوية مجردة. لكن المؤمن الواعي ينظر إلى هذه الأحداث المؤلمة ويسبر غورها بمنظار آخر يكشف الحقيقة كاملة من غير غبش ولا خطأ فيرى أن السبب لكل هذه النكبات على المسلمين هو سبب واحد تتفرع عنه أسباب أخرى هذا السبب هو عصيان الخالق وتنحية شريعته عن الواقع.

أيها المسلمون، إن الذنوب عوامل هدم للنفوس وللمجتمعات؛ لأنها جحود للمنعم وإعراض عن دينه الذي أمر عباده أن يعبدوه به ليسعدوا في الدنيا والآخرة.

وهي تخريب للدنيا وتخريب للآخرة، فما عمرت الدنيا والآخرة بمثل الطاعة، ولا خربتا بمثل المعصية.

فما الذي أغرق قوم نوح وقوم فرعون، وما الذي أهلك عاداً وثمود، وغيرهم من الأمم المكذبة إلا عصيان الله تعالى.

قال تعالى: { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ }[الشورى:30].

ذنوب أتيناها فحل عقابها... ومن يزرع الأشواك بادره الشوك

إن هذه الأزمات التي تتجذر وتمتد في العالم الإسلامي اليوم إنما هي تأديب للمعرضين، وتنبيه للغافلين وتمحيص لصفوف المسلمين، واستنهاض ودعوة للعودة إلى رب العالمين.

قال تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[الروم:41].

فرب جرح كان سبب شفاء، وفزعٍ صار سبب يقظة واستعداد.

قال تعالى:{ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ }[البقرة:216].

إن الأمة اليوم شعوباً وحكومات ما زالت في واد سحيق ونوم عميق، فلتترك نفسها تجرب سلوك جميع الطرق التي تظن أنها ستخرجها من منحدراتها البعيدة.

لتجرب التقاتل فيما بينها، وستعلم في النهاية أن هذا مسلك غير سالك.

ولتجرب ولاءها لأعدائها وسرعة الاستجابة لمطالبه المشؤومة، وستعرف في آخر أمرها أنها أخطأت السبيل.

ولتجرب رقودها وعدم يقظتها لمعالجة جروحها بنفسها، وبناء حاضرها ومستقبلها، وسترى بعد ذلك أنها لم تفعل شيئاً.

إنها ستعلم أخيراً بعد هذه التجارب التي خاضتها وما زالت تخوضها أن عزها وتقدمها وسعادتها ونجاتها إنما هو بطاعة ربها، والأخذ بدينه الحق في جميع مجالات الحياة.

أيها المسلمون، معنا هذا اليوم نور من مشكاة المصطفى عليه الصلاة والسلام، يجلي لنا خطر الذنوب وأثرها في فساد الفرد والمجتمع. فقد ذكر لنا عليه الصلاة والسلام في الحديث الماضي خمساً من كبائر الذنوب التي إذا حلت بين قوم نزل عليهم بسببها البلاء والشقاء.

ولعظم خطر هذه الذنوب وآثارها أعاذ رسول الله أصحابه منها.

أولى هذه الكبائر: المجاهرة بالفاحشة، والفاحشة كل ما اشتد قبحه من قول أو فعل، وأكثر ما تطلق على الزنا.

قال تعالى: { وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا }[الإسراء:32].

إن هذه الجريمة الشنيعة تهدم عز الإيمان، وتخرب بيوت العفاف، وتخزي أُسر الكرامة لو حصلت، وتقضي على الأجيال النظيفة، وتفسد الأخلاق الفاضلة، وتجتث عروق القيم النبيلة وتؤذن بدمار المجتمعات والأمم.

وفي هذا الحديث لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تفعل الفاحشة، لأن أي مجتمع يوجد فيه عصاة ومعاص، وإنما قال: لم تظهر في قوم حتى يعلنوا بها.

إذن القضية لم تقف عند حد الاقتراف، بل تجاوزت ذلك إلى المجاهرة والفخر والإعلان المفضي إلى الاستهانة أو الاستحلال وتشجيع الآخرين.

وهذه هي الكارثة التي تجلب العقوبة المذكورة في الحديث (لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا). والمعنى: انتشرت فيهم الأمراض العامة الفتاكة المميتة التي لم تعرف في الناس من قبل، وما أمراض الإيدز وأمثاله إلا نماذج من ذلك.

والعاصم من هذه الكبيرة التي تنتج هذه العقوبة أن يراقب الإنسان ربه ويكفي نفسه بالحلال، وعلى الحكومة المسلمة حراسة الأعراض بمنع أسبابها، وإقامة الحدود الشرعية على المقترفين.

عباد الله، وثانية هذه الكبائر: التعامل بالحرام في البيع والشراء. قال عليه الصلاة والسلام: (ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم).

إن البيع والشراء إذا دخل فيه الخداع والتدليس وأصبح الناس يتعاملون بالحرام وغابت الأمانة والصدق عن الأسواق حلت عقوبات منها:

الأولى: أن يصير الناس في جدب وشدة حاجة ومضائق مالية وأزمات اقتصادية.

والثانية: حكم الحكام بينهم بالظلم والعسف وبذلك تخرب البلدان وتتدهور مصالح الشعوب.

ورفع هاتين العقوبتين مرهون بأداء الأمانة والتعامل بالصدق والمراقبة لله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا و بينا بورك لهما في بيعهما و إن كتما و كذبا محقت بركة بيعهما)([[707]](#footnote-707)).

أيها الأحبة، وثالثة هذه الكبائر: منع الزكاة، منعاً كلياً أو التحيل في أدائها. قال عليه الصلاة والسلام: (ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا).

إن المسلم الموقن بخبر الله ووعده يعلم أن الزكاة ليست خسارة، بل هي نماء وبركة في المال وحارس أمين له من الجوائح المالية المهلكة.

قال تعالى: { وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ }[البقرة:272].

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ( ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ) ([[708]](#footnote-708)).

فمن منع الزكاة الواجبة أو تحيل في إخراجها إنما يجني على نفسه وعلى ماله بالإثم والمحق والذهاب، والحكومة المسلمة التي لا تقوم بهذا الواجب والمجتمع الساكت عن النهي عن هذا المنكر يشارك المانع للزكاة في العقوبة المذكورة.

إن هناك نقصاناً كبيراً في الأمطار ومن أسباب ذلك هذه المعصية، ولكن الله يرحم البهائم التي لم تذنب فينزل شيئاً من الغيث رحمة بها.

أفليس من الخزي والخطيئة على الإنسان أن تكون البهائم سبباً لنزول الغيث والإنسان يكون سبباً لحبسه عن الأرض.

عباد الله، ورابعة هذه الكبائر: نقض عهد الله وعهد رسوله عليه الصلاة والسلام، الذين يعني ترك القيام بأمر الدين؛ لأن الأوامر والنواهي هي عهود في ذمم الخلق.

فإذا أسرفت الأمة على نفسها بالمعاصي وتركت الواجبات الشرعية فقد فتحت لعدوها باباً يلج إليها منه فيفسد عليها دينها ودنياها.

فلقد سعى أعداء الإسلام في تشويهه والطعن فيه وصد الناس عنه، حتى أصغى إليهم بعض المسلمين فأخذوا بعض أفكارهم فضلوا وأضلوا. وفي جانب الدنيا أصبح أمر المسلمين بيد غيرهم حتى ثرواتهم غدت منهوبة من أراضيهم إلى أعدائهم، عليهم الغرم ولعدوهم الغنم. وهذه عقوبة الإعراض عن العمل بالإسلام دين العز. فما يجري هو مصداق هذه الجملة النبوية: (ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم)

وكيف ترجو الأمة النصر والتمكين وهذه الحال هي الغالبة عليها؟!

أيها المسلمون، وخامسة هذه الكبائر: الإعراض عن تحكيم الشريعة الإسلامية.

إن الله تعالى يقول: { وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ }[المائدة:49].

وقال عن أهل الكتاب: { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ }[المائدة:66].

لقد أمر الله تعالى بتحكيم شريعته لأنه أمر بذلك، ولأن شريعته معصومة لا يشوبها خلل، ولأنها شريعة مستقيمة لا تخالف العقول السليمة ولا النفوس الصالحة، { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }[المائدة:50].

وما أصدق ما أخبر به رسول الله في هذا الحديث على ما نعايشه في واقعنا (وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم).

إذن تغييب الشريعة الإسلامية عن الواقع سبب للاختلاف والتنازع، وحل هذه المعضلة هو العودة إلى تحكيم شريعة الله ونبذ كل ما يخالفها.

فهل من سمع يسمع فيعي فيعمل؟

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

أيها المسلمون، لعلنا عرفنا من خلال الحديث النبوي السابق أسباب البلاء والمصائب، وأن كثيراً من تلك الآثار التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك الذنوب موجود في واقعنا.

فما الحل والعلاج يا عباد الله؟

إن الحل هو العودة إلى طاعة الله تعالى من الحكام والمحكومين حتى تنكشف الغمم وتعم النعم.

وإن التغيير المنشود في للواقع الكئيب لن يكون حتى يحصل تغيير داخل النفوس، قال تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }{ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ }[الأنفال:53-54].

وقال: { إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ }[الرعد:11].

وخذوها حكمة خالدة تالدة: إن صلاح أحوالنا بصلاح أعمالنا، واستقامة واقعنا باستقامة قلوبنا.

نسأل الله أن يرد الأمة المحمدية إليه رداً جميلا.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية...

# في ظلال قوله تعالى: {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع...} الآيات ([[709]](#footnote-709))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، إنه لا يخفى عليكم ما نعيش فيه من فتن متلاحقة، فتن داخلية وفتن خارجية، يبتلي الله بها عباده ليُعرف المؤمن الصادق من غيره، وصاحبُ الإيمان الصحيح من مدعيه؛ لأن أيام النعمة والسراء على المؤمنين يدخل فيها بين صفوفهم من ليس منهم، فإذا جاءت الفتن والبلايا أخرجت الغبش وغربلت الصف فخرجت النخالة وبقي ما ينفع الناس، ذهب الخبث وبقي الذهب المصفى أكثر جلاء وصفاء. قال تعالى: { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ }[الرعد17].

وقال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }[الحج11].

وفي غزوة أحد حينما حصل فيها ما حصل من الجروح والقروح أنزل الله تعالى آيات فيها بيان لبعض الحكم والدروس العميقة مما حدث، قال تعالى: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ{139} إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ{140} وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ{141} أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ{142}[آل عمران 139-142].

إنها آيات عظيمة الوقع تنزل على القلب المجروح كالبلسم الشافي والدواء الكافي الذي لا يحتاج بعده إلى غيره.

أيها المسلمون، إن الله يبتلي بعض عباده بالفتن والمحن جزاء ما اقترفوه من ذنوب ومخالفات، فتكون تلك المصائب تأديباً لهم؛ لكي تردهم إلى الله، قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[الروم41].

ومع هذا فإن بعض المسلمين لم يعرفوا هذه الحقيقة فازداد المعرض إعراضاً والمجرم إجراماً، وضعيف الإيمان ضعفاً إلى ضعفه، ولحقه من اليأس والتعلق بالبشر شيء كثير.

هناك من الناس لم يعرف أن ما يجري إنما هو نتيجة حتمية من نتائج المعاصي التي طغت وفشت، ومن أعظم تلك المعاصي: إقصاء الشريعة الإسلامية عن إدارة حياة المسلمين.

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }[الأعراف96].

في ظل هذه الفتن التي يتسع مداها ويمتد أذاها ويطول عناء الناس فيها يُطلب من الجميع أن يشارك في حل الأزمة، ومن أعظم حلولها: أن يتوب كل إنسان إلى ربه تعالى من ذنوبه ويدعو الله بالفرج؛ فإن كل إنسان لو رجع إلى نفسه بهذا لحلت الأزمة.

أيها الأحبة الأفاضل، إن من الحلول العظيمة: أن نرجع إلى القرآن الكريم فنقرأه بعناية وتفكر، ونسعى إلى العمل به بعد ذلك في واقعنا الخاص والعام.

وسنقف-بعون الله تعالى- في هذه الجمعة مع قوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ } {أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ }[البقرة155-157].

هذه الآيات الكريمات تبين للناس بعض صور الابتلاء والاختبار من الله تعالى لعباده المسلمين في أمور حياتهم الدنيوية، وتكشف لهم أن رحمة الله تجلّت في كون الابتلاء في أمر الدنيا لا في أمر الدين، وفي كونه جزئياً لا كلياً، تناول اليسير من حاجات الدنيا ولم يتناول الكثير منها.

وتوضح هذه الآيات العظيمة حال المفلحين عند هجوم هذه المصائب عليهم، وتذكر الجزاء الحسن الذي نالوه جراء مواقفهم الصحيحة عند المصائب والمحن.

عباد الله، يقول تعالى: {ولنبلونكم...}، جاءت هذه الجملة بعد أن قال تعالى للمسلمين قبلها: { {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ } {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ } {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ } [البقرة151-154]. ثم قال: {ولنبلونكم}.

فبين تعالى أن الإيمان المجرد لا يكفي حتى يظهر ويثبت بحصول الابتلاء الذي يرسخ التصديق واليقين، ويرفع الدرجات ويكفر السيئات، ويقوي عود الإيمان بعد حصول الصبر على صور البلاء. وقد ابتلي الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون فما زادهم ذلك إلا ثباتاً إلى ثباتهم ورفعة عند الله وعند خلقه.

ثم يقول تعالى: {ولنبلونكم بشيء...}، إن الله يبتلي عبده الصالح من المحن والمصائب بقدر إيمانه؛ ليحصل بذلك الغرض المقصود من الابتلاء. فلا يكون الابتلاء مُذهباً للإيمان، وقاضياً على الصلاح ولا على كل أسباب الحياة، بل ينزل من ذلك قدراً محدوداً.

ولذلك قال تعالى هنا:{ بشيء من الخوف...} ولم يقل: ( بخوف)، فهذا دواء من الله ينيله عبده بقدر دائه. أما العقوبة لمن حاد الله ورسوله فهي شديدة كما قال تعالى: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }[النحل112].

وفرق بين الإصابة بالخوف والجوع في هذه الآية وبين سابقتها.

أيها الفضلاء، ثم يقول تعالى: {..بشيء من الخوف..}، هذه أول صورة من صور الابتلاء، وهي أن يذهب الله بعض الأمن فيعيش الناس في قلق واضطراب وهلع، فيكون بذلك ذهاب جزء من نعمة الأمن التي هي من أعظم النعم؛ ولذلك يقول تعالى ممتناً على قريش؛ ليدعوهم بذلك إلى الإسلام: { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ{1} إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ{2} فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ{3} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ{4}[قريش 1-4].

إن الأمن نعمة عظيمة تستجلب بها خيرات الدين والدنيا، وبذلك ندرك السر في ابتداء الحديث عن نقيضها في هذه الآية، وبعض الناس قد لا يدركها إلا إذا ذهبت، فما أفسح الدنيا بالأمن وما أضيقها بالخوف! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) ([[710]](#footnote-710)).

ومن اهتمام الإسلام بهذه النعمة: أنه أمر بإقامة الحكم والعدل وشرع الحدود لردع الجناة الذين يقلقون السكينة في المجتمع.

الصورة الثانية من صور الابتلاء في هذه الآيات: الابتلاء بالجوع فقال: { ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع...}، إن الجوع عذاب على الأبدان يفقدها حيويتها ونشاطها، وقد يفقدها الحياة كلها؛ لأن الطعام والشراب قوام الحياة والحركة على هذه الدنيا. والابتلاء بالجوع له صور منها: انعدام الطعام والشراب وقد يكون ذلك بسبب الحروب أو ارتفاع الأسعار أو بانقطاع الغيث وحصول الجدب، أو بنزول جوائح على المأكل والمشرب. ومن صوره: قلته بسبب كثرة الآكلين وقلة المأكول الموجود، وبسبب ذهاب البركة.

ولأجل إذهاب هذه المصيبة أمر الإسلام بالاستقامة على الطاعة؛ لأنها سبب لحصول نعمة الطعام والشراب، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ }[المائدة66].

ولأجل إذهابها أيضاً: أمر بطلب الرزق ودفع الزكاة لأهلها وحث على الصدقات وإطعام الجائع، حتى ولو كان حيواناً.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً فقال: نعم، في كل ذات كبد رطبة أجر) ([[711]](#footnote-711)).

عباد الله، والصورة الثالثة من صور الابتلاء: نقصان الأموال، قال تعالى: {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال..}، فالمال -أياً كان نقدياً أو عينياً – دم الحياة التي تجري به خاصة في عصرنا هذا، فالابتلاء بنقصانه مصيبة كبيرة تعرض من أصيب بها إلى شدائد ومضايق كثيرة، تؤثر على دنيا المرء ودينه، قال لقمان لابنه: "يا بني، اطلب المال الحلال؛ فإنه ما افتقر أحد إلا أصيب بثلاث خلال: رقة في دينه، وضعف في عقله، واحتقار الناس له".

فالابتلاء بنقصان المال قد يكون بسبب الكوارث أو الحوداث المذهبة للمال من احتراق أو ضياع أو تعدٍّ عليه، أو بخسارة تجارية فادحة، أو بمعاملة محرمة كالربا والقمار والغش ونحو ذلك.

إن بعض الناس إذا أنعم الله عليه بالغنى نسي من أعطاه هذه النعمة فراح يزهو ويفخر، ويطغى في الأرض بها مرتكباً مساخط من أنعم عليه، محتقراً لمن لا يملك ما يملك، مع أنه قد يكون في ماضيه أشد بؤساً ممن يسخر به.

وحتى تحرس نعمة المال بلا ذهاب ولا نقصان: على المسلم أن يطلب المال من حله ويصرفه في حله، ويشكر الله على ما أنعم عليه، ويؤدي حق الله فيه ويحسن إلى الناس كما أحسن الله إليه.

قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }[إبراهيم7].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين) وفي رواية: (ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر) ([[712]](#footnote-712)).

أيها المسلمون، الصورة الرابعة من صور الابتلاء: الابتلاء بنقص الأنفس، قال تعالى: {.. ونقص من الأموال والأنفس..}، إن الإنسان يسعد في عيشه بين أحبابه وخلانه من أقارب وأصدقاء، ويرجو دوام الحياة بذلك، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، فقد تأتي المنية لتأخذ القريب والحبيب، إما بأمراض أو بحروب أو فجاءة من غير سبب ظاهر، فهذا نقصان الأنفس، والمؤمن أمام هذا الحادث القدري الذي لا يستطيع بذل سبب لمنعه لا يسعه إلا الصبر والاحتساب والرضا بقضاء الله وقدره.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي، فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد) ([[713]](#footnote-713)).

الصورة الخامسة من صور الابتلاء في هذه الآيات: الابتلاء بنقص الثمرات، قال تعالى:{ونقص من الأموال والأنفس والثمرات..}، لقد جعل الله رزق الإنسان في هذه الدنيا من ثمرات الأرض من خضروات وفواكه وبقوليات تنبت على الأرض بماء السماء، قال تعالى:{ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ{24} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً{25} ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً{26} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً{27} وَعِنَباً وَقَضْباً{28} وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً{29} وَحَدَائِقَ غُلْباً{30} وَفَاكِهَةً وَأَبّاً{31} مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ{32}[عبس 24-32].

وهذه نعمة عظيمة، غير أن هذه النعمة قد لا تدوم، فقد تنقص بقلة نتاجها أو بفسادها وعدم صلاحية الأرض لزراعتها أو بقلة توافر أسباب زراعتها، أو بعسر الحصول عليها، وارتفاع أثمانها، بسبب الحروب وغياب المشتقات النفطية كما هو حاصل في بلادنا هذه الفترة.

نسأل الله أن يديم علينا النعم، ويذهب عنا النقم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم الرحيم، العليم الحكيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، لقد بين الله تعالى الموقف الصحيح الذي يجب أن يقفه المسلم في هذه الابتلاءات والمصائب، هذا الموقف هو: طاعة الله تعالى، ومن صورها: التسليم لقضاء الله وقدره بالصبر على ما حصل، وليس معنى الصبر ترك السعي إلى فعل الأسباب المشروعة لإزالة الأزمة، وإنما معنى الصبر هو عدم الجزع والتسخط على قدر الله. وما أحسن الحث على الصبر في هذه الابتلاءات بهذه الجملة العظيمة: {وبشر الصابرين}، حيث تضمنت هذه الجملة الأمر بالصبر وزيادة بحصول البشارة للصابرين، ولم يذكر الله ما هي مفردات هذه البشارة؛ ليجعل العقل يذهب في تقديرها كل مذهب، فقد يكون التبشير لهم بحسن العوض وبحسن العاقبة، وكثرة الأجر، والسرور بلقاء الله يوم القيامة وقد صبروا على هذه المصائب. فكما أنه تعالى أبهم للتعظيم أجرهم في قوله: { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ }[الزمر10]. أبهم بشارتهم هنا أيضاً.

ومن صور طاعة الله في الآيات الماضية عند المصائب السابقة: أن المؤمنين بعد صبرهم يسترجعون فيقولون في قلوبهم وألسنتهم: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي: نحن مملوكون لله يتصرف فينا كيف يشاء وينزل بنا ما يريد فنحن عبيده وهو سيدنا العدل الرحيم. ونحن بالموت راجعون إليه وصائرون إلى ما أعد لعباده الصابرين على بلائه.

عباد الله، لقد ختم الله تعالى الآيات الكريمات بجوائز وعطايا لعباده الصابرين على هذه المحن فقال: {أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ }[البقرة157].

إنه ثواب جزيل وجزاء عظيم من الرب الكريم، ثلاث هدايا تشرئب لها الأعناق، الأولى: الثناء عليهم من الله تعالى، وكفى بها عطية سنية، والثانية: رحمة الله بهم، والثالثة: الهداية والتوفيق لما ينفعهم، ومن ذلك: التوفيق للاسترجاع والصبر.

فيا أيها المسلمون، رجوعاً إلى الله تعالى، وتوبة صادقة بين يديه، وشكراً لنعمه على عبده، ومرابطةً على حصون الطاعة تسلم بذلك النعم وتحفظ، وتندفع النقم وتزول، فإذا حصل البلاء فصبراً جميلاً فما أقرب الفرج وأدنى المخرج!

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

# السلام: فضائله وآدابه وأحكامه ([[714]](#footnote-714))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا ه[[715]](#footnote-715)ادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، إن دين الإسلام دين الخلق العظيم، والأدب الجمّ الكريم، يربط بين أفراده بروابط قويمة، ويدلهم على سبل الودِّ المستقيمة، ويسعى إلى تربية المسلم على التعايش الجماعي النظيف، والعيش السلمي الشريف. ويزرع في نفس المسلم حب إخوانه المسلمين والاقتراب منهم، ويقلع من داخله الحقد والبغضاء تجاههم.

ألا وإن من تلك الآداب الإسلامية التي تحقق بعض هذه الغايات: أدب إفشاء السلام وإذاعته.

أيها المسلمون، لقد تعارف البشر على تحايا يحيي بعضهم بعضاً بها، ففي الجاهلية كان يقال: أنعم صباحاً، وأنعم مساء، ودمتم بخير، وغير ذلك من التحيات. وفي زماننا تردد عبارات: صباح الخير، ومساء الخير، ومشتقاتها. وهذه الألفاظ وإن كانت ألفاظ خيرٍ وسلامة، لكن الإسلام يختار لأهله أعلى الألفاظ وأجملها، وأحسن المعاني وأكملها. فقد اختار لهم هذه الجملة التامة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دخل عمير بن وهب الجمحي على النبي عليه الصلاة والسلام-قبل أن يسلم عمير- فقال: أنْعِمُوا صباحاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة ).

إن هذه التحية-يا عباد الله- هي تحية الله لعباده، وتحية الملائكة للمؤمنين، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه و سلم فقال: (يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب).

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ( خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله).

والسلام تحية المؤمنين فيما بينهم في الحياة الدنيا وتحيتهم في الجنة.

قال تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً }[الأحزاب44].

وقال: {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ }[يونس10].

أيها المسلمون، إن هذه التحية الكريمة تحمل معها الحب والاطمئنان، والسلامة والأمان، والدعوة إلى السلام المجتمعي والتعايش السلمي وكف يد الأذى عن الناس من سفك للدماء وسطو على الحقوق؛ ولهذا كان من أسماء الله تعالى: السلام، ومعناه: الذي سلمت ذاته من العيب والنقصان، وسلمت أفعاله وصفاته من الشر والعبث، فسلم عباده من أن يظلمهم.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض فأفشوه بينكم؛ فإن الرجل إذا سلم على القوم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة؛ لأنه ذكرهم، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب) ([[716]](#footnote-716)).

هذه التحية-معشر المسلمين- عبادة من العبادات التي يؤجر عليها المسلم،فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر) ([[717]](#footnote-717)).

هذه العبادة تقرب المسلم إلى ربه، كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام) ([[718]](#footnote-718)).

هذه العبادة تدعو إلى الألفة والمحبة، وتنزع من النفوس البغضاء والحقد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟: أفشوا السلام بينكم) ([[719]](#footnote-719)).

قال عمر رضي الله عنه: "ثلاث يصفين لك ودّ أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه".

ولهذا يشرع السلام على من يعرف المسلم وعلى من لا يعرف؛ حتى تسود المحبة والتقارب بين المسلمين جميعاً، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: ( تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ) ([[720]](#footnote-720)).

إن الأصل في المسلمين الاتفاق والاجتماع، فإذا حصل تشاجر وتهاجر بين المسلمين جاء السلام ليكون مفتاح الصفاء وباب عودة الإخاء، وعلامة نقاء السريرة، وطرد الهجر والقطيعة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) ([[721]](#footnote-721)).

السلام –أيها المسلمون- زيادة في الحسنات ورفع لدرجة الإيمان.

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ( السلام عليكم فرد عليه ثم جلس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد فجلس، فقال: عشرون، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد فجلس فقال: ثلاثون)([[722]](#footnote-722)).

قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار".

والسلام بركة وخير، وطرد للشياطين من البيوت إذا قيل عند دخولها.

قال أنس رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم: (يا بني، إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك و على أهل بيتك) ([[723]](#footnote-723)).

عن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ( إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء) ([[724]](#footnote-724)).

أيها المسلمون، إن هذه الشعيرة الإسلامية الظاهرة لها آداب ينبغي أن يتحلى بها المسلم حتى يكتمل له الخير ويحوز على الفضل، فمن آدابها:

إتمامها وتكرارها إذا لم تُسمع الأولى أو الثانية منها. فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا) ([[725]](#footnote-725)).

ومن الآداب: رفع الصوت بقدر ما يسمع المسلَّم عليه، ولا يرفع صوته رفعاً يؤذي السامع، فعن المقداد أن النبي عليه الصلاة والسلام( كان يجيء من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان) ([[726]](#footnote-726)).

ومن الآداب كذلك: المبادرة بالسلام عند الملاقاة قبل أن يسلم الآخر؛ حرصاً على الخير وإدراكاً للفضل.

فعن الأغر المزني قال: انطلقت مع أبي بكر فكلما رأى أبا بكر رجلٌ من بعيد سلم عليه، فقال أبو بكر: أما ترى ما يصيب القوم عليك من الفضل، لا يسبقك إلى السلام أحد، فكنا إذا طلع الرجل بادرناه بالسلام قبل أن يسلم علينا.

ومن الآداب أيضاً: أن يسلم القليل على الكثير، والراكب على الماشي، والصغير على الكبير.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير) ([[727]](#footnote-727)). وفي رواية عند أحمد: (والصغير على الكبير).

وقال علي رضي الله عنه: "يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم".

ومن الآداب: إلقاء السلام عند الاستئذان في دخول البيوت والاتصال بالآخرين عبر الهاتف.

عن ربعي بن حراش قال: حدثني رجل من بني عامر: (جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: أألج؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم للجارية: اخرجي فقولي له: قل: السلام عليكم أأدخل؟ فإنه لم يحسن الاستئذان، قال: فسمعتها قبل أن تخرج إلي الجارية فقلت: السلام عليكم أأدخل؟ فقال: وعليك ادخل) ([[728]](#footnote-728)).

أيها المسلمون، وبعد هذا لماذا نبخل بإلقاء هذه الكلمة الطيبة على إخواننا المسلمين، أليس هذا من غلظ الطبع وشراسة الخلق، وتنافر الوحدة المعنوية بين المسلمين، فماذا نخسر لو ألقينا هذه الجملة الناعمة هدية من هدايا القلب السليم واللسان النقي الكريم. أليس من البخل وسوء المعاملة المرور مشاة أو ركباناً بجانب إخواننا المسلمين ولا نسلم عليهم؟!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أبخل الناس من بخل بالسلام و أعجز الناس من عجز عن الدعاء) ([[729]](#footnote-729)).

نسأل الله أن يجعلنا من الكرماء وأن لا يجعلنا من البخلاء.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على النبي المجتبى والرسول المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أما بعد:

أيها المسلمون، إن السلام عبادة من العبادات التي لها أحكامها الشرعية، ويجمل بالمسلم أن يعرفها؛ لأن السلام ليس شعيرة موسمية موقوتة، ولا شعيرة في مكان دون مكان، ولا شعيرة خاصة بقوم دون قوم، بل هي شعيرة دائمة، وشعيرة عامة، للرجال والنساء والأطفال؛ فلذلك كان التفقه فيها مما يعني كل مسلم ومسلمة.

ومن ذلك: أن السلام معناه إلقاء هذه الكلمة لفظاً وهو مستحب استحباباً كبيراً، فمن تركه لا إثم عليه، لكن فاته الفضل والأجر، وأما الرد على السلام فإنه واجب يأثم المسلم بتركه؛ لقوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً }[النساء86]. ويضاف إلى هذا أن الرد يكون بالمثل فأكثر لا بأقل لهذه الآية الكريمة.

وهذا الوجوب ليس عينياً، بل هو كفائي إذا كانوا جماعة، وأما إذا كان المسلَّم عليه وحده فهو وجوب عيني.

عباد الله، في بداية الإسلام كان يجوز أن يلقي المسلم السلام على المصلي فيرد عليه المصلي وهو في صلاته بلفظه، فبقي ذلك زمناً ثم نسخ، فعن عن عبدالله بن مسعود قال: كنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو في الصلاة فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا فقلنا: يا رسول الله، كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا؟ فقال: ( إن في الصلاة شغلا) ([[730]](#footnote-730)).

وهذا الجواز كان عندما كان الكلام جائزاً في الصلاة، كما جاء في الصحيحين عن زيد بن أرقم قال: (كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ }[البقرة238].فأمرنا بالسكوت).

ولكن بعد هذا بقي أنه يجوز إلقاء السلام على المصلي لكن يرد المصلي بيده إشارةً لا بلفظه، كما في حديث بلال أن رسول الله فعل ذلك عندما سلم عليه بلال، وهذا يدل على أهمية السلام والحرص عليه،

عباد الله، ومن الأحكام أنه وردت أوقات نهي عن رد السلام فيها كحال الخطبة، فلو دخل مصل فرد عليك السلام وأنت في حالتك هذه فلا ترد عليه؛ لأنك أمرت في هذا الوقت بالإنصات. وكذلك لا ردَّ أيضاً حال قضاء الحاجة، فإذا قضى الإنسان حاجته رد على من سلم عليه، فعن أبي الجهيم قال: أقبل النبي صلى الله عليه و سلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه و سلم، حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام) ([[731]](#footnote-731)).

وكما يكون السلام مشافهة يكون كذلك كتابة، ويكون إهداء شفوياً كما تقدم في قصة جبريل وإهداء السلام لخديجة رضي الله عنها.

وكما يجوز على الأحياء يجوز على الأموات، فعن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: ( في رواية أبي بكر ) السلام على أهل الديار ( وفي رواية زهير ) السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية) ([[732]](#footnote-732)).

فيا أيها المسلمون، هذه شعيرة السلام التي أنعم الله بها علينا، فلنحيها في المجتمع على من عرفنا ومن لم نعرف، ونعلمها نساءنا وأطفالنا بأقوالنا وأفعالنا معهم. وأن نجعلها على ألسنتنا عند دخولنا وخروجنا من بيوتنا ومجالسنا وأعمالنا، وأن تكون كذلك في اتصالاتنا ومراسلاتنا وأن لا نبدلها بغيرها، { أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ }البقرة61].

هذا وصلوا وسلموا على خير الأنبياء....

# الصراع بين الحق والباطل

# سنة كونية ([[733]](#footnote-733))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن لله تعالى سنناً في خلقه لا بد أن تجري وتتم، ومن تلك السنن الثابتة التي لا تتبدل: سنة الصراع بين الحق والباطل. فالباطل لا يحب أن يترك الحق في أمان حتى يكون معه على باطله، قال تعالى: { وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا }[البقرة:217].

ولا يمكن أن يرضى الباطل عن الحق حتى يلحق بسوئه، قال تعالى: { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ }[البقرة:120].

فمن قبل دعوة الباطل من أهل الحق فإنها الخسارة والخزي، قال تعالى: { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[البقرة:217].

فما هو الحق ومن أهله، وما هو الباطل ومن أصحابه وممثلوه عباد الله؟

إن الحق هو الإسلام والطاعة والسنة والخير، وأهله هم الأنبياء والرسل وأتباعهم المقتدون بهم.

والباطل هو الكفر والمعصية والبدعة والشر، وأهله هم إبليس وأتباعه وجنده من الكفرة والفسقة والعصاة والمبتدعة، وأصحاب الشبهات والشهوات.

أيها المسلمون، إن تاريخ الصراع بين الحق والباطل تاريخ طويل قد بدأ في السماء قبل الهبوط إلى الأرض، فقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وأمر الملائكة بالسجود له وكان من ضمن الحاضرين إبليس فأبى السجود لآدم حسداً وبغياً.

فصدر الحكم الإلهي بالطرد من رحمة الله تعالى للشيطان، فابتدأت المعركة والصراع، فأمر الله تعالى آدم عليه السلام بالعيش في الجنة وأن لا يأكل من شجرة معينة، وبدافع العداوة وسوس الشيطان لآدم أن يأكل من تلك الشجرة فأكل منها ناسياً نهي ربه فعاتبه ربه فاستغفر وأناب فغفر له، فجاء بعد ذلك الأمر بالهبوط إلى الأرض لتبدأ المعركة الطويلة بين الحق والباطل.

قال تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ } {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } { قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } { قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } { قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ } {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ } { ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }{ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ } { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } { فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } { وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } { فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ } { قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} { قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ }[الأعراف:11-25].

أيها المسلمون، إن الحق وأهله يحبون أن يعيش الناس في أمان وسلام مبنيين على الاستسلام لشرع الله ودينه. لكن أهل الباطل لا يريدون لهم ذلك؛ ولهذا شبوا نار العداوة والحرب للحق وأهله لعدة أسباب:

أولاها: الحسد، قال تعالى: { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ }[البقرة:109].

وقال: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا }[النساء:54].

يذكر أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل: "ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف: أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه".

ثانيها: العصبية للدين الباطل أو للجنس أو للعرق، قال تعالى: { وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[آل عمران:73].

ثالثها: الخوف على ذهاب الجاه والمنصب الحاصلين في ظل الباطل

فعن سعد قال: كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه و سلم: (اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه و سلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز و جل:{ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ }[الأنعام:52].

رابعها: التقليد للآباء والقادة، قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ }[البقرة:170].

أيها المسلمون، إن أهل الباطل يواجهون أهل الحق في معركة الصراع المحتدم مواجهة شرسة مستخدمين في ذلك وسائل متعددة؛ لعلهم أن يضيفوا أهل الحق إلى صفهم، أو أن يتخلصوا منهم إذا لم يستجيبوا لدعوتهم؛ ولذلك نجدهم يستخدمون في البداية الإغراء والترغيب، فقد عرضت قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجاه والمال والزواج والطب فأبى ذلك كله، قال تعالى: { وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا }{ وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا }{ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا }[الإسراء:73-75].

ثم يترقون بعد ذلك إلى الحرب الاقتصادية وتجفيف منابع المال والفصل من الوظائف، ثم الحرب الاجتماعية المتمثلة بالتشويه وبث الدعايات الكاذبة والسخرية والتحقير؛ من أجل صد أهل الحق عنه وتحذير الناس من اتباعهم وتكثير سوادهم.

قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا }{ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } { قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } { وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا } { أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا } { انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا }[الفرقان:4-9].

ثم يترقون بعد ذلك إلى التهديد، قال تعالى: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ }[يس:18].

ثم يترقون بعد ذلك إلى النفي والإبعاد، قال تعالى: { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ }[الأعراف:88].

ثم يترقون بعد ذلك إلى القتل والتصفية. كما حصل لبعض أنبياء بني إسرائيل، ولغيرهم من أهل الحق في كل زمان ومكان. وأساليب الماضي هي أساليب الحاضر مع التحديث والترقية.

عباد الله، إن الباطل لن يكف عن مواصلة المعركة ومعادة الحق وأهله، فما موقف أهل الحق في تجاه هذه الحرب الشعواء المستمرة؟

قبل ذكر هذا الموقف لابد أن نعترف بكل أسى بحقيقتين مرتين، الأولى: هي أن أهل الباطل أشد حرصاً على باطلهم والدفاع عنه والتضحية من أجله وتسخير جميع الجهود في نشره وتقوية عوده من كثير من أهل الحق في كل المجالات المتاحة لهم.

وهناك فتور وتقاعس عند كثير من أهل الحق تجاه الحق الذي يحملونه، فأين الجد والعمل وأين التضحية والبذل، إن الإنسان ليعجب عندما يشاهد امرأة نصرانية خرجت من قمة الحضارة الغربية والحياة المترفة الناعمة لتعيش سنوات طويلة في أدغال أفريقيا بين المرض والجوع والجو المختلف عن البيئة التي تعودتها!

وبعض أهل الحق لا يستطيع أن يضحي بساعات أو أيام من وقته من أجل نصرة الحق الذي يحمله.

وأما الثانية: فهي أن كثيراً من أهل الحق فرقتهم الحزبيات والانتماءات الضيقة التي جعلتهم يدورون في فلكها ويظنون أنها هي الحق وحدها وتركوا جوانب الحق الأخرى، بل تعدى الأمر إلى الصراع والقضاء على أعمال الآخرين العاملين في حقل الحق، ففي الوقت الذي يجتمع فيه أهل الباطل على اختلاف مشاربهم الدينية والفكرية نجد أن أهل الحق يصارع بعضهم بعضا!

ومع ذلك لابد من عمل يشترك فيه جميع أهل الحق على اختلاف توجهاتهم؛ لكي تتحد الجهود في مواجهة الباطل وأهله. فمن ذلك:

التحرك بالعمل الجاد النافع من أجل نصرة الحق في كل ظرف ووسيلة ممكنة، وعدم ترك الميدان للباطل وأهله.

ومن ذلك: تركُ الغفلةِ عن أهل الباطل، والفقهُ بواقع العدو، ومعرفة تخطيطه وتدبيره؛ لكي تقدر المواجهة على حسب ذلك.

فليس أخو الحاجات من بات نائماً... ولكن أخوها من يبيت على وجل

ومن ذلك: الاطمئنان للحق الذي يحمله أهله ويدافعون عنه؛ لأن من كان على صدق ويقين جازم بما يحمل سيدافع عن الحق بكل ما يستطيع.

ومن ذلك أيضاً: اليقن بوعد الله تعالى من نصرة الحق وأهله إذا بذلوا ما يستطيعون، فالله سينجز لهم وعده بالنصر والغلبة على الباطل وأهله.

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }[محمد:7].

وقال:{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }[النور:55].

وقال: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }[الروم:47].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن هذا الصراع الجاري بين الحق والباطل له حكمته وغايته الحميدة؛ إذ به يظهر الحق ويتضح، فلولا الباطل لما عرف الحق، كما أن النهار لا يعرف إلا بالليل، وبوجود هذا الصراع يقوى عود الحق ويصلب كالشجرة التي لا تبسق إلا بعد تقليم وتهذيب.

وبوجود هذا الصراع يمحص صف أهل الحق ويخلص من الزائفين والمتبعين غير المخلصين، فيبقى صف أهل الحق كالذهب الخالص. قال تعالى معلقاً على ما حدث في غزوة أحد: { إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }{ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ } { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ }[آل عمران:140-142].

وقال تعالى: { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ }[محمد:31].

أيها الأحباب الفضلاء، لاشك أن معركة الصراع بين الحق والباطل ستصير إلى أمد تنتهي إليه وعاقبة تصل إليها في النهاية.

فهذه النهاية سوف تحسر عن نصر الحق وهزيمة الباطل؛ لأن الباطل مكتوب له الزهوق والاضمحلال مهما علا وطال قال تعالى:{ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا }[الإسراء:81].

وقال تعالى:{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ }[الأنبياء:18].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:( دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا }[الإسراء:81]. { قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ }[سبأ:49]([[734]](#footnote-734)).

ويومئذ يفرح أهل الحق بالنصر المؤزر قال تعالى:{ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }[الصف:8-9].

ثم ينتقل أهل الحق بعد ذلك من دار العمل إلى دار الثواب والنعيم، قال تعالى: { وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ } { جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ }{ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ }[الرعد:22-4224].

وأما أهل الباطل فينتهون إلى الهلاك والهزيمة، قال تعالى:{ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } { فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[الأنعام:44-45].

وقد ينتهي أمرهم بالاستئصال والعذاب المتنوع، قال تعالى:{ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[العنكبوت:40].

ثم يؤول آخر أمرهم إلى دار الهوان والعذاب، قال تعالى:{ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} { قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ }[الزمر:71-72].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تلبسه علينا فنضل، وثبتنا على الحق حتى نلقاك به يا رب العالمين.

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

# العيش في ظلال العدل ([[735]](#footnote-735))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، يقول الله تعالى: { وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[النحل60].

والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى الذي لانقص فيه ولا عيب. فربنا تبارك وتعالى له الأوصاف التي بلغت في الحسن الغاية، وفي الكمال النهاية، ومن أعظم صفاته تعالى: صفة العدل وعدم الجور. فالعدل وصفه، والعدل أمره، والعدل فعله، والعدل قضاؤه وقدره قال تعالى: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ }[الأنفال51]. وقال: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[يونس44].

وقال: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }[النحل90ٍ].

عباد الله، إن من تأمل في ملكوت السماوات والأرض ورأى اتساق العوالم وانتظامها على اختلافها أبصر شيئاً من عدل الخالق جل جلاله. يرى العدل في قضائه وقدره في الحسنة والسيئة والنعمة والنقمة، والمنحة والمحنة والصحة والمرض، والغنى والفقر والموت والحياة. ولا يعقل ذلك إلا أهل الإيمان والعلم واليقين. ولقصر نظر الإنسان وفهمه وعلمه يتسخط الأقدار المؤلمة، ولا ينظر إلى أعماله السيئة، ولا إلى حكمة الحكيم الخبير فيما قضى وقدر، ولو كان يعلم علم اليقين ما وراء هذه الآلام والمصائب من الخير لشكر الله عليها.

ولذلك حينما يدعو المكروب والمحزون يعترف وهذه حاله أن الله عدل فيما قضى عليه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحا قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات قال: أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن) ([[736]](#footnote-736)).

ونشاهد عدل الله تعالى بجلاء في هذه الشريعة السمحة الغراء التي رضيها الله لعباده، فهي عدل في مبادئها وتشريعاتها، تراعي حق الروح كما تراعي حق البدن، وتراعي حق الدين وحق الدنيا، وتنتظر بالعناية إلى حق النفس كما تنظر إلى حق غيرها عليها. شريعة معتدلة أتت لجلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها.

قال تعالى: { هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ }[الحج78].

ومن تلك التشريعات التي يبدو عدل الله فيها ماثلاً: تشريع الحدود على الجناة والمعتدين على الحقوق المعصومة. كحد القصاص وحد السرقة وحد السكر وحد الزنا وغيرها.

فإنها راعت حق المعتدى عليه ظلماً وعدواناً بإيجاب الأخذ بحقه ممن ظلمه أو ظلم المجتمع، كما راعت حق المعتدي أيضاً فأوجبت حداً يناسب جنايته وحرمت الإسراف بعد ذلك فيها.

ليكون العدل واضح المعالم في إيجاب الحد وفي إقامته أيضاً.

فالقتل عمداً شرع الله فيه القصاص –إذا لم يكن هنا عفو ولا رضا بالدية- زجراً وتطهيراً للقاتل، وردعاً لغيره؛ ليعيش المجتمع في أمان وسلام. فمن رضي من الأولياء بالدية فحرم عليه بعد ذلك التعدي على القاتل المعطي للدية، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[البقرة178].

فإن أبى الأولياء إلا القصاص اقتص من القاتل دون غيره، ومن غير تمثيل أو زيادة على القتل، قال تعالى: {وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً }[الإسراء33]. وهكذا بقية الحدود.

أمة الإسلام، إن النفوس السليمة التي لم تدنس بالظلم والعدوان تتوق إلى الاستظلال تحت مظلة العدل الوارفة التي تجد فيها الطمأنينة والسكينة، والبناء والحركة النافعة، وتحقق مصالح الدنيا والدين. أما النفوس التي رضعت لبان الظلم والخطيئة، وترعرعت في كنف السطو والتعدي، وشابت في تناول الحرام والجريمة، وعشقت الحياة على ضفاف مواجع الناس وآهاتهم فلا يطيب لها العيش تحت راية العدل، ولا تحب الحياة في دولة العدل، وإنما تطلب زوال العدل ومجيء الظلم والجبروت؛ كي تستطيع تحقيق مآربها غير السوية، مع أنه قد تجد من العيش الهنيء في ظل العدل ما لا تجد في ظل الظلم، ولكن الناس فيما يعشقون مذاهب، ومن تعود حياة الهوان لم تطب له حياة العز.

عباد الله، إن الإنسان مطالب بالعدل ابتداء مع نفسه بإقامتها في زحمة الحياة على الوسط والاعتدال، فمن عدله معها: أن يحملها على فعل ما ينفعها في الدنيا والآخرة، ويجنبها ما يضرها فيهما. وأن لا يرضى من أقواله وأفعاله في الناس ما لا يرضاه لنفسه منهم.

والإنسان مطالب بالعدل كذلك مع غيره من الناس، فإذا كان من أهل التعدد في الزواج فليعدل بين زوجاته، ويكون ذلك في المبيت ليلاً أو نهاراً، وفي الغذاء والكساء والدواء ونحو ذلك. وهذه الأحوال في قدرة الإنسان أن يعدل فيها. أما فيما لا قدرة له فيه فليس مطالباً بالعدل فيه كالميل القلبي والمعاشرة في الفراش.

وهذا المراد بقوله تعالى: {وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً }[النساء129].

فإن خاف الجور فليكتفِ بواحدة. قال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ }[النساء3].

وترك العدل بين الزوجات فيه خطر على الزوج في الآخرة كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ( من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط) ([[737]](#footnote-737)).

ومن مجالات العدل: أن يعدل بين أولاده-إن كان له أولاد- في العطايا والمعاملة والميل الظاهر، مع مراعاة الضعيف والمحتاج. فكما يحب أن يكونوا له في البر سواء فلتكن معاملته لهم سواء.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أعطاني أبي عطية فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله قال: ( أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ ). قال: لا، قال: ( فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ). قال: فرجع فرد عطيته) ([[738]](#footnote-738)).

ومن مجالات العدل: العدل في الحكم على الآخرين والقول فيهم، في ذواتهم أو صفاتهم أو ما صدر عنهم. لقد رسم الله تعالى لعباده في هذه القضية المنهج العدل الذي لا يتبنى الظلم ولا الانتصار للنفس أو الاستجابة لدواعي الحقد والشحناء، أو الحكم بالمذمة على العموم، بل تنزل الأحكام العادلة على أهلها بقدر العدل. فليس من العدل أن تؤاخذ الجماعة أو الطائفة أو الفئة بجريرة بعض أفرادها ما لم يكن ذلك منهجاً عاماً فيها.

واسمعوا ماذا قال تعالى في أهل الكتاب: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }[آل عمران75].

وقال:{لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ } {يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ }[آل عمران113-114].

حتى ولو كان المقول فيه عدواً أو خصماً فلا تحمل خصومته على ظلمه؛ فقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }[المائدة8].

وقال تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام وهو يحكم في أهل الكتاب: { وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[المائدة42].

بعث النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى خيبر ليخرص النخل ويأخذ حق المسلمين ويعطي اليهود حقهم فخرص لهم، فقال: في ذا كذا وفي ذا كذا، ثم قال: ما تمنعني عداوتكم أن أعدل معكم، فقالوا: هذا الحق، وبه تقوم السماء والأرض، قد رضينا.

ومن مجالات العدل: العدل في الشهادة، إذ مطلوب من الشاهد أن يشهد بالعدل، ولا يمنعه من ذلك رغبة في مال غنيٍّ أو منفعة ذي جاه، أو رحمة بفقير أو محبة لذي قربى، أو عداوة أو خصومة. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }[النساء135].

عباد الله، إن من مجالات العدل العظيمة: العدل في الإصلاح بين الناس، وفي القضاء وحكم الرعية.

فالمصلح بين الناس يجب عليه أن يتحرى العدل في صلحه ولا يميل عنه لرغبة أو لرهبة. قال تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[الحجرات9].

والقاضي عليه واجب عظيم في لزوم العدل والحكم به، وإلا سفكت الدماء ونهبت الأموال وانتهكت الأعراض، وذهبت الحقوق وتفشت المشكلات والجرائم، فمن قضى بالعدل فقد نجى نفسه، ومن حكم بالجور فقد أهلكها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار) ([[739]](#footnote-739)).

وما أحوج الناس اليوم إلى قضاة عادلين يقولون الحق وبه يقضون لا يخافون في الله لومة لائم.

وأما عدل الحاكم بين رعيته فهو أمانة كبرى ومهمة عظمى، يجب عليه بثه بين رعيته بحيث ينظر في قضايا الرعية ويحاسب الجناة والمفسدين، فيجري فيهم حكم العدل بلا محابة قريبٍ أو صديق أو مهيب، فعن عائشة رضي الله عنها: أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه و سلم، فكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: ( أتشفع في حد من حدود الله ). ثم قام فخطب قال ( يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ) ([[740]](#footnote-740)).

عباد الله، إن من خُدع هذا العصر المتلون أن نرى شعارات ونسمع عن منظمات وجمعيات وهيئات باسم العدل، وهي تجتهد وتسعى بل تؤسس لنصرة الظالم على المظلوم، وخاصة في قضايا المسلمين، فأين العدل منها؟!

إن العدل في عصرنا يعاني مشكلة الذوبان والخفوت يوماً بعد يوم، والظلم لا يزال في ازدياد واتساع، وهذا التمدد والفشو للجور مقدمة من مقدمات الساعة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يُبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي و اسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلما و جورا) ([[741]](#footnote-741)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (و الله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب و ليقتلن الخنزير و ليضعن الجزية...) ([[742]](#footnote-742)).

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن العدل نعمة تجلب لأهلها الخير الكثير، ففي ظلال العدل ترفرف أعلام الأمن والاستقرار، وتذهب الفتن والاضطرابات، ويسود الإخاء والاجتماع، ويرحل التفرق والشتات.

وفي ظلال الأمن يجد كل إنسان حقه غير منقوص ولا مظلوم، وحينما يسود العدل ينقمع الظلم والفساد، ويضيق نطاق الجريمة والفوضى، ويخسأ المجرمون والمفسدون وينزوون إلى ضيق أنفسهم مقموعين.

وفي ظلال العدل تبقى الدول، وتثبت أركانها، ويرسخ بنيانها، ويمتد ازدهارها، وإن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، كما قيل.

أما الحاكم العادل فإنه يعيش في سعادة وأمان، يدعو له شعبه بصدق وإخلاص ويرجون بقاءه وحياته، وإذا انتقل إلى الآخرة –وكان من المؤمنين- فإلى خير منتقل، وحسن منقلب، وأكرم مآل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل...) ([[743]](#footnote-743)).

هذا وصلوا وسلموا على النبي الأمين...

# الكسب المشروع والكسب غير المشروع وآثار كل منهما ([[744]](#footnote-744))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، اعلموا-رحمني الله وإياكم- أن الله تعالى خلق عباده على هذه الأرض ليعبدوه وحده لا شريك له، ولا بقاء لهم في هذه الأرض إلا برزق يعيشون به، فسخر لهم أسباب رزقهم: فسماء تمطر وأرض تنبت، وعقول تفكر وجوارح تسعى وتكتسب.

قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } {مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ }[الذاريات56-57].

وقال: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[الجاثية13].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( يا أيها الناس، اتقوا الله وأجملوا في الطلب؛ فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم)([[745]](#footnote-745)).

عباد الله، إن الرزق بالمال قدرٌ مكتوب يُنال بالسعي إليه وسلوك سبله، قال تعالى: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً }[مريم25].

ونفس الإنسان ميالة إلى المال؛ لأن حياة الإنسان قائمة عليه، وعزه وكرامته باستغنائه عن أموال الناس. وبالمال أيضاً: العون على صلاح الدين والتقرب إلى الله تعالى بأعمال صالحة عظيمة، فمنه النفقة على النفس والوالدين والزوجات والأولاد والأقارب والإحسان إلى الفقراء والأيتام وأصحاب الحاجات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (النبي صلى الله عليه و سلم: ( إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة ) ([[746]](#footnote-746)).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس فلما أنزلت هذه الآية: {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ }[آل عمران92].قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ }[آل عمران92]وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله، حيث أراك الله قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين) فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. ([[747]](#footnote-747)).

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه ) ([[748]](#footnote-748)).

عباد الله، إن دين الإسلام دين الوسطية والاعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط. ففي موضوع اكتساب المال انتشر في العلم المعاصر نظريتان: النظرية الاشتراكية التي تحرم الفرد الملكية الخاصة أو تضيق نطاقها المباح له. وهذه النظرية قد اندثر كثير من معالمها والعمل بها بعد التسعينيات من القرن الماضي؛ لأن عوامل هدمها في داخلها؛ لمخالفتها العقل والواقع والشرع، ففيها ظلم لأصحاب الجهد، وتعويد للمجتمع على الكسل والاتكال على جهود الآخرين.

والنظرية الأخرى هي النظرية الرأسمالية وهي التي تطلق العنان للإنسان أن يأخذ المال من أي طريق، والغاية تبرر الوسيلة لديها، وليس فيها للفقراء والمساكين فيه حظ معلوم. وهذه النظرية هي الأكثر شيوعاً في العالم، وفيها إجحاف بحق الفقراء، وتزرع في قلوبهم الحقد على الأغنياء الذين يزدادون كل يوم غنى وربما من عرق الفقراء، والفقراء كل يوم يزدادون فقراً إلى فقرهم.

لكن الإسلام له نظرته العادلة التي لا تنسى الفقير ولا تظلم الغني. حيث أباح للإنسان حق التملك وتحصيل ما يصل إليه جهده من المال، ولكن بالضوابط الشرعية التي تراعي حقوق الشرع وحقوق الفرد وحقوق المجتمع. فلم يبح له اكتساب المال من الوسائل المحرمة التي يعود ضررها على دينه ودنياه وعلى الناس، بل أمره بتحري المال الذي يطلبه، والابتعاد عن الحرام الصِّرف أو حتى الذي فيه شبهة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }[البقرة172].

وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه و سلم وجد تمرة مسقوطة فقال: (لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها)([[749]](#footnote-749)). لأنه عليه الصلاة والسلام لا تحل له الصدقة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبوبكر يأكل من خراجه فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبوبكر فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبوبكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فأعطاني بذلك، فهذا منه. فأدخل أبوبكر يده فقاءَ كلَّ شيء في بطنه)**([[750]](#footnote-750))**.

أيها المسلمون، إن الله تعالى كما أمر باكتساب المال وأخذه من الحلال نهى كذلك عن تناوله من الحرام، بأي وسيلة كانت. قال تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }[البقرة188].

وهناك صور متنوعة لتناول المال من الحرام، فمنها: التعامل بالربا بطرقه القديمة والحديثة، وهذه الصورة هي التي عم بلاؤها وطم في مجتمعاتنا اليوم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ }[البقرة278-279].

ومنها: الرشوة، وهذه الصورة التي ضيعت على الناس كثيراً من الحقوق، وزادت الظالم بغياً والمظلوم قهراً، قال رسوله الله صلى الله عليه وسلم: (لعن الله الراشي و المرتشي في) ([[751]](#footnote-751)).

ومنها: التطفيف في الكيل والوزن وخداع المشتري وغشه، قال تعالى: وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ{1} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ{2} وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ{3} أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ{4} لِيَوْمٍ عَظِيمٍ{5} يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ{6}[المطفيفين1-6].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن غشنا فليس منا) ([[752]](#footnote-752)).

ومنها أكل أموال اليتامى ظلماً، وهذا الفعل عاقبته وخيمة، فال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً }[النساء10].

ومنها: السرقة والسلب والنهب والخيانة، وهذه الجرائم المالية تفشو عندما لا يطبق شرع الله في حق أهل الجريمة، وهناك صور أخرى لأخذ المال من الحرام.

أيها الأحبة الفضلاء، لقد حرص الإسلام على حث المسلم على اكتساب المال من الحلال وتحذيره من الحرام. فمن سلك سبل الاكتساب الطيب تنامَ ماله ونجا من الآفات المالية والأزمات الاقتصادية، إذا أتم ذلك بأداء حق الله وحق خلقه من ذلك المال.

لقد دُلَّ المسلم على سبل صالحة تزيد من ماله وتحفظه عليه من الكوارث والجوائح وتحرسه من الآفات التي تذهبه أو تنقصه، فبعد قيام المسلم بالنفقات الواجبة على النفس والزوجات والوالدين والأولاد ومن ولِّي عليه- فُتح له أبواب صالحة تباركُ ماله-منها الواجب ومنها المستحب-، فمن ذلك: دفع الزكاة المفروضة، وما سميت زكاة إلا لأنها تزكي المال أي: تنميه وتزيده، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }[سبأ39].

ومنها: الصدقة المستحبة في سبل الخير، ويدخل ذلك تفريج كربات المكروبين وقضاء الدين عن المدينين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ما نقصت صدقة من مال) ([[753]](#footnote-753)).

ومنها: صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه) ([[754]](#footnote-754)).

ومنها: الاقتصاد وترك الإسراف والتبذير، وهذا من صفات عباد الرحمن، قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً }[الفرقان67].

أيها المسلمون، إن المال الحلال وأكل الطيبات دليل على شرف النفوس وعزتها، وهو سبب للبركة في الجسم والعمر والمال والأهل والأولاد، وهو سبب لطيب أفعال صاحبه وتحسين أخلاقه ومعاملاته، وهو بوابة لدخول واحات الراحة والاطمئنان والعيش الهنئ، وسبب لمحبة الناس لصاحبه واحترامه وائتمانه والثقة به وسلامة سمعته بينهم.

إن الكسب الطيب وإنفاقه في الوجوه الطيبة نجاة في الدنيا والآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة عند ربه حتى يسأل عن خمس: عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم)([[755]](#footnote-755)).

معشر المسلمين، هناك نفوس لا تتحاشى تناول المال من الحرام، بل صارت تعاف الحلال ولا تلتذ إلا بأكل الحرام، وهي تظن أن ذلك يجلب لها المال والسعادة، والحقيقة عكس ذلك، فكسب المال من الحرام وإنفاقه فيه هلاك في الدنيا وفي الآخرة.

فالكسب الحرام يبعد صاحبه عن الله تعالى ويقربه من مقته وغضبه، ويجعله محط الذم بين الناس الطيبين.

والكسب الحرام يحبط الأعمال ويهلك الأموال ويحجب عن صاحبه باب الدعاء والرحمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:( إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً } [المؤمنون:51] ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومأكله حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك ) ([[756]](#footnote-756)).

والكسب الحرام يضر بدن صاحبه ويسبب البلاء فيه وفي أهله وأولاده، فكم نسمع من أمراض قاتلة نزلت على ذلك البيت أو تلك الأسرة التي تتعامل بالمال الحرام.

والكسب الحرام يورث صاحبه الهموم والقلق والحياة التعيسة والأمراض النفسية.

والكسب الحرام سبب لسوء الخاتمة.

والكسب الحرام سبب لتعسير الحساب واستحقاق العذاب وذهاب الحسنات يوم القيامة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، أو سفك دم هذا وضـرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته -قبل أن يقضى ما عليه- أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) **([[757]](#footnote-757))**.

فيا خسارة متناولي الحرام والمنفقين أموالهم في الحرام، فهل من متعظ قبل الفوات؟

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

أيها المسلمون، لقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زمان يقل تحري المال الحلال فيه، وهذا يدل على فساد ذلك الزمان، وها نحن نجد بعض ملامح ذلك الزمان في أيامنا هذه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام) ([[758]](#footnote-758)).

كم هم اليوم الذين يتحرون في مكاسبهم ويخافون من مكاسب الحرام؟

وكم هم اليوم الذين يخلصون في أعمالهم ووظائفهم بقوة وأمانة في أدائها لينالوا الراتب الحلال؟

وكم هم الذين يجدون البركة في مكاسبهم وأثرها في بيوتهم وأهليهم؟

عباد الله، هناك مشكلات كبيرة تحدث في المجتمعات سببها قلة مراقبة الله في المكاسب وتصريف الأموال في غير موضعها. فكم هي الفجوات والنزاعات التي تحصل بين الشعوب والحكام، وبين الشعوب فيما بينها، ومن أسبابها العظيمة: الخيانات المالية.

إن من المشكلات الممتدة التي تعانيها بلادنا: النزاع في الأراضي التي يسطو عليها من لا يخاف الله تعالى ولا يبالي باكتساب الحرام، مغتراً بسلطته أو قوته أو قبيلته أو أتباعه، ناسياً العواقب الوخيمة لسلبه حقوق غيره.

إننا نسمع ما يجري من القتل وشدة الاختلاف والشجار في الأراضي، ولو كان هناك مراقبة لله تعالى في قضية الكسب والتملك لما حصل ما حصل.

ألا فليعلم ذلك الظالم الآخذ أرض غيره إما بقوة وإما بحيلة أن ذلك لا يفوت عند الحكم العدل سبحانه وتعالى، ولو قضى له به قضاة الدنيا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة، قالوا: وإن كان شيئا يسيراً يا رسول الله، فقال: وإن كان قضيباً من أراك)([[759]](#footnote-759)).

وعن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الحضرمي: يا رسول الله، إن هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي، فقال الكندي: هي أرضي في يدي أزرعها ليس له فيها حق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي: ( ألك بينة)؟ قال: لا، قال: (فلك يمينه) قال: يا رسول الله، إن الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه وليس يتورع عن شيء، فقال: ( ليس لك منه إلا يمينه) فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أدبر: (لئن حلف على مال ليأكله ظلماً ليلقين الله وهو عنه معرض) ([[760]](#footnote-760)).

وعن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه و سلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال: ( إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها ) ([[761]](#footnote-761)).

ألا فاتقوا الله -يا عباد الله- فيما تأكلون وتشربون وتلبسون وتسكنون وتركبون، فمن لم يجد فليصبر وليتعفف؛ فالصبر على القلة خير من الصبر على الذلة، والصبر على الجوع خير من الصبر على النار.

كانت زوجة صالحة تقول لزوجها عندما يخرج إلى عمله: "اتق الله فينا؛ فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار".

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حماراً وأردفني خلفه وقال: (يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: تعفف يا أبا ذر) ([[762]](#footnote-762)).

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار...

# المرأة ما لَها وما عليها ([[763]](#footnote-763))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن الله تعالى خلق الخلق وسوّاهم وصورهم وأحسن صورهم، وأعطى كل شيء خلقه ثم هداه لِما له خُلق، فتبارك الله أحسن الخالقين.

يخلق ما يشاء على الكيفية التي يشاء، ويقدر ما يشاء وهو الحكيم الخبير. لقد خلق الله تعالى من يسكن هذه الأرض ويعمرها فخلق آدم عليه السلام في السماء، وخلق له من يأنس به ويسكن إليه ويحيا معه فخلق له زوجه حواء من ضلعه الأيسر.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

ثم أُهبطا إلى الأرض فابتدأ تاريخ البشرية بالتناسل فخلق الله من آدم وحواء عليهما السلام الأمم والشعوب، ليستمر النهر الدفاق بالتوالد إلى قيام الساعة.

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[الحجرات13].

أيها المسلمون، إن الحياة لا تقوم إلا بالرجل والمرأة، فهما شريكا بنائها وركنا قيامها. فللرجل مهمات وأعمال تناسب فطرته وخلقته، وللمرأة أعمال ومهمات تناسب جبلّتها واستعدادها الفطري وبذلك تصلح الحياة وتستقيم.

لقد فطر الله تعالى المرأة على طبائع وصفات تلائم مهمتها الاجتماعية والتربوية، فخلق فيها قوة العاطفة والرقة، واللين والضعف المحمود؛ ولذلك أصبحت هي بسمة المجتمع وشمسه المشرقة في ظلام الحياة الأسرية، وفجره الساطع الذي تختفي ببزوغه الأحزان لتسدل على البيت الراحة والسعادة، وعلى النفس الانشراحَ والسرور، وكيف لبيت أن يسعد من غير امرأة؟!

وأصبحت المرأة الروض الأنيق الذي يزدان بالروائح العطرة والمناظر النضرة، فيكسو الحياة جمالاً وبهاء وطمأنينة وهناء، فهي بهجة من بهجات الدنيا ونسيم فواح من نسائمها الساحرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حبب إلي من دنياكم: النساء و الطيب و جعلت قرة عيني في الصلاة)([[764]](#footnote-764)).

والمرأة كذلك هي العش الآمن الذي تنشأ فيه الأجيال وتتربى، والمنبت الخصب الذي ينبت فيه العطاء الطيب الذي ينفع المجتمع.

والمرأة ضعيفة الفطرة، لكنها عظيمة القدرة، سريعة التأثر غير أنها شديدة التأثير قد تغلب أصحاب العقول الكبيرة بحسن تأتيها وإتقانها فن الجذب، وليس بقوة قدرتها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن) ([[765]](#footnote-765)).

ولقد أحسن جرير حينما قال:

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به... وهن أضعف خلق الله أركانا

وأحسن كذلك ذلك الأعرابي حين قال:

هي الضِّلَع العوجاء لستَ تقيمها... ألا إنّ تقويم الضلوع انكسارها

أتجمع ضعفاً واقتداراً على الفتى... ألبس عجيباً ضعفها واقتدارها!!

أيها المسلمون، ولضعف المرأة الطبعي وقوة الرجل الخلقية أُهينت المرأة وظلمت وتسلط عليها الرجل بالقسر والعسف فغدت ذليلة منكسرة، ليس لها حق ولا أمر، تُباع وتشترى وليس لها أهلية ولا تصرف، هكذا كانت المرأة في الجاهلية عند العرب وعند الأمم الأخرى. بل اعتقد بعض أهل الحضارات السابقة أنها مصدر للخطيئة وحليفة للشيطان!.

ففي الجاهلية كانت المرأة عند العرب -في بعض أحوالها- تعيش حياة الذل والهوان، فكانت بعض القبائل تئدها وهي صغيرة، وقد تُكره بعض الإماء على الفاحشة والبغاء من أجل التكسب.

وفي الجاهلية أيضاً كانت المرأة إذا مات زوجها جاز لابنه من ضرتها أن يرثها كمالٍ من الأموال، بل جوزوا له أن يتزوجها، وهذا نكاح المقت الذي قال الله فيه: {وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاء سَبِيلاً }[النساء22].

ولم يكن لها في تلك الفترة ميراث من زوجها أو أبيها أو أقاربها إذا ماتوا.

ومع هذا الظلم لها في تلك الحقبة المظلمة إلا أننا نرى جانباً إيجابياً كانت تناله وهو أنها حصن منيع يغار قريبها عليها غيرة شديدة قد تتجاوز الحدود المعقولة حتى كانت تلك الحمية من أسباب الوأد؛ خوف السبي والعار.

عباد الله، في عصرنا الحاضر هبّت على المسلمين ريح عاصف من قبل أعداء الفضيلة تريد أن تجتث عروق الحشمة والحياء وتدخل البيوت بسَمومها لتخرج منها الأخلاق الفاضلة وبيضات الخدور المصونة لتعرضها على الملاء. فاتخذوا المرأة وسيلة لتحقيق تلك المآرب الآثمة مسستغلين ضعفها وفيضان عواطفها ومحبتها للثناء عليها وحرصها أن تكون هي الأجمل ومحط الإطراء والثناء.

وصدق شوقي يوم قال:

خدعوها بقولهم حسناء... والغواني يغرهن الثناء

نظرة فابتسامة فسلام... فكلام فموعد فلقاء

لقد أراد أولئك العابثون اللاهون أن يبعثوا هوان المرأة -الذي دفنه الإسلام- ليعيدوه إلى الحياة من جديد بثوب عصري جذاب ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب. مروجين تلك الدعوة الخادعة في عباءة الحرية واسترداد الحقوق المسلوبة!-زعموا.

نظروا إلى المجتمع المسلم-وهو يتمتع باحترام المرأة والحفاظ عليها-فغاظهم ذلك عندما قارنوه بمجتمعهم المتخم بالانحلال الخلقي والتمزق الأسري، والانهيار الصحي بسبب الانحراف الجنسي ووسائله.

وحين أضحت المرأة لديهم سلعة رخيصة تُستغل في أغراض الزينة والإعلان والخدمة بأنواعها، فإذا ما قضوا منها أوطارهم نبذوها في الطرقات نبذ الحذاء المتهالك ولو كانت أماً!.

وعندما وجدوا المجتمع المسلم آنذاك بعيداً عن هذا العقوق والجور عزموا وعملوا ونجحوا في تسويق هذه الحياة عندهم إلى بعض المجتمعات المسلمة لإفساد المرأة؛ لأنهم يعلمون أثرها الفعال داخل البيت وخارجه.

يقول أحدهم: " يجب علينا أن نكسب المرأة، فأي يوم مدت إلينا يدها فُزنا بها وتبدد جيش المنتصرين للدين".

نعم، لقد استطاع أعداء الإسلام وأصدقاء الرذيلة أن يكسبوا المرأة البعيدة عن تعاليم دينها بعدة شعارات خادعة ومسميات زائفة، وأقاموا لذلك المؤسسات والجمعيات والأحزاب والبعثات والمؤتمرات والمنتديات واللقاءات وغيرها لترويج قضية تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في جميع الميادين. وعملوا لذلك عبر وسائل الإعلام، وميدان العمل والوظيفة، وميدان التعليم والسياسة. فاستجاب لهم من استجاب من النساء فخسرن خسراناً مبيناً.

عباد الله، إن بعض الغربيين قد استفاق من سكرته وضرر دعوته بعدما رأوا ضحاياها على المجتمع والأسرة كثيرة. يقول أحدهم: "يجب أن تبقى المرأة امرأة؛ فإنها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها، وأن تهبها لغيرها، فلنصلح حال النساء، ولنحذر من قلبهن رجالاً؛ لأن ذلك يفقدهن خيراً كثيراً".

وقالت طبيبة أمريكية: "أيما امرأة قالت: أنا واثقة من نفسي وخرجت دون رقيب أو حسيب فهي تقتل نفسها وعفتها".

أيها المسلمون، إن وجود المستجيبات لتلك الدعوات من بين المسلمات لأمرٌ عجيب؛ لأن الإسلام رفع شأن المرأة وأنصفها إنصافاً لا يوجد في غيره كما أنصف الرجل كذلك. فالمرأة في الإسلام إنسان كريم له مشاعره وعواطفه وميوله وحاجاته، وعنده القدرة على القيام بأعمال كثيرة تنا سب فطرته وخلقته. فالمرأة قرينة الرجل في بناء الحياة وصنع سعادتها، ووراء كل عظيم امرأة.

والمرأة قرينة الرجل في التكليف الشرعي، بل قد تكلف قبله، فهي مكلفة كما هو مكلف بالأوامر والنواهي.

قال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ }[آل عمران195].

وقال: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً }[الأحزاب35].

إن المرأة في الإسلام محترمة في أي جهة كانت، فهي أم يجب برها والإحسان إليها والرحمة بها، ورعايتها في صحتها وضعفها.

قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً }[الإسراء23].

وهي زوجة يجب إعطاؤها حقوقها من مهر ونفقة وصيانة وإعفاف وحسن عشرة.

قال تعالى: { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ }[النساء19].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خُلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء) ([[766]](#footnote-766)).

والمرأة في الإسلام هي البنت التي يجب تربيتها ورعايتها والإحسان إليها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة) ([[767]](#footnote-767)). والمرأة في الإسلام هي الأخت نسباً أو ديناً يجب الحفاظ عليها والدفاع عنها والإحسان إليها.

فلها الحق أن تحيا كريمة كأخيها الرجل، ولها الحق أن تكتسب المال وتمتلكه عن طريق الإرث أو النفقة عليها أو المهر أو العمل المباح لها.

ولها الحق أن تتصرف في مالها الخاص في الأشياء المباحة، ولها الحق في التعليم المناسب لفطرتها البعيد عن المحظورات الشرعية. ولها الحق في اختيار من تريد الزواج به، إذا كان ذا خلق ودين إذا تقدم لخطبتها ولا يجوز إكراهها على من لا ترغب فيه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ( أن جارية بكراً أتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أن أباها زوجها وهي كارهة، فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم) ([[768]](#footnote-768)).

وقال عليه الصلاة والسلام: (لا تنكح الأيّم حتى تُستأمر، ولا تنكح البكر حتى تُستأذن، قالوا: يا رسول الله: وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت) ([[769]](#footnote-769)).

عباد الله، إن للمرأة شأناً عظيماً في الحياة؛ فلهذا اعتنى الإسلام بإصلاحها وتقويمها؛ لأن بصلاحها صلاح المجتمع واستقامته، وبفسادها فساده.

إنما المرأة مرآة بها... كل ما تنظر منك ولك

فهي شيطان إذا أفسدتها... وإذا أصلحتها فهي مَلك

ومن مظاهر العناية: دعوته لحسن الاختيار في الخطبة، حيث دعا لاختيار الزوجة الصالحة واختيار الزوج الصالح؛ لأن بصلاحهما صلاح الأسرة. والأم عامل مؤثر فصلاحها صلاح لذريتها الذين يتربون بين يديها.

ومن مظاهر العناية: حثه على التربية الصالحة للبنات مع الأبناء أيضاً منذ الصغر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة و هم أبناء سبع سنين، و اضربوهم عليها و هم أبناء عشر سنين، و فرقوا بينهم في المضاجع) ([[770]](#footnote-770)).

ولأجل إصلاحها جعل الولاية للرجل عليها؛ حفاظاً وحماية وتزويجاً؛ لأنه أقدر على هذه المهمة منها. وهذه هي القوامة القائمة على العدل والرفق.

قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.. }[النساء34].

هكذا تحيا المرأة تحت ظلال الإسلام الوارفة عزيزة كريمة مصونة، فإذا فارقت دوحته السعيدة فشمس العناء والشقاء تنتظرها في كل طريق.

أيها المسلمون، نعم، هناك ناس ظلموا بعض نسائهم فحرموهن حقوقهن المشروعة في الشرع، وهؤلاء يمثلون أنفسهم ولا يمثلون الإسلام.

فمن هنا ندعو إلى تحرير المرأة من هذه المظالم التي جناها عليها أولئك الظالمون وخالفوا بها دين الله الذي أمرهم بأداء الحقوق لأهلها كحق الميراث الشرعي وغيره.

فليتق الله أولئك الظالمون قبل أن ينزل عليهم غضب الله وبأسه الشديد.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدّر فهدى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل دعوة ظالمة للمرأة؛ لأن الإسلام إنما دعا إلى العدل بينهما؛ لوجود الفوارق الخلقية والوظيفية بينهما، وبسلوك طريق العدل يسعد الرجل والمرأة معاً، فليست العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تصادمية، كما يصور الخادعون للمرأة، بل هي علاقة تكاملية كل يحتاج إلى الآخر ولا تتم الحياة إلا به.

فحينما ذكرنا أن للمرأة حقوقاً يجب أن تؤدى لها، فكذلك عليها واجبات يجب أيضاً أن تقوم بها. فالمرأة مكلفة من عند الله تعالى بعبادته لها الثواب إن أحسنت وتستحق العقاب إن أساءت، مثل الرجل في ذلك. وعليها أيضاً بر والديها، وإن كانت متزوجة وجب عليها أداء حقوق زوجها من طاعة في المعروف وعشرة حسنة وحفظ لماله ولنفسها عليه.

وإن كان لها أولاد فمسؤوليتها تربيتهم والعناية بهم. وعليها أن تحرس نفسها بعفافها وحيائها وحجابها الساتر، وأن تحذر تلك الدعوات التي تريد أن تخرجها من حصنها الأمين لتكون دمية تلعب بها النفوس الآثمة، وتتمتع بالنظر إليها العيون الخائنة، فهي في بيتها ومأمنها ملكة الجلال والدلال والجمال.

أيها المسلمون، إن المسلمة إذا تربت على تعاليم دينها الحنيف ولزمت الحياء والحشمة والصيانة، أثمر فعلها الجميل سعادة لها ولأسرتها، وحفظاً لها ورفعة لذويها.

وقد أحسن حافظ إبراهيم حينما نصح قائلاً:

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها... أعددت شعباً طيّب الأعراقِ

الأم روضٌ إن تعهّدهُ الحيا... بالريّ، أورقَ إيّما إبراق

الأمُّ أستاذُ الأساتذةِ الألى... شغلت مآثرهم مدى الآفاق

أنا لا أقولُ دعوا النساءَ سوافراً... بين الرجال يجلنَ في الأسواق

يدرجنَ حيث أردنَ، لا من وازعٍ... يحذرن رقبتهُ، ولا من واق

يفعلن أفعال الرجال لواهيا... عن واجبات نواعس الأحداق

كلاّ، ولا أدعوكم أن تسرفوا... في الحجبِ والتضييق والإرهاق

فتوسَّطوا في الحالتين، وأنصفوا... فالشرُّ في التقييد والإطلاقِ

ربُّوا البنات على الفضيلةِ، أنّها... في الموقفين لهنَّ خير وثاق

وعليكمُ أن تستبينَ بناتكم... نورَ الهدى وعلى الحياءِ الباقي

ألا فاتقوا الله-أيها الرجال- في نسائكم: أدوا إليهن حقوقهن التي كتبها الله لهن عليكم، سواء كنتم آباء أم إخواناً أم أزواجاً أم أبناء، وإياكم الظلم لهن؛ فإنه وخيم العاقبة.

واتقين الله-معشر النساء- سواء كنتن أمهات أم زوجات أم بنات، أَدَّينَ ما وجب عليكن لربكن، وأدين ما وجب عليكن نحو أقاربكن من الحقوق.

{وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }[البقرة281].

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى..

# إنسان السلام ([[771]](#footnote-771))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

جاء في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده).

أيها الناس، هذا قبس وضّاء شعّ من مشكاة النبوة؛ لينير لنا حياتنا، ويرسم لنا منهاج مسيرنا إلى الله تعالى.

إن هذا الدين حقائق وأعمال، وليس مظاهر وأقوالاً بعيدة عن الامتثال والاستسلام الكامل لشريعة السماء التامة المعصومة. إنه دين عملي يطلب من معتنقه أن يبرهن على صدق اعتناقه وصحة انتمائه ورضاه به في واقع الحياة العملي.

هذا الحديث الشريف- الذي سيكون موضوع خطبتنا هذه- يكشف لنا عن أن أفضل المسلمين وأكملهم هو من يؤدي حقوق الخالق وحقوق الخلق.

عباد الله، إن إيذاء الناس بالقول أو بالفعل ذنب كبير يغضب الخالق سبحانه وتعالى، ويضر المخلوقين، خاصة الصالحين والضعفاء والمساكين.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً }[الأحزاب58].

وفي هذا الحديث النبوي السابق يبين النبي عليه الصلاة والسلام للمجتمع طريق السلامة ديناً ودينا؛ كي يعيش أهله متحابين متآلفين بمعالجة الأعضاء التي يُخشى وقوع الإضرر بها على الناس.

فاللسان عضو صغير، لكن ما يصدر عنه أمر كبير، وهو هبة ونعمة من الله تعالى على الإنسان، يقول تعالى ممتناً على الإنسان: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ } {وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ }[البلد8-9].

ومن أراد أن يعرف قدر هذه النعمة فلينظر إلى الأعجم كم يستخدم من حركات كي يوصل إلى مخاطبه ما يريده.

هذا اللسان وسيلة تعبير الإنسان عما يجول في ضميره في الأمور المباحات، فإن ورد الحرام فالسلامة في السكوت. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)([[772]](#footnote-772)).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ( قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك) ([[773]](#footnote-773)).

أيها المسلمون، إن اللسان إذا تكلم في الخير عظم أثره على صاحبه وعلى غيره، فهو يقرأ القرآن ويذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصلح بين الناس، ويتفوه بالكلمة الطيبة. وكم من كلمة صالحة أنجت صاحبها في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه) ([[774]](#footnote-774)).

وإذا تكلم اللسان في الشر عظم خطره وكثر ضرره، فقد يورد صاحبه مهالك الدنيا ومهالك الآخرة. فكم من شحناء وبغضاء وتقاطع ولّدها اللسان، وكم من تقاتل وقتل سببه اللسان. بل قد يخرج الإنسان عن الإسلام بكلمة أخرجتها لسانه.

وأما مهالك الآخرة فكم دخل ناس النار وعُذبوا فيها بسبب ألسنتهم؛ ولهذا حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هفوات اللسان ومزالقه حتى لا نهلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه تضمنت له بالجنة) ([[775]](#footnote-775)).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب) ([[776]](#footnote-776)).

وقال لمعاذ: (ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا، فقلت: يا نبي الله، وإنا لموآخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) ([[777]](#footnote-777)).

أيها المسلمون، إننا في هذه الأيام الحرجة نعيش جوَّ فتنة سياسية وحزبية عارمة كانت اللسان أول ما أشعلها واستمرت تؤجج الصراع وتنفخ فيه بعدة أساليب منها:

تزييف الحقائق بين الخصوم، والتفوه بالبهتان، وتقويل الناس ما لم يقولوا عبر وسائل الإعلام المختلفة. ألا يعلم أولئك المفترون خطر ما يتكلمون به، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ومن تلك السقطات اللسانية: شهادة الزور، حينما يشهد بعض الخصوم على خصومه بأنه رأى كذا وما رأى أو أنه سمع وما سمع.

وربنا تعالى قد نهى عن هذه الكبيرة فقال: { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ }[الحج30].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت) ([[778]](#footnote-778)).

ومنها: السخرية والاستهزاء بالأقوال وبالأفعال. إذ لا يجوز للمسلم أن يسخر بأخيه المسلم؛ لأن الله تعالى نهى عن ذلك، ولأن السخرية تجلب التجافي وتطرد التصافي.

ومنها: السباب والشتائم والفحش والبذاء. وهذا الغثاء لا يليق بالمسلم بل بالإنسان العاقل؛ لأن تلك الألفاظ النابية لا تتفق مع الخلق الكريم ولا مع الدين المستقيم.

حتى مع الخلاف لابد من لزوم حصن الأدب وعفة اللسان.

فعن عائشة رضي الله عنها: أن يهود أتوا النبي صلى الله عليه و سلم فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: ( مهلا يا عائشة، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش ). قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: ( أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في ) ([[779]](#footnote-779)).

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه؛ فإن أجره لك ووباله على من قاله) ([[780]](#footnote-780)).

فيا عباد الله، ليحفظ كل مسلم لسانه عن السوء ؛ فإنه لن ينفعه عند لقاء ربه فلان ولا فلان ممن نصرهم بسوء لسانه وسقط كلامه.

فالمؤمن العاقل محاسب للسانه، حارس لكلامه أن يجره إلى السخط والعطب.

دخل عمر على أبي بكر رضي الله عنهما وأبو بكر آخذ بلسان نفسه وهو يقول: "هذا الذي أوردني الموارد"!

وابن عباس رضي الله عنهما يقول للسانه: "قل خيراً تغنم واسكت عن شر تسلم".

وقال الحسن رحمه الله: "ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه".

ويقول البخاري رحمه الله: "إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني في أحد أني اغتبته".

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده... فلم تبق إلا صورة اللحم والدم

وكائن ترى من صامت لك معجب... زيادته أو نقصه في التكلم

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه

أما بعد:

أيها المسلمون، أما الركن الثاني من أركان المسلم الكامل، ورجل السلام الفاضل فهو حفظ اليد عن أذية المسلمين (المسلم من سلم المسلمون من لسانه).

فكما أن الله خلق اللسان لمنافع الإنسان في دينه ودنياه، فكذلك خلق اليد، فكم لله من نعمة على الإنسان في خلق اليدين، وكم من خير يحصل عليه الإنسان بسبب يديه، فبهما يقتات ويعمل، وبهما يبر والديه، ويساعد جيرانه وأقاربه، وبهما يغير أنواعاً من المنكر، وأصابعهما مستنطقات حينما ذكر الله بها فيؤجر عليها. ولليدين من دون ذلك منافع أخرى.

أيها المسلمون، إن هناك من الناس -من حيث يشعر أو لا يشعر- يريد أن تكون يده شاهدة عليه يوم القيامة بما اقترفت وتعدت لتدخله إلى نار جهنم.

قال تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[النور24].

وقال: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }[يس65].

فبماذا ستشهد الأيدي على أهلها يوم القيامة يا عباد الله؟

إنها ستشهد وتتكلم على صاحبها حينما ضرب بها إنساناً ظلماً وعدواناً.

وستشهد على من كتب بها زوراً وظلماً وباطلاً وبهتاناً. وصدق من قال:

وما من كاتب إلا ستبقى... كِتابتهُ وإن فنيت يدَاه

فلا تكتب بكفِّك غير شيء... يَسرّك في القِيامة أن تَراه

وستشهد الأيدي على من أخذ بها أموال الناس بالباطل سرقة أو خيانة أو نهباً أو سلباً.

وستشهد على من أدمى إنساناً ظلماً إما بجرح وإما بقتل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) ([[781]](#footnote-781)).

وقال: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار و حرم عليه الجنة، و إن كان قضيبا من أراك) ([[782]](#footnote-782)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من ضرب سوطا ظلماً اقتص منه يوم القيامة) ([[783]](#footnote-783)).

ألا فاتقوا الله-يا عباد الله- في ألسنتكم وأيديكم، فاجعلوها مسخرة فيما رضي الله وأباح.

وإياكم إياكم أن تكون عذاباً على عباد الله في الدنيا وعلى أهلها في الدنيا والآخرة.

هذا وصلوا على خير البشر...

# بر الوالدين ([[784]](#footnote-784))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إنما جزاء الإحسان الإحسان، وثواب المعروف شكره، والخير عند الكريم لا يضيع بالتقادم، بل تعظم مكافأة أهله عند الحاجة إليه. ولا شك أن أعظم الناس إحساناً إلى الإنسان والده، اللذان تسببا في مجيئه إلى هذه الحياة. فإنهما قد أحسنا إلى ولديهما واعتنيا به منذ أن كان عدماً إلى أن صار وجوداً.

لقد حملته أمه بين أحشائها تسعة أشهر متصلة وعانت ببقائه في بطنها ما عانت من الآلام والأوجاع. فقد ذاقت مرارات الوحم فهجرت محبوباتها وتجرعت مكروهاتها، وتحملت ثقل الحَمل وصعوبته، حتى جاءت ساعة الولادة ومقدماتها فصارعت الموت وصارعها، وقاست الشدة وتمرغت فيها، وضاقت بها الأرض بما رحبت فلم تسعها، حتى إذا صرخ بين يديها ابتسمت ابتسامة المحارب المنتصر المثخن بالجراح. لتنتقل بعد ذلك إلى المرحلة الثالثة من العناء فترضعه وتطعمه وتزيل عنه الأذى، وتسهر ليلها وتتعب نهارها من أجل راحته، وتؤثره على نفسها ليستريح ويشبع وينام، وكأنها تبنيه ولو تهدمت، وتحييه وإن ماتت.

ثم مازالت توليه عنايتها ورعايتها بعد ذلك.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه و سلم علينا فأخبرته فقال: ( من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار ) ([[785]](#footnote-785)).

أيها الإنسان:

لأمك حق لو علمت كثير... كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي... لها من جواها أنة و زفير

و في الوضع لو تدري عليها مشقة... فمن غصصٍ منها الفؤاد يطير

و كم غسلت عنك الأذى بيمينها... و ما حجرها إلا لديك سرير

و تفديك مما تشتكيه بنفسها... و من ثديها شرب لديك نمير

و كم مرةٍ جاعت و أعطتك قوتها... حناناً و إشفاقاً و أنت صغير

فدونك فارغب في عميم دعائها... فأنت لما تدعو إليه فقير

عباد الله، وأما الأب فإنه ذلك الإنسان العطوف الذي يكد ويعمل، ويسهر ويتعب، ويركب مطايا المشقات حتى يصل إلى توفير الحياة الكريمة لأولاده، بحب وعطف من غير منٍّ ولا أذى فيما قدم، بل يجد الراحة فيما أسداه والفرح بما أعطاه.

يلاقي صروف العناء ويتعرض لأنواع البلاء من أجل أولاده، ولا تزيده الأيام إلا هماً على فلذات كبده ومستقبلهم، إنه يسترخص حياته ليحيوا، ويتترس بجسمه دونهم لينجوا، ولسان حاله:

وإنما أولادنا بيننا... أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبّت الريح على بعضهم... لامتنعت عيني من الغمض

يقول أحد الآباء لولده العاق:

غذوتك مولوداً ومِنتُك يافعاً... تعل بما أحنو عليك وتنهل

إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت... لسقمك إلا ساهراً أتململ

كأنى أنا المطروق دونك بالذي...طُرقت به دوني فعينيَ تهمل

تخاف الردى نفسي عليك وإنها... لتعلم أن الموت وقت مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التي... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

جعلت جزائي غلظة وفظاظة...كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتي... فعلت كما الجار المصاقب يفعل

فأوليتني حق الجوار ولم تكن... علي بمالٍ دون مالك تبخل

عباد الله، يقول الله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً } {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً } {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً }[الإسراء23-25].

في هذه الآيات الكريمات يأمر الله بالإحسان إلى الوالدين، ويحث على برهما ويجعل ذلك قرين توحيده، كما قرن شكرهما بشكره في قوله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ }[لقمان14].

وذلك أن لله نعمة الخلق والإيجاد، وللوالدين نعمة التربية والإيلاد، وشكر المنعم واجب شرعاً وعقلاً.

فمن شكر الوالدين: الإحسان إليهما وتمام الصحبة لهما، ودعوتهما إلى الخير، ونصحهما إن مالا عن الحق برفق ولطف. قال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: { وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً{41} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً{42} يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً{43} يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً{44} يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً{45} قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً{46} قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً{47} وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً{48} فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً{49} وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً{50}[مريم 41-50].

ومن شكرهما: تقديم أمرهما ومجاهدة النفس لرضاهما، وعدم التضجر منهما، وعدم الترفع عليهما، ورعايتهما عند الكبر، والإنفاق عليهما عند الحاجة، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ }[البقرة215].

واستئذانهما عند السفر؛ فإن قلوبهما قد لا تتحمل ألم الفراق،

قال الشاعر:

لو كان يدري الإبن أية غصة... يتجرع الأبوان عند فراقه

أم تهيج بوجدها حيرانة... وأب يسح الدمع من آماقه

يتجرعان لبينه غصص الردى... ويبوح ما كتماه من أشواقه

لرثى لأم سُل من أحشائها... وبكى لشيخ هام في آفاقه

أيها الفضلاء، ومن شكرهما: الاستغفار لهما والدعاء في حياتهما وبعد موتهما.

فعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه، فبينا هو يوماً على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي فقال: ألست ابن فلان بن فلان؟ قالك بلى. فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا، والعمامة اشدد بها رأسك. فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك؟!. فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى ). وإن أباه كان صديقا لعمر([[786]](#footnote-786)).

أيها المسلمون، إن بر الوالدين وتقديم طاعتهما إنما يكون في المعروف، فلو أمرا بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة. قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[العنكبوت8].

روي سعد بن أبي وقاص أنه قال: "كنت رجلاً براً بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد، وما هذا الذي أراك قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه، قلت: يا أمه، لا تفعلي؛ فإني لا أدع ديني هذا لشيء، فمكثت يوماً وليلة لا تأكل فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً آخر وليلة وقد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، فان شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت".

أيها المسلمون، إن البر بالوالدين عبادة من أعظم العبادات، وقربة من أحسن القربات، ووسيلة من وسائل السعادة في الدنيا والآخرة.

فالبر من أحب الأعمال إلى الله تعالى، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال

: سألت النبي صلى الله عليه و سلم أي العمل أحب إلى الله؟ قال: ( الصلاة على وقتها ). قال: ثم أي؟ قال: ( ثم بر الوالدين ). قال: ثم أي؟ قال: ( الجهاد في سبيل الله )( [[787]](#footnote-787)).

والبر من أسباب النجاة من المهالك، ففي حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار:

"قال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب فآتي أبوي فيشربان ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان قال: فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء قال: ففرج عنهم..." ( [[788]](#footnote-788)).

والبر من أسباب تكفير الذنوب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما "أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة، فأبت أن تنكحني، وخطبها غيرى، فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا. قال: تب إلى الله عز وجل، وتقرب إليه ما استطعت. قال: عطاء بن يسار: فذهبت، فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: "إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة".([[789]](#footnote-789)).

معشر المسلمين، والبر بالوالدين من أسباب زيادة العمر والرزق، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من سره أن يمد له في عمره، ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه)([[790]](#footnote-790)).

والبر بالوالدين سبب لنيل رضا الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( رضا الرب في رضا الوالدين، و سخطه في سخطهما) ([[791]](#footnote-791)).

والبر بالوالدين من أسباب دخول الجنة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة)([[792]](#footnote-792)).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( الوالد أوسط أبواب الجنة، فأضع ذلك الباب أو احفظه) ([[793]](#footnote-793)).

وعن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: (هل لك من أم؟ قال: نعم، قال: فالزمها؛ فإن الجنة عند رجلها)([[794]](#footnote-794)).

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن إحسان الوالدين قد لا يجد أرضاً طيبة تنبت الشكر والبر لدى بعض الأولاد، فيقلب لوالديه أو أحدهما ظهر المجن، ويكافئهما عقوقاً ومروقاً من الإحسان إلى الإساءة. فيا ويل ذلك العاق الذي تنكر للمعروف وخرج عن المألوف، وبارز أبويه بالعصيان والطغيان، فأنال والديه الغلظة والفظاظة، والتأفف والنفور، والتمرد والإهانة، والتجبر والقهر والتعدي، أُيبكيهما بعد أن أضحكاه، ويحزنهما بعد أن أفرحاه، ويشقيهما بعد أن أسعداه، ويضيعهما بعد أن حفظاها ورعياه، لقد سالت منهما الدموع من عقوقه فما رق لهما، وأبديا له الرجاء والتوسل ليعطف عليهما بعدما كبراه فما عطف عليهما وما رحمهما! أي قلب يحمله هذا العاق بين جنبيه، وأي روح ميتة يقوم عليها بدنه، وأي نسيان أفقده حلاوة الإحسان حتى جزاهما بالتعدي والنكران؟!

عق أبا المنازل فرعانَ بن الأعرف السعدي ابنُه منازلٌ فقال الأب:

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْني وبينَ مُنازِلٍ... جزاءً كما يَستنزِلُ الدَّينَ طالِبُهْ

وما كُنْتُ أخْشَى أنْ يكونَ مُنازِلٌ... عَدُوِّي وأدنى شانئٍ أنا راهبُه

وأطعَمْتُه حتى إذا آض شَيْظَماً... يكادُ يُساوِي غارِبَ الفَحْلِ غَارِبُه

وربيته حتى إذا ما تركته... أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه

وكان له عندي إذا جاع أو بكى... من الزاد أحلى زادنا وأطايبه

تَخَوَّنَ مالي ظالماً ولَوَى يَدي... لَوَى يَدَهُ الله الذي هوَ غَالِبُه

أأن أرعشت كفا أبيك وأصبحت... يداك يدي ليث فإنك ضاربه؟!!

عباد الله، إن عقوق الوالدين شقاء للعاق في دنياه وأخراه، فالعاق ملعون مطرود من رحمة الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ملعون من سب أباه، ملعون من سب أمه) ([[795]](#footnote-795)).

العاق محجوب عن الله وعن رحمته وإكرامه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء([[796]](#footnote-796)).

العمل الصالح إذا كان معه عقوق فصاحبه في خطر، وعن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فممن أنا؟ قال: من الصديقين والشهداء، هكذا ونصب أصبعيه ما لم يعق والديه ([[797]](#footnote-797)).

أيها الأحبة الكرام، قالوا وقال التاريخ وقال الواقع: البار مبشر بالبر، والعاق مبشر بالعقوق، مصداق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق) ([[798]](#footnote-798)).

وقد سمع الناس وشاهدوا عقوق الأولاد-ذكوراً وإناثاً- في أولادهم ولو بعد حين.

ذكر بعض العلماء أن رجلاً عاقاً أخذ أباه مصطحباً سكيناً فعرف الأب أنه مذبوح لا محالة، فقال: يا بني، إن كنت فاعلاً فاذبحني عند تلك الصخرة؛ فإني قد ذبحت والدي هناك، فذهب به الابن إلى ذلك الموضع وذبحه. والجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان.

عن العوام بن حوشب رضي الله عنه قال: نزلت مرة حياً وإلى جانب ذلك الحي مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس الحمار وجسده جسد إنسان فنهق ثلاث نهقات، ثم انطبق عليه القبر فإذا عجوز تغزل شعراً أو صوفاً فقالت امرأة: ترى تلك العجوز؟ قلت: ما لها؟ قالت: تلك أم هذا، قلت: وما كان قصته؟ قالت: كان يشرب الخمر، فإذا راح تقول له أمه: يا بني، اتق الله، إلى متى تشرب هذه الخمر؟ فيقول لها: إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار! قالت: فمات بعد العصر، قالت: فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر" ([[799]](#footnote-799)).

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

# حق البُنُّوة ([[800]](#footnote-800))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

يقول تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ } {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }[الشورى49-50].

أيها المسلمون، يخبر الله تعالى في هاتين الآيتين الكريمتين عن ملكه وتصرفه المطلق، وعن علمه وقدرته في سماواته وأرضه، ويذكر لنا مثالين على ذلك في مسألة التوالد والتكاثر بين خلقه، وأن ذلك مرتبط بمشيئته وعلمه سبحانه وتعالى، ولا يمكن للبشر أن يخرجوا عن ذلك فيختاروا لأنفسهم ما تشتهي.

في الآيتين السابقتين يقسّم الله تعالى خلقه بالنسبة للتوالد وعدمه إلى أربعة أقسام: الأول: من يهبه الله إناثاً فقط، والثاني: من يهبه الله ذكوراً فقط، والثالث: من يهبه الله ذكوراً وإناثاً، والرابع: من يجعله الله عقيماً بلا ولد.

وهذا التقسيم الرباعي للفروع –أي: الأبناء والبنات- كالتقسيم الرباعي للأصول- أي: الآباء والأمهات من بني الإنسان-، فهناك من الأصول من خلق من غير الأصلين: الأب والأم، كآدم عليه السلام، وهناك من خلق من أصل واحد فقط هو الأب، وهي حواء عليها السلام، وهناك من خلق من أم فقط، وهو عيسى عليه السلام، وهناك من خلق من الأصلين معاً وهم بقية الناس.

عباد الله، تأملوا في الآيتين الماضيتين لطيفتين مهمتين:

الأولى: أن الله حينما بدأ بذكر هبة الأولاد بدأ بذكر الإناث قبل الذكور، وهذا له حكمته ولم يأت في هذا الموضع عبثاً، فمن حكمته: الرد على بعض أهل الجاهلية الذين كانوا يكرهون ولادة الإناث ويتشاءمون بهن، وربما دفنهن بعضهم وهن من الأحياء.

قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ } {يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ }[النحل58-59]. وقال: {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ } {بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ }[التكوير8-9].

الحكمة الثانية: أن في هذا التقديم لذكر الأنثى دعوة للاعتناء بهن ورحمتهن ورعايتهن، قال واثلة بن الأسقع: " من يمن المرأة تبكيرها بأنثى؛ لأن الله بدأ بها"، وقرأ الآية السابقة.

اللطيفة الثانية: أن الله عز وجل ذكر في جانب العطاء بالأولاد لفظ الهبة، وفي جانب الحرمان ذكر لفظ الجعل، فقال: {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ } {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً... }[الشورى49-50]. فذكر لفظ الهبة في حصول الأولاد لكون الإيلاد هو الأصل، وذكر لفظ الجعل الذي فيه تحويل وتصيير من شيء إلى شيء؛ لكون الحرمان خروجاً طارئاً وآنياً عن هذا الأصل، ولأنه أقل الحالين في الوجود.

أيها الأحبة الأكارم، إن حصول الأبويين على الأولاد، أو حرمانهم منهم ابتلاء واختبار من الحكيم الخبير. فوجود الأولاد اختبار للوالدين على أداء الأمانة فيهم من التربية والرعاية والصبر على تحمل أعباء تنشئتهم. وعدم الأولاد أيضاً اختبار على الصبر على الفقد والحرمان، وعلى تحفيز النفس إلى التضرع والابتهال بين يدي الرب تعالى. إذن الوجود والعدم ابتلاء، قال تعالى: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }[الحديد23].

أيها المسلمون، إن النفس البشرية مفطورة على حب الأولاد والتعلق بهم؛ لأنهم ثمرات القلوب، وراحة النفوس، وأنس الأسرة والبيت، وأزاهير بستان الحياة الدنيا وزينتها، قال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً }[الكهف46].

قال الأحنف بن قيس رحمه الله: " الأولاد ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة".

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسن بن علي -وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا- فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال:( من لا يرحم لا يرحم ) ([[801]](#footnote-801)).

لقد اشتد الشوق عند زكريا عليه السلام للولد بعدما اشتعل الرأس شيبا؛ ليحمل راية الدعوة والهداية بين قومه بعد موت أبيه فدعا زكريا ربه بذلك، كما قال تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ } {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }[الأنبياء89-90].

عباد الله، إن الله تعالى جبل الأبوين على حب الأولاد والعطف عليهم؛ ولذا فإنهما يتحملان المشاق ويبذلان الثمين مما عندهما لأجل أولادهما. فالأم حملت وولدت وأرضعت وأطعمت وربت وسهرت ومرضت وقدمت من العطاء الجزيل لفلذة كبدها. والأب جدّ وعمل ونصب وتعب وبذل ما يقدر عليه لقرة عينه وفرحة عمره. حتى لكأن الأبوين قد صارا يهدمان عمريهما ليبنيا أعمار أولادهما، كما قال الشاعر:

صغاراً نربيهم بقدر عقولهم... ونبنيهم لكننا نتهدم

فكم نال الأبوين من العناء والمشقة في حياة الأولاد، وكم حرما من الراحة بسببهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة) ([[802]](#footnote-802)).

فالحرص على حاجياتهم بخل يمنع من الصدقة والجود، والسعي لأجلهم والانشغال بهم قد يبعد بعض الناس عن التفقه والتعلم فيظل الإنسان جاهلاً أو مفوتاً على نفسه حظاً من العلم بسببهم. ومرضهم يدخل على الوالدين الحزن ويذهب من بينهما السرور.

أيها المسلمون، إن هذا الجود الذي يقدمه الوالدان يجب أن يكون مصحوباً باستشعار الأمانة والمسئولية العظيمتين في تنشئة الأولاد تنشئة صالحة.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }[التحريم6].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته) ([[803]](#footnote-803)).

إن تربية الأولاد تربية نافعة أمانة عظيمة ومهمة جبارة ووظيفة غير سهلة، فإنها قد تقارب الجهاد إن لم تَفُقْهُ في تعب امتداد مطالبها وتقويم مسيرتها، كما قال بعض العلماء. والكلام والتنظير لهذا النوع من التربية سهل، لكن الحال في الميدان التربوي والتطبيق العملي صعب غير ميسور.

قال بعض فلاسفة الإنجليز: "كان عندي قبل أن يصير لي أولاد أربع نظريات في تربية الأولاد، فلما صار لي أولاد ذهبت تلك النظريات كلها!".

أيها الأفاضل، إذا كانت تربية الأولاد تربية صالحة مهمة صعبة في الأجيال النقية الصافية التي لم تدنس بأوساخ الحضارة المعاصرة، فكيف بهذا الزمان الذي كثر فيه أعداء التربية الصالحة؟!

إن الذي يريد أن يربي أولاده في هذا الفصل من الزمن الصعب على الارتباط بالحق اعتقاداً وفكراً وعملاً وسلوكاً، وعلى الارتباط بالحياة الناجحة ليكون عضواً صالحاً في جسد المجتمع، عارفاً حق الله وحق نفسه وحق الناس فإنه سيواجه معوقات كثيرة، فمن تلك المعوقات:

انشغال الأبوين عن التربية، فالأب قد ينشغل بأمر الرزق وتوفير الحياة المعيشية، أو قد يشغل بهواياته وملهاياته، والأم مشغولة بأعمال المنزل والجلسات مع الجارات والصديقات أو متابعة القنوات أو الصفحات الاجتماعية عبر النت، هذا إذا لم تكن موظفة، أما إذا كانت موظفة فالأمر أضيق وأشد.

والمعوق الآخر: البيئة التي تعاش، فالأصدقاء قد لا يساعدون على تحقيق مطلب التربية الناجحة، وبعض المدارس غير مهتمة بالجانب السلوكي والعملي لدى طلابها وطالباتها، بل قد تنمي الجوانب السيئة وتقضي على الجوانب الحسنة.

والإعلام بوسائله المختلفة قد يهدم من أبنية التربية البيتية في أيام ما يُبنى في سنين، وضعف رسالة المسجد وحلقات العلم والقرآن والتشويه لأهلها والتضييق عليهم يكمل هدم آخر حجر في البناء التربوي.

إن هذه المعوقات ونحوها لا تدعو الأبوين إلى اليأس والإحباط والقعود، ولكنها تدعو إلى مضاعفة الجهد وكثرة الحرص وشدة المتابعة للأولاد؛ من أجل التربية والتعليم.

أيها المسلمون، إن الحياة غير المنظمة التي يعيشها بعض الآباء أو بعض الأسر غالباً ما تولد المرض نفسه في حياة الأبناء؛ فلهذا على المربي الناجح أن يبدأ طريق التربية بخطوات ومراحل مدروسة مرتبة حتى ينشأ بين يديه الجيل الصالح.

فمن تلك الخطوات والمراحل المهمة:

اختيار الأبوين، فالزوج يختار الزوجة الصالحة ديناً ودنيا؛ لأن الأم هي المنشأ الأول الذي ينشأ فيه الطفل فيتأثر بأخلاقها وسلوكها، خصوصاً البنات، فاختيار الأم هو أول حقوق الطفل على أبيه، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تنكح المرأة لأربع: لمالها و لحسبهاـ و لجمالها و لدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) ([[804]](#footnote-804)).

وعلى المرأة وأوليائها كذلك اختيار الزوج الصالح ديناً ودنيا؛ لأن الأب هو رب الأسرة وقائدها، وبه تتأثر الأسرة وتُقاد.

عن أبي حاتم المزني مرفوعا: ( إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، ثلاث مرات) ([[805]](#footnote-805)).

ويدخل في هذه المرحلة العمل بوصية رسول الله عليه الصلاة والسلام عند اللقاء الزوجي، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا) ([[806]](#footnote-806)).

وتأتي بعد هذه المرحلة المرحلة الثانية وهي مرحلة الحمل، وهي مرحلة ينبغي فيها المراعاة النفسية والجسدية للأم؛ لأن الجنين يتأثر بما تتعرض له أمه أثناء الحمل.

ولذلك نجد أن الشرع الحنيف خفف عن المرأة الحامل فأباح لها الفطر في رمضان؛ حفاظاً عليها وعلى جنينها من الخطر.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، أما بعد:

ايها المسلمون، من مراحل الاهتمام بالطفل والاعتناء به –بعد الحمل- وهي المرحلة الثالثة وهي مرحلة ما بعد الولادة، وفيها بعض الآداب التي هي جزء من التربية الصالحة والبداية الطيبة لتنشئة الطفل تنشئة ناجحة، فمن تلك الآداب:

استحباب الاستبشار والتهنئة بقدوم المولود. قال تعالى: {فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ }[آل عمران39].

ويستحب كذلك تحنيك المولود بتمرة لينة توضع في فم المولود وتدلك فيه دلكاً لطيفاً حتى تبلغ جميع الفم، وإذا لم يتيسر التمر فبأي شيء حلو من عسل أو سكر، وهذا التحنيك له أثر صحي تحدث عنه الأطباء.

وفي هذه المرحلة أيضاً تستحب تسمية المولود باسم حسن كالأسماء المعبدة لله وأسماء الصالحين؛ لأن الأسماء لها أثر في المسميات حسنها وسيئها.

كان لحنظلة النميري ابن عاق اسمه مرة، فقال له يوماً: إنك لمرٌّ يا مرة، فقال: أعجبتني حلاوتك يا حنظلة، فقال: إنك خبيث كاسمك، فقال: أخبث مني من سماني به، فقال: كأنك لست من الناس، فقال: من أشبه أباه فما ظلم، قال: ما أحوجك إلى أدب، قال: الذي نشأت على يده أحوج إليه مني، قال: عقمت أمٌّ ولدتك، قال: إذا ولدت من مثلك، قال: لقد كنت مشؤوماً على إخوتك، دفنتهم وبقيت، قال: أعجبني كثرة عمومتي، قال: لا تزداد إلا خبثاً، قال: لا يجتنى من الشوك العنب.

عباد الله، وتستحب أيضاً العقيقة للقادر عليها، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين، كبشا كبشا) ([[807]](#footnote-807)).

ويستحب كذلك الختان في حق الإناث. ويجب في حق الذكور على الراجح وهو مذهب جمهور العلماء، وهذه السنة من محاسن الإسلام العظيمة وأدلة حبه للطهارة والنقاء والصحة.

أيها المسلمون، إن الطفل يولد صفحة بيضاء يسطر فيها الوالدان ما شاء ا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ([[808]](#footnote-808)).

فعلى الوالدين بعد المرحلة الثالثة أن يعتنيا في السنوات الأولى لطفلهما بتعليمه -قولاً وفعلاً - الآداب والسلوكيات الحسنة، فإذا وصل سن السابعة فعلى الأبوين أن يشرعا في غرس بعض مفاهيم الإسلام المهمة عن الله ورسوله وكتابه ودينه.

وأن يعوداه بعض الأعمال التكليفية تمريناً له على فعلها والمحافظة عليها في المستقبل كالصلاة والصوم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضـربوهم عليها وهم أبناء عشـر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع)([[809]](#footnote-809)).

وعن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: ( كنا نصوّم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار) ([[810]](#footnote-810)).

عباد الله، فإذا كبر الطفل وقارب البلوغ والمراهقة –وهي مرحلة عمرية صعبة- تواجه الطفلَ والأبوين معاً؛ لشدة النوازع والجواذب فيها، وبداية انطلاقة جديدة نحو التكاليف الشـرعية والحياتية، والمتطلبات الشهوانية الفطرية، وحينئذ يهتم أبواه به أكثر من ذي قبل، ويراقبانه ويواصلان التربية معه، فيُختار له الجلساء الصالحون، ويقرّب منهم، ويبعد عن جلساء السوء، ويحذر من مجالسهم؛ لأن الجليس يتأثر بجليسه كما هو معلوم.

ومن الأمانة الأبوية متابعة الولد –ذكراً كان أو أنثى- في أفكاره؛ لما لها من أثر بالغ على مستقبله السلوكي والخلقي والعملي، خصوصاً في ظل الثروة المعلوماتية الهائلة المعاصـرة التي صار من السهولة المتناهية سـرعة الوصول إليها، مع ما يكتنفها من الإغراء والترغيب، وخاصة للبضاعة الآسنة والمسمومة منها.

فإذا وصل الولد سن الزواج ووقته ورغب فيه فهنا يكمل الإحسان إليه بحسن اختيار القرين والشـريك –ذكراً كان الولد أو أنثى- فيختار للابن المرأة الصالحة ذات الدين والخلق، وللبنت الرجل ذو الدين والخلق كذلك.

ومن الخيانة تقصير الأبوين في حسن الانتقاء للكفؤ للابن أو البنت، والمراد بالكفؤ القادر على مؤن النكاح المادية وغير المادية، وهذا أمر في غاية الأهمية؛ كي لا يؤثر سوء الانتقاء على مستقبل هذه الأسـرة الجديدة، ويكون للأبوين جزء من مشاكلها ومعضلاتها.

أيها المسلمون، إن الطفل عندما يكبر على هذه التربية والعناية وقد أعطي هذا الغذاء الروحي، وسُقي هذا الاهتمام الأبوي والسلوكي تصبح حياته الآتية امتداداً لحياته الأولى في فضائلها ومكارمها.

كما قال الأول:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

إن الجيل المسلم-معشر المسلمين- لو رُبي على هذا النهج سيعم خيره العباد والبلاد في مجالات الحياة المختلفة، فصلاح أي مجتمع مرهون بصلاح هذه الفئة منه، وفساده بفسادها، فعلى كواهل هذه الفئة في المجتمع يقوم البناء وإعمار الحياة، وبث روح النشاط والجد والقوة فيها، هذا للمجتمع والعموم.

وللأبوين من الصلاح: البر والسعادة والخير العميم، وإن حصل الإهمال منهما فلا أقل من العقوق والتعب من الولد المهمل وتحمل أعبائه وانحرافه وسوء تصـرفاته كبيراً كما تحملاها صغيراً.

وعلى الأبوين أن يتذكرا في هذه الأمانة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)([[811]](#footnote-811)).

{ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً }[الفرقان74].

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

# تطاول الأقزام على عَلَم الأعلام ([[812]](#footnote-812))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمتي هل لك بين الأمم... منبر للسيف أو للقلم

أتلقاك وطرفي مطرق...خجلا من أمسك المنصرم

ويكاد الدمع يهمي عابثا... ببقايا كبرياء الألم

أمتي كم غصة دامية... خنقت نجوى علاك في فمي

أي جرح في إبائي راعف... فاته الآسي فلم يلتئم

كيف أغضيت على الذل ولم...تنفضي عنك غبار التهم؟

أوما كنت إذا البغي اعتدى... موجة من لهب أو من دم؟!

أيها المسلمون، لقد أصبح الحديث عن عزة أمة محمد عليه الصلاة والسلام وإبائها حديثاً عن الماضي السحيق والتاريخ البعيد، ندّرسه أجيالنا كان في الماضي وكان.

أما اليوم فماذا نقول وبم نتحدث عن العزة؟ فهل بقيت مقدسات أو حرمات لنا لم يُعتد عليها؟

لقد صال العدو على كرامة الأمة وسيادتها وقراراتها، واعتدى على دمائها وأعراضها وأموالها وأراضيها ودينها ورسولها وربها المعبود الحق، فماذا بقي بعد هذا؟ فما هذه الحال التي وصلت إليها أمة الإسلام، أيَّ عز نزعت وأيَّ ذل لبست؟!.

أمة الإسلام، إنها ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يعتدي فيها الحقد النصراني الصليبي على نبي الرحمة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، إنما هي حلقة ضمن سلسلة ممتدة من الحقد. ومنها هذا الفلم الأمريكي المسيء الذي أُعد خصيصاً ليوم الحادي عشر من سبتمبر.

وليس العجب مما فعلوا-فهذا دأبهم- إنما العجب من موقف المسلمين أمام هذا الحدث الجلل.

فأين المواقف الرسمية وغيرة النسبة المحمدية عند حكومات العالم الإسلامي؟! حتى الشجب والاستنكار الذي قد تعودناه ومللناه منها لم نسمعه في هذا الاعتداء، فماذا كان حكام المسلمين فاعلين لو كان هذا الاعتداء على ذواتهم وأشخاصهم! فسبحانك ربي هذا تباين عظيم!

ما سبب هذا الخدر وموت الشعور؟

إن إدامة ارتضاع ثدي الذل قد صعب على أهله الفطام منه، فلم يجرؤوا حتى على دفع الصائل ولو بالكلمة.

من يهن يسهل الهوان عليه... ما لجرح بميت إيلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)([[813]](#footnote-813)).

أيها المسلمون، إن هذا الاعتداء الصليبي ليس اعتداء على محمد صلى الله عليه وسلم وحده، بل هو اعتداء على الله تعالى؛ لأنه رسوله وحبيبه، واعتداء على عيسى بل على جميع الأنبياء والرسل؛ لأنهم كانوا يبشرون به أممهم ويأمرونهم بالإيمان به إذا أدركوه، وليس اعتداء على أمة محمد عليه الصلاة والسلام فحسب، بل هو اعتداء على الإنسانية كلها؛ لأنه اعتداء على محرر الإنسانية وهادي البشرية ورحمة الله للعالمين كافة.

فماذا وجدوا في محمد صلى الله عليه وسلم من نقص حتى ينتقصوه، أو من عيب حتى يعيبوه به؟! لكنها النفوس الحاقدة المنتكسة التي ترى الحمد ذما والكرم مثلبة وعيبا.

أيها المسلمون، لقد وهب الله تعالى رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام معاقد العظمة البشرية فتمثلها في حياته قولاً وعملاً وخلقاً.

فإنه لم تجتمع قلوب البشر منذ أبي البشر الأول آدم عليه السلام وإلى اليوم وإلى نهاية الدهر كاجتماعها على محمد عليه الصلاة والسلام، إجلالاً وتعظيما، سواء المتبع الموافق أم المجانب المفارق. فما أكثرَ ما قاله المنصفون من غير المسلمين في هذا الجلال والعظمة. وما ذاك إلا لأن الله تعالى قد أعطاه الكمال البشري المطلق في خلقه وخلقه.

فقد كان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم معتدل الصورة، بهي الطلعة، عليه سكينة باعثة على التعظيم والهيبة، ولم تكن هيبته بكبر أو سطوة، ولكن بتواضع وسهولة. وعليه طلاقة توجب محبته ومودته، حتى تنافست النفوس أن تفديه وتحميه بذهاب أرواحها. وكان حسن القبول حتى أسر القلوب فأذعنت لموافقته وانقادت لأمره وترك مخالفته.

وأما خلُقه العذب عليه الصلاة والسلام فسل سيرته العطرة في مراحل حياته النضرة، سل عنه يتيماً يجبك الصبر والكد، وسل عنه شاباً يجبك النشاط الدؤوب والعفة و الجد، وسل عنه تاجراً وعاملاً يجبك الإتقان والأمانة، وسل عنه زوجاً يجبك حسن العشرة وقوة الوفاء، وسل عنه أباً تجبك الرأفة وحسن التربية، وسل عنه نبياً تجبك التضحية والحرص والأمانة والفصاحة والثبات المر. وسل عنه قائداً تجبك الحنكة والشجاعة والإقدام، وسل عنه مربياً ومعلماً يجبك حسن التعليم والتأديب. وصدق معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه يوم قال: (فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه) ([[814]](#footnote-814)).

عباد الله، من سمع قوله عليه الصلاة والسلام رأى أقوالاً تنبئ عن عقل رجيح وفكر صحيح، تخرج من خطوب الأمور ومدلهمات الأحداث. أقواله مستخرجة من خزائن الحكمة ومستخلصة من معادن البيان والفصاحة، ينطق بالحكمة الباهرة، والعلوم الجمة المتكاثرة، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يصاحب الحكماء ولم يجالس العلماء ولم يشافه البلغاء ولم يرافق الفصحاء. له لسان محفوظ من الخنا، ومصون عن الفحش والبذاء، لم يحفظ عنه زلل، ولم يؤثر في نطقه خلل، يتحرى الكلام تحرياً دقيقاً فلا يسترسل في هذر أو خطل، ينطق في موضع النطق وإلا فيتحرز في حصن الصمت والسلامة.

عليه -صلى الله عليه وسلم- عزة الزهد عن الرغبات ومفاتيحها في يديه، وإعراض عما يلهي ليكتمل له الإقبال على الآخرة.

أيها الأحباب، كان عليه الصلاة والسلام لليتيم والأرملة والمسكين من تواضعه ووقته ورحمته حظ ونصيب يقضي حاجاتهم ويستمع خطابهم ويعينهم فيما يستعينون به عليه.

حلم ووقار مع جفوة الأعراب وسفه الشانئين الحاقدين. فما طاش حلمه ولا جهل رأيه، ولا انتقم لنفسه إنما كان ينتقم لله تعالى.

وفاء بوعد، وإتمام لعهد، فما أخلف لأحد موعدا، ولا نقض لأحد عهدا. وأما أفعاله عليه صلوات الله وسلامه فسيرة حسنة وسياسة رشيدة، نقلت الأمة من حياة الانفراد والعزلة إلى حياة الجماعة والعالمية، فانقاد له الخلق وثبّت قواعد الدين الحق في فترة وجيزة فأخذها الخلف عن السلف.

لم يكن صلى الله عليه وسلم يُميل أصحابه عن الدنيا ولا يصرفهم إليها، بل أمدهم بالاعتدال والتوسط فأمرهم بالجمع بينهما؛ لأن من لم يصلح دنياه لن يصلح دينه.

وكان له عليه الصلاة والسلام من السخاء القِدْح المعلى مع حاجته وخصاصته، وكل ما يشاء من خيرات الدنيا مبذول له.

أيها الفضلاء الأكارم، فهل سمع الناس عن أحد كمحمد عليه الصلاة والسلام قائلاً إذا قال، وفاعلاً إذا فعل؟ فهل سمعوا صابراً كصبره، وشاكراً كشكره، وحليماً كحلمه، وجواداً كجوده، ومعاهداً كعهوده، وواعداً كوعوده، وأميناً كأمانته، وزاهداً كزهادته، ومربياً كتربيته، وإنساناً شهد له بالفضل أعداؤه وحساده إذ لم يجدوا فيه مغمزا لغامز، ولا مثلباً لثالب أو لامز، فهو كما قال الأول:

شهد الأنام بفضله حتى العدى... والفضل ما شهدت به الأعداء

أفبعد هذه العظمة والجلال، والمكارم وجميل الخصال، والتفرد والكمال، يحق لمنتقص أن ينتقص ولقادح أن يقدح؟!

أيصح لعبّاد الصليب وأراذل الخلق أن يتطاولوا بالسخر والهزؤ بالرحمة للعالمين؟!

أفليس من ظلم الإنسانية أن يجرح محررها؟ أليس من العسف أن يعاب صاحب الكمال البشري؟

إن ذلك الفعل الشائن المقيت الذي أقدم عليه أولئك السفهاء الأراذل لجرم وبيل في حق الديانات السماوية عموماً وفي حق المسلمين خصوصا.

فآهٍ من امة مكلومة الضمير لم تستطع أن تدافع عن نبيها وهاديها، وغيرها من الأمم إذا أوذي سفيه من سفهائها أقامت الدنيا ولم تقعدها. فأين أعداد أمتنا وعدتها وحدها وحديدها.

إذا بلغ بها الهوان هذا المبلغ فلم تستطع أن ترد الباغي عن بغيه والجاني عن جنايته في حق رسولها عليه الصلاة والسلام فلا غرو أن تستقبل بعد ذلك كل ذل وهوان.

أما رسول الله فإن الله سيدافع عنه ويغار له، وقد وعده بذلك قال تعالى: { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ }[الحجر:95].

عن ابن عباس أنه قال في قوله: { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ }[الحجر:95]. قال: (المستهزئون الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب أبو زمعة والحارث بن عنطل والعاص بن وائل، قال: فأتاه جبريل فشكاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراه الوليد بن المغيرة فأومأ جبريل عليه السلام الى أنجله فقال: ما صنعت شيئا قال: كُفِيْتَه، ثم أراه الأسود بن عبد المطلب فأومأ إلى عينيه قال: ما صنعت شيئا قال: كفيته، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث الزهري فأومأ الى رأسه فقال: ما صنعت قال: كفيته، ثم أراه الحارث بن عنطل السهمي فأومأ إلى بطنه فقال: ما صنعت شيئا ثم قال: كفيته، ثم أراه العاص بن وائل فأومأ الى أخمصه فقال: ما صنعت شيئا قال: كفيته. فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فأصاب أنجله فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فعمي فمنهم من يقول: عمي هكذا، ومنهم من يقول: نزل تحت شجرة فجعل يقول: ألا تدفعون عني قد قتلت؟! فجعلوا يقولون: ما نرى شيئا، فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني قد هلكت؟! أأطعن بالشوك في عيني؟! فجعلوا يقولون: ما نرى، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح مات منها، وأما الحارث بن عنطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها، وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك إذ دخل في أرجله شبرقه حتى امتلت منها فمات منها) ([[815]](#footnote-815)).

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن الحدث الذي جرى ليحزن كل مسلم صادق، ولكن هذا الشعور لا يكفي في الذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. بل لابد من أعمال عامة وخاصة تواجه هذا الحدث السيء.

فأولاً على الدول المسلمة أن تتخذ موقفاً رسمياً حازماً ينطلق من غيرتها على مقدساتها ودين شعوبها حتى تؤدي حق الدفاع عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وحتى يعرف عباد الصليب وغيرهم أن وراء محمد عليه الصلاة والسلام دولاً مسلمة تغار عليه وتدافع عنه، وحتى لا يتكرر الحدث مرة أخرى.

ثانياً على أجهزة الإعلام المختلفة في بلاد المسلمين التي شغلتنا بتوافه الأمور وملهياتها أن تقدم جزءاً من واجبها تجاه نبيها، مثل ترويج الاستنكار بلغة العزة والانتماء الصادق لا بلغة الذل والخبر العابر الذي لا يعنيها.

وأن تنتج وتعرض برامج معرِّفة للعالم بهذا النبي الكريم، وكاشفة زيف ما يتفوه به الحاقدون عليه.

والحمد لله فبعد أحداث الدنمارك قامت أعمال إعلامية مشكورة تتحدث عن رسولنا عليه الصلاة والسلام مبينة عظمته بلغات عالمية عدة.

وقد كان ذلك العمل المشكور سبباً في إسلام أعداد كبيرة من الناس حينما وصلتهم الحقيقة كما هي من غير تشويه، وعرف الباقون ممن اطلع ولم يسلم عظمة محمد عليه الصلاة والسلام.

ثالثاً على الأمة الإسلامية أن تتمسك بسنة نبيها عليه الصلاة والسلام؛ لأن التمسك الصادق بالسنة من أعظم الحراس لها.

رابعاً على المسلمين أن ينشغلوا بأمر دينهم وعزة أمتهم بين الأمم وأن يسعوا دائما أن يكونوا بين الأمم رؤوساً متبوعين لا ذيولاً تابعين.

خامسا على كل مسلم أن يدافع عن نبيه عليه الصلاة والسلام بقدر ما يستطيع حسب تخصصه وقدرته.

ثم أبشروا-يا عباد الله- فإن الاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشارة بهلاك المعتدين.

قال تعالى: { وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[التوبة:61].

وقال تعالى: { فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا }[النساء:19].

قال ابن تيمية رحمه الله: " حدثنا أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه و الخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون و المدائن التي بالسواحل الشامية لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر و هو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس، إذ تعرض أهله لسب رسول الله صلى الله عليه و سلم والوقيعة في عرضه فعجلنا فتحه و تيسر و لم يكد يتأخر إلا يوما أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة و يكون فيهم ملحمة عظيمة قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظا بما قالوه فيه، و هكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب حالهم مع النصارى كذلك، و من سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده و تارة بأيدي عباده المؤمنين".

هذا وصلوا وسلموا على صاحب الحوض المورود واللواء المعقود محمدٍ المحمود في السماء والأرض...

# حرمة قتل النفس المعصومة ([[816]](#footnote-816))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }[الإسراء70].

إن من تكريم الله تعالى للإنسان أن كرمه وفضله على كثير من خلقه، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، وزوّده بالقوى العقلية، وجعله سيد الكائنات. فلهذا كانت النفس البشرية لها مكانتها السامية وغدا إزهاقها وإخراجها من الحياة أمراً شنيعاً كباراً.

وهذه المكانة الرفيعة والقدر الشريف للنفس البشرية من حيث إن صاحبها إنسان بقطع النظر عن دينه وجنسه ولونه ووطنه.

عباد الله، إن هذا الاحترام والعصمة للإنسان باقية له ما لم يرتكب موجباً من موجبات سفك دمه المعلومة في شريعتنا الإسلامية، ومن تلك الموجبات:

ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) ([[817]](#footnote-817)).

ومنها ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) ([[818]](#footnote-818)).

ومنها ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ( جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني؟، قال: فأنت شهيد، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار) ([[819]](#footnote-819)).

أيها المسلمون، إن الإسلام جاء ليحافظ على النفس البشرية من الإزهاق، فالحياة مقصد لإيجاد الإنسان على هذه الدنيا.

قال تعالى: {وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً }[الإسراء33].

فقد حرم الإسلام على الإنسان قتل نفسه، وهذا يدل على أن الله أرحم بالإنسان من نفسه، قال تعالى: { وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً }[النساء29].

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة ) ([[820]](#footnote-820)).

وحرم عليه كذلك قتل الكافر المعاهد ورتب على ذلك وعيداً شديداً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما) ([[821]](#footnote-821)).

فإذا كان هذا الوعيد في حق من قتل كافراً معاهداً، فكيف بمن قتل مؤمنا؟!

أمة الإسلام، إن قيام الإنسان بقتل مؤمن من غير موجب في الشرع جريمة عظيمة، وبوابة هلاك على فاعلها، قال تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً }[النساء93].

إنه هذه الآية الكريمة تصد من كان في قلبه ذرة من إيمان عن الإقدام على إزهاق روح المؤمن الطاهرة؛ لأن نفس المؤمن غالية عند الله تعالى وعند عباده الصالحين.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: (ما أطيبك وما أطيب ريحك، ما أعظمك وما أعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه) ([[822]](#footnote-822)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا) ([[823]](#footnote-823)).

فانظروا-يا عباد الله- إلى عظم قدر المؤمن عند الله تعالى. وانظروا إلى جزاء من يعتدي على هذه النفس الكريمة في قوله عليه الصلاة والسلام: (لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار) ([[824]](#footnote-824)).

معشر المسلمين، إن لا إله إلا الله تحمي دم صاحبها وتحفظ عليه روحه من الاعتداء عليها؛ لعظم هذه الكلمة التي هو من أهلها.

وقف رسول الله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع في ذلك الجمع الكبير متكلماً، فكان مما قال: ( فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه ) ([[825]](#footnote-825)).

إن النفس المسلمة قد ترخص عند بعض ضعفاء العقول وفقراء الدين أيام الفتن، فلا يبالون بارتكاب هذه الجريمة ولو ذهبت أعداد كثيرة من النفوس المعصومة، أما الإنسان العاقل الذي يخاف الوقوف بين يدي رب العالمين فإنه لا يخوض عباب الهرج والمرج، بل يحرص على أن يكون بعيداً عن ساحات الفتن.

عن الأحنف بن قيس قال: ذهبت لأنصر هذا الرجل فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد؟ قلت: أنصر هذا الرجل، قال: ارجع؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ( إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار ). فقلت: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: ( إنه كان حريصاً على قتل صاحبه ) ([[826]](#footnote-826)).

والمراد: أن كل واحد منهما كان حريصاً على قتل خصمه لو أمكنته الفرصة قبل صاحبه فاستحقا جميعاً النار بذلك، أحدهما بالفعل والآخر بالنية السيئة.

وعن عامر هو الشعبي قال: "لما قاتل مروان بن الحكم الضحاك بن قيس أرسل إلى أيمن بن خريم: إنا نحب أن تقاتل معنا، قال: إن أبي وعمي شهدا بدراً وإنهما عهدا إلي أن لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله، فإن جئتني ببراءة من النار قاتلت معك، قال: اذهب، ووقع فيه وسبه، فأنشأ يقول:

ولست مقاتلا رجلاً يصلي... على سلطان آخر من قريش

له سلطانه وعلي إثمي... معاذ الله من سفه وطيش

أأقتل مسلماً في غير جرم... فلست بنافعي ما عشت عيشي

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه و سلم فقال: ( يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله )؟!. قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم([[827]](#footnote-827)).

عباد الله، إن الإسلام لما حرم القتل حرم معه كل وسيلة تفضي إليه، فمن ذلك:

أنه حرم بين المسلمين المزاح بالسلاح والتهديد به، وهذا يشمل المزاح بالسلاح الأبيض والسلاح الناري، ويدخل فيه كل ما يؤدي إلى القتل كالمزاح بالسيارات والدرجات النارية؛ لأنها قد تقود إلى الموت.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه) ([[828]](#footnote-828)).

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: ( حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:لا يحل لمسلم أن يروع مسلما) ([[829]](#footnote-829)).

وحرم على المسلم كذلك أن يدخل السوق ورمحه مشهور؛ خشية أن يصيب المسلمين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا و معه نبل فليمسك على نصالها بكفه لا يعقر مسلما) ([[830]](#footnote-830)).

أيها المسلمون، إن هذا العصر يشهد تساهلاً كبيراً في ارتكاب هذه الجريمة بدوافع دينية عدائية من أهل الباطل لأهل الحق، وبدوافع سياسية بين الحكومات وشعوبها، وبدوافع دنيوية بين الناس. وكثرة القتل علامة من علامات الساعة التي أخبر عنها رسول الله عليه الصلاة والسلام في قوله: (يتقارب الزمان وينقص العلم، وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قيل: يا رسول الله، أية هو؟ قال: القتل القتل.) ([[831]](#footnote-831)).

وقال: (لا تقوم الساعة حتى يفيض المال وتظهر الفتن، ويكثر الهرج قالوا: وما الهرج يا رسول الله، قال: القتل القتل القتل، ثلاثا) ([[832]](#footnote-832)).

وهذا الإسراف والتمادي في هذه الجريمة وعدم الخوف منها سببه: قلة الخوف من الله تعالى ومن عقابه ولقائه.

قال خير ابني آدم لشرهما-كما ذكر الله تعالى عنهما-: {لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }[المائدة28].

فهابيل لم يمنعه من قتل أخيه إلا خوفه من الله تعالى، فلو كان هناك خوف من الله في قلوب القتلة لما أقدموا على فعلتهم الشنيعة. فالخائفون من الله لا تنقصهم القدرة والقوة، ولا الحيل والعدة، غير أن الخوف حال بينهم وبين ما تشتهيه النفس والشيطان.

ومن أسباب التمادي في هذه الجريمة: قلة الطاعة وكثرة المعاصي وضعف الإيمان بالله واليوم الآخر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن) ([[833]](#footnote-833)).

والمعنى: إن الإيمان يمنع من القتل الحرام الذي هو الفتك.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم) ([[834]](#footnote-834)).

ومن أسباب التساهل في هذه الجريمة: الانفلات الأمني والقضائي المتعمد، ومن مظاهره: عدم إقامة حد القصاص على القتلة؛ لأن إقامة الحدود الشرعية أمان للمجتمع وحفظ له.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة178-179].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لحدٌّ يقام في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحا) ([[835]](#footnote-835)).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على النبي محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن القتل العمد العدوان جريمة ذات خطر كبير، وعواقبها عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، ولها تبعاتها السيئة دينياً واقتصادياً واجتماعياً.

فالقتل من الجرائم التي تورد صاحبها موارد الهلكة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( اجتنبوا السبع الموبقات..، -وذكر منها-: القتل) ([[836]](#footnote-836)).

وهي من ورطات الأمور التي تصعب النجاة منها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً) ([[837]](#footnote-837)).

وهي من أسباب دخول النار وحرمان دخول الجنة.

قال تعالى:{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً }[النساء93].

عباد الله، إن هذه الجريمة إذا تفشت- وليس هناك جهة ضبط تتابع وتنصف المظلوم من الظالم- فإن الناس سيعيشون في خوف وقلق وهم وغم، وتقاطع وتفرق، وتذهب عن المجتمع السكينة والطمأنينة وينتج عن ذلك ضحايا من القتلى والجرحى، واليتامى والثكالى والمشردين، وذهبت بذلك مصالح اقتصادية كثيرة.

فاتقوا الله-عباد الله- في النفوس المعصومة؛ فإن العقوبة عظيمة، والعواقب وخيمة.

والحذر الحذر من طاعة النفس والهوى أو القريب أو البعيد أو الشيخ أو الحزب أو الجماعة أو المسؤول أو القائد في قتل نفس معصومة؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام([[838]](#footnote-838)).

فكل إنسان مسؤول عن عمله بين يدي ربه على ما قدم، {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ }[المدثر38].

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا، وأن يأخذ بأيدينا إلى السداد والرشاد.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

# حلاوة الصلاة ([[839]](#footnote-839))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، سأتحدث اليوم إليكم عن عبادة من أعظم العبادات، وقربة من أعلى القربات، عبادة لا تنقطع في حياة المسلم المكلف حتى تنقطع حياته أو يذهب عقله، لا عذر في تركها لعاقل بالغ ولا لمريض مدرك أو مسافر.

أتحدث عنها اليوم حينما قل أهلها بين العدد الكثير، وقصر عن إتقانها مؤدوها، وبدت ألسنة الشر وبنانه تزهد من شأنها وتنتقصها عبر بعض وسائل الإعلام الموبوءة.

لقد سما الله هذه العبادة إيماناً، وقرنها في القرآن بكثير من العبادات، وربما أفردها عن العموم الذي تدخل فيه فذكرها بعد ذلك في السياق نفسه تعظيماً لقدرها.

لقد أوجبها الشرع على كل حال، وإن وقع التخفيف في بعض شروطها وكيفيتها عند وجود الأعذار. وقد اشترط لها أيضاً أكمل الأحوال من الطهارة والزينة وحسن الحال، ونهى أن يشتغل فيها بغيرها عند القيام بها.

وجعلها الله دينه الذي يدين به أهل السماء والأرض، وفرضها في جميع الشرائع، فلم يبعث نبي إلا ودعا إليها.

وجعلها عبادة للقلب واللسان وسائر الجوارح، فكل عضو له مشاركة فيها.

وقد أمر الله تعالى نبيه أن يصطبر عليها ويأمر بها، فقال تعالى: { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى }[طه:132].

لعلكم أدركتم-أيها الأحبة- هذه العبادة العظيمة بهذه الصفات الكريمة، إنها الصلاة، فما أحلى الصلاة وما أعظم الصلاة وما أسعد الحياة بالصلاة.

عباد الله، إن الصلاة من العبادات الملازمة للمسلم في ليله ونهاره على سبيل الوجوب، ولكن الناظر إلى حال المسلمين مع الصلاة سيجدهم أنحاء متفرقة فيها، فهم بين: تارك لها على الدوام، لأسباب متعددة، ومنهم من هو ساهٍ عنها مقصر فيها إما في أداء بعض الفروض دون بعض، وإما تأخير لها عن أوقاتها، وإما بفعلها في غير المساجد، وإما بعدم إتقانها، وإما بقلة الاستفادة من آثارها في الحياة العملية.

وإنها لمفارقة عجيبة حينما ينظر الإنسان إلى بعض هؤلاء في تعاملهم مع مصالح الدنيا، إذ يشاهد الحرص والجد والإتقان والغرام بها، وفي جانب الصلاة يتعامل بالكسل والكره والتطفيف، فويل للمطففين. وويل للذين هم عن صلاتهم ساهون.

إن هذه الأحوال المؤسفة لتنبئ عن صغر شأن الصلاة في قلوب أولئك المضيعين والمقصرين.

أفما علموا أن الصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا بها، فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: (ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)([[840]](#footnote-840)).

أوما دروا أنها أعظم أركان الإسلام العملية، ألا تذكروا أنها الفريضة الوحيدة التي أخذها رسول الله عن الله مباشرة في السماء من غير واسطة ليلة المعراج، وأن الله فرضها أول مرة خمسين لحبها لها، ثم خففها إلى خمس رحمة بخلقه، وهذا كله لعظم شأنها وشرفها عنده تعالى.

أفما عرفوا أنها آخر وصية أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة حين ودع الحياة والأحياء، فعن علي رضي الله عنه قال: ( كان آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم: الصلاة الصلاة..) ([[841]](#footnote-841)).

أفما أُخبروا أنها أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله يوم القيامة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله) ([[842]](#footnote-842)).

أيها المسلمون، إن الله تعالى مدح القائمين بالصلاة وذكرها صفة حسنة من صفاتهم.

فقال تعالى:{ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا }{ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا }[مريم:54-55].

وافتتح بها صفات المؤمنين واختتمها بها، فقال تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ }{ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ } {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ } { وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ } { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ } { إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ } { فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } { وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} { أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ } { الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[المؤمنون:1-11].

وقد ذم الله تعالى المضيعين لها والمتكاسلين عنها، قال تعالى: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا }[مريم:59].

وقال: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا }[النساء:142].

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الآباء بأمر أولادهم بالصلاة في سن صغيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة و هم أبناء سبع سنين، و اضربوهم عليها و هم أبناء عشر سنين، و فرقوا بينهم في المضاجع) ([[843]](#footnote-843)).

وأمر النائم والناسي بقضائها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك) ([[844]](#footnote-844)).

فبهذا تُعلم- يا عباد الله- جلالة هذه العبادة عند الله تعالى.

فلماذا تركها التاركون المقرون بوجوبها؟

فهل تركوها بانشغال بالبيع والشراء، أو بالنوم والكسل، أو بالانشغال بالكلام في المجالس والأعمال الدنيوية، أو العكوف أمام القنوات أو الشبكة العنكبوتية أو الجوال؟

فأين عظمة الله في القلوب يوم ينشغل الإنسان عن واجب من أعظم واجبات الإسلام؟

فإذا كان الانشغال عنها بطلب الرزق فكيف يرجى الرزق من رزاق أمر في ذلك الوقت بترك العمل والذهاب إلى الصلاة؟ فكيف يريد التارك للصلاة رزقاً مباركاً من عند الله وهو يعصيه؟

يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }[الجمعة:9-11].

وإن كان الانشغال عنها بالنوم فالنوم عذر حتى يستيقظ النائم فيصلي، أما إذا تعمد النوم قبيل وقت الصلاة وهو ناوٍ تركها فليس بعذر. وفي هذه الأيام وسائل حديثة تعين على الاستيقاظ مهما ثقل النوم.

وإن كان الانشغال عنها بالاعتكاف أمام الشاشات المختلفة فأين قوة الإيمان التي تجعل صاحبها ينتفض ويترك المشاهدة مهما كان استمتاعه بها، لينطلق ليجيب داعي الله تعالى؟ لأن الآخرة خير وأبقى من الدنيا وما فيها. هذا إذا خلت تلك المشاهد من الحرام، أما إذا كانت في الحرام فهذه لها حديث آخر.

إني لأعجب والله من إنسان يقول: إنه مسلم، ولكن لا يصلي! فأي قلب يستطيع أن يعيش صاحبه سعيداً بدون صلاة، وأي عقل يمكن أن يصدق قول صاحبه: إنه مسلم وهو لا يصلي؟!

فيا تارك الصلوات الخمس، تعال إليها وستجد فيها راحتك وطمأنينتك، واستقرارك النفسي، وستذوق فيها طعم الحياة، وستلتذ بها لذة عظيمة. وسترى فيها النور الذي يهديك إلى صلاح الدنيا والآخرة.

تعال وذق وستعرف قيمة الصلاة التي ضيعتها فضيعت بذلك سرورك وراحتك.

فما أحسن الصلاة، وما ألذ الصلاة، وما أطيب الحياة وأهنأها في ظلال الصلاة.

معشر المسلمين، ولو دخلنا إلى محاريب المصلين ومساجدهم لفرحنا عندما نجد عدداً من الناس يصلون. لكن هل صلاة هؤلاء المصلين صلاة عبادة أو صلاة عادة؟

وهذا أمر مهم؛ لأنه تترتب على معرفة نوع الصلاة آثارُها على نفس صاحبها وواقعه.

فالذين يصلون عبادة لا عادة تجد للصلاة في قلوبهم مكانة سامية فهي أنسهم وراحتهم، ومُذهبة أحزانهم، ومسلية خواطرهم المكدودة، وشارحة صدورهم عند الهم، فعن رجل من خزاعة أنه قال: ليتني صليت فاسترحت، فكأنهم عابوا عليه ذلك، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( يا بلال، أقم الصلاة أرحنا بها) ([[845]](#footnote-845)).وعن حذيفة قال: ( كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى) ([[846]](#footnote-846)).

الذين يقيمون الصلاة عبادة يوجد في تفكيرهم همُّ الصلاة، فهم ينتظرونها انتظار المشوق إلى حبيبه، فإذا جاءت استبشروا وتطيبوا وأسبغوا الطهور، ودعوا عقب الوضوء وأقبلوا من بيوتهم أو أماكن عملهم إلى حيث ينادى بالصلاة، بل ربما عجلوا المجيء فلا يؤذن إلا وهم في الطريق أو في المسجد؛ حرصاً على السبق إلى الخير.

وهم في مشيهم إليها يمشون متئدين، وغير مبطئين عنها لحديث أطالوه مع غيرهم في الطريق، ولا يجرون إليها جرياً إن تأخروا؛ حتى لا يذهب خشوعهم إذا دخلوا إلى الصلاة.

فإذا وصلوا باب المسجد قدم الواحد منهم الرجل اليمنى وقال: (بسم الله، و السلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، و افتح لي أبواب رحمتك). فشرعوا بعد الدخول في الصلاة قبل أن يجلسوا إذا لم تقم الصلاة بعد.

وهؤلاء الأخيار الذين يقدرون الصلاة قدرها، هم يقدرون كذلك أهلها في بيوت الله فلا يؤذونهم برفع صوت أو رائحة كريهة، أو عمل لا يليق في بيوت الله.

فإذا أقيمت الصلاة هبوا إلى جنة الدنيا وألذ ما فيها، فألقوا الدنيا خلفهم حين شرعوا في التكبير، فإذا بدأوا لا ترى عليهم إلا الخشوع وثبات الحركات، وإتقان الصلاة وإحسانها، لا يسبقون الإمام ولا يتأخرون عنه تأخراً مخلاً، بل يؤدون الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها ومستحباتها، فإذا سلم الإمام سلموا فذكروا الله ولم ينشغلوا بذكر الناس، ثم انصرفوا من محراب الصلاة إلى مجالات الحياة بعد أن غسلوا قلوبهم وطهروا نفوسهم، فلا يرى على وجههم إلا النور ولا على تعاملهم إلا الصدق والأمانة وحسن الوفاء؛ لأن هذه آثار صلاة العبادة في الواقع.

قال تعالى: { اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ }[العنكبوت:45].

فهل نحن يا عباد الله من هؤلاء؟ نسأل الله أن نكون كذلك؟

أما الصنف الآخر من المصلين، فهم الذين يصلون الصلاة عادة، فحالهم معها أنهم يجعلون الصلاة في هامش الأعمال لا في أصولها، وليس لديهم حرص على الاستعداد لها والاهتمام بأوقاتها.

فإذا أذن المؤذن فلا يفرحون بذلك، بل قد يغضبون ويقطبون أجبنتهم كأن هذا الصوت عكر عليهم راحتهم.

فإن توضأوا لم يسبغوا، وإن جاءوا المسجد جاءوا متأخرين، فإذا دخلوا المسجد كأنهم دخلوا إلى سوق فيرفعون الأصوات ويحدثون الضجيج ويؤذون المصلين.

فإذا قاموا إلى الصلاة قاموا قيام من يريد التخلص من حِمل ثقيل على ظهره، ولسان حالهم: أرحنا منها يا إمام!

فإذا شرعوا في التكبير فتحوا مشاريع الدنيا ومشاغلها فلم يخشعوا ولا ذاقوا طعم الصلاة، فإذا سلم الإمام استيقظوا من سكرة الانشغال بتلك الأعمال الذهنية التي ربما لم تفتح أبوابها إلا في الصلاة. فخرجوا بعد ذلك إلى ميدان الحياة بلا أثر للصلاة على أعمالهم وتصرفاتهم مع أنفسهم ومع الناس.

فأي صلاة هذه؟!

فإذن لا مساواة بين الفريقين في الثمرة والأثر؛ حينما لم تكن هناك مساواة في العمل للصلاة.

فاتقوا الله-يا عباد الله- في صلاتكم أقيموها وصلوها كما صلاها رسول الله مما وصف لنا في الأحاديث؛ فللصلاة الكاملة فضل على أهلها في الدنيا والآخرة.

فهي سبب لتكفير السيئات ورفع الدرجات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر) ([[847]](#footnote-847)).

وعن ثوبان قال: قلت لرسول الله عليه وسلم: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، فقال: ( عليك بكثرة السجود؛ فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط بها عنك خطيئة) ([[848]](#footnote-848)).

وهي نور لصاحبها وحجة له يوم القيامة وسبب لدخوله الجنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والصلاة نور) ([[849]](#footnote-849)). وقال: (من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف ) ([[850]](#footnote-850)).

نسأل الله أن يوفقنا للصلاة المقبولة التي تنفعنا في الدنيا والآخرة.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن فضل الله تعالى يمتد على المصلين الصلاة المقبولة في الدنيا والآخرة كما سمعتم، ومن فضل الله تعالى أيضاً أن هناك من الصلوات الخمس ما تفضل بقيتها في القدر والمنزلة والثواب والأجر؛ لأن بها يُعرف المجد من غيره، والمؤمن من المنافق، والحريص ممن سواه. هذه الصلاة هي صلاة الفجر في المساجد.

فقد سمى الله تعالى صلاة الفجر قرآناً؛ لكثرة القراءة فيها، وجعلها ظرفاً يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

قال تعالى: { أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا }[الإسراء:78].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:( يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر) ([[851]](#footnote-851)).

وقال: (إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا) ([[852]](#footnote-852)).

هذه الصلاة الفاضلة يستعد لها المسلم الحريص من الليل؛ خشية أن يفوته وقتها ومكانها الفاضلان، فهو لا يطيل السهر بعد العشاء، وإذا سهر أو كان ثقيل النوم جعل له ما ينبهه لها.

والسابق للخيرات لا يكتفي بالاستيقاظ عند حضور وقت هذه الصلاة، بل يستيقظ قبلها ليصلي ما كتب له ويناجي ربه في تلك اللحظات الغالية التي لا يدركها إلا الموفقون من عباد الرحمن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياما. فيستعين بذلك القيام على قيامه بين يدي رب العالمين يوم القيامة، وبمسيره في تلك الدلجة على مسيره في سفره إلى الله تعالى، وبذلك الانتصار على النفس والهوى على الانتصار على قواطع الطريق عن الله في سائر مجالات الحياة.

فإذا سمع الأذان كان من السابقين وأصحاب الصف الأول. ومشى في الظلم ليدرك النور التام يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)([[853]](#footnote-853)).

وينطلق إلى المسجد ليدرك فضل هذه الصلاة خصوصاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من صلى البردين دخل الجنة) ([[854]](#footnote-854)). والبردان الفجر والعصر.

وقال: ( من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله) ([[855]](#footnote-855))

وقال: (من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء) ([[856]](#footnote-856)). يعني: في حفظه ورعايته.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

# خذوا حذركم ([[857]](#footnote-857))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، تقول العرب في أمثالها وأسجاعها: "كن حذراً كالقِرلى، إن رأى خيراً تدلى، وإن رأى شراً تولى". والقرلى طائر من طيور الماء صغير الحجم سريع الخطف، يرفرف على وجه الماء بإحدى عينيه إلى الماء والأخرى إلى الجو؛ خوفاً من طائر جارح يصيده، فإذا بصر سمكة يستطيع الإمساك بها انقض عليها كالسهم، فإن رأى جارحاً يريد شراً به مر ّ في الأرض وذهب.

وحاله في الحذر كحال الذئب، فإنه إذا أراد أن ينام راوح بين عينيه، فيطبق واحدة ويفتح الأخرى، فإذا كلّت أطبقها وفتح الأخرى، يقول أحد الشعراء في وصف حاله هذه:

إذا خاف جوراً من عدوّ رمت به... قصائبه والجانب المتواسع

وإن بات وحشاً ليلة لم يضق بها... ذراعاً ولم يصبح لها وهو خاشع

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي... بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

أيها المسلمون، إن الحياة مدرسة للعقلاء يستلهمون منها عظات وعبراً تنير دروب الحياة، فمن لم يستفد في حياته لم يستفد بعد مماته. والحكمة ضالة المؤمن يختطفها من أي جهة خرجت.

إن من مبادئ العيش في هذه الحياة: الأخذ بالحذر والحيطة، وركوب مطية اليقظة والترجل عن صهوات الغفلة. فمن هجر التأهب والاستعداد للمخاوف جاءته المكاره من كل جانب إلا أن يشاء الله.

فإن قال قائل: إن الحذر لا ينجي من القدر قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ }[البقرة243].

قيل له: إن الله أمرنا بفعل الأسباب، وأخذ الحذر من فعل الأسباب، فإذا جاء قدر الله فهو فوق الأسباب.

إن من نظر في القرآن الكريم سيجد أن الله تعالى أمرنا بأخذ الحذر والحيطة من عدة أشياء، فقد حذرنا تعالى من عقابه فقال: { وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ }[آل عمران28].

وحذرنا من مخالفة أمره وارتكاب زجره، فقال: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[النور63].والمؤمن حينما يسمع هذا التحذير الشديد يسوقه ذلك إلى باب ربه ليتقرب إليه بالصالحات، قال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }[الزمر9].

وحذرنا الله تعالى من أعداء ديننا فأمرنا فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً }[النساء71].

أيها الأحبة، إن المتأمل في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد أن رسول الله قد أخذ بالحذر في أحوال متعددة:

ففي بداية الإسلام لم يكن من المناسب إظهار الإسلام وإعلان شعائره بين الملاء في مكة، فكان رسول الله وكبار أصحابه يعرضون الإسلام على من يلتمسون فيه الخير في الخفاء، وكان عليه الصلاة والسلام يجتمع مع أصحابه لأداء الصلاة وإسماعهم القرآن خارج مكة، واستمر على ذلك ثلاث سنوات. ثم هاجر من مكة ليلاً وكمن في غار ثور ثلاثاً حتى ينقطع الطلب، فلما وصل المدينة-وكان يعرف خبث اليهود ومكرهم- أقام المعاهدات مع اليهود حتى يأمن جانبهم. وكان عليه الصلاة والسلام يعرف تربص قريش به فكان أول ما وصل المدينة لا يبيت إلا محروساً. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه و سلم سهر فلما قدم المدينة قال: ( ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة ). إذ سمعنا صوت سلاح فقال: ( من هذا؟ ). فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك ونام النبي صلى الله عليه و سلم) ([[858]](#footnote-858)).

وفي السير عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلاً حتى نزل: { وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } [ المائدة: 67 ]، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال: ( يا أيها الناس، انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل ).

ومن حذره عليه الصلاة والسلام: أنه كان إذا أراد غزوة ورّى بغيرها؛ حذراً من كيد الأعداء أن يعرفوا وجهته فيكمنوا له فيعيقوه.

ولما سمته اليهودية في خيبر في الشاة المصلية كان بعد ذلك لا يقبل من أحد يشك فيه إذا أهدى له طعاماً حتى يأكل منه صاحبه.

عباد الله، ومن حذره صلى الله عليه وسلم أنه حذر أمته أشياء؛ لعلها تسلم شرها، ومن ذلك:

التحذير من المنافقين، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم باللسان) ([[859]](#footnote-859)).

وقد قال الله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ }[المنافقون4].

يعطيك من طرف اللسان حلاوة... ويروغ منك كما يروغ الثعلب!

وحذر عليه الصلاة والسلام أمته من أصحاب الشبهات والبدع، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الآية {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ }[آل عمران7].. قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ) ([[860]](#footnote-860)).

وحذر أمته الدجال فقال: (إني لأنذركموه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه) ([[861]](#footnote-861)).

وهناك أشياء أخرى كثيرة حذر منها عليه الصلاة والسلام.

أيها المسلمون، إن الواقع الذي نعيشه يوجب على الإنسان أن يكون حذراً كامل اليقظة على دينه وعلى نفسه وأهله وأولاده وعلى إخوانه المسلمين.

ففي هذه الظروف على الإنسان أن يحذر أن يتكلم بكلمة باطل، أو كلمة لا تعود عليه بالنفع في دنياه أو في أخراه. فرب كلمة أوقعت صاحبها في مهلكة وكان في سلامة لو سكت عنها. ويحذر كذلك -في ظل هذه الأزمات- التشاؤم والقنوط من رحمة الله وفرجه، فالشدة ما تعظم إلا لتنفرج.

وعلى المسلم أيضاً أن يحذر أذية إخوانه المسلمين بقوله أو بفعله، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً }[الأحزاب58].

حتى الرائحة الكريهة التي يتأذى بها المسلم من أخيه المسلم نهى عنها الإسلام؛ ليبين أهمية الحفاظ على المسلم من الأذى مهما قل؛ لذلك نهي المسلمُ أن يدخل المسجد وفي فمه رائحة كراث أو فجل أو بصل، ومثله-في عصرنا –الدخان بل هو أشد، قال النبي صلى الله عليه و سلم: (من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم) ([[862]](#footnote-862)).

ومن حرص الإسلام على إبعاد الأذى عن المسلمين ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: (مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة) ([[863]](#footnote-863)).

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: "ليكن حظ المسلم منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تحزنه، وإن لم تمدحه فلا تذمه".

وقال رجل ناصحاً عمر بن عبد العزيز رحمه الله: " اجعل كبير المسلمين عندك أباً، وصغيرهم ابناً، وأوسطهم أخاً، فأي أولئك تحب أن تسيء إليه؟!".

ومن خير الأمثلة على حرص الراعي في إبعاد الأذى عن رعيته: أن معاوية رضي الله عنه رغّب عمر رضي الله عنه في ركوب البحر لغزو الروم- وعمر لم يركب بحراً من قبل- فأرسل إلى عمرو بن العاص رضي الله كتاباً قال له: "صف لي البحر وراكبه؛ فإن نفسي تنازعني إليه، فكتب إليه عمرو: إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، إن ركن خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق، فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية: لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبدا، وتالله لمسلمٌ أحب إليّ مما حوت الروم، فإياك أن تعرض لي".

أيها المسلمون، وكما يحذر المسلم على دينه ونفسه وأهله وأولاده وعلى المسلمين، عليه أيضاً أن يحذر على بلاده التي باستقرارها استقراره، وباضطرابها اضطرابه، فلا يسعى في تخريب بيته ومستقره إلا من في عقله شيء، كمجنونة قريش التي كانت كلما غزلت شيئاً نقضته بعد إبرامه وإتمامه، قال تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً }[النحل92]. فيحذر الفوضى وترويع الآمنين وتخريب المصالح العامة والخاصة؛ فإن الله لا يصلح عمل المفسدين.

وعلى العقلاء الكبار في هذه البلاد أن يحذروا أن توصلهم اختلافاتهم الحزبية والمصلحية والسياسية إلى صراعات مسلحة تأتي على الحرث والنسل، فليفكروا بالعواقب الوخيمة لذلك، وليفكر كل واحد منهم أيضاً أنه سيقف بين يدي ربه فيسأله عن عمله ولا ينفعه هناك حزبه أو جماعته أو قائده أو من يفسد من أجله.

فلتجتمع الجهود لتوحيد الصف ورأب الصدع والوقوف في وجه العدو المشترك، ومعالجة الأمور بروية وحكمة؛ حرصاً على جمع الكلمة وتوحيد الناس، وتفويتاً لأماني المخربين والمفسدين. كما قال ذلك الأب الناصح لأولاده:

كونوا جميعاً يا بَنيَّ إذا اعترى... خَطْب ولا تتناثروا أفرادا

تأبى العصي إذا اجتمعن تكسرا... وإذا افترقن تكسرت آحادا

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على سيد البشرية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، لقد فاز بالظفر من أخذ بالحذر، فحصلت له الرغائب وأمن من المعاطب بقدر الله تعالى.

وسيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام مليئة بصور النتائج الطيبة لحذر رسول الله عليه الصلاة والسلام.

أما الغافلون عن الحذر فإنهم يجنون الخيبة والندامة، وما ينفع النادم ندمه بعد الفوات.

حكي أن أعرابياً أخذ جرو ذئب فرباه بلبن شاة عنده، فقال: إذا ربيته مع الشاء أنس بها فيذب عنها ويكون أشد من الكلب، ولا يعرف طبع أجناسه، فلما قوي وثب على شاته فافترسها، فقال الأعرابي:

بقرتَ شويهتي وفجعت قومي... وأنت لشاتنا إبن ربيب

غُذِيت بدّرها ونشأت معْها... فمن أنباك أن أباك ذيب

إذا كان الطباع طباع سوء... فلا أدب يفيد ولا أديب

عباد الله، إن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان ذا حذر شديد وفراسة صادقة، ومن ذلك: أنه كان يمنع الموالي البالغين من دخول المدينة حتى تسلم دار الهجرة من خبثهم، ولكن كتب له المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن لديه غلاماً مجوسياً عنده قدرة على عدة صناعات يمكن أن ينتفع به المسلمون في المدينة، فأذن له أن يرسله إلى المدينة-وكأنه قدر سيق له بعد الحذر الشديد- فلم يلبث الخبيث المجوسي أن ظهر عليه الحقد الفارسي، فقال لعمر يوماً: لأصنعن لك رحى يُتحدث بها، فقال عمر الملهم: أوعدني العبد آنفاً، ومرت الأيام وجاء يومه الذي استعد له بعد أن هيأ خنجراً ذا رأسين، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في صلاة الفجر، فلما شرع عمر في الصلاة طعنه أبو لؤلؤة عدة طعنات وطعن معه عند فراره اثني عشر مصلياً مات منهم ستة، ثم طعن نفسه. فتبين حينئذ أن حذر عمر رضي الله عنه كان في محله.

عباد الله، أخيراً أقول: لابد حين الأخذ بالحذر أن لا يوصل ذلك صاحبه إلى الوسوسة وسوء الظنون، فالمسلم يُحمل على السلامة ما لم يتبين منه شيء يُخاف.

وأن لا يوصله كذلك إلى ارتكاب شيء محرم أو التقصير في واجب؛ حرصاً على الحذر. وأن لا يوصله أيضاً إلى قطع الصلات التي أمر الإسلام بها بين المسلمين إلا عند التحقق من المفسدة الراجحة التي توصل إلى الضرر يقيناً.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية...

# ذم الكذب ([[864]](#footnote-864))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا ه[[865]](#footnote-865)ادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن الصورة المشرقة لأي مجتمع من مجتمعات البشرية هي سمو أخلاقه، واستقامة سلوكه، وإن البشرية منذ نشأتها لم تزل متعارفة على تعظيم محاسن الخلق ومحبة أهلها، وتحقير مساوئ الأخلاق وذم أصحابها. وإن الأنبياء والحكماء والعقلاء والمصلحين في كل أمة لم يقصروا في إرساء أبنية الخلق القويم وهدم أكواخ الخلق الأثيم. والإنسان مدني بطبعه اجتماعي بفطرته، لا يأنس إلا بالعيش مع الآخرين، وبهذا الاجتماع والحياة المشتركة يحصل الابتلاء، وتظهر معادن الرجال في امتثال محاسن الأخلاق في الأقوال والأفعال.

عباد الله، إنه لم يتفق الأنام على اختلاف أديانهم وبيئاتهم كاتفاقهم على ذم الكذب ومدح الصدق، ففي كل زمان يُرى الكذب خلقاً مبتذلاً، والاتصاف به سمة دنيئة لا تليق بالإنسان العاقل.

لقد كان العرب في جاهليتهم يأنف الرجل منهم أن يقال عنه: كذاب. وقال أبو سفيان رضي الله عنه-قبل إسلامه في قصة دخوله على هرقل-: (فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه) ([[866]](#footnote-866)).

عباد الله، إن خلق الكذب بوابة لمساوئ الأخلاق، وجسر إلى رذائل الأعمال وتغيير الفطر المستقيمة، وانحراف العادات القويمة، قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ) ([[867]](#footnote-867)).

هذا الخلق الدنيء قد ينشأ عن المعتقدات المنحرفة، فمن كان اعتقاده مبنياً على الكذب ويعده قربة يتقرب بها إلى الله تعالى فلا يبالي بالتحلي بالكذب ومعرفة ذلك عنه وشهرته به.

أو ينشأ عن الأفكار المائلة، فمن كان فكره منحرفاً يحاول إقناع الناس بما عنده بما يستطيع من الوسائل، ولن يسلم من ركوب مطية الكذب حتى يصل إلى هدفه.

أو ينشأ عن النفوس التي مردت على الخلق السيء. فمن كانت نفسه معتادة على الأخلاق السيئة والبعد عن الاستقامة والهدى فإنه لن ينأ عن سلوك طريق الكذب حتى يحقق لنفسه المصالح ويدفع عنها المضار.

أيها الأحبة الكرام، إن للتربية والنشأة الأولى للإنسان أثرها في هذا الخلق، فمن نشأ على حب الصدق وبغض الكذب قل أن يكون كذاباً في كبره، ومن تربى على سماع الكذب ومحبته وممارسته قل أن يكون صادقاً عندما يكبر؛ ولذلك قال لقمان لابنه: "يا بني، احذر الكذب؛ فإنه شهى كلحم العصفور، من أكل شيئاً منه لم يصبر عنه". وقال بعض الحكماء: " من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه".

ولأجل هذا كان من الأهمية الكبيرة تربية الأطفال على ملازمة الصدق وتجنب الكذب، وذلك بتعود الوالدين على الصدق أمام الأطفال وبعدهم عن الكذب، وتعويدهم على هذه الحال.

وعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: (دعتني أمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة) ([[868]](#footnote-868)).

عباد الله، إن خلق الكذب يورث فساد الدين والدنيا، ويدمر صاحبه ويهلك المجتمع الذي يعيش فيه.

فالكذب يذهب المروءة والبهاء، ويغرس لصاحبه الصغار والازدراء، ويذهب قيمة الإنسان من بين الناس، ويجعله مهاناً ذليلاً مفضوحاً بكذبه في الدنيا والآخرة، وعند الله وعند خلقه، ويكفيه ذماً أن النفاق صورة من صوره، وأن أهله ممن تنالهم لعنة الله تعالى.

يقول تعالى عن المنافقين: {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ }[البقرة10].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:( آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر) ([[869]](#footnote-869)).

وقال تعالى: {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ }[آل عمران61].

أيها المسلمون، إن الكذب ليس في مرتبة واحدة في الذم، بل على مراتب، فالكذب على الله بأنه أمر بكذا ولم يأمر، أو نهى عن كذا ولم ينه، أو أباح كذا ولم يبح فهذا أشنع الكذب وأشده.

قال تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ }[النحل116].

وقال: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[الأعراف32].

والكذب على رسول الله ليس كالكذب على أحد من الناس، كأن يقال: إنه قال كذا ولم يقل، أو فعل كذا ولم يفعل، أو شرع كذا ولم يشرع.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) ([[870]](#footnote-870)).

فليحذر المسلم أن يتقول على الله تعالى أو على رسوله صلى الله عليه وسلم أو على دين الإسلام ما لم يكن كذلك.

قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }[الأنعام21].

ومن الكذب الشنيع كذب العالم وكذب الحاكم، فكذب العالم ليس ككذب الجاهل؛ لأن العالم له علم ودراية تحول بينه وبين الكذب، وهو محل قدوة بين الناس فكذبه شنيع، وكذب الحاكم أو الراعي ليس ككذب الرعية؛ لأنه أسوة لرعيته، ولأنه لا يحتاج إلى الكذب حتى يرتكبه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر) ([[871]](#footnote-871)).

عباد الله، إن الكذب في الأصل يولد في القلب، ثم يظهر على اللسان وينتقل بعد ذلك في الجوارح. حتى ينتج كذب الأقوال وكذب الأفعال، وعلى هذا فليس الكذب مقصوراً على قول اللسان فحسب. فأهل النفاق والرياء كذابون في أفعالهم وعباداتهم؛ لأن ظاهرها العمل لله، وباطنها العمل للخلق. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل- إذا جزى الناس بأعمالهم-:اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء) ([[872]](#footnote-872)).

معشر المسلمين، من صور الكذب المشاهدة: نقض العهود وإخلاف الوعود؛ لأن الإنسان الصادق إذا عاهد وفّى وإذا وعد أنجز ما وعد، إلا أن يحول بينه وبين ذلك حائل خارج عن إرادته. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ }[المائدة1].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) ([[873]](#footnote-873)).

ومن صور الكذب: شهادة الزور، وهي قلب الحقائق رغبة في مطلوب أو رهبة من مخوف، خاصة في المنازعات.

قال تعالى: { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ }[الحج30].

ومن صور الكذب: الكذب في الشهادات، وإعطاؤها لمن لا يستحقها، وهذه خيانة عظيمة للدين ولدنيا الناس، فكم سيفسد صاحب الشهادة المزورة في المجتمع، فكم من مريض مات لأن معالجه لم يكن طبيباً متخصصاً في مرضه، أو لكونه غير طبيب ابتداء.

ومن صور الكذب: الظهور بمظاهر العلماء والتحدث باسمهم ممن ليس عالماً حقاً؛ ولذلك لا تستغربوا من بعض الفتاوى العجيبة الغريبة التي قد تحل الحرام، أو تحرم الحلال.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور) ([[874]](#footnote-874)).

ومن صور الكذب: إقامة الحفلات والمسرحيات التي مبناها على الكذب والغرض منها إضحاك الناس والترويح على الجمهور كما يقولون.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له) ([[875]](#footnote-875)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) ([[876]](#footnote-876)).

أيها المسلمون، لقد كان الكذب في الأزمنة السابقة لعصرنا شيئاً مقبوحاً وأمراً مشيناً، أما في عصرنا فقد لبس الكذب لبوس الصدق وغدا حقاً بعدما كان باطلاً، ومعروفاً بعد ما كان منكراً، وذكاء ومروءة وكياسة بعدما كان غباء ولؤماً ودناءة، وحسن تصرف وفقهاً بالواقع ودبلوماسية وحصافة بعدما كان جهلاً وحمقاً وسخافة، حتى لقد أضحى أهله يشار إليهم بالبنان، وتعلق عليهم نياشين التكريم وأوسمة التقدير، فسبحان الله! . هذا الذي جرى من انقلاب الموازين التي تحدث عنها نبينا عليه الصلاة والسلام في قوله: (سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه في أمر العامة) ([[877]](#footnote-877)).

فمن تابع السياسة وحبائلها اليوم يجد أن الكذب لون أصيل من ألوانها، وقلما يصبح المرء سياساً لامعاً إذا لم يرقَ على سلم الكذب، إلا من بقي عنده شيء من دين أو خلق حميد.

ومن تابع الإعلام-فحدث عن البحر- سيجد أن الكذب فيه يغزل غزلاً ويصنع صناعة ثم يقدم للجمهور على أنه الحقيقة والصدق وما سواها الباطل والكذب، إلا ما قل، فكم غيرت من مفاهيم صحيحة، وقُلبت من سلوكيات مستقيمة بسبب كذب الإعلام الذي صار دجال العصر بحق. وكذباته تبلغ الآفاق ويشاهدها ويقرأها ويسمعها أعداد لا يعلمها إلا الله.

وإذا انتقل الإنسان بعد ذلك إلى الإدارات الخدمية والمكاتب العامة والخاصة سيجد الكذب سمة بارزة أيضاً؛ لأن الكذب صاراً مسألة متعارفاً عليها، إلا من رحم الله.

وإذا ذهب الإنسان إلى الأسواق سيرى أن الكذب قد أقام فيها وباض وفرخ وخرج من نسله المشؤوم: الغش والتدليس واليمين الغموس، والحيلة والخداع وذهاب البركة ومحق الأرباح.

فنسأل الله أن يصلح الأحوال.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

أيها المسلمون، إن مطابقة القول للعمل، والظاهر للباطن، والخبر للواقع، هي حقيقة الصدق، صدق في الأقوال وصدق في الأفعال وصدق في الأحوال، وصدق في الظاهر وصدق في الباطن، فلا كذب ولا رياء ولا نفاق ولا خداع.

فالصدق بهذا المفهوم العام هو الذي يجب أن يكون عليه المسلم، فالأصل في المسلم الصدق، وأما الكذب فهو خلق طارئ على الفطرة السليمة والعقل المستقيم والخلق الحميد والدين الصحيح.

إن الصادقين-حينما يخالطون الكافرين- يمثلون الوجه المشرق للمسلمين، وأما الكذبة فهم الوجه المشوه الذين أساءوا للمسلمين باتصافهم بهذا الخلق الذميم. وتعجب عندما تجد من أولئك الكافرين من هو أصدق منطقاً من بعض المسلمين.

عباد الله، إن أهل الصدق يعيشون في طمأنينة وراحة، فليس عندهم قلق الكاذبين وخوفهم واضطرابهم، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: ( حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) ([[878]](#footnote-878)).

وأهل الصدق هم أهل الربح وبركة العيش، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدق البيعان وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ربحاً ويمحقا بركة بيعهما، اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب) ([[879]](#footnote-879)).

أيها الأحبة، إن سيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام لتفوح بطيب صدقه مع ربه ومع نفسه ومع أمته، إذ كان هو الصادق المصدوق الذي أثنى عليه بالصدق المفارقُ والموافق.

فهذه السيرة العطرة نبراس هدى للسائرين إلى الله يقتبسون من أنوارها ما يصلون به إلى الله تعالى في أمن ونجاة.

فيا أيها المسلمون، الصدق الصدق في جميع الأقوال والأفعال والأحوال، والحذر من الكذب في الظاهر والباطن؛ فإن الصدق منجاة، والكذب هلكة، فيا سعد من عاش صادقا، ومات صادقا ولقي الله صادقاً.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

# رسالة إلى الظالم والمظلوم ([[880]](#footnote-880))

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قاهر الجبارين ومهلك المعتدين، وناصر المظلومين، ومغيث المستغيثين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، قتلى وجرحى، جوعى ومرضى، مسلوبون ومنهوبون، مقهورون ومشردون، يتامى وأرامل، وبواكٍ وثواكل، هذه آثار ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

إن الظلم والبطش والرهبوت والجبروت أخلاق غضبية تلازم السباع والمفترسات استطاع بعض الناس أن يجعلها كذلك من صفاته المرافقة له.

لقد صار واقع المسلمين اليوم يئن من ظلم الظالمين، ويشكو من فساد المفسدين الذي عكروا صفو الحياة وكدروها، وضيقوها وأرهقوها فأصبحت تشكو التخمة من جورهم، وكثرة شرهم وعدوانهم. لقد أضحى أولئك الظالمون يقتاتون من عرق الفقراء، ويعيشون على دماء الأبرياء، ويسخرون حياتهم لإيذاء الآخرين والإضرار بهم، وتخريب معايشهم وتضييق أرزاقهم، حتى غدوا لا يستلذون بالحياة إلا على رؤية الأشلاء وسيلان الدماء، وسماع توجع المتوجعين وآهات الضعفاء والمساكين، وتزايد مواكب المشردين والمسجونين.

يحبون أن يكون الناس لهم مطايا إلى الرغبات العدوانية والأماني الشيطانية، ولا يريدون العيش الكريم لغيرهم، ولو فرشوا طريقه بالجماجم، وعبروا إليه على جسور المآثم.

ومازال بعض الظالمين في طريقهم مستمرين، ولا يزيدهم مرور الأيام إلا عتواً وازدياداً. لم يرعووا عن غيهم ونصيحة الناصحين واصلة إليهم لعلهم يرجعون ويتوبون. غير أن القوة غرتهم والكراسي صدتهم، والأموال حبستهم عن الرجوع إلى ربهم والأوبة إلى رشدهم، وإمهال الله لهم جعلهم يظنون أنهم على الحق، وتأخر العقوبة أغراهم في الاستمرار. طبعت قلوبهم على الغفلة فلم يعتبروا بأخذ الله الظالمين الأولين منهم والآخرين، الإنسان يستعجل والله من عدله وحلمه يمهل، حتى تحين ساعة العدل، قال تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ } {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام44-45].

فبعد التمادي في الظلم وفوات فرصة الإمهال تأتي العقوبة على حين غرة:

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }[هود102].

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ). قال ثم قرأ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }[هود102] ([[881]](#footnote-881)).

وقال: {فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[العنكبوت40].

وإذا لم يقرؤوا القرآن ولم يسمعوه فليقرأوا الواقع ففيه عبر لمن يعتبر وعظات لمن يتعظ. فكم من عزيز ذل وقوي ضعف، وغني افتقر وصحيح أقعده الألم، فلم تنفعه قواته ولا دفعت عنه أمواله، ولا نفعه حشمه ولا خدمه ولا جنده.

قال تعالى:{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[آل عمران26].

هل يظن ذلك الظالم العاتي أنه سيبقى في جبروته سالما، وأن يد العدل لن تصل إليه بالمؤاخذة، وأن أسباب طغيانه لن تذهب عنه إلى غيره فيصبح عاجزاً ضعيفاً يسترحم فلا يرحم، ويستغيث فلا يغاث ويستنجد فلا ينجد؟!. أفما آن للظالم أن ينزجر ويرشُد؟!.

على ظالم الضعفاء أن يتذكر أن هناك قادراً قوياً سيأخذ حق المظلوم الضعيف منه إن عاجلاً وإن آجلاً.

قال أبو مسعود البدري: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي: ( اعلم أبا مسعود )، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه و سلم فإذا هو يقول: ( اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود ) قال: فألقيت السوط من يدي فقال: ( اعلم أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ) قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبدا) ([[882]](#footnote-882)).

ألا أيها الظَّالمُ المستبدُ \*\* حَبيب الظَّلامِ، عَدوُّ الحياهْ

سَخَرْتَ بأنّاتِ شَعْبٍ ضَعيفٍ \*\* وكفُّكَ مخضوبةُ من دِماهُ

وَسِرْتَ تُشَوِّه سِحْرَ الوجودِ \*\* وتبذرُ شوكَ الأسى في رُباهُ

رُوَيدَكَ ! لا يخدعنْك الربيعُ \*\* وصحوُ الفَضاءِ، وضوءُ الصباحْ

ففي الأفُق الرحب هولُ الظلام \*\* وقصفُ الرُّعودِ، وعَصْفُ الرِّياحْ

حذارِ ! فتحت الأسى والبلا \*\* ومَن يَبْذُرِ الشَّوكَ يَجْنِ الجراحْ

تأملْ ! هنالِكَ أنّى حَصَدْتَ \*\* رؤوسَ الورى، وزهورَ الأمَلْ

ورَوَيَّت بالدَّم قَلْبَ التُّرابِ \*\* وأشْربتَه الدَّمعَ، حتَّى ثَمِلْ

سيجرفُكَ السيلُ، سيلُ الدماء \*\* ويأكلُك العاصفُ المشتعِلْ

أيها المسلمون، إن ظلم الإنسان للإنسان صفة ذميمة، وذنب كبير نهى الله عنه عباده، ونزه نفسه تعالى أن يظلم أحداً من خلقه.

قال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }[الأنبياء47].

وقال النبي صلى الله عليه و سلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ( يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) ([[883]](#footnote-883)). إن على الظالم أن يعلم أن ظلمه وبال على نفسه في الدنيا والآخرة، قال النبي صلى الله عليه و سلم:( وليس شيء أعجل عقاباً من البغي) ( [[884]](#footnote-884)). وقال: (الظلم ظلمات يوم القيامة ) ( [[885]](#footnote-885)). وقال: (من ضرب سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة) ( [[886]](#footnote-886)).

فخف القصاص غدا إذا وفيّت ما... كسبت يداك اليوم بالقسطاس

في موقف ما فيه إلا شاخص... أو مهطع أو مقنع للراس

إن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى... فغداً تؤديها مع الإفلاس

وعلى الظالم أيضاً أن يعي أن الله إذا أنعم عليه بنعمة من جاه أو قوة أو مال فسخر ذلك في ظلم عباد الله فإن ظلمه سيسحت عليه النعم ويجلب له النقم، وتسرع إليه العقوبات. ولن تدوم عليه تلك النعم إلا ببعدها عن الظلم.

إذا كنت في نعمة فارعها ……فإن المعاصي تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد ……فرب العباد سريع النقم

وإياك والظلم مهما استطعت ……فظلم العباد شديد الوخم

وسافر بقلبك بين الورى ……لتبصر آثار من قد ظلم

فتلك مساكنهم بعدهم ……شهود عليهم ولا تتهم

وما كان شيء عليهم أضر ……من الظلم وهو الذي قد قصم

صلوا بالجحيم وفات النعيم ……وكان الذي نالهم كالحلم

فيا من كان ظالماً ارجع إلى ربك قبل حلول العقوبة أو نزول المنية، فمازال باب التوبة مفتوحاً، والحياة باقية، قبل أن ترد الآخرة حاملاً وزر الظلم الثقيل فتخسر خسارة لا يمكن تلافيها. قال تعالى: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً }[طه111].

أيها المسلمون، إن على الناس عموماً وعلى المظلومين خصوصاً أن يوقنوا أن الحياة الدنيا تجري على سنن وقوانين لابد من وقوعها، ومن هذه السنن: سنة الابتلاء والامتحان لصدق الإيمان من كذبه، ابتلاء بالآلام وابتلاء بتسلط الظالمين ومصادرة الحقوق المعصومة.

فمن كان صادق الإيمان صقلته البلايا بصبره عليها فرفعت شأنه فأصبح كالذهب المصفى الذي ذهب زيفه وبقي جيده حينما عرض على لفح النار.

وعليك أيها المظلوم أن لا تظن أن الله تعالى غافلاً عن مظلمتك، أو لن يأخذ حقك ممن ظلمك، فالله تعالى هو الحكم العدل ولا يظلم ربك أحداً، فلا تيأس ولا تحزن فإن الله معك، فكن صابراً على بليتك واثقاً بربك مستبشراً بأن ظالمك لن يهنأ بعيش وفي كاهله أثقال المظالم، بل سيعيش في شقاء وتعاسة، وضيق وسجن نفسي لا يخرج منه حتى يخرج من المظالم ويتوب من المآثم.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً... فالظلم مصدره يفضي إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه... يدعو عليك وعين الله لم تنم

لا شك دعوة مظلوم يحل بها... دار الهوان ودار الذل والنقم

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

ونقول للمظلوم أيضاً لا تحزن أيضاً؛ فإنك إن لم تنل حقك في الدنيا فإنك ستناله في الآخرة أوفر ما كان وأحوج ما تكون إليه، لكن لن تأخذه عرضاً من أعراض الدنيا كما كان، بل سيكون من الحسنات والسيئات، إذ تؤخذ من حسنات الظالم-إن كانت له حسنات-فتوضع في ميزان المظلوم، أو تحمل من سيئات المظلوم فتوضع في ميزان الظالم، فلماذا تحزن إذن، ويوم القيامة قد يبحث الإنسان عن الحسنة الواحدة التي قد تكون سبب نجاته.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) ([[887]](#footnote-887)).

وقال عليه الصلاة والسلام: ( من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره، ومن مات وعليه دين فليس ثم دينار ولا درهم ولكنها الحسنات والسيئات([[888]](#footnote-888)).

أيها المظلوم، إن لديك سلاحاً عظيماً تستطيع به-إن شاء الله- رد المظالم وإهلاك الظالم دون أن يحول بينك وبين استخدامه أحد، إنه سلاح الدعاء، فأين أنت من الدعاء الخالص الصادق؟ فأبشر فإن لك عند الله باباً مفتوحاً.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) ([[889]](#footnote-889)).

وقال: (اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تحمل على الغمام يقول الله جل جلاله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) ([[890]](#footnote-890)).

وقال: (اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة) ([[891]](#footnote-891)).

توق دعا المظلوم إن دعاءه... ليرفع فوق السحب ثم يجاب

توق دعا من ليس بين دعائه... وبين إله العالمين حجاب

ثم صلوا على المبعوث رحمة للعالمين...

# سحائب الرحمة ([[892]](#footnote-892))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم إن لم نكن أهلاً أن تبلغنا رحمتك فإن رحمتك أهلٌ أن تبلغنا، رحمتك وسعت كل شيء، وإنا شيء فلتسعنا رحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم، وعملوا في الذي خلقتهم له، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم، فوفقنا كما وفقتهم، وارحمنا كما رحمتهم، وأنت أرحم الراحمين.

أيها المسلمون، يقول تعالى في كتابه العزيز: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[الأعراف:180].

إن لله تعالى أسماء حسنى بلغت في الحسن الغاية وصفات عليا وصلت في الكمال النهاية، ومن تلك الأسماء: الرحمن والرحيم، اللذان يتضمنان صفة الرحمة.

فالرحمن اسم عظيم من أسماء الله يدل على المبالغة في الرحمة، وهو اسم خاص به تعالى لا يسمى ولا يوصف به أحد غير الله جل وعلا، ومن خصائصه: أنه لا يثنى ولا يجمع؛ لأنه لا يقبل الاشتراك، ولا يؤنث؛ لانعدام مشاركة له فيه. وهو اسم كريم يدل على الرحمة الشاملةِ خلقَه في الدنيا والآخرة.

وأما اسم الرحيم فهو اسم كريم يدل على رحمته الخاصة بأهل الإيمان، كما قيل؛ لقوله تعالى: { هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا }[الأحزاب:43].

فرحمة الله التي تنال عباده نوعان: نوع يقتضي تسهيل الرزق وإسدال النعم، وظهور آثار العدل، وهذه رحمة عامة يشترك فيها المسلم والكافر، وهي مضمون اسم الرحمن كما قيل.

والنوع الآخر رحمة خاصة تقتضي إيصال الخير ودفع الشر، والتوفيق والتسديد والعون، وهذه رحمة خاصة بأهل الإيمان، وهي مضمون اسم الرحيم.

وبهذين الاسمين جاءت أول آية ذكرت في المصحف الكريم على رأي كثير من العلماء وهي بسم الله الرحمن الرحيم.

عباد الله، إن ربنا تعالى الذي نعبده وحده لا شريك له إله رحيم بخلقه، قال تعالى: { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ }[البقرة:163].

فلرحمته عز وجل استحق أن يعبده خلقه، فبينهم وبين عباده سبب العبودية، وبينه وبينهم سبب الرحمة، كما قال ابن القيم رحمه الله.

عباد الله، لقد وسعت رحمة الله كل شيء: رحم العباد، ورحم الدواب في الدنيا، ورحم عباده في الآخرة، وجعل في قلوب خلقه رحمةً يتراحمون بها فيما بينهم.

قال تعالى: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ }[الأعراف:156].

وقال: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }[الحج:65].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: ( أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ ) فقلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال: ( لله أرحم بعباده من هذه بولدها )([[893]](#footnote-893)).

وقال عليه الصلاة والسلام: (إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات و الأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء و الأرض، فجعل منها في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها و الوحش و الطير بعضها على بعض، و أخر تسعا و تسعين فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة)([[894]](#footnote-894)).

وقال: (جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة و تسعين جزءا، و أنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) ([[895]](#footnote-895)).

وقال: (لو تعلمون قدر رحمة الله عز وجل؛ لاتكلتم وما عملتم من عمل ولو علمتم قدر غضبه ما نفعكم شيء) ([[896]](#footnote-896)).

أيها الأحبة الفضلاء، إن من تأمل هذا الكون سيجد فيه مظاهر تدل على رحمة الله تعالى بخلقه، فإرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم مظهر من مظاهر رحمة الله بالخلق.

قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[الأعراف:52].

وكفاية رزقهم وضمان ذلك لهم مظهر من مظاهر رحمة الله بمخلوقاته.

قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } { مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ } { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ }[الذاريات:56-58].

ومن رزقه: إنزال الغيث الذي يغيث به العباد والبلاد والشجر والدواب، قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[الروم:46].

وقال: { فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[الروم:50].

وقال: { وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ }[الشورى:28].

وقبول توبة العباد وإمهالهم عن نزول العذاب وتعجيل العقاب مظهر آخر من مظاهر رحمة الله، وهذا من أعظم النعم على الخلق.

قال تعالى:{ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[البقرة:37].

وقال: { فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[البقرة:54].

معشر المسلمين، تسخير ما في الأرض لخدمة الإنسان ونفعه مظهر من مظاهر رحمة الله.

قال تعالى: { وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ }

{ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }[النحل:5-7].

وقال تعالى:{ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا }[الإسراء:66].

فيا سيد الكائنات ما في الكون سُخر لك رحمة بك، فهلا رحمت نفسك فآمنت إيماناً صادقاً بمن وهبك هذه النعمة.

الهداية من الضلال والحفظ للمؤمن من تسلط الشياطين عليه بالغواية مظهر آخر، قال تعالى:{ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا }[النساء:113].

وقال: { وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا }[النساء:83].

ومن مظاهر رحمة الله تعالى: تخفيف الشريعة من الآصار والأغلال التي كانت على من قبلنا، فلم يكلفنا ربنا ما يشق علينا ويوصلنا إلى الحرج، فلماذا يكسل بعض الناس عن هذه التكاليف وهي سهلة يسيرة؟!

قال تعالى: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.. }[الحج:78].

أيها الإخوة الأفاضل، ومن المظاهر أيضاً: حصول البلاء للمؤمن؛ فإنه رحمة من رحمات الله، قال ابن القيم رحمه الله: " ومن رحمته: أن نغص عليهم الدنيا وكدرها؛ لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم وابتلاهم ليعافيهم وأماتهم ليحييهم" وقال كذلك: " ومن رحمته بهم: أن حذرهم نفسه؛ لئلا يغتروا به فيعاملوه بما لا تحسن معاملته به، كما قال تعالى: { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ }[آل عمران:30]. قال غير واحد من السلف: "من رأفته بالعباد: حذرهم من نفسه؛ لئلا يغتروا به".

أيها المسلمون، إن على المسلم أن ينظر إلى نفسه بعين الشفقة والرأفة، فيحرص حرصاً شديداً على نيل رحمة الله حتى وهو يعمل العمل الصالح، كما حرص النبيان الكريمان: إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام،

قال تعالى:{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }{ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[البقرة:127-128].

وعلينا أن نبحث عن سحائب الرحمة لتعمنا رحمة الله بالاستظلال في ظلها، فالتزام طاعة الله تعالى والمسارعة إلى مراضيه والابتعاد عن مساخطه سبب للرحمة.

قال تعالى: {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ }[الأعراف:156].

وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع سنته وعدم الابتداع في شريعته سبب آخر للرحمة.

قال تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[آل عمران:31].

وقال: { وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[النور:56].

وصلاة الليل وإيقاظ الأهل لها سبب أيضاً لنيل رحمة الله تعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء) ([[897]](#footnote-897)).

والدعاء بحصول الرحمة من الأسباب كذلك، قال تعالى: {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ }[آل عمران:8].

وأسباب نيل العبد رحمة الله تعالى كثيرة يجمعها الافتقار بين يدي الله والانقياد لشرعه والتسليم لأمره.

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرحمنا رحمة تغنينا عن رحمة من سواه، يصلح لنا بها الدنيا والآخرة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الحديث عن الرحمة في مثل هذه الظروف العصية له أهميته، فما حل من المصيبات لا يرفعه إلا رحمة الرحيم الرحمن بسلوك دروب نيل رحمة الله تعالى.

ثم بإحياء خلق التراحم فيما بيننا، فليرحم راعينا مرعينا، وقوينا ضعيفنا، وقادرنا عاجزنا، وغنينا فقيرنا.

فإقامة العدل بين الرعية والحكم بالشريعة المحمدية، والإحسان إلى الضعفاء والمساكين، ونجدة المحتاجين والملهوفين، ونصرة المظلومين والتعاون على البر والتقوى مفاتيح لرحمة الله تعالى.

وهذا من صفات الذين آمنوا وعملوا الصالحات أصحاب اليمين. قال تعالى: { فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ } { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ } { فَكُّ رَقَبَةٍ }{ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ }{يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ }{ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ }{ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }{ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ }[البلد:11-18].

إن التراحم-معشر الفضلاء- جعل المؤمنين كالجسد الواحد، وبذلك يكمل إيمانهم، وتقضى حوائجهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)([[898]](#footnote-898)).

وقال عليه الصلاة والسلام: (لن تؤمنوا حتى تراحموا) قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم! قال: ( إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة) ([[899]](#footnote-899)).

عباد الله، إن المجتمع المسلم إذا انتشر التراحم بين أفراده عاش حياة سعيدة مطمئنة، قويه وضعيفه، وغنيه وفقيره وحاكمه ومحكومه، حتى لا تجد الأحقاد والكوارث والحاجة مكاناً لها في هذا الجو الذي يتنفس التراحم فيبث عطر المحبة والتآلف والتعاطف والتواد.

فعند ذلك تهطل سحائب رحمة الله عليه بالخير العميم؛ جزاء وفاقا، وثواباً عاجلاً لأهل الرحمة، فمن رحِم رُحم، ومن أحسن أحسن الله إليه، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ([[900]](#footnote-900)).

ولا تقتصر رحمة الإنسان على رحمة إنسان مثله،، بل الرحمة بالحيوان أيضاً سبب لرحمة الله، فعن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، إني لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال: (و الشاة إن رحمتها رحمك الله) ([[901]](#footnote-901)).

أيها المسلمون، لكن إذا ذهب التراحم وحل بدلاً عنه التشاحن والضغينة والشح والجور والقطيعة، فهذه نذر شقاء ومفاتيح بلاء، وحجب كثيفة تمنع نزول رحمة الله على من هذه صفاتهم وأعمالهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تنزع الرحمة إلا من شقي) ([[902]](#footnote-902)).

وقال عليه الصلاة والسلام: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله) ([[903]](#footnote-903)).

نسأل الله أن يجعلنا من الرحماء، وأن لا يجعلنا من الأشقياء.

هذا وصلوا وسلموا الرؤوف الرحيم بالمؤمنين...

# صفات عباد الرحمن ([[904]](#footnote-904))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: {عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً{63} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً{64} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً{65} إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً{66} وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً{67} وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً{68} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً{69} إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً{70} وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً{71} وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً{72} وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً{73} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً{74} أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً{75} خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً{76} قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً{77}[ الفرقان 63-77].

أيها المسلمون، في هذه الآيات الكريمات تتجلى صفات عباد الرحمن وأخلاقهم الحميدة مع الله ومع عباده أنواراً تهدي إلى صلاح الدنيا والآخرة.

إنها أعمال صالحة وسلوكيات فاضلة تبني مجتمعاً يرفرف فيه الأمن والطهر والعدل والاستقامة.

إن هؤلاء المتصفين بهذه الصفات ليسوا عباداً لأحد، إنما هم عباد لله وحده، لا يعبدون سواه ولا يقدمون طاعة أحد على طاعته.

وبهذه النسبة: عباد الرحمن صاروا أعزة مرفوعي الرؤوس لا يحنونها لغير خالقها جل وعلا.

فمن صفاتهم الحسنة: التواضع، وخفض الجناح للمؤمنين، فليسوا متكبرين ولا متجبرين، ولا متعالين ولا مغرورين. أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين. لم يزدهم تواضعهم إلا رفعة وسمواً؛ ليكون ذلك ثواباً عاجلاً من عند الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تواضع لله رفعه الله)([[905]](#footnote-905)).

لقد عُرف التواضع خلقاً راسخاً من أخلاق رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي قال له ربه تعالى: {لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }[الحجر88]. ومن تتبع سيرته عليه الصلاة والسلام وجد مصداق ذلك.

فعن أنس رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة، فقال لها: ( يا أم فلان، اجلسي في أي نواحي السكك شئت حتى أجلس إليك) ([[906]](#footnote-906)).

وعنه رضي الله عنه قال: (كان رسول الله يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب) ([[907]](#footnote-907)).

وعنه رضي الله عنه قال: (لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله، قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لما يعلمون من كراهته لذلك) ([[908]](#footnote-908)).

قيل لعائشة رضي الله عنها: ماذا كان يعمل رسول الله في بيته؟ قالت: ( كان بشرا من البشر: يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه) ([[909]](#footnote-909)).

ففي التواضع قال تعالى في هذه الآيات: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً... {63}.

عباد الله، ومن صفات عباد الرحمن: أنهم أهل عفو وصفح، فإذا آذاهم السفهاء بالقول أجابوهم بالمعروف، وخاطبوهم خطاباً لطيفاً يسلمون فيه من الإثم ومن مقابلة الجاهل بجهله.

وهذا الخلق الكريم- خلق العفو- خلق عظيم يجمع الكلمة ويوحد الصف ويؤلف القلوب ويحبب أهله إلى الناس، وهو من صفات المتقين التي ينالون بها الجنة.

قال تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[آل عمران133-134].

فأين العمل بهذا الخلق الكريم في الخلافات التي نعيشها اليوم؟

إنه بسبب بُعد النفوس عنه حصلت آثار مدمرة على العباد والبلاد، فأين هم عباد الرحمن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما؟

إن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم نماذج ناصعة من عفوه وصفحه وحلمه عمن جهل عليه. لم يكن ينتصر لنفسه، ويقتص لها، إنما كان ينتصر لله، فقد عفا عمن آذاه من المشركين ومن اليهود ومن المنافقين ومن الأعراب.

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي[يعني في الظاهر] فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجلسنا ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ( يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال كذا وكذا) قال سعد بن عبادة: يا رسول الله، اعف عنه واصفح عنه فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله عز وجل:{ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا...))[آل عمران:186]. والشواهد على ذلك كثيرة.

وفي هذه الآيات يقول سبحانه: { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً{63}.

أيها الأحبة الفضلاء، ومن صفات عباد الرحمن: أنهم أهل عبادة لله تعالى مثل صلاة الليل، فإنه إذا دخل عليهم الليل فلا يخرج عنهم إلا وقد أخذوا حظهم من القيام والتلاوة الخاشعة والاستغفار الصادق بين يدي ربهم سبحانه وتعالى.

قال عز وجل: {كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ }{ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }[الذاريات:17-18].

هذه الصلاة لها شأن عظيم في إصلاح النفس وتقويم عوجها، وفي كسب الأجور والوصول إلى الآمال الصالحة والنجاة من المكاره والكروب.

وهي عبادة تبرهن عن الإيمان والإخلاص، ويجد صاحبها من اللذة والطمأنينة ما لا يجده في غيرها، فلا غرابة إذن أن تكون أفضل الصلوات بعد الصلوات المكتوبة، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ([[910]](#footnote-910)).

لقد كانت هذه الصلاة دأب رسول الله في ليله، فكان يلازمها ولا يتركها إلا لمرض، وقد قال الله تعالى له: { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ }{ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا }{ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا}{أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل:1-4].

سئلت عائشة رضي الله عنها عن صلاته في رمضان؟ فقالت:( ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً) ([[911]](#footnote-911)).

وفي هذه الآيات في صفات عباد الرحمن يقول تعالى: { وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً{64}.

معشر المسلمين، ومن صفات عباد الرحمن: أنهم-مع اجتهادهم في الإيمان والعمل الصالح- يخافون الله تعالى أن يدخلهم نار جهنم التي يلازم عذابها أهلها. وهذا من صدق عبوديتهم حيث جمعوا بين العمل والخوف.

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ }{ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ }{ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ }{ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ }{ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ }[المؤمنون:57-61].

فهؤلاء الصالحون-نسأل الله أن يجعلنا منهم- يدعون الله فيقولون: {رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً{65}.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الخائفين من رب العالمين مع كونه سيد المرسلين.

فعن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)([[912]](#footnote-912)).

أيها الأفاضل، إن عباد الرحمن أورثهم العمل النافع والعمل الصالح التوسطَ في الأمور والاعتدال فيها فلا إفراط ولا تفريط. ومن ذلك التوسط في الإنفاق فليس لديهم إسراف يضيعون به نعمة المال، وليس من صفاتهم البخل به على المستحقين منه.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً{67}.

لقد عاش رسول الله عليه الصلاة والسلام زاهداً في هذه الدنيا راغباً عنها وكان باستطاعته أن يعيش الحياة الرخية المترفة، لكنه أبى ذلك، فقد ظل في هذه الحياة الزاهدة ملازماً للتوسط في نفقته وإمساكه، فلم يكن بالمسرف الذي يصرف المال في غير وجهه الحق، ولم يكن بالبخيل الذي أمسك حقوق الخلق عليه، بل عاش بالحسنة بين السيئتين عاش بالاعتدال بين الإقتار والإسراف.

عباد الله، ويستمر الخطاب القرآني الرائع فيسرد صفات هؤلاء الصالحين، فبعد أن ذكر فضائل الأعمال التي يقومون بها من تواضع وحلم، وقيام ليل ودعاء، واقتصاد في إنفاق المال، فبعد ذلك كله انتقل الخطاب إلى ذكر مجانبتهم للرذائل الخاصة والعامة.

وابتدأ الحديث بتجنبهم لأعظم الرذائل والذنوب وهو الشرك بالله تعالى. قال تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ...}.

هذه المعصية هي المعصية العظمى والذنب الأكبر والظلم الأعظم؛ لأنه وضعٌ للعبودية في غير موضعها، قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }[لقمان:13]. فعباد الرحمن بعيدون عن الإشراك بالله باطنه وظاهره، قوله وفعله. فالله تعالى وحده هو معبودهم الذي يفردونه بجميع ما يستحقه من أفعاله وأفعال عباده وأسمائه وصفاته.

وبعدُهم هذا عن هذه الخطيئة الكبرى هو سفينة النجاة التي تنجي راكبها من الخلود في جهنم مهما كانت ذنوبه وإن دخلها، وقد تنجيها منه فلا يدخلها أبدا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، و من مات يشرك بالله شيئا دخل النار) ([[913]](#footnote-913)).

لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى توحيد الله تعالى وكان هو سيد الموحدين حتى مات، وحذر من الشرك وكان أشد الناس بعداً عنه عليه الصلاة والسلام.

فعن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله صلى الله عليه و سلم كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) ([[914]](#footnote-914)).

وقال عليه الصلاة والسلام: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك) ([[915]](#footnote-915)).

ثم ثنى الله تعالى ببعد عباد الرحمن عن الاعتداء على المعصومين بالقتل فقال: { وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ }؛ لأن إزهاق الأرواح البريئة جريمة من أشد الجرائم، فعباد الرحمن هم سِلْمٌ للمعصومين لا يعتدون عليهم بقتل أو جرح، فما بعد الشرك بالله تعالى ذنب أعظم من قتل النفس المحرم قتلها وأعلاها نفس المؤمن، قال تعالى: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا }[النساء:93].

وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).

فانتبه أيها المسلم، أن تخرج من هذه الدنيا وفي عنقك دم لمسلم معصوم؛ فإنها لخسارة عظيمة يوم يلقى الإنسان ربه وقد سفك الدماء؛ فإن أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء، كما أخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام([[916]](#footnote-916)).

فاتقوا الله-يا عباد الله- في دماء المسلمين خاصة في هذا الصراع السياسي الدائر على أمر الدنيا الذي لا يدفع عن صاحبه يوم القيامة إذا اعتدى على دماء الناس من أجله.

واسمعوا إلى القدوة المهداة عليه الصلاة ماذا يقول، يقول: ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله ) ([[917]](#footnote-917)).

ويقول: (و إني لأرجو أن ألقى الله و لا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم و لا مال) ([[918]](#footnote-918)).

أيها المسلمون، ومن صفات عباد الرحمن: أنهم لا يعتدون على الأعراض بالفاحشة، بل هم أهل عفة وصيانة وطهارة، حافظون لفروجهم إلا على أزواجهم فحسب. فقال تعالى هنا: { وَلَا يَزْنُونَ...}.

إنهم يجعلون بينهم وبين الفاحشة مفاوز وخنادق من المراقبة والخشية، ومن ترك الوسائل والأسباب المؤدية إليها.

والله جل وعلا يقول: {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا }[الإسراء:32].

إن هذه الفاحشة إذا فشت في مجتمعٍ ما فقد هلك: فحلت فيه الكوارث والعقوبات ونزلت عليه المصائب والنقمات، وسلط الله على أهلها من الأمراض والأوجاع التي يصعب علاجها. فالحذر الحذر قبل الندامات العاجلة والآجلة.

إن رسول الله صلى الله عليه والسلام كان سيد الأعفاء قبل بعثته وبعدها، فلم تشب سيرتَه الحسنة تهمةٌ ومذمّة، فقد كان يأمر بأسباب العفاف ويحذر من مواقع الفاحشة وسبل التدنس بها، قال عليه الصلاة والسلام: ( من استطاع الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء )([[919]](#footnote-919)).

وقال صلى الله عليه و سلم: ( إياكم والدخول على النساء ). فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: ( الحمو الموت ) ([[920]](#footnote-920)).

معشر المسلمين، إن هذه الذنوب الثلاثة هي كبرى الذنوب وأشنعها؛ ولذا انظروا ماذا رتب الله عليها من العقوبة: { وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً{68} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً{69}. إنها عقوبة بملاقاة الإثم الذي يترتب عليه العذاب ومضاعفته والخلود فيه. ولكن الله برحمته وحلمه فتح باب التوبة لمن تاب من هذه الذنوب وغيرها توبة نصوحاً فيتقبل منهم ويهديهم إلى أعمال صالحة تكفر تلك الذنوب السالفة، فقال: { إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً{70} وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً{71}.

فيا من وقاه الله هذه الذنوب احمد الله على حمايته لك، وسله دوام الوقاية، واحذر وساوس الشيطان. ويا من أسرف على نفسه فواقع هذه الموبقات ارجع إلى ربك تجد الله غفوراً رحيماً.

لا تيأسن فباب الله مفتوح... وعفوه للذي قد تاب ممنوح

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن عباد الرحمن قوم يخافون على دينهم وسمعتهم العطرة؛ ولذلك يحترزون عن كل سبب يوصل الضرر على ما يخافون عليه.

قال تعالى هنا: { وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً{72}. ومن مجالس الزور: الجلوس أمام القنوات أو الشاشات بأنواعها التي تخدش الحياء وتدعو إلى الفحش.

فهم لا يجلسون في المجالس التي فيها تعدٍّ على الله أو على رسوله أو على دينه أو فيها ما يخدش الخلق الكريم، فإن مروا بها مروا ناصحين غير مقرين لباطل فيها.

قال تعالى: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }[الأنعام:68].

إن من تتبع سيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام يجد أن مجالسه كانت مجالس خير حتى قبل بعثته، إذ لم يكن يشهد مجالس اللهو والعبث الي كان يشهدها أهل الجاهلية.

هذا معنى لبعدهم عن شهادة الزور مأخوذ من الشهود وهو الحضور، وهناك معنى آخر وهو تفسير شهود الزور بالقول الكاذب المعروف بشهادة الزور.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ). ثلاثا قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: ( الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئا- فقال: (ألا وقول الزور ). قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته يسكت. ([[921]](#footnote-921)).

عباد الله، ومن صفات عباد الرحمن: أنهم إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم فلا يقابلونها بالإعراض عن سماعها والعمل بها، بل يستمعونها ويعونها ويتأثرون بها، فهم أهل استجابة واتباع، حتى تؤثر الموعظة على قلوبهم، ويظهر أثرها في استقامة جوارحهم. وهذه الآيات التي تلوناها في هذه الخطبة في صفات عباد الرحمن ينبغي أن تعيها قلوبنا وتستجيب لها جوارحنا لنكون من عباد الرحمن حقاً. قال تعالى في عباد الرحمن: { وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً{73}.

أما الذين قد طبع على قلوبهم فلا تؤثر فيها الآيات، بل قد تزيدها قسوة إلى قسوتها؛ لأنها لم توافق محلاً قابلاً وأرضاً خصبة تستقبل غيث الهدى.

قال تعالى: { وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } { وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ }[التوبة:124-125].

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد التأثر بآيات الله التي أنزلت عليه، فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: ( اقرأ علي، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا }[النساء:41] قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان([[922]](#footnote-922)).

عباد الله، وبعد أن تحلّى عباد الرحمن بالفضائل وتخلوا عن الرذائل فأدوا حق أنفسهم وذاقوا حلاوة عبادة الرحمن أحبوا أن يكون لهم عون على الاستمرار على هذا الخير العظيم وأن ينالوا ما نالوا فدعوا الله بصلاح أزواجهم وذرياتهم الذين هم أقرب الناس إليهم، ولهم تأثير عليهم وتأثر بهم أيضاً، فإذا ما رأوهم صالحين قرت عيونهم بهم وحصل السرور لهم بهذا السند القريب.

ثم تاقت نفوسهم بعد أن اهتدوا أن يكونوا هداة لغيرهم؛ ليسعدوا غيرهم كما سعدوا، وليكون لهم من الأجر مثل أجور من تبعهم إلى يوم القيامة.

فقال تعالى فيهم:{ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً{74}.

هذا هي أعمالهم الصالحة فما الجزاء الصالح الذي ينتظرهم عليها؟

قال تعالى: { أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً{75} خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً{76}.

فنعم المكافأة التي أعدت والجائزة التي نيلت. نسأل الله أن يجعلنا من عباد الرحمن الذين اتصفوا بهذه الصفات.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

# ضريبة الانهزام ([[923]](#footnote-923))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، إن النفس الشريفة الكريمة ترى العزة كنزها ومالها، وفخرها وجمالها، وعرينها وحماها الذي تحرسه، وعنوانها الذي تحافظ عليه. لم تسق عزتها يوماً إلى سوق الذل والخضوع، ولو بذلت لها الأموال والوظائف وأهديت لها التحف واللطائف. تفضل العيش بعز الفقر على ذل الغنى، وترضى بعزة الخمول والخفوت، ولا ترضى بمناصب الركل إلى الأعلى مع خفض الرؤوس إلى الأدنى.

لا تسقني كأس الحياة بذلة... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

فكنزها غالٍ لا يسرقه الترغيب، ولا يسلبه الترهيب، والموت على أسنة العزة والكرامة خير من الحياة الرغدة في مهود الإذلال والإهانة. قال أبو فراس:

ونحن أناسٌ لا توسّط عندنا... لنا الصّدر دون العالمين أو القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا... ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

أيها المسلمون، إن عزة النفس من أخلاق الناس الكرام النبلاء، ومن صفات المسلمين الصادقين الفضلاء.

فدين الإسلام دين العزة؛ لأنه الحق من عند الله، والأصلح لخلق الله، والأكمل والأتم لجلب المصالح ودرء المفاسد عن معتنقيه الآخذين به. وهو يأمر أهله أن يكونوا أعزة غير أذلاء؛ لأنهم يحملون دين الهدى ومشعل النور الشامل الذي يصلح الدنيا والآخرة.

قال تعالى: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ }[المنافقون8].

عباد الله، إن التمسك بالإسلام عقيدة وشريعة يبث في روح المسلم العزة والفخر، ويشعره بعلو مكانته بين الورى، فيدعوه ذلك إلى إظهار شعائر دينه والعمل بمطالبه في إصلاح الدين والدنيا، ونفع الآخرين وإيصال الخير إليهم.

وإن أوائل هذه الأمة عندما أخذوا الإسلام وجعلوه نبراس حياتهم ومنهاج عيشهم عزوا وارتفعوا، وغلبوا كل كافر وقف في طريق النور الذي ينشرونه في العالم، فسادوا وقادوا، وصلح لهم بذلك الدين والدنيا. وقذف الله في قلوب أعدائهم المهابة منهم.

لقد كان المسلمون في تلك العصور الزاهرة مالكي أمرهم وقرارهم بأيديهم، يحكمون أنفسهم ولا يحكمهم غيرهم، يحلون مشكلاتهم بأنفسهم ولا تخرج قضاياهم ليحكم فيها عدوهم.

لم يصل إليهم مندوب أممي، ولم يطلبوا المنح المالية والمساعدات الدولية والقروض الاستعمارية، ولا انتظروا قرارات الفرج من أعدائهم.

وإنما احترموا الدستور الذي أنزله الله إليهم وطبقوا مواده التي لا تتغير، فصاروا هم الرعاة لا الرعية والقادة لا المقودين.

قال عمر رضي الله عنه: " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله". فتأملوا في هذه الكلمة العمرية النورانية، وقارنوا واقعنا وواقع تلك الفئة المؤمنة التي أعزها الله بامتثال الإسلام عقيدة وعملاً.

عباد الله، لقد بقي المسلمون على سنام العز المنيف فترة من الزمن ببقائهم على الأخذ بالإسلام، فلما دب الوهن والضعف في القلوب، وأقبلت النفوس على الدنيا رغبة فيها وميلاً إليها، نزلت بساحتهم الهزيمة وحلت بينهم النقمة وتكالب عليهم الأعداء من كل حدب وصوب، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون.

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا المآل الذميم وأسبابه، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن، قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت) ([[924]](#footnote-924)).

ففي هذا الحديث الشريف ينبأ رسول الله عن واقع المنتصر وأسباب نصره، وعن واقع المنهزم وأسباب هزيمته.

حيث أخبر عن اجتماع الأمم على أمة الإسلام، فاليوم انظروا كيف تقاطر اليهود والنصارى والهندوس والبوذيون والملحدون على حرب المسلمين حروباً متنوعة منها: العسكرية والفكرية والاقتصادية والإعلامية وغيرها.

فظن بعض الناس أن هذا الاجتماع على الإسلام وأهله بسبب قلة المسلمين، فرد رسول الله ذلك بأن عدد المسلمين في زمن هذا الاجتماع كثير، فكم عدد المسلمين اليوم أيها المسلمون، أليس الإسلام هو الديانة الثانية في العالم في عدد معتنقيه؟ بلى.

ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام استدرك بأن هذا العدد الكثير غير نافع وشبهه بالغثاء الذي لا فائدة فيه. فقد شبههم بهذا لقلة شجاعتهم وضعف نفعهم كيفية بلا نوعية.

ثم بين عليه الصلاة والسلام أسباب الهزيمة فقال: (ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن). إن وجود الخوف الكبير في قلب المحارب من عدوه يعد هزيمة عليه ونصراً كبيراً لعدوه بلا خسائر؛ لأنه يوقف ذلك المحارب عن اعتدائه، وإذا تحرك للاعتداء تحرك بوجل وضعف لا يستطيع معهما الصمود والمواجهة.

إن هيبة المسلمين في قلوب أعدائهم كانت موجودة لما كان الإسلام هو الذي يحكم المسلمين.

وكانت الهيبة موجودة حينما كان المسلمون يعتزون بدينهم. وكانت الهيبة موجودة عندما كان الهم الأعلى للمسلمين هو هم الآخرة.

فلما تغيرت المبادئ السابقة تغيرت الأحوال فصار للكافرين في قلوب المسلمين هيبة كبرى.

لقد لخص رسول الله أسباب الهزيمة بسببين: (حب الدنيا، وكراهية الموت). فحب الدنيا يتمثل في حب طول البقاء على الحياة وعلى الكراسي وعلى الأموال ومتع الدنيا.

وكراهية الموت يتمثل في الرضا بالذل واستمراء الإهانة وتقبل أوامر الكفر بالسمع والطاعة وفي ترك الجهاد في سبيل الله وعد ذلك إرهاباً يجب محاربته، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:(إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) ([[925]](#footnote-925)).

فلما قضت الأمة على نفسها بضعفها جاءها عدوها بعد ذلك ليكمل ما تبقى منها.

يا لَكِ من قُبَّرَةٍ بمَعْمَرِ... خَلاَ لَكِ الجَوُّ فَبِيَضي واصْفِري

ونَقِّري ما شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِي...

أيها المسلمون، إن ضريبة انهزام المسلمين تدفع من دينهم ودنياهم قرناً بعد قرن وعقداً بعد عقد وعاماً بعد عام.

ومن تلك الضرائب: تسليم القيادة لأعداء الأمة، لتسير بها حيث شاءت، كما قال سعد بن معاذ لرسول الله:" فامض بنا لما أردت فنحن معك، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد"!!.

فإلى أين سيذهب الربان الغربي بالأمة؟!

ومن أضحى الغراب له دليلاً... يمر به على جيف الكلاب

عباد الله، إن العقل الغربي عقل يدرس الأحداث من جميع الجوانب وينظر إلى منطلقاتها وأبعادها بكل المقاييس الممكنة، ثم يتخذ القرار الجمعي المدروس بعد تلك الدراسات المكثفة.

ويستفيد من أخطائه حتى يتلافها في المستقبل، ويقرأ الماضي قراءة فاحصة ليستفيد منه في حاضره ومستقبله؛ فلأجل هذا نظر الغرب اليوم إلى أن استعماره السابق للبلاد الإسلامية مُكلِف بشرياً ومادياً وزمنياً، فأراد الآن تغيير تلك الطريقة إلى طريقة أجدى نفعاً وأقل كلفة وأسرع تأثيراً، فما ذا فعلوا حتى يكسبوا المعركة بأقل الخسائر وأكثر الأرباح؟

لقد لجأوا إلى الحرب الناعمة أو الحرب عن بُعد، تحت مشروع الفوضى الخلاقة، وذلك بتفتيت الأوطان من داخلها وإشعال فتيل الاضطراب من بينها، ثم تسليم فتيل الإحراق إلى بعض عملائهم فيها ليتحكم باللهب والإحراق المخطط له. حتى إذا شبت النار وكادت أن تقضي على الأخضر واليابس استنكروا وجاءوا كرجال إطفاء ليفرضوا على المستغيثين السياسة التي يريدونها هم.

وقتلتَه بالغدر ثم أتيته... بين الجموع تشيّع الجثمانا!

أيها المسلمون، إن مما يدعو للحزن في خضم الكارثة أن يبقى في المسلمين من يحسن الظن بالغرب وأنهم حمائم سلام وحراس العالم الأمناء، ويعلق الآمال عليهم، وينتظر منهم الفرج والنجدة كالغزالة الغارقة في الوحل وهي تستغيث فجاءت الضبع لنجدتها!.

ألا تكفينا العبرة تلو العبرة والنكبة تلو النكبة، ومازال الداعي لا ينزع والذاهب لا يرجع أفي كل موطن لا يعقل الناس؟!

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن شكوى المريض من مرضه باستمرار دون أن يسعى في طريق العلاج حمق، وإن رؤية الأطباء للمرضى وترك علاجهم مع قدرتهم على ذلك خيانة.

فإذن ليس من الحكمة أن يبقى المسلمون يشكو بعضهم إلى بعض عمق الجرح واتساعه وخطره دون أن يكون هناك تعاون مشترك على العلاج.

إن ثوب المسلمين المتهري اليوم لا يحتاج إلى جهة واحدة لإصلاحه، بل يحتاج إلى جهود الجميع. يحتاج إلى جهد الحكومات الصادقة، وإلى جهود الشعوب الصالحة، ويحتاج إلى جهد داخلي وجهد خارجي. فأول طريق الشفاء أن يكون عند المسلمين-حكاماً ومحكومين- عزم على الشفاء، وتلقي الدواء ولو كان مراً في أوله لكنه سيعقب الصحة والعافية.

فالحل أن يرضى الجميع بالإسلام عقيدة وشريعة، كما أنزل الله وكما بلغه رسول الله في تسيير جميع شؤون الحياة. فالإسلام صالح لكل زمان ومكان وأمة.

وعلينا جميعاً أن نعلم أن عدونا لن يهابنا ولن يستريح من أذاه لنا إذا كنا أقوياء بديننا أعزاء بشريعتنا. فالعدو لا يحترم المنبطحين، وإنما يحترم الأقوياء القائمين، الذين يستطيعون أن يقولوا له بكل عزة: لا، فلماذا يحب بعض الناس أن يصير ذيلاً مع قدرته على أن يصير رأساً.

وعلى أصحاب القرار في بلاد المسلمين أن يتقوا الله في شعوبهم، وأن لا يبحثوا عن مصالحهم الضيقة بصناعة المشكلات وتغذية الصراعات.

وعليهم كذلك أن تقوم على أيديهم المشروعات الحضارية العملاقة التي تنهض بالشعوب علمياً واقتصادياً في جميع مجالات الحياة حتى تكتفي بنفسها ولا تستجدي غيرها.

فإن هذه المشروعات الكبيرة تستطيع أن تغيّب المشروعات الصغيرة؛ لأن المشروع الصغير من حزبية وعرقية ومناطقية لا يظهر إلا حينما يغيب المشروع الكبير.

أخيراً أن نسعى في حل مشكلاتنا بأنفسنا، وأن لا نجعل الحل يأتينا من الخارج؛ لأن الحل الخارجي لا يمكن أن يصل إلينا إلا بفاتورة وضريبة تدفع من السيادة الإسلامية والسيادة الوطنية.

هذا وصلوا وسلموا على النبي محمد...

# ظاهرة تكفف الناس وسؤالهم ([[926]](#footnote-926))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا خوفَ ولا قلق على الرزق؛ فإنه مقسوم، قد كفله الله تعالى لمن أخرجه إلى هذه الحياة، من الإنس والجن والطير والحيوان وكل ما تدب فيه الحياة.

يقول تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }[هود6]. وقال: {وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[العنكبوت60]. والذي قال هذا ووعد به هو الرزاق الغني العليم، الكريم الرحيم الذي قال في الحديث القدسي: ( يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) ([[927]](#footnote-927)).

فلا يظنن ظان-يا عباد الله- أن رزقه سيأخذه غيره وسيقطعه عنه سواه؛ فإن رزقك-أيها الإنسان- إذا لم تعرفه عرفك. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية؛ فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته) ([[928]](#footnote-928)).

معشر المسلمين، إن ضمان الله رزق عباده لا يعني القعود عن طلب الرزق، بل الإنسان مأمور بالسعي والانتشار والمشي في جوانب الأرض بحثاً عن ذلك الرزق المقسوم، وإنما تقوم الحياة على بذل الأسباب لنيل المسببَات.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }[الملك15]. وقال: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[الجمعة10]. وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده ) ([[929]](#footnote-929)).

أيها المسلمون، إن من المشكلات التي تؤرق العالم اليوم ويئن منها: المشكلة الاقتصادية وتفاقم تمددها يوماً بعد يوم. وقد انتجت هذه المشكلة آثاراً سيئة في المجتمعات، كان من أبرزها: ظاهرة سؤال الناس أموالهم ومد الأيدي إليهم بالسؤال. هذه الظاهرة التي كشرت عن أنيابها، واتسع نطاقها، وتنوعت أساليب أهلها، وصاروا يسيحون في الأرض سيحان السرطان في الأبدان رجالاً ونساء صغاراً وكباراً شيباً وشباناً، في أي مكان يوجدون في الطرقات والشوارع، وفي الحارات ومقرات الأعمال والوظائف وفي المساجد والمدارس، وغير ذلك. وفي أي وقت يشاهدون، يسيرون مع الزمن في جميع ساعاته، فقبل أيام رأيت أطفالاً في على أبواب أحد المطارات الساعة الرابعة قبل الفجر، فأي قلوب أخرجتهم في ذلك الوقت إلى ذلك المكان ولم تخف عليهم؟!

عباد الله، إن هذه الظاهرة لا تدعو الإنسان الذي أنعم الله عليه بالغنى أو الكفاف إلى السخرية بأولئك الناس، بل تدعوه هذه المناظر إلى التألم والشكر لله على ما أنعم عليه، وتدعوه كذلك إلى التفكر في هذه الدنيا التي تتقلب بأهلها ولا تدوم على حال.

فكم من غني افتقر بعد غناه، وكم من فقير اغتنى بعد فقره، وكم من عزيز ذل، وذليل عز. فالعقلاء يعرفون من هذه الدنيا أنه لا ينبغي لذي نعمة أن يأمن فيها، ولا لذي بلية أن يقنط من تغير حاله فيها.

أيها المسلم، إذا أردت أن يحفظ الله عليك نعمته فاشكر الله عليها واصرفها فيما يرضي واهبها. قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }[إبراهيم7].

وداوم على الإحسان منها على الناس ببذل المعروف لهم بالصدقة ونجدة الملهوف ورحمة الضعيف والمسكين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء) ([[930]](#footnote-930)).

وإذا أردت أن يحفظ الله نعمته عليك فلا تحتقر ولا تسخر من الفقراء والمحتاجين، فإذا رأيتهم فاحمد ربك على نعمته عليك؛ لأن الساخر قد يعاقب فيصير كمن سخر منه، قال بعض السلف: "عيرت إنساناً بالفقر فافتقرت بعد أربعين سنة".

أيها المسلمون، إن بعض الناس قد تلم به أزمة أوضائقة مالية أو جائحة تجتاح ماله ولا يجد من يسلفه ويمهله أو يعينه فيعفيه فهذ ا قد أباح له الشارع الرحيم أن يسأل الناس بقدر حاجته فقط، فإذا انقضت حاجته حرم عليه السؤال بعد ذلك.

فعن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسأله فيها فقال: ( أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ). قال: ثم قال: ( يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو قال: سداداً من عيش -، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو قال: سدادا من عيش -، فما سواهن من المسألة يا قبيصة، سحتاً يأكلها صاحبها سحتا) ([[931]](#footnote-931)).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أصل السؤال محرم في المسجد وخارج المسجد، إلا لضرورة، فإن كان به ضرورة وسأل في المسجد ولم يؤذ أحداً بتخطيه رقاب الناس ولا غير تخطيه ولم يكذب فيما يرويه ويذكر من حاله ولم يجهر جهراً يضر الناس مثل أن يسأل والخطيب يخطب أو وهم يسمعون علما يشغلهم به ونحو ذلك جاز، والله أعلم".

وقال الغزالي رحمه الله: "السؤال حرام في الأصل، وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة، فإن كان عنها فهو حرام، وإنما قلنا: إن الأصل فيه التحريم؛ لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة".

عباد الله، إن المشاهد في الواقع يجد أن المسألة لم تعد بقدر الحاجة والكف عند حصولها كما في الحديث السابق، بل قد صارت مهنة عند كثير من الشحاذين والمتكففين، حتى تعودوها وعشقوها وصعب عليهم فراقها ولو اغتنوا. وقد أضحى لديهم طرق متنوعة وجذابة لأخذ أموال الناس بالباطل.

إن أكثر هؤلاء الشحاذين قد جنوا على أنفسهم وعلى الناس وعلى المجتمع جنايات كثيرة، فهم أولاً: يشكون الخالق إلى خلقه، ويسترحمون الناس من قضاء الله وقدره.

وإذا ابتُلِيتَ بضيقة فالبس لها... ثوبَ العفاف فإن ذلك أسلمُ

لا تشكوَن إلى العباد فإنما... تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يَرْحَم

وثانياً: أنهم يتضرعون بين أيدي الناس ويسكبون الدموع ويكثرون من العويل والاستغاثة والنجدة، وهذا لا يليق إلا أن يكون بين يدي الله تعالى، فهذه الأحوال لو كانت بين يدي الله تعالى وصاحبها صادق فإن الله لن يخيب أمله. قال تعالى:{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ }[النمل62].

قال الشاعر عبيد بن الأبرص الجاهلي:

من يسألِ الناس يحرموه... وسائل الله لا يخيب

فمن توكل على الله كفاه، ومن سأله وحده أجاب سؤله ودعاه، فلماذا يبكون إلى الخلق ولا يبكون إلى الخالق الذي بيده مفاتيح السماوات والأرض؟!

وثالثاً: أنهم يظهرون الشكوى والجزع من المصيبة لو كانت حقيقية، والله قد أمر المسلم بالصبر وعدم السخط، قال تعالى: { وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }[لقمان17].

ورابعاً: أن الكذابين منهم قد ارتكبوا إثم الكذب، وربما يضيفون إلى ذلك اليمين الغموس.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من اقتطع مال أخيه بيمينه فلا بارك الله له فيه) ([[932]](#footnote-932)).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "اليمين الغموس: اقتطاع الرجل مال أخيه باليمين الكاذبة".

خامساً: أن الذين يصيحون في المساجد منهم قد انتهكوا حرمة المساجد؛ لأن المساجد لم تبن إلا لإقامة ذكر الله تعالى وللصلاة، ولم تبن لتكون منبراً للشحاذين على الدوام. ومن المعلوم أنه قد حُرم إنشاد الضوال فيها، وفعل هؤلاء أشد وأشنع.

سادساً: أن الكذابين منهم أكلوا أموال الناس بالباطل. والله تعالى قد نهى عن ذلك فقال: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ }[البقرة188].

سابعاً: أن غير المستحقين منهم حرموا المستحقين فاشتبه الصادق بالكاذب، وأعطي الخادع وحرم المحتاج.

ثامناً: أن هؤلاء المتكففين يسببون مشكلات اجتماعية كثيرة، منها: ظهور البطالة، وتعطيل القدرات والجهود، وأخذ أموال الناس من غير عناء.

وتاسعاً: أن الكارثة المستقبلية أن هؤلاء الشحاذين قد ربّوا لهم خلفاء من الأجيال القادمة من الأطفال الذي يحملون المهنة بعدهم، وقد يكونون أطفالهم أو أطفالاً استأجروهم على المناصفة أو الثلث.

يقول شيخ الإسلام في تحدثه عن الطالبين من الخلق: " هو ظلم في حق الربوبية، وظلم في حق الخلق، وظلم في حق النفس، أما في حق الربوبية: فلما فيه من الذل لغير الله، وإراقة ماء الوجه لغير خالقه، والتعوض عن سؤاله بسؤال المخلوقين، والتعرض لمقته إذا سأل وعنده ما يكفيه يومه

وأما في حق الناس: فبمنازعتهم ما في أيديهم بالسؤال واستخراجه منهم وأبغض ما إليهم: من يسألهم ما في أيديهم وأحب ما إليهم: من لا يسألهم؛ فإن أموالهم محبوباتهم، ومن سألك محبوبك فقد تعرض لمقتك وبغضك، وأما ظلم السائل نفسه: فحيث امتهنها وأقامها في مقام ذل السؤال ورضي لها بذل الطلب ممن هو مثله، أو لعل السائل خير منه وأعلى قدراً وترك سؤال من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فقد أقام السائل نفسه مقام الذل وأهانها بذلك ورضي أن يكون شحاذاً من شحاذ مثله؛ فإن من تشحذه فهو أيضا شحاذ مثلك والله وحده هو الغني الحميد، فسؤال المخلوق للمخلوق سؤال الفقير للفقير، والرب تعالى كلما سألته كرمت عليه ورضي عنك وأحبك والمخلوق كلما سألته هنت عليه وأبغضك ومقتك وقلاك كما قيل:

الله يغضب إن تركت سؤاله... وبني آدم حين يسأل يغضب".

إخواني الكرام، نقول لهؤلاء الذين يطلبون الناس: إن الإنسان لا شرف له بين الناس إلا بالحفاظ على مروءته وعزته، فإذا ذهبت الكرامة وحل الذل مكانها فباطن الأرض خير من ظهرها.

واقرأوا في الأدب العربي ماذا قال الشعراء والحكماء عن المروءة والعزة، وكيف طبقوا ذلك في حياتهم، وتحملوا لأجلها الجوع والظمأ، واستلذوا مرارة الموت، ولم يستحلوا العيش المشوب بالذل.

إن على أولئك الشحاذين الكاذبين أن يعلموا أنهم قد ارتكبوا إثماً عظيماً بهذا الفعل المشين الذي يعود على صحبه بالعواقب الوخيمة في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة و ليس في وجهه مزعة لحم) ([[933]](#footnote-933)).

وقال: (من سأل وله ما يغنيه؛ جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً أو كدوحاً في وجهه) ([[934]](#footnote-934)).

وقال: (من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، و من أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى، إما بموت آجل أو غنى عاجل) ([[935]](#footnote-935)).

فعلى الإنسان المحتاج القادر على العمل أن يعمل ولو في مهنة دنية في نظر الخلق فليست عيباً، إنما العيب تكفف الناس وسؤالهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي الجبل فيجئ بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيستغني بثمنها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) ([[936]](#footnote-936)).

قال عمر رضي الله عنه: "مكسبة في دناءة خير من سؤال الناس". وقال أيضاً: "إني أرى الرجل فيعجبني شكله، فإذا سألت عنه فقيل لي: لا عمل له، سقط من عيني".

وقال لقمان لابنه: " يا بني، استغن بالكسب الحلال؛ فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، ووهاء مروءته وأعظم من ذلك استخفاف الناس به".

ولا تحسبن الموت موت البلى... فإنما الموت سؤال الرجالْ

كلاهما موت ولكن ذا... أشد من ذاك لذل السؤال

نسأل الله أن يفرج عن الصادقين من السائلين، وأن يعافي الكاذبين منهم.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن المشكلات التي تهدد المجتمعات إذا لم تعالج في بداية الظهور فإنها تستفحل ويعم بلاؤها المجتمع كله؛ لأجل هذا وجب على الجميع التعاون في حل المشكلات المجتمعية ومنها مشكلة تكفف الناس وسؤالهم.

فعلى الدولة إنشاء مكاتب لمكافحة هذه الظاهرة مثل ما أنشأت ذلك بعض الدول. وأن تحقق مع أولئك السائلين فتنظر الصادق منهم فتكفيه، وتنظر الكاذب فتتخذ معه الأساليب الرادعة حتى يكون عبرة لغيره من مبتزي أموال الناس بالباطل.

وعليها كذلك إنشاء المشروعات التي تقضي بها على البطالة وتستوعب الأيدي العاملة لتنتفع البلاد والعباد.

وعليها كذلك أن تقوم حق القيام بركن الإسلام الثالث وهو الزكاة بأخذها ممن وجبت عليه وتوزيعها فيمن وجبت له، فلو حصل هذا الأمر بعدل وحزم وأمانة لما رأينا هذه الظاهرة.

والواجب على عموم المسلمين أن يبحثوا عن المحتاجين خصوصاً بين الجيران والأقارب، فكم من محتاج يمنعه حياؤه أن يظهر حاجته للناس. قال تعالى: { يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ }[البقرة273].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس) ([[937]](#footnote-937)).

نسأل الله أن لا يجعلنا بنعمته متباهين، ولا من خلقه ساخرين، ولا من دوام نعمته وزيادتها محرومين.

هذا وصلوا وسلموا على النبي الأمين...

# عقيدة الولاء والبراء وأثرها في حياة الأمة ([[938]](#footnote-938))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

عباد الله، في ظل الانحدار المتتابع الذي يتجه إليه المسلمون في عصرنا الحاضر تغيب كثير من مفاهيم الدين وقيمه الحميدة التي تعز المسلمين. وحينما تجذر في قلوب كثير من أهل الإسلام اليوم مرض الضعف والهوان سهل على بعضهم التنازل عن مبادئ دينهم وأحكام شريعة ربهم؛ تقرباً إلى أعداء الدين ورهبة من غضبهم عليهم. قال تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ }[المائدة52**].**

وعندما صارت الدنيا هي الهم الأكبر والجائزة العظمى والهدف السامي الذي يعيش لأجله الجم الغفير والعدد الكبير بيعَ الدينُ والقيم الحميدة والعادات العرفية الشريفة.

وتحت هذه السحب الكثيفة من التغيرات العجيبة غدا المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والصديق عدواً والعدو صديقاً.

أيها المسلمون، إن أمة الإسلام أمة من دون الناس، متميزة بعقيدتها الصحيحة وأحكامها العادلة وأخلاقها المستقيمة إذا ما عملت بهذا الدين. وهي أمة لا تقبل الانصهار في مستنقعات الانحدار ولا تستمرئ البقاء في مواطن الذل والانكسار. ولكنها أمة تعيش مع الآخرين عيشة العزيز الذي يحافظ على قيمه الفاضلة من غير ظلم لمن سواها.

إن سماحة الإسلام الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من عند ربه تعالى إلى هذه الأمة لا تعني التنازل عن عقيدة الولاء والبراء وجعل المسلم والكافر على حد سواء. قال تعالى: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ }[الحشر20].

وقال: {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ }[السجدة18].

أيها الفضلاء، إن الولاء والبراء عقيدة ثابتة دعا إليها الإسلام؛ فقد بين الله تعالى أن الولاية والمحبة والنصرة إنما تكون للمؤمنين، فقال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ }[التوبة71].

ونهى تعالى المؤمنين أن يتخذوا اليهود والنصارى حلفاء وأنصاراً على أهل الإيمان. فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[المائدة51].

ونهى الله المؤمنين كذلك عن ولاية الكافرين ولو كانوا من الأقربين، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[التوبة23].

وقال: {لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[المجادلة22].

عباد الله، إن عقيدة الولاء والبراء قضية قام بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم القدوة الذين يقتدى بهم في الطريق إلى الله تعالى.

فنوح عليه السلام يذكر الله خبره مع ابنه الكافر فيقول: {وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ } {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ }[هود45-47]. إنها مفاصلة قائمة على البراءة ممن لم يؤمن بالله ولو كان ولداً: إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح.

وخليل الرحمن يعلن البراءة صريحة من أبيه وقومه المشركين بعد أن لم يستجيبوا لدعوة التوحيد، ففارقهم وترك أرضه وخرج مهاجراً إلى الله تعالى، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ } {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[الزخرف26-28]. وقال: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[العنكبوت26].

وقال: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }[الممتحنة4].

هكذا يترك الأهل والأقارب والأوطان إذا كانت تحول بين العبد وربه، إنها براءة من محبوبات النفس ابتغاء وجه الله تعالى.

وهذا نبيا عليه الصلاة والسلام يقول: ( إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين ) ([[939]](#footnote-939)).

وقد سارع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تطبيق هذه العقيدة الصحيحة حتى مع أقرب الناس إليهم. ففي غزوة بدر التي التقى فيها الأقارب بالأقارب والأصحاب بالأصحاب والجيران بالجيران والسادة بالعبيد تمثلت هذه العقيدة في قتل المسلم أباه أو أخاه أو خاله أو صديقه أو جاره من أجل الله تعالى حينما حالوا بين النور الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام وبين وصوله للناس في الظلماء وآذوا من اقتبسه حتى وصل الحد ببعضهم إلى قتل من استضاء به.

فأبو عبيدة قتل أباه، وبعد انتهاء المعركة مر مصعب بن عمير بأخيه أبي عزيز بن عمير الذي خاض المعركة ضد المسلمين، مر به وأحد الأنصار يشدّ يده، فقال مصعب للأنصاري: شد يديك به؛ فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصاتك بي؟! فقال مصعب: إنه – أي: الأنصاري - أخي دونك.

أيها المسلمون، إن مبدأ الولاء والبراء بدأ يتلاشى من بين المسلمين شيئاً فشيئاً، فحينما حصل الانهزام داخل النفوس أصبح المسلم ينظر إلى الكفار بعين الإكبار في كل شيء ناسياً أو متناسياً ما يحملونه من الكفر بالله وكراهيتهم للمسلمين ولدينهم. وغاب هذا المبدأ لما كثر الجهل بدين الله وغدا كثير من المسلمين لا يعلمون من دينهم إلا القليل. وغاب مبدأ الولاء والبراء حينما أضحى المسلمون في ذيل قافلة الحضارة المعاصرة فغدوا يستجدون كثيراً من أمور حياتهم من أعدائهم. وغاب هذا المبدأ عندما أمسى العالم الإسلامي محكوماً من قبل الغرب وما عليه إلا السمع والطاعة وإلا فالعقوبات تنتظره.

عباد الله، إنه لما حصل هذا الغياب لهذا المفهوم العظيم ظهرت علامات الولاء لأعداء الإسلام بين المسلمين، ومن مظاهر ذلك:

التشبه بالكفار في المأكل والمشرب والملبس والعيش والنظرة إلى الحياة، وهذا أمر حتمي؛ فإن من طبيعة المنهزم أن يقلد من هزمه لقيام تعظيمه في النفس.

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشبه بهم؛ خشية أن يسوق ذلك إلى الانحراف والرضا عن ما يفعلون من الكفر.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( من تشبه بقوم فهو منهم) ([[940]](#footnote-940)).

ومن المظاهر: إعانتهم ونصرتهم على المسلمين بالسلاح أو بالمال أو الإعلام أو غير ذلك.

ومنها: تهنئتهم بأعيادهم الدينية ومساعدتهم عليها، والتسمي بأسمائهم الخاصة، والثقة بهم وائتمناهم على أسرار المسلمين.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ } {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }[آل عمران118-120].

عباد الله، إن دين الإسلام يوجب على المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً، فإن كانت لهم أخطاء فيمكن علاجها دون البراءة منهم ومساواتهم بالكفار. فالولاء للمسلمين يعني محبتهم على قدر طاعتهم.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار ) ([[941]](#footnote-941)).

والولاء للمسلمين يعني مناصرتهم ومساعدتهم ونجدتهم والوقوف معهم.

قال تعالى: { وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ }[الأنفال72].

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ([[942]](#footnote-942)).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

أيها المسلمون، في نهاية هذا الموضوع لابد أن نعي حقيقتين مهمتين:

الحقيقة الأولى: أن طبيعة العلاقة بين الحق والباطل هي الصراع المحتدم منذ بداية الخليقة. فمن ظن أن اليهود والنصارى والوثنين يحبوننا ويرضون عنا فهو مخطئ. قال تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ }[البقرة120].

وقال: { وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[البقرة217].

ومن ظن أن الولاء والبراء لا يوجد عند الكفار وإنما يوجد عند المسلمين فهو مخطئ أيضاً فالولاء والبراء موجود في كل ملة حيث يوالي أهل كل ملة أهل ملتهم ويعادون من ليس منهم.

قال تعالى: {وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ }[الأنفال73].

وقال: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ }[التوبة67].

وواقعنا يشهد لهذه الحقيقة بكل تفاصيلها.

الحقيقة الثانية: إن تطبيق المسلمين لمبدأ الولاء والبراء من الكافرين لا يعني أبداً أن نظلمهم أو نسقط حقوقهم المشروعة، فمن فعل ذلك من المسلمين فقد تعدى وأساء وظلم.

ولا يعني البراء من الكافرين أن نعتدي على المسالمين منهم بقتل أو جرح أو إيذاء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة ) ([[943]](#footnote-943)).

وقال: ( من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما ) ([[944]](#footnote-944)).

ولا يعني البراء من الكافرين سوء التعامل معهم، بل المسلم مأمور بحسن المعاملة مع الكافرين؛ رجاء إسلامهم حينما يرون الأخلاق الحسنة والتعامل الصادق. لكن حسن المعاملة لا يعني التنازل عن شعائر الإسلام أو الذل والخضوع لهم.

ولا يعني البراء من الكافرين قطع جميع العلاقات وعدم التعايش معهم والاستفادة مما عندهم من أمور الحيادة الدنيا، بل لابد أن تكون هناك علاقات متصلة كالعلاقات الاقتصادية المباحة والعلاقات العلمية النافعة.

ولهذا عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة وتعامل معهم اقتصادياً ولم يقطع هذه العلاقة معهم.

نسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن يرد المسلمين إليه رداً جميلا.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

# فضل إحسان الإنسان إلى غيره ([[945]](#footnote-945))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فيقول الله تعالى في كتابه الكريم: { وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[البقرة195].

أيها المسلمون، هذا أمر من الله تعالى لعباده بالقيام بالإحسان الذي هو فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي، فيجتمع بذلك الفعل وإكماله وإتمامه وإتقانه، ووعدهم سبحانه وتعالى على إحسانهم بإحسانه إليهم بمحبته لهم. وهذا فضل عظيم، و {هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ }[الرحمن60].

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد حديث القرآن العزيز عن فضيلة الإحسان حديثاً مطنباً مفصلاً، فقد تحدث القرآن العظيم عن الأمر به والحث عليه، ودعوة الناس إليه، وذكر أعمال الإحسان وخصاله، ووعد المحسنين بالبشارة والزيادة، والمحبة والثواب والجنة. وهذا فضل عظيم وخير كثير يغتنمه الإنسان من عبادة الإحسان.

إن الإحسان عمل عظيم ينتج عن النفوس السليمة التي يدب فيها الخير ليتجه إلى جهات كثيرة؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) ([[946]](#footnote-946)).

عباد الله، إن أولى من يحسن إليه الإنسان: نفسه التي بين جنبيه، التي سيُسأل عنها ويحاسب على أفعالها في دنياه وأخراه. قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ }[المدثر38].

فكيف تحسن إلى نفسك أيها الإنسان؟

أحسن إلى نفسك بأن تسلك بها الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. فإذا أقبلت على العبادة فأقمها بإتقان، واعملها بلا رياء وابتغاء الخلق، فعمل العبادة وإتقانها من أحسن الإحسان.

وأحسن إلى نفسك بأن تحبسها على الحق، وتحول بينها وبين الباطل، وتلجمها بلجام الصبر عن اتباع الهوى والأمر بالسوء.

وأحسن إلى نفسك بأن تعزها عن مواطن الذل، وتبقيها في هامات العز، وأحسن إلى نفسك بأن تأخذ لها من الدنيا ما يكفيها ولا يلهيها، ويكرمها ولا يهينها، ويحييها ولا يهلكها بهمِّ جمعها وخوف فواته عليها.

وأحسن إلى نفسك بأن تؤدي إلى الناس حقوقهم من نفسك، وتبعد نفسك عن الإضرار بهم.

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها... لنفسي على نفسي من الناس شاغل.

معشر المسلمين، إن أحق الخلق على الإنسان-بعد نفسه- بالإحسان إليه: والداه اللذان دخل إلى هذه الحياة بسببهما، ووصل إلى ما وصل إليه بعد جهدهما ورعايتهما.

فما أجمل أن يحسن إليهما بالوجه المبتسم والكلمة الطيبة، وبطاعة أوامرهما، والاعتناء بهما، وتفقد أحوالهما، وجلب ما يسرهما، وإبعاد ما يضرهما، وخفض الجناح لهما، والسؤال عنهما، وإكرام أصدقائهما، والنفقة عليهما، والدعاء لهما حيين أوميتين.

قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً } {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً }[الإسراء23-24].

وعن عبدالله بن دينار عن ابن عمر: أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة وعمامة يشد بها رأسه فبينا هو يوماً على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي فقال: ألست ابن فلان بن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا، والعمامة اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك؟! فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه، بعد أن يولي، وإن أباه كان صديقاً لعمر) ([[947]](#footnote-947)).

أيها الأحبة، ومن الإحسان العظيم: الإحسان بين الزوجين، أن يحسن الرجل إلى زوجته بحسن معاشرتها، وحثها على الخير والطاعة، والنفقة عليها بالمعروف، وإعطائها حقوقها المالية والنفسية والفراشية المشروعة، من غير ظلم، ولا مانع من التأديب بالقول أو بالفعل عند الحاجة من غير كسر أو جرح أو تعذيب؛ فإن تقويم النساء عند الميل والزيغ إحسان مطلوب.

قال تعالى: { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً }[النساء19].

وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: ( أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت) ([[948]](#footnote-948)).

وعلى الزوجة أن تحسن إلى زوجها: بطاعته بالمعروف، والسعي في مراضيه قدر ما تستطيع، والاعتناء ببيته وماله وأولاده، وصيانة نفسها عما يخدش العرض والشرف.

قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ... }[النساء34].

وعن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم في بعض الحاجة فقال:(أي هذه أذات بعل؟ قلت: نعم، قال: كيف أنت له؟ قالت: ما آلوه - أي: لا أقصر في طاعته وخدمته- إلا ما عجزت عنه، قال: فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك) ([[949]](#footnote-949)). أي: سبب دخولك الجنة بطاعتك له في الحق، أو سبب دخولك النار بمعصيتك له.

عباد الله، ومن مجالات الإحسان: إحسان الوالدين إلى أولادهما، بداية باختيار الأب للأم، واختيار الأم للأب، فهذا أول إحسان إليهم. قال أب لأولاده:

وأول إحساني إليكم تخيري... لماجدة الأعراق بادٍ عفافها

ثم الإحسان بتربيتهم التربية الصالحة وتنشئتهم التنشئة النافعة، التي تقوم على مراقبة بغير تجسس، ولين بلا ضعف، وحزم بلا عنف، وتقويم بلا تضييق، واختيار للصديق والجليس من غير إجبار. فيا من شغله ماله وتجارته عن أولاده، اعلم أن تربية الأولاد أهم من تربية الأموال، وحراستهم أولى من حراستها؛ لأن خسارتها تعوض وتسترد، وأما خسارتهم فقد لا تعوض ولا تسترد. فكما تحسن إليهم في غذائهم وكسائهم ودوائهم، فأحسن إليهم بهدايتهم إلى الطريق الصحيح الذي ينقذهم في الدنيا والآخرة. فلا تغش ولدك في صغرهم بنسيانك وإهمالك، فيغشوك في كبرك بتركك وعقوقك.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }[التحريم6].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ( ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ([[950]](#footnote-950)).

عباد الله، ومن مجالات الإحسان: الإحسان إلى الأقارب، فهم أولى بالإحسان من غيرهم؛ لأن الإحسان إليهم صلة ومعروف. ويكون الإحسان بصلتهم وحسن تعهدهم، وبذل الخير لهم، والسؤال عنهم، ووصل قاطعهم، والحلم عن جاهلهم، والعفو عن مسيئهم. وصنع المعروف لهم. والإحسان إلى الأقارب يعمق هذه الرابطة ويحافظ عليها، ويقضي على أسباب تصدعها، وهو نجاة من القطيعة، ونجاة من الطرد من رحمة الله، وسبب لبركة العمر وسعة الرزق.

قال تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ } {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ }[محمد22-23].

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) ([[951]](#footnote-951)).

أيها الفضلاء، الجيران في المنزل أو العمل أو الدراسة لهم حق من الإحسان، فمازال جبريل يوصي النبي عليه الصلاة والسلام بالجار حتى ظن أنه سيورثه من جاره؛ لعظم حق الجار على جاره. فمن الإحسان إلى الجيران: بذل المعروف لهم، وكف الأذى عنهم، وحمايتهم والدفاع عنهم، والصبر ما يصدر منهم من سوء، وتفقد أحوالهم. وهذا كله من إكرام الجار.

قال رسول صلى الله عليه و سلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) ([[952]](#footnote-952)).

أيها المسلم، بث إحسانك-بعد ذلك- بين إخوانك المسلمين، فابذل لهم المعروف القولي والفعلي، آخهم وأرشدهم، وأغثهم وأصلح بينهم، وأفش السلام فيهم، وآثرهم وتعاون معهم في الحق. عظم حرماتهم، فرج كرباتهم، تواضع لهم وتودد إليهم، وأثن عليهم بما تعرف من الخير عنهم، واشفع لهم شفاعة حسنة، وأحسن معاملتهم، وأحسن الظن بهم. وادع لهم، وارحمهم، وارفق بهم، واسترهم، وواسِ فقيرهم، واعطف على أراملهم ويتاماهم، وتجاوز عن معسرهم إذا أسلفته، وسامحهم، واعف عنهم، وأنصفهم من نفسك، واكتم أسرارهم، واصبر على أذاهم. عد مريضهم، وشمت عاطسهم، وأجب داعيهم إلى الخير، واتبع جنازتهم. فإن فعلت ذلك -مع الإيمان- فإن ذلك سعادة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً }[النساء36].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال: كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر) ([[953]](#footnote-953)).

عباد الله، ومن مجالات الإحسان: الإحسان إلى العمال والأجراء والموظفين، بإعطائهم حقوقهم والتخفيف عليهم واحترامهم، وإبعاد الظلم عنهم.

قال صاحب مدين لموسى عليه السلام حين أراد استئجاره في رعي الغنم: {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ }[القصص27].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما خففت عن خادمك من عمله فهو أجر لك في موازينك يوم القيامة) ([[954]](#footnote-954)). وقال: ( أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) ([[955]](#footnote-955)).

أيها المسلمون، ومن مجالات الإحسان: الإحسان بين الراعي والرعية، فإحسان الراعي إلى رعيته بإصلاح الدين وسياسة الدنيا به فيهم، والرفق بهم ورعاية مصالحهم.

وإحسان الرعية: بطاعة راعيهم بالمعروف، ونصحه باللين، ورفع سِير ولاته الجائرين إليه حتى يضبطهم، ويردهم إلى الحق.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }[النساء59].

وقال رسول صلى الله عليه وسلم: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، و من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به) ([[956]](#footnote-956)).

ومن مجالات الإحسان أيضاً: الإحسان إلى الكافر، بحسن معاملته، وإعطائه حقوقه، وتمثل الإسلام الصحيح أمامه، ودعوته إلى الإسلام بالأسلوب الحسن. فقد يكون الإحسان إليه سبب هدايته، وقد حصل هذا في الواقع كثيراً، وهذا خير عظيم يساق إلى المحسن.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) ([[957]](#footnote-957)).

ومن مجالات الإحسان كذلك: الإحسان إلى الميت، بحسن تجهيزه، وتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ومواراته، وعدم سبه، والابتعاد عن كسر عضو من أعضائه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) ([[958]](#footnote-958)). وقال: (إن كسر عظم المسلم ميتا ككسره حي) ([[959]](#footnote-959)).

ومن مجالات الإحسان أيضاً: الإحسان إلى الحيوان، بعدم إيذائه، وتوفير ما يكفيه من الطعام والشراب، وعدم العبث به وتعذيبه، وإحسان ذبحه إن كان مما يذبح.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر) ([[960]](#footnote-960)).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها قال: (أفلا قبل هذا؟ أو تريد أن تميتها موتات)؟!([[961]](#footnote-961)).

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن من فضل الله تعالى على عباده أن عجل لهم بعض ثواب أعمالهم في الدنيا قبل الآخرة؛ حتى يذوقوا حلاوة الجزاء الحسن؛ ليستمروا على تلك الأعمال الصالحات، ويدعوا غيرهم إليها، بعد أن عرفوا طيبها، فمن ذاق عرف ودعا من لم يعرف.

فلهذا فإن الإحسان يثمر لأهله ثمرات يانعة في الحياة الدنيا، وفي الآخرة كذلك.

فالإحسان إلى الخلق يورث صاحبه انشراح الضمير، وسرور النفس، والسعادة والطمأنينة، بل قد يجد المحسن من اللذة والراحة أكثر ممن أحسن إليه، وكم يفرح المحسن حينما يرى أثر إحسانه ظاهراً بين الناس في نجدة ملهوف، أو شفاء مريض، أو إيواء طريد، أو إسعاد أسرة متعففة، أو قضاء على مشكلة في المجتمع، فعندما يشاهد هذه الآثار الحسنة يحمد الله على إعانته على هذا الخير، ويسأله أن يكون لوجهه خالصاً، فيقول: هذا من فضل ربي. فما يجده من هذه الآثار إحسان من الله إليه جزاء إحسانه إلى خلقه. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

عباد الله، إن المحسن قد تُدفع عنه مصائب، وتصرف عنه جوائح، وسبب ذلك: إحسانه إلى عباد الله تعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) ([[962]](#footnote-962)). وقال أيضاً: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء ) ([[963]](#footnote-963)).

والجزاء من جنس الأعمال.

أيها الكرام الفضلاء، أما الجزاء الأوفى والثواب الأوفر للمحسنين فهو بانتظارهم عند الله الكريم يوم لقائه، يحبهم، ويرضى عنهم، ويكرم نزلهم، ويغفر خطاياهم، ويدخلهم جنة عرضها السماوات والأرض.

قال تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[يونس26].

نسأل الله أن يجعلنا ممن أحسنوا عبادة الله، وأحسنوا إلى خلق الله.

هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير والسراج المنير....

# قارون وسكرة المال ([[964]](#footnote-964))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله تعالى: { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ{76} وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ{77} قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ{78} فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ{79} وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ{80} فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ{81} وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ{82} تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ{83}[القصص 76-83].

أيها الناس، إن في حديث الغابرين عبرة للمعتبرين، وموعظة بالغة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد من الخالفين؛ لأنه حديث يسوق الذكرى ويكشف النهاية والعقبى؛ ليكون درساً لمن خلف في سلوك درب من سلف أو في عدم سلوكه.

فهي موعظة للإنسان الحي بالإنسان الميت؛ ليصحح المسير ويستشرف المصير؛ وكم أحيا الله بأموات القبور أمواتاً يعيشون في الدور والقصور.

فمن كان واعياً مستقيماً ازداد جداً وتشميراً في سبيله المستقيم، ومن كان معوج الطريق-وعقل الموعظة-أعاد خطى مسيره إلى ربه عبر درب النجاة بعد أن انحرف عنه. والموفق من جعل الله له في غيره عبرة، والمخذول من جُعل عبرة لغيره.

عباد الله، في هذه القصة القرآنية عبر وعظات، وآيات منيرات، توضح للسالك صورة عن الطبيعة البشرية وتعلّقها بالفاني العاجل والمظهر الزائف الخادع.

وتصوّر لها بعض المشاهد الناتجة عن جحود النعمة ونسيان المنعم، وانتصار الهوى على العقل والجهل على الإصابة والحكمة.

تأتي هذه الآيات الكريمة مرغبة ومرهبة، مرغبة في العمل على بناء الحياة الناجحة المطمئنة التي تقوم على صلاح الدنيا والدين، جاعلة الهم الأكبر هو التعلق بالدار الآخرة وعدم الاغترار بزينة الدنيا الزائلة.

ومرهبة أيضاً من ركوب الغرور والجحود والتباهي الممقوت، ومرهبة كذلك من الغفلة عن الآخرة وما فيها، ومن الإغراق في لهو الدنيا وأعراضها الذاهبة.

أيها المسلمون، فحوى هذه القصة وحديثها عن قضية المال ونظرة الناس إليه، وفيها نموذج للغني البطر الذي غرق في النعمة وسكر فيها ونسي المنعم عليه بها، وفيها تعريج للحديث عن تشوف الناس واستشرافهم إلى النعمة التي يرفل بها قارون، ثم العظة ببيان الخاتمة السيئة للمغرور بنعمة الله ورجوع الناس إلى رشدهم بعد أن سباه منظر قارون في فخره وبطره.

تبدأ القصة بذكر اسم الرجل المغرور وانتسابه إلى قوم موسى، وبيان معصيته الكبرى بين قومه، وقيام بعض النصحة منهم بنصحه لعله يعود عن غيه وبغيه بعد أن طمس الأشر والبطر رؤية الحقيقة عنده.

فقال تعالى: { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ{76}.

عباد الله، إن المال هبة من الله تعالى يبسطه على من يشاء ويقدره على من يشاء، وكل ذلك بعلم وحكمة العليم الخبير. قال تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ }[الشورى27]. وليس للعباد مع هذا التقدير والقسمة إلا الرضا والتسليم من غير تسخط وتضجر؛ لأنه قدر العليم الخبير. فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)([[965]](#footnote-965)).

لكن هذا الرضا بالفقر-لمن قدر عليه رزقه- لا يعني البعد عن أسباب الغنى التي بمقدور الإنسان الصالح تحصيلها؛ لأن الإسلام لا يحبذ لأهله أن يعيشوا فقراء وهم بمقدورهم أن يصيروا أغنياء غنى لا يطغيهم ولا يلهيهم.

فالغنى لا يذم لذاته، إنما يذم الأغنياء الذين صرفوا هذه النعمة إلى ما لا ينبغي. ولهذا رغب الإسلام المسلمين في تحصيل الرزق والبحث عنه في مظانه المشروعة، ومدح الأغنياء الصالحين الذي استثمروا هذا الخير في سبل الخير.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-في عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كان له اليد الطولى في تجهيز جيش العسرة-: (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين) ([[966]](#footnote-966)).

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: بعث إلي النبي صلى الله عليه وسلم فأمرني أن آخذ علي ثيابي وسلاحي، ثم آتيه، ففعلتْ، فأتيته وهو يتوضأ، فصعد إليّ البصر ثم طأطأ، ثم قال: ( يا عمرو، إني أريد أن أبعثك على جيش، فيغنمُك الله وأرغب لك رغبة من المال صالحة). قلت: إني لم أُسلم رغبةً في المال، إنما أسلمتُ رغبة في الإسلام فأكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: ( يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح)([[967]](#footnote-967)).

وقد أباح ديننا الحنيف كثيراً من أنواع البيوع والمعاملات المالية التي يكثر فيها المال وينمو، وجعل المعاملات المحرمة في نطاق محدود وإطار ضيق.

وشرع كذلك الأسباب التي يزداد بها المال ويزكو كالزكاة والصدقة، خلافاً لما يظنه البخلاء أن الزكاة والصدقة تنقصان المال.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما نقص مال عبد من صدقة) ([[968]](#footnote-968)).

أيها المسلمون، إن المال حينما يميل بصاحبه من الشكر إلى الجحود، ومن التواضع إلى الغرور، ومن اكتسابه من الوجوه المباحة وإنفاقه في الجهات المشروعة إلى أخذه من الطرق المحرمة وبذله في السبل المحظورة إذا كان الأمر كذلك فهذا هو الذي ذمه الشرع في هذه المسألة، وهو الغالب على النفوس البشرية.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة، إلا من قال بالمال هكذا و هكذا، و كسبه من طيب) ([[969]](#footnote-969)).

في هذه القصة يتعالى قارون على قومه بكثرة ماله فيبدو عليه الزهو وازدراء الناس حتى أعرض عن الإسلام لموسى عليه السلام، وأبى قبول نصيحة الناصحين وركب مركب الغرور الذي ساقه إلى الخسف والهلاك.

وهكذا يفعل المال بصاحبه إذا لم يشكر العطية ويعرف حق معطيها، فعند ذلك تؤوب النعمة إلى نقمة والمنحة إلى محنة، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ليس قارون وحده من صيّر نعمة الله عليه نقمة على نفسه، بل هناك أشرون لا يحصون، وفي القرآن الكريم ذكر الله أمثلة عن بعضهم، ففي سورة النحل يضرب الله المثل بقرية أنعم الله عليها بالأمن ورغد العيش، لكنها كفرت ذلك، فأبدلها الله عن تلك النعمة جوعاً وخوفاً ملازمين لها ملازمة الثوبِ الجسد، يقول تعالى: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }بالنحل112].

وفي سورة الكهف ذكر الله قصة صاحب الجنتين اللتين غرتاه وأبطرتاه، فتحولتا إلى هلاك وبوار، قال تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً }[الكهف32]، إلى قوله تعالى: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً }[الكهف42].

وفي سورة سبأ ذكر تعالى خبر قوم سبأ في مأرب القريبة من هاهنا، الذين أسرفوا على أنفسهم بالكفر وجحود النعمة، وسئموا الاستمرار فيها لما لم يشكروها، فغرقت تانك الجنتان بأموالهم وآمالهم وأُبدلوا عنهما ثمراً مراً لا ينفع، وتفرقوا في الجزيرة العربية شذر مذر حتى ضرب العرب المثل بتفرقهم بعد ذهاب نعمتهم فقيل: تفرقوا أيدي سبأ، فقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ } {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ }[سبأ15-16]. إلى قوله: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }[سبأ19].

وفي سورة القلم ذكر قصة أصحاب الحديقة المثمرة الذين منعوا حق الله فيها، فصارت بعد نية السوء إلى ليل أليل من الهلاك والاحتراق، فقال تعالى: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ }[القلم17]، إلى قوله: {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ } {فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ }[القلم19-20].

عباد الله، إن النماذج القارونية ما زالت منتشرة في كل زمان، وقد توجد في كل بلاد، غير أن القارونيين المتأخرين لم يعتبروا بنهاية قارونهم الأول!، فكأن بطر النعمة يغطي أسماعهم عن سماع المواعظ، وأبصارهم عن رؤيتها، وقلوبهم عن وصولها إليها. قال تعالى:{خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ }[البقرة7].

أيها الأحبة الفضلاء، في هذه القصة يبرز لنا دور النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجيه الدعوة للعصاة معذرة إلى الله لعلهم عن عصيانهم يرجعون.

إذ قال قوم قارون لقارون هنا: { لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ{76} وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ{77}، وكذلك وجهت النصيحة إلى المتشوفين إلى ما عند قارون الذين غبطوه على ما أُوتي، قال: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ{80}. إن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي صِمَام الأمان للمجتمعات، وسبب من أسباب رحمة الله بأهلها وبقاء الخير فيها، أما إذا نُهي عن المعروف وضُيِّق على أهله وحوربوا، وأُمر بالمنكر وفسحت المجالات لأصحابه وسُلطت عليهم الأضواء وأعُينوا على منكرهم فذلك منجل حصادِ الفضائل والنعم، والحبل الذي تستنزل به صنوف البلايا والنقم.

فالمنكرات لا تقل ولا تذهب إلا بقيام النصيحة والناصحين، فإذا ولّت النصيحة عن مجتمع فستحل فيهم اللعنة والغضب والشقاء.

قال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ } {كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }[المائدة78-79].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم) ([[970]](#footnote-970)).

أيها المسلمون، في هذه القصة إشارة لطيفة إلى مسألة ترشيد المال في الإسلام وكيفية التعامل الصحيح معه. فالمال الحلال نعمة عظيمة على صاحبه حينما يستغله في طلب الآخرة بمساعدة ذوي الحاجة والنفقة في وجوه البر والاستعانة به على إصلاح الدين والدنيا.

والإسلام لا يطلب من رب المال إنفاقه كله ولو في وجوه الخير، بل يأمره أن يبقي لنفسه منه ما يحتاجه؛ ولذلك قال تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }[البقرة3].

قال كعب بن مالك رضي الله عنه: (يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك) ([[971]](#footnote-971)).

فمن المال المتبقي بعد أداء حق الله تعالى ما ينفقه المسلم على نفسه وأولاده وأهله في المباحات من غير إسراف. ولذلك قال تعالى هنا: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ.. }[القصص77].

معشر المسلمين، في هذه القصة ذكر سبب من أسباب الفساد في الأرض وهو المال، فالمال إذا لم يسخر في المباح والخير كان من أكبر دواعي الفساد الخاصة والعامة. يقول تعالى هنا: {.. وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ{77}.

وفي هذه القصة يبدو الكبر والغرور مانعاً سميكاً من موانع قبول الحق والاستجابة لداعي الرشاد والهدى. فالنفس المتكبرة أرض صُلبة جدباء لا تقبل غيث النصيحة وكلمة الحق إلا أن يشاء الله، خصوصاً إذا كان الناصح أقل شأناً ومالاً وقدراً من المنصوح. فرفضُ الحق وعدم الإذعان له صفةٌ من صفات المتكبرين، وبهذا عرّف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهذا فقال: (الكبر بطر الحق وغمط الناس) ([[972]](#footnote-972)). فقارون لما سمع النصيحة من ناس لم يصلوا مرتبته ردها وأبدى استحقاقه الذاتي للنعمة، ولم يعتبر بما جرى لأسلافه من أمثاله. فقال:{ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ{78}.

وفي هذه القصة-أيها الأحبة- شنشنة تعرف عن أخزم وعادة تظهر على أهل الكبر هي أنهم يحبون الظهور بمظاهر العلو وسرقة الأنظار إليهم، ظانين أنهم يزدادون جلالاً وجمالاً، والحقيقة أن الأمر على خلاف ظنهم؛ فإنهم إذا كانوا ينظرون إلى الناس من الأفق البعيد ويرونهم صغاراً في أعينهم فالناس كذلك إليهم ينظرون، فالطائر الكبير المحلق في السماء يرى تحته الأشياء صغيرة جداً، وكذلك الناس يرونه في السماء نقطة دقيقة وقد لا يرونه لصغره.

غير أن ضعاف النفوس وذوي النظرة الدونية يرون ذاك الازدهاء وذلك الشموخ الفارغ للغني المتكبر حقيقة فيتمنون ذلك الحظ المنتفخ! مع أن الحقيقة تقول لهم: إن المظاهر لا تحكي الضمائر غالباً فانتفاخ الطبل لا يعبر عن امتلاء جوفه؛ ولهذا قال تعالى عن المنافقين: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ..}[المنافقون4].

وفي هذه القصة قال تعالى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ{79}.

أحبابي وإخواني، إن العلماء العاملين هم حراس الملة اليقظون على أعتابها، الذي يعيشون بين الناس كالشمس للدنيا والعافية للأبدان. فإذا رأوا الناس مقبلين على الفتنة أخذوا بحجزهم حتى لا يتقحموها، وإذا رأوهم مدبرين عن الهدى والخير نادوهم أن هلموا إلينا ندلكم على سعادة الدنيا والآخرة. لكن إذا غاب العلماء عن هذا الحضور وغدوا مع أهل المنكر أو انكفأوا على مصالحهم وتركوا أمر الناس، فكبر على المجتمع أربعاً، وقل عند ذلك:

سلام على الدنيا سلام على الورى... إذا ارتفع العصفور وانخفض النسر!

وفي هذه الآيات يقول تعالى:{ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ{80}.

هذا هو المشهد الأول في هذه القصة مشهد النعمة والزهو بها، وتبقى المشهد الأخير منها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

أيها المسلمون، يقول تعالى: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ }بلقمان24].

ويقول: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ } {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[الأنعام44-45].

نعم، لقد تمتع قارون بالمال ما تمتع، و أخذ من الزهو و الغرور ما أخذ، لكنه لم يخلد فساعة الرحيل بقيت تنتظره حتى أدركها، ولم تكن ساعة سرور، بل كانت ساعة أليمة فاضحة، إذ أخذه الله أخذ عزيز مقتدر فبعد النعمة نزلت النقمة، وبعد المهلة فاجأته الأخذة السريعة، وبعد زهوة العلو صدمته عقوبة الخسف، والجزاء من جنس العمل، لقد عاش متكبراً على قومه فصارت نهايته تحت أقدامهم وساخ في الأرض التي يسيرون عليها، جزاء وفاقا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال) ([[973]](#footnote-973)).

قال تعالى: { فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ{81}.

أيها المسلمون، بعد السكرة صحت الفكرة، وانتبه غافل لم يستفد من يقظته بعد فوات فرصته وهو قارون عندما لقي ربه على حالته، وانتبه غافلون استفادوا من هذا الانتباه وهم قوم قارون، قال تعالى: { وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ{82}.

هذا هو المشهد الأخير، الذي أسدل الستار على بغي باغ وطغيان طاغٍ، ونهاية بائسة، بعد التعالي والتباهي؛ ليعلِّم العالَم أجمع أن طغيان المال إلى زوال، والمتكبرين إلى سفال.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }[ق37].

فيا من أنعم الله عليه نعمة أياً كانت، اشكر النعمة قبل أن تبغتك النقمة، فأدِّ حق الله وحق خلقه منها بلا زهو ولا لهو، ولا إمساك ولا غرور، ولتكن نعمتك سائقة لك إلى مرضاة الله، لا إلى سخطه فعقابه.

ولهذا ختم الله هذه القصة بقوله تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ{83}[.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الشاكرين المتقين.

هذا وصلوا وسلموا على محمد وآله...

# لذَّة الصبر ([[974]](#footnote-974))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]

{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } [الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، إن كثيراً من الناس قد يتجاوزون حدود الحق للحصول على اللذة، فمنهم من يجد لذته في الجاه والتسلط على الآخرين، فيعبر لنيل ذلك جسوراً من الظلم وبحاراً من الدماء، ومنهم من يجد لذته في الشهرة وبُعد الصيت فيسلك لأجلها آفاق الخطيئة ولا يبالي ما دامت ستوصله إلى غايته. ومنهم من يرومها في تعاطي مُذهبات العقول ومفسداته، ومنهم من يبتغيها من الاستطالة على الأعراض ونهش الحرمات، ومنهم، ومنهم....الخ. فهل حقاً وجد هؤلاء لذة حقيقية؟ إنهم قد وجدوا لذة لكنها موهومة مزعومة شابتها الأكدار والمنغصات وعِظم التبعات: خوف وذل، عار وفضيحة، حد وعقوبة، واكتئاب قد يقود إلى الانتحار.

فأين يجد الإنسان الصالح اللذة الحقيقية؛ لأنها مطلب من مطالب الفطرة؟

يقول الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }النحل97]، في هذه الآية الكريمة وأمثالها من نصوص الشريعة إرشاد فائق إلى رياض اللذة ومعاهدها الحقيقية.

إن اللذة التي ينبغي أن يتسابق إليها المتسابقون، ويتنافس في نيلها المتنافسون هي طاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم عليه الصلاة وأتم التسليم. فإذا نيلت هذه اللذة طابت بها الحياة والتذ معها كل مباح.

يقول ابن تيمية رحمه الله: " لقد كنت في حال أقول فيها: إن كان أهل الجنة في الجنة في مثل هذه الحال إنهم لفي عيش طيب. وقال آخر: إنه ليمر على القلب أوقات يرقص منها طربا. وقال الآخر: لأهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم".

ومن أعظم صور اللذة في الطاعات: التلذذ بطاعة الصبر.

عباد الله، قال ربنا تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }{ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ))[الملك:1-2].

تبين هذه الآية الكريمة أن الحياة الدنيا التي يعقبها الموت أن أهلها خلقوا فيها للابتلاء والاختبار، والمفلحون في هذا الامتحان قليل، والخاسرون فيه كثير. ولم يكن فلاح المفلحين إلا بصبر ومصابرة، وثبات ومجاهدة، فطريق الحق ليس مفروشاً بالزهر والريحان والبسط الحمراء الأنيقة، بل هو طريق محفوف بالمكاره والعقبات الكأداء التي لا يتجاوزها إلا أولو العزم القائم والإيمان الصادق. فالجنة دار نعيم مقيم لا ينال إلا بعمل جاد في سبيل الحق، وانتصار على المعوقات الحائلة بين العبد وبين الوصول إلى تلك الغاية المنشودة.

قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ }[آل عمران:142].

ولكن الحياة مع هذه المكاره الملازمة تصبح حياة لذيذة؛ لأن المؤمن ينتظر جزاء ذلك عند الرب تبارك وتعالى، فرضاه في رضا مولاه، ومن وصل إلى هذه الحال وجد في الصبر حلاوة عظيمة.

أيها المسلمون، إن الدين الإسلامي مبني على الصبر في الأفعال والتروك والأقدار.

فالعمل الصالح يحتاج نفساً صبوراً على القيام به وإتمامه والاستمرار عليه، وهذا التكليف يصعب على النفوس التي اعتادت الانفلات وتلبية رغبات الهوى. لكن نفس المؤمن تؤثر طاعة الله تعالى على طاعة أهوائها.

إن عبادة الله سبحانه وتعالى لن تقام إلا بتصبير للنفس على أدائها وإحسانها. قال تعالى في عبادة الجهاد في سبيله: { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ }[آل عمران:146].

وقال في عبادة الصلاة: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى }[طه:132].

وقال في عبادة العفة بالفروج: { وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[النساء:25].

والصبر على العبادة-معشر المسلمين- ليس في حال واحدة، بل يكون في ثلاثة أحوال:

الأولى: صبر قبل العبادة بجعلها خالصة لوجه الله بعيدة عن الأعراض الدنيوية.

والثانية: صبر أثناء العبادة بفعلها كما جاء في الشرع وقتاً وقدراً وعدداً وصفة.

والثالثة: صبر بعد العبادة بالحفاظ على جعلها على الإخلاص من غير أن يطرأ عليها تباهٍ أو تفاخر أو منٌّ.

فإذا عمل المؤمن العبادة وصبر عليه هذا الصبر وجد لها طعماً رائقاً، وعاش في ظلها سعيداً مطمئناً، ناعم البال مستريح الحال، وهذا من علامات الإيمان وأمارات القبول. قال عليه الصلاة والسلام: (من سرته حسنته و ساءته سيئته فهو مؤمن) ([[975]](#footnote-975)).

قال ابن القيم وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: " إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحا فاتهمه؛ فإن الرب تعالى شكور، يعني: أنه لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول ".

أيها الإخوة الكرام، أما الصبر على ترك معصية الله فما أعظمه من صبر، وما أشده من حبس للنفس وما أقل حظها منه!

إن الإنسان يعيش في عراك مستمر مع نزغات الشيطان ونزوات النفس الأمارة بالسوء أمام إغراءات الفتن والشهوات ودعواتها الملحة.

وهذا النوع من الصبر قد يفوق الصبر على الطاعة؛ لأن فعل بعض الطاعات قد تصاحبه رغبة طبيعية كأن يكون الإنسان محباً للخير والعطف والإحسان إلى الآخرين.

أما تصبير النفس على ترك المعصية وهي تواقة إليها فهو صبر شديد، لكن المؤمن يعان على هذه الشدة إذا كان ترك المعصية من أجل الله تعالى.

ومن أمارات صعوبة ترك المعصية: أن المعاصي تتوزع على جوارح الإنسان، إذ لكل جارحة منها مطالب من الذنوب.

فما أحسن قلباً صبره صاحبه على ترك كل اعتقاد باطل وشبهة منحرفة، وصبره على هجر الحقد والشحناء وملأه بالمحبة والإخاء.

وما أجمل عقلاً منع عنه صاحبه ورود الأفكار المضلة والآراء السامة، وأناره بمصابيح الهدى والعلم النافع، وما أكثر الأفكار المذمومة هذه الأيام وما أسرع وصولها إلى الأذهان وتأثيرها فيها.

فمنجاة العقل بعد الحماية والتنقية أن يُحلَّى بالتدبر والتفكر، ويصبر على قبول الحق من أي لسان جاء ومن أي مصدر ورد مادام من الحق، وأن لا يعار لمن يحشوه بالتيه والضلال.

وما أطيب لساناً حينما يحبسه صاحبه على قول الخير وترك التفوه بالشر، وما أحسن سمعاً أصمه صاحبه عن سماع الباطل وفتحه لقبول الحق، وما أجمل بصراً حجبه المسلم عن رؤية الحرام وصبره على الغض وترك حب التطلع إلى ما لا يحل النظر إليه.

وأكرم بيد مسلم كفها عن البطش في الظلم والانطلاق في تناول المحظورات، وأنعم برجْل وقفت عند حدود المباح ولم تتحرك خطاها إلى تراب الحرام.

فكيف سيعيش مسلم منع تسريح هذه الجوارح في مراعي الهوى وطاعة الشيطان؟

إنه سيحيا حياة طيبة لما انتصر على نفسه فخطمها وأمسك عنانها عن الجموح في محارم الله. وسيذوق على صبره هذا لذات مستمرة أعظم مما لو نال تلك المحرمات.

قال بعض السلف: "من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته". وقال بعضهم: " من غض بصره لله أورثه حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه".

وقال ابن القيم رحمه الله: " اللذة والتنعم بالعبادة إنما تحصل بالمصابرة والتعب أولا، فإذا صبر عليها وصدق في صبره أفضى به الى هذه اللذة، قال أبو زيد: سقت نفسي إلى الله وهي تبكي فما زلت أسوقها حتى انساقت إليه وهي تضحك".

هذه هي الحياة السعيدة في ظلال الصبر على طاعة الله والصبر على هجران معاصيه.

قال ابن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلو... ب وقد يورث الذلَّ إدمانها

وترك الذنوب حياة القلو... ب وخير لنفسك عصيانها

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، النوع الثالث من أنواع الصبر: الصبر على الأقدار المؤلمة النازلة على الإنسان.

فالإنسان في هذه الحياة عرضة لتغير الأحوال وتقلب الأطوار، ولأن طاقات الإنسان ووسائل علمه محدودة فقد يرى النعمة نقمة، والنقمة نعمة، والسرور شرورا، والشرور سرورا.

غير أن المؤمن ينظر إلى الحياة بمنظار شرعي مضيء فيرى الحقائق على ماهي عليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) ([[976]](#footnote-976)).

والبلاء بالمكاره عندما ينزل على المؤمن يواجهه بالصبر والرضا، حتى ينقلب ألم المصيبة إلى فرحة، وكرهها إلى محبة، والضيق بها إلى سعة في ظلها؛ لأنه يوقن أنها فعل الودود الرحيم العليم الحكيم، وأن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه، وأن المضرات أبواب المسرات، والمواجع مصاعد الارتقاء إلى العلياء، وأن طلائع الشقاء من أول لمحة هي مفاتيح السعادة إذا وصلت وصادفت قلباً راضيا.

قال تعالى: { الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } { أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ }[البقرة:156-157].

ويرى المؤمن الصابر الراضي أن هذه الآلام تفتح له من أبواب الخير ما لا يخطر بباله، لو لم يكن له فيها إلا رفع المنزلة والدرجة عند الله وكثرة أجره وثوابه على صبره عليها لكفى.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة، في جسده وأهله وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة) ([[977]](#footnote-977)).

و قال صلى الله عليه وسلم: ( إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط) ([[978]](#footnote-978)).

فالمؤمن إذا استحضر هذه الأحوال وعمل بما أمره الله به صار في عيش طيب ولذة ممتدة، فاتسعت له الحياة بعد أن اتسع قلبه وانشرح صدره، وهذه هدية الله في العاجل لكل صابر وراض بقضاء الله وقدره. قال تعالى: { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[التغابن:11]. قرى ء (يهد) بالهمز: يهدأ من الهدوء. قال علقمة رحمه الله عند هذه الآية: "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم".

ثم صلوا وسلموا على خير البشرية...

# مطية النجاة: الخوف من الله ([[979]](#footnote-979))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، إن الله تعالى أنعم على عباده ببسط سابغ رحمته عليهم وعموم رأفته بهم، فما أعظمها من منّة، وما أحسنها من نعمة؛ لأن نيل رحمة الله تعالى طريق سعادة الدنيا والآخرة.

وقد اقتضت رحمة الله تعالى بعباده أن يوجد لهم أسباباً تردهم إليه وتقبل بهم عليه حينما ركبوا مطايا الغفلة والتغافل فنسوا حق خالقهم وما خلقوا لأجله فمالوا إلى الدنيا ولم يذكروا أنهم إلى ربهم راجعون، وأنهم بين يديه سيقفون وعلى أعمالهم سيحاسبون، فإما مثابون ونعمت البشرى، وإما معاقبون وبئس المآل إلى سوء الحال.

عباد الله، من تلك الأسباب التي رحم الله بها عباده لكي يرجعوا إليه: التخويف منه ومن عقابه وآثار غضبه. قال تعالى: {فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } {لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ }[الزمر15-16]. وقال: { وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً }[الإسراء59].

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خسفت الشمس فقام النبي صلى الله عليه و سلم فزعاً يخشى أن تكون الساعة فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله وقال: ( هذه الآيات التي يرسلها الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوف الله بها عباده، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره ) ([[980]](#footnote-980)).

أيها المسلمون، إن الخوف من الله تعالى عمل قلبي يحمل العبد على امتثال أوامر الله وترك نواهيه. وهو عبادة من أجلّ العبادات، وقربة من أعظم القربات؛ لأنه يثمر الطاعات ويحجز عن السيئات.

وهو أمارة من أمارات وجود الإيمان في قلب صاحبه، فإذا وجد الإيمان أنتج الخوف من الله عز وجل. قال تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }[آل عمران175]. وهو خلق يبعث على تعظيم الله وإجلاله، والتسليم لشرعه والرضا بأفعاله في خلقه. وهو عمل يعين على الاستفادة من الذكرى والموعظة. قال تعالى: {فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى } {سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى }[الأعلى9-10].

وقال: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }[الزمر23].

أيها المسلمون، إن العبد محتاج إلى ملازمة خوف الله تعالى احتياجاً شديداً؛ لأنه مطية نجاته، وسبيل راحته، وصلاح دنياه وآخرته.

وتعظم أهمية ملازمة الخوف في مثل هذا الزمان الذي قل فيه الصالحون والمصلحون، وكثر فيه الفاسدون والمفسدون، حينما غلبت على الجوارح فتن الشهوات وتغلغلت في العقول فتن الشبهات، فظهرت المعاصي وجاهر العصاة وقلّت الطاعات وأهلها، وكثرت المنكرات وازداد دعاتها والمقبلون عليها، وحورب المعروف وضُيِّق عليه، حتى أصبح المنكر معروفاً والمعروف منكرا، والباطل حقاً والحق باطلاً، والظالم صاحب حق، والمظلوم لا يستحق العيش والبقاء.

في مثل هذه الأجواء المتخمة بالذنوب والمذنبين، والملطخة بتغير المفاهيم والأفكار وتقلب القيم والمواقف تزداد الحاجة إلى التحرز بحصن الخوف من الله تعالى؛ ليكون ذلك مأوى يعصم الإنسان من الخطيئة وينجيه من عواقبها الوخيمة.

أيها المسلم، الزم خوف الله جل جلاله حياتك كلها، وفي أحوالك جميعها، في سرك وعلنك في بيتك وفي عملك وفي كل جهة توجهت إليها. الزم خوف الله في ذاتك: خف الله في قلبك أن يطلع عليه وفيه ما لا يرضيه، وخف الله في عقلك أن يحمل فكراً يضاد شرع الله ووحيه، وخف الله في لسانك أن تنطق بالسوء الذي يغضب ربك.

وخف الله في عينيك أن تزيغ إلى الحرام، وخف الله في سمعك أن يصغي إلى الباطل، وخف الله في يدك أن تكتب المنكر أو تظلم بالبطش بين الخلق بقتل أو أخذ للمال من غير حله. وخف الله في رجلك أن تسعى إلى الحرام، وتقف في مواطن الشر والمنكر.

يأيها المسلم، ليكن خوف الله تعالى رفيقك مع والديك ومع زوجتك وأولادك ومع جيرانك ومع أقاربك. فخوف الله هو الذي يمنعك من ظلمهم والتقصير من إيفائهم حقوقهم.

وإذا كنت والياً أو مسؤولاً فليكن خوف الله تعالى رقيبك الذي لا ينام حتى لا تجور ويصبح الظلم والخيانة والغش ديدنك بين رعيتك. وإذا كنت موظفاً أو عاملاً في أي وظيفة أو عمل كنت فاجعل خوف الله تعالى معك دائماً حتى لا تخون أمانة الوظيفة أو العمل الذي حملتها.

أيها المسلمون، إن الخوف من الله عبادة عظيمة تحتاج إلى بذل جهد في تحصيلها واكتسابها والمحافظة عليها بعد حصولها. فالتفكر في أسماء الله وصفاته ومعرفتها يرسخ في قلب المسلم إجلال الله تعالى وتعظيمه والكف عن مساخطه والمسارعة إلى مراضيه. فحينما تفكر في أسماء الله تعالى: العظيم الجبار القهار القدير المنتقم القوي المتين العزيز الكبير ونحوها من الأسماء القهرية تتربى في نفسك هيبة الله تعالى وخشيته، فمن أنت أيها الإنسان حتى تعصي الله تعالى وتفوت قدرته أو لا يدركك قهره وجبروته؟ قال تعالى: {وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }[العنكبوت22].

وعندما تتأمل في أسماء الله: العليم اللطيف الخبير السميع البصير ونحوها يزرع ذلك في قلبك الخوف من الله تعالى. فأين تستطيع أن تعصي الله تعالى ولا يعلم بك ولا يراك ولا يسمعك ولا يرقب عملك؟!

قال تعالى: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }[الأنعام59].

عباد الله، إن هذا الكون الفسيح يحوي آيات باهرات تدل على قدرة الله وإبداع صنعه وعنايته بخلقه وكثرة خيره المسدى إليهم. فالإنسان العاقل إذا نظر إلى هذا الخلق البديع المحكم العظيم وتأمل فيه واعتبر بما رأى وشاهد دعاه ذلك إلى خوف الله تعالى وخشيته وحب طاعته والبعد عن معصيته. قال تعالى:{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ{190} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ{191} [آل عمران 190-191].

وقال: {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[غافر57].

أيها المسلمون، إن استحضار الإنسان لساعة رحيله عن الدنيا وملاقاته الموت وانتقاله إلى الدار الآخرة التي تكشف فيها السرائر ويبرز ما في الضمائر ويحاسب الإنسان فيها على ما قدم في حياته الدنيا، ثم المصير إلى جنة عرضها السماوات والأرض أو إلى نار وقودها الناس والحجارة إن استحضار هذا المشهد المستقبلي الحق في ذهن الإنسان يدفعه دفعاً شديداً إلى خوف ربه، وإجلاله أن يكون من عصاته الذين ينزل بهم غضبه ويحل عليهم عقابه.

لقد حمل الجهل بدين الله كثيراً من الناس على ترك واجبات الإسلام والانغماس في حمأة الحرام بلا رادع من خوف أو حاجز من خشية تحول بينهم وبين ركوب الباطل ومجاوزة الحلال إلى الحرام. لذلك كان على المسلم أن يتعلم شرع الله تعالى حتى يعرف الحلال فيأتيه والحرام فيجتنبه. فمعرفة شرع الله من أعظم الأسباب التي تعين على تحصيل خوف الله تعالى في قلب المسلم؛ ولذلك قال تعالى عن العلماء العاملين الصادقين:

{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء }[فاطر28].

عباد الله، إن للجلساء والمجالس في أي مكان كانت أثراً كبيراً في تحصيل خوف الله تعالى في القلب أو في تحطيم ما تبقى من بنيانه.

فالرفقة الصالحة في البيت أو المسجد أو العمل أو اللقاءات الاجتماعية تعين من كان معها في تلك الأماكن على أن يكون من أهل الخشية لله تعالى؛ لأنه سيسمع هناك الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وسيرى المعروف ظاهراً والمنكر خافتا. أما إذا كانت الرفقة سيئة ليس لها همّ في صلاح الإنسان واهتدائه فإنه سيجد لديهم التباطؤ عن الطاعات والمسارعة إلى المنكرات. فيملئ سمعه وبصره من الباطل الذي يُرتكب أو يتحدث الجلساء عنه.

وهذا سيجعله يتجرأ على هتك ستر الخوف والسير في دروب المعصية إلا من رحم الله.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة ) ([[981]](#footnote-981)).

وهذا الحديث مثلٌ يقرّب معنى حصول الانتفاع من الجليس الصالح، وحصول الضرر من الجليس السيء.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن بعض الناس يقولون بألسنتهم: إننا نخاف الله تعالى، ولكن هذه دعوى:

والدعاوى إن لم تقم بينا...ت عليها أصحابها أدعياء

فالبراهين هي التي تكشف عن صدق القائلين أو كذبهم. فالخوف الصادق هو الذي يجعل صاحبه من المسابقين إلى الطاعات فرضها ونفلها. والخوف الصادق هو الذي يحجز الإنسان عن الإسراف على نفسه بالذنوب والمجاهرة بها والإصرار عليها. قال تعالى: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً }الإنسان9 {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً }[الإنسان9-10].

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل) ([[982]](#footnote-982)).

فاختبر نفسك أيها المسلم هل أنت من أهل الخوف من الله تعالى أو لا؟ انظر كم رصيدك من الطاعات والأعمال الصالحات، وانظر حالك مع الذنوب وكيف إقبالك عليها، وهل أنت من التائبين منها أو من المصرين عليها؟. إن الخوف الصادق هو الذي يجعل صاحبه مفكراً بالآخرة يتذكرها ويعمل لها ويجعلها أكبر همه. فامتحن نفسك -أيها الإنسان- لتنظر صدق خوفك وكم نصيب الآخرة من قلبك ومن ليلك ونهارك، وكم نصيب الدنيا في ذلك، وما الأرجح منهما؟.

أيها المسلمون، إن الخوف من الله تعالى هو روح الحياة السعيدة في هذه الدنيا. فما أجمل أن يكون الإنسان من أهل الخوف الصادق من الله تعالى.

وما أحسن المجتمع حينما ترفرف عليه أعلام الخوف من الله في كل أرجائه. فلا يرى الناس عند ذلك إلا ما يسر ويسعد ويفرح. ولا مكان عند ذلك للجريمة والخديعة والشقاء والاضطراب والقلق.

فيا عباد الله، يا من عرفتهم لماذا خلقتم إلى هذه الدنيا ازرعوا في نفوسكم الخوف من الجبار في الليل والنهار؛ لتَسعدوا ولتُسعدوا وربوا أهاليكم وأولادكم ومن ولاّكم الله عليهم على الخوف من الرب القادر العليم؛ ليكون ذلك رقيبهم في السر والعلن، ولو ذهبت مراقبتكم لهم فإن ذلك الحس فيهم يرقبهم. نسأل الله أن يجعلنا من أهل خشيته والخوف منه.

هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير...

# منهج رسول الله في التعامل مع الأزمات [1] ([[983]](#footnote-983))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، إنه لا يخفى عليكم ما تمر به البلاد الإسلامية عموماً وبلادنا خصوصاً من أزمات داخلية وأزمات خارجية. خلّفها البعد عن تعاليم الإسلام في الفكر والعمل والواقع. لقد صارت مادة الأزمة بكل مشتقاتها المعجمية عنصراً ملازماً للحياة العربية والإسلامية في عالم اليوم، فإذا ذكرت الأزمة انصرف الذهن إلى المسلمين، وإذا ذُكر المسلمون انصرف الذهن إلى الازمات!

إن هذه الازمات تتفاقم يوماً بعد يوم، وتمتد بيننا عمودياً وأفقياً فترة بعد فترة، حتى كثر نتاجها السيء من القتلى والجرحى، والفقراء والجوعى، والأرامل واليتامى، والسجناء والأسرى والمشردين والمقهورين والمرضى والمهمومين والساخطين والمكتئبين.

و توزعت أحوال الناس حيال أزماتهم الخاصة والعامة مواقف شتى: فمنهم من سلك طريق اليأس والإحباط، فانسدت أمام عينيه سبل الفرج حينما قطعها عن نفسه بقنوطه، ومنهم من انتظر مجيء الحلول من الخارج، واستعد لذلك بتقديم التنازلات الدينية والوطنية، ومنهم من ركب لعلاج الأزمة مطايا الحرام من الاعتداء على دماء الناس وأموالهم واستقرارهم ظاناً أن الأزمة لا تعالج إلا بتوليه وانتقامه من خصومه، ومن الناس من بقي متفرجاً منتظراً حلاً من أي جهة جاء من الأرض أو من السماء.

عباد الله، إذا تأمل الإنسان العاقل في هذه الطرق لعلاج الأزمة سيجد أنها طرق مسدودة غير سالكة وغير موصلة إلى العلاج الشافي.

غير أنه قد بقي طريق صحيح لدواء الأزمات، ولكن السالكين فيه قلة والداعين إليه لا يسمع لهم، ولو أسمعوا لا يستجاب لهم؛ لأن هناك حواجز من الأهواء والشهوات الصادة قامت في عقول كثير من الناس وقلوبهم حالت بينهم وبين الرضا بهذا الطريق فضلاً عن سلوكه.

هذا الطريق الصحيح هو: علاج الأزمة علاجاً إسلامياً واعياً يقوم على فهم الإسلام فهماً شمولياً لا قاصراً ولا متحيزاً، يداوي الأزمة بمعرفة الإسلام معرفة صحيحة وبمعرفة الواقع معرفة فاحصة، فالإسلام دواء في كل زمان ومكان، ولكنه يحتاج إلى فهم صحيح وتنزيل صحيح وطبيب حاذق يضع العلاج المناسب في مكانه وزمانه المناسبين.

هذا العلاج هدفه الأمة بجميع فئاتها وليس هدفه جماعة أو حزباً أو عنصراً بأعيانها. لا يتبنى سياسة الإقصاء الظالم ولا التهميش المسيء و لا الاستحواذ الآثم، إنما يفعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي.

إننا-معشر المسلمين- لا نستطيع الرضا بطريق الإسلام الصافي علاجاً لأزماتنا حتى يكون لدينا يقين بصحته وصلاحه للهدف المنشود؛ فإن المريض المتشكك بدوائه لا ينتفع به، بل قد يضره. فبدلاً من الحركة الواقفة والدوران في دائرة مغلقة، والسعي في المشروعات الفئوية الضيقة ينبغي على عقلاء الأمة وقادتها الصالحين أن يبحثوا لها عن علاج شاف متكامل يكفيها ما نزل بها من أوجاع أقعدتها عن التقدم والحركة الناجحة.

فالإنسان العاقل لا يستسلم للأمراض حتى تهلكه، بل يبحث عن الطبيب والمشفى والدواء.

وما دام أن العلاج الناجح لأزماتنا هو الأخذ الصحيح بالإسلام اعتقاداً وعملاً في الواقع، فتعالوا اليوم نقلب صفحات الأيام التي عاشها خير من تمثل الإسلام في باطنه وظاهره وهو نبينا صلى الله عليه وسلم لننظر كيف عالج الأزمة حتى تولّت أو خفّت.

أيها المسلمون، لقد عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم حياة النبوة ثلاثاً وعشرين سنة يبني فيها أمة لتقود العالم، فتعددت لذلك الأزمات التي واجهها وعالجها بما جاء به من النور الذي تبددت أمامه جحافل الظلمات. فما أحوج العالم اليوم إلى محمد، كما قال المفكر الانجليزي برناردشو: "ما أحوج العالم إلى محمد؛ ليحل مشاكل العالم وهو يحتسي فنجان قهوة". نعم لقد مات رسول الله لكنه ترك لنا تركة ضخمة وثمينة من الهدى يمكننا أن نعالج بها مشكلاتنا بالرجوع إليها هذه التركة الغالية هي كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }[النساء59].

أيها المسلمون، لقد بعث الله تعالى محمداً عليه الصلاة والسلام في قوم لا يعرفون معبوداً إلا الصنم، ولا يدينون بدين سوى الشرك بالله، فلما بدههم بالدعوة إلى التوحيد وعبادة رب واحد رموه بالعداوة عن قوس واحدة.

لكن رسول الله بدأ تكوين الجماعة المسلمة تحت نيران التهديد والوعيد وصلف الصدود والتحديات.

وكان بانتظار هذا النور الذي بدأ بصيصه يتشعشع شيئاً فشيئاً في مكة ظلماتٌ من الاضطهاد والتعذيب والإيذاء القولي والفعلي. الذي تحول بعد ذلك إلى أفعال تمارس ضد المؤمنين باستمرار من سب وشتم وسخرية واستهزاء وضرب وقتل واعتداء.

لقد استعملت الفئة الكافرة ضد الفئة المؤمنة أنواعاً من الحروب منها: النفسية والإعلامية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الفردية.

وفي ظل هذه الأزمة الكبيرة التي تفرعت أطرافها مع أزمة قلة المؤمنين وضعفهم وعجزهم شرع رسول الله بعلاج الأزمة علاج الطبيب البصير الخبير، فكان أول دواء استعمل أن أمر رسول الله أصحابه بالصبر وتحمل إيذاء المشركين المتنوع؛ لأن الصبر عاقبته حميدة، ولن تُنال الرغائب وتبلغ الآمال والمطالب إلا بعبور جسر الصبر. قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }[السجدة24].

عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا: له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: ( كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ) ([[984]](#footnote-984)).

ويمر عليه الصلاة والسلام على آل ياسر رضي الله عنهم وهم يعذبون فيقول لهم مسلياً ومبشراً: (صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة).

لقد ظهرت حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الدواء الناجع وهو يأمر الصحابة به حينما يمر بهم وهم يعذبون، فلو أنه أمرهم بالمواجهة العسكرية في هذه الظروف غير المتكافئة لكان في ذلك الاستئصال والفناء.

ومن الأدوية التي عمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الحال: التربية الإيمانية، فلقد غرس في نفوس الصحابة الكرام الإيمانَ بالله واليوم الآخر وحب الجنة وأسقاهم نمير القرآن العذب، وبين لهم أن ما عند الله خير من الدنيا وما فيها، فلما تغلغلت هذه المعاني في نفوسهم هان عليهم في سبيله كل عناء، وتحملوا في طريقه كل بلاء، ولو وجُلدت الأجساد وقطعت الرقاب؛ ولذلك لم يرتد أحد منهم سخطة لدينه؛ لأن الإيمان خالطت بشاشته القلوب.

فبلال رضي الله عنه الذي تحمل حر بطحاء مكة وأحجارها المحماة التي بسطت على بدنه الطاهر لم يقبل مساوماتهم وعروضاتهم، ولم يأبه بتهديداتهم ليرفع عن نفسه العذاب؛ لأنه مزج حر التعذيب وشدته ببرودة الإيمان ولذته فغلبت برودةُ الإيمان ولذته حرارة العذاب وشدته فثبت على الحق.

إن أمة الإسلام اليوم تحتاج إلى تربية إيمانية أحوج من الطعام والشراب، حتى يشعر المسلم بوجوده ووظيفته في هذ الحياة، وحتى يستطيع التغلب على أزماته ومعاناته. فأين معاني الإيمان وتمثل هدي القرآن في حياتنا اليومية؟ ما نصيب الدين في قلوبنا وتفكيرنا وعملنا وآمالنا؟. إن من لم يترب إيمانياً لن يستطيع الصمود الصحيح أمام الأزمات.

عباد الله، وكان من الوسائل التي استعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأزمات: وسيلة التفاؤل وهو النظر المشرق إلى الآفاق المضيئة التي تنتظر الحق وأهله بعد ذهاب ليالي البلاء.

لقد نزع رسول الله من نفوس الصحابة عروقَ اليأس والقنوط وزرع فيها الاستبشار بالمستقبل الوضاء، ولم يكن ذلك في زمن السراء بل كان في عنفوان الضراء وشدتها.

كما في قوله السابق لخباب: (والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ).

قال البراء: لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءة وأخذ المعول فقال: ( بسم الله )، ثم ضرب ضربة، وقال: ( الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة )، ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال: ( الله أكبر، أعطيت فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن )، ثم ضرب الثالثة، فقال: ( بسم الله )، فقطع بقية الحجر، فقال: ( الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني ).

إن تعدد الأزمات التي تمر بالمسلمين وتعقدها تحتم عليهم المزيد من التفاؤل والاستبشار؛ فإن تكاثف الشدة يؤذن بالانفراج، واشتداد الظلام يبشر بالانبلاج، وليس هذا من المثالية، بل من الواقعية؛ فالتاريخ حافل بالشواهد.

إن رسول الله-مع عمله بالوسائل السابقة لعلاج الأزمة- قد عمل بوسائل أخرى ممكنة تخفف وطأة البلاء فكان من ذلك: الإذن بالهجرة إلى الحبشة أولاً من بعض الصحابة، ثم هاجر بنفسه مع بقية الصحابة بعد ذلك إلى المدينة. وهذا العلاج كانت له ظروفه الجغرافية الخاصة، لكنه كان علاجاً ناجعاً في تلك الفترة الحرجة للأزمة التي دامت عدة سنوات.

عباد الله، ومن تعامل رسول الله مع الأزمة: استعمال الثقة بالله تعالى وإحسان الظن به؛ لأن الله مع عبده المؤمن بحمايته ونصره وتأييده بقدر ثقته وحسن ظنه به.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن الله جل وعلا يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله ) ([[985]](#footnote-985)).

لقد خرج رسول الله من مكة مطارداً وقد اتفقت كلمة قريش على قتله وتصفيته، أو الإتيان به حياً أو ميتاً بعد أن انفلت من بين أيديهم إلى غار ثور الذي كمن فيه حتى ينقطع الطلب الذي قد وصل إلى باب الغار، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة الواثقة المطمئنة: (يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما) ([[986]](#footnote-986)).

قال تعالى: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[التوبة40].

أمة الإسلام، إننا بحاجة ماسة إلى تقوية الثقة بالله تعالى في نفوسنا وتثبيت اليقين في قلوبنا بقرب الفرج وتولي ظلام الأزمات. وما تتابعُ الفتن والبلايا إلا للتمحيص والتخليص وتمييز الصفوف وكشف الوجوه الخادعة على حقيقيتها. فالمحن هي التي تميز الواثقين من بين الزائفين وتُري الناس الصادقين والكاذبين. قال تعالى تعليقاً عما حدث في غزوة أحد: قال تعالى: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ{139} إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ{140} وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ{141} أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ{142}[آل عمران 139-142]. وقال: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ }[العنكبوت2-3].

إن الثقة بالله تعالى وحسن الظن به تجعل المسلم يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله أرحم به من نفسه، وأحرص منه على مصلحته، وأعلم منه بما ينفعه، وأقدر منه على الدفاع عنه وعن دينه، والانتقام من أعدائه، لكنه تعالى جعل في خلقه سنناً لابد أن تجري؛ ليصفو الحق وأهله من الغبش، وليكونوا أكثر جلاء وفداء ونقاء.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، وكان من منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً في التعامل مع الأزمات: أنه ربى المسلمين على أنهم أمة واحدة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، أو هم كالبنان أو كالبنيان يشد بعضه بعضا، يتقاسمون المضرات كما يتقاسمون المسرات. وكان من صور هذا العلاج الذي قام به عليه الصلاة والسلام: جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وتأليف قلوبهم فآخى بين المهاجرين والأنصار، وأذاب أسباب التفرق الجاهلية من الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والحمية المشؤومة. فصار الناس جسداً واحداً تحت راية واحدة في دائرة واحدة سيدهم وعبدهم أحمرهم وأسودهم عربيهم وعجميهم. فإذا أردنا اليوم حل أزماتنا فلنكن كذلك.

ومن صور هذا العلاج: إجابة المستغيث من المسلمين على من بغى عليه ونصره والوقوف بجانبه بقدر الاستطاعة، ففي سوق بني قينقاع لما اعتدى اليهودي على المرأة المسلمة فاستغاثت بالمسلمين نصرها المسلمون فقُتل اليهودي وأجلي بنو قينقاع حينما نقضوا العهد واعتدوا على عرض المسلمة وقتلوا المسلم الذي أغاثها.

وقبيل فتح مكة عندما نقضت قريش عهدها وساعدت بني بكر في الاعتداء على قبيلة خزاعة حلفاء رسول الله وقتلوا منهم مقتلة فأسرع عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله يستنصره، وقال له:

يا رب إني ناشد محمدا... حلف أبينا وأبيه الأتلدا

قد كنتمُ وُلْدا وكنا والدا... ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصراً أيدا... وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا... إن سيم خسفاً وجهه تربّدا

في فيلق كالبحر يجري مزبدا... إن قريشاً أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا... وجعلوا لي في كداء رصّدا

وزعموا أن لست أدعو أحدا... وهم أذل وأقل عددا

هم بيتونا بالوتير هجّدا... وقتّلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( نصرت يا عمرو بن سالم). فكان فتح مكة.

واليوم -يا معشر المسلمين- كم نسمع من استغاثات وصرخات مسلمة مكلومة تستنصر وتستغيث بنا فلا يجيبها إلا رجع صوتها الموجع.

قال تعالى: { وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[الأنفال72].

ولكن:

لقد أسمعت لو ناديت حياً... ولكن لا حياة لمن تنادي

ومن صور علاج رسول الله الأزمة باستشعار أن أمة الإسلام أمة واحدة: القيام بالمواساة الاجتماعية بين المسلمين، وتقاسم لقمة العيش بين الغني والفقير. فقد ربى رسول الله صحابته الكرام على هذا المبدأ تربية ناجحة حتى صارت المبادرة منهم، فعطف الواجد على المعوز والقادر على العاجز، فعاشوا حياة تحفها المحبة والألفة والاجتماع والاتحاد.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم) ([[987]](#footnote-987)).

وللحديث بقية إن شاء الله في خطبة الجمعة القادمة.

هذا وصلوا على القدوة المهداة....

# منهج رسول الله في التعامل مع الأزمات [2] ([[988]](#footnote-988))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، لقد كان الحديث في خطبة الجمعة الماضية عن منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأزمات المتعددة: أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية، وتبين لنا هناك أنه عليه الصلاة والسلام قد اتخذ عدة وسائل في مواجهة الأزمة كان منها: الصبر والتربية الإيمانية، والتفاؤل والهجرة، والثقة بالله وحسن الظن به، والإخاء وجمع الكلمة، واستشعار أن الأمة بناء واحد ينصر بعضها بعضاً، ويواسي بعضها بعضا.

وفي هذه الخطبة إن شاء الله نستكمل ما تبقى من هذا الموضوع.

أيها المسلمون، من الوسائل التي واجه بها رسول الله الأزمات واستدفعها بها: الفرار إلى الله بالعبادة، فالعبادة راحة وسلوان، وقرار واطمئنان، ولا تأنس بها إلا النفوس الصالحة التي انتصرت على هواها، فالإقبال على عبادة الله تعالى والاستئناس بها -عندما تدلهم الخطوب- لا تتأتى لكل أحد؛ فإن كثيراً من النفوس تكون أقرب إلى النفور منها إلى الإقبال؛ لانشغالها بالبلية التي تأخذ بجميع الفكر والعمل.

ولهذا كان أجر العبادة أيام الفتن أكثر من غيرها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (العبادة في الهرج كهجرة إلي) ([[989]](#footnote-989)).

فمن العبادات التي كان يقبل عليها رسول الله عليه الصلاة والسلام في الأزمات: الصلاة، فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا شغله أمر أو أهمّه ونزل به فزع إلى الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه، وتتضمن الخضوع والانكسار بين يدي الله ودعاءه والإقبال عليه، والصلاة الخاشعة التي يقبل فيها صاحبها على الله تعالى بقلب منيب ورجاء منصرف عن الخلق إلى الخالق تهدّ جبال الهموم هدا، وتفك عقد حبال الأزمة المشتدة، وتنقل الإنسان الملتجئ إليها من وهج الضيق والمعاناة إلى ظلال الاطمئنان والتفاؤل. فعن عن حذيفة رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى) ([[990]](#footnote-990)).

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه الصلاة والسلام يقول: (وجعلت قرة عيني في الصلاة) ([[991]](#footnote-991)).

فيا عباد الله نحن في أيام فتن عظيمة وأزمات متلاطمة فما أحوجنا فيها إلى كثرة العبادة والإقبال على الله تعالى وملئِ الفراغ بها؛ لعلها أن تكون باب نجاة يخرجنا من بوتقة الشدائد والمضائق.

أيها الأحبة الكرام، ومن الوسائل التي استخدمها رسول الله في علاج الأزمات: الدعاء والتضرع بين يديه، وهذه الوسيلة نوع من العبادة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر قال: ( لا إله إلا الله الحليم العظيم لا إله إلا الله رب العرش الكريم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم، ثم يدعو) ([[992]](#footnote-992)).

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما ضاق به الأمر في مكة؛ لكثرة الصد والإيذاء خرج إلى الطائف لعله يجد قلوباً ألين من قلوب أهل مكة يسكب فيها النور والهدى، لكنه وجد قلوباً أشد غلظة وأكثر قسوة، فرجع إلى مكة دامي القلب والعقب من أثر حجارة كلامهم وحجارة سفهائهم فقال في أثناء رجوعه: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك)( [[993]](#footnote-993)).

انظروا -أيها الأحبة- إلى هذه الكلمات النيرات ما أجملها، وفي معاني هذا الدعاء ما أعمقها، إنها حروف مشرقة برقت من قلب اكتوى بنار الحزن على إدبار الناس عن الإقبال على الإسلام، لكنها تفوح بطيب الاستقرار الروحي باللجوء إلى الرب تبارك وتعالى.

وفي طريق رجوعه بعث الله إليه البشائر المطمئنة، فقد أسلم له نفر من الجن حينما أعرض الإنس، قال تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ } {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ }{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ }[الأحقاف29-31].

فأين نحن اليوم من الدعاء الخالص في خضم هذه الأزمات؟ فالدعاء دواء ناجع تستدفع به المشكلات، وتستنزل به الرحمات، وتحمى به الأنفس والحرمات، ولكنه يحتاج إلى إقبال وإخلاص ومداومة وصبر ويقين بلا استبطاء.

إن الأمور إذا انسدت مسالكها... فالصبر يفتح منها كل ما اُرتتجا

أخلقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته... ومدمنِ القرع للأبواب أن يلجا

أيها المسلمون، ومن الوسائل أيضاً: العمل الجاد والاستعداد المقدور عليه، فرسول الله وأصحابه لم يكونوا -عندما تنزل بهم الملمات- قاعدين ينتظرون الفرج السماوي بدون أسباب وعمل دنيوي يقومون به. بل قاموا بما يستطيعون من الأعمال في مواجهة الشدة؛ ففي مكة قوى رسول الله في قلوب الصحابة عود الإيمان حتى صلُب فكان الواحد منهم بأمة، ودعاهم إلى الحركة بالدين حتى يزداد عدد المسلمين فيكونوا قوة أمام الكافرين. فلما هاجر استوفى رسول الله بقية جوانب الاستعداد المادي والمعنوي التي لم تكن ظروف مكة ملائمة لفعل ذلك، فكون الدولة الإسلامية الأولى التي بدأت تقوى شوكتها آنذاك يوماً بعد يوم. وفي غزوة الأحزاب لما انحدر الكفار مشركوهم وكتابيوهم كالسيل الهادر لاستئصال شأفة المسلمين سارع رسول الله وأصحابه إلى العمل الجاد لصد هذا العدوان الغاشم فقاموا بحفر الخندق الذي كان من أسباب حماية الله لهم من بطش الكفار المعتدين.

فيا أيها المسلمون، إن سرطان الأزمات الذي مازال يرهق جسد الأمة ويسيح فيه متسعاً إذا لم يتدارك بعمل شامل في جميع الأصعدة لإيقافه فإنه سيقضي على مقدرات الأمة ويضعها في الحضيض فيصعب الانتشال بعد ذلك.

أمة الإسلام، ومن الوسائل التي استعملها رسول الله أيضاً في صد تيار الأزمة: الحيطة والحذر، وهذا مبدأ صحيح يدعو إليه التفكير الصائب والشرع الحنيف. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً }[النساء71].

وقد عمل رسول الله بهذه الوسيلة في أحوال كثيرة، فمن ذلك: الإسرار بالدعوة في مكة مدة ثلاث سنين حتى تكونت القاعدة الإيمانية التي ينطلق بها بعد ذلك لمواجهة الكفر والكافرين، ومن ذلك: التورية في غزواته، فكان لا يغزو غزوة إلا ورّى بغيرها، ومنها أنه لما قدم المدينة كان لا يبيت إلا محروساً.

وإن الناظر في أزمات المسلمين اليوم يرى أن من بين أسبابها: قلة الحيطة والحذر من أعدائها، بل إنها سلمت لهم الزمام لقيادة شؤونها والاطلاع على أسرارها، فصار حالها كالذي سلم غنمه للذئاب لتحافظ عليها من الكلاب.

لا يلام الذئب في عدوانه... إن يك الراعي عدو الغنم

ومن الوسائل كذلك: الحكمة والحلم والنظرة البعيدة الثاقبة للأمور خاصة في الأزمات الداخلية التي تنخر الأمة من الداخل. فقد عانى المسلمون الأُول ضرر المنافقين الذين كانوا يعملون على الإجهاز على الإسلام أو إصابته في مقتل بوسائل متعددة، فقد كان من بين المنافقين: عبد الله بن أبي ابن سلول الذي تبدى نفاقه علناً قبيل غزوة أحد برجوعه بثلث الجيش، وكذلك ما فعله في غزوة المريسيع، وبقوله في المهاجرين: " أو قد فعلوها! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا؟ والله ما نحن وهم إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل".

هذه المواقف السلولية أثارت حفيظة بعض الصحابة الأغيار فاستأذنوا رسول الله في قتل ابن أبي، فقال رسول الله: (دعه؛ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) ([[994]](#footnote-994)).

وبعد هاتين الحادثتين وحلم رسول الله عليه فيما مضى افتضح ابن أبي افتضاحاً لا يستطيع ستره بعد ذلك، فكان إذا تحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه. فقال رسول الله لعمر: (كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لي: اقتله لأرعدت له أُنُف، ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلته).

ومن الوسائل كذلك: ضبط الوضع الداخلي بتحكيم شرع الله في الناس وإقامة العدل وتطبيق حدود الله على من يستحقونها. وهذا العمل هو صمام أمان لحفظ المجتمع وعامل طرد للفساد من بين الناس، فالمفسدون بين الناس قلة، وأغلب الناس ينشدون العدل والأمن والاستقرار والحفاظ على الحقوق ويكرهون التعدي عليها.

فإذا طبقت شريعة الله بين الناس وصارت هي الحاكمة عليهم حصل الخير الكثير وزال الشر الكبير. وحدود الله جوابر وزواجر تنفع المحدود وتمنع الآخرين عن فعل الجريمة التي فيها حد.

فأي مجتمع مسلم لم تحكمه الشريعة الإسلامية لن يخرج من أزماته ولن يرى شواطئ السلامة حتى يقبل بشرع الله في جميع شؤونه. إن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد عمل على امتثال الإسلام في الناس بقوله وبفعله وحكم الناس به حتى رضوا به، ولم يحابِ أحداً أو يمنع حقاً من أحد قريباً كان أو بعيداً.

في الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حد من حدود الله؟! ثم قام فاختطب ثم قال: ( إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

عباد الله، ومن الوسائل التي استخدمها رسول الله في مواجهة الأزمات: الصلح والمعاهدة مع الكفار، وفحوى هذا الصلح: حصول السلامة المشتركة بين الطرفين، فلا يتعرض طرف لآخر بالحرب والعدوان. فقد عقد رسول الله-حين قدومه المدينة- مع اليهود مواثيق مصالحة على السلامة والمواطنة المشتركة القائمة على الوفاء والالتزام ببنود العهد. وعقد رسول الله مثل ذلك مع بعض قبائل العرب المحيطة بالمدينة، وكذلك عقد مع مشركي قريش صلح الحديبة. ولم يكن في جميع تلك المعاهدات تقديم تنازلات من دين الله؛ فلهذا لا بأس بالمعاهدة والمصالحة مع الكفار بشرط أن لا يكون في ذلك بنود تخالف شرع الله وتضر بالمسلمين وتستوجب الوصاية عليهم.

أيها المسلمون، ومن الوسائل أيضاً: وسيلة الحرب المتنوعة: النفسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية. فالحرب شر لابد منه عند الاضطرار إليه.

قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }[البقرة216].

فقد كثر الإيذاء للمسلمين في مكة ولم يكن بوسعهم المواجهة العسكرية فاتخذ رسول الله الحرب النفسية، فقد كان رسول الله حول الكعبة يوماً يطوف فجعل المشركون يغمزونه ببعض ما يقول فعرف ذلك في وجهه، ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرف ذلك في وجهه، ثم مضى ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال: ( تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح)، فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً فوالله ما كنت جهولا، فانصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم) ([[995]](#footnote-995)). فهذه الكلمة وقعت في أنفسهم موقعاً عظيماً.

وكان أبي بن خلف يتوعد رسول الله بالقتل، فقال رسول الله: (بل أنا أقتلك إن شاء الله)، فلما طعن رسول الله أبياً يوم أحد وكان خدشاً غير كبير كان أبي: يقول: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فو الله لو بصق علي لقتلني.

ومن الحرب الإعلامية التي استخدمها رسول الله وأصحابه ضد الكفار: ما حصل يوم الأحزاب من نعيم بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: يا رسول الله، مرني بما شئت، فقال رسول الله: (إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت؛ فإن الحرب خدعة)، فقام نعيم بشن حرب إعلامية ناجحة واسعة النطاق ألقت في صفوف المشركين الفرقة والتخاذل حتى كانت من أسباب انقشاع جمعهم عن المدينة.

وأما الحرب الاقتصادية فإن ثمامة بن أثال رضي الله عنه لما أسلم وذهب إلى مكة للعمرة قال لقريش: " ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت يمامة ريف مكة، فانصرف إلى بلاده، ومنع الحمل إلى مكة، حتى جهدت قريش، وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلي إليه حمل الطعام، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم". رحمة بهم.

وأما الحرب العسكرية فكانت هي الخيار الوحيد أمام رسول الله حيال الأزمة التي يقوم الكفار فيها ضد المسلمين؛ لأن البداءة كانت منهم والاعتداء حصل من قبلهم. فقد خاض رسول الله مع المشركين غزوة بدر وأحد والأحزاب وفتح مكة وحنين إضافة إلى بعض السرايا. وخاض مع اليهود غزوة بني قريظة وخيبر، وخاض مع النصارى معركة مؤتة.

إذا لم تكن إلا الأسنة مركباً... فما حيلة المضطر إلا ركوبها

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، ومن الوسائل التي اتخذها رسول الله في مواجهة الأزمة أيضاً: تطبيق عقيدة الولاء والبراء: الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين. وهذا المبدأ يحفظ عقيدة المسلمين من الاهتزاز والذوبان في عقيدة الكفر. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[المائدة51]. فرسول الله عليه الصلاة والسلام لما خرج لغزوة أحد رأى كتيبة حسنة التسليح منفردة عن سواد الجيش فسأل عنها، فأخبر أنهم من اليهود يرغبون في المساهمة في القتال ضد المشركين، فسأل: هل أسلموا؟ فقالوا: لا، فأبى أن يستعين بهم؛ لأنه لا يأمن مكرهم وغدرهم.

عباد الله، إن أعداء الإسلام لا يمكن أن يأتي يوم عليهم يبذلون فيه أموالهم وجهودهم من أجل إصلاح أوضاع المسلمين تحت أي مسمى سواء في أيام السلم أم أيام الحرب.

إن من أمثلة ذلك: ما يحصل في بلادنا فيما يسمى بالحوار الوطني، فهل ينتظر العقلاء في هذا البلد أن يكون صلاح أوضاعنا على يد مجلس الأمن الذي هو خلف كل أزمة حصلت وتحصل للمسلمين، فمتى عطف المفترس يوماً على الضحية؟.

لقد تابع الكثير من الناس في هذه الأيام الحديث عن وثيقة المبعوث الأممي بشأن القضية الجنوبية، والتي أحدثت ردود أفعال كثيرة، واستياء شعبياً واسعاً وجدلاً سياسياً كبيراً؛ لتضمنها أموراً خطيرة تمس عقيدة الشعب اليمني المسلم وشريعته ووحدته واستقراره. وقد قام الشرفاء من أبناء هذا البلد بإدانة هذه الوثيقة الخطرة كل في مجاله وبما يقدر عليه. ومن ذلك أن علماء اليمن أصدروا بياناً رافضاً هذه الوثيقة؛ لما تضمنته من أخطار دينية ووطنية.

فهذه الوثيقة تتضمن انتهاكاً لسيادة الشريعة الإسلامية بتقديم الاتفاقات الدولية عليها.

وتضمنت هذه الوثيقة مصادرة حق الشعب في اختيار أسلوب حياته وحكامه. وتضمنت تفتيت وحدته إلى دويلات صغيرة. وتضمنت أسساً تعمق الهيمنة الأجنبية وتضع البلاد تحت الوصاية الدولية. وتضمنت التسهيل للشركات الأجنبية في نهب ثروات البلاد.

ولا يسع المقام لذكر تفاصيل هذه الوثيقة المشؤومة والرد عليها. فنسأل الله أن يفرج عنا وعن سائر المسلمين في كل مكان.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

# وقتك حياتك ([[996]](#footnote-996))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، هناك أمر أضاعه كثير من المسلمين وغفلوا عنه، مع أنه رأس مالهم في الحياة، والعجيب أن بعض الكافرين يهتمون به أكثر من كثير من المسلمين، واستفادوا منه حتى ظهرت آثار استفادتهم منه في الواقع بما يبهر العقول. هذا الأمر هو موضوع الوقت.

لقد اعتنى القرآن الكريم بموضوع الوقت عناية كبيرة من وجوه عديدة، فمن ذلك أنه تعالى جعله نعمة من النعم التي سخرها للإنسان. فقال تعالى: {وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ }[إبراهيم33].

والزمن إنما هو الليل والنهار. ومن ذلك: أن الله تعالى أقسم ببعض الأوقات؛ وذلك لأهمية الوقت. فأقسم تعالى بالفجر وبالضحى وبالعصر وبالليل وبالنهار.

عباد الله، لقد قسم الله تعالى عمر الإنسان فجعله سنين وشهوراً وأياماً وساعات. وجعل في هذه الأوقات عبادات تضبط وقت المسلم لتكون هي ميزان الوقت كله.

فميزان اليوم والليلة: الصلوات الخمس، وميزان الأسبوع: الجمعة، وميزان العام: رمضان، وميزان العمر: الحج، فمن ضيع ميزانه فقد ضيع رأس ماله وربْحه معاً.

إن وقت الإنسان هو حياته وعمره، فمن أذهب وقته فيما لا ينفعه عند ربه فقد أذهب حياته وعمره؛ لأن الدنيا لا تعمر إلا باستغلال الوقت، والدين لا يتم ولا يكمل لصاحبه إلا باستغلال الوقت.

فما الذي أوصل العلماء العظماء إلى مراتب العظمة وجعلهم في منازل عالية من الحفظ والفهم والتفكير والإنتاج النافع لغيرهم في حياتهم وبعد مماتهم؟ إنه استغلال الوقت ومعرفة قيمة الزمن.

وما الذي بلغ ببعض العباد إلى الآفاق السامية من كثرة العبادة والدأب عليها إلا استثمار الوقت وصرفه في هذا الجانب العظيم.

وفي عصرنا الحاضر نرى الكفار جعلوا للوقت أهمية كبيرة، ومن إدراكهم ذلك بنوا الحياة الحديثة بما أفرزته عقولهم من النظريات، وما أنتجته من المخترعات. فقد كان بعض المخترعين يقضي عشرين ساعة في التفكير والبحث والإنتاج من غير كلل ولا ملل.

وبعضهم يقرأ الصحيفة في أماكن الخلاء!.

إذا أردتم أن تعرفوا الفرق بيننا وبينهم في هذا الجانب فتأملوا ماذا نصنع في صالات الانتظار في المطارات والمستشفيات وغيرها وماذا يصنعون هم لاستغلال الوقت.

في عام (1970م) انعقد مؤتمر في جنيف حضرته ست عشرة دولة وأصدروا قانون الفراغ الدولي لكيفية توظيف الوقت ومعرفة استغلاله.

أيها المسلمون، ألم يعلمنا ديننا أن نستثمر أوقاتنا، ونعمرها قبل مفاجأة الشواغل؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: ( اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) ([[997]](#footnote-997)).

فالشباب مرحلة عمرية ثمينة تجتمع فيها مشجعات كثيرة على العمل وملئ الفراغ من النشاط والحيوية والقوة وقلة الأعباء ونحو ذلك.

فالشاب إذا استغل هذه المرحلة بالعلم والعمل الدنيوي النافع أمّن مستقبله واستراح عند كبره؛ لأن الشباب خميرة المستقبل وأساسه ورأس ماله. فمن ضيع شبابه بالدعة واللهو والعبث والكسل فقد ضيع أعظم كنز في حياته.

إن الشبان والشبات إذا لم يعرفوا شرف الوقت وقيمته قضوا أوقاتهم فيما يضرهم ديناً ودنيا فنتج عن ذلك الانحراف والجريمة. وجروا على آبائهم مشكلات وأحزاناً طويلة، وسوقوا للمجتمع الفساد والطرق غير السوية.

فمن كان سبب وصولهم إلى هذا البلاء؟

إن من أعظم الأسباب: وجود الفراغ الممتد الذي لم يجدوا من يوجههم إلى استغلاله.

فأين دور الآباء والأمهات في توجيه أولادهم؟ ماذا قدموا لهم لملئ فراغهم بما ينفعهم في الدين والدنيا؟

وأين دور الإعلام بما يمتلك من قوة التأثير ووسائل الجذب في توجيه الشباب إلى استغلال أوقاتهم.

بل إن واقع كثير من وسائل الإعلام يشهد بأنها تدعو إلى تضييع الوقت وملئه بالتوافه وما يعود ضرره على الإنسان في الدنيا والآخرة.

وقد حدثني أحد محرري الأخبار في الإذاعة أن وزير الإعلام زارهم وحثهم على إدراك الشباب وإنقاذهم بعد رأى كثرة فسادهم وإفسادهم داخل المجتمع، أو لم يشعر الوزير أن وسائل الإعلام التي يديرها لها الدور الأكبر فيما يجري؟!.

تلوم على القطيعة من أتاها... وأنت سننتها للناس قبلي!

فيا أيها الشاب، أدرك نفسك واستغل شبابك فيما ينفعك في دنياك وأخراك.

أيها المسلمون، إن الحياة فرصة لا تعود، والوقت سريع الانقضاء لا يؤمن بالسكون والوقوف. قال تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ }[الروم55].

دقات قلب المرء قائلة له... إن الحياة دقائقٌ وثواني

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها...فالذّكر للإنسان عمرٌ ثاني

والوقت يؤمن بالذهاب ولا يؤمن بالإياب، ما مضى منه فلن يؤوب.

قال تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ } {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }[المؤمنون99-100].

أمنية من الأماني لا تحقق وهي عودة الزمن:

ألا ليت الشباب يعود يوماً... فأخبره بما فعل المشيب

أيها المسلم، إن الحياة مزرعة فاستغل الوقت وازرع فيها ما يفيدك، فإذا لم تزد في حياتك شيئاً كنت زائداً عليها.

قال الحسن البصري رحمه الله: "يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يومك ذهب بعضك".

فاستغل وقتك وأنت تستطيع أن تعمل قبل أن تأتي عليك أوقات وأحوال لا تقدر على العمل فيها. إن وقتك ثمين وغالٍ فإذا ملكته ملكت العلم النافع والعمل الصالح وملكت المال وملكت الجاه، وملك المؤمن به الدنيا والآخرة إن أراد.

ولو كان الوقت شيئاً رخيصاً لرأيناه يباع ويشترى في الأسواق، ولكنا ما رأينا ذلك. فدل على أنه لا يقدر بثمن.

مر أحد الصالحين بقوم يلعبون فقال: "لو كان الوقت يُشترى لاشترينا من هؤلاء أوقاتهم".

ولى الشباب حميدة أيامه... لو كان ذلك يشترى أو يرجع

أيها الأحباب، إننا لو تأملنا في حياتنا لوجدنا أننا نضيع أوقاتنا، كأننا نطمئن نفوسنا بأننا سنبقى في هذه الحياة مئات السنين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين و أقلهم من يجوز ذلك) ([[998]](#footnote-998)).

فيا صاحب السبعين ويا صاحب الستين كم من الوقت في سنينك هذه قضيته في الشيء النافع؟

كم كان منها للآخرة، وكم كان منها للنوم والأكل والشرب والدعة والاستمتاع والطفولة؟ لمن الأكثر؟ قد لا يبقى منها للآخرة إلا عشرون سنة أو خمس عشرة سنة، فكيف سيقابل اللهَ تعالى عبدٌ عمره للآخرة عشرون سنة أو خمس عشرة سنة فقط، فكيف بمن ضيع كل ذلك؟!

عباد الله، إن مما يشهد على تضييع أكثر الوقت فيما لا ينفع: أن نصيب الآخرة من الوقت لا يمثل إلا الهامش من جدول الحياة؛ إذ أكثر الأوقات وأحسنها تصرف للدنيا وما بقي فللآخرة ممن يعمل للآخرة.

ومن ذلك أيضاً: وجود الفراغ الكبير في الليل والنهار عند بعض الناس، حتى ملوا هذا الفراغ؛ ليقول عند ذلك: تعال نضيع الوقت! أفما يدري هذا الأنسان أنه يضيع كنزاً من كنوزه التي وهبه الله إياها؟!

ومن شواهد التضييع: قلة الإنتاج الشرعي والحياتي، ففي الجانب الشرعي تلاحظ قلة العبادات وقلة المحفوظات وقلة القراءة وقلة التأليف والكتابة النافعة.

وفي الجانب الحياتي: يُشاهد أن المسلمين أقل الأمم-الآن – إنتاجاً في المخترعات والمصنوعات والمزروعات والنظريات وغير ذلك.

فمن الأمثلة الإحصائية التي ذكرها بعض الباحثين-مما يبين الفارق بين إنتاج المسلمين وإنتاج غيرهم في جزئية من الجانب العلمي-: أن إنتاج العالم العربي في القصة الأدبية (300) قصة في العام، وإنتاج الغرب (15000) قصة في العام!.

والأدلة كثيرة على ظاهرة تضييع الوقت عندنا نحن المسلمين، بل قد صار الفراغ مشكلة من المشكلات التي توجد في المجتمع، ولم يعد نعمة وكنزاً ثميناً.

ليس السبب في هذا التضييع إلا التربية والعيش في بيئات لا تعرف قيمة الوقت وشرفه وأنه نعمة من الله تعالى يجب شكرها باستغلالها في عظائم الأعمال وإعطاء العمل ما يستحقه من الوقت بدون زيادة أو نقصان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة و الفراغ) ([[999]](#footnote-999)).

أي: كثير من الناس خاسر في هاتين النعمتين والقليل منهم الرابح فيهما، فمن لم يستغل صحته فيما ينفعه ديناً ودنيا ندم حين مرضه، ومن لم يعمر الوقت بما يفيده تحسر عندما يشغل عن ذلك، فحلت الخسارة على الصحيح الغافل والفارغ المضيع بعد أن كانت السوق قائمة والسلعة قيّمة والثمن موجود.

إن الزمن مما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة ماذا صنع فيه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، و عن شبابه فيما أبلاه، و ماله من أين اكتسبه و فيما أنفقه، و ماذا عمل فيما علم)([[1000]](#footnote-1000)).

عباد الله، إن إضاعة الوقت مشكلة تلد مشكلات أخرى كالأمراض النفسية والبدنية والأخلاقية، فمن الفراغ دخل الشيطان على الإنسان وتولدت الوساوس وعُملت المعاصي.

قال أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجِده.... مفسدة للمرء أيّ مفسده

وقال آخر:

لقد هاج الفراغ عليك شغلا... وأسباب البلاء من الفراغ

فيا أيها المسلمون من أنعم الله عليه بفراغ فليغتنمه بعمل نافع، فالفراغ لا يعني اللعب وترك العمل. قال تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ }[الشرح7]. يعني: إذا فرغت من عمل صالح فاشرع في عمل آخر.

يروى عن البخاري رحمه الله عنه أنه كان يقول:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع... فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيته من غير سقم... ذهبت نفسه الصحيحة فلته

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إذا عرف الإنسان العاقل شرف شيء سارع إلى الإفادة منه، فالوقت ثمين فماذا أنت فاعل بوقتك أيها المسلم؟

ابدأ باستغلال الوقت في أداء الحقوق التي عليك لله تعالى والحقوق التي عليك للخلق، فانظر الواجبات من العبادات وأضف إليها المستحبات فاعملها، وانظر حق والديك وحق زوجتك وحق أولادك وحق من ولّيت عليه فاقتطع جزء من الوقت لأداء كل ذي حق حقه.

قم بأعمالك الدنيوية بقوة وأمانة من غير انشغال بها عن الآخرة، فلا بارك الله عملاً شغل عن واجب لله على العبد.

والحذر الحذر من البقاء بغير عمل مباح مع القدرة عليه، قال عمر رضي الله عنه: "إني لأكره أن أرى الرجل سبهللاً لا في عمل دنيا ولا عمل آخرة".

في عصرنا الحاضر وجدت وسائل حديثة يمكن الانتفاع بها كالقنوات والجوالات والحواسيب وغير ذلك من الأجهزة النافعة لشغل الفراغ، فينبغي أن تستغل في الخير ويحذر أن تكون مصدر شر على الإنسان.

عباد الله، إننا بعد أيام قليلة مقبلون على عطلة صيفية للطلاب والطالبات وفيها متسع من الوقت فلا يليق بالعاقل أن يضيع عليه أو على أولاده هذا الوقت الثمين هدراً، بل يعمر بالفائدة في البيت أو في المحاضن الآمنة المفيدة من مساجد أو مراكز أو مدارس أو معاهد تجتنى منها الثمار الطيبة المفيدة.

فهذه فرصة والفرص قد تذهب بلا عودة.

إذا هبت رياحك فاغتنمها... فعقبى كل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها... فلا تدري السكون متى يكون

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

# ولا تفسدوا في الأرض ([[1001]](#footnote-1001))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، إن أحب خلق الله أنفعهم لخلقه، وإن من أحب الأعمال إلى الله تعالى إدخالَ السرور على المؤمن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا، أو تقضي عنه دينا، أو تطعمه خبزا) ([[1002]](#footnote-1002)).

فمما يسر المؤمن: تعريفه بالحق، وقضاء دينه، وإعانته عند الحاجة لطعام أو شراب أو كساء، والشفاعة له، ونصره وحمايته وتفريج كروبه وهمومه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم ما شاء ) ([[1003]](#footnote-1003)).

قال وهب بن منبه رحمه الله: (إن أحسن الناس عيشاً من حسن عيش الناس في عيشه، وإن من ألذ اللذة إدخال اللذة والإفضال على الإخوان".

ولأجل هذا-معشر المسلمين- كان خير الناس أربعةً؛ لأنهم صلحوا وكانوا من أسباب صلاح حياة الناس الدنيوية والأخروية، فهم صالحون ومصلحون.

أولهم: الحاكم العادل الذي ينعم الناس في ظل حكمه بتحصيل الخيرات واندفاع المضرات، فكما أحسن إلى الناس أحسن الله إليه بالجزاء الحسن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل..) ([[1004]](#footnote-1004)).

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ( إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز و جل- وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا ) ([[1005]](#footnote-1005)).

وثانيهم: العالم العامل، الذي يدل الناس على ما ينفعهم من خير الدنيا والآخرة، ويظل حارساً أميناً على تخوم الدين من كل عدوان معرفي، ويراه الناس على الهدى والاستقامة فيفيدون من سمته ودله ما يحثهم على الخير ويحجزهم عن الشر.

فلأجل هذا الخير الذي يستفيده الناس منه عظمت مكانته وأجره عند الله تعالى، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) ([[1006]](#footnote-1006)).

وثالثهم: المجاهد في سبيل الله تعالى، وهو الحامي بيضة الإسلام والمدافع عن كرامة المسلمين وعزتهم وأمنهم، والمزيل للحجب التي تصد الناس عن الحق حينما يفتح البلاد الكافرة؛ ليدخل الناس في دين الله، فالمجاهدون مشعل نار يحرق عدوان المعتدين وصدِّ الصادين عن الحق، ومشعل نور يضيء للناس طريق الحق بعد إزاحة ظلام الظالمين؛ ولأجل هذا كانت منزلتهم وثوابهم عند الله عظيما ,

قال تعالى: { لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا }{ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }[النساء:95-96].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المجاهد في سبيل الله -و الله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم الدائم الذي لا يفتر من صيام و لا صدقة حتى يرجع، و توكل الله تعالى للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة) ([[1007]](#footnote-1007)).

ورابعهم: الباذل ماله في حوائج المسلمين، فهو الذي لا يجد مجالاً يحب الله أن ينفق له فيه- في نجدة ملهوف أو إعانة محتاج أو رفع شأن الدين- إلا وكان من المسارعين بماله في تلك الجهات، فالمنفقون المخلصون هم السحب التي لا يكف وابلها في سبل الخير، التي تنفع الإسلام والمسلمين؛ ولأجل هذا كان فضلهم عند الله عظيما.

قال تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } { الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ }[البقرة:261-262].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب -ولا يقبل الله إلا الطيب- فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلَّوه حتى تكون مثل الجبل) ([[1008]](#footnote-1008)).

وقال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يسلمه، و من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، و من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، و من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) ([[1009]](#footnote-1009)).

أيها المسلمون، وفي مقابل هؤلاء الصالحين المصلحين، نجد الفاسدين والمفسدين الذين يعكرون حياة الناس في دينهم ودنياهم ويكدرون عليهم معايشهم- نجدهم في شر المنازل، وأشقى الأحوال.

إن أولئك المفسدين أعضاء مريضة في جسم المجتمع تحتاج إلى علاج ناجع حتى يسلم المجتمع من انتشار دائهم. ونفوس أولئك المفسدين نفوس سبعية لا تحب أن تعيش إلا على رؤية الإشلاء وسفك الدماء وسماع التوجعات والآهات.

فلا يروق لها أن ترى الناس مستريحين مطمئنين متحابين متآلفين، وإنما تريد أن تسعد وهي تشاهد عليهم الشقاء والفقر والدماء والاختلاف والتنازع، وعلى ذلك الركام تبني سعادتها ومجدها الموهوم.

ولكن الحقيقة الشرعية والتاريخية تقول لأولئك المفسدين: إنهم لن يستريحوا حقاً حتى يُريحوا غيرهم، ولن يهنأوا بعيش حتى يهنأ الناس.

قال تعالى: { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }[الشورى:40].

فإن النفوس المستقيمة تسعد سعادة كبيرة حينما ترى الناس سعداء، خصوصاً إذا كانت هي سبب تلك السعادة.

قال عروة بن الورد:

إني امرؤ عافي إنائيَ شِرْكة... وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

أتهزأ مني أن سمنتَ وأن ترى... بجسميَ مسَّ الحق والحق جاهد

أفرِّق جسمي في جسوم كثيرة... وأحسو قَراح الماء والماء بارد

عباد الله، إن الناظر في واقعنا اليوم يجد أن الفساد قد استشرى وظهر ولم يعد خافيا نادرا، قال تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[الروم:41].

وهذا الفساد الذي يحدث في الأرض نوعان:

نوع ينتج عن المعاصي والذنوب فيكون عقوبة وجزاء على تلك الخطايا.

ومن ذلك الجدب والقحط والكوارث والفتن. قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }[الأعراف:96].

والنوع الآخر فساد بالمعاصي المتعدية التي تصنعها الأيادي المفسدة؛ رغبة في تحقيق مصالحها ونزواتها، ومحبة لرؤية الضرر يصيب الآخرين.

فمن مظاهر إفساد تلك الإيادي المفسدة:

الإفساد في الدين والعقيدة، ببث الشرك والبدع وتشجيع أهلها، وفتح ما يسمى بالحرية الدينية والفكرية والتي تعني في حقيقتها فتح باب الردة بين المسلمين.

والإفساد في العلم والمعرفة، وذلك بإصدار الفتاوى التي تحل ما حرم الله، ومثل تغيير المناهج الصالحة والإتيان بمناهج أخرى تخالف الشريعة، ومثل وأد العقل المسلم ومحاربته والإجهاز عليه.

والإفساد في الحكم، وذلك بجعل القوانين الوضعية بديلاً عن الشريعة الإسلامية، باسم الديموقراطية أو الدولة المدنية، ومثل ترك إقامة حدود الله تعالى، وتنحية الصالحين عن مراكز القرار وتعيين المفسدين مكانهم.

والإفساد في الأخلاق، وذلك بتشجيع الفحش والرذيلة وترك أهلها بدون نصح أو ضبط.

والإفساد في الإعلام، وذلك بتغييب الإعلام الهادف الذي يبني الأجيال على الفضيلة ويربيهم على العمل والإنتاج الصالح وعدم إشغالهم بتوافه الأفكار والأفعال.

والإفساد في التعدي على حقوق الآخرين، كالقتل والسطو على الأموال وهتك الأعراض.

أيها المسلمون، إن الفساد بجميع صوره وأشكاله لم يقم إلا على أسباب اتكأ عليها حتى قام وظهر، فمن تلك الأسباب.

ورود الشبهات على العقل والشهوات على القلب والاستقرار فيهما؛ فالقلب حينما يفسد ومعه العقل يفسد الجسد كله، كما قال عليه الصلاة والسلام: (ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)([[1010]](#footnote-1010)).

ومن الأسباب: أن يكون في القلب كره للصلاح وأهله، كحال المنافقين، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ } { يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } { أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ } {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ} { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } { اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ[البقرة:8-16].

ومن الأسباب: الإعراض عن شرع الله تعالى، قال عز وجل: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ }[محمد:22] { أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ }[محمد:23].

ومن الأسباب: الإغراق في حب الدنيا والميل إليها، وعدم محاسبة المفسدين الذين يزيدهم هذا الترك إفساداً على إفساد.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الفساد إذا استشرى بين الناس وكثر بسبب ذلك الفاسدون والمفسدون فلينتظر الناس البلايا والرزايا الخاصة والعامة.

فبغض الله تعالى لأهل الإفساد نتيجة من النتائج، قال تعالى:{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }[المائدة:64].

وحصول الهلاك والدمار ونزول النقم وخراب العيش نتيجة أخرى، قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ }{ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ } { الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ } { وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ } {وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ }{الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ } {فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ } { فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ))[الفجر:6-14].

أيها المسلمون، إن رؤية المجتمع وهو يعج بالفساد والمفسدين ليحزن كل إنسان صالح، ولكن ذلك الحزن يجب أن ينتقل إلى عمل صادق حكيم لإزالة الفساد في الأرض؛ حتى لا تعم العقوبة الصالح والطالح.

قال تعالى:{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ }{ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }[المائدة:78-79].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }[المائدة:105].وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده) ([[1011]](#footnote-1011)).

ولفظ النسائي: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب).

لهذا كان تغيير الفساد مهمة جماعية تبدأ من النفس بتربية الإنسان نفسه ومن تحت يديه على الصلاح وحب أهله وكره الفساد وفاعليه.

ثم ينطلق بعد ذلك إلى المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحكمة وأسلوب حسن بقدر استطاعته.

وعلى من ولاه الله تعالى أمراً من أمور المسلمين إزالة الفساد في ولايته وإيقاف المفسدين عند حدهم، وإلا كان مشاركاً لهم في الفساد بتركه لهم، وهذا من المشاقة في الحكم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، و من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به)([[1012]](#footnote-1012)).

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

# ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ([[1013]](#footnote-1013))

إن الحمد لله نحمده ونشكره، ونؤمن به ولا نكفره، نتوكل عليه ونفوض أمورنا إليه، ونعلق آمالنا به، ونطلب حاجاتنا منه، له وحده نصلي ونسجد، وإليه نسعى ونحفد، نرجو رحمته ونخشى عذابه، إن عذابه الجد بالكفار ملحق. له الحمد لعزته ورحمته، وفضله ونعمته، سبحانه من إله عزيز غالب منيع الجانب، يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه أعزه الله بطاعته وأكرمه برسالته وجعله هادياً وشفيعاً لأمته، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السائرين على طريقته والمقتفين لأثره وسنته وسلم تسليما.

أما بعد، فاتقوا الله-عباد الله-فتقوى الله هي العز والشرف، فمن اتقى الله أعلى الله قدره، ورفع ذكره وإن كان عبداً حبشيا، ومن ضل عن تقوى الله أدناه الله ولو كان حراً قرشيا. فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

أيها الناس، اعلموا أن لله تعالى ذاتاً تخالف الذوات، وأسماء وصفات لا تماثل الأسماء والصفات؛ لأنه تعالى ذو الكمال والعظمة والجلال، فمن كماله: أن له الأسماء الحسنى والصفات العليا، وجميع الخلق مفتقرون إلى آثارها على الدوام. وقد أعلم سبحانه عباده أن له أسماء وصفات بالغة في الحسن الغاية، وفي الكمال النهاية، فقال جل ثناؤه: {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[الأعراف180].

وقال: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى }[طه8].

فمن أسمائه تعالى: العزيز، وهو اسم كريم يدل على كمال العزة ونهايتها، ومعناه: الممتنع الذي لا يغلبه شيء، والقوي الغالب على كل شيء. فهو سبحانه له عزة القوة التي يدل عليها من أسمائه القوي المتين، وعزة الامتناع فإنه الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضروه ولا نفعه فينفعوه، بل هو الضار النافع والمعطي المانع. وله سبحانه عزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة له خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه.

عباد الله، إن عز الله تعالى مستغنٍ عن غيره، وعزة خلقه مستمدة من غيرهم، فالله تعالى عزيز بذاته، قال عز وجل: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً }[الإسراء111]. أي: ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير.

إن الإنسان قد يوصف بالعزة ولكنه قد يضعها في غير موضعها، فقد يقسو بها على غيره، وقد تكون له عزة لكنها مشوبة بضعف أو جهل أو عجز عن الانتصار في الحق، أو بعد عن العفو عند المقدرة، أو قد تكون له عزة غير أنه لا يستطيع أن يهبها لغيره. أما الله تعالى فإنه عزيز حكيم ينزل العزة منازلها قال تعالى: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[آل عمران18].

والله عزيز رحيم يرحم عباده ويرأف بهم، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ } {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ } {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }[الشعراء7-9].

والله عزيز قوي ذو انتقام يأخذ بعزته وقوته كل من أراد ممن حاد عن طريق الحق، قال تعالى: { وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }[الحج40].

والله عزيز بعزته وحده خلق مخلوقاته، وهو وحده يحاسبهم، ويأخذ الجاني بجنايته؛ لعلمه بعباده وسعة إحاطته بهم. قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ }[النمل78].

والله عزيز غفور، يغفر وهو قادر على العفو والمغفرة كما هو قادر على الأخذ والعقوبة، قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }[الملك2].

والله عزيز وهاب يعطي من يشاء ويهب من يشاء ما يشاء فضلاً منه وعدلا، قال تعالى: {أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ } {أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ }[ص8-9].

والله عزيز حميد محمود في عزته سبحانه يضعها في الحق كما هو محمود في سائر أسمائه وصفاته. قال تعالى: {الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }[إبراهيم1].

ولما كانت عزة الله صفة من صفات الله تعالى جاز القسم والاستعاذة بها، قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب، ألم أكن أغنيك عما ترى؟!قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك) ([[1014]](#footnote-1014)). وفي حديث الرقية (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد ) ([[1015]](#footnote-1015)).

أيها الأخوة الأكارم، ومن أسماء الله تعالى في هذا الباب أيضاً: المعز، الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء من عباده كما قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[آل عمران26].

فهو سبحانه مصدر العزة فلا تطلب إلا منه، فمن طلبها من غيره أذله الله، قال تعالى: {وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[يونس65]. وقال: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً } {كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً }[مريم81-82].

عباد الله، إن أولى الناس بنيل عزة الله: أنبياؤه وعباده الصالحون الذين يسعون لمرضاته وترك مساخطه.

قال تعالى عن مقال المنافقين في رسول الله عقب غزوة المريسيع ورد الله عليهم: {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ }[المنافقون8].

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا. وقال أيضا: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه و سلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه و سلم وكذبني، فأصابني هم لم يصبني مثله، فجلست في بيتي فأنزل الله عز و جل: { إذا جاءك المنافقون - إلى قوله - هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله - إلى قوله - ليخرجن الأعز منها الأذل }. فأرسل إلي رسول الله صلى الله عليه و سلم فقرأها علي ثم قال: ( إن الله قد صدقك ) ([[1016]](#footnote-1016)).

قال بعض العلماء:" عزة الله: قهره من دونه، وعزة رسوله: إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم".

إن الله تعالى يعز عباده الصالحين في الدنيا بأن يرفع قدرهم ويصلح أمرهم، ويظهر حجتهم ويدحر عدوهم ويجعل لهم العاقبة الحسنة.

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ( لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده ) ([[1017]](#footnote-1017)).

ويعز الله المؤمنين في الآخرة فيبعثهم آمنين ويرفع شأنهم في العرصات بين الواقفين، وينجيهم من عذابه ويدخلهم إلى رضوانه. قال تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[يونس26].

ويذل الله في الدنيا من خالف أمره وعصاه من الكافرين والمنافقين والمبتدعين والعاصين، فيجعلهم يعيشون في شقاء وضعف واضطراب وحيرة، وهزيمة وجهالة، وأبى الله إلا أن يذل من عصاه. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ }[المجادلة20].

وقال: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ }[الأعراف152].

قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله: { وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} نائلة لكل من افترى بدعة؛ فإن ذل البدعة ومخالفة الرشاد متصلة من قلبه على كتفيه، كما قال الحسن البصري: إن ذل البدعة على أكتافهم وإن هملجت بهم البغلات وطقطقت بهم البراذين: وهكذا روى أيوب السختياني عن أبي قلابة الجرمي أنه قرأ هذه الآية: {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} فقال: هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة، وقال سفيان بن عيينة: كل صاحب بدعة ذليل".

ومن الكفرة الأصلاء الذين كتب الله عليهم الذل أينما ثقفوا: اليهود، وإن علوا وقتاً فإن الذل ينتظرهم عقبه، قال تعالى عنهم: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ }[البقرة61].

وفي الآخرة يبعث الله من حاده أذلة صاغرين، كما قال تعالى: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ }[الشورى45].

أيها المسلمون، إن عزة المؤمن لا تعني البطش والتعدي والظلم، ولكنها تعني التواضع للمؤمنين والغلظة بالحق على الكافرين. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[المائدة54]. فعزة النفس غير الكبر إذ العزة معرفة الإنسان حقيقة نفسه، والكبر جهل الإنسان ذلك، قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: "إن الناس يزعمون أن فيك كبراً أو تيهاً، فقال: ليس بتيه، ولكن عزة المسلم، ثم تلا قوله تعالى: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ }[المنافقون8]".

أيها الناس، إن العزة كنز ثمين يطلبه أصحاب النفوس الشريفة، ويبذلون في سبيله كل غال ونفيس، ولو كان في حصولها بذل المهج:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم... بين طعن القنا وخفق البنود

والناس مختلفون في منازل العزة وأسبابها: فمنهم من يراها بالجاه، ومنهم من يراها بالنسب، أو بالمال، أو كثرة الأولاد، أو القوة والسيطرة على الآخرين. وهذه الجهات وإن كانت من العز إلا أنها في الحقيقة عزة ناقصة غير تامة وفانية غير باقية، فللدنيا أمواج متلاطمة تقلب الأحوال.

والعاقل-عباد الله- لا ينبغي له أن يفخر بعزة سوى عزة تامة باقية وتلك هي العزة بالإسلام والإيمان اعتقاداً وعملاً. فالعزة بالإسلام لا تكون عزة حقيقة تامة حتى يتمثل المسلم الإسلام في أقواله وأعماله، قال عمر رضي الله عنه: "إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله".

أيها المسلمون، إن من ينظر في هذا الدين الحنيف يجد فيه صوراً وأسباباً للعزة، فمن تلك الأسباب:

الجهاد الصادق في سبيل الله، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:(إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) ([[1018]](#footnote-1018)).

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن، قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت) ([[1019]](#footnote-1019)).

إن ترك الجهاد في سبيل الله هلاك ومذلة وتكدير لصفاء الدنيا التي يكدرها أعداء الإسلام على المسلمين؛ فقد أنزل الله تعالى حينما مال بعض الأنصار إلى الأرض والزرع- بعد أن جاهدوا وقاتلوا حيناً- قوله تعالى: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[البقرة195] قال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: "فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد"([[1020]](#footnote-1020)).

قال علي رضي الله عنه في إحدى خطبه: "أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء ولزمه الصغار، وسيم الخسف ومنع النصف".

قال أبو الطيب:

تَرَكنا لأطرافِ القَنَا كلَّ شهوةٍ... فليسَ لنا إلاَّ بهنَّ لِعابُ

نُصرِّفُهُ للطَّعنِ فوقَ حواذرٍ... قد انقصَفَتْ فيهنَّ منهُ كِعابُ

أعزُّ مكانٍ في الدُّنى سرجُ سابحٍ... وخيرُ جليسٍ في الزَّمَانِ كِتابُ

أيها المسلمون، ومن صور العزة وأسبابها في هذا الدين: إقامة معتقد البراء من الكافرين، والافتخار بهذا الدين في وجوههم، وترك موالاتهم ومناصرتهم ومحبتهم.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ }[المائدة51-52].

إن الذليل من هذه الأمة من يسعى لتقديم قرابين الرضا لأعداء الله كي يرضوا عنه يبتغي بذلك العزة عندهم، وهو في الحقيقة يوصل نفسه إلى حمأة الذل والهوان عند الله وعند المؤمنين بل وعند أولئك الكافرين.

قال تعالى: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً } {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً } {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً }[النساء138-140].

عباد الله، ومن صور العزة وأسبابها: قناعة الإنسان ورضاه بما قسم الله له دون التطلع إلى ما ليس له؛ فإن ذلك الاكتفاء عز وغنى.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: (ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس) ([[1021]](#footnote-1021)).

قال الشافعي رحمه الله:

رأيت القناعة رأس الغنى...فصرت بأذيالها ممتسك

فلا ذا يراني على بابه...ولا ذا يراني به منهمك

فصرت غنياً بلا درهم... أمر على الناس شبه الملك

ومن القناعة: الاستغناء بالله عن سؤال الناس وتكففهم أو سرقة أموالهم ونهبها واختلاسها؛ فإن المسألة وأخذ المال الحرام ذل في الدنيا والآخرة.

قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( أتاني جبريل فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس) ([[1022]](#footnote-1022)).

وقال: ( المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك، إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان أو في أمر لا يجد منه بدا) ([[1023]](#footnote-1023)).

فاطلبوا حوائجكم -عباد الله- بعزة النفس فما عند الله خير وأبقى وكل شيء يجري بقدر وقضائه.

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس... واقنع بيأس فإن العز في الياس

واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم... إن الغني من استغنى عن الناس

فالرزق عن قدر يجري إلى أجل... في كف لا غافل عني ولا ناسي

فكيف أبتاع فقراً حاضراً بغنى... وكيف أطلب حاجاتي من الناس

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه، وعلى آله وأصحابه ومن والاه،

أما بعد:

أيها الناس، لازال عند العقلاء من الخلق أن الغيرة على الحمى والحق من العزة والرفعة، ألا وإن من أعظم الحرم والحمى: حمى الإسلام، فالمسلم العزيز من يغار على دينه أن يدنس من قبل أعداء الله أو يستذل مسلم لأجل تمسكه به، فيشعر المسلم بالعزة حينما ينصر ذاك الأخ المسلم، وإنه ليكويه الأسى والذل إذا رأى الكفرة والمنافقين يسومون أخاه المسلم الذل وهو عاجز عن غوثه ونصرته.

ومن الغيرة والعزة: الحفاظ على النفس والعرض والمال وحمايتها من الصيالة عليها.

عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: ( فلا تعطه مالك، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار) ([[1024]](#footnote-1024)).

أيها الأحبة الأفاضل، إن صفوة المؤمنين وخيرة عباد الله الصالحين: العلماء العاملون، رفعهم الله بالعلم والعمل، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }[المجادلة11].

فما أحسن أنوار العزة تلوح عليهم إذا قاموا بحق العلم الذي يحملونه حق القيام، ولم يصيروا ناطقين بالباطل أو ساكتين عن الحق، لا يخافون في الله لومة لائم. قال أبو العيناء: "لما حج الخليفة المهدي دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد إلا قام، إلا ابن أبي ذئب، فقال له المسيب بن زهير: قم؛ هذا أمير المؤمنين، فقال: إنما يقوم الناس لرب العالمين، فقال المهدي: دعوه، فلقد قامت كل شعرة من رأسي".

وما أحسن قول الجرجاني وهو يتحدث عن عزة العلماء: "

يقولون لي فيك انقباض وإنما... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم... ومن أكرمته عزة النفس أكرما

وما زلت منحازاً بعرضي جانباً... من الذم أعتد الصيانة مغنما

إذا قيل هذا مشرب، قلت قد أرى... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

وما كل برق لاح لي يسنفزني... ولا كل أهل الأرض أرضاه منعما

ولم أقض حق العلم إن كان كلما... بدا طمع صيرته لي سلما

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي... لأخدم من لاقيت لكن لأخذما

أ أشقى به غرساً وأجنيه ذلة... إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم... ولو عظموه في النفوس تعظما

ولكن أذالوه جهاراً ودنسوا... محياه بالأطماع حتى تجهما

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

# الوصية آداب وأحكام ([[1025]](#footnote-1025))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، اعلموا أن الحياة الدنيا منزل موقوت، كل من فيها يموت، ولا يبقى إلا الحي القيوم الذي يحيي ويميت. قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ } {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ }[الرحمن26-27].

فالموت نهاية كل مخلوق على هذه الدار، لينتقل بعد ذلك إلى حياة أبدية في الجنة أو النار.

{ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ }[الأنعام62].

وهذه النهاية التي تنتظر كل حي نهاية لا يعلمها إلا الله تعالى، فالآجال بيد علام الغيوب، فلا يدري أحد من الخلق متى يموت وأين يموت. قال تعالى:{ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }{لقمان34].

عباد الله، إن إخفاء زمن موت الإنسان عنه له حكم وغايات كثيرة، لعل من أظهرها: أن يبقى الإنسان على استعداد دائم للموت بملازمة الطاعات وهجر السيئات، فيكون عبداً لله حقاً حتى يأتيه اليقين وقد ربا رصيده من الحسنات وصلحت روحه للاستقرار في تلك الغرفات في الجنة. قال تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }[الحجر99].

أيها المسلمون، ألا وإن من الاستعداد المطلوب: أن يحرص كل مسلم ذكراً كان أم أنثى على إبراء ذمته من الحقوق التي عليه للناس، ومن حقوقه لدى غيره. فينظر إلى الديون التي عليه فيوثقها بالكتابة الواضحة حتى لا تضيع حقوق الناس بعد موته فيحمل وزر ذلك يوم القيامة، مع ما يحصل بعد الموت بين الورثة وأهل الديون من الخلاف والتنازع.

ويسجل أيضاً ما وجب عليه من الكفارات والنذور والوعود والزكوات ونحو ذلك، إن كان عليه من ذلك شيء. وينظر كذلك إلى أمواله المدينة عند الناس فيوثقها بالوثائق الصحيحة التي تثبت له هذا الحق لدى غيره، حتى لا يضيع جزء من ماله على ورثته بعد موته. وهذه هي الوصية الواجبة على المسلم؛ لأن هذه الامور حقوق واجبة عليه.

وهناك وصية مستحبة، وتكون بتخصيص إنسانٍ جزءاً من ماله يوصي به ليصرف في وجوه الخير من صدقة على الفقراء والمحتاجين، ومن بناء مساجد أو دور للعلم والاستشفاء أو نحو ذلك من أبواب الخير.

عباد الله، إن الله تعالى شرع لعباده الوصية قبل الموت بما يرجع إليهم بالخير من بذل شيء ابتغاء وجه الله تعالى للأقارب أو للأباعد.

قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ } {فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } {فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [البقرة180-182].

لقد كان بعض الناس في الجاهلية يوصي ببعض ماله قبل أن يموت للأجانب من أجل الإضرار بالأقارب، فلما جاء الإسلام أمر بالوصية للأقارب؛ لأنهم أولى بالمعروف ابتداء بالوالدين فمن بعدهم. فلما نزلت آيات المواريث في سورة النساء وبينت أنصبة الأقارب الوارثين نسخت الوصية لكل وارث وبقيت مشروعة في حق الأقارب غير الوارثين وفي حق الأجانب. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: ( إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ) ([[1026]](#footnote-1026)).

عباد الله، يستحب للمسلم المبادرة بالوصية خاصة في حق من له أو عليه حقوق للخالق تعالى أو المخلوقين، خصوصاً إذا دهمه مرض أو عزم على سفر أو كان في أيام حروب وفتن.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده ) ([[1027]](#footnote-1027)). وينبغي في الوصية التي فيها حقوق للموصي أو عليه أن يشهد عليها شهوداً عدولاً، حتى تسلم الوصية من الرد أو التحريف أو التكذيب.

أيها المسلمون، إن على من أراد أن يوصي وصية مستحبة يتقرب بها إلى الله تعالى بعد موته أن ينتبه لأمور منها:

أولاً: أن تكون الوصية من ماله الحلال الخالص؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، فالوصية بالمال الحرام من أجل القربة غير مقبولة. فإن كان لديه مال حرام وأراد براءة الذمة من هذا المال الحرام فعليه أن يعيده إلى أهله إن كانوا معروفين، وإلا تصدق به عنهم.

ثانياً: أن تكون الوصية بالثلث فما دونه؛ حتى لا يكون في الوصية هضم لحق الورثة، وما زاد على الثلث فهو راجع إلى إجازة الورثة، فإن رضوا نفذت الوصية وإلا نفذت بقدر الثلث.

ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ( عادني النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت فقلت: يا رسول الله، بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: لا، قلت: فالثلث؟ قال: والثلث كثير. إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك).

مع أن الأولى أن لا يوصي المسلم بالثلث، بل بأقل من ذلك.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع؛ فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ( الثلث والثلث كثير )([[1028]](#footnote-1028)).

هذا في حق من له وارث من أصحاب الفروض أو العصبات، أما من ليس له وارث من أصحاب الفروض أو العصبات فيجوز له أن يوصي بماله كله في أبواب الخير.

ومن التنبيهات المهمة: أن لا يكون في الوصية ضرر أو تعمد إضرار بالوارثين؛ لأن الله تعالى يقول: { مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ }[النساء12].قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الإضرار في الوصية من الكبائر".

ومن الإضرار: أن يميل بعض الآباء أو الأمهات إلى بعض الأبناء أو البنات دون بعض فيتحيل في الوصية له فيوصي لأولاد ذلك الابن أو تلك البنت. وهذه الحيلة غير جائزة شرعاً، قال رسول الله صلى عليه وسلم: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) ([[1029]](#footnote-1029)).

ومن التنبيهات: أن على الموصي أن يعلم أن الوصية للأجانب إنما تستحب في حق من له ماله كثير وله ورثة غير محتاجين، أما من كان ذا مال قليل وله ورثة محتاجون فالوصية قد تكره في حقه؛ لأنه عدل عن الأقربين إلى غيرهم، والرسول عليه الصلاة والسلام قد قال لسعد: (إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس). قال الشعبي رحمه الله: (ما من مال أعظم أجراً من مال يتركه الرجل لولده ويغنيهم به عن الناس".

لكن يجوز للموصي أن يوصي ببيت لبعض الورثة ويقول: هذا البيت للمطلقات من بناتي أو الفقراء من أبنائي وبناتي، وقد فعل هذا بعض الصحابة كالزبير رضي الله عنه.

أيها المسلمون، إن من أهم المهمات التي ينبغي أن ينظر إليها الموصي: اختيار الوصي الذي يقوم بتنفيذ وصيته والإشراف عليها من بعده. فمن شروط الموصي: أن يكون أميناً، فالخائن الذي يخشى سطوه على الوصية وتبديلها لا ينبغي جعله وصياً. ومن شروطه: أن يكون ذا قدرة ومعرفة وفهم للوصية إلى تحملها وعنده كفاءة في تنفيذها وإيصالها إلى ذويها. ولا يشترط في الوصي أن يكون رجلاً، بل يصح أن يكون امرأة بشرط أن تكون عاقلة عارفة بحقوق الوصية وواجباتها؛ فقد جعل عمر رضي الله عنه حفصة رضي الله عنها وصيته على أولاده من بعده.

معشر المسلمين، إن الموصي إذا مات فقد أفضى إلى ربه وحمل أمانته بوصيته أوصياءه والوارثين من قرابته. فعلى الأوصياء أن يعرفوا أن الوصية التي تحملوها أمانة عظيمة سيسألون عنه إن فرطوا فيها يوم القيامة هل أدوها إلى أهلها أو لا.

قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً }[النساء58].

فعلى الأوصياء أن ينفذوا وصية ميتهم كما هي في حدود الشرع بدون ظلم أو تقصير. وأن يحذروا كل الحذر من تبديلها بخيانة أو زيادة غير مشروعة أو نقصان أو كتمان. فإن الله تعالى يقول: {فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[البقرة181]. وفي واقع الناس مظاهر تدل على خيانة بعض الأوصياء أقارب كانوا أم أباعد. فكم من نساء ظلمت حقوقهن بسبب خيانة الأوصياء، وكم من أيتام ذهبت تركتهم إلى خزائن وصي خائن.

وكم من رجال خدعهم الأوصياء وأخذوا من أموالهم بعد ميتهم ما لا يصح لهم أخذه.

ورب العزة جل وعلا يقول: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ }[البقرة188].

ويقول: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً }[النساء10]. لكن يجوز للورثة والأوصياء تبديل الوصية في حالتين:

الأولى: أن تكون الوصية في شيء محرم شرعاً، فيجوز تبديلها إلى ما ينفع الميت كبناء مسجد أو شيء ينفع الفقراء ونحو ذلك.

والحالة الثانية: أن تكون الوصية فيها جور، كالوصية لبعض الورثة، فيجب-عند ذلك- تغيير الوصية إلى العدل الشرعي بإعطاء كل وارث حقه الذي فرض له شرعاً من غير زيادة ولا نقصان.

وفي هاتين الحالتين يقول تعالى: {فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[البقرة182].

عباد الله، إن الإنسان إذا مات كانت هناك حقوق خمسة متعلقة بعين تركته وهي على الترتيب كالآتي:

الحق الأول: الزكاة وأروش الجنايات، فإذا كانت عليه زكاة أو أرش أو دية بدأ الورثة بأداء هذا الحق قبل أي حق آخر.

الحق الثاني: مؤن تجهيز الميت من شراء كفن وقبر وأجرة حفار إذا كان يحفر بالأجرة وما يتعلق بالدفن. ولا يدخل في هذا الحق ما يفعله بعض الورثة في أيام العزاء من استئجار صالة وذبح ذبائح وإقامة ولائم ونحو ذلك. فإن أخذ مال التركة لأجل هذه الأعمال لا يجوز إلا برضا الورثة جميعاً. مع أن بعض ما يحدث اليوم من مراسيم العزاء يخالف شرعنا الحنيف.

الحق الثالث: الديون المرسلة في الذمة، فإذا كان على الميت ديون فيجب على الورثة والأوصياء قضاؤها من عين التركة قبل تنفيذ الوصية وتقسيم التركة.

الحق الرابع: الوصية، وتنفذ قبل توزيع التركة بشروطها السابقة.

الحق الخامس: تقسيم التركة بين الوارثين ذكوراً وإناثاً كما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

فعلى الورثة والأوصياء أن يتقوا الله تعالى في هذه الأمانة التي حملوها وأن يلتزموا شرع الله في تنفيذها قبل أن يأتي يوم تظلم ورثتهم كما ظلموا ورثة غيرهم قال تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً }[النساء9].

وقبل أن يأتي يوم القيامة فيؤدي الخائن حقوق غيره من حسناته، فإن لم تكن له حسنات حمل من سيئات من ظلمه.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ) ([[1030]](#footnote-1030)).

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن من أهم ما يهم الإنسان الصالح بعد وفاته: حال أولاده الدينية من بعده، إذ يخشى عليهم الانحراف أو الاعوجاج عن الطريق المستقيم الذي كانوا يسيرون عليه مع والدهم.

ولهذا تستحب الوصية من الآباء للأولاد بملازمة طريق الهداية وعدم العدول عنها، والموقف من الأولاد، والبار بوالديه من يلزم تلك الوصية النافعة. فهذان النبيان الكريمان: إبراهيم وابنه يعقوب عليهما السلام يوجهان الوصية النافعة لذريتهما، كما قال تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة131-133].

عباد الله، إن وصايا الأنبياء عليهم السلام وصايا للأمة؛ لأن النبي بمثابة الأب لأمته فهو يحرص على الخير لها كما يحرص الأب على الخير لولده.

يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في ذلك الجمع الإيماني المهيب فيوصي الأمة قائلاً:( إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا ف بلدكم) ([[1031]](#footnote-1031)).

ويقول: (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله) ([[1032]](#footnote-1032)).

أيها المسلمون، ولقد سار الصالحون على افتتاح وصاياهم لأولادهم وذويهم بالوصية بالطاعة والتحذير من المعصية عند توديع الدنيا.

فقد أوصى بعض السلف أولاده فقال: " أوصيكم بتقوى الله؛فإنها عصمة باقية، وجُنة واقية، والتقوى خير زاد، وأفضل في المعاد، وأحصن كهف، وأزين حلية".

ولما احتضر المهلب بن أبي صفرة أوصى بنيه فقال:" أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم؛ فإن تقوى الله تعقب الجنة، وإن صلة الرحم تنسئ في الأجل، وتثري المال، وتجمع الشمل وتكثر العدد، وتعمر الديار، وتعز الجانب. وأنهاكم عن معصية الله؛ فإنها تعقب النار، وإن قطيعة الرحم تورث القلة والذلة، وتفرق الجمع، وتذر الديار بلقعاً، وتذهب المال، وتطمع العدو، وتبدي العورة".

نسأل الله أن يحيينا مسلمين، وأن يتوفانا مؤمنين، غير خزايا ولا مفتونين، وأن يرزقنا الذرية الصالحة، آمين.

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار...

# الإيمان باليوم الآخر وأثره في صلاح الفرد والمجتمع ([[1033]](#footnote-1033))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[آل عمران102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، اعلموا –رحمني الله وإياكم- أنكم خُلقتم لأمر عظيم، وجئتم الدنيا لأمر جسيم، وأن داركم هذه خلقت للفناء ولم تخلق للبقاء، وأن القرار في غير هذا الدار إما في الجنة وإما في النار. فالشمس إلى غياب والعمر إلى ذهاب، والحياة إلى موت والموت إلى بعث للحساب. فلا بد إذن من يوم آخر يجمع الله فيه الأول والآخر، فتبلى فيه السرائر وتظهر فيه الضمائر، ويجازى كل عامل بما عمل. {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ }[الحاقة18].

{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ }[الانشقاق6].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه) ([[1034]](#footnote-1034)).

أيها المسلمون، إن يوم القيامة حق لا شك فيه، وموقف جمعٍ لا تخلف عنه، ومورد عدل لا مفر منه، وخبر صدقٍ لا كذب فيه. {فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ }[الذاريات23]. {وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ }[المطففين12].

وإن كذب به الكافرون، واستهزأ بإخبار الرسل به المستهزئون فإنه آت لا محالة. قال تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }[التغابن7]. وقال: {وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ }[يونس53].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: ( يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ثم قال: { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ }[الأنبياء104]([[1035]](#footnote-1035)).

عباد الله، إن الحياة الدنيا بما يجري فيها لتقول للعقلاء: إن هناك يوماً عادلاً للفصل بما جرى من الناس عليها، فالعدل والحق قد يغيب في الدنيا، فالقوي يسطو على الضعيف، والقادر يقهر العاجز، والعزيز يغلب الذليل، والغني يمتهن الفقير ويطغى عليه. فيموت هؤلاء كلهم: يموت الظالم والمظلوم، والقاهر والمقهور، والمعتدي والمعتدى عليه، وقد لا يحصل لصاحب الحق استيفاء حقه، ولا للمظلوم القصاص ممن ظلمه هنا، فلا بد إذن من يوم عادل تُرد فيه المظالم ويأخذ المظلوم حقه من الظالم، ويحاسب فيه ذوو التعدي والجرائم بما اكتسبوا من الذنوب والمآثم.

معشر المسلمين، إن واقع كثير من المسلمين اليوم يدعو العاقل للتسآل: أهؤلاء الناس يؤمنون باليوم الآخر صادقين، ويعتقدون أنهم إلى ربهم راجعون، وأنهم على أعمالهم محاسبون، هل خطر في أذهانهم يوم القيامة الذي يوقف الإنسان فيه بين يدي ربه فيسأله عن الصغيرة والكبيرة في حياته الدنيا.{ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ{4} لِيَوْمٍ عَظِيمٍ{5} يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ{6}[المطففين 4-6}. عصيان كبير للخالق سبحانه وتعالى بالمجاهرة بانتهاك الحرمات، وترك الفرائض والواجبات، وإغراق في الدنيا وغفلة عن يوم المعاد. وكذلك انتهاك لحقوق المخلوقين من ظلم وتقتيل وإيذاء وإذلال وسلب ونهب وإفساد لذات البين للتفريق والتناحر وإساءة للإسلام بمحاربته تحت مسميات كثيرة.

لا شك أن هناك غفلة وتغافلاً عن الاهتمام باليوم الآخر بيننا نحن المسلمين، فأين مناهج التعليم التي تربي النشأ على الإيمان العملي باليوم الآخر وتغرس في نفوسهم همة الاستعداد له؟ وأين الوسائل الإعلامية المختلفة التي تصلح المجتمعات بالدعوة إلى الاعتناء بهذا اليوم العظيم وتربي الناس على زيادته وإظهار آثاره العملية على النفس والمجتمع؟!

ولا ريب أن الإيمان باليوم الآخر قد ضعف في القلوب فظهرت آثاره السيئة على الجوارح، حتى صار بعض المسلمين يعيش للدنيا كل وقته، ويقترف الموبقات ويسرف على نفسه بارتكاب المحرمات من أجل إصلاح دنياه. ولو فكر الإنسان قليلاً بأنه سيلقى الله تعالى لما فعل ما فعل.

عباد الله، إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان وعقيدة من عقائد الإسلام، لكن الذي حدث ضعف هذا الركن العظيم حيث أصبح عقيدة لا يتبعها عمل، وسبب هذا الضعف: الجهل بالله وبدينه، فمن جهل عظمة ربه وجلاله واطلاعه عليه لم يستعد للقائه، ومن جهل دينه فلم يعرف متطلبات هذا الإيمان وكيفية تحقيقه وسبل غرسه في النفس عاش بعيداًَ عن العمل لذلك اليوم. وأصبح همه ووقته وجهده مصروفاً في خدمة حياته الدنيا. ألا يتأمل في قوله تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا{16} وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى{17} [الأعلى 16-17]، وقوله: { قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً }[النساء77].

إن الحرص على الدنيا-يا عباد الله- قد صار جاثماً على القلوب فأنسى الإنسان آخرته وجعله وقفاً على رغباته وشهواته. حتى أسرف في الانشغال بكسبها، وتعمق في الاعتناء بلهوها، وأكثر من متابعة مشكلاتها وأحداثها من غير حاجة، ولم يكتف منها بما يكفيه ويعنيه بل صار مهتماً بما يلهيه وقد يطغيه.

وما هكذا يعيش محب الآخرة، وما لهذا خُلق، وليس هذا عيشه الذي يستحق هذا الكد والجد. إنما هو لغيره ممن قال الله فيهم: {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ }[الروم7].

لقد خشي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته أن يؤول حالها إلى هذا التنافس والانشغال بالدنيا عن الآخرة بالدنيا عن الآخرة، وقد وقع ما خشيه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم ) ([[1036]](#footnote-1036)).

وإذا أردنا أن نعرف مقدار الحرص على الدنيا والاهتمام بها في حياتنا فلنسأل أنفسنا هذا السؤال: كم نصيب الآخرة من وقتنا في اليوم والليلة، وما مقدار الحرص على الآخرة بجانب الحرص على الدنيا؟ فليجب كل إنسان عنه في حاله وأعماله.

أيها المسلمون، لا بد أن نستيقظ ونصحو ونقوي إيماننا باليوم الآخر، فنفكر في حقيقة كل من الدنيا والآخرة لنختار لأنفسنا خير الدارين وأبقاهما وأعلاهما وأوفاهما وأزكاهما وأهناهما. قال تعالى: { وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }[يوسف109].

وقال: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }[العنكبوت64].

أيها المسلم، في أي موقع كنت في هذه الحياة تفكر فيمن قبلك ماذا أخذوا معهم من دنياهم إلى قبورهم؟ هل أخذوا الرئاسة والجاه، أو القصور والأموال، أو الاتباع والجيوش؟ لم يأخذوا من ذلك شيئاً. إنما أخذوا شيئاً واحداً فقط هو ما قدموه من عمل صالح أو طالح في هذه الحياة يلقون الله به يوم القيامة. فقوِّ إيمانك بهذا اليوم لتقدم عملاً صالحاً ينفعك في ذلك الوقت.

عباد الله، إن النفس مطبوعة على حب العاجل وإيثاره على الموعود الآجل، فهي تحب التمتع والانطلاق في الملذات ولو من غير حلها، وتحب العلو والترأس، ولو كان بظلم الآخرين وإيذائهم، وتكره إتيان الطاعات ولزوم حدود ما أبيح لها. فقوِّ إيمانك باليوم الآخر-أيها المسلم- بمجاهدتها وتصبيرها وزمِّ قيادها لسلوك طريق الآخرة، وعدها أن ما فاتها اليوم ستلقى أفضل منه غداً، { وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ }[القصص60].

من أراد زيادة إيمانه باليوم الآخر فليقبل على قراءة القرآن قراءة متأنية متدبرة، وليقرأ سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وينظر في سيرته العطرة ليشاهد معالم التربية الناجحة على الإيمان على الإيمان باليوم الآخر.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) ([[1037]](#footnote-1037)). أي: لا عيش يبقى ويُطلب ويرغب فيه إلا عيش الآخرة.

يدخل عمر رضي الله عنه فيرى أثر الحصير في جنب رسول الله صلى الله عليه و سلم فبكى فقال رسول الله: (ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله؟! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة) ([[1038]](#footnote-1038))؟ وعند ابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( يا عمر، مالي وللدنيا وما للدنيا ولي، والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها ).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أتى رجل النبي صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله، إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها فمره يعطيني أقيم بها حائطي فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( أعطه إياها بنخلة في الجنة ) فأبى فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي ففعل فأتى أبو الدحداح النبي صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله صلى الله عليه و سلم: إني قد ابتعت النخلة بحائطي وقد أعطيتكها فاجعلها له، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ( كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة ) مرارا فأتى أبو الدحداح امرأته فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط فقد بعته بنخلة في الجنة فقالت: ربح السعر) ([[1039]](#footnote-1039)).

أيها المسلمون، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربط أذهان الأمة بأشياء كثيرة حتى لا تنسى اليوم الآخر والاستعداد له.

ومن ذلك: أنه كان يربط القيام ببعض الأعمال الصالحة بالإيمان باليوم الآخر؛ لأن صاحب هذا الإيمان يدفعه إيمانه إلى المبادرة والامتثال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) ([[1040]](#footnote-1040)).

وقال أيضاً: (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوبا من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه) ([[1041]](#footnote-1041)).

وقال كذلك: (من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر) ([[1042]](#footnote-1042)).

فنسأل الله أن يعمر قلوبنا بالإيمان به، والإيمان بلقائه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، والصلاة والسلام على النبي محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

عباد الله، إن الإيمان القوي باليوم الآخر صلاح للدنيا والآخرة، وصلاح للفرد والمجتمع.

ومن قارن بين مجتمعين: مجتمع قوي الإيمان ومجتمع ضعيف الإيمان سيجد الفرق واضحاً، فمجتمع قوة الإيمان سيعمه الخير والاطمئنان ويرفرف عليه الاستقرار والأمان، وستجتمع فيه صنوف النعم، وستندفع عنه جموع النقم.

وأما المجتمع الآخر الذي ضعف إيمانه فسيكون بؤرة للفساد المتنوع، ومرتعاً للاضطراب والخراب، وميداناً لتوافد المصائب وارتحال الرغائب.

عباد الله، إن قوي الإيمان باليوم الآخر يعيش سعيداً مطمئناً؛ لأنه يعلم أن حياته الحقيقية تكون في دار غير هذه الدار. وإن صدق الإيمان باليوم الآخر يدفع صاحبه إلى مراقبة الله في كل أعماله، ويحثه على الإقبال على طاعة الله تعالى والإخلاص له فيها. قال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }[الزمر9]. وقال: [إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ{57} وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ{58} وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ{59} وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ{60} أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ{61}[المؤمنون57-60].

واليقين الصحيح باليوم الآخر يجعل الإنسان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، فيجعل همه وغايته ومقصوده العمل للآخرة.

وصحة الإيمان بالآخرة يعين المسلم على تطهير قلبه من أمراض القلوب من غل وحقد وبغضاء وشحناء نحو إخوانه المسلمين.

عباد الله، إن من أعظم ثمرات الإيمان باليوم الآخرة: أنه يحجز الإنسان عن المعاصي ويوقفه عن اقترافها لعلمه بأنه سيؤاخذ بها ويحاسب عليها. فإذا أراد أن يعصي الله في حقه، أو يتعدى على عباده بظلم أو إضرار ذكّره إيمانه بالخطر فحجزه عن تلك الخطيئات. قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ }[هود103]. وقال: { ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }[البقرة232].

ومن أعظم ثمراته كذلك: أنه يسلي المظلوم والمقهور والمريض والضعيف والمبتلى، فالمظلوم ينتظر القصاص من ظالمه. قال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }[الأنبياء47].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال) ([[1043]](#footnote-1043)).

وأما صاحب البلاء فهو ينتظر أجره على بلائه عند الله تعالى في ذلك اليوم.

قال تعالى: {وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً }[النساء104]. فيا أيها الناس إذا أردنا السعادة والنجاة فلنقوِّ إيماننا باليوم الآخر ولنجعل الآخرة في قلوبنا ونصب أعيننا، ولنجعل الدنيا في أيدينا ومعبراً لنا إلى مصيرنا، فمن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل.

{وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }[البقرة281].

هذا وصل وسلموا على الهادي البشير والسراج المنير...

فهرس خطب المجموعة الثالثة

المقدمة

الإيمان هو الحياة

الجليس وأثره على جليسه

آداب المجالس وآفاتها

الأمانة في الحكم

الأمانة في العمل والوظيفة

الانتصار على الخوف في الأزمات

الحدود الشرعية: عدل ورحمة

الذنوب: أسبابها وآثارها

في ظلال قوله تعالى: {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع...} الآيات

السلام فضائله وآدابه وأحكامه

الصراع بين الحق والباطل سنة كونية

العيش في ظلال العدل

الكسب المشروع والكسب غير المشروع وآثار كل منهما

المرأة ما لَها وما عليها

إنسان السلام

بر الوالدين

حق البُنُّوة

تطاول الأقزام على عَلَم الأعلام

حرمة قتل النفس المعصومة

حلاوة الصلاة

خذوا حذركم

ذم الكذب

رسالة إلى الظالم والمظلوم

سحائب الرحمة

صفات عباد الرحمن

ضريبة الانهزام

ظاهرة تكفف الناس وسؤالهم

عقيدة الولاء والبراء وأثرها في حياة الأمة

فضل إحسان الإنسان إلى غيره

قارون وسكرة المال

لذَّة الصبر

مطية النجاة: الخوف من الله

منهج رسول الله في التعامل مع الأزمات [1]

منهج رسول الله في التعامل مع الأزمات[2]

وقتك حياتك

ولا تفسدوا في الأرض

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

الوصية آداب وأحكام

الإيمان باليوم الآخر وأثره في صلاح الفرد والمجتمع

الفهرس العام للخطب

[**المقدمة 3**](#_Toc410046437)

[**مقدمة المجموعة الأولى 4**](#_Toc410046438)

[**تأملات في وصايا لقمان 6**](#_Toc410046439)

[**عاشوراء بين السنة والبدعة 21**](#_Toc410046440)

[**البركة في الأرزاق 33**](#_Toc410046441)

[**الشتاء حِكم وأحكام 45**](#_Toc410046442)

[**خسر المتشائمون 60**](#_Toc410046443)

[**إنه الحق 69**](#_Toc410046444)

[**أدب الجوار 80**](#_Toc410046445)

[**فضل يوم الجمعة 98**](#_Toc410046446)

[**إدراك السعادة في ظلال العبادة 109**](#_Toc410046447)

[**وُلِد الهُدى 123**](#_Toc410046448)

[**رسالة المسجد في الإسلام 132**](#_Toc410046449)

[**وصايا في خضم البلايا 144**](#_Toc410046450)

[**العفاف ذلك الكنز الثمين 157**](#_Toc410046451)

[**الزواج طريق إلى العفاف 171**](#_Toc410046452)

[**عفاف الطرْف 183**](#_Toc410046453)

[**درع العفاف: الحياء والحجاب 195**](#_Toc410046454)

[**الاختلاط وخطره على العفاف 207**](#_Toc410046455)

[**الإعلام السيء وهدمه للعفاف وصلاح الناس 217**](#_Toc410046456)

[**سعادة النجاح 227**](#_Toc410046457)

[**الاستعداد للآخرة 240**](#_Toc410046458)

[**إياكم واللعن 253**](#_Toc410046459)

[**المستوجبون للعن 264**](#_Toc410046460)

[**غصن نضير من دوحة البشير النذير 274**](#_Toc410046461)

[**تداعي الأمم على أمة الإسلام 291**](#_Toc410046462)

[**أهل البهتان والإثم المبين 302**](#_Toc410046463)

[**حسن الخاتمة 313**](#_Toc410046464)

[**مقدمة المجموعة الثانية 328**](#_Toc410046465)

[**مرض الحسد وعلاجه 329**](#_Toc410046466)

[**الإصابة بالعين حقيقتها وعلاجها 340**](#_Toc410046467)

[**السحر بثوبه الجديد 352**](#_Toc410046468)

[**اللهم أغثنا 360**](#_Toc410046469)

[**لا تجارة بالإسلام والأخلاق الحميدة 372**](#_Toc410046470)

[**الإسراء والمعراج: ذكريات وتأملات 382**](#_Toc410046471)

[**شعبان آداب وأحكام 394**](#_Toc410046472)

[**الصيف.. حِكَم وأحكام 403**](#_Toc410046473)

[**مشكلاتنا: أسبابها وعلاجها 415**](#_Toc410046474)

[**الثقة بالله تعالى 427**](#_Toc410046475)

[**الحفاظ على نعمة العقل 440**](#_Toc410046476)

[**فضل الاستغفار 454**](#_Toc410046477)

[**مفاتيح الرزق 464**](#_Toc410046478)

[**بين يدي رمضان 477**](#_Toc410046479)

[**رمضان والقرآن 485**](#_Toc410046480)

[**رمضان والجود 494**](#_Toc410046481)

[**رمضان والتفكر 506**](#_Toc410046482)

[**رمضان والجهاد 519**](#_Toc410046483)

[**رمضان والدعاء 529**](#_Toc410046484)

[**وداع رمضان 541**](#_Toc410046485)

[**الناس بعد رمضان 550**](#_Toc410046486)

[**الثبات الثبات عبادَ الله 559**](#_Toc410046487)

[**السفر إلى الدار الآخرة 570**](#_Toc410046488)

[**الإسلام والنظافة 583**](#_Toc410046489)

[**الغضب بين الذم والمدح 593**](#_Toc410046490)

[**الطلاق الممنوع والطلاق المشروع 605**](#_Toc410046491)

[**تعظيم الأشهر الحرم 616**](#_Toc410046492)

[**الكلمة الطيبة وآثارها الحسنة 624**](#_Toc410046493)

[**فضل العمل الصالح في العشر الأُول من ذي الحجة 636**](#_Toc410046494)

[**الحج عبر ودروس 646**](#_Toc410046495)

[**خطبة عيد الأضحى 656**](#_Toc410046496)

[**ذكر الله تعالى 661**](#_Toc410046497)

[**عبادة الشكر 672**](#_Toc410046498)

[**حقيقة بين عامين 682**](#_Toc410046499)

[**فضائل أهل اليمن 693**](#_Toc410046500)

[**مقدمة المجموعة الثالثة 707**](#_Toc410046501)

[**الإيمان هو الحياة 708**](#_Toc410046502)

[**الجليس وأثره على جليسه 718**](#_Toc410046503)

[**آداب المجالس وآفاتها 729**](#_Toc410046504)

[**الأمانة في الحكم 736**](#_Toc410046505)

[**الأمانة في العمل والوظيفة 746**](#_Toc410046506)

[**الانتصار على الخوف في الأزمات 757**](#_Toc410046507)

[**الحدود الشرعية: عدلٌ ورحمة 767**](#_Toc410046508)

[**الذنوب: أسبابها وآثارها 777**](#_Toc410046509)

[**في ظلال قوله تعالى: {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع...} الآيات 786**](#_Toc410046510)

[**السلام: فضائله وآدابه وأحكامه 796**](#_Toc410046511)

[**الصراع بين الحق والباطل 806**](#_Toc410046512)

[**سنة كونية 806**](#_Toc410046513)

[**العيش في ظلال العدل 817**](#_Toc410046514)

[**الكسب المشروع والكسب غير المشروع وآثار كل منهما 827**](#_Toc410046515)

[**المرأة ما لَها وما عليها 838**](#_Toc410046516)

[**إنسان السلام 850**](#_Toc410046517)

[**بر الوالدين 858**](#_Toc410046518)

[**حق البُنُّوة 869**](#_Toc410046519)

[**تطاول الأقزام على عَلَم الأعلام 881**](#_Toc410046520)

[**حرمة قتل النفس المعصومة 891**](#_Toc410046521)

[**حلاوة الصلاة 901**](#_Toc410046522)

[**خذوا حذركم 913**](#_Toc410046523)

[**ذم الكذب 921**](#_Toc410046524)

[**رسالة إلى الظالم والمظلوم 930**](#_Toc410046525)

[**سحائب الرحمة 938**](#_Toc410046526)

[**صفات عباد الرحمن 948**](#_Toc410046527)

[**ضريبة الانهزام 963**](#_Toc410046528)

[**ظاهرة تكفف الناس وسؤالهم 971**](#_Toc410046529)

[**عقيدة الولاء والبراء وأثرها في حياة الأمة 980**](#_Toc410046530)

[**فضل إحسان الإنسان إلى غيره 989**](#_Toc410046531)

[**قارون وسكرة المال 1000**](#_Toc410046532)

[**لذَّة الصبر 1013**](#_Toc410046533)

[**مطية النجاة: الخوف من الله 1021**](#_Toc410046534)

[**منهج رسول الله في التعامل مع الأزمات [1] 1030**](#_Toc410046535)

[**منهج رسول الله في التعامل مع الأزمات [2] 1041**](#_Toc410046536)

[**وقتك حياتك 1052**](#_Toc410046537)

[**ولا تفسدوا في الأرض 1062**](#_Toc410046538)

[**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين 1072**](#_Toc410046539)

[**الوصية آداب وأحكام 1085**](#_Toc410046540)

[**الإيمان باليوم الآخر وأثره في صلاح الفرد والمجتمع 1095**](#_Toc410046541)

1. [↑](#footnote-ref-1)
2. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية في 19/12/1428ـ، إب-الدليل. [↑](#footnote-ref-2)
3. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-3)
4. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-4)
5. ( ) رواه أبوداود، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-5)
6. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-6)
7. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-7)
8. (( ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، في 9 /1/1434هـ، الموافق 22/11/2012م. [↑](#footnote-ref-8)
9. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-9)
10. ( ) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-10)
11. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-11)
12. ( ) رواه مالك في الموطأ وابن جرير في تهذيب الآثار. [↑](#footnote-ref-12)
13. ( ) رواه البيهقي. [↑](#footnote-ref-13)
14. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-14)
15. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-15)
16. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-16)
17. ( ) رواه ابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-17)
18. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-18)
19. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-19)
20. (( ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 22/7/1432هـ، 24/6/2011م. [↑](#footnote-ref-20)
21. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-21)
22. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-22)
23. ( ) رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-23)
24. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-24)
25. ( ) رواه الضياء المقدسي في المختارة، وإسناده صحيح. [↑](#footnote-ref-25)
26. ( ) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-26)
27. ( ) رواه ابن ماجه، وأبو نعيم في الحلية، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-27)
28. ( ) رواه الطبراني وابن أبي عاصم بسند حسن. [↑](#footnote-ref-28)
29. ( ) رواه الخمسة والبيهقي في الكبرى، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-29)
30. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-30)
31. ( ) رواه الترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-31)
32. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-32)
33. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-33)
34. ( ) رواه أحمد والنسائي وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-34)
35. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-35)
36. ( ) رواه أبو داود وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-36)
37. ( ) رواه أبو يعلى والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-37)
38. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-38)
39. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 21/ 1/ 1433هـ، 16/12/2011م. [↑](#footnote-ref-39)
40. ( ) رواه أحمد والترمذي والبيهقي والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-40)
41. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-41)
42. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-42)
43. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-43)
44. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-44)
45. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-45)
46. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-46)
47. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-47)
48. ( ) رواه أحمد والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-48)
49. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-49)
50. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-50)
51. ( ) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-51)
52. ( ) رواه أبو داود وأحمد والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-52)
53. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-53)
54. ( ) رواه أبو داود وابن حبان، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-54)
55. ( ) رواه أهل السنن إلا ابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-55)
56. (( ألقيت في مسجد ابن تيمية، إب، في 8/2/1429هـ. [↑](#footnote-ref-56)
57. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-57)
58. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-58)
59. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-59)
60. ( ) رواه أبو داود وأحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-60)
61. ( ) رواه أحمد وهو حسن. [↑](#footnote-ref-61)
62. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-62)
63. ( ) رواه ابن ماجه وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-63)
64. ( ) رواه أبو داود والبيهقي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-64)
65. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 22/5/ 1432هـ، 29/4/2011م. [↑](#footnote-ref-65)
66. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-66)
67. ( ) رواه أحمد، وإسناده صحيح. [↑](#footnote-ref-67)
68. ( ) رواه أحمد والبيهقي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-68)
69. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-69)
70. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-70)
71. ( ) رواه أحمد، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-71)
72. ( ) رواه أحمد والدارمي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-72)
73. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 20/2/1433هـ، 13/1/2012م. [↑](#footnote-ref-73)
74. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-74)
75. ( ) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-75)
76. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-76)
77. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-77)
78. ( ) رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-78)
79. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-79)
80. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-80)
81. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-81)
82. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-82)
83. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-83)
84. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-84)
85. ( )رواه أبو داود والترمذي ، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-85)
86. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-86)
87. ( ) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-87)
88. ( ) رواه الطبراني ، وإسناده حسن. [↑](#footnote-ref-88)
89. ( ) رواه البخاري في الأدب المفرد، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-89)
90. ( ) رواه النسائي وابن حبان، وإسناده حسن. [↑](#footnote-ref-90)
91. ( ) رواه الطبراني والبزار، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-91)
92. ( ) رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الكبير، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-92)
93. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 7/7/ 1434هـ، 17/5/2013م. [↑](#footnote-ref-93)
94. ( ) رواه البيهقي والشافعي وابن أبي شيبة، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-94)
95. ( ) رواه ابن ماجه والحاكم والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-95)
96. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-96)
97. ( ) رواه ابن حبان وأحمد والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-97)
98. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-98)
99. ( ) رواه أحمد ، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-99)
100. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-100)
101. ( ) رواه أحمد والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-101)
102. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-102)
103. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-103)
104. ( ) رواه البيهقي والحاكم وابن خزيمة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-104)
105. ( ) رواه البيهقي ، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-105)
106. ( ) رواه البيهقي والحاكم ، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-106)
107. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-107)
108. ( ) رواه أحمد والبيهقي وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-108)
109. ( ) رواه ابن حبان وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-109)
110. ( ) رواه ابن ماجه، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-110)
111. ( ) رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-111)
112. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-112)
113. ( ) رواه أحمد والترمذي وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-113)
114. ( ) رواه النسائي والدارقطني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-114)
115. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية في 21/11/1428هـ. [↑](#footnote-ref-115)
116. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-116)
117. ( )رواه مسلم [↑](#footnote-ref-117)
118. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-118)
119. ( ) متفق عليه [↑](#footnote-ref-119)
120. ( ) رواه أبو داود وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-120)
121. ( ) رواه الترمذي والنسائي في الكبرى، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-121)
122. ( ) رواه مسلم [↑](#footnote-ref-122)
123. ( ) رواه الطبراني ، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-123)
124. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-124)
125. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-125)
126. ( ) متفق عليه [↑](#footnote-ref-126)
127. ( ) ألقيت في مسجد الأمير الصنعاني يوم 13/3/1434هـ، 24/1/2013م. [↑](#footnote-ref-127)
128. ألقيت في مسجد ابن تيمية، في 25/1/1429هـ. [↑](#footnote-ref-128)
129. ( ) رواه ابن حبان وابن ماجه والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-129)
130. ( ) رواه الطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-130)
131. ( ) رواه ابن ماجه وابن خزيمة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-131)
132. ( ) رواه ابن ماجه والبيهقي وابن خزيمة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-132)
133. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-133)
134. ( ) رواه الطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-134)
135. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-135)
136. ( ) رواه الطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-136)
137. ( ) رواه أبو داود و البخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-137)
138. ( ) رواه ابن ماجه وابن خزيمة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-138)
139. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-139)
140. () أي: إذا قال المقيم: حي على الصلاة حي على الفلاح. [↑](#footnote-ref-140)
141. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-141)
142. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-142)
143. ( ) رواه أحمد والحاكم، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-143)
144. (( انظر: تخريجه في السلسلة الصحيحة. [↑](#footnote-ref-144)
145. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في جمادى الآخرة 1432هـ، 8/4/2011م. [↑](#footnote-ref-145)
146. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-146)
147. ( ) رواه الطبراني وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-147)
148. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-148)
149. ( ) رواه ابن ماجه والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-149)
150. ( ) رواه ابن حبان بإسناد صحيح. [↑](#footnote-ref-150)
151. ( ) رواه الطبراني والنسائي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-151)
152. ( ) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-152)
153. ( ) رواه أحمد والترمذي وابن حبان والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-153)
154. ( ) رواه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-154)
155. ( ) رواه أحمد والبيهقي وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-155)
156. ( ) رواه الترمذي والبيهقي ، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-156)
157. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-157)
158. ( ) رواه أبو داود وابن حبان والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-158)
159. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-159)
160. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-160)
161. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-161)
162. () ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني-صنعاء، في 19/4/1434هـ، الموافق 1/3/2013م. [↑](#footnote-ref-162)
163. ( ) هذه ست خطب متسلسة خطبت بها عن العفاف: وسائل حفظه، ومعاول هدمه، تناولت فيها أربع وسائل من وسائل حفظ العفاف داعياً إلى التمسك بها، ومعولين من معاول هدم العفاف محذراً من سلوك طريقهما، وقد استفتحت هذه السلسلة بخطبة تحدثت فيها عن العفاف عموماً. [↑](#footnote-ref-163)
164. ( ) رواه أبوداود والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-164)
165. ( ) [رواه أحمد والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-165)
166. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-166)
167. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-167)
168. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-168)
169. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-169)
170. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-170)
171. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-171)
172. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-172)
173. ( ) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-173)
174. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-174)
175. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-175)
176. ( ) رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي وغيرهم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-176)
177. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، في 10/5/1434هـ، الموافق 22/ 3/2013م. [↑](#footnote-ref-177)
178. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-178)
179. ( ) رواه أحمد وابن حبان وغيرهما، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-179)
180. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-180)
181. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-181)
182. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-182)
183. ( ) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-183)
184. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، في 17 /5/1434هـ، الموافق 29/3/2013م. [↑](#footnote-ref-184)
185. ( ) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-185)
186. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-186)
187. ( ) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-187)
188. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-188)
189. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-189)
190. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-190)
191. ( ) رواه أحمد وأبو داود، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-191)
192. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-192)
193. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، 24 /5/1434هـ، الموافق 5/4/2013م. [↑](#footnote-ref-193)
194. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-194)
195. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-195)
196. ( ) رواه ابن ماجه ومالك، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-196)
197. ( ) رواه أحمد و الترمذي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-197)
198. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-198)
199. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-199)
200. ( ) السلفع من النساء: الجريئة. [↑](#footnote-ref-200)
201. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-201)
202. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-202)
203. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-203)
204. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، 2 /6/1434هـ، الموافق 12/4/2013م. [↑](#footnote-ref-204)
205. ( ) رواه أبو داود، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-205)
206. ( ) رواه الترمذي وابن حبان وابن خزيمة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-206)
207. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-207)
208. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني-صنعاء.9/6/1434هـ، الموافق 19/4/2013م. [↑](#footnote-ref-208)
209. ( ) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-209)
210. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-210)
211. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 30/3/1435هـ، 31/1/2014م. [↑](#footnote-ref-211)
212. ( ) رواه أحمد والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-212)
213. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-213)
214. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-214)
215. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-215)
216. ( ) رواه الترمذي وابن حبان، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-216)
217. ( ) رواه الطبراني والحاكم، وقال: حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه،

     ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-217)
218. ( ) رواه أحمد وأبو دود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-218)
219. ( ) رواه الأربعة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-219)
220. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-220)
221. ( ) ألقيت في 7/11/1428هـ، في مسجد ابن تيمية. [↑](#footnote-ref-221)
222. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-222)
223. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-223)
224. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-224)
225. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-225)
226. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-226)
227. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-227)
228. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-228)
229. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-229)
230. ( ) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-230)
231. ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 30/2/1434هـ، 12/1/2013م. [↑](#footnote-ref-231)
232. ( ) رواه أحمد وابن ماجه والطبراني والحاكم، و هو حسن. [↑](#footnote-ref-232)
233. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-233)
234. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-234)
235. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-235)
236. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-236)
237. ( ) رواه أحمد والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-237)
238. ( ) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-238)
239. ( ) رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-239)
240. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-240)
241. ( ) رواه الترمذي والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-241)
242. ( ) رواه الترمذي وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-242)
243. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-243)
244. ( ) رواه الترمذي والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-244)
245. ( ) رواه أبو داود والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-245)
246. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-246)
247. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-247)
248. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-248)
249. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-249)
250. ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 6/3/ 1434هـ، 18/1/2013م. [↑](#footnote-ref-250)
251. ( ) رواه الطبراني وابن أبي شيبة والبزار، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-251)
252. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-252)
253. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-253)
254. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-254)
255. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-255)
256. ( ) رواه أصحاب السنن، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-256)
257. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-257)
258. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-258)
259. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-259)
260. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-260)
261. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-261)
262. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-262)
263. ( ) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-263)
264. ( ) رواه أبو داود وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-264)
265. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية في 18/11/1429هـ. [↑](#footnote-ref-265)
266. ( ) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-266)
267. ( ) رواه البيهقي والدارقطني والبزار وأحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-267)
268. ( ) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-268)
269. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-269)
270. ( ) رواه البيهقي وابن حبان والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-270)
271. ( ) رواه أحمد والطبراني، وهو حسن . [↑](#footnote-ref-271)
272. ( ) رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-272)
273. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-273)
274. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-274)
275. ( ) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-275)
276. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-276)
277. ( ) رواه أحمد وابن حبان والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-277)
278. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-278)
279. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 19/3/ 1434هـ، 31/1/2013م. [↑](#footnote-ref-279)
280. ( ) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-280)
281. ( ) رواه أبو داود والبيهقي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-281)
282. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 14/7/ 1434هـ، 24/5/2013م. [↑](#footnote-ref-282)
283. ( ) رواه الطبراني وابن أبي الدنيا، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-283)
284. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-284)
285. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-285)
286. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-286)
287. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-287)
288. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-288)
289. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-289)
290. ( ) رواه أحمد وابن حبان وأبو داود وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-290)
291. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-291)
292. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-292)
293. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-293)
294. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-294)
295. ( ) رواه البيهقي والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-295)
296. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-296)
297. ( ) رواه أحمد وأبو دواد والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-297)
298. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، في 13/5/1433هـ، 5/3/2012م، [↑](#footnote-ref-298)
299. ( ) رواه الترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-299)
300. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-300)
301. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-301)
302. ( ) رواه أحمد وابن حبان والطبراني والحاكم، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-302)
303. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-303)
304. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-304)
305. ( ) رواه أصحاب السنن، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-305)
306. ( ) رواه البخاري في الأدب المفرد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-306)
307. ( ) رواه الترمذي والنسائي وغيرهما، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-307)
308. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-308)
309. ( ) رواه أحمد والترمذي وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-309)
310. ( ) رواه أحمد والترمذي ، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-310)
311. ( ) رواه أحمد والترمذي والنسائي ، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-311)
312. ( ) رواه أهل السنن، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-312)
313. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-313)
314. ( ) رواه النسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-314)
315. ( ) (تموت بجمع) أي: المرأة تموت من الولادة وولدها في بطنها قد تم خَلْقه . وقيل: إذا ماتت من النفاس فهو شهيد ، سواء ألقت ولدها وماتت ، أو ماتت وهو في بطنها. ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (5/ 43). [↑](#footnote-ref-315)
316. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-316)
317. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-317)
318. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 28/5/1433هـ، 20/4/2012هـ. [↑](#footnote-ref-318)
319. ( ) رواه أحمد والترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-319)
320. ( ) رواه ابن حبان والبيهقي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-320)
321. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 6/ 6/1433هـ، 27/4/2012م. [↑](#footnote-ref-321)
322. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-322)
323. ( ) رواه ابن عدي وأبو نعيم، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-323)
324. ( ) رواه أبو داود الطيالسي والبزار والبخاري في التاريخ، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-324)
325. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-325)
326. ( ) رواه الحاكم والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-326)
327. ( ) رواه النسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-327)
328. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-328)
329. ( ) رواه الترمذي وأحمد والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-329)
330. ( ) رواه الخمسة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-330)
331. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-331)
332. ( ) رواه ابن ماجه والحاكم وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-332)
333. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-333)
334. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-334)
335. ( ) رواه الحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-335)
336. ( ) رواه ابن حبان والنسائي وأحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-336)
337. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-337)
338. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-338)
339. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-339)
340. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-340)
341. ( ) رواه أحمد والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-341)
342. ( ) رواه الترمذي، وهوحسن. [↑](#footnote-ref-342)
343. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 13/ 6/1433هـ، 4/5/2012م. [↑](#footnote-ref-343)
344. [↑](#footnote-ref-344)
345. ( ) رواه البخاري في الأدب المفرد والبيهقي في السنن، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-345)
346. ( ) رواه البزار بإسناد جيد. [↑](#footnote-ref-346)
347. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-347)
348. ( ) رواه البيهقي والطبراني ومالك. [↑](#footnote-ref-348)
349. ( ) رواه الترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-349)
350. ( ) ألقيت في مسجد الأمير الصنعاني، صنعاء، في 25/ رجب/1433هـ، 15/6/2012م. [↑](#footnote-ref-350)
351. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-351)
352. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-352)
353. ( ) رواه الطبراني وابن ماجه، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-353)
354. ( ) رواه الطبراني وابن ماجه، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-354)
355. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-355)
356. ( ) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي وغيرهم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-356)
357. ( ) رواه أحمد وابن حبان البيهقي والترمذي والنسائي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-357)
358. [↑](#footnote-ref-358)
359. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، في 8/2/2013م. [↑](#footnote-ref-359)
360. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-360)
361. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، في 28/رجب/1434هـ، 7/6/2013م. [↑](#footnote-ref-361)
362. ( ) ينظر: فتح الباري (7/ 205). [↑](#footnote-ref-362)
363. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-363)
364. ( ) ألقيت في مسجد الأمير الصنعاني في 7/ شعبان، 1432هـ، 8/7/2011م. [↑](#footnote-ref-364)
365. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-365)
366. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-366)
367. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-367)
368. ( ) رواه النسائي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-368)
369. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-369)
370. ( ) رواه الترمذي والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-370)
371. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-371)
372. ( ) رواه البيهقي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-372)
373. ( ) رواه الطبراني وابن حبان والبزار، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-373)
374. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-374)
375. ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 23/ 6/ 1434هـ، 3/5/2013م. [↑](#footnote-ref-375)
376. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 14/4/1434هـ، 20/9/2013م. [↑](#footnote-ref-376)
377. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-377)
378. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-378)
379. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-379)
380. ( ) رواه أحمد وابن حبان والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-380)
381. ( ) رواه مسلم وأحمد. [↑](#footnote-ref-381)
382. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-382)
383. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 20/10/1433هـ، الموافق 7/9/2012م. [↑](#footnote-ref-383)
384. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-384)
385. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-385)
386. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-386)
387. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-387)
388. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-388)
389. ( ) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-389)
390. ( ) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-390)
391. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 19/8/1434هـ، الموافق 28/6/2013م. [↑](#footnote-ref-391)
392. [↑](#footnote-ref-392)
393. ( ) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان وغيرهم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-393)
394. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-394)
395. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-395)
396. ( ) رواه أحمد وابن حبان والطبراني والحاكم، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-396)
397. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 9/11/1432هـ، الموافق 7/10/2011م. [↑](#footnote-ref-397)
398. ( ) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-398)
399. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-399)
400. ( ) رواه أحمد والترمذي والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-400)
401. ( ) رواه ابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-401)
402. ( ) رواه ابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-402)
403. ( ) رواه الأربعة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-403)
404. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-404)
405. ( ) رواه الثلاثة وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-405)
406. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-406)
407. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-407)
408. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-408)
409. ( ) رواه أبو داود وابن ماجه، وهو ضعيف. [↑](#footnote-ref-409)
410. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية في 28/10/1428هـ. [↑](#footnote-ref-410)
411. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-411)
412. ( ) رواه الحاكم وعبد الرزاق وغيرهما، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-412)
413. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-413)
414. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-414)
415. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-415)
416. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-416)
417. ( ) رواه أحمد والبيهقي والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-417)
418. ( ) مجاديح السماء: نجومها، والمراد: النجوم التي يحصل عندها المطر عادة، فشبه الاستغفار بها، والذي يراد من الحديث: أنه جعل الاستغفار استسقاء ، وأراد إبطال النجوم والتكذيب بها ، وإنما جعل الاستغفار مشبها للنجوم مخاطبة لهم بما يعرفونه لا قولاً بالنجوم التي يزعمون أن من شأنها المطر . ينظر: القاموس المحيط، تاج العروس. [↑](#footnote-ref-418)
419. ( ) رواه أبوداود وابن ماجه وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-419)
420. ( ) رواه أحمد وابن حبان والترمذي وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-420)
421. ( ) رواه البيهقي وأبو يعلى، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-421)
422. ( ) رواه الترمذي والبيهقي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-422)
423. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-423)
424. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-424)
425. ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، يوم ا/ رمضان/ 1433هـ. [↑](#footnote-ref-425)
426. ( ) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن أبي قيس ولم أجد من ترجمه. [↑](#footnote-ref-426)
427. ( ) رواه البخاري [↑](#footnote-ref-427)
428. ( ) رواه الطبراني والحاكم وأحمد وابن ماجه والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-428)
429. ( ) رواه البيهقي والحاكم وابن خزيمة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-429)
430. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-430)
431. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-431)
432. ( ) رواه البيهقي والنسائي وغيرهما، وهو صحيح [↑](#footnote-ref-432)
433. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية يوم 12/ رمضان/ 1429هـ، 12/9/2008م. [↑](#footnote-ref-433)
434. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-434)
435. ( ) رواه الترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-435)
436. ( ) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وهو صحح. [↑](#footnote-ref-436)
437. ( ) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-437)
438. ( ) رواه أحمد والطبراني والحاكم، وه حسن صحيح. [↑](#footnote-ref-438)
439. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-439)
440. ( ) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-440)
441. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-441)
442. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني يوم 8/ رمضان/ 1433هـ، 27/ 7/ 2012م. [↑](#footnote-ref-442)
443. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-443)
444. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-444)
445. ( ) رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه والنسائي والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-445)
446. ( ) رواه الطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-446)
447. ( ) رواه البيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-447)
448. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-448)
449. ( ) رواه الطبراني والترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-449)
450. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-450)
451. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-451)
452. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-452)
453. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-453)
454. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-454)
455. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-455)
456. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية، يوم 18/ رمضان/ 1429هـ، 18/ 9/ 2008م. [↑](#footnote-ref-456)
457. ( ) رواه ابن حبان، وإسناده صحيح. [↑](#footnote-ref-457)
458. ( ) رواه ابن حبان وأحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-458)
459. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-459)
460. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-460)
461. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-461)
462. ( ) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والنسائي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-462)
463. ( ) ألقيت في مسجد ابن الامير الصنعاني في يوم 17/ رمضان/ 1434هـ، 26/ 7/ 2013م. [↑](#footnote-ref-463)
464. ( ) رواه أحمد والبيهقي والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-464)
465. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-465)
466. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-466)
467. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-467)
468. ( ) رواه البيهقي وأحمد وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-468)
469. ( ) رواه أحمد والبيهقي والطبراني والترمذي وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-469)
470. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 12/ رمضان/ 1432هـ. [↑](#footnote-ref-470)
471. ( ) رواه البيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-471)
472. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-472)
473. ( ) رواه أحمد والحاكم، وهو صحيح الإسناد. [↑](#footnote-ref-473)
474. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-474)
475. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-475)
476. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-476)
477. ( ) رواه أحمد بإسناد جيد. [↑](#footnote-ref-477)
478. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-478)
479. ( ) رواه ابن ماجه والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-479)
480. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-480)
481. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية في 26/ رمضان/ 1429هـ، 26/9/2008هـ. [↑](#footnote-ref-481)
482. ( ) رواه ابن حبان والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-482)
483. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية، في 4/ رمضان/1429هـ، 3/ 10/ 2008م. [↑](#footnote-ref-483)
484. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-484)
485. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-485)
486. ( ) رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-486)
487. ( ) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-487)
488. ( ) رواه الترمذي وأبو يعلى، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-488)
489. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-489)
490. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-490)
491. ( ) رواه أحمد وابن حبان والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-491)
492. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-492)
493. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 7/5/ 1433هـ، 30/ 3/ 2012م. [↑](#footnote-ref-493)
494. [↑](#footnote-ref-494)
495. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-495)
496. ( ) رواه الحاكم والبيهقي. [↑](#footnote-ref-496)
497. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-497)
498. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-498)
499. ( ) رواه أحمد، وإسناده قوي. [↑](#footnote-ref-499)
500. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية في 2/5/1429هـ. [↑](#footnote-ref-500)
501. ( ) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-501)
502. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-502)
503. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-503)
504. ( ) رواه الترمذي والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-504)
505. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-505)
506. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-506)
507. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-507)
508. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-508)
509. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-509)
510. ( ) رواه أحمد والترمذي. [↑](#footnote-ref-510)
511. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-511)
512. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-512)
513. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-513)
514. ( ) رواه أحمد وابن حبان والطبراني. [↑](#footnote-ref-514)
515. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في محرم/ 1434هـ، 7/ 12/ 2012م. [↑](#footnote-ref-515)
516. [↑](#footnote-ref-516)
517. ( ) رواه أحمد والدارقطني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-517)
518. ( ) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-518)
519. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-519)
520. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-520)
521. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-521)
522. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-522)
523. ( ) رواه ابن حبان وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-523)
524. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-524)
525. ( ) رواه الخمسة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-525)
526. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-526)
527. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-527)
528. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 5/ 11/1433هـ، 21/ 9/2012م. [↑](#footnote-ref-528)
529. ( ) رواه أحمد وابن حبان والترمذي، وغيرهم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-529)
530. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-530)
531. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-531)
532. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-532)
533. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-533)
534. ( ) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-534)
535. ( ) رواه أحمد وأبو داود، وهو ضعيف. [↑](#footnote-ref-535)
536. ( ) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-536)
537. ( ) رواه أبو داود وأحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-537)
538. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-538)
539. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-539)
540. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-540)
541. ( ) رواه الترمذي والنسائي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-541)
542. (( ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 16/4/1433هـ، 9/3/2012م. [↑](#footnote-ref-542)
543. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-543)
544. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-544)
545. ( ) رواه الترمذي والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-545)
546. ( ) رواه أحمد وابن حبان وأبو داود والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-546)
547. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-547)
548. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 16/11/1432هـ، 14/10/2011م. [↑](#footnote-ref-548)
549. [↑](#footnote-ref-549)
550. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-550)
551. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-551)
552. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 6/5/1435هـ، 27/ 3/2014م. [↑](#footnote-ref-552)
553. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-553)
554. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-554)
555. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-555)
556. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-556)
557. ( ) رواه أحمد وابن حبات والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-557)
558. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-558)
559. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-559)
560. ( ) رواه أبو داود والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-560)
561. ( ) رواه ابن حبان والحاكم والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-561)
562. ( ) رواه أحمد وابن حبات والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-562)
563. ( ) رواه الترمذي والنسائي وأحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-563)
564. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 28/11/1434هـ، 4/12/2013م. [↑](#footnote-ref-564)
565. [↑](#footnote-ref-565)
566. ( ) رواه أبو داود والبيهقي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-566)
567. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-567)
568. ( ) رواه البيهقي، وقال الحاكم:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-568)
569. ( ) رواه ابن حبان وأحمد وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-569)
570. ( ) رواه البزار بإسناد حسن وأبو يعلى بإسناد صحيح . [↑](#footnote-ref-570)
571. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-571)
572. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-572)
573. ( ) رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة، وإسناده لا بأس به. [↑](#footnote-ref-573)
574. ( ) رواه الترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-574)
575. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-575)
576. ( ) رواه أبو داود وأحمد والبيهقي والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-576)
577. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-577)
578. ( ) رواه أحمد والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-578)
579. ( ) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-579)
580. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-580)
581. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية في 5/12/1428هـ. [↑](#footnote-ref-581)
582. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-582)
583. ( ) رواه الترمذي وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-583)
584. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-584)
585. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-585)
586. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-586)
587. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-587)
588. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-588)
589. ( ) رواه أحمد والنسائي والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-589)
590. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأميرالصنعاني في 10/12/1435هـ، 15/10/2013م. [↑](#footnote-ref-590)
591. ( ) رواه أحمد و أبو داود والنسائي وابن خزيمة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-591)
592. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-592)
593. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-593)
594. ( ) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-594)
595. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية في 12/12/1428هـ. [↑](#footnote-ref-595)
596. ( ) رواه أحمد وابن حبان وغيرهما، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-596)
597. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-597)
598. ( ) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-598)
599. ( ) رواه ابن حبان والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-599)
600. ( ) رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-600)
601. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-601)
602. ( ) رواه الطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-602)
603. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-603)
604. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-604)
605. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-605)
606. ( ) رواه البيهقي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-606)
607. ( ) رواه ابن حبان وأصحاب السنن، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-607)
608. ( ) ألقيت في 15/11/1428هـ، في مسجد ابن تيمية. [↑](#footnote-ref-608)
609. ( )رواه الترمذي وأحمد وغيرهما. [↑](#footnote-ref-609)
610. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-610)
611. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-611)
612. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-612)
613. ( ) رواه أبو داود وابن حبان. [↑](#footnote-ref-613)
614. ( ) رواه أبو داود وابن حبان وغيرهما. [↑](#footnote-ref-614)
615. ( ) رواه أبو داود وأحمد. [↑](#footnote-ref-615)
616. ( ) رواه أحمد وابن حبان. [↑](#footnote-ref-616)
617. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية في 26/ 12/ 1428هـ. [↑](#footnote-ref-617)
618. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-618)
619. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-619)
620. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 20/5/1433هـ، 13/4/2012م. [↑](#footnote-ref-620)
621. [↑](#footnote-ref-621)
622. ( ) قال الألباني: و بكار بن عبد الله – هو اليمامي - قال الذهبي : " ما علمت به بأسا " . قلت(أي: الألباني) : فهو شاهد مرسل جيد. أي: لحديث عائشة. [↑](#footnote-ref-622)
623. ( ) رواه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي [↑](#footnote-ref-623)
624. ( ) رواه أحمد والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-624)
625. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-625)
626. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-626)
627. ( ) رواه أحمد وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-627)
628. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-628)
629. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-629)
630. ( ) حسن إسناده الهيثمي. [↑](#footnote-ref-630)
631. ( ) رواه الطبراني والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-631)
632. ( ) رواه ابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-632)
633. ( ) رواه أحمد والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-633)
634. ( ) رواه أحمد ، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-634)
635. ( ) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطحاوي في مشكل الآثار. [↑](#footnote-ref-635)
636. ( ) رواه الطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-636)
637. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-637)
638. ( ) رواه الترمذي، وهو صحيح [↑](#footnote-ref-638)
639. ( ) رواه أحمد والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-639)
640. ( ) رواه الطبراني. [↑](#footnote-ref-640)
641. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-641)
642. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 11/7/1435هـ، 11/ 4/2014م. [↑](#footnote-ref-642)
643. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-643)
644. ( ) رواه الطبراني والحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي. [↑](#footnote-ref-644)
645. ( ) رواه الحاكم وأحمد وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-645)
646. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-646)
647. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-647)
648. ( ) رواه أبو داود والطبراني والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-648)
649. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-649)
650. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-650)
651. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-651)
652. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-652)
653. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 16/8/1432هـ، 6/7/2012م. [↑](#footnote-ref-653)
654. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-654)
655. ( ) رواه الترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-655)
656. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-656)
657. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-657)
658. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-658)
659. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-659)
660. ( ) رواه أبو داود والترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-660)
661. ( ) رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-661)
662. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني 23/8/1433هـ، 13/7/2012م. [↑](#footnote-ref-662)
663. ( ) رواه أبو داود والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-663)
664. ( ) رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-664)
665. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-665)
666. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-666)
667. ( ) رواه الترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-667)
668. ( ) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-668)
669. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في13/4/1435هـ، 13/2/2014م. [↑](#footnote-ref-669)
670. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-670)
671. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-671)
672. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-672)
673. ( ) رواه أبو داود وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-673)
674. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-674)
675. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-675)
676. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-676)
677. ( ) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-677)
678. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في9/ 4/1433هـ، 2/3/2012م. [↑](#footnote-ref-678)
679. () رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-679)
680. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-680)
681. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-681)
682. () رواه البيهقي والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-682)
683. () متفق عليه. [↑](#footnote-ref-683)
684. () رواه أبو داود والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-684)
685. () رواه أحمد والطبراني وابن حبان، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-685)
686. () متفق عليه. [↑](#footnote-ref-686)
687. () رواه الترمذي والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-687)
688. ( ) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-688)
689. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 28/7/1432هـ، 10/6/2011م. [↑](#footnote-ref-689)
690. ( ) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-690)
691. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-691)
692. ( ) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-692)
693. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-693)
694. ( ) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-694)
695. ( ) رواه الترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-695)
696. ( ) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-696)
697. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-697)
698. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-698)
699. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-699)
700. ( ) رواه أبو داود والنسائي والحاكم، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-700)
701. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-701)
702. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-702)
703. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-703)
704. ( ) رواه ابن ماجه والنسائي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-704)
705. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في18/5/1432هـ، 22/4/2011م. [↑](#footnote-ref-705)
706. ( ) رواه ابن ماجه والبيهقي والبزار، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-706)
707. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-707)
708. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-708)
709. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 17/11/1435هـ، 12/ 9/2014م. [↑](#footnote-ref-709)
710. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-710)
711. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-711)
712. ( ) رواه الطبراني والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-712)
713. ( ) رواه الترمذي وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-713)
714. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 21/4/1435هـ، 21/2/2014م. [↑](#footnote-ref-714)
715. [↑](#footnote-ref-715)
716. ( ) رواه البيهقي والبزار والبخاري في الأدب المفرد، وهو حسن. صح موقوفاً وصح مرفوعاً. [↑](#footnote-ref-716)
717. ( ) رواه الطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-717)
718. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-718)
719. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-719)
720. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-720)
721. ( ) رواه الترمذي والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-721)
722. ( ) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-722)
723. ( ) رواه الترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-723)
724. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-724)
725. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-725)
726. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-726)
727. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-727)
728. ( ) رواه أبو داود والترمذي والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-728)
729. ( ) رواه البيهقي وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-729)
730. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-730)
731. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-731)
732. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-732)
733. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، في 22/12/1432هـ، 18/11/2011م. [↑](#footnote-ref-733)
734. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-734)
735. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 4/3/1433هـ، 27/1/2012م. [↑](#footnote-ref-735)
736. ( ) رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-736)
737. ( ) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-737)
738. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-738)
739. ( ) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-739)
740. ( )متفق عليه. [↑](#footnote-ref-740)
741. ( )رواه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-741)
742. ( )رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-742)
743. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-743)
744. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في17/6/1432هـ،20/5/2011م. [↑](#footnote-ref-744)
745. ( ) رواه ابن ماجه واللفظ له والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم. [↑](#footnote-ref-745)
746. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-746)
747. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-747)
748. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-748)
749. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-749)
750. () رواه البخاري . [↑](#footnote-ref-750)
751. ( ) رواه أحمد والترمذي والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-751)
752. () رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-752)
753. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-753)
754. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-754)
755. () رواه الترمذي والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-755)
756. () رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-756)
757. () رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-757)
758. ()رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-758)
759. ()رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-759)
760. ()رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-760)
761. ()متفق عليه. [↑](#footnote-ref-761)
762. () رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-762)
763. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في جمادى الآخرة، 1433هـ، 11/5/2012م. [↑](#footnote-ref-763)
764. ( ) رواه أحمد والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-764)
765. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-765)
766. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-766)
767. ( ) رواه ابن ماجه وابن حبان، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-767)
768. ( ) رواه أبو داود وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-768)
769. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-769)
770. ( ) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-770)
771. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في10/6/1432هـ،13/5/2011م. [↑](#footnote-ref-771)
772. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-772)
773. ( ) رواه الترمذي وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-773)
774. ( ) رواه الترمذي وأبو داود وأحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-774)
775. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-775)
776. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-776)
777. ( ) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-777)
778. ( ) متفق عليه [↑](#footnote-ref-778)
779. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-779)
780. ( ) رواه الترمذي وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-780)
781. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-781)
782. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-782)
783. ( ) رواه البزار والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-783)
784. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 1432هـ. [↑](#footnote-ref-784)
785. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-785)
786. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-786)
787. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-787)
788. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-788)
789. ( ) رواه البخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-789)
790. ( ) رواه أحمد، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-790)
791. ( ) رواه البزار، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-791)
792. ( ) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-792)
793. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-793)
794. ( ) رواه ابن ماجه والنسائي والحاكم، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-794)
795. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-795)
796. ( ) رواه النسائي وأحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-796)
797. ( ) رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-797)
798. ( ) رواه الحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-798)
799. ( ) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، وهو حسن موقوفا. [↑](#footnote-ref-799)
800. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 26/11/1433هـ، 11/10/2012م. [↑](#footnote-ref-800)
801. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-801)
802. ( ) رواه الحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-802)
803. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-803)
804. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-804)
805. ( ) رواه الترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-805)
806. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-806)
807. ( ) رواه النسائي وأبو داود، وه صحيح. [↑](#footnote-ref-807)
808. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-808)
809. () رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، وه صحيح. [↑](#footnote-ref-809)
810. () متفق عليه. [↑](#footnote-ref-810)
811. ()متفق عليه. [↑](#footnote-ref-811)
812. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 14/9/ 2012م. عقب الاعتداء النصراني على رسول الله صلى الله عليه وسلم في فلم أمريكي جنسي. [↑](#footnote-ref-812)
813. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-813)
814. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-814)
815. ( ) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وذكره الألباني في صحيح السيرة. [↑](#footnote-ref-815)
816. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في9/10/1434هـ،16/8/2013م. [↑](#footnote-ref-816)
817. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-817)
818. ( ) رواه الخمسة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-818)
819. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-819)
820. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-820)
821. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-821)
822. ( ) رواه ابن ماجه، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-822)
823. ( ) رواه البيهقي والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-823)
824. ( ) رواه الترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-824)
825. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-825)
826. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-826)
827. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-827)
828. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-828)
829. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-829)
830. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-830)
831. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-831)
832. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-832)
833. ( ) رواه أبو داود والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-833)
834. ( ) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم. [↑](#footnote-ref-834)
835. ( ) رواه النسائي وابن ماجه، وهو حسن، مرفوعاً وموقوفاً. [↑](#footnote-ref-835)
836. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-836)
837. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-837)
838. ( ) رواه أجمد والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-838)
839. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية في 12/5/1429هـ. [↑](#footnote-ref-839)
840. ( ) رواه أحمد والنسائي والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-840)
841. ( ) رواه أبو داود وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-841)
842. ( ) رواه الطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-842)
843. ( ) رواه أحمد وأبو داود، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-843)
844. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-844)
845. ( ) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-845)
846. ( ) رواه أحمد وأبو داود، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-846)
847. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-847)
848. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-848)
849. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-849)
850. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-850)
851. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-851)
852. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-852)
853. ( ) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-853)
854. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-854)
855. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-855)
856. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-856)
857. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 15/7/1432هـ، 17/6/2011م. [↑](#footnote-ref-857)
858. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-858)
859. ( ) رواه أحمد والبيهقي والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-859)
860. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-860)
861. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-861)
862. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-862)
863. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-863)
864. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 12/2/1433هـ، 6/1/2012م. [↑](#footnote-ref-864)
865. [↑](#footnote-ref-865)
866. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-866)
867. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-867)
868. ( ) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-868)
869. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-869)
870. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-870)
871. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-871)
872. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-872)
873. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-873)
874. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-874)
875. ( ) رواه أبو داود والترمذي وأحمد، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-875)
876. ( ) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-876)
877. ( ) رواه ابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-877)
878. ( ) رواه الترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-878)
879. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-879)
880. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 26/1/1435هـ، 29/11/2013م. [↑](#footnote-ref-880)
881. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-881)
882. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-882)
883. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-883)
884. ( ) رواه البيهقي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-884)
885. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-885)
886. ( ) رواه البزار والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-886)
887. ( ) رواه مسلم [↑](#footnote-ref-887)
888. ( ) رواه البيهقي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-888)
889. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-889)
890. ( ) رواه الطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-890)
891. ( ) رواه الحاكم، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-891)
892. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 1/11/1432هـ، 30/9/2011م. [↑](#footnote-ref-892)
893. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-893)
894. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-894)
895. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-895)
896. ( ) رواه البزار، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-896)
897. ( ) رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-897)
898. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-898)
899. ( ) رواه الطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-899)
900. ( ) رواه الترمذي وأبو داود وأحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-900)
901. ( ) رواه الحاكم والطبراني والبخاري في الأدب المفرد، وه صحيح. [↑](#footnote-ref-901)
902. ( ) رواه أحمد وأبو داود ، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-902)
903. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-903)
904. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ذي القعدة 1435هـ، 5/8/2014م. [↑](#footnote-ref-904)
905. ( ) رواه أبو نعيم في الحلية، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-905)
906. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-906)
907. ( ) رواه الترمذي والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-907)
908. ( ) رواه الترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-908)
909. ( ) رواه الترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-909)
910. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-910)
911. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-911)
912. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-912)
913. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-913)
914. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-914)
915. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-915)
916. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-916)
917. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-917)
918. ( ) رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-918)
919. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-919)
920. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-920)
921. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-921)
922. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-922)
923. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في28/4/1435هـ، 28/2/2014م. [↑](#footnote-ref-923)
924. ( ) رواه البيهقي وأحمد ، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-924)
925. ( ) رواه البيهقي وأحمد وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-925)
926. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 5/4/1434هـ، 15/2/2013م. [↑](#footnote-ref-926)
927. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-927)
928. ( ) رواه البيهقي والبزار، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-928)
929. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-929)
930. ( ) رواه البيهقي والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-930)
931. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-931)
932. ( ) رواه أحمد وأبو يعلى، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-932)
933. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-933)
934. ( ) رواه الخمسة، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-934)
935. ( ) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وهو حسن [↑](#footnote-ref-935)
936. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-936)
937. ( ) [↑](#footnote-ref-937)
938. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 10/7/1435هـ، 9/5/2014م. [↑](#footnote-ref-938)
939. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-939)
940. ( ) رواه أبو داود والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-940)
941. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-941)
942. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-942)
943. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-943)
944. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-944)
945. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 13/1432هـ، 14/7/2011م. [↑](#footnote-ref-945)
946. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-946)
947. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-947)
948. ( ) رواه أبو داود وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-948)
949. ( ) رواه أحمد والنسائي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-949)
950. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-950)
951. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-951)
952. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-952)
953. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-953)
954. ( ) رواه ابن حبان والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-954)
955. ( ) رواه ابن ماجه والبيهقي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-955)
956. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-956)
957. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-957)
958. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-958)
959. ( ) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان، صحيح. [↑](#footnote-ref-959)
960. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-960)
961. ( ) رواه الطبراني والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-961)
962. ( ) رواه مسلم والأربعة. [↑](#footnote-ref-962)
963. ( ) رواه الطبراني ، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-963)
964. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 19/11/1433هـ، 5/10/2012م. [↑](#footnote-ref-964)
965. ( ) رواه أحمد والترمذي والبيهقي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-965)
966. ( ) رواه أحمد والترمذي ، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-966)
967. ( ) رواه البخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-967)
968. ( ) رواه أحمد والترمذي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-968)
969. ( ) رواه ابن حبان وابن ماجه، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-969)
970. ( ) رواه أحمد والترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-970)
971. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-971)
972. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-972)
973. ( ) رواه أحمد والترمذي والنسائي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-973)
974. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في19/1/1435هـ، 22/11/2013م. [↑](#footnote-ref-974)
975. ( ) رواه الطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-975)
976. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-976)
977. ( ) رواه الترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-977)
978. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-978)
979. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 25/6/1435هـ، 25/4/2014م. [↑](#footnote-ref-979)
980. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-980)
981. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-981)
982. ( ) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-982)
983. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 24/2/1435هـ، 27/12/2013م. [↑](#footnote-ref-983)
984. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-984)
985. ( ) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-985)
986. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-986)
987. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-987)
988. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 2/3/1435هـ، 3/1/2014م. [↑](#footnote-ref-988)
989. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-989)
990. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-990)
991. ( ) رواه أحمد والنسائي والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-991)
992. ( ) رواه مسلم وأحمد. [↑](#footnote-ref-992)
993. ( ) رواه الطبراني، وقال الهيثمي: فيه ابن اسحاق وهو مدلس وبقية رجاله ثقات. [↑](#footnote-ref-993)
994. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-994)
995. ( ) رواه أحمد، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-995)
996. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 18/7/1433هـ، 8/6/2012م. [↑](#footnote-ref-996)
997. ( ) رواه الحاكم والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-997)
998. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-998)
999. ( ) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-999)
1000. ( ) رواه الترمذي والطبراني، وه صحيح. [↑](#footnote-ref-1000)
1001. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 18/3/1433هـ،10/2/2012م. [↑](#footnote-ref-1001)
1002. ( ) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-1002)
1003. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1003)
1004. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1004)
1005. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-1005)
1006. ( ) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-1006)
1007. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1007)
1008. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1008)
1009. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1009)
1010. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1010)
1011. ( ) رواه الأربعة وابن حبان ، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-1011)
1012. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-1012)
1013. ( ) ألقيت في مسجد ابن تيمية في 1/2/1429هـ [↑](#footnote-ref-1013)
1014. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-1014)
1015. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-1015)
1016. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1016)
1017. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1017)
1018. ( ) رواه البيهقي وأحمد وأبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-1018)
1019. ( ) رواه البيهقي وأحمد ، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-1019)
1020. ( ) رواه أبو داود والحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-1020)
1021. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1021)
1022. ( ) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-1022)
1023. ( ) رواه الطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-1023)
1024. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-1024)
1025. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ربيع الآخر، 1435هـ، يناير 2014م. [↑](#footnote-ref-1025)
1026. ( ) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-1026)
1027. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1027)
1028. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-1028)
1029. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1029)
1030. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-1030)
1031. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1031)
1032. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-1032)
1033. ( ) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في 11/7/1435هـ، 11/ 4/2014م. [↑](#footnote-ref-1033)
1034. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1034)
1035. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1035)
1036. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1036)
1037. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1037)
1038. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1038)
1039. ( ) رواه ابن حبان، وهو صحيح، أصله في الصحيح. [↑](#footnote-ref-1039)
1040. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-1040)
1041. ( ) رواه أبو داود، والطبراني، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-1041)
1042. ( ) رواه الترمذي والنسائي والحاكم، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-1042)
1043. ( ) رواه أحمد والطبراني، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-1043)